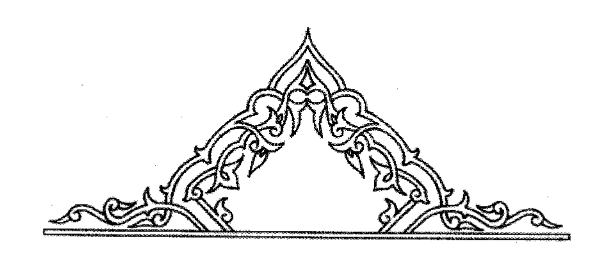
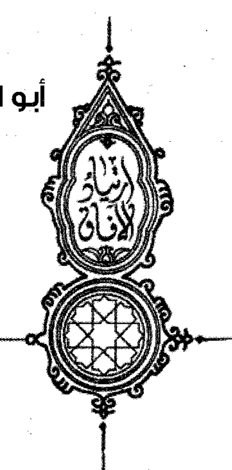


الرحلة الناصرية

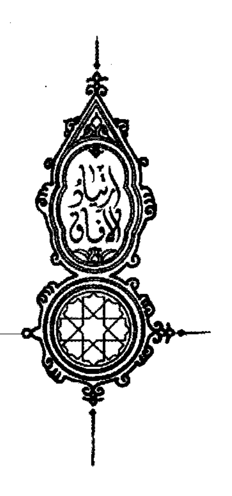
1709-1710 م

أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي

حققها وقدم لها: عبد الحفيظ ملوكي



الكتاب الحائز على جائزة ابن بطوطة لتحقيق المخطوطات 2008 - 2009



يشرف على هذه السلسلة

نوري الجراح

مستشار التحرير:

علي كنعان

أمانة التحرير:

أيمن حجازي

الإشراف الفني:

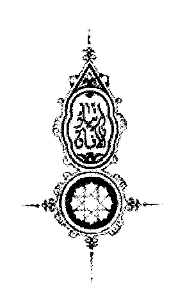
ناصر بخيت

الرحلة الناصرية

1709–1710 م

1121-1122 هـ

الجزء الأول



الرحلة الناصرية
أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي/مؤلف [حققها وقدم لها: عبد الحفيظ ملوكي]
الطبعة الأولى، 2011



دار السويدي للنشر والتوزيع
أبو ظبي، ص. ب: 44480
الإمارات العربية المتحدة
هاتف: 6322079، فاكس: 6312866

تصميم الغلاف: الفنان ناصر بخيت
الصف الضوئي: المركز العربي للأدب الجغرافي - لندن/أبو ظبي

"ولما التقينا بالمصري في العقبة أخبرونا عن حالهم مع البرد وأنه قتل منهم واحدا أو اثنين ليلة العقبة وقرب عجرود ما ينيف على خمسين نفسا. وذكروا أن الإنسان يكون في حمل الخشب فيوجد ميتا بالبرد وعلى الدابة كذلك... وحدثنا بعض حجاج القدس التقوا مع المصري في سطح العقبة أنهم لاقوا من البرد والثلج والمطر ما يقضي منه العجب، مكثوا يومين وما أوقدوا نارا ولا قدروا عليه ولا أكلوا من كثرة المطر. "

من نص الرحلة ص 324

"... ولما قربنا من مضيق ينبع تأخر كثير من الصعاليك، فخرج عليهم المحاربون وجردوا صعلوكا فصاحوا، ورجع إليهم بعض الحجاج فهربوا، وجلسوا تحت أحجار ورموهم ببنادق، ورموهم الحجاج، وكفى الله شرهم. واستبشر الناس بقدوم الينبع، لأنها أول بلاد الحجاز العامرة، وفيها قرى كثيرة ومزارع ونخيل وعيون جارية."

من نص الرحلة ص 341

".... وأما من تطول إقامته بالمدينة ثمانية، أيام فإنه يحصل هذا الفضل بالفرائض دون النوافل، كأهل الشام، فإنهم يتأخرون بالمدينة عن الأركاب المغربية والمصرية، ويتسع مجالهم في المدينة وينتفعون بالمشاهد من غير منازع ولا مدافع يقيمون العشرة الأيام فأكثر،" فيتمتعون بمشاهد تلك البقاع، ونصبت الأسواق، واتسعت الأرزاق، وقسمت الصدقات، وكثرت الارتفاقات، وبالجملة فلا ينتفع أهل المدينة بركب انتفاعهم بأهل الشام... فإنهم يقدمون بتجارات كثيرة، وطعام، وزيت، وأشربة، يبيعونها بالمدينة.."

من نص الرحلة ص 477

"ثم أخذ الطلق مملوكتنا آمنة بنت سعيد زوج سالم بن بركة، فأتت بولد ذكر بوادي الخفسة (في ليبيا اليوم) ضحوة يوم السبت سلخ ربيع الثاني لثلاث عشرة بقيت من يونيه، وسميناه على اسم ولي الله حقا، والقائم بخدمته صدقا، أبي الفيض ذا النون رضي الله عنه تفاؤلا أن يزيح الله ما بالركب من فيضه السابغ، وطوله الواسع.".

من نص الرحلة ص 639





أعلن عن جائزة ابن بطوطة للأدب الجغرافي سنة 2003 وتهدف إلى تشجيع أعمال التحقيق والتأليف والبحث في أدب السفر والرحلات واليوميات، وهو ميدان خطير ومهمل، وقد تأسست الجائزة إيماناً من "المركز العربي للأدب الجغرافي -ارتياد الآفاق" و"دار السويدي" بضرورة الإسهام في إرساء تقاليد حرّة في منح الجوائز، وتكريساً لعرف رمزي في تقدير العطاء الفكري، بما يؤدي بالضرورة إلى نبش المخبوء والمجهول من المخطوطات العربية والإسلامية الموجود في كنف المكتبات العربية والعالمية، وإخراجه إلى النور، وبالتالي إضاءة الزوايا الظليلة في الثقافة العربية عبر علاقتها بالمكان، والسفر فيه، والكشف عن نظرة العربي إلى الذات والآخر، من خلال أدب الرحلة بصفته من بين أبرز حقول الكتابة في التراث العربي، لم ينل اهتماماً يتناسب والأهمية المعطاة له في مختلف الثقافات. مع التنويه بتزايد أهمية المشروع وجائزته في ظل التطورات الدراماتيكية التي يشهدها العالم، وتنعكس سلباً على علاقة العرب والمسلمين بالجغرافيات والثقافات الأخرى، فالأدب الجغرافي العربي (وضمناً الإثنوغرافيا العربية) من شأنه أن يكشف عن طبيعة النظرة والأفكار التي كوّنها العرب والمسلمون عن "الآخر" في مختلف الجغرافيات التي ارتادها رحالتهم وجغرافيوهم ودوّنوا انطباعاتهم وتصوراتهم الخاصة بهم عن الحضارة الإنسانية والاختلاف الحضاري حيثما حلّوا.

في دورتها هذه كما في دوراتها السابقة تواصل الجائزة التوقعات المتفائلة لمشروع تنويري عربي يستهدف إحياء الاهتمام بالأدب الجغرافي من خلال تحقيق المخطوطات العربية والإسلامية التي تنتمي إلى أدب الرحلة والأدب

الجغرافي بصورة عامة، من جهة، وتشجيع الأدباء والكتاب العرب على تدوين يومياتهم المعاصرة في السفر، وحض الدارسين على الإسهام في تقديم أبحاث ودراسات رفيعة المستوى في أدب الرحلة.

مكتبة عربية لأدب الرحلة... من كان يصدق؟ موسيقى لا تهدأ، وصخب لا ينتهي، وسطور الرحالة مدونات هي لوحات فنية مدهشة ومشاعر حميمة وخلجات وجدانية فياضة، خواطر وانطباعات وصور ترصد المرئيات، حدس شاعري وابتكار فني وجمال في التعبير، خيال يعانق الواقع ويوقظ الذاكرة فيأتي بالممتع والمدهش. مرايا تتعاكس، بلدان قريبة وبعيدة، أماكن جديدة وزوايا لم تستكشف يرتادها عاشق مغامر كما يسري تحت جناح الليل للقاء الحبيبة. وهو لا يكتفي بعناقها والبوح بمكنونات قلبه وفكره إليها، بل يستغرق في ملامحها، يناجيها ويسعد باستجلاء خفاياها وكأنه يتأمل نفسه في مراياها... تلك هي الرحلة، ومن هنا يبدأ الاكتشاف والتغيير، اكتشاف المكان واكتشاف الذات سعيا وراء فهم حقيقي لها. هكذا تنبثق الرؤى من معاشرة المدن والأنهار والجبال، وترتسم في صياغات جديدة للوجدان والنظر والتعبير في نصوص حية عابرة للزمان كما هي عابرة للمكان.

بدأنا برحلة، وقلنا إننا سنختتم معاً مائة رحلة، أما وقد وقفنا على أعتاب الكتاب المائة فأي معجزة هذه.. ولم يمضِ عل مشروع "ارتياد الآفاق" أربعة أعوام؟!

إنني لأحيي أولئك المغامرين القدامى من أبطال الرحلة، فرسانا امتطوا صهوات الجياد واقتحموا غمار الموج، سالكين دروب الدهشة والخطر؛ وأتطلع بفرح غامر إلى هذه الكوكبة الجديدة من الرحالة المعاصرين، الذين واكبوا مشروع "ارتياد الآفاق" وتألقوا في مسالكه. أطالع عشرات الأسماء والعناوين التي تزدان بها أغلفة الكتب، وهي تنقلنا بين المدن والبلدان والقارات، هؤلاء هم غواصو لآلئ الرحلة العربية ومبدعو أدبها الروائي الجميل. إنهم ثروة الأمة من الناظرين في كل جهات الأرض، وسفراؤها إلى

العالم، العائدون بالرؤى والمعارف والخبرات، أهل المشاهدة وأهل الحوار مع الآخر بصفته أنا أخرى وشريكا على هذا الكوكب.

في أسواق المدن وأكشاك المطارات والموانئ ومحطات القطار نمر بألوان من كتيبات السياحة وصور المنتجعات وإعلانات الفنادق وشركات السفر. هذا شيء آخر غير أدب الرحلة؛ واليوم، فإن المكتبات الحديثة المنتشرة بين المدارس والجامعات والمراكز الثقافية لم يعد في مقدورها أن تستغني عن كنوز أدب الرحلة وروائعها، بل أفردت لها رفوفا خاصة بها.

الرحلة، كما آلت إليه، سفر في الأرض وسفر في المخيلة، وبالتالي فإن نصوصها مغامرة في اللغة وفي الوجود.

تَهْدفُ هذه السِّلسلةُ بَعْثَ واحدٍ من أعرقِ ألوانِ الكتابةِ في ثقافتنا العربية، من خلال تقديم كلاسيكيَّاتِ أدبِ الرِّحلةِ، إلى جانب الكشف عن نصوصٍ مجهولةٍ لكتاب ورحَّالة عربٍ ومسلمينَ جابوا العالم ودوّنوا يوميَّاتهم وانطباعاتهم، ونقلوا صوراً لما شاهدوه وخَبِروهُ في أقاليمه، قريبةً وبعيدةً، لاسيما في القَرنين الماضِيين اللذين شهدا ولادة الاهتمام بالتجربة الغربية لدى النُّخب العربية المثقفة، ومحاولة التعرّف على المجتمعات والنَّاس في الغرب، والواقع أنه لا يمكن عزل هذا الاهتمام العربي بالآخر عن ظاهرةِ الاستشراق والمستشرقين الذين ملأوا دروبَ الشَّرقِ، ورسموا له صوراً ستملأ مجلدات لا تُحصى عدداً، خصوصاً في اللغات الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية، وذلك من موقعهم القوي على خارطة العالم والعلم، ومن منطلق المستأثر بالأشياء، والمتهيء لترويج صور عن "شرق ألف ليلة وليلة" تغذّي أذهان الغربيين ومخيّلاتهم، وتُمهِّدُ الرأي العام، تالياً، للغزو الفكري والعسكري لهذا الشرق. ولعل حملة نابليون على مصر، بكل تداعياتها العسكرية والفكرية في ثقافتنا العربية، هي النموذجُ الأتمُّ لذلك. فقد دخلت المطبعة العربية إلى مصر مقطورة وراء عربة المدفع الفرنسي لتؤسس للظاهرة الاستعمارية بوجهيها العسكري والفكري.

وإذا كان أدب الرحلة الغربي قد تمكن من تنميط الشرق والشرقيين، عَبْرَ رسمِ صورٍ دنيا لهم، بواسطة مخيِّلةٍ جائعةٍ إلى السِّحري والأيروسيِّ والعجائبيِّ، فإن أدب الرحلة العربي إلى الغرب والعالم، كما سيتَّضِحُ من خلال نصوص هذه السلسلة، ركّز، أساساً، على تتبع ملامح النهضة العلميَّة والصناعيَّة، وتطوّر العمران، ومظاهر العصرنة ممثلة في التطور الحادث في نمط العيش والبناء والاجتماع والحقوق. لقد انصرف الرَّحالة العرب إلى تكحيل عيونهم بصور النهضة الحديثة في تلك المجتمعات، مدفوعين، غالباً، بشغف البحث عن الجديد، وبالرغبة العميقة الجارفة لا في الاستكشاف فقط، من باب الفضول المعرفي، وإنما، أساساً، من بابِ طَلَبِ العلم، واستلهام التجارب، ومحاولة الأخذ بمعطيات التطور الحديث، واقتفاء أثر الآخر للخروج من حالةِ الشَّلل الحضاريِّ التي وجد العرب أنفسهم فريسة لها. هنا، على هذا المنقلب، نجُد أحد المصادر الأساسية المؤسِّسة للنظرة الشرقية المندهشة بالغرب وحضارته، وهي نظرة المتطلِّع إلى المدنيَّة وحداثتها من موقعه الأدنى على هامش الحضارة الحديثة، المتحسِّر على ماضيه التليد، والتّائق إلى العودة إلى قلب الفاعلية الحضارية.

إن أحد أهداف هذه السِّلسلة من كتب الرحلات العربية إلى العالم، هو الكشف عن طبيعة الوعي بالآخر الذي تشكَّل عن طريق الرحلة، والأفكار التي تسرّبت عبر سطور الرَّحالة، والانتباهات التي ميَّزت نظرتهم إلى الدول والناس والأفكار. فأدب الرحلة، على هذا الصعيد، يشكِّل ثروةً معرفيَّةً كبيرةً، ومخزناً للقصص والظواهر والأفكار، فضلاً عن كونه مادة سرديّة مشوّقة تحتوي على الطريف والغريب والمدهش مما التقطته عيون تتجوّل وأنفسٌ تنفعل بما ترى، ووعي يلمُّ بالأشياء ويحلِّلها ويراقب الظواهرَ ويتفكَّرُ بها.

أخيراً، لابد من الإشارة إلى أن هذه السِّلسة التي شارفت اليوم على المائة كتابٍ أسست، وللمرة الأولى، لمكتبة عربية مستقلّة مؤلّفة من نصوص ثريَّة تكشف عن همّة العربيِّ في ارتيادِ الآفاقِ، واستعداده للمغامرة من بابِ

نَيل المعرفةِ مقرونةً بالمتعةِ، وهي إلى هذا وذاك تغطي المعمور في أربعِ جهات الأرض وفي قارّاته الخمس، وتجمع إلى نشدان معرفة الآخر وعالمه، البحث عن مكونات الذات الحضارية للعرب والمسلمين من خلال تلك الرحلات التي قام بها الأدباء والمفكرون والمتصوفة والحجاج والعلماء، وغيرهم من الرَّحالة العرب في أرجاء ديارهم العربية والإسلامية.

ختاما، أحيي رحالة من طراز آخر، أولئك المثقفين المبدعين القائمين على مشروع ارتياد الآفاق والعاملين فيه والمتحلقين حوله من الباحثين الذين استكشفوا هذه المنطقة المطموسة والمغفلة من ثقافتنا العربية بقدرات المغامرين من العلماء ودأب المستكشفين، فالتمسوا المخطوطات والنصوص النادرة في مكتبات العالم ورجعوا بها كما يرجع الغواصون باللآلئ، وسهروا على فك رموزها وتحقيقها وإخراجها إلى النور ليكون لنا من وراء جهودهم المضيئة مكتبة متعاظمة من أدب الرحلة ما تزال عناوينها تتوالى وسلاسلها تتعدد، ليكون في وسع ثقافتنا العربية أن تبرهن من خلال هذا اللون الممتع والخطير من الأدب أنها ثقافة إنسانية فتحت نوافذها على ثقافات العالم وتجارب شعوبه، ودون رحالتها مشاهداتهم وثائق أدبية وتاريخية ترقى إلى ما يربو على ألف من السنين، فأنجزوا مع ريادتهم الآفاق ريادتهم في أدب السفر.

فهنيئا للقارئ العربي الجاد بهذه المكتبة الجديدة، وللأجيال التي ستقرؤنا بعد مائة عام.

محمد أحمد السويدي



شكر وتقدير

إذا ما كتب لهذا العمل أن ينتفع به، فإن واجب الاعتراف بالجميل يقتضي مني، ذكر ما تلقيته من العون المعرفي والتوجيه المنهجي والتشجيع المعنوي والمساعدة العملية؛ من لدن أساتذتي الأجلاء وزملائنا الأعزاء، وأخص بالذكر:

الأستاذ الدكتور محمد الأمراني، على تفضله بالإشراف على هذا العمل الذي كان في الأصل أطروحة لنيل الدكتوراه، وتتبع خطوات البحث ومراحله طوال سنوات الإعداد.

وكذا الأستاذ الدكتور أحمد عمالك، عمدة البحث في الزاوية الناصرية، الذي اقترح علي هذا المخطوط للتحقيق، وأمدني بمصادر لإغناء دراسته، فأسأل الله له الجزاء الأوفى والخير الأسنى.

والأستاذ الدكتور محمد الظريف، على ما قدمه من ملاحظات نابعة من صميم قلب عالم يقدر البحث العلمي حق قدره، فجزاه الله عني خيرا وإحسانا.

كما توجب علي الأمانة في هذا المنحى، أن أعترف لأم لمياء مجددا، بكونها ضحت براحتها وكثير سلوتها، وقدمت الكثير من المساعدة الثمينة والدعم والتشجيع ليرى هذا البحث النور. فأدعو الله تعالى أن يمتعها بكامل الصحة وموفور الهناء وراحة البال.

وأتقدم، أيضا بالشكر الجزيل، والاعتراف بالجميل، إلى أخي على ما أسداه من عون، وما قدمه من خدمات في سبيل النهوض بهذا البحث.

كما أتوجه بالشكر العميق، إلى كل الذين ساعدوني من قريب أو بعيد، لإنجاز هذا العمل. وأخص بالذكر أعضاء نادي الأدب بمراكش وزملائي في البحث السادة: د. بوشعيب منصر، د. الحسين بوم، د. حسن بواجلابن، د. حسن سطوطي، د. عبد السلام رضواني، د. عبد العزيز لحويدق، د. عبد المجيد الناصري، د. فتح الله مصباح، د. سيدي محمد ويلالي، د. مولاي رشيد السيدي، د. مولاي عبد العزيز ساهر، د. محمد الطبراني، والشاعر إسماعيل ازويريق.

وفي الأخير، غمرتني فرحة عارمة وأنا أطالع في الجرائد والمواقع الإلكترونية خبر فوز بحثي عن "الرحلة الناصرية" بإحدى جوائز ابن بطوطة لأدب الرحلة، لعام 2009 م، واطمأننت إلى أنه لا يزال في عالم الأدب الجغرافي من الغيورين من يحتفي بهذا النوع من الأدب، ويرصد له الجوائز الثمينة، التي تروم تشجيع أعمال التحقيق والتأليف والبحث في أدب السفر والرحلات، ويعتزم إصدار مجلة شهرية عربية متخصصة في أدب السفر والعلاقة مع الآخر.

وأنا إذ أعبر عن جميل إحساسي بأهمية هذا المشروع، أرجو الله تعالى أن يكلل جهود راعِيهِ والمشرفين عليه بالظَّفَر، وأن يجعل هذا الإنجاز العظيم في ميزان حسناتهم. والله ولي التوفيق

مسار الرحلة

يوميات الرحلة وخط سيرها

خريطة طريق الركب الناصري

يكتفي أغلب محققي الرحلات بتلخيص خط السير في خريطة تكفيهم المؤونة، وهي وإن كانت كبيرة العائدة، شديدة الفائدة، إلا أننا أردنا أن نضيف إليها عملا يكون أجدى وأكثر غنى، فجعلنا خط الرحلة مصحوبا بالتواريخ التفصيلية في جداول مرفقة، ووسمناه بـ: "يوميات الرحلة الناصرية وخط سيرها"[1].

وأهمية هذا العمل، من وجوه:

أ) أنه يعد تلخيصا محكما لمراحل الرحلة.

(1) ينظر إلى يوميات الرحلة الناصرية وخط سيرها بالملحق رقم: 1.

ب) أنه يربط بين التواريخ والأماكن ربطا محكما، ولربما يكون ذلك مُعينا على تحديد مدة السفر المقطوعة بين مكانين، ناهيك عن أنه يُمكّننا من معرفة البقاع والأماكن التي أطال بها الشيخ الثواء أو العكس. ومن ثم يكون هذا العمل ترجمة عملية لفهرس الأماكن وتفعيلا له.

ج) أننا بالاعتماد على بعض التواريخ المذكورة بطي الرحلة، استنتجنا تواريخ دقيقة أخرى، أكملنا بها التأريخ الفعلي لكل مراحل الرحلة، بحيث يتم تحديد التاريخ الحقيقي لتموقع الشيخ في كل البقاع التي مر بها.

د) أننا زاوجنا فيه بين التاريخ الهجري والميلادي، فقادنا ذلك إلى تصحيح التقويم في بعض الأحيان.

هـ) أن هذا العمل معطى دقيق للمقارنة بين مراحل رحلة الناصري ورحلة سابقه العياشي، وأوجه الاتفاق والاختلاف.

و) أن هذه الجداول مفيدة في التأريخ لبقاع وقرى وأماكن مندثرة الآن، فنستدل من خلال هذه الجداول على وجودها في التاريخ المذكورة عقيبه.

وللإشارة، فإن الأيام والتواريخ والشهور والسنة المثبتة بشكل عاد، من وضع صاحب الرحلة. بينما المضغوطة والمسطرة من وضعنا، حيث اعتمدنا في اغترافها على قرائن من متن الرحلة. ونقدم بطاقة تقنية حول هذه الرحلة.

بداية الرحلة الناصرية كانت يوم الخميس 24 جمادى الأولى 1121 هـ/21 يوليه 1709م.

وتاريخ القفول تم يوم الخميس 6 رمضان 1122 هـ/19 أكتوبر 1710م.

وقد استغرقت الرحلة في مجموعها خمسة عشر شهرا وستة أيام، أي مدة عام وثلاثة أشهر وستة أيام، موزعة على الشكل الآتي:

- رحلة الذهاب وصولا إلى مكة المكرمة: ستة أشهر وسبعة أيام.
- رحلة الإياب وصولا إلى الزاوية: ثمانية أشهروأربعة عشر يوما.
- مدة مناسك الحج ثمانية أيام، بالإضافة إلى جواره بمكة مدة تسعة أيام، أي مجموع خمسة عشر يوما.

- قطع الركب في رحلته حوالي أحد عشر ألف كلم.

لقد تباينت مدة الإقامة بالمراكز الرئيسة لعدة أسباب من بينها:

- الحاجة إلى الراحة خصوصا قبل وبعد المراحل الصعبة.
- أهمية المراكز من الناحية الاقتصادية لفسح الفرصة للحجاج لقضاء الحاجيات من بيع وشراء واستبدال للرواحل.
- مراعاة الظروف الطبيعية والأمنية.
- أهمية المراكز من الناحية العلمية، حيث كانت محطات لتلقي العلوم.

ونقدم جدولا يبرز هذه المحطات ومدة الإقامة بها ذهابا وإيابا:

المحطات الرئيسة	مدة الإقامة بالأيام		
	الذهاب	الإياب	المجموع
سجلماسة (زاوية إكوز)	8	-	8
طرابلس	5	-	5
تاجوراء	3	17	20
القاهرة	6	39	45
مكة المكرمة	2	9	11
المدينة المنورة	-	5	5
المجموع			94



التعريف بالرحالة

حياته وأسرته

هو أحمد بن مَحمد [m'hamed] بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر الدرعي، أبو العباس المدعو بالخليفة. ولد في منتصف ليلة الخميس الثامن عشر من رمضان سنة 1057هـ/1647م[1].

وقد تربى في أحضان أسرة اشتهرت بالعلم والتصوف حيث إن والديه يتميزان بمكانة دينية واجتماعية:

أمه: هي حفصة الأنصارية بنت عبد الله بن محمد بن علي من زاوية "سيدي الناس"، توفي والدها وتركها صغيرة دون البلوغ في حجر أمها، وربتها أحسن تربية. وكانت تأتي بها في المواسم لزيارة الأشياخ، وكانت بارعة الحسن وافرة الحياء، وكانت السيدة ميمونة بنت عمرو والدة السيد أحمد بن إبراهيم الأنصاري شيخ زاوية تامكروت تحبها وتحب والدتها، فزوجتها لولدها الشيخ بكرا، وولدت له بنات. وفي جمادى الأولى عام 1052 هـ، قتل الشيخ أحمد بن إبراهيم الأنصاري من قبل بعض الظلمة من رؤساء أهل درعة حسدا على مرتبته وعلى بنائه المسجد الجامع بتمكروت[2] وإذا كان هذا الشيخ قد أسهم إلى حد كبير في تثبيت نفوذ الزاوية التمكروتية بدرعة، فإنه لم يعقب ابنا يخلفه وخلف فقط البنات وهن: خديجة المولودة في 25 محرم 1051هـ، وميمونة المزدادة في ذي القعدة 1052هـ، وعائشة في محرم 1053. وقد أسهمن بشكل فعال في مواصلة عمل أبيهن سواء بعد زواجهن من

---

(1) محمد المكي الناصري الدرر المرصعة، ص 111 إلى ص157(الترجمة الكاملة للشيخ) .

(2) ينظر الدرر المرصعة، ص: 151 . ومحمد المكي الناصري الروض الزاهر، ص: 73.

الناصريين أم في ممارساتهن الفعلية للإشراف على النساء وتعليمهن مبادئ التصوف والأذكار والأوراد[1].

ووصفتها الكتب المترجمة لها بالفاضلة، وتوفيت بالزاوية الناصرية في أواخر شوال سنة 1095 هـ وقبرها معروف داخل ضريح الشيخ مَحمد ابن ناصر، وهي آخر من مات من أزواج الشيخ مَحمد ابن ناصر، وفي هذا التاريخ كان الشيخ أحمد الخليفة يتجهز للسفر إلى حج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه[2].

أبوه: هو أبو عبد الله مَحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن ناصر بن عمرو بن عثمان بن ناصر بن أحمد بن علي بن سليم بن أبي بكر بن المقداد بن إبراهيم بن سليم بن حزيز بن جبيش بن كلاب بن إبراهيم بن أحمد بن عقيل بن معقل ابن الهراج بن محمد بن جعفر الأمير بن إبراهيم الأعرابي بن محمد الجواد بن علي الزينبي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. [بين الشيخ مَحمد بن ناصر وجعفر بن أبي طالب اثنان وثلاثون أبا].

وكثر النقاش في مسألة نسب الناصريين، وقد أورد الباحث أحمد عمالك هذه القضية في أطروحته[3]، وخلص إلى أن "سواء أكان الناصريون جعفريين أو غير ذلك، فمن المؤكد أنه لم يكن لقضية النسب أي دور في شهرتهم، لأنهم عرفوا بالصلاح والعلم. وما دامت فضيلة النسب مشروطة بالإيمان والتقوى، فإن النسب يبقى مسألة لا قيمة لها"[4].

وأشار في السياق نفسه، أن العبرة بقرابة الدين لا بقرابة النسب. كما أكده كثير من علماء المسلمين، اعتمادا على القرآن الكريم والسنة النبوية، مثل قوله تعالى: "قَالَ يا نُوحُ إنهُ لَيْسَ من أهلك، إنه عَمَلٌ غيرُ صالح"[5].

وقوله تعالى: "فَإذَا نُفِخَ في الصور فلاَ أَنْساب بَيْنَهم يَوْمَئذ وَلا يَتَساءَلون"[6].

---

(1) ينظر مؤلف الروض الزاهر، ص: 25.

(2) ينظر طلعة المشتري: ج2، ص:26.

(3) ينظر "الزاوية الناصرية ودورها الاجتماعي والسياسي" من ص: 75 إلى ص: 81.

(4) م.ن، ص: 79.

(5) سورة هود أول الآية: 46 وتتمتها: فلا تسألني ما ليس لك به علم، إني أعظك أن تكون من الجاهلين.

(6) سورة المومنون الآية: 102.

ومن الحديث النبوي الشريف، قوله عليه الصلاة والسلام: "من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه..."[1]. وقوله عليه السلام: "وكلكم بنو آدم، وآدم من تراب، لينتهين قوم يفتخرون بآبائهم، أو ليكونن أهون على الله من الجِعْلان"[2].

وختم هذه الإفادة بقول الشاعر: (طويل)

عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ فِي كُل حَالة ... وَلاَ تَتْرُكِ التقْوَى اتكَالا عَلَى النسَبْ

فَقَدْ رَفَعَ الإسْلاَمُ سَلمانَ فارسٍ ... وَقَدْ وَضَعَ الكُفْرُ الشرِيفَ أبا لهبْ

ولد أبو الشيخ أحمد ابن ناصر عام 1011هـ، فهو أغلاني الولادة والمنشإ دادسي الأصل، درعي الإقليم، تمجروتي الدار، جعفري النسب، مقدادي الجد . وقد تربى في حجر والده الذي أقرأه القرآن ورباه أحسن تربية. ولما سمع أبوه الشيخ مَحمد ابن ناصر بخبر رجلين صالحين متبعين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، انتقل إليهما من أغلان إلى تمجروت سنة 1045هـ . واستشف كل من الشيخ عبد الله بن حسين والشيخ أحمد بن إبراهيم الأنصاريين نباهة ونبوغ مريدهما الجديد، لذا كانت رغبة الشيخين شديدة في التمسك به .

وباستقراره بتامجروت صارت له وجاهة عند السكان وتوافرت له شروط القدوة . واعتقد الشيخ أحمد بن إبراهيم أن الاعتراف بمَحمد ابن ناصر سيكون مقبولا وسهلا ومنطقيا، بعد أن عمل على تربيته وتأهيله لمهمة المشيخة، حيث كلفه ببعض المهام في حياته وقبل توليته لشؤون الزاوية[3].

وذكر اليوسي تلميذ الزاوية في فهرسته أن مَحمد ابن ناصر: كان رحمه الله مشاركا في فنون العلم كالفقه والعربية والكلام والتفسير والحديث والتصوف، عابدا، ناسكا، قائما بالطريقة شاربا من عين الحقيقة، على الرغم من انكبابه على علوم القوم ونهجه الطريقة لا يخل بالعلم الظاهر تدريسا وتأليفا وتقييدا وضبطا، صحبه الناس غربا وشرقا وانتفع به الخلق، فكان إذا تكلم انتقش كلامه في القلب.

---

(1) جزء من حديث صحيح أخرجه الإمام مسلم.

(2) أخرجه البزار بسند صحيح.

(3) ينظر أنكام علي:" إسهام في دراسة زاوية قصر تمكروت "، ص 81 وهي رسالة د.د.ع تحت إشراف الأستاذ أحمد توفيق سنة 1991 وهي مرقونة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

إن الاطلاع على ترجمة أفراد أسرة الشيخ وبعض أصهاره، يبين ما لهذه الأسرة من وُسْع في العلم، وشرف في النسب، وامتداد عميق في جذور المجتمع المحيط، ولعل الشيخ كان على وعي بضرورة توطيد أمر أسرته وزيادة إشعاع زاويته. وإن كانت بمنأى عن حواضر المغرب المعروفة، فعمل لذلك على تزويج أخواته من شخصيات علمية نافذة، ساهمت بشكل غير يسير في الرفع من مكانة الزاوية وضمان استمرارها. ويكفي أن يُذكر في هذا الإطار بعض أصهاره . مثل: الشيخ الهشتوكي والشيخ أحمد بن حسين والشيخ عبد الكريم التدغي والشيخ الحسين بن شرحبيل البوسعيدي والشيخ مولاي مسعود التلمساني وشقيقه الشيخ محمد بن يحيى، هؤلاء وغيرهم تؤكد تراجمهم على مستواهم العلمي والمعرفي المرموق، وهكذا فأسرته ذات مركز اجتماعي وخلقي وعلمي متميز.

ملامح من شخصية الشيخ أحمد الخليفة

لقد أدى تعلمه وسفره المبكر إلى المشرق، حيث سافر لآداء فريضة الحج وهو في سن التاسعة عشرة، إلى تكوينه تكوينا متعدد المشارب، وأكسبه حنكة وخبرة بالناس[1].

سنلقي الضوء على شخصية الشيخ أحمد ابن ناصر من خلال كتاب: الدرة الجليلة في مناقب الخليفة " للخليفتي حيث تمثل مضامينه سيرة ذاتية للشيخ أحمد الخليفة.

فهو: "الشيخ أحمد بن الشيخ محمد ابن ناصر، المغربي المالكي الشاذلي[2] الأشعري الصوفي. وكان يخضب لحيته بالحناء اتباعا للسنة المحمدية"[3].

(1) ينظر، الباحث أحمد عمالك،" الزاوية الناصرية ودورها الاجتماعي والسياسي "، ص 100.
(2) نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي المعروف بصاحب الطريقة ومتزعم الطائفة، إدريسي الأصل، ولد عام 593هـ/1197م. تتلمذ على الشيخ ابن مشيش وانتقل جوالا يعظ ويرشد بالمغرب والمشرق. أدركته الوفاة بمصر عام 656هـ /1259م بعد أن خلف مدرسة صوفية كبرى بالمغرب والمشرق بفضل تكاثر تلامذته وأتباعه. ينظر أبو سالم عمار: أبو الحسن الشاذلي، جزءان طبع بمصر عام 1952.
(3) الدرة الجليلة،ص 19.

فقد كان إمام وقته علما وعملا، قوالا بالحق، شديد الشكيمة على أهل البدع، لا تأخذه في الله لومة لائم، حريصا على إحياء السنن، وإماتة البدع[1]، فقد كان مثل أبيه، يترك الدعاء الجماعي عقب الصلوات أو نحوها باعتبار أنه لم يرد فيها نص صريح عن النبي. وكان يقتصر على آذان واحد يوم الجمعة، ولم يكن يدعو في خطبته لسلطان أو لغيره، واعتبر صراحة أن الدعاء للملوك على المنابر بدعة[2]. وقد كان

كثير القيام والصيام والذكر والتلاوة . وكان أحسن سخاء للمساكين والمحتاجين والفقراء والأيتام مما أهله لكسب نفوذ هام مغربا ومشرقا. ومما ذكره أبو علي الشرحبيلي عن عبادته أنه: يقوم الليل ويصوم النهار حيث كان يصوم رجب كاملا وشعبان ورمضان المفروض، والمحرم كاملا وستة أيام من شوال يبدأ بثاني عيد الفطر، وتسعة أيام من ذي الحجة، والباقي يصوم يوما ويفطر يوما إلا الأربعاء والخميس يصومهما متتابعين، هذا دأبه في الصوم، في الحضر والسفر. ويكثر من النوافل ويصلى الضحى ثمان ركعات، ويستغفر الله دبر كل صلاة مائة مرة، ومائة من الصلاة على النبي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم . ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ألف مرة بين المغرب والعشاء. ويصلي ويقرأ سورة تبارك الملك، والسجدة بعد العشاء، ويقرأ خمسة أحزاب كل يوم في المصحف، وثلث دلائل الخيرات للجزولي إلا الجمعة يقرأه كاملا.

---

(1) ينظر م.ن، ص 15.

(2) وذكر صاحب الدرة الجليلة عن بعض تداعيات عدم دعوة الشيخ أحمد الخليفة للسلطان في خطبة الجمعة:" ومنها ما أخبرنا به وزير السلطان إسماعيل رحمه الله، الباشا غازي، قال: لم بلغني أن الشيخ سيدي أحمد ابن ناصر لا يذكر السلطان في خطبته استعظمت ذلك في نفسي، وعزمت على قتله إن ظفرت به، فلما وجهني السلطان لناحية توات مررت على وادي درعة، وأدركت الجمعة بزاوية تمكروت، ودخلت المسجد، وجلست بإزاء المنبر، وانتظرت خروج الشيخ للخطبة، فلما خرج رضي الله عنه، صعد المنبر، وأذن المؤذن، وقام الشيخ للخطبة، فلما فرغ من الأولى جلس وقام للثانية،فقلت في نفسي إن ترك ذكر السلطان فيها أقتله لا محالة، ومعي سيف صارم . فلما اشتغل بالخطبة الثانية ذهب عقلي من غير نوم ولا إغماء، ولم أشعر به حتى فرغ من خطبته، فعلمت أن ذلك من بركة الشيخ، ونجاني الله تبارك وتعالى من هلاك الدنيا والآخرة، وتبت إلى الله تعالى، وذهب عني ما أجد من بغضه، وما فارقته ذلك اليوم حتى لقنني الورد "، ص- ص 24-25.

إجازاته

والإجـازة: شـهادة الاسـتماع، والإجـازة تكـون مؤرخـة ويحتفظ بها المستمع أو المستجيز ليستطيع أن يسـلم للراغـب نظيرتهـا في روايـة كتـاب معـين عنـدما يصـبح مقصودا بالأخذ والتلقي . وشهادات السماع أو الإجازات قد تبقى على حالها، وقد ينظمهـا صـاحبها تنظيمـا حسـب تواريخهـا والبلـدان الـتي رحـل إليهـا أو حسـب أسمـاء المشـايخ. وهـذا التنظـيم يأخـذ شـكل تـأليف يسـمى فهرسـة أو معجمـا أو ثبتـا أو مشيخة[1].

وترتبط بالعامل الثقافي، حيث تعد بمثابة الشهادات العليا المسلمة -اليوم- من قبل المعاهد المتخصصة. وتضم الرحلة الناصرية مجموعة من إجازات الشيخ الناصري من لدن شيوخ من مستوى ثقافي عال سواء على مستوى العلوم الشرعية أم العلوم الأدبية . وتتميز الإجازات بأسلوبها البديع المبني على العبارات المختارة، مع تواضع الشيخ المجيز والثناء على المجاز، فهي وثيقة تعترف بكفاية المجاز، وتمنحه الثقة بالنفس للوصول إلى مرحلة التحصيل والإقراء، كما أشار القاضي عياض[2]. إلى أنها أسهمت في تحقيق الأهداف الآتية:

- المحافظة على الأمانة العلمية.
- بث العلم ونشر المعرفة.
- المحافظة على الإسناد وبخاصة إذا تعلق الأمر بالحديث الشريف .
- تبادل الروايات بين علماء المسلمين.
- الاعتراف بتحصيل العلم.

(1) ينظر: عبد الرحمان العراقي: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، فاس، المطبعة الجديدة . 1354 /1935، ج: 2،ص:94 وما بعدها .

(2) ينظر الإلماع في معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، ص 68-95.

ويقول عنها الشيخ الخليفة: "إن الإجازة كما قيل عند العلماء الأئمة، مشرع مورود، ومقصد محمود، ومأثرة قديمة، ومنقبة عظيمة، يتجارى إليها المتسابقون، ويتبارى عليها المتناضلون"[1].

وقد تعددت نماذج كتابة الإجازة حتى أضحت فرعا من فروع الأدب وهو أدب الإجازات.

ومما تتميز به الرحلة الناصرية في هذا الإطار، أن الشيخ الخليفة ذكر مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة، رغبة أن يعمل بها من وقف عليها أو ببعضها، وقال:

" فقد أجزت بها من أراد العمل بها من المؤمنين رجاء الثواب وحسن المآب"[2]. ويتميز هذا النوع من الإجازة بكونه مطلقا حيث يشمل المسلمين كافة، وبذلك فتح الباب على مصراعيه في منح الإجازة.

وتحتوي الرحلة الناصرية على مجموعة من الإجازات، نذكر من بينها:

- إجازة شيخه محمد البقري رئيس علم القراءات بمصر،
- إجازة الشيخ أبي عبد الله البصري، الذي أجازه بمكة،
- إجازة الشيخ الملا إبراهيم الكوراني، الذي وصفه بأنه حامل لواء الشريعة والحقيقة. وذكر أنه تبادل معه الإجازة،
- إجازة الشيخ إسماعيل بالمدينة المنورة.

رحلاته الداخلية

لم تركز مصادر ترجمة الشيخ أحمد الخليفة على الرحلات التي قام بها داخل المغرب،

(1) مخطوط "فهرسة الشيخ الخليفة سيدي أحمد ابن ناصر "، ورقة 5 .
(2) ينظر الرحلة الناصرية،ص 504.

ويمكن اغتراف بعض الإشارات الدالة على هذا الموضوع من خلال زيارته لبعض المناطق:

سجلماسة:

ذكر محمد المكي الناصري أن الشيخ أحمد الخليفة " قدم سنة ثمانية عشر ومائة وألف، فلما بلغ سجلماسة جاءته الرسل من السلطان مولانا إسماعيل بالرجوع عن الحج تلك السنة، وقدم الشيخ عليه إلى مكناسة الزيتونة، والتقى معه وتصافحا وتسالما "[1].

مكناسة الزيتونة:

قال صاحب الإعلام: "وفي أواسط شوال عام 1107، قدم المترجم على السلطان مولاي إسماعيل بداره من مكناسة الزيتونة"[2].

فاس ونواحيها:

ويضيف صاحب الإعلام: "وزار المترجم مولانا إدريس الأكبر ومولانا إدريس الأزهر ومولانا عبد السلام بن مشيش، وغيرهم من أولياء المغرب"[3]. وصيغة "زيارته لبعض أولياء المغرب" تحتمل أنه زار عدة مناطق بالمغرب، خصوصا أن عدة أمكنة في مختلف المناطق تضم رفات رجل أو امرأة: "ولي- صالح- متصوف- مجذوب- مجاهد- مرابط- عالم. إلى حد دفع أحد الباحثين إلى القول "إن مجموع المجال المغربي كانت تغطيه شبكة مكثفة من الأماكن المقدسة"[4].

كما أشار صاحب الإعلام أن الشيخ أحمد الخليفة: "ذهب إلى دار الشيخ أبي علي اليوسي رحمه الله بقصد التعزية فيه بعد وفاته"[5].

---

(1) الروض الزاهر، ص- ص: 21- 22 .
(2) العباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج:2، ص:358.
(3) م.ن
(4) محمد جنبوبي، الأولياء في المغرب، ص: 6.
(5) الإعلام، ج:2، ص: 358.

وقد توفي الشيخ اليوسي سنة 1102هـ، بموضع سكناه بتمزازيت، التي تبعد عن مدينة صفرو بحوالي اثنين وعشرين كلم[1].

مراكش:

وأشار صاحب الإعلام إلى دخول الشيخ أحمد الخليفة إلى مراكش بقوله: "حدثنا أقاربه الناصريون وغيرهم أن المترجم دخل مراكش مرات، وإليه ينسب الدرب الكائن بقاعة ابن ناهض منها"[2].

رحلاته الحجازية

ويشير صاحب الدرة الجليلة إلى أن الشيخ أحمد بن ناصر حج أربع حجات[3]:

- الأولى صحبة والده، سنة ست وسبعين وألف (1076هـ) وعمره تسع عشرة (19) سنة.
- الثانية سنة ست وتسعين وألف(1096هـ) وعمره تسع وثلاثون (39) سنة.
- الثالثة سنة تسع ومائة وألف (1109هـ) وعمره اثنتان وخمسون (52) سنة.
- الرابعة سنة إحدى وعشرين ومائة وألف (1121هـ) وعمره أربع وستون (64) سنة.

ويضيف كذلك بأن الشيخ الخليفة: ألف في حجته الثانية "رحلة جليلة، صغيرة الجرم، غزيرة الفوائد، حسبما وقفت عليها بخط الإمام أبي العباس الجزولي رحمه الله"[4]، وكذلك وثق الحجة الثالثة بـ "رحلة عجيبة أكبر من الأولى، وقفت عليها"[5].

---

(1) ينظر: فهرسة اليوسي، تقديم وتحقيق: حميد حماني اليوسي، البيضاء: مطبعة دار القرآن، ط:1، عام 2004، ص: 30.

(2) الإعلام، ج:2، ص: 358 .

(3) ينظر الدرة الجليلة في مناقب الخليفة، ص 20.

(4) ويلاحظ أن عدد السنوات بين الحجة الأولى والثانية: 20 سنة، و13 سنة بين الحجة الثانية والثالثة، و12 سنة بين الثالثة والرابعة.

عليها"[1]. وألف في الحجة الرابعة "رحلة عجيبة تتكون من سفرين مربعين، حسبما وقفت علها بخط والدنا رحمه الله، جمع فيها بين الأولى والثانية"[2]. إلا أن ما هو معروف هو الرحلة الأخيرة، التي هي موضوع الكتاب، وضمنها يدرج الشيخ أحمد الخليفة بين الفينة والأخرى أحداثا وإشارات خاصة بالرحلات السابقة، باستثناء الرحلة الأولى التي تمت سنة 1076هـ[3].

توليه مشيخة الزاوية

لقد تحمل الشيخ أحمد الخليفة مسؤولية خلافة الزاوية وعمره سبع وعشرون سنة وخمسة أشهر، إلا أن مسألة المشيخة تم حسمها في حياة أبيه الشيخ محمد بن ناصر وبخاصة، بعد أن عجز عن ممارسة مهامه، وعينه خليفة له يقوم مقامه لممارسة شؤون الزاوية على الرغم من أنه ليس أكبر إخوته سنا . وقد برر هذا الاختيار بأنه إلهام من الله . فقد جمع أولاده ليذكرهم بوصيته قائلا:

" أوصي بخلافة أحمد من بعدي، وإياكم أن تحدثكم أنفسكم أني فضلت أحمد عليكم عن هوى، فإنكم كلكم أولادي، وإنما جاء هذا من عند الله . فإن أهل الله هم الذين أقاموه قبل أن أتزوج بأمه"[4].

وقد سئل الشيخ محمد بن ناصر عن سبب اختياره لأحمد، فقال لأمور ثلاثة: منها أن الشيخ أحمد بن إبراهيم لما قربت وفاته كان يقول لي: تزوج حفصة فإنك تلد معها رجلا صالحا . الأمر الثاني أني كنت في خلوتي وذلك يوم ولادته فسمعت هاتفا يقول: يا محمد بن ناصر اليوم يولد لك رجل صالح . والأمر الثالث أنني كنت أرسل الطعام مع أولادي إلى الضيوف فكانت نوبته أحسن[5].

---

(1) الدرة الجليلة في مناقب الخليفة، ص 20.

(2) م – ن .

(3) ويتحدث عن الحجة الثانية التي تمت عام 1096 هـ في الصفحات الآتية:10- 20- 25- 34- 38- 59- 96- 97- 108- 115- 145- 250- 347. ويقدم معلومات عن الرحلة الثالثة التي تمت عام 1109 هـ في الصفحات الآتية: 10- 14- 19- 20- 36- 37- 43- 46- 59- 61- 62- 63- 65- 118- 132- 168- 202.

(4) طلعة المشتري ج2، ص 21

(5) طلعة المشتري ج2، ص 21

وربما بهذا التعيين، يفكر الشيخ محمد بن ناصر في تجاوز احتمال أزمة المشيخة بعد وفاته، خصوصا أن هذه المشيخة قد طرحت بحدة قبل توليته وأدت إلى صراع مكشوف بين الأنصاريين والناصريين، انتهت بتوليته زمام المشيخة. وبتولي الشيخ أحمد ابن ناصر شؤون المشيخة خف احتجاج الأنصاريين، لأن أم شيخهم أنصارية، إلا أن إخوانه وخاصة الثلاثة الكبار لم يرضوا بذلك. وهكذا رحل محمد الكبير بعد وفاة أبيه إلى منطقة زيان وأسس زاوية تامسكروت وبقي بها حتى وافته المنية سنة 1126 هـ /1717م. كما رحل أيضا علي بن محمد ابن ناصر إلى سوس وأسس بأولوز زاوية البور التي مكث بها إلى أن توفي سنة 1109هـ /1698م. أما الأخ الثالث وهو محمد الملقب بالصغير فانتقل بدوره إلى زاوية البركة الواقعة شمالي تمكروت وقد خلص الباحث أحمد عمالك إلى استنتاج حول هذه المعارضة بقوله:

"وعلى الرغم مما قيل عن هذه المعارضة فإنها ظلت صامتة ومن ثم فإن تلك الخلافات بين الإخوة، لم تكن من القوة لتنزل من زاوية تامكروت، أو تزعزعها، خاصة وأن كلا من الإخوة الثلاثة قد وجد مجالا لممارسة نشاطه الصوفي، وتعويض ما قد يكون ضاع منه في تامكروت . بل إن تأسيس تلك الفروع كان من الأسباب التي دعمت انتشار إشعاع الزاوية الناصرية"[1].

الزاوية الناصرية في عهده

فقد تحمل مسؤولية خلافة الزاوية سالكا نهج أبيه "في الحرص على المثابرة على التعليم، واستقطاب العلماء، محافظا على سيرته في كل شؤونه"[2].

وشخصية الشيخ الخليفة أعطت للزاوية إضافة جديدة، إذ إنه لم يقتصر على الأمور الدينية، ولم يعتكف في زاويته تاركا الأمور الدنيوية، بل كان مشاركا يتاجر ويفلح الأرض بيديه ويشرف على الحرث والسقي، زيادة على تنظيم شؤون الزاوية والتحكم في تصريف مواردها . ويضيف الناصري " وقد شدت إليه المطايا من كل

(1) ينظر: " الزاوية الناصرية ودورها الاجتماعي والسياسي"، ص- ص 104-105.
(2) ينظر أحمد عمالك: ترجمة الناصري أحمد، معلمة المغرب، ج: 22، ص: 7380.

جهة، وتزاحمت على أبوابه الوفود ووقع له من القبول في الأرض ما يقصر عنه التعبير"[1].

كما عرفت الزاوية في عهده إشعاعا واتسع نفوذها، وانتشر صيتها . ففي الداخل تشيد المصادر بجهود الشيخ في سبيل تعزيز مكانة زاويته، شيد بتمكروت ثلاثة مساجد، منها مسجد الخلوة الذي قام بتجديده وبناء صومعته. وبنى بجانبه مدرسة بلغ عدد طلابها حوالي ألفا وأربعمائة كلهم يدرسون بالزاوية ومعظمهم من المجاورين المنقطعين، وخصهم بالسكنى، وبنى لهم وللوافدين على الزاوية حماما بجوار المسجد المذكور. فمهد السبل أمام طلبة العلم، بما وفر لهم من إمكانيات للإقامة بالزاوية، ولا سيما حين أسس خزانة للكتب . كما بنى مساجد أخرى بكل من زاوية الفتح وزاوية البركة، وزاوية أمزرو. مما قد يدل على توسع حركة التعمير والاستقرار، ومن ثم تزايد عدد

المصلين . ولم يغفل الشيخ متطلبات تلك المؤسسات العلمية من صيانة، وما قد يحتاج إليه السكان من مرافق ومبرات، سواء على الصعيد الاقتصادي أم الاجتماعي . فزودها بالدكاكين والحمامات والآبار، والميضات . وميز بين مرافق الرجال والنساء. وكلف من يسهر على تسخين الماء، حتى كان مريدو الطهارة والوضوء يجدون ماء سخنا في كل وقت وحين من ليل أو نهار .

وقد أدت كل هذه العوامل إلى تكاثر الزوايا التابعة لتامكروت في عهده في كل أنحاء المغرب. وشملت الطريقة الناصرية كل فئات المجتمع[2].

علاقاته مع المخزن

وتتجلى أهمية هذه الرحلة في كونها تُسهم في الكشف عن مجموعة من الأشياء من بينها:

---

(1) "طلعة المشتري "، ج:2 – ص 99.

(2) أحمد عمالك: "الزاوية الناصرية ودورها الاجتماعي والسياسي"، ص:106.

1 – علاقة زاوية تامكروت الناصرية بالدولة العلوية على عهد السلطان مولاي إسماعيل (1082 –1139 هـ/ 1672 –1727 م). وقد انتاب هذه العلاقة نوع من التوترعلىعهد الشيخ أحمد ابن ناصر، الأمر الذي جعل السلطان يمنع الشيخ من السفر إلى الحج ومغادرة المغرب في موسمين متواليين (موسم 1119 هـ و1120 هـ).

2 – التطور الكبير الذي عرفته الزاوية الناصرية في نهاية القرن الهجري الحادي عشر الموافق للقرن الميلادي السابع عشر [11هـ/ 17م] ومطلع القرن الهجري الثاني عشر الموافق للقرن الميلادي الثامن عشر [11هـ/17م]. وقد تزامن هذا التطور مع رئاسة الشيخ أحمد ابن ناصر لزاوية تامكروت، الذي كان يكاتب، كلما أراد السفر إلى الحج، مريدي الزاوية الناصرية بسوس ومراكش والصحراء وجهات أخرى من المغرب، حتى إذا اجتمعت الوفود بتامكروت غادرها الشيخ في موكب ضخم فكان الشيخ لا ينزل بمكان إلا ويستقبله أصحابه من الفقراء والمريدين بالهدايا والفرح الذي لا مزيد عليه، فكان يصرف الزائد عن حاجته من هذه الهدايا إلى العلماء الذين كانوا يرافقونه في سفره. وهذه الأبهة التي كان يظهر بها الشيخ بين أتباعه ومريده، ربما كانت من بين أهم العوامل التي جعلت السلطان مولاي إسماعيل يراقب عن كتب ما يجري بتامكروت، ويمنع شيخها من مغادرة المغرب خلال موسمين متواليين.

إن الزاوية الناصرية في عهد الشيخ أحمد الخليفة، لم تعرف تصادما ومضايقات شديدة من قبل السلطان المولى إسماعيل، الذي كان يسعى دائما إلى التقليص من نفوذ الزوايا، لكن دون القضاء عليها نهائيا، فتعامله مع الزاوية الناصرية كان تعاملا متميزا.

وفي هذا السياق يروي أحمد الناصري في الاستقصا عن مقابلة المولى إسماعيل للشيخ أحمد ابن ناصر: "فإن السلطان جاء إليه بنفسه وهو في روضة الشيخ أبي عثمان سعيد بن أبي بكر، وتلقاه بالقبول والتعظيم والتبجيل والتكريم. وصافحه بيده، وجلس معه داخل القبة ساعة ولما خرج السلطان

رحمه الله من عنده جعل ينادي بلسانه في أصحابه ويقول "زوروا سيدي أحمد ابن ناصر يا الناس" ويكررها من صميم قلبه[1]. فكيف يمكن تفسير سر هذا الاهتمام الخاص بالزاوية الناصرية ؟

لقد ذهب بعض الدارسين إلى اعتبار أن موافقة المولى إسماعيل على انتشار الطريقة الناصرية والحث على اتباعها، ما هو في نهاية المطاف إلا وسيلة ذكية لضبط نشاطها واستعمالها أيضا وسيلة لإتمام نشر الإسلام في القبائل البعيدة عن الحواضر[2].

في حين يرى آخرون، أن هناك تلاقيا بين الطريقة الناصرية والسلطان المولى إسماعيل في مسألة مناداتهما بضرورة تطبيق الشرع، حيث إنه لا يجب اعتبار رفض الشيخ أحمد ابن ناصر ذكر السلطان المولى إسماعيل على المنابر في خطبة الجمعة معارضة للسلطان أو إنكارا لمشروعيته، بل هو مجرد تناقض ظرفي؛ لأن الناصري كان يعتبر ذكر اسم السلطان على المنابر ليس من السنة[3]، ولو أن المولى إسماعيل شك في عدم ولاء الناصري أو معارضته له لفتك به ولقي ما عاناه الفقيه بن محمد عبد السلام ابن حمدون بسوس، ولعرفت الزاوية الناصرية مصير الزاوية الدلائية نفسه مع المولى الرشيد، فالمولى إسماعيل كان يواجه كل ما من شأنه أن يخلق القلاقل والفتن بمنتهى الصرامة والعنف، وضد كل من سولت له نفسه زعزعة الأمن والاستقرار. وخير مثال معبر تحدثت عنه مجموعة من المصادر التاريخية هو معاملته لابنه المولى محمد العالم، ذلك أن فلذة كبده لم يسلم من بطشه على الرغم من أنه كان من أعز أولاده على نفسه، فقد أمر بأن تقطع يده ورجله وتركه يموت من شدة الألم كما روى ذلك صاحب الاستقصا:

---

(1) الناصري أبي العباس أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الجزء السابع، ص . ص 112 – 113.

(2) CF / DRAGUE(Georges), Esquisse d'histoire religieuse du Maroc, Peyronnet : Pris,1951, p190.

(3) CF / ODINOT (P), Rôle politique des Confréries et des Zaouïas au Maroc,B.S.G.A : de la province d'Oran. LI, Mars, 1930.

"وصل المولى محمد العالم مقبوضا عليه إلى وادي بهت فبعث السلطان من قطع يده ورجله من خلاف بعقبة بهت، ولما وصل مكناسة خامس عشر المذكور هلك رحمه الله "[1] بل يقال إنه أمر بشطر جسده إلى شطرين طولا[2].

كما أن الزاوية الناصرية لم تبد أي طموحات في الميدان السياسي وأنها لم تكن تنافس الملوك العلويين، وبخاصة أن أصل آل الزاوية الناصرية وقع فيه نقاش حول الانتماء للبيت النبوي من عدمه، أي النسب الشريف الذي هو أساس الدولة العلوية التي قامت على مفهوم "الشرف ".

بالإضافة إلى ذلك، فإن السلطان المولى إسماعيل كان في حاجة إلى الزاوية الناصرية، لأن المجتمع المغربي على الأقل منذ فترة المرينيين، أصبح للزاوية فيه دور مهم في التأطير لدرجة أن بعض الباحثين تحدث عن " دور الزاوية"، التي أضحت بنية دائمة مسجلة في المنظومة الاجتماعية المغربية[3]. فشكلت الزاوية الناصرية نوعا من الانضباط الأدبي والأخلاقي للأفراد.

ويرجع ذلك إلى كون المرحلة التي سبقت حكم المولى إسماعيل، تميزت بالفوضى والفتن والفساد، وعرفت السلطة المركزية اضمحلالا جليا لم تستطع معه تأمين حتى الحد الأدنى من الأسس المادية لمكونات الدولة كالجيش والمؤونة وضمان السلم للرعية.

مؤلفاته

أجمل الباحث أحمد عمالك ذكر هذه المؤلفات، وسردها على النحو الآتي[4]:

1- الرحلة الناصرية وهي من أشهر مؤلفاته.

---

(1) الناصري أبي العباس أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الجزء السابع، ص:91.

(2) ينظر المشرفي محمد، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية، مخطوط المكتبة العامة تحت رقم د 1463.

(3) CF / PASCON (P), Le Haouz de Marrakech, ed Nord Africaines, Tanger, 1977, p-p:255-291.

(4) ينظر، أحمد عمالك: ترجمة الناصري أحمد، معلمة المغرب، ج: 22، ص: 7380.

2- فهرسة الشيخ الخليفة سيدي أحمد ابن ناصر، وقد كتبها في شكل إجازة، أجاز بها تلميذه الشيخ عبد الله الووكدميتي، نزيل مراكش.

3- الرحلة الشامية، وتتعلق برحلة أخيه محمد بن محمد ابن ناصر.

4- أجوبة فقهية بعنوان: تنبيه السائل ببعض ما هو عنه سائل.

5- كتاب في السيرة النبوية بعنوان: "تجديد المراسم البالية في السيرة الحسنة العالية".

6- رسالة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

7- كتيب في الطريقة.

8- إشفاء المريض في بساط القريض، وهو مجموعة أشعار.

9- ترجمة والدته السيدة حفصة.

10-مجموع رسائل.

11-فهرست.

وفاته

اختلفت بعض المراجع في سنة وفاة الشيخ، أهي 1128 هـ أم 1129 هـ ؟ ومَنْ كمحمد المكي الناصري (كان حيا سنة 1170 هـ/ 1757 م) وأحمد بن خالد الناصري، وجعفر بن أحمد الناصري: سليلي المؤلف يُلجأ إليهم عند التنازع.

وعند الرجوع إلى كتاب الأول " الروض الزاهر" نجده ينص على ما يأتي: "توفي رضي الله عنه، ليلة الجمعة، بين العشائين، تاسعة عشر من ربيع الثاني، عام تسعة وعشرين ومائة وألف، وعمره اثنان وسبعون سنة"[1].

ويقول الثاني في "طلعة المشتري"، وقد خص لهذا فصلا فقال: "فصل في وفاة الخليفة الشيخ سيدي أحمد ابن ناصر رضي الله عنه. قال صاحب الدرر وغيره: كانت وفاة الشيخ سيدي أحمد ابن ناصر رضي الله عنه، بين العشائين، من ليلة الجمعة، تاسع عشر من ربيع الثاني سنة تسع وعشرين ومائة وألف، ووافق ذلك اليوم الثاني والعشرين، من مارس العجمي"[2].

أما الثالث، فيؤكد في صدر مخطوط الخزانة العامة- الرحلة الناصرية - رقم: 1291 د، أن الشيخ " كانت وفاته في 18 ربيع النبوي الأنور، سنة 1129 هـ، ودفن رحمه الله بروضة الأشياخ بزاوية تامكروت مع والده " .

ويوثق هذا التاريخ ويجعله بعيدا عن المساءلة نظم الشريف الحوات لتاريخ وفاة الشيخ أحمد ابن ناصر[3] (الطويل):

أَيَا زَائِرًا، قِفْ دَاعِيًا مُتَوَسِّلاً ... إِلَى اللهِ بِالشَّيْخِ ابْنِ نَاصِرٍ أَحْمَدِ

تَنَلْ كُلَّ مَا تَرْجُو مِنَ اللهِ مِنْ ... وَفِي دَرْعَةَ أَلْمِمْ بِمَغْنَاهُ تَهْتَدِي

فَإِنْ تَسْأَلَنْ عَنْ عُمْرِهِ وَوَفَاتِهِ ... أَخَا الْعِلْمِ أَوْ تَسْأَلْهُ عَنْ عَامِ مَوْلِدِ

فَمَوْلِدُهُ نَشْزٌ[4] وَمُدَّةُ عُمْرِهِ ... يصِب[5] وَعَامُ الْمَوْتِ عَنِّي

(1) "الروض الزاهر في التعريف بالشيخ ابن حسين وأتباعه الأكابر" لمحمد مكي الناصري – تحقيق المهدي الغالي، رسالة د. د. ع، إشراف الأستاذين: محمد المنوني وأحمد عمالك، بكلية الآداب بالرباط، سنة: 1999.ص: 253.

(2) "طلعة المشتري"، ج: 2 – ص: 119.

(3) من الطويل، وردت القصيدة أيضا في: "البرق الماطر في شرح النسيم العاطر"، للمؤلف نفسه، في م.خ. ع. رقم 1864 د، ص: 210.

(4) بحساب الجمل "نشز" = 1057 (ن = 50 – ش = 1000 – ز = 7).

(5) بحساب الجمل: "يصب" = 72 (ي = 10 – ص = 60 – ب = 2).

فلا عبرة إذا بقول من قال[1] إن وفاته واقعة سنة 1128، لتأخر القائل وعدم ملابسته لأسرة الشيخ وطريقته. ولأن هناك من يثبت هذا التاريخ مثل كتاب " الترجمان المغرب عن دول المشرق والمغرب"[2].

---

(1) يقول صاحب الإعلام أن الشيخ توفي يوم 13 ربيع النبوي عام 1128هـ، ينظر الإعلام، ج: 2 – ص: 363.

(2) القسم الخاص بالدولة العلوية، نشرة هوداس، ص: 25.

التعريف بالرحلة

الرحلة ليست نصا تاريخيا فحسب، بل هي نص أدبي كذلك، يَسِمُها أسلوب أدبي رصين، وعبارة عذبة مسبوكة بحذق. وعلاوة على الفوائد التاريخية التي ألمحنا إليها آنفا، فهي مصدر لنصوص نثرية وشعرية، يمكن أن يكون بعضها الشاهد الوحيد عليها، لانطماس أثرها واندثار أصولها، ويكفي أن المتن الشعري يفوق 1400 بيت، فيها من النوادر الشيء الكثير، وقد تعد ديوانا للمغاربة في مختلف أغراض الشعر.

إن الرحلة إثراء لمعاجم البقاع والأمكنة، إذ فيها من أسماء البقاع والقرى المندثرة، ما لا نجده في كتب المعاجم الجغرافية، وبخاصة في المواطن التي لم يكن المؤلف فيها تبعا للبكري أو للعياشي.

دقة المؤلف في النقل وأمانته العلمية، وعلو قيمته من حيث منهجه في ذكر الموارد. فقد كان ابن ناصر من الرحالين الذين ذكروا أغلب المظان، بصفة جيدة، فحفظ لنا نقولا كثيرة عن مصادر عدة، منها ما هو مفقود أو لا يزال مخطوطا.

إن الرحلة من المؤلفات المغربية، في القرن الهجري الثاني عشر، التي كنا مَجْدودِين بأن كتب لها البقاء إلى الآن.

وقد أشار الباحث محمد الظريف أن: "أدب الزوايا يشغل حيزا كبيرا في الخريطة العامة للأدب المغربي، ومجالا واسعا من مجالاتها المتعددة. ويظهر ذلك فيما خلفه شيوخ الزوايا من أعمال أدبية وتركوه من ذخائر علمية"[1].

وأقر أن هذا الأدب لم يحظ بالاهتمام المناسب لقيمته، باستثناء بعض البحوث الجامعية المنجزة[2]. إن الرحلة نص تأسيسي، إذ هو كتاب العالم المتصوف شيخ الزاوية، التي أضحت في عهده مؤسسة اجتماعية تؤدي دورا في تطوير مجالها

(1) الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين، سلا: مطبعة بني إزناسن،ط:1، 2003،ص:11
(2) ينظر م. ن .

الجغرافي[1]، ومن غير المعقول أن يغفل المريدون عن تتبع فكر شيخهم، واختياراته، وآرائه وتوجيهاته فيها. وهكذا، جاز لنا

أن نقول إن هذه الرحلة فيها من الخطوط التوجيهية للزاوية ومريديها الشيء الكثير، وإن بشكل مستبطن ضمني، ومن ثم سنكون مسرورين بتقديمها إلى كل المهتمين بتراث الزوايا الصوفية بالمغرب بعامة، والناصرية بخاصة.

إن متن الرحلة، يَحْتَجِن أفكار الشيخ الإصلاحية، ومواقفه الصريحة في مختلف القضايا سياسية أو فقهية أو اجتماعية.

الرحلة في اهتمامات السابقين

- طُبعت على الحجر بفاس، سنة 1320هـ[2].

- قام " بريجه" بترجمة مختصرة للرحلة إلى اللغة الفرنسية[3].

- نشر علي فهمي خشيم بطرابلس، القسم الخاص بليبيا من الرحلة، تحت عنوان: "الحاجية"[4].

-اعتماد الرحالة الجزائري الحسين الورثيلاني، على الرحلة الناصرية، حتى صرح بذلك في قوله: "وإن اعتمادي في ذلك على رحلة شيخنا وقدوتنا، ومَن على الله ثم عليه اعتمادنا، سيدي أحمد بن مَحمد ابن ناصر الدرعي الجعفري"[5].

غير أن هذه الاهتمامات كانت جزئية لم توف الرحلة حقها، فبقيت الحاجة ماسة إلى العمل على نص الرحلة وتحقيقه، لإخراجه لعموم الباحثين.

---

(1) ينظر: Marcel Bodin- LA Zaouia de Tamegrout- in Archives Berberes- TomeIII-1918

(2) ينظر ما كتبناه حول هذه الطبعة في وصف النسخ – باب التحقيق، من ص: 237 إلى ص: 258.

(3) "الرحلات المغربية في القرنين 11 و12 للهجرة" لمحمد مكامان، د د ع، إشراف د: محمد حجي، كلية آداب الرباط، 1986، مرقونة– الصفحة: 168.

(4) يعرف تحقيق هذا الجزء الخاص بليبيا عدة ثغرات، ينظر التعليق المدرج في الفصل الخاص بوصف النسخ– باب التحقيق، ص: 237 إلى ص: 258.

(5) الرحلة الورثلانية، ص: 4.

الصعوبات

أ ـ تعذر الحصول على نسخ المخطوط:

ليس جديدا أن أعيد تكرار ما ألف الباحثون أن يشكوا منه، من تعذر حصولهم على نسخ المخطوطات، إلا بعد كد وجد وتدخلات وتوسلات في بعض الأحيان، ويزداد الطين بلة، إذا عُلم أن معاناتنا مع التصوير قد تكررت بعدد النسخ الإحدى عشرة، التي حصلنا عليها بعد أن استنفدنا جهدا جهيدا في ذلك.

ب ـ حجم الرحلة:

يمثل حجم الرحلة الكبير (541 صفحة)، تحديا أمام عملية التحقيق، إذ يفرض الأناة في المقابلة بين النسخ، وتتبع الروايات واختيار الأصلح منها، على ما في ذلك من العنت والشدة.

ج ـ كثرة الأعلام والمصطلحات الواردة في المتن:

وهذا يحيل على لزوم التثبت منها، إذ لا شيء يستدل به على صحة الاسم غير النقل، بالرجوع إلى كتب الطبقات والفهارس والتواريخ، ويشكل الأمر حين يكون العَلَمُ نكرة من المجاهيل الذين عفا التاريخ عن تراجمهم، فلم تُذكر بشيء، أو اختفت بعيدا عن الأنظار في بطون المخطوطات الخاصة. وكم عانينا من جراء تصويب اسم، أو اختيار رواية، حين لا تسعفنا المصادر فتعفينا من الخبط والعسف.

د ـ كون الرحلة مصدرا لفائت كثير من أسماء البقاع والأمكنة، لا وجود له في المعاجم الجغرافية:

وهي مثل الأعلام، لا دلالة عقلية أو لغوية عليها، ولا زمام يقودها إلاّ الضبط والنقل، وبخاصة حين يكثر دور أسماء أمازيغية أو غير عربية، وتتردد النسخ في رسمها، إلى حد يعسر معه تبين الرواية الغالبة حيث يقول صاحب الرحلة في هذا الإطار:

" وتسمية هذا الموضع ـ علوة الخيشومة ـ بهذه التسمية قول أبداوة، وقال بعضهم من أقارب الأول إنه هو الزهيري، وكذلك غير هذا من الأمكنة والمراحل إنما

اعتمدنا في أساميها عليهم، وعهدة ذلك عليهم لكونهم أهل البلد، سوى الأمكنة المشهورة "[1].

هـ - قلة النصوص النظيرة المساعدة:

فباستثناء رحلة العياشي - ماء الموائد - ورحلة التجاني، اللتين كانتا تسعفاننا بحل كثير من إشكالات النص، فإننا عانينا من قلة النصوص التي تساعدنا على تذليل عقبات متن الرحلة.

قضايا في تحقيق المخطوط

عنوان الكتاب

يندرج هذا النص ضمن إطار كلي هو إطار الرحلة، إلا أنه يختص بلون خاص من الرحلات، هو نمط الحجازيات، أي تلك الرحلات التي تغيا أصحابها وصف مراحل سفرهم إلى الديار المقدسة بطيبة ومكة، ولعل عنوان الرحلة الناصرية، قاصر عن إيصال هذا المعنى بادي الرأي دون تصفح النص، فيما أن عنوانا ذكره العلامة المنوني يتجاوز هذا الأمر، ويجعل مجرد العنوان دالا دلالة كاملة على جنس النص، وهذا العنوان هو: "الرحلة الناصرية إلى الديار النورانية"[2]، بيد أن اختيار هذا العنوان -وإن كان أوفى دلالة وأكثر إيحاء- ينافي الدقة العلمية، من حيث:

- أنه مما خلت منه جميع النسخ المخطوطة المعتمدة.
- أن المؤلف لم يأت على ذكره عنوانا للنص.

- أن النسخة التي عزا الأستاذ المنوني لها هذا العنوان، خالية من هذه الزيادة إنْ على ظهر المجلدة، أوفي صفحة العنوان، أو في نهاية الجزء الأول، أو بداية الثاني، أو خاتمة النسخة، أو في تلافيف أوراق المخطوط الذي حرصنا على تصويره - بعد أن تمت معاينته - للتحقق التام من هذا الأمر.

---

(1) "الرحلة الناصرية": ص:576.
(2) دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية: رقم المخطوط: 1952.

مع ما يطرح كل ذلك من التساؤل الحاد، حول تمام أوراق النسخة أو طروء تغير عليها أذهب معه الورقة التي تثبت هذا العنوان، بعد اطلاع الأستاذ المنوني عليها، وبخاصة ونحن واثقون من مبلغ دقته وحرصه على النقل الأمين للمعطيات الموضوعية الخاصة بالمخطوطات؛ وذلك ما جعلنا نتأنى غير يسير علّنا نعثر على مظنة لهذه الزيادة. فلم يبق بعد ذلك إلا استصحاب الأصل، والاقتصار على تسمية النص بالرحلة الناصرية، دون زيادة قد تفتقر إلى توثيق علمي، وبخاصةأن النسخ المخطوطة وأصحاب التراجم كلهم أطبقوا على أن يسموا الكتاب بـ"الرحلة الناصرية" ليس غير، آخذين في هذا الأمر بأخذ واحد.

درج المحققون على إيفاء هذا العنصر بعضا من عنايتهم، بخاصة عندما تكون النسبة موضع شك، أو يتنازعُ الكتابَ طائفةٌ من المؤلفين، أو تأتي النسخة يتيمةً غُفْلا عن التصريح بالمؤلف، أو يطبع الكتاب على نسخة وحيدة من نسخه تنْحُل الكتاب لغير مؤلفه، ثم يكتشف الباحثون في عموم النسخ خطأ تلك النسبة، فيكون كل ما ذكرنا مبررا للتوكيد على هذا العنصر والتركيز عليه؛ والأمر بخلاف ذلك كله هنا، لأنه ما من شك في صحة نسبة هذا الكتاب إلى الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي، لاعتبارات نجملها فيما يأتي:

- الإجماع غير المنخرم، في كل النسخ المخطوطة، على نسبة الكتاب إلى صاحبنا، من حيث إن كلها مبتدأ بالعبارة الآتية: "قال الشيخ الإمام العالم العامل أبو العباس سيدي ومولاي أحمد بن القطب الكامل سيدي محمد ابن ناصر المشهور بالمغرب رحمه الله". ناهيك أن الرحلة قد طبعت بفاس سنة 1320هـ، باعتناء ناشرها الطيب الناصري، دون أن ينازع أحد في أصالتها، مع كون الناشر يتفق مع المؤلف في المحْتَدِ والنسب[1].

- المعلومات الموفورة في الرحلة، عن شخص أبي العباس بن ناصر وأسرته وأصهاره وشيوخه وتلاميذه وعوائده وأسفاره ومواقفه السياسية والعلمية واختياراته الشعرية والأدبية، ومسموعاته من العلم والأدب، مما يطابق المعلومات التاريخية ويعضدها، ويجعلنا أمام نص لا لبس في عزوه إلى المذكور آنفا.

(1) ينظر العلامة محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، الدار البيضاء شركة النشر والتوزيع المدارس، ط: 1، ص: 287.

وصف النسخ الخطية

ليس يعزُب عن ذهن الباحثين كثرة نسخ الرحلة، باعتبار قيمتها، وإشعاع مؤلفها، وقرب العهد – نسبيا – بتأليفها، وبقدر ما كان هذا المعطى نعمة سابغة على الكتاب، بقدر ما كان نقمة علينا، إذ دفعنا إلى البحث الجاد في غير ما خزانة وتصفح غير ما فهرس، وصولا إلى تصوير إحدى عشرة نسخة، ويعلم الله ما أنفقنا فيه من جهد وما لقينا فيها من عنت. وقد اعتمدنا هذه النسخ على الشكل الآتي:

أولا: النسخة الأصل (الأم). ثانيا: النسخ المساعدة. ثالثا: النسخ الثانوية.

أولا: النسخة الأصل (الأم)

نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم 1093 د: ورمزنا إليها بـ (ع):

نسخة تامة وُثقى ضمن مجموع [135-259]، نسخها مسعود بن عبد الكريم الحاجي، عام 1138هـ، وهي بهذا الاعتبار أقدم ما وقفنا عليه من نسخ الرحلة وأقربها إلى تاريخ وفاة المؤلف، خطها مغربي مسند رصين تغلب عليه الصحة، مع التزام نظام التعقيبة، رؤوس فصولها وأسماء البقاع بخط متورم ملون، تتخلل طررها تصحيحات المقابلة، مع كثرة من العناوين الفرعية التي عمد إلى وضعها بعض قرأة الكتاب. في كل صفحة 32 سطرا، بمعدل 16 كلمة تقريبا في كل سطر، مقياسها: 29,5 /5 ، 18 سم، وهي سالمة في الجملة، عدا الصفحتين الأخيرتين، ففيهما بتر طولي أتى على الطرة اليمنى ورؤوس السطور من الصفحة 258، والطرة اليسرى وأواخر سطور الصفحة 259.

بدايتها-بعد البسملة والتصلية-: "قال الشيخ الإمام العالم العامل أبو العباس سيدي ومولاي أحمد بن القطب الكامل، سيدي محمد ابن ناصر المشهور بالمغرب رحمه الله"[1].

نهايتها: "انتهت الرحلة المباركة والحمد لله رب العالمين [...][2] وغفرانه مسعود بن عبد الكريم الحاجي، وفقه الله، وكان الفراغ منها عند.[...] عام ثمانية وثلاثين ومائة وألف، وصلى الله على سيدنا محمد [...]".

ويحتوي المجموع غير الرحلة على ما يأتي:

- التعريف بمؤلف دلائل الخيرات الجزولي، لمحمد المهدي الفاسي: [1-38].
- مختصر البيان في نسب آل عدنان، لمحمد بن أحمد، ابن جزي الكلبي الغرناطي: [39-55].
- عقد اللآلي المستضيئات ... لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: [56-63].
- سنن المهتدين في مقامات الدين، لمحمد بن يوسف العبدري الشهير بالمواق: [67-120].
- كتاب في الفقه: [121-134].

ثانيا: النسخ المساعدة

1 ـ نسخة الخزانة الحسنية، رقم 7648: ورمزنا إليها بـ (ح 1).

نسخة تامة في 153 ورقة، كتبت بخط مغربي مسند بسيط، بها تعقيبة منتصف أسفل الصفحة خلاف المتعارف عليه، مقياسها 31×20 سم، مسطرتها مختلفة، وبها

(1) لوحة 135.
(2) هذا الموضع وما يليه ذاهب من جراء البتر.

بعض الخروم. كتبها الحسن بن عبد الله بن أحمد الأصاصي (أصلا)، زكموزني[1] بالمكان، برسم الحاج أحمد بن الحسن بن الطالب الحسن، سنة 1158هـ. ووهم مفهرسو الخزانة الحسنية، حين عرضوا لهذه النسخة، فقد سمّوا ناسخها، وتاريخ نسخها ثم قالوا عقب ذلك[2]: وهي عارية عن اسم الناسخ وتاريخ النسخ!.

2 ـ نسخة الخزانة الحسنية، رقم 12960: ورمزنا إليها بـ (ح 2).

نسخة تامة ضمن مجموع، عارية عن اسم الناسخ وتاريخ النسخ، كتبت بخط مغربي مسند بسيط مشكول في الغالب تتخلله ألوان، مقياسها: 28× 18 سم مسطرتها 26، بكل سطر 11 كلمة تقريبا.

وهي في جزئين، الأول في 95 ورقة من 1 إلى 95، ينتهي بالحديث عن آثار مكة ومشاهدها، والثاني في 98 ورقة، من 103 إلى 197، يبتدئ بذكر من لقيهم المؤلف في الحرم المكي.

والنسخة غير مرقمة إلا أن بها تعقيبة، يتخللها بياض قرابة صفحة، عند الصفحتين 164 ب إلى 165 أ. وتقع بين الجزء الأول والثاني ست لوحات، هذا سياق ما فيها على الترتيب:

-(97 ب-98 أ): "منظومة سلسلة الأنوار لأشياخنا الأبرار والسادات الأخيار، لمحمد بن الحسن بن مسعود اليوسي "، بدايتها:

أَحْمَدُ مَنْ بِفَضْلِهِ قَدْ خَصَّ ... بَعْضَ عِبَادِهِ بِمَا لاَ يُحْصَى

نهايتها:

وَآلِهِ ذَوِي الْعُلاَ وَالْجُودِ ... وَصَحْبِهِ ذَوِي التَّقْوَى وَالزُّهْدِ

-(98 أ-98 ب): قصيدة مما يجتمع على سماعه فقراء المتصوفة إلى عهد قريب في قرى المغرب، بدايتها:

---

(1) زكموزن: مكانان: أحدهما في سوس وهو المقصود، والثاني: أيت عتاب.
(2) "فهارس الخزانة الحسنية" (565/1-566).

يَقُـــولُ اللهُ، جَـــلَّ اللهُ رَبِّـــي أَنَــا الْمَوْجُــودُ فَــاطْلُبْنِي تَجِــدْنِي

نهايتها:

وَصَــلِّ عَلَــى وَسِــيلَةِ كُــلِّ خَلْــقٍ أَيَــا مَــنْ قَــالَ فَــاطْلُبْنِي تَجِــدْنِي!

-(98 ب-99 ب): قصيدة نونية مما رُثِيَ به أبو العباس الشيخ أحمد بن محمد ابن ناصر الدرعي، بدايتها:

عَــبَسُ الزَّمَـــانِ أَرَاهُ كَالْغَضْـــبَانِ وَأَرى الْـــبِلاَدَ كَثِيَـــرةَ الرجْفَـــانِ

نهايتها:

صَــلَّى عَلَيْــهِ اللهُ مَــا ابْتَسَــمَتْ لَــهُ وَالْآلُ وَالْأَصْــحَابُ ثَغْــرُ جِنــان

-(99ب): تحت القصيدة السابقة مباشرة بخط طولي غير منظم، نظم مكسور لإبراهيم التكوشتي، بدايته: ''من كان يمدح غيره'' وينتهي بقوله '' لا تسمعوا فيهم مقالة شاني''.

-(100 أ): تقييد فيه أحاديث مختلفة.

-(100 ب): سند في التصوف لمحمد بن محمد ابن ناصر الدرعي ينتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

-(101 أ): قصيدة تائية في نظم سلسلة أشياخٍ غيرِ معين، يظهر أنه من تلاميذ اليوسي.

-(101 ب): براءة وجدت مع القصيدة السابقة.

-(102 أ): رسالة جوابية يظهر أنها للشيخ ابن ناصر، كتبها حسين بن محمد الشرحبيلي عن إذن الشيخ.

-(102 ب): قصيدة لبعض الأدباء في مدح الشيخ أحمد بن محمد ابن ناصر.

ونجد بذيل الجزء الثاني ما يأتي:

- رجز ينظم السلسلة الناصرية، لأبي بكر بن محمد بن إبراهيم بن محمد المسْكالي السوسي التركنتي، من 197 ب إلى 203 أ.

-تقييد في رؤيا رآها الفقيه عبد الله العتيقي!. من 203 ب إلى 204أ.

- مكتوب لبعض القبائل من عبد الله بن محمد ابن ناصر: 204 ب.

-الصلاة المشيشية: 205 أ.

-تقييد منقول عن الجواهر الحسان للثعالبي: 205 ب.

بداية النسخة: -بعد البسملة والتصلية-: "قال الشيخ الإمام العالم العامل أبو العباس سيدي ومولاي أحمد بن القطب الكامل، سيدي محمد ابن ناصر رضي الله عنه ونفعنا به "[1].

نهايتها: "انتهت الرحلة الناصرية بحمد الله وحسن عونه، لله الحمد وله المنة على تحصيلها لنا"[2].

3 ـ نسخة المطبعة الفاسية: ورمزنا إليها بـ (ف).

نسخة تامة مجدولة، كتبت بخط مغربي فاسي مجوهر جميل، في جزئين: الأول في 248 صفحة، ينتهي بقصيدة لأبي علي اليوسي في وداع وفد الحجيج، آخرها:

وأصحابه والآل ما ذَرَّ شارق فأجلى الدياجي ضوؤه المتفجرُ

والثاني في 200 صفحة، يبتدئ بذكر الخروج من مكة المشرفة إلى المدينة المنورة، وينتهي بتمام الرحلة. مسطرتها 26، بمعدل 11 كلمة في كل سطر، بطررها بعض الإشارات إلى روايات نسخ أخرى أو التنبيه على فوائد بصلب المتن أو بعض التوقيفات، وهي منتسخة للمطبعة الفاسية، برسم الفقيه الطيب الناصري، في عهد السلطان المولى عبد العزيز، تم انتساخها يوم الثالث والعشرين من ربيع الثاني، عام 1320هـ.

بدايتها: -بعد البسملة والتصلية-" الحمد لله الذي جعل الرحلة لبيته الحرام من أعظم القربات، وجعل التردد لتلك المشاعر العظام زيادة في الدرجات...".

---

(1) لوحة 1.

(2) لوحة 97.

نهايتها قول الناسخ: "وهنا انتهت هذه الرحلة المنسوبة للشيخ الإمام العارف بربه تعالى، المستغرق في حضرة مولاه على الدوام، مربي السالكين ورئيس الأولياء العارفين، سيدي أحمد بن سيدي مَحمد ابن ناصر الدرعي، أفاض الله علينا من معارفه وعلومه......".

عمد الناسخ إلى تصدير هذه النسخة بترجمة للمؤلف، منقولة عن صفوة من انتشر، للإفراني، وختمها بمناسك أبي عبد الله مَحمد ابن ناصر. وما يميز هذه النسخة عن غيرها أنها في جزئيها معا مذيَّلة بفهرس للمواضيع.

ودرأنا إلى أن نسلك هذه النسخة في سلك المخطوطات، على الرغم من بُعْد العهد بها وندرتها، وقلة دورانها بين أيدي الناس، مع أنها لا تخرج عن المخطوط في شيء، فخطها خط يدوي، ومعضلات قراءته نفسها التي يعانيها قَرَأَة المخطوطات، ناهيك عن أن بها أسقاطا وبعض تصرف للناسخ فيما أشكل عليه من عبارة المؤلف، مما يجعلها بعيدةً عن نفَس الدقة العلمية في النسخ، ولولا هذه الهنة لاتخذناها أصلا لجمال الخط، وإن تأخر زمن نسخها.

4 ـ نسخة خزانة تامكَروت، رقم 1032: ورمزنا إليها بـ (ت).

نسخة تامة بخط مغربي مبسوط حسن، كتبت عناوينها بغير السواد، في 332 صفحة، مسطرتها 31، بمعدل 11 كلمة في كل سطر، بها تعقيبة، نسخها برسم المرابط الخير البركة السيد الحسن بن عبد الرحمن الحاجي، الهاشمي بن محمد شكلنط الأندلسي، سنة 1159هـ، وأثبت تاريخ النسخ هذا بالقلم الفاسي.

إلا أن هذه النسخة تشكو من خلل في ترتيب أوراقها، وقد رُقِّمَت تَبَعا لذلك، فأشكلت على القارئ، فمن ذلك أن الصفحة 67، يلزمها أن تكون في الترتيب 331، والصفحة 331، يلزمها أن تكون بعد الصفحة 64، وقد تلافينا هذا الخلل وأعدنا النسخة إلى الترتيب الصحيح.

ثالثا: النسخ الثانوية

وقفنا على نسخ أخرى من الرحلة، غير أنه لم يتم اعتمادها، لقصورها عن المختارة في القيمة العلمية، وهذا مسرد بأوصاف كل منها:

1 ـ نسخة الخزانة الحسنية، تحت رقم 2473:

في 228 ورقة، مقياسها 19.5/28.5سم، إلا أننا عزفنا عن سلكها ضمن معتمدنا من النسخ، لكثرة خرومها وخلوها من تاريخ النسخ، ولِمَا بدا بالمقابلة والتصفح أنها لا تنفرد بصواب أكثر، ولا هي قرئت على المؤلف أو انتسخت من أصله أو صححها أحد المعتمَدين من العلماء، فلم نرَ عائدة ولا فائدة من إثقال الحواشي بفروقها، فوجب التنبيه.

2 ـ قطعة من الرحلة بالخزانة العامة بالرباط رقم 2651 د:

فَصْلَة من مخطوط، في 43 ورقة، [146 – 189]، بخط مغربي مسند بسيط، تبتدئ بقوله: "ورجع قائلا إن ردني الله تعالى للبلد، أجد لعبيدي النكاح على الصداق، ثم لما افترق معي واجتمع مع بني أبيه، وكان لديهم طالب له بعض ممارسة بجزئيات العلم..." وتنتهي بقوله: "أدركت بعض ذلك، وشاهدناه؟ مموهة بالذهب، وفي وسطها- حسبما حدثني من له بها علم – مصحف صغير، وغاية الأمر أنهم جعلوا ذلك إمارة بهيجة للحج، فكسى القبة المذكورة وتبعها موكب وأبهة ".

عند هذا القدر تنتهي القطعة المذكورة، ولربما اجتزئت عن نسخة تامة، لاقتصارها على مرحلة طرابلس فحسب.

3 ـ نسخة الخزانة الحسنية رقم 1787:

نسخة تامة تتخللها ألوان، في 173 ورقة، بخط مغربي قريب من المبسوط، بها تعقيبة، مسطرتها مختلفة، مقياسها 28 / 20,5 سم. نسخها محمد بن سليمان،

وعفي على نسبته أو تاريخ النسخ بالكشط ثم التلوين. الورق أوروبي بخلفيته نجمة تساعية، مما يمهر به تجار الورق بضاعتهم عند التصنيع كعلامة تجارية.

إلا أن بهذه النسخة أخطاء كثيرة وأوهاما وبعض إسقاط، وما سواها من النسخ المعتمدة أصح وأقوم.

ومن الإفادات الموضوعية التي صدرت بهذه النسخة ما نظمه محمد بن موسى بن مَحمد ابن ناصر بتاريخ 1184 هـ(كتب التاريخ بالقلم الفاسي) في مدح الرحلة:

رحلةُ الشيخ إلى البيْتِ الحرَامِ	وَمُقامُ المصْطفَى بَدْر التَّمامْ
بَيَّنَتْ كُلَّ مَكَانٍ بِاسْمِهِ	وَعَلَتْ قَدْرًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامْ
عَيَّنَتْ كُلَّ وَلِيٍّ عَالِمٍ	وَبدَتْ شَمْسًا عَلَى طُولِ الدَّوَامْ
صَاغَهَا حَبْرٌ وَلِيٌّ مَاجِدٌ	رَفَعَ اللهُ لَهُ دَهْرًا مُقَامْ
أَحْمَدُ الْمَشْهُورُ حَقًّا بِتَقِيٍّ	وَاتِّبَاع الْمُجْتَبَى خَيْرِ الأَنَامْ
بِهِ لاَحَتْ لَنَا شَمْسُ الهُدَى	وَبِهِ طَابَتْ لَنَا هَاتِ الْأَيَّامْ
كَمَّلَ اللهُ لَهُ ثُمَّ لَنَا	كُلَّ قَصْدٍ وَرَجَاءٍ وَمَرَامْ

4 ـ نسخة الخزانة الحسنية رقم 2473:

نسخة تامة في مجلد من القطع الكبير من 228 ورقة، في ورق أوروبي حديث مجدول، الورقة الأولى مخالفة في النوع والخط لباقي النسخة، فلعلها سقطت، فتلافاها أحدهم. النسخة مكتوبة بخطوط مختلفة ما بين المسند والمبسوط والمجوهر والأندلسي المتمغرب، فقد توارد على كتابتها نساخون مختلفون، بها تعقيبة أسفل الصفحة وسطها، مسطرتها مختلفة، عدد الكلمات في كل سطر مختلفة أيضا، مقياسها 28,4 / 20,3 سم.. ليس عليها طرر ولا حواش ولا تصحيحات، عارية عن اسم الناسخ وتاريخ النسخ. وبالنظر إلى نوعية الورق فهي نسخة قد تكون متأخرة إلى حدود القرن الهجري الثالث عشر.

5 ـ نسخة الخزانة العامة رقم 1291 د:

نسخة تامة في مجلد، بخط مغربي قريب من المبسوط، تتخلله ألوان، صفحاتها [1ب – 239 ب]، مسطرتها مختلفة، مقياسها 21 / 16 سم. نسخها أحمد بن محمد بن علي محمد التمناري المنكي بتاريخ 1306 هـ، برسم الحاج الحسن بن الحاج أحمد الإفراني. وبناصيتها بخط غير الناسخ:

أ – نسب الشيخ الأكبر سيدي مَحمد ابن ناصر رضي الله عنه، وولادته ووفاته، في صفحة غير مرقمة.

ب – التعريف بصاحب الرحلة لسليل المؤلف جعفر بن أحمد الناصري.

وعلى الطرة اليسرى للتعريف المذكور، تملكات للعربي بن السايح ومحمد بن يحيى بلمينوا الرباطي الأندلسي ثم محمد بن الحسن ساسي السلاوي، (اشتراه هذا الأخير بتاريخ 1349 هـ).

وعدا هذه الإفادات المحتفة بالنسخة، فهي في ذاتها لا تضيف زخما جديدا ولا تمثل تميزا إذا قورنت بما اعتمدناه من النسخ، فليس عليها تصويبات ولا تصحيحات، ثم هي متأخرة في النسخ، ناهيك عن الأوهام النسخية التي تظهر فيها بادي الرأي.

6 ـ نسخة دار الكتب الناصرية بتامكروت، رقم 1952:

نسخة تامة، بخط مغربي مجوهر حسن، في مجلد ضخم يحتجن جزئين ينتهي الأول بذكر المشاهد التي ينبغي للحاج أن يزورها بمكة شرفها الله، ويبتدئ الثاني بذكر من لقيهم المؤلف في الحرم المكي، رؤوس الفصول في هذه النسخة وأسماء البقاع وبعض الأعلام وبدايات الأحاديث والإنشادات والعزو والإفادات والشوارد بخط متورم بغير لون الأصل، في كل صفحة 18 سطرا، بها تعقيبة، وليس فيها ذكر اسم الناسخ أو تاريخ النسخ.

إلا أن هذه النسخة وإن كانت تبدو من أجمل النسخ، إلا أن بللا قد حاق بها، فأتلف غالبها، وطمس معالمها وجعلها عصية على الانتفاع كما يظهر في النماذج المرفقة، وعلى الرغم من أننا حرصنا على تصويرها إلا أننا لم نفد منها البتة

في تحقيق النص، فهي وإن كانت موجودة، فتعتبر في حكم العدم، ولم نذكرها إلا لسببين:

1- انتحاء الدقة العلمية، في سرد كل النسخ المعروفة بالمغرب، فذكرناها التزاما منا بهذا الشرط، وحذرا من أن نخرج عن عهدته.

2- إنه يحيط بهذه النسخة إشكال مفاده أن العلامة المنوني رحمه الله، قد أضاف في تسميتها عبارة "إلى الديار النورانية"، بعد "الرحلة الناصرية".

وقفة مع النسخة الفاسية

قد قررنا في البداية ألا نعتمد النسخة الحجرية، وبعد الانتهاء من عملية المقابلة، استشرنا الأستاذ المشرف الذي ألح على اعتمادها؛ مما جعلنا نقابل النسخة الفاسية بما انتهينا إليه. وكانت لهذه العملية خلاصة مفادها أن هذه النسخة تتفرد – بشكل لافت – بزيادات خالصة، غالبا ما تكون مهمة. وقد أَكْدَيْنا أنفسنا في محاولة العثور على ضريب هذه الزيادات فيما بين أيدينا من النسخ، فتحصَّلَ لنا بشكل قاطع انفراد النسخة الفاسية بها، مما يطرح إشكالا حول أصالة هاته الزيادات، وشرعية دخولها في نسيج المتن، وهل اعتمد الناسخ في إضافتها على نسخة مروية أم هي تصويبات وإضافات لَدنية جادت بها قريحة الناسخ دون اعتبار لمقام النقل، ودقة الأداء؟

وهذه الزيادات على ضربين:

الأول: زيادات معلومة تكاد لاتخلو منها أصول المتون الشرعية، من قبيل زيادة لفظ " تعالى " أو التصلية أو الترضية، تطوعا من الناسخ دون أن تكون في نسخة المصنف.

والثاني: زيادات في المبنى والمعنى أيضا، وهي التي دعتنا إلى أن نعتبر أن ناسخ الفاسية قد اعتمد على أصل لم تحتفظ لنا به النسخ التي اعتمدنا عليها، ولم نشك في هذا الأمر، ولا اعتبرناه إقحاما في النص مما ليس فيه، للاعتبارات الآتية:

1- إن الناسخ قد طرز طرر نسخته بالإشارة في أحايين كثيرة إلى الفروق بين النسخ، وهذا مقتضى الدقة العلمية التي تمنعه من التجرؤ على النص.

2- إن تراث المطبعة الفاسية، يشهد باحترام نسّاخه لمقتضيات المنهج العلمي في النسْخ، مما يكون معه التصرف في صلب المتن عملا غير مشروع؛ ونستطيع إدراك ذلك بملاحظة أن كثيرا من الأصول العلمية والأدبية لم تتخلف في اعتماد إعادة تحقيقها على نسخ المطبعة الفاسية، ولم ترفض ذلك بدعوى عدم الدقة العلمية.

3- إن كثيرا من هذه الزيادات، ليست زيادات لغوية فحسب يمكن أن نعتبرها تصحيحا أو تقويما، بل إنها في أحيان كثيرة زيادات معنوية تتعلق بأسماء أعلام أو تواريخ أو أمكنة، مما يبعد أن يقترحه الناسخ من تلقاء نفسه، إلا أن يعتمد على أصل في ذلك.

وهذا تتبع واستقراء لهذه الزيادات، ندرجه ضمن الجدول المثبت بالملحق رقم2.

وقد يقال: إن كانت النسخة الفاسية تتفرد بهذه الزيادات، وسلمنا جدلا أهميتها، فما جدوى المقابلة بين النسخ من جديد، وهي لا تعطي إلا نصا أعرج لا يصاف الفاسية ولايدانيه، وهلا تم الاقتصار على عمل الناسخ الأول؟

والجواب أن الفاسية وإن امتازت بزيادات لا توجد في غيرها، فقد شانها وجعلها غير مستقلة بتصحيح النص أسقاط كثيرة تحرف المعنى كما في الجزء الثاني من الصفحة 128: "وأتيَ من عند سيدي أحمد بن محمد الهشتوكي"؛ وقد وقع إسقاط أدى إلى خلل في المعنى خصوصا أن الهشتوكي حج معه.

الصحيح هكذا: "وأتيَ من عند سيدي [عبد الواحد بعسل وسمن وقتاء ومشمش، ومن عند سيدي عبد الكريم بعكة عسلا وأخذها أخونا سيدي] أحمد بن محمد الهشتوكي.

ونقدم نموذجا ثانيا يبرز التغيير في المعنى على الشكل الآتي:

في الجزء الثاني من النسخة نفسها، آخر الصفحة 111 وأول الصفحة 112: "ونزلنا الزعفران بعصر الأربعاء الثامن والعشرين من ربيع الأول السابع عشر من مايه، ثم منه يوم الخميس، ونزلنا بالزرازير قبيل العصر ثم منه بسلقون عصرا، ثم منه ونزلنا ثغر الإسكندرية ظهر السبت ثامن ربيع النبوي الثاني والعشرين من مايه. " والصحيح هو: السبت ثاني ربيع الثاني وليس ثامن ربيع الثاني.

وهناك مجموعة من الإسقاطات، ندرجها في جدول بالملحق رقم 3 .

تعليق على "الحاجية"

سبق للباحث علي فهمي خشيم، أن نشر القسم الخاص بليبيا من الرحلة[1]، وسماه بـ"الحاجية" وهذا الاسم يطلق في ليبيا على طريق ركب الحاج. ويشغل النص المأخوذ من الرحلة في الكتاب، من الصفحة 13 إلى 114. إلا أن عمله هذا قد شابته نواقص، منها:

- إنه لم يعتمد إلا على نسخة تونسية عدا الفاسية، ولم يصفها حتى نعرف مبلغ قيمتها، فلم يخلص إلى نص سليم في الجملة.

- إنه قد قصد إعداد نص يهم تاريخ ليبيا فقط، ومن ثم عمد إلى حذف بعض الفقرات التي ارتأى أنها لا تخدم مقصوده[2]، وفي هذا نوع من التجني على النص.

- إنه لم يعرج قطُّ على التعريف بالأعلام وأسماء البقاع، ولم يضبط المصطلحات المشكلة، ولا الأشعار.

- إنه لا يميز في بعض الأحيان، بين المنثور والمنظوم، فكان أن ساق بعض الشعر مساق النثر، غير متفطن لذلك، فمنه قوله:

- "فكُّوا بمن إليه توجهتم، أسيرا عتت عليه الأعادي، وارحموا ذلة الكئيب بحق البيت والطائفين بالاسناد، وانصروه فإن لكم جاها يفل لديه حد العوادي"[3].

والصحيح هكذا:

فُكُّوا فُكُّوا بِمَنْ إِلَيْهِ تَوَجَّهْـ	**ـتُمْ أَسِيراً عَتَتْ عَلَيْهِ الأَعَادِي**
وَارْحَمُوا ذِلَّةَ الكَئِيبِ بِحَقِّ الـ	**ـبَيْتِ وَالطَّائِفِينَ بِالأَسْنَاد**

(1) نشرته دار مكتبة الفكر، في طبعة أولى، سنة 1974.
(2) ينظر، ص:22 – 97 – 112؛ مقارنة بنص الرحلة المحقق.
(3) الحاجية، ص – ص: 15 – 16.

وَانْصُـرُوا وَانْصُـرُوا فَـإِنَّ لَكُـمْ وَجْـ   ـهـاً يَفَـل لَدَيْـهِ حـدُّ العـوَادِي[1]

- "ابنوا للموت وأبقوا للخراب، فكلهم يصير إلى الذهاب"[2].

والصحيح هكذا: (الوافر)

لِـدُوا لِلْـمَـوْتِ وَابْـنُـوا لِلْـخَرَابِ   فَـكُـلُّـكُـمُ يَـصِـيرُ إِلَـى ذَهَـابِ [3]

- "كما أحسن الله فيما مضى، كذلك يحسن فيما بقي"[4].

والصحيح هكذا: (المتقارب)

كَـمَـا أَحْـسَـنَ اللَّـهُ فِـيـمَا مَضَـى   كَـذَلِـكَ يُـحْـسِـنُ فِـيـمَـا بَـقِـي [5]

ومن الهفوات كذلك، أنه ينسب أحيانا كلام الشيخ أحمد ابن ناصر إلى أبي سالم العياشي[6]. وكلام العياشي إلى الناصري[7].

وقد قمنا بمقارنة نص الحاجية، بما انتهينا إليه من التحقيق. وسجلنا الفروق بين النصين، بما يوضح هفوات الحاجية، ونثبت هذه الفروق في جداول بالملحق رقم 4.

وللإشارة، فقد قمنا بهذه المقارنة في جزء فقط من هذه الحاجية.

وعليه، فيمكننا أن نقول بدون مبالغة أن هذا العمل لا يضيف جديدا، ولا يخدم الرحلة في شيء، ولعلنا نقول: إن هذا الجزء من الرحلة المطبوع، ليس إلا قطعة من نسخة مخطوطة أخرى.

---

(1) الرحلة الناصرية، ص: 195.
(2) الحاجية، ص: 48.
(3) الرحلة الناصرية، ص: 224 .
(4) الحاجية، ص: 82- س: 8، والكلام نفسه في ص: 90 – س: 12
(5) الرحلة الناصرية، ص:576، والبيت نفسه في ص: 582 – س: 16.
(6) "وصعدنا النكازة وبأعلاها ... إلى وبتنا في غوط يمينه". ينظر: الرحلة الناصرية، ص: 223 – وتقارن بالحاجية، ص: 47 – س: 16.
(7) ينظر الرحلة الناصرية، ص:226 – س: 8 / ويقارن مع ما جاء في الحاجية، ص- ص: 50-51.

منهج التحقيق

التحقيق لغة هو التصديق وإثبات الحق وإحكام الشيء وحققت الأمر: كنت على يقين منه[1].

واصطلاحا يقصد به بذل عناية خاصة بنص، حتى يكون متن المخطوط أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه[2].

ومخطوط "الرحلة الناصرية" موضوع الأطروحة، تتوفر فيه شروط التحقيق المتمثلة في:

1- لم يحقق بعد.

2- مادته العلمية التي تندرج في مجال الرحلة تستحق التحقيق.

3- حجمه مناسب للتحقيق حيث تتراوح حسب النسخ المعتمدة من ثلاث وتسعين ومائة ورقة بنسخة (ح2) إلى أربع وعشرين ومائة ورقة بنسخة (ع).

4- له أكثر من نسخة، حيث حصلنا على إحدى عشرة منها.

ولا شك أن الاطلاع على جميع النسخ، فيه فائدة كبرى للتحقيق، لأن النسخ عادة تتفاوت قيمتها حسب بعدها أو قربها من زمان المؤلف، أو بكمالها ونقصها، بالإضافة إلى أنها تكتب بأيدي نساخ متعددين، في أزمنة متباعدة، والمقابلة بين النسخ توصل الباحث إلى أفضلها وأكملها.

إن مرحلة جمع نسخ المخطوط، تعني الحصول على مادة العمل الأولية، أما مرحلة ترتيب النسخ، فهي استثمار هذه المادة وتوجيهها، للحصول على نص المؤلف الأول، أو أقرب ما يكون إليه، لإجراء التحقيق المقصود. وقد عملنا على ترتيب النسخ حسب أهميتها.

---

(1) ينظر اللسان مادة (ح، ق، ق).

(2) عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ط2، القاهرة، 1965،ص: 39.

وأثناء تفحصنا لنسخ المخطوط بالنظر إلى أجزاء كل نسخة، تحققنا من كمال كل نسخة وصحة ترتيبها، مع الإشارة إلى أن كل النسخ المعتمدة تلتزم بنظام "التعقيبة"، وهي الكلمة التي تكتب في أسفل الصفحة اليمنى غالبا لتدل على بدء الصفحة التي تليها، وبتتبع هذه التعقيبات يمكن الاطمئنان إلى تسلسل ورقات كل النسخ. وبهذه العملية اكتشفنا أن نسخة تامكروت المرموز إليها بحرف "ت" تعرف خللا في تسلسل أوراقها، مما جعلنا نعيد ترتيبها بشكل صحيح.

ورمزنا لكل نسخة بالحرف الأول لاسم المكتبة التي تحتفظ بها، باستثناء النسخة الحجرية التي رمزنا لها بالحرف الأول من الفاسية،" ف ".

واعتمدنا نسخة "ع" نسخة أصلية، ليس فقط باعتماد القدم، بل أيضا لكونها مكتوبة بخط واضح ويقل فيها التصحيف والتحريف، كما يقل فيها الطمس، وليست بها خروم. لكن بعد إعادتنا لعملية المقابلة، تنفيذا لتوجيهات الدكتور أحمد عمالك، وعلى الرغم من قيمة هذه النسخة وقربها من زمن المؤلف؛ اتضح لنا ألا نجعلها أصلا والاحتكام إليها في كل شيء، وذلك لانفراد غيرها بالصواب في أحايين كثيرة، فاخترنا لذلك أن نعمل بصيغة النص المحرر، فنختار من كل نسخة أصح ما نرجحه، خدمة للنص، وتجنبا لتسلط نسخة ما على بقية النسخ دونما ميزة معتبرة عند علماء التحقيق.

أما المرحلة الثانية التي اعتمدنا، فهي مرحلة الكتابة والمقابلة التي تعني عرض ما في النسخة الأم، على ما في النسخ الأخرى من الكلام؛ أو العكس أي عرض ما في النسخ المساعدة على ما نسخ في دفتر التحقيق، للوقوف على:

- الاختلافات الحاصلة بين الأصل والنسخ الأخرى، مختارا منها الصحيح أو الأقرب إلى الصحة.
- تتميم ما أهمل في النسخة الأم.

الاستفادة من بعض التعليقات المثبتة في بعض الحواشي.

أما عملية ضبط النص وتقويمه، فهي من ضمن الخطوات التي قمنا بها، حيث اعتمدنا الطريقة الحديثة في الالتزام بالرسم والشكل، وذلك بكتابة أسماء الأعلام بالطريقة التي تكتب بها اليوم، وفي هذا السياق لا بد من الإشارة إلى أننا أثبتنا همزة

الوصل في "ابن " ضمن تسمية المؤلف أحمد ابن ناصر، على اعتبار أن ناصر ليس أبا أحمد وإنما جده الأكبر.

وقد عدلنا عن تبيان كثير من الفروق التي عن لنا أن لا خير فيها إلا إثقال الحواشي. فأضربنا عن ذكرها جملة، فمن ذلك: ترك التنصيص على الكلمات المرسومة بحذف الألف كمَلك والحَرث والمَلَئكة وما إلى ذلك. ومنه إهمال ذكر رسم النساخ للفاء والقاف بطريقة المغاربة. ومثل ذلك الياءات الموقوصات. ورسم التاء المتطرفة. وكثرة الأخطاء الإملائية واللغوية. ومما يلحق به، أننا لم نفض في الاهتمام باختلاف في ذكر ألفاظ التصلية والترضية، وهذا مما يعرفه الممارسون للتحقيق، فلم نطل فيه.

كما حرصنا على ضبط الآيات والأحاديث والأشعار، ووجدنا أحيانا أن بعض النساخ يرسم بعض الأبيات الشعرية رسم النثر، أو يضع الجمل النثرية المسجوعة في وضع الشعر، مما جعلنا نعمل على إزالة كل لبس يلحق بالنص ويتسبب في غموضه.

والتزمنا أيضا بتفقير المتن وتوزيع فقراته بوضع عناوين رئيسة للفصول وفرعية للفقرات مع إدراج هذه العناوين بين معقوفتين للإشارة إلى أنها من وضع المحقق.

وبالنسبة لعملية التخريج التي تعتبر ملازمة لضبط المتن وتقويمه، فإننا قمنا بتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، إلا أننا وجدنا صعوبة في تخريج كل الأشعار الواردة في الرحلة لكون أغلبها يرجع إلى شعراء مغاربة، وعدم شهرة أغلبهم في المحافل الأدبية، وقلة الاستشهاد بأشعارهم. وقد قمنا بتجميع هذه الأشعار في ملحق خاص أسميناه بـ: "ديوان الأشعار الواردة في الرحلة الناصرية ". ويحتوي هذا الملحق على ديوان يتضمن الأشعار الواردة في الرحلة والمكونة من: قصائد ومقطوعات ونتف إلخ، تمت مقاربتها بتقديمها وفق الترتيب المعجمي لرويها من جهة، واعتماد المنهجية الآتية من جهة أخرى: أولا: ذكر قائل الشعر. ثانيا: تحديد عدد الأبيات. ثالثا: تبيان البحر. رابعا: إبراز الروي، خامسا: تقديم الغرض. سادسا: التعليق على الأبيات من خلال تحليل مضمونها. وبعد عرض هذا الديوان على أستاذنا المشرف، اقترح علينا عدم تقديمه ضمن الدراسة.

أما الرموز فهي تمثل دليلا يوضح الطريق السليم للسير على هديه بثبات في فهم أدوات المحقق، وهكذا عملنا على عدم الإفراط في استعمالها حتى لا تكون معرقلة، لذلك حرصنا على اختصارها على الشكل الآتي:

"ع" = نسخة الخزانة العامة.

"ح1" = النسخة الأولى من الخزانة الحسنية.

"ح2" = النسخة الثانية من الخزانة الحسنية.

" ت" = نسخة خزانة تامكروت.

" ف" = النسخة الفاسية.

[ ] = الكلام بين معقوفتين يمثل كلاما ساقطا زائدا إما من نسخة على أخرى، وإما من المحقق.

{ } = الكلام بين لامتين يمثل كلاما ساقطا من نسخة على أخرى.

[...] = نقط بين معقوفتين لحصر البياض أو المحو بالمخطوط.

" " = يوضع بينهما الأحاديث أو استشهادات أخرى.

وبالنسبة للهوامش وضعنا هامشين اثنين:

الأول: خصصناه للفروق الموجودة بين النسخ المعتمدة في التحقيق، رمزنا إليه بالحروف حسب الترتيب المعجمي.

الثاني: اتخذناه للتعليقات، والشروح، والتخريجات، والتراجم، ووضعنا له الترقيم العددي.

الخاتمة

إننا لا ندعي إيفاء الموضوع حقه، ولا الوصول به إلى مرتبة الكمال، وحسبنا أننا حاولنا مقاربته، وخلصنا إلى نتائج نذكر البعض منها:

1- إن أول ما جعلناه نصب أعيننا، إخراج نص الرحلة من حيز المخطوط إلى حيز المطبوع المحقق، وهي أمنية حاولنا تحقيقها بإذن الله تعالى.

2-أن نضع بين أيدي الباحثين نصا تاما للرحلة، يفيدون منه في تتبع الجزئيات التاريخية والإفادات المميطة للثام عن كثير من الحقائق المختلفة التي تتعلق بمغرب القرن 12هـ، والمناطق التي تضمنها خط الرحلة إلى المشرق.

3- أننا قدمنا للنص بإضاءات تتعلق بما احتف بتأليف الرحلة من معلومات تاريخية، مع الترجمة للمؤلف والتعريف بشيوخه وتلاميذه وثقافته الموسوعية وتأثيره في نسيج مجتمع درعة والمغرب، مع الإلماع إلى مصادر الرحلة وأدبيتها وقيمتها الإبداعية، وأهميتها الموضوعية.

4- إننا خلصنا إلى أن تصوف الشيخ ابن ناصر كان تصوفا متميزا خالصا من دعاوى الشطح والإشراق، ميالا إلى السنة، فكان أن حالف الشيخَ التوفيقُ، من حيث استطاع أن يجمع بين الشريعة والحقيقة في غير عسر ولا لبس، مما تشهد به صور ومواقف في متن الرحلة.

5- لم يكن من وكد هذا البحث أن يستقصي كل الظواهر التي يثيرها متن الرحلة ويقاربها، وإنما حسبه أن يعمل على إخراج هذا المتن للعموم من جهة، ومحاولة دراسة بعض القضايا بالمناقشة والتحليل، من جهة ثانية.

6- إننا لا ندعي في الدراسة إحاطتنا بعناصرها، إذ كان المقصود فحسب، تقديم فرش ضروري بين يدي النص المحقق، وهو ما يجعل المجال شاسعا أمام بحوث غنية تفيد من النص وتحلله وتسائله، فمن ذلك مما لا يزال يستدعي النظر والتمحيص، مواضيع نجد لها مادة دسمة في الرحلة، كأهمية الماء ومركزيته في تحديد التجمعات السكانية، وتطور المواقف والعادات الاجتماعية في الدراسات المقارنة. وخصائص السرد ومقوماته في الرحلة، إلخ. فغنى الرحلة وموسوعيتها، تمكن الباحث من رصد كثير من الظواهر التي لا تزال في حاجة إلى البحث والتقصي، ومن ثم تصلح مواضيع لبحوث أخرى، تهم مجالات معرفية مختلفة.

أما فيما يتعلق بالتحقيق، فقد حاولنا نهج سير المحققين، باتباع مجمل القواعد المتعارف عليها في هذا المجال.

وأخيرا، نؤمن إيمانا قاطعا بأن القراءة كيفما كان نوعها- وهي تسهم في تكوين النص – تختزله وفق قصديات صاحبها، بحيث يظل النص أكثر غنى من كل قراءة أو دراسة، لأنه قابل لتلقي قراءات متجددة تتجادل فيما بينها تبعا للتطورات الحاصلة في المعرفة الإنسانية، وتبعا لتطورات الأسئلة التي قد تكون مغيبة في حقبة ما دون الأخرى.

كما أننا نؤكد على أن منهجنا في الدراسة، ليس منهجا مطلقا وصائبا، لأننا نؤمن بأنه قد يكون مشتملا على بعض الإجابات المغلوطة أو الخاطئة، التي سنعتز بها، لأنها ستتحول إلى أسئلة وملاحظات ستفيدنا وتفيد غيرنا من الباحثين من جهة، -وستجنب غيرنا من الباحثين - من جهة أخرى، من السقوط فيها أو تكرارها؛ لتدفعنا جميعا إلى محاولة تصحيحها وإعادة التفكير فيها.

والله ولي التوفيق

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه.

نماذج من نسخ المخطوط



المقدمة من النسخة "ع" (الخزانة العامة ـ الرباط)

الخاتمة من النسخة "ع" (الخزانة العامة ـ الرباط)

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله وسلم على سيدنا محمد وءاله

[illegible]

المقدمة من النسخة "ت" (الخزانة الناصرية ـ تامكروت)

محمد وعلى آله وصحبه وحزبه الطيبين اجمعين الطاهرين ومن تبعهم باحسان الى يوم
الدين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

انتهت رحلة شيخنا الامام قطب الانام محيي رسوم الطريقة الشاذلية
ومجدد السلسلة الغازية الغوث الكامل ابي العباس سيدنا احمد
بن القطب الاكبر الامام الاشهر ابي عبد الله سيدي محمد بن محمد بن
ايضا ابن احمد بن محمد بن الحسين بن ناصر بن عمرو الدرعي الاغلاني
المرفوع نسبه لسيدنا المقداد بن الاسود رضي الله عنه
نفعنا الله به وبامثاله في الدارين كتبه للمرابط
الخير البركة السيد الحسن بن عبد الله
كان الله له وليا وبه حفيا العبد
الداعي برحمة الله ...
كان الله له سنة
ع ١١٦٤
صلى الله على
سيدنا محمد
وسلم

الخاتمة من النسخة "ت" (الخزانة الناصرية - تامكروت)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي جعل الرحلة لبيته الحرام من أعظم القربات وجعل
الحج في تلك المشاعر العظام زيادة في الدرجات وتكفيرا للسيئات مما جاء
في صحيح الآثار عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم ومجد وعظم قال عليه السلام
من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وأخرج الترمذي
وابن حبان وغيرهما مما ذاك يتضمن الكلام والمقال وقال عليه السلام
العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة قال العلماء
أي لا يقتصر لصاحبه من الجزاء على تكفير بعض ذنوبه ولا جزاء يبلغ به إلا دخول الجنة
وقال عليه السلام تابعوا بين الحج والعمرة فإن متابعة ما بينهما تنفي الفقر
والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد وقال عليه السلام من أراد
دنيا وآخرة فليؤم هذا البيت ما أتاه عبد يسأل الله دنيا إلا أعطاه الله منها
ولا آخرة إلا ادخر له منها وفي صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه
أنه عليه السلام قال له أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله وأن الهجرة تهدم ما
كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله وقال عليه السلام الحجاج والعمار وفد
الله وزواره إن سألوه أعطاهم وإن استغفروا غفر لهم وإن دعوا استجيب لهم
وإن تشفعوا شفعوا إلى غير ذلك من فضائل الحج المبرور والحاملة على تجشم المشاق
فيه مع الابتهاج والسرور والواردة في الكتاب الحكيم وفي أحاديث سيدنا محمد
عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وعلى آله وأصحابه الباذلين مهجهم في نصرته
وإعلاء دينه وإعلان دعوته صلاة تكون لنا في الذخر العظيم كفاء وتحية التعظيم وفاء
أما بعد فلما كان عام تسعة عشر ومائتين وألف تتابعت في زمرة
وزاد وكثر اشتياقي وحنيني إلى تكميل الأركان الخمسة بمشاهدة مشاعر

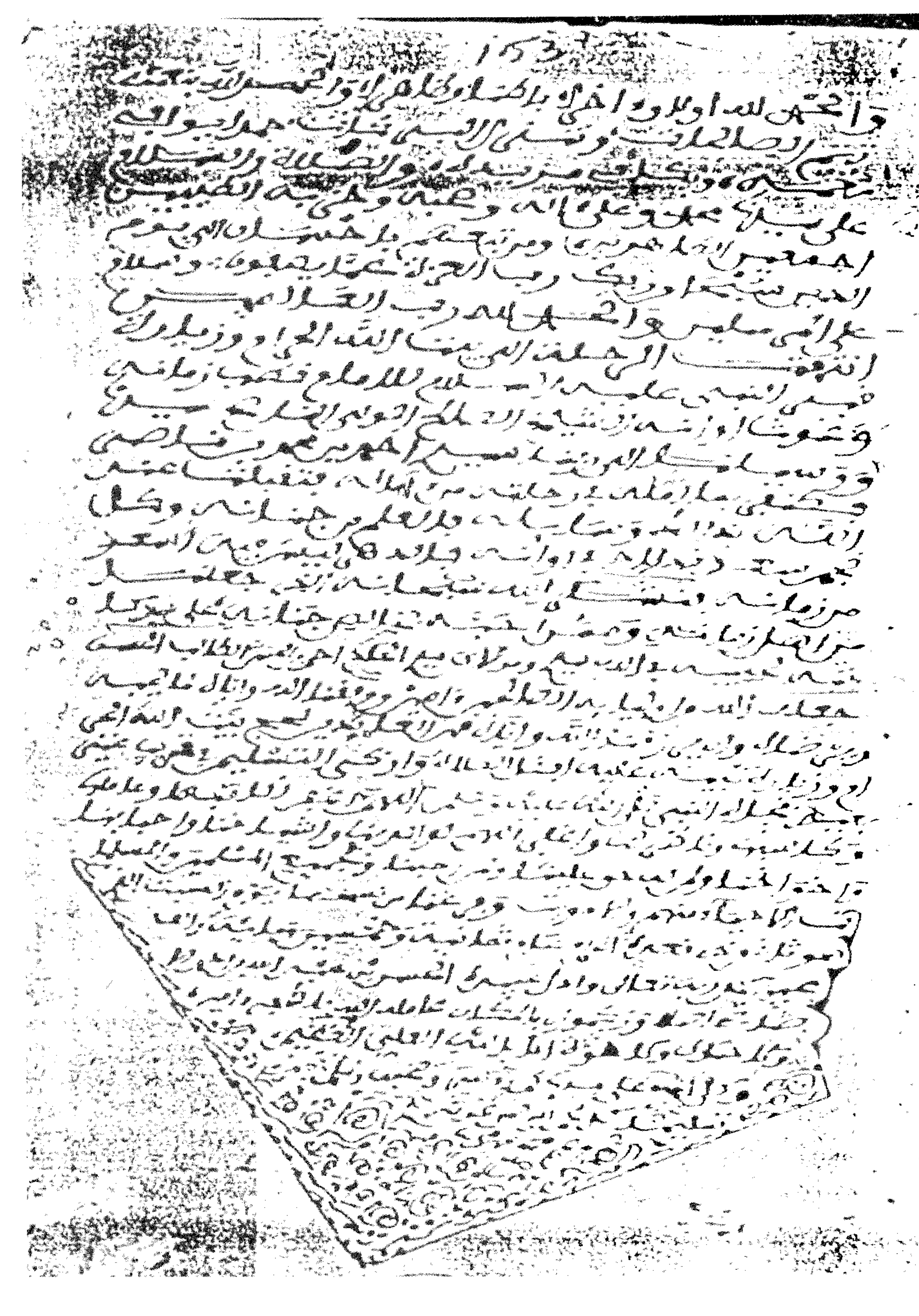
المقدمة من النسخة "ف" (النسخة الحجرية الفاسية)

وبلغنا من خير الدارين آمالنا بجاه سيد الوجود ومنبع الجود سيدنا ومولانا
محمد المحمود المقتفى صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم والحمد لله أولا وآخرا وباطنا
وظاهرا والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبه تنال البركات حمدا يوافي نعمه
ويكافي مزيده وكرمه والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين
وعن جميع التابعين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين سبحان ربك رب العزة
عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

وقد تم انتهى طبع الرحلة المنسوبة للشيخ الإمام العارف بربه
المتعلق بالمستغرق بحضرة مولاه على الدوام فخر المريدين السالكين
وزين الأولياء العارفين سيدي أحمد بن سيدي محمد بن ناصر الدرعي
أفاض الله علينا من معارفه وعلومه وأعاد علينا من بركاته
وأنوار فيوضه على ذمة الفقيه النبيه الأديب الذي به
سيدي الطيب الناصري جزاه الله خيرا وأثابه على صنيعه الجميل
أجرا ووفقنا وإياه لما فيه صلاح الدين والدنيا والأخرى
آمين بالمطبعة القاسمية ذات الحروف القاسمية في ظل
أمير المومنين وفخر الملوك والسلاطين سيدنا ومولانا عبد
العزيز أعز الله بوجوده أعلام الدين وأقره بالنصر والفتح
والتمكين آمين وكان تمام طبعه وكمال صنعه
في ثالث وعشر ربيع النبوي عام عشرين وثلاثمائة وألف
وصلى الله على سيدنا ومولانا
محمد وآله وصحبه وسلم
تسليما والحمد
لله رب
العالمين

الخاتمة من النسخة "ف" (النسخة الحجرية الفاسية)

المقدمة من النسخة "ح 1" (الخزانة الحسنية - الرباط)



الخاتمة من النسخة "ح 1" (الخزانة الحسنية ـ الرباط)

1

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

قال الشيخ الإمام العالم العلامة أبو العباس
سيدي أحمد ابن الشيخ الإمام
سيدي محمد بن ناصر رضي الله عنه ونفعنا به

الحمد لله الذي جعل الرحلة لبيته الحرام من أعظم القربات، وجعل التردد لتلك المشاعر العظام زيادة في الدرجات، وتكفيرا للسيئات، كما جاء في صحيح الأثر عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك قوله عليه السلام من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وخرّجه واختلف في ... وابن ... وغيرهما أن ذلك يتضمن الكبائر والصغائر وقال عليه السلام العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة قال المازري لا بد أن يعطي لصاحبه من الجزاء على تكفير بعض ذنوبه ولا بد أن يبلغ به إدخاله الجنة وقال عليه السلام تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد وقال عليه السلام من أراد دنيا وآخرة فليؤم هذا البيت ما أتاه عبد يسأل الله دنيا إلا أعطاه الله منها ولا آخرة إلا ادخر له منها وفي صحيح مسلم حديث عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه قال له أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله وقال عليه السلام الحجاج والعمار وفد الله وزواره إن سألوه أعطاهم وإن استغفروه غفر لهم وإن دعوا استجيب لهم وإن شفعوا شفّعوا إلى غير ذلك مما صح في الحج المبرور والعمل الصالح على تجشم المشاق والتلبس مع الابتهاج والسرور الواردة في الكتب الحكم وفي أحاديث سيدنا عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وعلى آله وأصحابه الباذلين مهجهم في نصرته والمجاهدين في إعلاء كلمته صلاة تكون لقدره العظيم كفاء ولحقه العظيم وفاء أما بعد فلما كان عام تسعة عشر ومائة وألف تتابعت زيارات وانبعث ... في حبسي إلى تكميل السعادة العظمى بالمشاهد الكرام ... إلى ... خروج ... أن يكون لنا في ذلك نصيب على الكيفية الواردة في الصحاح بلا

ان لهي

المقدمة من النسخة "ح 2" (الخزانة الحسنية ـ الرباط)

المزار بإظهار الغرار في خلق الزاوية يوم الخميس حين الإسفار وأمّنا المنبر الكريم على منبر الهادي البشير صلى الله عليه وسلم ومحل عظيم مجلسنا به هنيئة حتى ركعنا ركعتي [illegible] خرجنا منه [illegible]

ختام تجعننا تتميم الى عتبتنا. ونلنا المراد من زيارتنا والمراد. ويدعونا للاحباب والأولاد وحمد الله على بلوغ الغاية وامتداد الأجل حتى وصلنا من الشعبة النهاية ولقد أحسن من قال

ما كان أهنا وأحلى جنة حصلت . لنا فبلغت الذي نرجوه من أمل

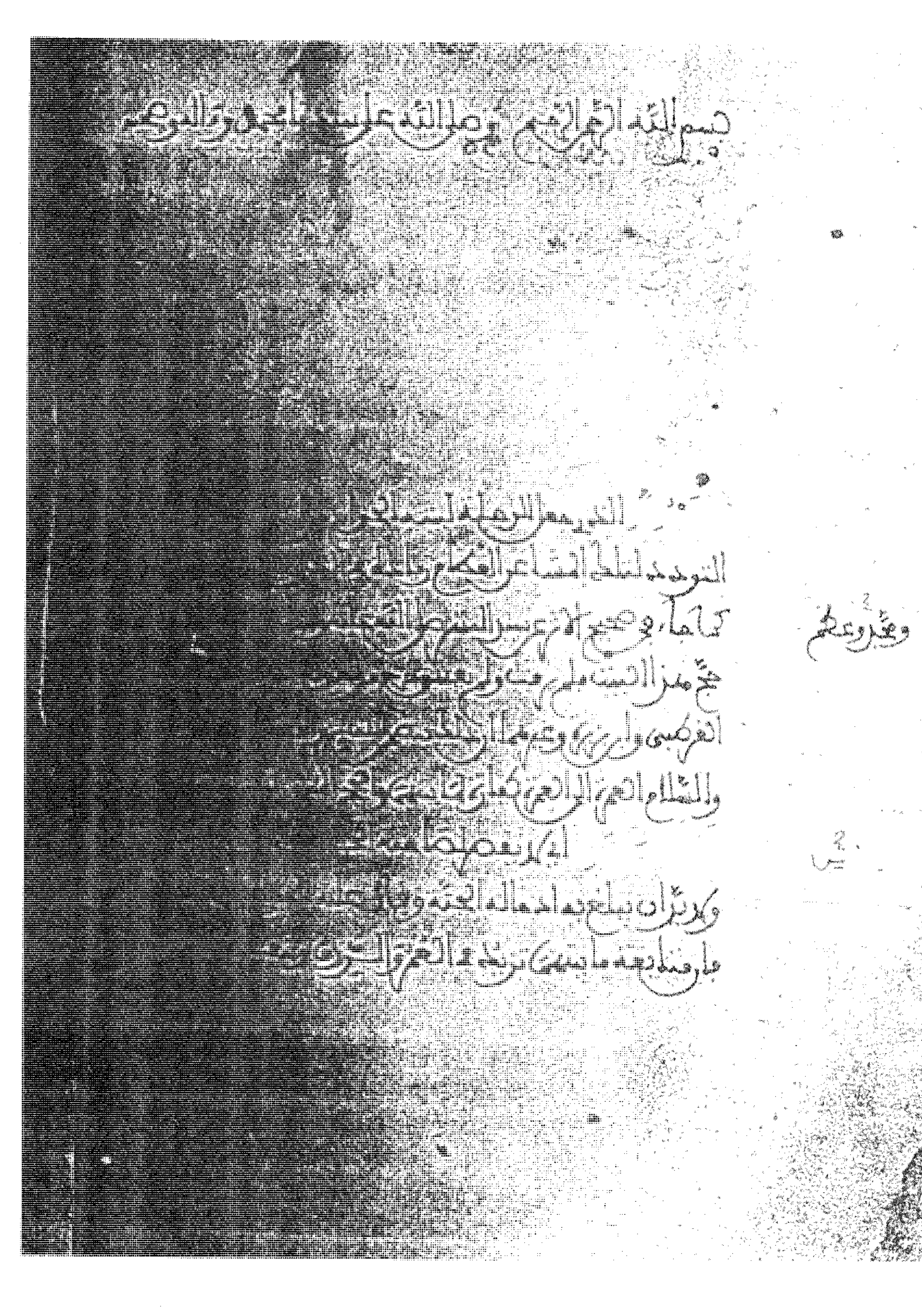
رحنا الى عرفات والذنوب على . ظهورنا فحططناها على الجبل

وأتينا عقيبه التيسار. واستغفرنا الغفار وأكثرنا من الشكر والاستغفار. للملك الغفار. ونحمد الله على السلامة من ركوب الأخطار. والنجاة من عوائق عنا الأسفار. ونسأله الإنابة والعافية وحسن القرار بعد صلاح الدار وتلك الدار بجاه نبينا محمد المختار. وآله الأطهار وصحابته الأخيار ومن تبعهم بإحسان من الأبرار رضي الله عنهم وأرضاهم وزاد لهم من كرمه وحباهم وهو نعم المسؤول أن يختم بالسعادة آجالنا [illegible] بالعافية [illegible] حالنا. ويبلغنا خير الدارين [illegible] بجاه سيد الوجود. ومنبع الجود سيدنا ومولانا محمد الحبيب المعظم صلى الله عليه وسلم وشرف ومجد وكرم والحمد لله أولا وآخرا وباطنا وظاهرا والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وتنزل البركات حمدا يوافي نعمه. ويكافئ مزيده. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين الطاهرين وحزبه الطيبين. ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

انتهت الرحلة المقدسة [illegible]

[illegible]

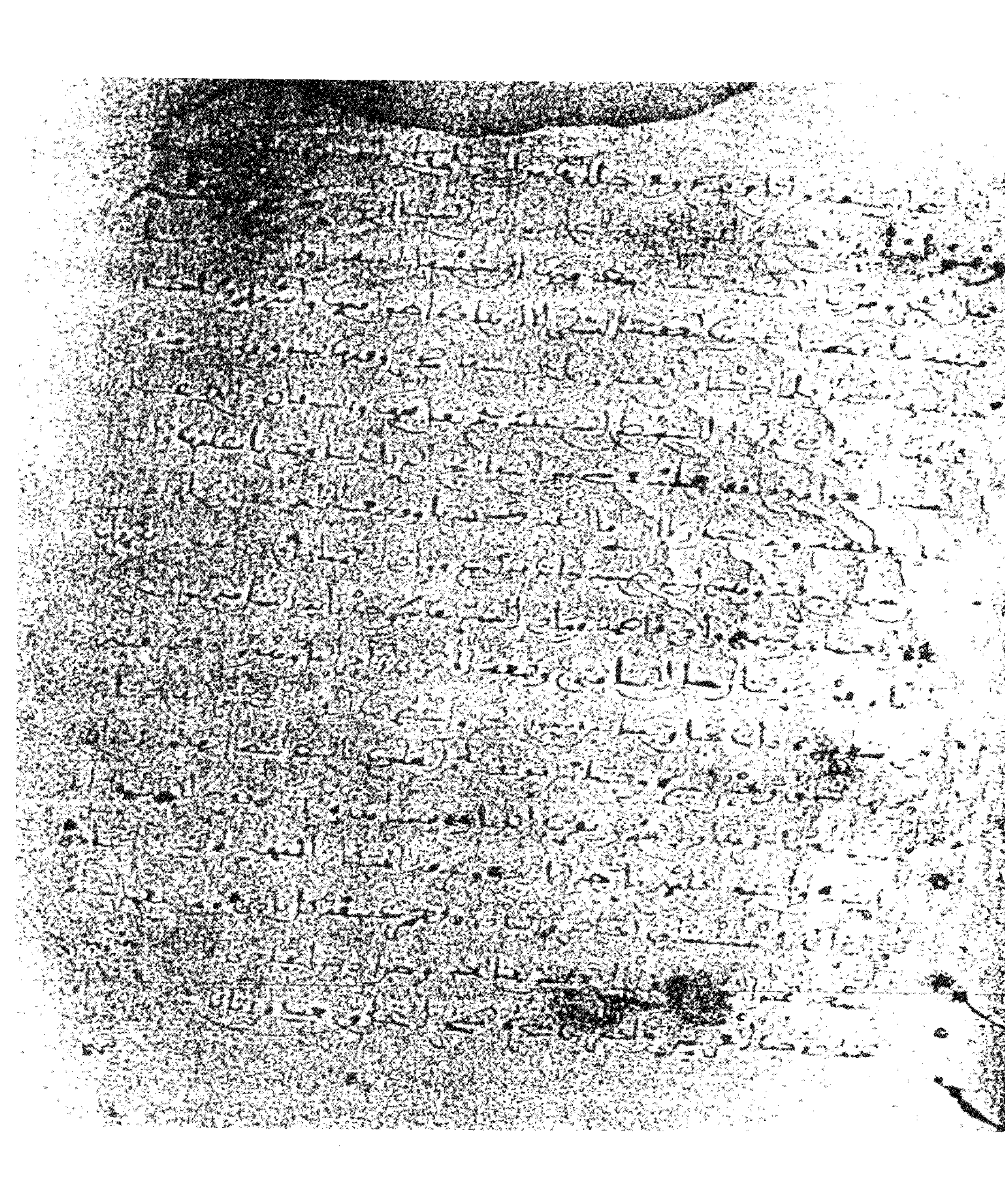
الخاتمة من النسخة "ح 2" (الخزانة الحسنية ـ الرباط)



مقدمة نسخة تامكروت الثانية رقم 1952

أنواع القربات وكلا من قرع الأبواب أبواب السعادة بالكامل الطلبات وارتقى
في مدارج العبادات وجني سرادق المرادات من حمد [illegible] فمنتج إذا الطرق
بنيل قرب وحظ ما استطعن من دخائر جمها أنا قد أبحت لكم عطاء ومامن من
عيش في جواره بحر ما ثبت من كرم وجود ونيل ما نبين من نعيم عوارف مغفرة
وسعة أبواب النزال وقرب قرب للزوار دار جمع ذلك من كل مهما جمعه
تجلى للقلوب بلا استتار. ومن أسرار ما يسر الله تعالى جمعه من الكلام على سيدنا
عليه الصلاة والسلام وما يتعلق بذلك من فضل الصلاة عليه وذكر المدينة
المشرفة وما اختصت به صلى الله على سيدنا وعلى سائر الأنبياء
والمرسلين وآل كل وسائر الصالحين نهاية ما ينبغي أن يليق صلاة وسلاما
دائمين إلى يوم الدين

خاتمة نسخة تامكروت الثانية رقم 1952



نموذج من نسخة تامكروت رقم 1952



التحقيق



بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله [وصحبه وسلم](1)

{رحلة الشيخ الإمام أبي العباس أحمد(2) بن الشيخ مَحمد(3) ابن ناصر رضي الله عنه}(4)

[فضائل الحج والعمرة]

قال الشيخ الإمام، العالم العامل، أبو العباس، سيدي ومولاي أحمد بن القطب الكامل سيدي مَحمد ابن ناصر، المشهور بالمغرب، رحمه الله [رضي الله عنه ونفعنا به](5):

---

(1) زيادة من "ف".

(2) الشيخ أحمد بن مَحمد [mhammad] بن مَحمد بن أحمد بن مَحمد بن حسين بن ناصر بن عمرو الدرعي أبو العباس، ولد عام 1057هـ، وتخرج على يد والده الشيخ أبي عبد الله ابن ناصر. واستخلفه بعده.كان إمام وقته علما وعملا، قوالا بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، متابعا للسنة في أقواله وأفعاله، حريصا على إحياء السنن، وإماتة البدع. فهدى الله به أقواما، ونفع به أناسا كثيرا. وكان مثابرا على التعليم، مكبا على المطالعة قائما على البخاري وغيره من الكتب الحديثية، توفي رحمه الله في تاسع عشر من ربيع الثاني من عام 1129 هـ / 1717 م.
ينظر الاستقصا،ج:7، ص:112، والإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام،ج:2،ص: 355، وطلعة المشتري،ج:2، ص: 78.

(3) هو مَحمد بن مَحمد بن أحمد بن مَحمد بن حسين بن ناصر بن عمرو الدولي، الأغلاني، أبو عبد الله، إمام الطريقة الناصرية عالم فقيه ومتصوف. ولد في عام 1011 هـ بأغلال. انتقل إلى تامكروت عام 1040هـ، وبها تتلمذ على يد الشيخ عبد الله بن حسين الرقي، المعروف بالقباب، وبعد وفاة هذا الأخير عام 1045هـ ووفاة رفيقه أحمد بن إبراهيم الأنصاري عام 1052 هـ، أصبح مَحمد ابن ناصر شيخا للزاوية التي اشتهرت فيما بعد بالناصرية. وقد عرفت في عهده تطورا كبيرا وازدهارا علميا. فقصدها طلاب العلم، وشدت إليها ركائب العلماء من مختلف جهات البلاد، حتى أصبحت مركزا كبيرا من مراكز البلاد العلمية. وكان مشاركا في فنون العلم كالفقه والعربية والتفسير والحديث والتصوف، عابدا ناسكا زاهدا عارفا قائما بالطريقة شاربا من عين الحقيقة، وذلك ما يستفاد من المطولة التي مدحه بها الشيخ اليوسي:

غيث الورى ذاك ابن ناصر الذي … نصر الإله به شريعة أحمد
وأعاد وجه الدين أبيض مسفرا … بهجا مقرا عين كل موحد
وأزاح عنه كل حندس شبهة … وضلالة وخلاعة وتشدد

توفي بزاويته بتامكروت في عاشر صفر عام 1085 هـ، ودفن بضريحه المعروف بروضة الأشياخ.

(4) ساقطة من "ع" و"ح 1 " و"ح2 " .

(5) زيادة من"ح2".

"الحمد لله الذي جعل الرحلة لبيته الحرام من أعظم القربات، وجعل التردد لتلك المشاعر العظام زيادة في الدرجات، وتكفيرا[1] للسيئات، كما جاء في صحيح الأثر، عن سيد البشر، صلى الله عليه وسلم، ومجد وعظم: قال عليه السلام: ﴿مَنْ حَجَّ هَذَا البَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ[2] وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ﴾[3] وخرج[4] القرطبي[5] وابن بزيزة[6] وغيرهما، أن ذلك يتضمن الكبائر والصغائر.

{و}[7] قال عليه السلام: "الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كفّارَة لِمَا بَيْنَهُمَا، والحَجُّ المبرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاء إِلَّا الجَنَّة[8]" .

قال المازري[9]: "أي لا يقصر[10] لصاحبه من الجزاء على تكفير بعض ذنوبه، ولا بد أن يبلغ به إدخاله الجنة".

وقال عليه السلام: "تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ والعُمْرَةِ، فَإِنَّ مُتَابَعَةَ مَا بَيْنَهُمَا تزِيدُ فِي العُمْرِ وَالرِّزْقِ، وَتنفِي[11] الذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ"[12]. {و}[13].

---

(1) "ع": تكفير والصواب ما أثبتناه.

(2) [رفث: من باب ضرب ونصر وفرح، ويقال أرفث إذا أفحش في كلامه. والرفث أيضا الجماع وذكر الجماع، والتحرش به، وقيل هو مذاكرة ذلك مع النساء قاله في المشارق معنى].هذه الزيادة من طرة الورقة1 في "ت".

(3) أخرجه البخاري عن أبي هريرة،ج:2، ص:645، رقم: 1723.

(4) "ت " و"ح1"و"ف": اختار.

(5) القرطبي: هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي، من كبار المفسرين، من أهل قرطبة له تفسير مشهور، توفي بمصر سنة 671 هـ. ينظر الأعلام للزركلي، ج: 5، ص: 322.

(6) ابن بزيزة (606 هـ – 662 هـ) عبد العزيز بن ابراهيم، صوفي فقيه مفسر من تآليفه: "الإسعاد في شرح شرح الإرشاد"، " شرح الأحكام الصغرى"، "تفسير القرآن"، "شرح التلقين". ينظر معجم المؤلفين، ج: 2، ص: 155.

(7) ساقطة من " ع".

(8) أخرجه من حديث أبي هريرة، البخاري، رقم 1683، ج2، ص:629.

(9) المازري: محمد بن أبي الفرج، فقيه حافظ مقرئ مفسر نحوي، ولد بمازرة، وتحول إلى القيروان ورحل إلى المغرب الأقصى، له تأليف في القراءات والتفسير واللغة والنحو، ينظر معجم المؤلفين، ج:3، ص: 585.

(10) قصر في العطية: قللها.ينظر لسان العرب مادة:(ق– ص– ر).

(11) "ح2": وينفي، والصواب ما أثبتناه.

(12) هذا اللفظ منكر (ضعيف الترغيب والترهيب رقم 687). وقال في رواية الترمذي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما، وقال الترمذي حديث حسن صحيح. وقال الألباني حسن (صحيح الترغيب والترهيب رقم 1105).

(13) ساقطة من "ع"

قال عليه السلام: "مَنْ أَرَادَ دُنْيَا وآخِرة فَلْيَؤُمَّ هَذَا البَيْتَ، مَا أَتَاهُ عَبْدٌ يَسْأَلُ اللَهَ دُنْيَا إِلاَّ أَعْطَاهُ {الله}[1] مِنْهَا، وَلا آخِرَةً إِلَّا ادَّخَرَ لَهُ مِنْهَا"[2].

وفي صحيح مسلم، من حديث عمرو بن العاص، رضي الله تعالى عنه، [أنه عليه السلام][3] {قال له}[4]:

"أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا {كَانَ}[5] قَبْلَهُ، وَأَنَّ الهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ"[6]. {و}[7] قال عليه السلام: "الحُجَّاجُ والعُمَّارُ والعُمَّارُ وَفْدُ اللَهِ وَزُوَّارُه، إِنْ سَأَلُوهُ أَعْطَاهُمْ، وَإِنْ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ، وَإِنْ دَعَوا أُسْتُجِيبَ لَهُمْ، وإِنْ تَشَفَّعُوا شُفِعُوا"[8]. إلى غير ذلك من فضائل الحج المبرور، الحاملة الحاملة على تجشم المشاق إليه مع الابتهاج والسرور، الواردة في الكتاب الحكيم، وفي أحاديث سيدنا [محمد][9] عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وعلى آله وأصحابه الباذلينَ مُهَجَهَمْ في نصرته، وإعلاء دينه وإعلان دعوته، صلاة تكون لقدره العظيم كِفَاءً، ولحقه الفخيم وفاء.

(1) ساقطة من "ع"
(2) لم أجده.
(3) زيادة من "ف".
(4) ساقطة من "ع".
(5) ساقطة من "ف".
(6) الحديث في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج، رقم: 192.
(7) ساقطة من"ع".
(8) رواه ابن ماجة بلفظ: " الحجاج والعمار وفد الله، إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم"سنن ابن ماجة – كتاب المناسك – باب فضل الدعاء، رقم الحديث: 2892.وهو بهذا اللفظ ضعيف، ينظر ضعيف سنن ابن ماجة، رقم: 2892. واللفظ الصحيح عند ابن ماجة أيضا هو: "الغازي في سبيل الله والحاج والمعتمر وفد الله، دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم" سنن ابن ماجة – كتاب المناسك – باب فضل دعاء الحاج، رقم: 2893. وينظر صحيح سنن ابن ماجة، برقم: 2893.
(9) زيادة من "ت".

[دواعي الرحلة]

أما بعد:

فلما كان عامُ تسعةَ عشر ومائة وألف(1119هـ)، تتابعتْ زفراتي وأنيني، وكثر اشتياقي وحنيني، إلى تكحيل إنسان العَيْنَيْن، بمشاهدة مشاهد الحرمين. ففزعت[1] إلى الاستخارة، خروجا من النفس أن يكون لها في ذلك نصيب على الكيفية الواردة في الصحيح؛ فلا أتركها ليلا ونهارا، وربما كررتها [في][2] بعض الأيام. وهيأنا لذلك ما ما أمكن وتيسر من الأحمال والأجمال. فلما حان وقت السفر، وقد كنا حصّلْنا له جميع ما يليق، ارتحلنا من أماكننا مع جملة وافرة من أهل المحبة من كل ناحية، متوجهين للأماكن الشريفة، ولا يخطر لنا سوى ذلك. ولما وصلنا سجلماسة[3] ونزلنا، ونزلنا، واطمأنت بنا فيها المجالسُ واسترحنا، وأردنا الرحلة بعد أن قضينا منها جميع الوطر، خدشَت أظفارُ التعويق في وجه الظَفَر، وأرخى ليلُ الموانع سُدولَ ظلمات يتعجب من صبحها إذا أسفَر، وأضرمت العوائق نارَها، فتولد منها القيل والقال، وتطاير[4] في كل أفق شرارها، وأوهنت قوة[5] عزائم أهل الركب بورود كاتب من صاحب الوقت، السلطان مولانا إسماعيل، وفقه الله وأرشده، وأعانه وسدده، بكتاب يطلب منا القدوم عليه للموادعة. ولم ألق لذلك بالا. وأردت إتمام ما خرجت لأجله، ولا علي في جده وهزْله. فبينما أنا كذلك[6] أشار أصحابُنا بمساعفته وإتيانه بجميع الركب ويكون السفر على تازة مع الركب الفاسي، ولم يظهر لي ذلك. فاستخرت الله وتوجهت إليه مع شِرذِمَةٍ قليلة من أصحابنا. وتركت الركب، وسحائب القيل والقال،

---

(1) "ع": ففرغت، والأرجح ما أثبتناه.

(2) زيادة من "ف".

(3) سجلماسة: مدينة في المغرب في منقطع جبل درن، يمر بها نهر كبير تمتاز بكثرة التمور وتنوعها، وهي إقليم يمتد على مسافة عشرين ميلا على طول زيز من الشمال إلى الجنوب، يشمل ما يقرب من ثلاثمائة قصر كبير وصغير فضلا عن المداشر.
ينظر مراصد الاطلاع 694. ومعجم البلدان ج3 ص 217 . وصف إفريقيا، ص: 125.

(4) "ف": أطارت والأرجح ما أثبتناه.

(5) "ع"و"ف": قوى، والصواب ما أثبتناه.

(6) "ع": ولذلك، والأرجح ما أثبتناه.

تَـرْجُمُهُمْ بـأفظع الأقـوال. ووصـلنا إليـه سـابعَ يـوم مـن سـفرنا لـه، ونـزلنا بضـريح الشـيخ السيد[1] عبد الرحمان المجذوب[2] بأمره، وبعثه بذلك مع بعض أعيان دولته.

[التخلف عن السفر بأمر السلطان لتهدئة الأوضاع]

وجلسنا أياما لا نراه ولا يرانا. ورسله تتردد إلينا يشيرون بالتخلف عن السفر[3] العام لأغراض للسلطان توهمها؛ يجب إسعافه لذلك على ما زعموا. وامتنعتُ كل الامتناع عن التخلف، ولا علي في ذلك. ثم إنه أتاني بعضُ أرباب دولته يزعم أنه قاصدٌ قصدَنا، وخرجنا لتلقيه. فالتقينا معه في صحن المسجد، وجلس يتكلم بتأدب[4] وتودد، وذكر أن التخلف العام هو سداد الأمة لما كسا الرعية[5] من الروع. الروع. وزعم أن يطمئنوا بمكثنا بين ظهرانيهم. فأجبته لذلك. وودعنا وخرجنا من عنده متوجهين لأصحابنا الذين بسجلماسة. ولما وصلنا إليهم وأخبرناهم بما كان من أمر التخلف، تتابعت زفَراتُهُم، واشتدت حسراتُهم، وأخبرناهم أن الأمرَ لله من قبلُ ومن بعدُ. ووجهنا من سبقت له الحجة العامَ المذكور، وعبَرَاتُهُم تسيل على خدودهم، كأن كلا منهم نَاقِفُ حنظل تحزنا على ما فاتهم من صحبتنا، وخففنا[6] عليهم الأمر، بأنا نكون معهم بقلوبنا، وإن نأت عنهم قوالبنا. فساروا في يمن وأمان، ورجعنا بالآخرين لبلدنا وديارنا آيسين من السفر إذ ذاك بعد العزم القوي، طاوين تلك الشقة[7] أي طي، فلحِقنا من التخلف ما الله عالم به من الكرب الشديد، وعناء في الجوانح مديد، فاستروحت من ذلك التعب والألم، إلى التفويض لأمر الله،

---

(1) "ت" و"ح1": سيدي.

(2) [أصله من أولاد فرج، إحدى قبائل عرب دكالة، وهم بعض من هلال إحدى القبيلتين الراحلتين للمغرب على عهد الموحدين وهما هلال وسليم على ما ذكره ابن خلدون، ولد سيدي عبد الرحمان في رمضان سنة تسع وتسعمائة بقرية من ساحل بلد أزمور وهي المعروفة الآن بتيط ونشأ بها، ثم رحل والده ولي الله تعالى إلى نواحي مكناسة واستقر هناك. وتوفي سيدي عبد الرحمان المجذوب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة. وطريقته رضي الله عنه جزولية كما في الابتهاج]. هذه الزيادة من طرة الورقة 2 من"ت".

(3) "ف": سفر.

(4) "ع": فتأدب

(5) مطموسة في "ح1".

(6) "ت": وخفضنا والصواب ما أثبتناه.

(7) الشقة: السفر البعيد أو المسافة، يشق قطعها(مادة: ش- ق- ق، لسان العرب).

والرِّضَى بما لنا أبرم مستنشقا عبير"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ"[1]. فطبت نفسا[2] بالواقع رضًى بخيرة الله، مع تعاطي الاستخارة الواردة في الصحيح[3] كما تقدم. ولم أزل علَى حالتي فيها، ولم أرتب[4] أن أن المنع من ذلك لم يكن إلا لخير أراده الله تعالى بمن ألقى إليه أزمة اختياره، وسلم إليه أمر تدبيره في إيراده وإصداره. فلم أزل بعد ذلك أتعرف حسن اختيار الله لي فيما صرفني عنه، وصرفني إليه شيئا فشيئا، فأحمد الله على ذلك كثيرا. فلا تعلم نفس ما أخفي لي[5] من ذلك من قرة أعين. فلله الحمد على ما أنعم، والشكر له على ما ألهم. فعلى المؤمن المهتم بإصلاح حاله دينا ودنيا أن لا يغفل عن الاستخارة في مهم عرض له، مع توطين النفس على الرضى بما يجري به القضاء، واعتقاد أنه الأولى ثقة بوعد الله على لسان رسوله، صلى الله عليه وسلم. وقد من الله علي بذلك فكنت كثيرا ملازم الاستخارة في كل شؤوني، والإعراض عما هو من قبيل الطيرة[6] وما شاكل ذلك من الاهتبال[7] بالمَرَائي الموحشة، بحيث لم ألتفت إلى شيء من ذلك بالكلية، فلم أر من الله في كل أحوالي إلا خيرا، وإن خفي عني ذلك في بعض الأحيان؛ اعتقدته حتى يبدو لي ما أراد الله إبداءه من ذلك. فلله الحمد على ما أنعم، والشكر له على ما ألهم، وهو المسؤول أن يتم نعمته علينا، ويديم إحسانه إلينا، إنه سميع مجيب. ورجع كل واحد من أصحابنا لوطنه راجين السفر في العام المستقبل.

ولما كان عام عشرين ومائة وألف(1120هـ)، أتانا كتاب من الأمير ومن أصحابه وأرباب دولته، مع بعض أصحابنا، يخبر فيه: "إنكم إن عزمتم على التوجه للحرمين الشريفين، تفاوضوا في ذلك مع ولدنا فلان، فإنه وارد عليكم عاملا، وما اتفقتم عليه فأعلمونا به ولا يكون إلا خيرا". ولم يؤثر كلامه ذلك في عزمي، ولا زاد

---

(1) سورة البقرة بعض الآية:214، وتتمتها:" كتب عليكم القتال وهو كره لكم، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم، والله يعلمُ وأنتم لا تعلمون."

(2) "ع ": طابت نفسنا.

(3) "ح2": في الصحاح.

(4) "ت": ورأيت والأرجح ما أثبتناه.

(5) "ف": لهم، والأرجح ما أثبتناه.

(6) الطيرة والطيرة بتسكين الياء: التطير وهو ما يتفاءل به أو يتشاءم منه(مادة: ط– ا– ر، لسان العرب). العرب).

(7) الاهتبال: من اهتبل أي حزن، ينظر اللسان مادة (هـ – ب– ل).

في قوتي إلا الرجوع والتفويض لمن له الأمر كله سبحانه. وأما أصحابنا فسروا بذلك طمعا في السفر مع خُدُوشة[1] في وجه ذلك الطمع. ولما حان وقت السفر، ورد علينا ولده. وذكر أن والده صرح له بعدم السفر لأوجه تخيلها، وأوهام انتحلها، لم يكن من ذلك شيء، ولا له دفءٌ [136- أ] ولا رِدْءٌ. وإنما هي تسويلات نفسانية، ووساوس[2] شيطانية. فانحلت من الناس عُرى العزم أيّ انحلال، واضمحل من خواطرهمُ السفرُ أيّ اضمحلال، وما طمعوا أن[3] ذلك يكون عن قريب، بل هو عندهم أغرب من غريب. ولم أزل في ذلك كله شديد الاعتناء بالاستخارة، طاويا كشح[4] الاستشارة، معتقدا حصول المطلوب، على الوجه الأكمل والمرغوب، ثقة بالله وما عودني من ألطافه، و{ما}[5] عرفني من عوارفه.

ذكر ابتداء التهيؤ للمسير
ورفع العوادي والموانع في الأمر اليسير

ولم يزل دأبي كذلك[6]، مفوض الأمر لله كما قيل: (رمل)

فَوِّضِ الأَمْرَ إِلَى مَنْ حُكْمُهُ نَافِذٌ، فِي كُلِّ وِرْدٍ وَصَدَرْ
وَإِذَا نَازَعَكَ الْوَهْمُ، فَقُلْ كُلَّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرْ

إلى عام أحد[7] وعشرين (1121هـ) [في شهر جمادى الأولى][8]، هبت رياح الرحمة من حيث لا أحتسبها، ونفحت نفحات من كرم الله من باب لا فيه أرتقبها، فارتفعت الموانع قهرا، وجاء الإذن من الله على يد من كان نهى [عنه][9] دهرا. وركبنا

(1) "ت": خدوشيه والأرجح ما أثبتناه.
(2) "ف": وساويس.
(3) "ع": وما طمعوا في ذلك أن يكون، والأرجح ما أثبتناه.
(4) الكشح: ما بين الخاصرة والضلوع، ويقال طوى كشحه على الأمر: أضمره وستره. وتركه وأعرض عنه. (مادة: ك- ش-ح، لسان العرب).
(5) ساقطة من "ح1".
(6) "ت": ذلك.
(7) "ع" و"ف": إحدى.
(8) زيادة من "ت".
(9) زيادة من"ت" ز"ح1".

وركبنا للتهيؤ كل صعب وذلول، وطبنا أنفسا بمفارقة الأهل والمنازل والطلول[1]. فيسر فيسر الله {في}[2] غالب المحتاج إليه في أقرب مدة، وجعلنا في ذلك الاعتماد عليه فيما تيسر وتعسر[3] أقوى عدة، فوجهت كتابا إلى أصحابنا الذين عندهم جمالنا، وآخر لأصحابنا بسوس ومراكش وتافلالت[4]، وغير ذلك إعلاما لهم بالسفر. فمن مصدق في ذلك، وهو أقل القليل؛ ومن مستريب وهو الجم الغفير. مرتبطين بالعادة، وأن الأمر في ذلك للمانع أولا، وهو لا يأذن. ولم يعلموا أن الأمر لله قبلا وبعدا، وأنه لم يشارَك في ذلك تبارك وتعالى. ولما جَدَّ جِدُّ البَيْنِ، وأزيحت العلل وزالت الموانع بلا مين[5]، عظم فراقنا على كل من له بنا التعلق، وأكثروا في ذلك التضرع والتملق. ولو ولو يعلمون حيلة لتثبيطنا لارتكبوها، ولا بالة إلا نصبوها، محبة في وجوهنا، واستئناسا بين أيديهم بمثولنا[6]. ولم يعلموا أن سفرنا أمثل لهم وأنفع، ودعاؤنا لهم في تلك الأماكن أنجح وأسمع، ولله در القائل[7]: (طويل)

أَحِبَّةُ قَلْبِي لاَ ضِرَارَ وَلاَ ضَرَرْ ... وَلَكِنَّنَا نَرْضَى بِمَا سَاقَهُ القَدَرْ

سَأَنْفَعُكُمْ فِي غَيبَتِي بِالدُّعَاءِ فِي ... مَوَاقِفِ حَجِّي حَيْثُ أَصْفُو مِنَ الكَدَرْ[8]

ولَسْتُ بِنَاسٍ عَهْدَكُمْ وَوِدَادَكُم ... وَإِنْ طَالَتِ الأَيَّامُ وَاتَّصَلَ السَّفَرْ

ولقد نفعتهم أيَّ نفع، ودفعت عنهم مع[9] غيبتي أعظم دفع، وأي نفع أو دفع دفع أعظم من المثول بين يدي سيد الأوّلين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلّم بكرة وعشيا، وغدوة {وسحرا}[10]. استشفع به إلى الله في دفع الأسواء. وإزالة

---

(1) الطلول: ما بقي شاخصا من آثار الديار ونحوها (مادة: ط – ل – ل، لسان العرب).
(2) ساقطة من "ت".
(3) "ف": أو تعسر.
(4) تافلالت: اسم جهة في جنوب شرق المغرب – بمعنى مجمع الماء بالأمازيغية – ينطبق محليا على على واحة واحدة هي التي بين وادي غريس ووادي زيز في منطقة تقارب هذين الواديين. وقد يتوسع في استعمال الاسم وطنيا ليشمل مجموع منطقة وادي زيز. ينظر: معلمة المغرب، ج: 7، ص: 2083.
(5) المين: الكذب (مادة م – ا – ن، لسان العرب).
(6) "ف" و"ح1: مثوانا.
(7) قائل هذا الشعر هو أبو سالم العياشي، ينظر ماء الموائد، ج: 1ص – ص: 8 – 9.
(8) نقيض صفا، ينظر اللسان، مادة: ك.د.ر
(9) "ت" و"ح2": في.
(10) ساقطة من "ح1" و"ف".

الأدواء، وما غفلت عنهم ولا عن أحد من أحبائي {وخالص}[1] أودّائي خصوصا، خصوصا، ولا عن عامة المسلمين وخاصتهم عموما. نسأل الله القبول والتمام، بحسن الختام، إنه ولي ذلك.

[موقف صاحب الرحلة من شعر التوسل]

لطيفة: كنت كثيرا، في خلال هذه المدة[2] أتلو القصائد المجربة؛ لتفريج الكربات ودفع المضرات، بعد الرجوع إلى الله، والاستغناء به عمن[3] سواه. وقد قالوا[4]: "إن للقصائد - خصوصا إذا كانت عن حضور قلب - أثرا عظيما في تفريج الكربات، ونيل الرّغبات[5]، أعظم من أثر الأوفاق والدعوات، وترتيبها في الخلوات. وقد جرب ذلك فظهر صدقه. ولا يبعد أن يكون لترتيب الألفاظ على وزن مخصوص ينشرح معه الصدر للتضرع واللّجإ[6] إلى الله تعالى، ويقوى معه الرجاء في حصول المطلوب، خاصية[7] في تسهيل المقاصد. وأغرب من ذلك ما رأيته في بعض بعض التقاييد بعد قول الشاعر: (طويل)

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ سُعْدَى أَزُورُهَا ... أَرَى الأَرْضَ تُطْوَى لِي وَيَدْنُو بَعِيدُهَا

مِنَ الخَفِرَاتِ[8] البيضِ وَدَّ جَلِيسُهَا ... إِذَا مَا انْقضَتْ أُحْدُوثَةٌ لَوْ تُعِيدُهَا

---

(1) ساقطة من "ع"
(2) "ت" و"ف": كنت في خلال هذه المدة كثيرا.
(3) "ف": عما.
(4) القائل أبو مهدي عيسى بن محمد الثعالبي، كما في التقاط الدرر، ج: 2، ص - ص: 179 - 180
(5) "ع": المرغوبات.
(6) اللّجأ: المعقل والملاذ، (مادة: ل - ج - أ، لسان العرب).
(7) "ع": خاصة، والأرجح ما أثبتناه.
(8) أجمع خفرة كنبقة: المرأة الكثيرة الحياء، فلا ترفع البصر إذا وجه إليها النظر، وبين قوله بعيدها وتعيدها جناس التصحيف، والأحدوثة بالضم: الحديث، وللبيتين حكاية ظريفة مشتملة على الآداب شريفة استوفاها في زهر الأكم] هذه الزيادة في حاشية الورقة 4 من "ت"، وجزء منها في طرة الورقة 8 الجزء الأول من النسخة "ف".

قال ابن عديس، رحمه الله: "إن هذا الشعر ما قيل في طريق إلا سهلت، ولا مكان مخيف إلا أمن فيه، ولا مجاعة إلا و[قد][1] حصل الشبع، ولا معطشة إلا وحصل الري، وذلك لخاصية في حروفه، وهو ما سمع من كلام العرب.

قال: "ومن هذا المهيع أن هذا الشعر الآتي ما قيل ثلاث مرات في ضائقة إلا {و}[2] فرج الله عن قائله، وهو: (الرجز)

كَم حاصَرَتْنِي[3] شِدَّةٌ بِجَيشِهَا وَضَاقَ صدْرِي مِنْ لِقَاهَا وَانْزَعَجْ

حَتَّى إِذَا أَيِسْتُ مِنْ زَوَالِهَا جاءَتْنِيَ الأَلْطَافُ تسْعَى بالْفَرَجْ[4]

انتهى ذكره. الإمام أبو سالم في رحلته قال: "قلت وما ذكر من كون الخاصية في ترتيب الحروف قد ذكر نحوه بعض أهل الطريق في توجيه، كون بعض الأذكار يعزى إليه من الخواص ما ليس لغيره مع اشتماله على ما فيه وزيادة، والله أعلم"[5].

ثم قال: "ظفرت في بعض التقاييد بسر من أسرار أسماء الله تعالى: ﴿الكَافِي، الغَنِيُّ، الفَتَّاح، الرَّزَّاق﴾ من لازم ذكر هذه الأسماء، وهو يتمنى شيئا، حصل له بفضل الله"[6].

قال: "ولما عزمنا على المشي، وأخذت في جمع أسباب السفر، وأهمني أمر الرواحل، إذ لم يكن عندنا منها شيء. وضاق الوقت غاية عن[7] السعي في ذلك، وجعلت هذه الأسماء من وردي وأضفتها إلى[8] التهليل، فما مضت لي ثلاثة أيام أو نحوها، من يوم شرعت في ذلك، إلا وقد يسر الله العظيم، ومنح من خزائن جوده الواسعة ما فضل عن الكفاية، ولله في أسمائه أسرار، تضيق عن حملها أسفار[9]، فمن

---

(1) زيادة من "ع".
(2) ساقطة من "ف".
(3) "ت": حاضرتني والصواب ما أثبتناه..
(4) ينظر ماء الموائد، ج/1ص/12.
(5) ينظر نفسه.
(6) ينظر نفسه.
(7) "على" في العياشية.
(8) "ح1": في.
(9) "الأسفار" في العياشية.

لازم هذه الأسماء بصدق، وهو يتمنى مقصودا محمودا شرعا ويسعى في إدراكه، يسره الله له بمنه"[1] انتهى.

وذكر بعض أعلام الأئمة {أنّ من لازم}[2] في شدة، هذه الأبيات إلا فرجت. فرجت. قال: "وقد جرب ذلك فصح وهي: (الطويل)

إِلَيْــكَ رَسُــولَ اللهِ أَشْــكُو نَوَائبــا   مِــنَ الــدّهْرِ لاَ يَقْــوَى بِهَــا مُتحَمِّــلُ

وَإِنِــي لَأَرْجُــو أَنَّهــا بــكَ تَنْجَلــي   لأَنَّــكَ لِــي جــاهٌ وَحِصْــنٌ ومعْقــلُ

ولو تتبعنا هذا لخرجنا عن الغرض، فلنرجع إلى تعداد المراحل، وذكر ما يعرض فيها من الفوائد والنوازل.

(1) ينظر نفسه، ص/12 - 13.
(2) ساقطة من "ع".

ذِكْرُ خُرُوجِنَا مِنَ البَلَدِ وَمُفَارَقَةِ الأَهْلِ وَالإِخْوَانِ مُسْتَمْطِرِينَ مِنَ اللهِ المَعُونَةَ وَالمَدَدَ

خرجنا من الزاوية الناصرية، عمرها الله تعالى بالعلم والعمل واتباع السنة إلى يوم القيامة، والعجلة لنا حادية، وعناية الله هادية، يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الأولى عام أحد وعشرين ومائة وألف. وتوخينا[1] ذلك اليوم رجاء بركة قوله صلى الله عليه وسلم: "اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا يَوْمَ الخَمِيسِ."[2] وقد برزنا صبيحة ذلك اليوم بإخراج الأهل والأثقال، وأخرنا نحن الخروج حتى صلينا العصر[3] ليكون سفرنا مبتدئا بأداء فريضة الله - بعد أن زرت الوالد والوالدة والأشياخ في القبة - اغتنام بركتهم - وودعتهم، والأهل والأخوات والخدم[4] والحشم، وأودعتهم الله الحفيظ وأودعوني، وقرأت من الآيات[5] والأذكار ما وردت في قراءته عند الخروج من من المنازل الآثار، وجعلت آخر عهدي بالمسجد، وشاهدت بركة امتثال السنة في كل ذلك في المستقبل. ثم خرجنا فبتنا أسيف أزاغ[6]. وتحملنا منه بعد صلاة {الظهر}[7]. وودعنا هنالك كثيرا من الأصحاب، وجملة من الإخوان والأحباب، في في موقف مدّت أيدي الابتهال فيه إلى الله ضارعة، وجأرت ألسن التضرع بالدعاء بقلوب خاشعة، وتوالت الزفرات، وأنفحتها الحسرات، وغبط المقيم الذاهب، وشكر الظاعن[8] الواهب، ومزجنا بحلاوة التوقع[1] مرارة الواقع، وقد يستشفى من بعض

---

(1) "ت": اخترنا.

(2) ضعيف بزيادة لفظ"يوم الخميس"، ينظر ضعيف سنن ابن ماجة للشيخ الألباني، عن أبي هريرة، ج/2 ج/2 ص/752 رقم 2237، ودون"يوم الخميس" أخرجه البخاري في كتاب البيوع.

(3) [ومن عوارف المعارف للإمام السهرودي رحمه الله: ومن السنة أن يرحل الصوفي من المنازل بكرة، بكرة، ويبتدئ يوم الخميس. روى كعب بن مالك قال رضي الله عنه: " قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس، وكان إذا بعث سرية بعث أول النهار " انتهى. وهو أخص مما قاله شيخنا العارف بالله هنا، تغمده الله برحمته ورزقنا متابعة سنته.] هذه الزيادة في طرة الورقة 5 في "ت".

(4) "ت": الخدام.

(5) "ح1": الآية.

(6) مطموسة في "ح2". أسيف أزاغ، عبارة عن واد موسمي يصب في واد دادس، وهو من روافده.

(7) ساقطة من "ع".

(8) "ت": الضاعن.

الأدواء باحتساء السم الناقع. وزاد معنا بعض الإخوان والجيران، ممن هو في تخلفه عنا حيران، [137 – أ] ولم يرجعوا إلا من مسيرة فرسخ[2] أو أكثر، وأفكارهم في أذيال توجعات الفرقة[3] تتعثر، وينشد في ذلك: (الوافر)

أُوَدِّعُكُمْ وَأُودِعُكُمْ جَنَانِي وَأَسْكُبُ أَدْمُعاً مثلَ الجُمَانِ

فَلَوْ نعْطَى الخِيَارَ لما افْتَرَقْنَا وَلكِنْ لاَ خِيَارَ مَعَ الزمَانِ[4]

وربما خطر لي خاطر التلهف على ما تركت من الإخوان، وعنّ لي عارض التعطف عليهم والجيران، وأنشد ممتطيا مطية السلوان، فينطفي ما بي من شعلة الفقدان: (السريع)

إِنَّ الَّذِي وَجَّهْتُ وَجْهِي لَهُ هُوَ الَّذِي خَلَّفْتُ فِي أَهْلِي

لكَوْنِهِ أَرْفَقَ منِّي بهِمْ وَفَضْلُهُ أَوْسَعُ مِنْ فَضْلِي

وقد يعنّ لي العارض بعد المسير، بذكر مراجعة الأهل قبل ذلك بيسير، وقولهم: قد حملتنا من ألم بينك مالا نطيق، {وألزمتنا}[5] ومن شدة نأيك ما عنه نطاق الصبر يضيق، فتمثلت في ذلك واصفا للخاطر، والقلب عن تذكرهم غير صادر، بقول الأول، وعلى الله في ذلك المعوّل: (الطويل)

وَلَمْ أَنْسَهَا يَقْظَانَةَ الهَمِّ فِي الْحَشَا مُبَلْبَلَةَ الأَشْجَانِ[6] وَسْنَانَةَ الطَّرْفِ

تَقُولُ وَقَدْ جَدَّ الرَّحِيلُ: أَهَكَذَا تحَمِّلُنِي ثقْلَ الْفِرَاقِ عَلَى ضُعْفِ

أَتَتْرُكُ أَفْرَاخاً كَزُغْبِ الْقطَا؟ وَمَا رَحِمْتَ بَنِيكَ[7] إِذْ سَلَوْتَ عَنِ الإِلْفِ"

---

(1) "ت": المتوقع.
(2) الفرسخ: مقياس قديم من مقاييس الطول يقدر بثلاثة أميال (مادة ف – ر – س، لسان العرب).
(3) "ف": الفاقة، والأرجح ما أثبتناه.
(4) هذان البيتان منسوبان لمحمد بن نصر بن منصور بن سعد القاضي المتوفى سنة 518 ه في النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج5 ص 228، وفي الوافي بالوفيات ج 5 ص112.
(5) ساقطة من "ت" و"ح2".
(6) هائجة الأحزان، الوقوع في الغم، شدة الهم، ينظر اللسان، مادة: ب – ل – ب – ل.
(7) "ف": ذويك.

فَقلْتُ لَهَا: "كُفِّي المُلاَمَ" وَأَعْرَضَتْ   كَخشْفِ[1] النقَا[2] تسْتَعْرِضُ الدَّمْعَ بِالْكَفِّ
فَوَدَّعْتُهَا وَالقلْبُ منطَبِقٌ عَلَى   أَسَاهُ وَدَمْعِي لاَ يمَلُّ مِنَ الْوَكْفِ[3]
عليْكِ سَلاَمٌ لاَ زِيَارَةَ بَيْنَنَا   مَعَ البُعْدِ إلاَّ أَنْ أَزُورَ مَعَ الطَّيْفِ

نكتة: وفي هذا المنزل نزلنا في حجة[4] عام ستة وتسعين، سادس عشر ربيع الثاني بعيد[5] العصر. وأما في حجة عام تسعة فأخرجنا الأخبية، وشرعنا في السفر بالفعل بعد النية، يوم الأحد الأول من جمادى الأولى، وبنيناها بإزاء الأندر خارج الزاوية. وأخرجنا الزاد وجميع آلات السفر يوم الأربعاء. وأخرجنا[6] سحر ليلة الخميس الخميس الحريم، وخرجنا نحن ضحاه، وقلعنا الأخبية، وكذا في هذه الحجة المباركة. إلا أن خروجنا نحن بعد صلاة العصر -كما ذكرنا لما ذكرنا[7]- وإلى هذا الوادي يشير العم شقيق الوالد، رحمهما الله تعالى ورضي عنهما وعنا بهما في حجته الأولى بقوله: (الطويل)

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً   أَسِيفَ أَزَاغ قَارِئاً[8] مُتَنَسِّكا

يحن إليه، ويتحسر عليه، لقربه من البلد، ودنوّه من مغاني[9] الوالد ومن ولد. ولا غرو أن حب الوطن من الإيمان، وحسن العهد من صريح الإيقان. فبلغه الله من ذلك ما أمّله، وحقق له ما تمناه وساله، ويستحسن أن يضاف لهذا البيت تذييلا، ما يزيل يتمه تأصيلا: (الطويل)

أَبِيتُ وَأُضْحِي قاصداً لِأَحِبَّتِي[10]   وَمَنْزِلِ أَشْيَاخ بِهِمْ مُتَبَرِّكَا[11]

---

(1) خشف خشفا وخشفانا صوت، ينظر ا للسان مادة (خ، ش، ف).
(2) النقا: العظم ذو المخ، ينظر اللسان مادة (ن، ق، ا).
(3) وكف العين الدمع وكفا: أسالته، ينظر اللسان، مادة (و، ك، ف).
(4) [من هنا يعلم أن لشيخنا الإمام العارف بالله ثلاث حجج نفع الله به.] هذه الزيادة من طرة الورقة 6 من من "ت".
(5) "ف": بعد.
(6) "ف": أخرجت.
(7) "ت" ذكرناه.
(8) "ت": أزاغ قارنا.
(9) المغاني: جمع المغنى وهو المنزل الذي به أهله (مادة: غ – ن – ي، لسان العرب).
(10) "ت": لأحبة.
(11) "ع": متباركا، والصواب ما أثبتناه.

وَيَسلُو فُؤَادٌ[1] بِالْوِصَالِ بُعَيْدَ مَا دَهَاهُ عَنا لَوْ لَمْ يُؤَدِّ المَناسِكَا[2]

وكان هذا الوادي دار حجيج بلدنا أول رحلتهم، لقربه من محلتهم، فيلتحق بالركب من معه تأن منا، إلا أن سيدنا الوالد رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة منزله ومثواه، في حجته عام ستة وسبعين[3] وألف قال: "خرجنا من الزاوية قبيل العصر في الثالث عشر من شهر ربيع الثاني يوم الخميس، فبتنا توريرت ن – جلابن."

ولم ينزلوا بهذا الوادي كما هو العادة اليوم وسرنا في كلاءة الله وحفظه، وما منا إلا من أخذ منه ألم الفراق بحظه. ونزلنا المرس أزكزا[4]، بعيد صلاة المغرب لما يثبطنا عن المشي من أسباب الفصل والوصل [137 – ب]، وإن كان في النهار مزيد طول في ذلك الفصل. وفي هذه المرحلة تخلف عنا أحمد بن محمد، ولد أخينا الكبير واختفى، وبما سولت له نفسه في ذلك اكتفى، وبعثت في أثره، ولم أقف على خبره. وتأوهت لذلك وتأسفت خشية أن يفوته ما[5] أردت به من الخير العميم، من الحج والمثول بين يدي سيدنا {محمد[6]}، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. فحوقلت وحسبلت، وقلت: إن يرد الله به خيرا يأت به وتألمت لذلك غاية، وقلت: إن في الله لكفاية، ولم أيأس من الظفر به وتحصيله ما نويته به معتمدا في ذلك على الله.

ثم ظعنا منه، وقلنا الكريمة وبتنا تجمشت، وتحدث أهل الركب أن عامل البلد، ولد الأمير، أتاه الأمر من والده برد جميع من معنا من أهل البلد. فقلت: حسبنا الله ونعم الوكيل، ولم ألق لقولهم بالا، ولم يغيروا مني حالا، ولم أزد على أن حسبلت، وعلى الله في ذلك اتكلت وعولت، ولم نر والحمد لله من ذلك، ما يسوؤنا، كيف وقد جاء في الأثر: "أن من نزل به أمر وأكثر الحسبلة، جعل الله له منه فرجا ومخرجا"، والكتاب العزيز مرشد لذلك[7] بقوله: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَهِ وَفَضْلٍ {لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ}[8]﴾[1] الآية بعد قوله: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ﴾[2]. وقد

(1) "ف": فؤادي.
(2) اختل الشطر الثاني من البيت الأخير، ولعله هكذا: دهاه عناً لو لم يؤد المناسكا
(3) "ت": وتسعين، والصواب ما أثبتناه، لأنه توفي سنة 1085، وتلك الحجة الأولى لصاحب الرحلة.
(4) "ف": أزكز.
(5) "ف": ما به أردت.
(6) ساقطة من "ع".
(7) "ف": إلى ذلك.
(8) ساقطة من "ف".

قالت زينب بنت جحش لعائشة، رضي الله عنهما، في كلام جرى بينهما: "ماذا قلت حين حملك صفوان على جمله" قالت: "قلت: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ فقالت زينب: "لقد وفقت لما وفق له خليل الرحمن حين ألقي في النيران"، وهذا من السر المكنون. فينبغي للمؤمن إذا نابه أمر أن يلجأ أولا إلى الله تعالى في دفعه مخلصا في ذلك، فلا يشوبه نظر إلى حوله وقوته وحيلته وتدبيره فضلا عن حول غيره وتدبيره. ثم يكثر من الذكر المأثور، مستحضرا لمعناه، واثقا بوعد الله، فإنه يرى عجبا". ولقد شهدنا[3] ذلك، وشاهدنا من لطفه تعالى بنا، وتوّليه لنا في كل الأمور، وكفايته لما يعده تعالى له[4] في سالف الدهور، ما لا يخطر ببال، ولا ينال بمثال"[5] {و}[6]، له الحمد والمنة.

وفي هذا المنزل وصل إلينا أخونا ومحبنا الفقير يوسف العطاوي[7] بفرس لنا، رجعت إلى الزاوية حين ظعنا في الدار الأولى لاشتغال الناس بالوداع مع الإخوان، والأصدقاء والخلان.

ثم ظعنا منها بعد الصبح مصحوبين باليمن والبركة، أدام الله لنا ذلك في[8] السعي والحركة، إلى أن جاوزنا فم أكرزي؛ نزلنا ضحاء [في][9] بسيط أفيح أمامه [لإراحة النفس والدواب من بعض النصب لما عسى أن يمسها من التعب][10]، لقرب عهدها من الديار، ولم تسبر وقتئذ على محك التسيار. وأفطر من أراد من الحجاج[11] الإفطار، واشتد على الناس حر النهار. وركبت مطية، أعددتها[12] لذلك رجاء أن

---

(1) آل عمران: أول الآية 174 – والتتمة: ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ، وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾
(2) آل عمران: آخر الآية 173 – وأولها: ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ اَلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾.
(3) "ف" و"ح1": شاهدنا.
(4) "ت": نعده له تعالى، والصواب ما أثبتناه.
(5) ينظر ماء الموائد، ج/1، ص – ص 14 – 15، بقليل من التصرف.
(6) ساقطة من "ف" و"ح2".
(7) "ع": العطوي، والصواب ما أثبتناه.
(8) "ع ": من، والأرجح ما أثبتناه.
(9) زيادة من "ت".
(10) "ع": [لإراحة النفس من بعض النصب، والدواب مما عسى أن يمسها من التعب] والأرجح ما أثبتناه.
(11) "ت" و"ف": الحاج.
(12) "ت": عددتها، والأرجح ما أثبتناه.

تكون وطية، ووجدت [ها][1] غير ملائمة على خلاف ما أردت، وعدت إلى البغلة التي تركت، وعلى إزعاجها وتحريكها صبرت: (الطويل)

دَعــانِيَ أَتْعِــبْ جُثّتــي لِأَحِبّتِــي لعَلـيَ أَنْ أُحظى لَـدَيْهِمْ ببغْيَتِـي

وَأَدْأَبُ فِـي مَرْضَـاتِهِمْ كُـلَّ بِرْهَـةٍ[2] عسَـى أَنْ أَفُـوزَ بَيْـنَهُمْ بالمسَـرَّةِ

ونزلنا ظهرا أم الجران، واستقى الناس من مائها في يمن وأمان، وخيمنا بها وأريحت الأجمال، وأميطت عنها الأحمال، ونشطت للماء والمرعى، وبتنا بها يوم الأحد ولا رأينا بؤسا ولا روعا، مع أن المحل معلوم بالسرقة والاختلاس، إلا من شمر ذيل الاحتراس، وأظلنا الله [تعالى][3] بيمنه، وجميل ستره وأمنه.

ثم ظعنا من تلك الدار، حين كان للفجر انفجار. وسرنا متوجهين للعطشانة، ومررنا على بعض أصحابنا، وفرحوا بمسيرنا ووجهتنا، وأخلوا بنادقهم استبشارا وفرحا[4] بما هم بصدده، واستولى عليهم الطرب وألهاهم عما بهم من النصب، حتى إن أحدهم أخلى بندُقته وبها رصاصة في ورك محبنا الصافي، وصديقنا المصافي، الحاج أحمد بن علي السلاوي صباطة[5]. به عرف. وتأسفت لذلك غاية، ورفعت الأمر لمالكه، وفوضته لخالقه، فحصل من ذلك[6] من لطفه ما لا يخطر ببال، ولا ينال بالاحتيال، فحصلت سلامته من حيث لا ترجى، ودمل جرحه من حيث لا يرتجى [أ - 138].

ووصلنا بها[7] قبيل الظهر، وشد الناس للركايا[8] حيازمهم[9] وحفروها وارتووا وَرَوَّوْا زواملهم، من مائها العذب الفرات، وعدلوا إلى مناخهم [وخيموا][1] في نحر

(1) زيادة من المحقق اقتضاها السياق.
(2) بالضم والفتح القطعة من الزمن.
(3) زيادة من "ف".
(4) "ف": وفرحوا.
(5) "ع": سباطة.
(6) "ف": بذلك.
(7) "ت": ووصلناها/ "ف": ووصلنا إليها.
(8) الركايا جمع ركوة: إناء صغير من جلد يشترى فيه الماء/ الدلو الصغير (مادة ر - ك - ا، لسان العرب.
(9) حيازمهم: مفردها أحزم. يقال: اشدد للأمر حيازمك، بمعنى وطّن نفسك عليه. (مادة: ح - ز - م، لسان العرب).

الظهيرة، متفاوضين في أن يسلكوا الطريق المعتادة أو أن يؤموا الحفيرة، وبالعطشانة ما يقوم[2] أَوَدَ[3] الإبل من الماء والكلإ، وبتنا بها آمنين، ولنعم الله ظهر البطن متعاطين. أوزعنا الله شكرها، ولا عدمنا وفرها.

ثم ظعنا منها صبح الثلاثاء الأخير من جمادى الأولى، وملنا للحفيرة، ذات مياه عذبة غزيرة، وتركنا طريق العادة لشدة الحر وقلة الماء [بها][4] وجذب أراضيها، لكثرة المارة[5] بها. وفي حجة تسع لم نبت بالعطشانة، إلا أنا أفطرنا بها، وتوجهنا للزناتية وبتنا أقصاها. وأضحينا ببئر الطرفاء[6] فوجدنا الأخ سيدي محمد بن الحسن اليوسي[7] تقدم أمامنا وهيأ بقصدنا كثرة الأرز والسمن والسكر فأكلنا منه وكل من حضر، كثر الله خيره وأسبغ عليه نعمه الباطنة والظاهرة، وأطعمه في الجنة من الأطعمة الفاخرة. وسرنا أميالا وتلقانا إخواننا من سجلماسة بجماعة وافرة، ثم ترادف الناس إثرهم أفواجا، وفرادى وأزواجا.

ثم ظعنا من الحفيرة، ومعنا دليلان خريتان[8] ماهران من عرب بني محمد ونزلنا الشُّوَيْرِيفَ ضحاء الأربعاء، وبتنا فيه. واستهل لنا به هلال جمادى الآخرة[9] وأقمنا به يوم الخميس حتى صلينا به الظهر والعصر جمعا، كما هو رخصة المسافر. وارتحلنا، ونزلنا قرب خنيف الطاروس.

---

(1) زائدة في "ف".
(2) "ف": ما يقوم بالإبل.
(3) أود الإبل: يقال: أقام أَوَدَهُ: قوم اعوجاجه، بمعنى ما تحتاجه الإبل من الماء والكلأ (مادة: أ – و– د، لسان العرب).
(4) "ت": زائدة في "ف".
(5) المآر، والأرجح ما أثبتناه.
(6) "ت": الظرفاء، والصواب ما أثبتناه.
(7) الحسن بن مسعود اليوسي: من أشهر علماء المغرب وأقطاب الفكر في النصف الثاني من ق11هـ، تعدت شهرته المغرب إلى المشرق، وله إنتاج علمي يعد من عيون التراث المغربي، تناول فيه جميع الموضوعات والقضايا الفكرية والأدبية والسياسية والدينية في عصره. توفي سنة 1102هـ.
ينظر "التقاط الدرر"(2/258 – 261)؛ "عبقرية اليوسي" (مواضع متفرقة)، للدكتور عباس الجراري.
(8) "ت": حديثان، وفي باقي النسخ خرّيثان. وخِرِّيتَان: (بتاء غير معجمة): من خَرَتَ الأرض أي عرف مسالكها وخفاياها. الخِرِّيت: الدليل الحاذق بالدلالة. وحديث الهجرة: " فاستأجر رجُلاً مِنْ بَنِي الدِّيْلِ هَادِياً خِرِّيتا". (مادة: خ – ر – ت، لسان العرب).
ملاحظة: أدرجت خريتان في النسخ الأربعة بالثاء المثلثة والصحيح بتاء مهملة.
(9) "ت" و"ف": الأخيرة.

ثم ظعنا منه، ونزلنا وتارة ضحاء، وضعف لنا مرحول[1] فنحرناه، وإلى من أتى أتى به من بابه أمره وَكَلْنَاهُ[2]، وكان الله أتى به عند أولاد دليم. وتلقانا إخواننا السجلماسيون: الحاج الحسن الهواري في جماعة أتيحوا المنى[3]، وفازوا من الله بالسعادة ومقبول الطاعة [والمنى][4].

وارتحلنا يوم السبت، وهبت ركابنا[5] لسجلماسة، وحاجة النفس إلى الإلمام بصالحيها ماسة. والتقينا في وجهتنا تلك بجماعة من أهل درعة. وحركوا مني[6] الأشجان، وذكّروني من ورائي من الإخوان، وتذكرت قول من مضى في سالف الأزمان: (البسيط)

سِرْنَا لمَكّةَ[7] لاَ نلْوِي عَلَى أَحَدٍ ... وَلَمْ نُعَرِّجْ علَى أَهْلٍ وَلاَ وَلَدِ

أَسْتَغْفِرُ اللَهَ لكِنِّي رَجَعْتُ لَهُمْ ... شَوْقًا وَأَوْدَعْتُهُمْ لِلوَاحِدِ الصَّمَدِ

{هُوَ الخَلِيفَةُ فِيهِمْ فِي الْمَغِيبِ وَفِي ... حَياةِ يوْمِي وَإِنْ طَالت وَمَوْتِ غَدِ[8]}

وقوله: (الوافر)

وَلمَّا أَنْ حَجَجْتُ جَعَلْتُ أَهْلِي ... وَدِيعَةَ رَبِّ زَمْزَمَ وَالحطِيمِ

فَيَا أَمْنِي علَيْهِمْ فِي رَوَاحِي ... وَيَا فرَحِي بِهِمْ عِنْدَ القُدُومِ

وقوله: (الطويل)

---

(1) مرحول: رحل من المكان: سار ومضى، البعير جعل عليه الرّحْل، فهو مرحول (مادة ر – ح – ل، لسان العرب).
(2) وكلناه: سلّمناه أمره (مادة و– ك – ل، لسان العرب).
(3) "ف": الهنا.
(4) زيادة من "ف".
(5) وهبّت ركابنا: أسرعت ونشطت (مادة هـ – ب – ب، لسان لعرب.
(6) "ت": منا والأرجح ما أثبتناه.
(7) مكة أو بكة بيت الله الحرام، أبدلت الميم باء وقيل بكة، بطن مكة، وقيل موضع البيت المسجد ومكة ومكة ما وراءه، وقيل البيت مكة وما ولاه بكة، وروي عن مغيرة عن إبراهيم قال: مكة موضع البيت وبكة موضع القرية. وقال عمرو بن العاص: إنما سميت ببكة لأنها تبك أعناق الجبابرة. وقال يحيى بن أبي أنيسة: بكة موضع البيت ومكة الحرم كله، ينظر معجم البلدان، ج: 1، ص – ص: 562 – 563.
(8) ساقطة من "ع".

سُرِرْتُ بِقَصْدِي حِينَ سِرْتُ لِطَيِّبَةٍ[1] وَمَا كُل قَصْدٍ فِي الْوَرَى رَاحَ ضَائِعا

فَوَدَّعْتُ أَهْلِي ثُمَّ أَوْدَعْتُ ضُعْفَهُمْ وَعَجْزَهُمُ مَنْ لاَ يُضِيعُ الوَدَائِعا

وَفَارَقْتُ أَطْوَارِي[2] وَأَوْطَانَ لَذَّتِي وَصَيَّرْتُهَا إِذْ سِرْتُ عَنْهَا بَلاَقِعا[3]

أَنَا قَدْ وَكَلْتُ الأَمْرَ فِيهِمْ إِلَى الَّذِي غَدَا لُطْفُهُ فِي سَائِرِ النَاسِ ذَائِعا

فَمَا قَلَقِي مِنْ أَجْلِهِمْ رَاحَ مُجْدِيا[4] وَلاَ شُغْلُ قَلْبِي بَعْدَ ذَلِكَ نَافِعا

وتسلينا عن الكل بما إليه توجهنا، وسررنا بمن[5] إليه وجهتنا، وأنشد متمثلا، وأقول لا مرتجلا: (الطويل)

سُرِرْنَا وَطِبْنَا حِينَ سِرْنَا لِطَيْبَةٍ وَلَمْ نَخْشَ منْ طُولِ المسِيرِ التَّمَادِيَا

وَقُلْنَا اجْتَهِدْ يَا سَائِقَ الرَّكْبِ إِنَّمَا تَهُونُ المَنَايَا إِنْ بَلَغْنَا الأَمَانِيَا

وتوجهنا للإمام الأعظم، والهمام الأفخم، مولانا الغازي[6]. وسار الركب خارج خارج النخل رفقا بالإبل، ودخلنا نحن لزيارة ما[7] لا يسعنا ترك زيارته من أهل ودنا، وصفوة أصفيائنا، كسادات إكوز: سيدي أبي القاسم بن مولود، وسيدي عبد الواحد، ومن انتمى إليهم في تربتهم. وخرجنا بعد قضاء الزيارة وأدائها[8] حقها، [138 - ب] ومزجنا بمحضها مذقها[9]. تلقانا سيدي[1] مسعود بن البكري صاحب

---

(1) طيبة: بالفتح ثم السكون ثم الباء موحدة: مواسم لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقال لها طيبة وطابة من الطيب وهي الرائحة الحسنة لحسن رائحة تربتها فيما قيل، والطاب والطيب لغتان، وقيل: من الشيء الطيب وهو الطاهر الخالص لخلوصها من الشرك وتطهيرها منها، وقيل: لطيبها لساكنها ولأمنهم فيها، وقيل: من طيب العيش بها من طاب الشيء إذا وافق، ينظر معجم البلدان ج4 ص: 60.

(2) "ت" و"ح1": أوطاري، ولعل ما أثبتناه هو الصواب لما يتطلبه السياق.

(3) بلاقع: جمع بلقع وهو المكان الخالي من كل شيء، وفي الحديث: " اليَمِينُ الكَاذِبَةُ تَدَعُ الدِّيَارَ بَلاَقِع". بَلاَقِع". (مادة - ب - ل - ق - ع، لسان العرب).

(4) مجديا: مفيدا.

(5) "ف": و"ح2" وسرنا لمن.

(6) [توفي بتافلالت في شعبان سنة إحدى وثمانين وتسعمائة كما في الابتهاج.] هذه الزيادة في حاشية الورقة 9 من "ت".

(7) "ف": من.

(8) "ت" آدابها، والأرجح ما أثبتناه.

(9) أعطى الزيارة ما تستحقه من الآداب والاحترام.

صاحب زاوية أكوز [في][2] الوقت مع جملة من أصحابه وإخوته، وبالغوا في النزول عندهم والبيات، وأبينا وانفصلنا بسلامة وعافية، وبركات غير عافية. ومررنا على الولي الأكبر، الإمام الأشهر، أبي الحسن شيخ المشايخ، سيدي علي بن عبد الله، فسلمنا عليه وأدينا للزيارة حقها، وأبدينا خالصها وصدقها، ودعونا الله {تعالى}[3] دعوات، ورفعنا إليه رغبات[4]. وودعناه وركبنا قاصدين مناخ الأركاب، ومخيم[5] الطلاب، من لا يدانيه صديق ولا يوازي، أبا القاسم[6] الغازي، وقصدنا ضريحه، وأي ضريح، الرحب الفسيح. فزرنا مع أصحابنا ومن معنا من أهل مودتنا، وأدعنا له مكنون نجوانا، ومصون شكوانا. وما شككنا في نجح رغبتنا، وإتمام وجهتنا، وقمنا ونيتنا العود إليه، مدة إقامتنا حواليه، وزرنا والده ومن معه في تربته، وسيدي عبد الكريم ومجاوريه في روضته. وفجأت الأجمال، وحللنا عنها الأثقال، وأدخلنا حرمنا[7] دار الأخ الحاج عبيد الزكزوتي، وكان طلب منا ذلك قبل. ونزل الركب غربي تربة سيدي يوسف، وتواردت[8] علينا الإخوان، وترادفت الصفوة والخلان، آل الإمام الغازي ومن بالبلد من أهل المحبة والأخدان[9]. واطمأنت بالركب الدار، واستقر لهم القرار، وانتشروا في البلد يبتغون قضاء أوطارهم، وما بقي من جهازهم لأسفارهم، كل وبغيته، وما اقتضته همته. وبعنا نحن هناك جملا بثلاثة مثاقيل أتى به أخي من الغرب. وأقمنا بها ثمانية أيام في ضيافة الإمام الغازي، ونتعاهد[10] مقامه الشريف طرفي النهار وسحرا، والناس جادون في قضاء الأوطار. [وقام][11] وبالغ المرابطون وأهل المحبة والإخوان، في غاية الإحسان، بما قرت به عين كل إنسان، وأجزلوا

---

(1) "ف": السيد

(2) زيادة من " ت".

(3) ساقطة من "ف".

(4) "ف": ورغبنا والأرجح ما أثبتناه.

(5) "ح1": مهيع – "ف": منبع.

(6) "ت": ولا يوازي، الإمام أبا القاسم.

(7) "ت": و"ف": حريمنا.

(8) والصحيح توارد علينا الإخوان

(9) الأخدان: جمع خدن وهو الصديق/ الصديق في السرّ للذكر والأنثى، وفي التنزيل العزيز، ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالمَعْرُوفِ، مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ وفي التنزيل كذلك﴿وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾.. ينظر اللسان: مادة (خ، ا، د، ن).

(10) "ف": وتعاهد والأرجح ما أثبتناه.

(11) زائدة من "ف".

القرى[1] لحجاج أم القرى، فلم يدعوا خيرا إلا فعلوه، ولا ميسورا إلا بذلوه، من طعام طعام وشراب، وعلف دواب، وغير ذلك - مع كون البلد معها بعض اليبس ومسها من ارتفاع الأسعار ما منه تشمئز النفس. نسأل الله أن يكافئهم عنا بأحسن المكافآت[2]، ويحفظهم دنيا وأخرى من جميع الآفات.

وكنا في كفالة الإمام في نعمة كاملة، ومسرة شاملة، واغتنمنا في تلك الأيام بركة[3] زيارته، وأقمنا لديه بباب الله تعالى متعرضين لنفحاته، نسأله تعالى أن يحشرنا يحشرنا معه في ظل العرش، ويصفي قلوبنا من كدورات[4] الغش. ولقينا من أفاضلها، أفاضلها، مجمع فواضلها، وأمثل أماثلها، وواسطة عقد نبلائها، وزين محافل رؤسائها، وأنموذج علمائها، جامع الشرفين، وطيب الطرفين، مولانا الشريف بن عمر، فواسى بالنفس والمال، واستمال منا القلب فمال، فجزاه الله عنا أحسن الجزاء، ووقاه سائر الأرزاء[5]. ولقينا أيضا غيره من السادات[6] الأشراف وأماثل علمائها وغيرهم من سائر الإخوان. وأما الحبيب المصافى، الزلال الصافي، قرة العينين، وملء المقلتين، أبو الحسن، سيدنا وحبيبنا مولانا علي بن عبد الواحد، فوجدناه ذاهبا للغرب، ولم نلقه هنالك، وكنا رجونا صحبته في وجهتنا هذه، وكتب لنا بذلك، وسررنا بذلك غاية ليكون لنا في أمورنا في الطريق عضدا وعونا ويدا، فنعم العضد واليد، ولم يقدر ذلك. وتأسفنا لذلك غاية، وبلغ منا الأسف النهاية، إذ كان خير رفيق، ومن يعتد به في الطريق، وتألمنا لفراقه غاية، ولكن في الله والله الكفاية.

ومدح محبنا الفقيه السيد أحمد الهشتوكي أهل سجلماسة بقصيدة وهي: (الطويل)

جـــزَى اللهُ أَهْـــلَ ســـجْلَمَاسَ بِفضْـــلِهِ

وَإِحْسَـــانِهِ الجَمِيـــلِ فِـــي السِّـــرِ وَالجَهْـــرِ

---

(1) "ف": القِرى وهو الصحيح.
(2) "ف": المكافأة.
(3) "ف": بركات.
(4) "ت": و"ف": كدرات.
(5) الأرزاء: جمع رزء: المصيبة (مادة ر - ز - أ، لسان العرب).
(6) "ف": السادات والأرجح ما أثبتناه

{جَـــزَاهُمْ إِلَـــهُ العَـــرْشِ خَيْـــرَ جزائِـــهِ

لِإِحْسَـــانِهِمْ لِلرَّكْـــبِ وَالقُطْـــبِ ذِي البِـــرِّ}[1]

أُولائِـــكَ أَهْـــلُ الفَضْـــلِ وَالجُـــودِ وَالحِبـــا[2]

وَتعْظِـــيمِ أَهْـــلِ اللّـــهِ وَالعِلْـــمِ وَالخَيْـــرِ

أُولَئِـــكَ قَـــوْمٌ أَظْهَـــرَ اللّـــهُ فَضْـــلَهُمْ[3]

عَلَـــى أَهْـــلِ هَـــذاَ الغَـــرْبِ بالْبَـــدْوِ وَالحَضَـــرِ

وَأشْـــــرَافُهُمْ قَـــوْمٌ كِـــرَامٌ ذَوُوا العُـــلاَ

تَوَاضُـعُهُمْ بَـادٍ لَـدَى العَبْـدِ وَالحُـرِّ [139 – أ]

أُولَئِـــكَ قَـــوْمٌ عَظَّـــمَ الَّلـــهُ قَـــدْرَهُمْ

وَطَهَّـــرَهُمْ فَضْـــلاً كَمَـــا جَـــاءَ فِـــي الـــذِّكْرِ

فَلاَزَاَلَـــتِ الأَيَّـــامُ تَحْمَـــدُ فعْلَهُـــمْ

وَصُـــنْعَهُمُ المَرْضِـــيَّ فِـــي الجَهْـــرِ وَالسِّـــرِّ

وَلاَ زاَلَـــتِ الأَيَّـــامُ تسْـــمُو بِـــذِكْرِهِمْ

وَتَعْظِـــيمِ أَرْكَـــابِ النّبِـــيِّ مَـــدَى العُمْـــرِ

وَحُجَّـــاجِ بَيْـــتِ اللَـــهِ ذِي المَجْـــدِ والثَّنـــا

وَأَهْـــلِ التقَـــى وَالعِلْـــمِ وَالـــدِّينِ والسِّـــرِّ

وَصَـــلَّى إِلَـــهُ العَـــرْشِ مَـــا دَامَ مُلْكُـــهُ

---

(1) هذا البيت ساقط من"ع"و"ف".

(2) صدر البيت ساقط ونقترح تصويبه هكذا: [و] أولائك أهل الفضل والجود والحبا.

ملاحظة: جعلنا همزة القطع في [أهل] وصلية للضرورة الشعرية.

(3) صدر البيت ساقط، ونقترح تصويبه هكذا: [و] أولاء قوم أظهر الله فضلهم.

ملاحظة: أضفنا الواو وحذفنا الكاف للضرورة، والشيء نفسه في صدر البيت السادس.

عَلَـــى أحْمَـــدَ المَبْعُـــوثِ لِلْعَبْـــدِ وَالحُـــرِّ

وَآلــــــهِ وَالأَزْوَاجِ ثُـــــــمَّ صِـــــــحَابِهِ

ذَوِي الفَضْـلِ وَالإِحْسَـانِ فِـي العُسْـرِ وَاليُسْـرِ

وزرنا بها، عام تسعة مع من تقدم ذكرهم، مولانا عليا الشريف في جماعة من أصحابنا، ومولانا أبا زكرياء، ومقبرة سادانا الأشراف، نفعنا الله ببركاتهم، وملأ قلوبنا بمحبتهم، ورزقنا اتباع جدهم، صلى الله عليه وسلم آمين.

وأما هذه الحجة، فما زرنا غير من ذكرنا أولا من سيدي الغازي وشيخه وأصحابه بأكوز لضيق الوقت وضعف البنية، وفيهم - والله - أي غنية، وتمام الأمنية، وما تركنا زيارة غير من ذكر رغبة عنهم، ولكن لما ذكرنا، والله يعلم الجنيات. ومن جملة من قام معنا بها في قضاء حوائجنا محبنا الحاج أحمد بن يحيى التجموعتي، وبالغ في الإحسان، بحسب الإمكان. والله يتقبل منه ويبارك له ويسبل عليه ستره العميم، ويحسن عاقبته في الأمور كلها ويجيره من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، ويوالي عليه نعمه الوافرة، آمين، {آمين}[1].

وفي هذه الأيام، ورد علينا بعض أصحابنا بطرف من زاد، كنا تركناه بدارنا بالزاوية، وبعث لنا[2] وكيلنا سيدي عبد العزيز به مع بعض خدام الزاوية، والمحب[3] الفقير يوسف العطوي[4]، وأمة لنا كانت رجعت خارج الزاوية بعد أن خرجت بنية الحج، اكتفاء بما معنا من أمتين غيرها. ثم بدا لنا أن لا بد من ثالثة لعجز اثنتين عن القيام بضرورياتنا، وكتبنا لأهلنا بالزاوية أن يبعثوا من يرونها أهلا لذلك. وأبى الله أن يأتي[5] إلا بالتي رجعت قسرا، وردت كرها وقهرا. وعلمت لذلك صدق نيتها في وجهتها. والله يصلح الجميع، وبها أيضا ورد علينا الشريف الحسيب، مولانا الحبيب {نجل الحبيب}[6]، مولانا العربي بن مولانا أحمد بن يوسف، وكنا ودعناه راجعا، ثم

---

(1) ساقطة من "ف".
(2) "ح1": بعثنا، والصواب ما أثبتناه.
(3) "ت": والمحبة والأرجح ما أثبتناه.
(4) "ت": العطاوي.
(5) "ف": التي.
(6) ساقطة من "ح1" و"ف".

لحق بنا متابعا. فالله يكمل مرغوبه، وينجح مطلوبه. واشتغل الناس لما أيسوا من الجمالين بشراء الرواحل، واتخاذ الزوامل.

ثم ظعنا من هذا المنزل يوم السبت، عاشر جمادى الأخيرة، ونزلنا ما جن الغرفة[1]، وورد علينا به – من جاء به الله – الدليل الجابوصي مع جماعة من أهله يطلبون الكراء، قادمين من الغرب، لما ورد عليهم كتاب بعثناه لمن هنالك من الكرائين، وتكاثروا[2] مع الحاج. وخف بعض ما بالناس من القلق من أجل الكراء، وأقمنا به الأحد والاثنين والثلاثاء. وورد علينا يوم رحيلنا رسول سيدي حمزة العياشيّ يخبر أن جماعة من أيت عياش وأيت وفلا وافدون[3]، يريدون الحج. وأتى الله {تعالى}[4] ببعير على أيديهم، وبلغونا بالغرفة. واشترينا هناك خيمة للخزانة بخمسة عشر مثقالا من بعض مرابطي أهل مدغرة، أولاد سيدي عبد الله بن عمر.

لطيفة: وجدنا بسجلماسة في حجة سنة ستة وتسعين كتاب الأذكار للمديوني: وهو كتاب جليل، كبير حفيل، وضبط سيدنا أبا الحسن الشاذلي بضم الذال المعجمة وعبارته: "الشاذلي بضم الذال المعجمة، وهو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطّال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين، ونفعنا بهم آمين". ورأيت كَتْبَ ذلك هنا لكوننا لا ننطق به إلا بكسر الذال المعجمة، وللتبرك به وبأسماء آبائه. وفي الكتاب المذكور أيضا ما نصه:

"ومما ينبغي اجتنابه حرق قشر البصل والثوم، والنوم على الوجه، [139 – ب] وكنس البيوت بالليل، وكنسها بالخرقة، وترك الكناسة في البيت، وغسل اليد بالطين والنخالة[5]، والجلوس على العتبة وهي التي يوطأ عليها، والاتكاء على أحد زوجي الباب، والتوضؤ في المدر[6]، وخياطة الثوب على البدن، وتجفيف الوجه بالثوب،

(1) ماجن الغرفة: قرية تقع شرقي واد زيز، مقابلة لتابوعصامت.
(2) "ت": وتكارى، والأرجح ما أثبتناه.
(3) "ع": وافدين، والصواب ما أثبتناه.
(4) ساقطة من "ف".
(5) النخالة: ما بقي من الشيء بعد نخله وغربلته وتصفيته (مادة: ن – خ – ل، لسان العرب).
(6) "ت"و"ف": في المئزر، والأرجح ما أثبتناه.

وترك اليد على الخاصرة، والبول عريانا، وإسراع الخروج من المسجد بعد صلاة الفجر، والبكور إلى السوق وبطء الرجوع منه، وشراء كسار[1] السائلين، ودعاء الشر على الوالدين، وترك تخمير الأواني، وإطفاء السراج بالنفس، والرمي بالقمّل وهي حية، وغسل القدم باليمين، والبول في الماء الراكد، ولبس السراويل قائما، وغسل الجنابة في موضع البول والنجاسة، والأكل بالأصبعين، وحجامة يوم سابع الشهر، وتكرر[2] العبث باللحية، وقرع الأسنان، وتشبيك الأصابع حول الركبتين، وكثرة تفقيعهما[3]، ووضع الكف على الأنف، وقطع الظفر بالسن، وكشف العورة في وجه الشمس والقمر، واستقبال القبلة ببول أو غائط، والتثاؤب في الصلاة، والبزاق[4] على الخلاء والرّمد[5]، ووضع اليد على الخد بلا وجع وأنت قاعد. ومن أعظم ذلك التهاون بالصلاة، و{التهاون}[6] بما يسقط من المائدة، وترك التسمية على الطعام، وكثرة الأكل والكذب، ولبس نعال الشمال قبل اليمين، والأكل على الطبق المقلوب، ومنع الماء والتخمير والملح والنار. فكل هذه الأشياء تورث الهم والحاجة. فينبغي اجتنابها. والحامل لي على جمع هذه الوظائف حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "مَا مِنْ رَجُلٍ يَتْرُكُ وَرَقَةً مِنَ العِلْمِ إِلَّا تَقُومُ تِلْكَ الوَرَقَةُ سِتْراً بَيْنَه وَبَيْنَ النَّارِ[7] وَإِلَّا بَنَى اللَهُ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ فِي تِلْكَ الوَرَقَةِ مَكْتُوبٍ، مدِينَةً فِي الجَنَّةِ أَوْسَعُ مِنَ الدُّنْيَا سَبْعَ مَرَّاتٍ"[8] انتهى. المراد منه، والله ربنا المستعان، وعليه {الحول}[9] والتكلان.

وارتحلنا يوم الأربعاء، وبالغ أهل الغرفة في إكرامنا، خصوصا الأخ الصادق أبا حفص سيدي عمر، كثر الله خيرهم، ووفر جمعهم. ونزلنا المداكيك وكان معنا أصحابنا الذين أرادوا وداعنا من أهل سجلماسة، وباتوا معنا هنالك. وفي سنة تسع

(1) "ت": كسر.
(2) "ف": كثرة.
(3) "ف": تفرقعها.
(4) "ت": البصاق.
(5) "ف": الرماد وهو الأرجح
(6) ساقطة من "ف".
(7) ثواب من قيد مسألة واحدة من العلم.
(8) لم أجده.
(9) "ت": ساقطة من"ف".

وصلنا قبل هذا المحل الفقيه المسن العالم العلم، الإمام الأعظم[1]، قاضي الجماعة بسجلماسة ونواحيها، سيدي عبد الملك التجمعتي لقصد موادعتنا؛ إذ هو من خلصاء أحبتنا، رحمة الله عليه، ومن أئمة الدين وأبكار الوالد، رضي الله عنه. وله مشاركة في العلوم النقلية والعقلية والأدب وسائر الفنون. وله شرح على " مساعدة الإخوان" لسيدنا الوالد، رضي الله عنه، شرحا لا يأتي الزمان بمثله. وشرحها أيضا سيدي مبارك بن محمد الغرفي صاحب الوالد وتلميذه، رحمهم الله تعالى. والعالم المتفنن سيدي يبورك بن عبد الله بن يعقوب السملالي رحمه الله. وكذلك صاحبنا الفقيه أبو العباس سيدي أحمد بن محمد الهشتوكي. وذكر لي سيدي أحمد بن أبي زيان الغواطي[2] أنه أخذ في شرحها، وأنه بلغ مبحث التيمم[3] والقاضي المذكور، هو هو القائل في مدح الشيخ الوالد، عام رجوعه من حج بيت الله الحرام وزيارة نبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، حجته الأخيرة بروضة القطب السيد الغازي {ما نصّه}[4]: (الكامل)

بسَمتْ ثُغُورُ الزَّهْرِ بِالنَّشْرِ	وَجلَتْ عَبُوسَ الرَّوْضِ بِالبِشْرِ
وَأَلَم طَيْفٌ مِنْ سُعَادُ[5] بَعْدَما[6]	أَصْمَتْ فُؤَادَ الصَّبِّ بِالهَجْرِ
وَتعَلّلَتْ نَفْسُ العَلِيلِ بِوَجْدِها	فَسَرَى الخَيالُ وَكَانَ لاَ يَسْرِي
لَوْلَا العِيَافَةُ[7] لاَ تَسُوغُ تَدَيّنا	لَحَكَمْتُ فِيهِ بِمُقْتَضَى الزَّجْرِ[8]
لَكِنَّ مَا فِي الفَالِ يَكْفِي قُدْوَة	وَالفَالُ شَرْعاً حكْمُهُ يَجْرِي

---

(1) "ت": المعظم
(2) "ت": الأغواطي.
(3) "ع": الشيخ.
(4) ساقطة من "ع" وفي "ف".
(5) صرف الشاعر مالا ينصرف في لفظه (سعاد) للضرورة لاستقامة الوزن.
(6) "ف": بعيدما، وهو خطأ لأنها كسرت الوزن.
(7) العيافة: عافت الطير عيافة: زجرها للتفاؤل والتشاؤم (مادة: ع - ا - ف، لسان العرب). "ت": القيافة، والأرجح ما أثبتناه.
(8) [حاصله الاستدلال بحيوان طائرة أو ماشية أو جمادات من حيث حركاتها أو أصواتها أو أسماؤها أو أو غير ذلك على أمور من الغيب وقعت أو ارتفع، وكان هذا العلم في بني لهب، وكان الواحد يجد الطير واقعة فيزجرها لتطير فإن طارت نظر، فإن تيامنت تفاءل بذلك، وإن تشاملت تطير وبهذا المعنى قيل له على الزجر في زجر الطير] هذه الزيادة في حاشية الورقة 12 من "ت".

وَرَجَاءَ لَيْنُ مَا قَسَا مِمَّنْ جفا ... شأْنُ الأَحِبَّةِ غَابِرَ الدهْرِ

فَاطْلُبْ وَلاَ تَضْجَرْ فَكَمْ مِنْ وَاحِدٍ ... قَدْ فَازَ بعْدَ العُسْرِ باليُسْرِ

وَاسلُكْ سَبِيلَ الهَدْيِ وَاحْذَرْ مِنْ هَوًى ... يهْوِي بِصَاحِبِهِ إِلَى القَعْرِ

فَالحُبُّ فِي غَيْرِ النَّبِي وَآلِهِ ... وَصِحَابِهِ وَالسَّادَةِ الغُرِ [140 - أ]

لاَ يُثمِرُ التَّقْوَى وَلاَ يُجْدِي رِضى ... وَمَئآلُهُ للشَّرِّ وَالخُسرِ

يَا رَبّ بِالمَخصُوصِ مِنْكَ مَحَبَّةً ... بمَوَاهِبِ التَّوْفِيقِ وَالبَرِّ

وَسُلُوكِ مسْلَكِ مِنْ صَفا مِمَّنْ مَضى ... مِنْ رَاهِبٍ أَوْ رَاغِبِ الخَيْرِ

مَا هُوَّ إِلاَّ الشَّيْخُ وَالأُستاذُ مَنْ ... لاَجَتِ معارِفُهُ مِنَ الحصْرِ

{مَوْلاَيَ نَجْلِ النَّاصِرِ المُمْتَازِ مِنْ ... بَيْنِ الوَرَى بِالفَتْحِ وَالنَّصْرِ}[1]

شَيْخُ الطَّوَائِفِ مَغْرِبا [أَوْ][2] وَمَشْرِقاً ... حَدِّثْ وَلاَ حَرَجٌ عنِ البَحْرِ

أُمْنُنْ عَلَيَّ بِتَوْبَةٍ مِنْ[3] خَشْيَةٍ ... محْفُوفَةٍ بِعَزَائِمِ الصَّبْرْ

وَبِحَجَّةٍ مَبْرُورَةٍ فِي صُحْبَةٍ ... لِمُحَمَّدِ بْنِ النَّاصِرِ[4] الحَبْرِ

هادِي[5] الرَّكَابِ إِلَى النَّبِيِّ مُحَمّدٍ ... المُصطفَى المُختَصِّ بِالذِّكْرِ

المُقْتَفَى المَنْعُوتِ فِي الكُتبِ الّتِي ... نَزَلَتْ عَلَى الأَرْسَالِ بِالبِرِّ

المُنْتَقَى مِنْ عُنْصُرِ الأَعلَيْنِ مِنْ ... كعْبٍ وَمِنْ فِهْرٍ وَمِنْ مضْرِ[6]

مِنْ أَنْقَذ اللَهُ العَوَالِمَ كلَّها ... بِسِرَاجِهِ مِنْ ظُلْمَةِ الكُفْرِ

---

(1) هذا البيت ساقط من "ت" و"ح1".
(2) زيادة من "ح1": والصواب ما أثبتناه لاستقامة الوزن.
(3) "ف": عَنِ.
(4) "ح1": ناصر، والصواب ما أثبتناه.
(5) "ح2": الهادي، والصواب ما أثبتناه.
(6) "ح2" و"ت": نضر/"ف": من مُضْرٍ ومن فَهْرٍ.

مــــنْ أَذْعَنَـــتْ وَتَضـــاءَلَتْ لِظُهُـــورِهِ كــــلُّ المَقَـــاوِلِ[1] مِـــنْ وَرَا النَّهْـــرِ

مَـنْ سَبَّحَتْ فِـي كَفِّـهِ الحصْبَاءُ، مَـنْ جـــاءَتْ إِلَيْـــهِ غَزَالَـــةُ القَفْـــرِ

الخــاتَمِ المنْصُـــورِ بِالرُّعْـــبِ الَّـــذِي يغْشِـــى العـــدُوَّ مَسِـــيرَةَ الشَّـــهْرِ

مَــنْ لاَ أَعُــدُّ وَلَــوْ عَــدَدْتُ كَوَاكِبــاً خَضْــرَاءَ مَـــا بِيَدَيْــهِ مِـــنْ سِـــرّ

سِـــرُّ الوُجـــودِ وَعَيْنـــهُ وَضِـــيَاؤُهُ مِنْـــهُ ضِـــيَاءُ الشَّـــمْسِ وَالبَـــدْرِ

يَـــا رَكْبَـــهُ يـــا وَفْـــدَهُ نَاشَـــدْتُكُمْ[2] بِاللَّـــــهِ أَنْـــــتُمْ رُقيَّـــــةُ تِبْـــــرِ

فَـــارْقوا عُبَيْـــدًا طالَمَـــا قَعَـــدَتْ[3] بِـــهِ أَمـــــارَةٌ بالســـــوءِ وَالنُّكـــــرِ

وَادْعُـــوا لَـــهُ فَـــدعَاؤُكُمْ متَقَبَّـــلٌ بِـــــالقَهْرِ لِلشّـــــيطَانِ وَالقَسْـــــرِ

كَـــمْ ذَا يؤَمِّـــلُ أَنْ يَحُـــجَّ وَيقتَـــدِي مَـــعَ طَـــائِفٍ بِالبَيـــتِ وَالحجـــرِ

وَيَمِيـــلُ بَعْـــدُ لِطَيْبَـــةٍ يَـــا طِيْبَهَـــا طابَـــتْ بِخَيْـــرِ الرُّسْـــلِ وَالنُّـــذْرِ

فَيَصُـــدُّهُ مَهْمـــا يُرِيـــدُ تَوَجُّهَـــا ذَنْـــبٌ وَأَنُّـــهُ مُثْقِـــلُ الظَّهْـــرِ

يَـــا رَبُّ بالمُختَـــارِ وَالرَّكْـــبِ الَّـــذِي قَـــدْ خَـــفَّ مِـــنْ ثِقْـــلٍ وَمِـــنْ وِزْرِ

وَبِمَـــنْ تَـــرَاهُ مرَاقِبـــاً لَـــكَ خَاضِـــعاً أَوْ ضَـــارِعاً فِـــي البَحْـــرِ وَالبَـــرِّ

أَصْـلِحْ فَسَـــادِي وَامْحُـــوَنَّ خَطِيئَتِـــي وَاسْـــتُرْ علَـــيَّ بِأَجْمَـــلِ السِّـــتْرِ

وَانْهَـــضْ بِعَبْـــدِكَ لِلْمَعَـــالِي دُونَمـــاَ رَيْـــثٍ[4] وَفُـــكَّ عَنَـــاهُ مِـــنْ أَسْـــرِ

وَاجعَـلْ شَـفِيعَهُ فِـي القِيَامَـةِ أَحْمَـداً وَهْـــوَ الشَّـــفِيعُ بِمَوْقِـــفِ الحَشْـــرِ

مَـــوْلاَيَ يَـــا بْـــنَ نَّاصِـــرِ يَـــا قُـــدْوَتِي هنَّتْـــكَ قافِيَـــةٌ مِـــنَ الشِّـــعْرِ

---

(1) المقاول: جمع مِقوَلٌ، يطلق على ما يردد من الكلام (مادة: ق – و– ل، لسان العرب).
(2) "ح2": نشدتكم والصحيح ما أثبتناه لاستقامة الوزن.
(3) "ف": رقدت.
(4) ريث: تأخر، بطء (مادة ر – ا – ث، لسان العرب)..

نطقَتْ وَقَدْ علِمْتُ بِقَوْلِكَ[1] سَالِمًا هَـــذَا أَوَانُ الحَمْـــدِ وَالشُّـــكْرِ
وَثَوَابُهَـــا المَرْجُـــوُّ مِنْـــكَ عِنَايَـــةً بِطَهَـــارَةِ الإِحَسَـــاسِ وَالســـرِ
لاَ أَبتَغِـــي عَرَضـــاً وَلاَ وَفْـــراً[2] بِهَـــا مَـالِي وَللْأَعْـرَاضِ وَالـوَفر [140 – ب]
إِنَّ الحَقَـــائِقَ فجْرُهَـــا الأَسْـــرَارُ مِـــنْ شَـــيخ وَأَنْـــتَ مَطَـــالِعُ الفَجْـــرِ[3]
فَـــاهْتَمَّ بِـــي للّـــهِ وَانْظُـــرْ حَـــالَتِي تُغْنِـــكَ عَـــنْ خَبـــرٍ وَعَـــنْ خُبْـــرِ
فَقَضِـــيَّتِي قَـــدْ شَـــانَهَا الإِهْمَـــالُ مِـــنْ ســـورِ التقَـــى وَنَوَافِـــلِ الخيْـــرِ
وَاصـــرِفْ إِلَـــيَّ هِمَّـــةً قُدْسِـــيَّةً[4] فَأَنَـــا المُسِـــيئُ وَقَـــدْ مَضَـــى عُمْـــرِي
وَالعَبْـــدُ مِنْـــكَ بِنِسْـــبَةٍ بكْرِيَّـــةٍ وَلَأَنْـــتَ أَوْلَـــى مَـــنْ رَعَـــى[5] البَكْـــرِ
لاَغَـــروَ إِنْ تَتْرُكْـــهُ فِـــي أَسْـــرِ الهَـــوَى فَـــالبَحْرُ ذُو مَـــدٍّ وَذُو جَـــزْرٍ
بِـــأَبِي مَحَمَّـــدٍ الّـــذِي أَوْلاَكَ مـــنْ أَسْـــرَارِهِ مَـــا اكْتَنَّـــي فِـــي صَـــدْرِ
وَبِشَـــيْخ عَبْـــدِ اللهِ أَحْمَـــدَ ذِي السَّـــنَا المُـــزْرِي فِـــي ســـنَاهُ بـــالأَنْجمِ الزُّهْـــرِ
وَبتِلْـــوِهِ الأَتْقَـــى أَبِ العَبـــاس مَـــنْ حَـــازَ الفَضَـــائِلَ عَـــنْ ذَوِي الصَّـــدْرِ
وَبِشَـــيْخِهِ الغَـــازِي الإِمَـــامِ المُرْتَضَـــى[6] شَـــيْخ الشُّـــيُوخ وَآيَـــةِ العَصْـــرِ
وَبِنَجـــلِ[7] عَبْـــدِ اللَـــه إِسْـــوَتِهِ عَلِـــي أَكْـــرِمْ بِـــهِ مِـــنْ صَـــالِح بَـــرِّ
وَبِشَـــيْخِهِ المُخْـــتَصِّ بَـــيْنَ ذَوِي العُـــلَا بِالصِّـــيتِ فِـــي الأَقْطَـــارِ وَالـــذِّكْرِ

(1) "ت": و"ح2": بقوْلكَ.
(2) "ح1": وافرا والصحيح ما أثبتناه لاستقامة الوزن.
(3) عجز البيت مكسور نقترح تصويبه هكذا: شيخ وأنت كمطلع الفجر.
(4) صدر البيت مكسور: ونقترح تصويبه هكذا: وَاصْرِفْ إِلَيَّ بِهِمَّةٍ قُدْسِيَّةٍ.
(5) "ف" و"ح2": رعا.
(6) [توفي في شعبان سنة إحدى وثمانين وتسعمائة.] هذه الزيادة من حاشية الورقة 14 من "ت".
(7) [توفي بعد سيدنا الغازي بسنة فوفاته، سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة كما في الابتهاج.] هذه الزيادة من حاشية الورقة 14 من"ت".

ذَاكَ ابْنُ يُوسُفَ أَحمَدُ المَهْدِيُّ[1] مَنْ ... لَمْ يلْتَفِتْ لِلْبِيضِ وَالصُّفْرِ

وَبِشَيْخِهِ زَرُّوقٍ[2] أَحْمَدَ ذِي التُّقَى ... ناهِيكَ مِنْ كَنزٍ وَمِنْ ذُخْرِ

إنَّ الشُّيوخَ كَمَا اللّيَالِي نسْبَةً ... لكِنَّ أَحْمَدَ لَيْلَةُ القَدْرِ

وَبِكُلِّ مَنْ أَبدَى وَأنْهَى سِرَّهُ ... لِلْغَيْرِ حَتَّى منْتَهَى السرِ

[أُنْفِثُ بِرَوْعِي نَفْثَةً][3] تَسْرِ معِي ... وَتهبُ بِي مِنْ حيْثُ لاَ أَدْرِي

وَتَحُثُّنِي للصالِحَاتِ بِهِمَّةٍ ... وَتَحوطِني فِي الطَّيِّ وَالنّشْرِ

وَتَخصُّنِي بِبَصِيرَةٍ وَتدُلّنِي ... لِلَّهِ فِي الإِسْرَارِ وَالجَهْرِ

وَإِلَيْكَ يَا أَملِي انْتِهَاءُ وَسِيلَتِي ... وَشِكَايَةٌ مِنْ مَعْضَلِ الضُّرِ

وَالفَضلُ مِنْكَ بِدَايَةً وَنِهَايَةً ... وَعَهِدْتُ مِنكَ قَبُولَ ذِي العُذْرِ

وَعَسَى اللِّسانُ أَطَالَ فِي تَقْرِيرِ مَا ... فيهِ القَلِيلُ أَدرُّ مِنْ كُثرِ

وَالعُذْرُ أَنَّ الرَّمْزَ لَسْتَ مِنَ أَهْلِهِ ... إِنَّ الإِشَارَةَ مِنْ ذَوِي الأَمْرِ

وفي سنة تسع لما كنا بالماجن، ورد علينا بقصد التوديع جماعة من الإخوان، ومن الفضلاء[4] الأعيان. منهم أيت عياش كسيدي حمزة وقرابته، وعريف قبيلتهم في في جماعته، كما ورد علينا الأخ الأديب، الشاعر لمفلق الأديب، سيدي أحمد بن عبد الكريم نجل صنو سيدي أحمد بن سعيد القاضي المكلدي رحمه الله، ومعه قصيدة رائقة اشتملت على فنون من البديع فائقة.[5] تقبل الله عمله، وبلغه في الدارين أمله، أمله، وأدى ما عليه من الديون وحفظه في كل حركة وسكون، وهي هذه: (الكامل)

مَنْ لِلْكَئِيبِ المُسْتَهَامِ العَانِي

---

(1) [هو أبو العباس سيدنا أحمد بن يوسف توفي سنة سبع وعشرين وتسعمائة]هذه الزيادة من حاشية الورقة14 من "ت".

(2) [توفي أبو العباس زروق سنة تسع وتسعين وثمانمائة.] هذه الزيادة من حاشية الورقة 14 من "ت".

(3) "ح1" و"ح2": اِنْفِثْ بِرَوْعِي نَفثَةً (ويجوز كتابة التاء مثناة ومثلثة في نفت – ينظر اللسان.

(4) "ت" و"ح2" و"ف": الفضائل، والأرجح ما أثبتناه.

(5) "ت" و"ح1": اشتملت على البديع من الفنون فائقة.

مِــنْ فَــرْطِ مَــا يَلْقَــاهُ مِــنْ أَشْــجانِ؟

مُتَــرَدِّداً بَــيْنَ المَعَــالِمِ كَــيْ يَــرَى(1)

أَحَــدًا فَــوَيْحِي مِــنْ خَــلاَءِ مغَــانِ

خَلــتِ الــدِّيَارُ فَمَــنْ إِلَيْــهِ المُشْــتكَى

مِمَّــــنْ تُمَلِّــــكَ مُهْجَــــةَ الهَيْمَــــانِ

لاَ مَــنْ يُجِيــبُ سِــوَى الصَّــدَى بِخِلاَلِهَــا

أَوْ مُقْلَــةٍ تَهْمِــي بِــدَمْعٍ قَــانِ [141 – أ]

وَلَقَــدْ وَقَفْــتُ عَلَــى الطُّلُــولِ مُسَــائِلاً

عَمَّــــنْ عَهِــدْتُ بِــهِ مِــنَ السُّــكانِ

فَأَجَــابَنَي وُرَقَــاءُ الحَمَــامِ هُنَــاكَ قَــدْ

رَحَلُــوا فَسَــلِّ القَلْــبَ عَــنِ جِيرَانِــي

خَلَــتِ الرُّبُــوعُ(2) مِــنَ الأَوَانِــسِ مِثْــلَ مَــا

قَلْــبُ الشَّــجِيِّ خَــلاَ مِــنَ السَّــلْوَانِ

هَــلْ مِــنْ دَلِيــلٍ بِالرَّشَــادِ يَــدُلُّني

بِمَنَــــازِلِ الأَحْبَــــابِ وَالخِــــلاَّنِ

فَــتَكَلَّمَ الرَبْــعُ(3) القَــوِيُّ(4) وَقَــالَ لِــي

مَــــالِي أَرَاكَ تَتِيــــهُ كَــــالحَيْرَانِ

---

(1) "ح2" و"ت": يرا.
(2) قائل هذه القصيدة، هو قاضي سجلماسة، عبد الملك التجمعتي.
(3) الرَّبْعُ: الموضع ينزل فيه زمن الربيع: (مادة: ر – ب – ع، لسان العرب).
(4) "ف": القواء.

ذَهَـــبَ الَّـــذِينَ عَهِـــدْتُهُمْ وَتَعَسَّـــفوا

بِيـــــداً مِـــنَ الأَنْجَـــادِ وَالغِيطَـــانِ

سَـــارُوا وَسَـــارَ القَلْـــبُ فِـــي أَظْعَـــانِهِمْ

مَهْـــلاً بِقَلْـــبٍ سَـــائِقَ الأَظْعَـــانِ

رِفْقـــاً بِمَـــنْ لاَ يَـــأْتَلِي(1) ذَا لَوْعَـــةٍ

فدُمُوعُـــهُ مِثْـــلَ النَّجِيـــع القَـــانِي(2)

يَـــا أَهْـــلَ وُدِّي أَنْـــتُمُ أَصْـــلُ الجَـــوَى

إِنَّ الصَّـــــبَابَةَ فِـــــيكُمُ دَيْـــــدَانِي

إِنِّـــي وَإِنْ عَـــذبْتُمُونِي بِالضَّـــنَى(3)

أَهْـــوَاكُمُ فِـــي الِّســـرِ وَالإِعْـــلاَنِ

حَـــذَّرْتُمُونِي بِـــالتَّجَنِّي(4) كَـــيْ أَرَى

مُتَجَافِيًـــــا وَوِدَادُكُـــــمْ أَغْرَانـــــي

فَلْتَسْـأَلُوا اللَّيْـلَ البَهِـيمَ عَـنِ الكـرىَ(5)

هَـــلْ كَـــانَ يَطْـــرُقُ سَـــاحَةَ الأَجْفَـــانِ

هَـــا مُهْجَتِـــي بِرِحَـــالِكُمْ فَلْتَرْحَمُـــوا

ذُلِّـــي فَطـــولُ صُـــدُودِكُمْ أَضْـــنَانِي

---

(1) يَأْتَلِي: من أَتَلَ: قارب خطوه في غضب. ومشى متثاقلا (مادة أ، لسان العرب).

(2) القاني: لون الشيء: أحمر ((مادة: ق – ن – ا، لسان العرب).

(3) ضَنِيَ، يَضْنَى

(4) الرمي بالذنب، اللسان: مادة: (ج.ن.ى)

(5) تكتب الكرى بالألف المقصورة لأنها مشتقة من كَرِيَ الرجل أي نام (مادة ك – ر – ي، لسان العرب).

فَصِلُوا غَرِيبًا قَدْ تَولَّهَ بِالْهَوَى
فَغَدَا كَئِيبًا بِالصَّبَابَةِ فَانِ
إِنْ كَانَ فِي هَجْرِي رِضَاكُمْ فَاهْجُرُوا
أَحْبَابَ قَلْبِي حَبَّذَا هِجرَانِي
لَوْ قِيلَ لِي يَا بْنَ الهَوَى مَا تشْتَهِي
مِمَّنْ تُحِبُّ لَقُلْتُ: فَرْطَ تدَانِ
وَالسَّاقِي(1) يَسْقِينِي مُدَاماً عُتِّقَتْ
فِي دنِّهَا مِنْ قَبْلِ كُل أَوَانِ
كَانَتْ تُصَانُ لِأَهْلِهَا وَالكَرْمُ لَمْ
تخْلَقْ وَلاَ كَانَتْ بَنُو سَاسَانِ
خَمْرٌ تخَيَّرَهَا(2) السَّرِيُّ وَحِزْبُهُ
أَهْلُ الوِلاَيَةِ مِنْ رِجَالِ الشَّانِ
وَبِهَا ابْنُ أَدْهَمَ طَلَّق الدُّنْيَا فَلَمْ
يَعْبَأْ بِأَزْوَاجٍ وَلاَ وِلْدَانِ
وَبِهَا ابْنُ دِينَارٍ تَولَّهَ(3) فَاغْتَدَى
جَرَّارَ ذَيْلِ التِّيهِ ذَاهَيْمَانِ
وَبِهَا غَدَا النُّورِيُّ فِي أَجَمٍ وَقَدْ
قدَّتْه وَهْوَ يَهِيج كَالسَّكْرَانِ

(1) "ت"و"ح1": والسَّاق.
(2) "ح1": تَخَمَّرَهاَ.
(3) "ف": تَذَلَّلَ.

لاَ يَخْتَشِــــي شُــــرَّابُهَا مِــــنْ لاَئِــــمٍ

كَــــلاًّ وَلاَ يَخْشَــــوْنَ ذَا أَشْــــنَانِ

مَــنْ ذَاقَ مِنْهَــا يَنْتَشِــي وَمَــنِ اغْتَــدَى

رَيَّــانَ مِنْهَــا يُعْــطَ(1) خَيْــرَ جِنَــانِ

خَمْــرٌ بِهَــا كَــانَ ابْــنُ نَاصِــرِ اَلرِّضَــى(2)

يَسْــقِي الصُّــدَاةَ(3) بِكَأْسِــهِ الرَّيَّــانِ

بَحْــــرُ الحَقِيقَــــةِ مَوْجُــــهُ مُــــتَلاَطِمٌ

شَــــمْسُ الطرِيقَــــةِ مَنبَــــعُ العِرْفَــــانِ

كَنْــزُ المُرِيــدِ وَتَــاجُ أَرْبَــابِ التُّقَــى

شَــيْخُ الشُّــيُوخِ الأَوْحَــدُ الصَّــمْدَانِ

مَرفَــــاةُ أَرْبَــــاب السُّــــلُوكِ مُمِــــدُّهُمْ

سَــبَّاقُ أَهْــلِ السِّــرِّ فِــي المَيْــدَانِ

ذُو هِمَّــــةٍ تُرْقَــــى إِلَــــى أَوْجِ العُــــلاَ

فِــي لَحْظَــةٍ مَــنْ كَــانَ ذَا طُغْيَــانِ

كَــمْ مِــنْ بَعِيــدٍ قَرَّبَتْــهُ فَصَــارَ مِــنْ

أَهْــلِ العِنَايَــةِ فِــي أَقَّــلِ زَمَــانِ

حَاشَــا مَدِينَــةٍ طَيْبَــةٍ وَمَدِينَــةَ الـــ

بَيْــتِ الــذِي يَسْــمُو جَمِيــعَ مَبَــانِ

---

(1) "ف": يعطى والصواب ما أثبتناه.
(2) أثبتنا همزة القطع في كلمة (ألرِّضى) بدل همزة الوصل للضرورة الشعرية.
(3) "ف": الصداه وهو الصحيح.

وَالقُــدْسُ لاَ تَنْسَــى {لَــهُ}(1) مَــا يَسْــتَح

ق ففضْـــــلُهُ يغْنُـــــو لَـــــهُ الـــــثَّقلاَنِ

كَــمْ مِــنْ جَهُــولٍ صَــارَ عَــالِمَ وَقْتِــهِ

فَغَـــــدَا وَلِيّـــــا ذَا شُـــــهُودِ عِيَـــــانِ

هَــذَا هُــوَ السِّــرُّ الــذِي كَــانَ الجُنَيــ

دُ بِهِ احْتَظَى فِي غَابِرِ الأَزْمَانِ(2) [141 –

هَــذاَ هُــوَ المَجْــدُ الإِلاَهِــي لاَ كَمَــن

غَـــــرَّ الأَنَـــــامَ بِزُخْـــــرُفٍ فَتَّـــــانِ

هَــذاَ الَّــذِي إِسْــنَادُهُ قَــدْ صَــحَّ عَــنْ

شَــيْخ إِلَــى شَــيْخ إِلَــى العَــدْنانِي

هَــذَا الَّــذِي بَلَــغَ المَشَــارِقَ صِــيتُهُ

وَلِغَرْبِنَــــا بِجِــــلاَهُ(3) بُــــرْدُ آمَــــانِ

هَـــذَا الَّـــذِي زَارَ الطَّرِيقَـــةَ لَـــوْ رَآ

هُ الأَقْـــــدَمُونَ غَـــــدَوْا ذَوِي إِذْعَـــــانِ

بشْــرَى لِدَرْعَــةَ فَــاخَرَتْ كُــلَّ الــدُّنَا

بِضَـــــرِيحِهِ مِـــــنْ شَـــــاحِطٍ(4) أَوْ دَانِ

فاقْصِــدْ فَــدَتْكَ الــنَّفْسُ وَارِثَ سِــرِّهِ الــ

---

(1) ساقطة من "ع".

(2) "ت": زَمَانِ.

(3) جُلاه: جلاَ يجلو جلاء القوم عن الوطن ومنه: خرجوا من الخوف (مادة: ج – ل – ا، لسان العرب).

(4) سابق متباعد منه. اللسان/ مادة: (ش.ح.ط).

مـــوْلَى أَبـــا العَبَّـــاسِ قُطْـــبَ أوانِ

مَـــوْلاَيَ قُطْـــبَ ذَوِي المَعَـــارِفِ أَحْمَـــدَا

مَـــنْ مَالَـــهُ فِـــي عَصْـــرِنَا مِـــنْ ثَـــانِ؟

بَحْـــرًا خِضِـــمّاً مَوْجُـــهُ مُـــتَلاَطِمٌ

وَمَغَـــاصُ(1) دُرِّ السِّـــرِ وَالمَرْجَـــانِ

ذَاكَ الَّـــذِي نُـــورُ الهِدَايَـــةِ سَـــاطِعٌ

مِـــنْ بَـــدْرِهِ الأَسْـــمَى الرَّفِيـــع الشَّـــانِ

ذَاكَ الَّـــذِي يُرْجَـــى لِـــدَفْع مُلِمَّـــةٍ

قَـــدْ أَفْظَعَـــتْ بِتَطَـــاوُلِ العُـــدْوَانِ

مَـــنْ حَـــازَ إِرْثاًمِنْـــهُ بِالتَّعْصِـــيبِ؟ مَـــنْ

يَسْـــمُو بِهِمَّتِـــةِ عَلَـــى كـــوانِ؟

غَـــوْثُ(2) المَشَـــارِقِ وَالمَغَـــارِبِ مَـــنْ لَـــهُ

فَخْـــر عَلَـــى النُّظَـــرَاءِ وَالأَقْـــرَانِ

شَـــيْخُ الشُّـــيُوخِ وَمَـــنْ لَـــهُ خُلُـــقٌ حَكَـــى

زَهْـــرًا تَـــدَانَى كَاقْتِطَـــافِ الجَـــانِي

ذُو السِّـــرِ مِـــنْ آيَاتِـــهِ كَالبَـــدْرِ أَوْ

كَالشَّـــمْسِ فِـــي حَمَـــلٍ وَفِـــي سَـــرَطَانِ(3)

كَـــمْ مِـــنْ كَرَامَـــاتٍ لَـــهُ بَهَـــتْ عُقُـــو

---

(1) "ت": ومعاض.

(2) درجة من درجات الصوفية.

(3) برج في السماء من الأبراج الربيعية.

ل العَـــالَمِينَ بَـــدَتْ بِكُـــلِّ مَكَـــانِ

كَـــمْ مِـــنْ مَعَـــارِفَ يَزْدَهِـــي بِسَـــمَاعِهَا

أوُلُـــوا النُّهْـــي بِتَشَـــنُّف الآذَانِ

كَـــمْ حَضْـــرةٍ فِيهَـــا الكُـــؤُوسُ مُـــدَارَةٌ

لِلْحَاضِـــرِينَ بِهـــا عَلَـــى اسْـــتِيذَانِ

هَـــذَا لَعَمْـــرِي قُطْـــبُ أَهْـــلِ زَمَانِنَـــا

وَلَنَـــا دَلِيـــلٌ سَـــاطِعُ الْبُرْهَـــانِ

لَبِسَـــتْ بِـــهِ هَـــاذِي الـــبِلاَدُ مُـــلاَءَةً

بُشْـــرَى لَهَـــا وَلِسَـــائِرِ الأَكْـــوَانِ

لَكِـــنَّ لِلشَّـــرْقِ افْتِخَـــاراً(1) إِذْ غَـــدَا

نحْـــوَ الحِجَـــازِ مُصَـــاحِبًا بِتَهَـــانِ

بُشْـــرَى لِمَـــنْ يُحْـــدِقْ وَمـــاَ يُحَـــدِّقُ ومَـــنْ

فِـــي الرَّكْـــبِ مِـــنْ عَجَـــمٍ وَمِـــنَ عُرْبـــانِ

يـــا أَهْـــلَ هَـــذَا الرَّكْـــبِ رِقّـــوا لِلَّـــذِي

بِرِحَـــــالِكُمْ بِفُـــــؤَادِهِ الوَلْهَـــــانِ

اللَّـــــهَ فِـــــي هَـــــذَا الكَئِيـــــبِ فَإِنَّـــــهُ

نَـــــاءٍ عَـــــنِ الأَوْلاَدِ وَالأَوْطَـــــانِ

حاشَـــاكُمُ أَنْ تُسْـــلِمُوا مَـــنْ جَـــاءَكُمْ

مسْتَصْـــــرِخًا لِنَوائِـــــبِ الحَـــــدَثاَنِ

---

(1) "ت" و"ع": افتخار والصواب ما أثبتناه.

حَاشَـــاكُمْ أَنْ تَتْرُكُـــوهُ مُوَلَّهًـــا

مَـــا إِنْ لَـــهُ فِـــي النَّائِبَـــاتِ يَـــدَانِ

أَنَـــا جَـــارُكُمْ وَإِنِ انْتَأَيْـــتُ بِمَـــا اقْتَـــرَفْ

تُ فَحَمْلُكُـــمْ(1) أَرْبَـــى عَلَـــى ثَهْـــلاَنِ(2)

جُـــودُوا لِمَـــنْ قَـــدْ أَمَّكُـــمْ يُمْنَـــاهُ يَـــا

أَهْـــلَ العِنَايَـــةِ فَـــالْوِدَادُ كَفَـــانِي

هَـــلْ عَطفَـــةٌ مِـــنكُمْ لِمَـــنْ أَجْفَانُـــهُ

مَقْرُوحَـــةٌ بِالْمَـــدْمَعِ(3) الهَتَّـــانِ؟

هَـــا مِـــدْحَتِي أَرْجُـــو أَنْ تَكُـــوْنَ وَسِـــيلَةً

فَلْتَقْبَلُـــوا مَـــدْحِي عَلَـــى عِصْـــيَانِي

أَنَّـــى يَخَـــافُ المُسْـــتَجِيرُ بِأَحْمَـــدَا

مَـــا يَخْتَشِـــي مِـــنْ ذِلَّـــةٍ وَهَـــوَانِ؟ [142 – أ]

لِـــمَ لاَ وَوَالِـــدُهُ إِمَـــامُ الأَوْلِيَـــا

ءِ الأَتْقِيَـــاءِ السَّـــادَةِ الأَعْيَـــانِ

شَـــهْمٌ إِذَا انْتُهِكَـــتْ لِجَـــارٍ(4) حُرْمَـــةٌ

فَيَصُـــولُ صَـــوْلَةَ ضَـــيْغَمٍ غَضْـــبَانِ

قَسَـــمًا بِمَكَّـــةَ مَـــا لِمَوْلاَنَـــا ابْـــنِ نَـــا

---

(1) "ت" و"ف": فَحِلْمُكُم.
(2) ثهلان: اسم جبل بالحجاز.
(3) "ح1": بالدمع والأرجح ما أثبتناه.
(4) "ت": لجاره والأرجح ما أثبتناه.

صـــرِ الَّـــذِي نَصَـــرَ الشَـــرِيعَةَ ثـــانِ

إِلَّا ابْنَـــهُ وَالمَـــرْءُ يُشْـــبِه عيصَـــهُ(1)

وَدَلِيـــلُ هَـــذَا فِـــي غُصُـــونِ البَـــانِ

كَـمْ مِـنْ مَـرِيضِ القَلْـبِ أَصْـبَحَ نَاشِـطاً

بِدَوَائِـــــهِ مِــــنْ بَعْـــدِ سُــــقْمٍ آنِ

جَمَـعَ الحَقِيقَـةَ وَالشَـرِيعَةَ فَاغتَـدَى(2)

مُتفَجِّـــرًا مِــــنْ صَـــدْرِهِ بَحْـــرَانِ

فَلَنَـــا بِحَمْـــدِ اللهِ مِنْـــهُ سَـــيِّدٌ

ذُو هِمَّـــةٍ تَعْلُـــو عَلَـــى المِيـــزَانِ

ذُو هِمَّـــةٍ تَـــدَعُ القُلُـــوبَ ذَوَاهِـــلاً

هَـــاذِي لعَمْـــرِي هِمَّـــةُ الســـلْطَانِ

وَلِحِلْمِـــهِ كُـــلُّ الحُلُـــوم تَضَـــاءَلَتْ

فَتَـــرَاهُ مُنْعَطِفًـــا لِـــذَنْبِ الجَـــانِي

بَحْـــرُ المَعَـــارِفِ وَالعَـــوَارِفِ مَـــنْ لَـــهُ

سَـــطُوَاتُ لَيْـــثٍ فِـــي ذَوِي العِصْـــيَانِ

فَبِـــهِ نَصُـــولُ عَلَـــى النّوَائِـــبِ وَالـــرَّدَى

وَالـــنَّفْسِ وَالشَّـــهَوَاتِ وَالشَّـــيْطَانِ

يَـــا أَيهَـــا الحَـــامِي الحِمَـــى وَمَـــلاَذَ مَـــنْ

(1) العيص: منبت خيار الشجر ويقال: فلان من عيص بني هاشم أي من أصلهم (مادة: ع – ي – ص، لسان العرب.

(2) "ت": اغتدا والصحيح ما أثبتناه.

يَرْجُــــو النَّجَـــاةَ وَمَلْجـــأَ اللَّهْفـــاَنِ

مـــنْ لِلَّـــذِي وَافَـــى حِمـــاكُمْ ضـــارِعًا

وَذُنوبُـــــــهُ فادَتـــــــهُ بِالأَرْســـــــانِ

قَـــدْ صَـــارَ لِلشَّـــيْطانِ عَبْـــداً طَائِعـــاً

مُسْـــــــتَثْقِلاً لِعبَـــــــادَةِ الرَّحْمَـــــــانِ

متَشَـــكِّياً مِـــــنْ فقْـــرِهِ فَهُمُومُـــــهُ

ضَـــرَبَتْ عَلَيْـــهِ بِكَلْكَـــلِ وِجْـــدَانِي

أَنَّـــى يطيـــقُ عِبَـــادَةً؟ وذنوبـــه(1)

أَنَسَـــتْهُ دِيـــنَ المالِـــكِ الـــدَّيَّانِ

وَلَـــــهُ أُفَيْـــرَاخٌ صِـــغَارٌ عُـــذْرُهُ

لاَ يَقْبَلُـــونَ(2) وَلَـــوْ أَتَـــى بِبَيَـــانِ

هـــا قـــدْ أَتَيْـــتُكُمْ بِمَـــدْحٍ رَائِـــقٍ

بِثَنَـــــــائِكُمْ مُتَنَاسِـــــــبِ الأَوْزَانِ

وَالمَـــادِحُونَ لَهُـــمْ حُقُـــوقٌ سَـــنَّهَا الـــ

مُخْتــارُ فِـــي كَعْـــبٍ وَفِـــي حَسَّـــانِ(3)

كَعْـــبٌ كَسَـــاهُ بُـــرْدَهُ فَغَـــدَا بِـــهِ

جَـــدِلاً(4) مَصُـــونًا فِـــي أَجَـــلِّ صِـــوَانِ

---

(1) "ع" و"ح1": دُيُونُهُ، والأرجح ما أثبتناه.
(2) "ح2": لا يقيلون.
(3) يقصد الشاعر كعب بن زهير، وحسان بن ثابت.
(4) "ح2" و"ف": جدلا والصحيح ما أثبتناه.

سَــأَلَ الأَمــانَ بِــهِ وَصَــارَ(1) مُعَظَّمــاً

بَــيْنَ البَرِيَّــةِ حــائِزاً لِأَمَــانِي

هَامــدْحَتِي لَفَّــتْ حَيــاءً وَجْهَهَــا

وَصَــدَاقُها مِنْــكَ القُبُــولُ الجَــانِي

أَبْغِــي بِهَــا صَــكا تَصُــكُّ أَكُفُّــهُ

فِــي صَــفْحِ وَجْــهِ نَوَائــبِ الحَــدَثانِ(2)

وَبِكُــمْ أَذُوذُ خُطُــوبَ دَهْــرٍ قَــدْ عَتَــا

جُــوراً عَلَّــي وصَــالَ بِالعُــدْوَانِ

وَأَكُــونُ حُــرًّا مِــنْ دُيُــونٍ أَثْقَلَــتْ

ظَهْــرِي فَتَمْحِــى لَفْظَــةَ المِــدْيَانِ

وَأَأُوبُ مِــنْكمْ بِالغَنــاَ(3) وَالعِــزِ وَا

لِــدِينِ المَتِــينِ مُطَهَّــرَ الجنَــانِ(4)

إِنِّــي وَأَوْلاَدِي أَلُــوذُ بِكُــمْ عَلَــى

مَــرِّ اللَّيَــالِي وَجُمْلَــةُ الإِخْــوَانِ

لاَ تَتْرُكُوا الـدَّهْرَ الخـؤون(5) يَنُوشُـني(6)

فَــإِلَى مَتَــى هَــذاَ الزَّمَــان أُعَــانِي؟

(1) "ت": سار.
(2) "ف": الحِدثان، والأرجح ما أثبتناه.
(3) أصله الكلمة الغناء الذي هو الغني وحذفت الهمزة للضرورة.
(4) عجز البيت مكسور ونقترح تصويبه هكذا: وأأوب منكم بالغنا والعز وال دين المتين مطهرا لجناني
(5) "ع": الخُوَانَ والصواب ما أثبتناه.
(6) يتناولني، السان/ مادة: (ن.ا.ش).

فَلْتَنْجـــدُوا ذاَ المُسْـــتَغيثَ بِبَـــابِكُمْ

وَلْتُصْـــلِتوا مَـــوْلاَيَ عَضْـــبَ يَمَـــانِ

فَبِحُرْمَـــةِ المُخْتَـــارِ أَحْمَـــدَ جِئْـــتُكُمْ

مُسْتَشْـــفِعاً يَـــا ســـادَةَ الأَعْيَـــانِ

صَـــلّى عَلَيْـــهِ اللهُ مـــاَ أَهْـــدَى النّسِـــيمُ

تحِيَّـــــةً لأزاَهِـــــرِ(1) الرَّيْحَـــانِ

أَوْ مَـــا شَـــدَا الشَّـــادِي لِفَـــرْطِ هُيَامِـــهِ(2)

مَـــنْ لِلْكَئِيـــبِ المُسْـــتَهاَمِ العَـــانِي

وأقمنا به {يوم}[3] الخميس، ووجدنا سجلماسة في غاية اليسر. والزرع ست[4] موزونات للعوينة [142 - ب] والقمح تسع[5]، والثمر أربع[6] ونصف، والتبر صرفوه بمثقال ونصف وثلاث موزونات، والبعض [و][7] موزونتين وموزونة. واشتريت فرسا لركوب العلام بتسعة عشر [مثقالا][8] غير ربع، وودعنا هنالك من بقي معنا من أصحابنا الذين خرجوا لقصد التوديع والتشييع، وانقطعت أخبارهم عنا وأخبارنا عنهم، وتلاحق بنا من بقي من أصحابنا السجلماسيين، وجمع الله الشمل بهم وله المنة.

---

(1) "ح2": تحية الأزاهير والأرجح ما أثبتناه.
(2) هامَ فلان هُياماً: شغف حبّا بها / وهيم الحبّ فلانا: جعله ذا هيام (مادة: هـ - ا - م، لسان العرب).
(3) ساقطة من "ع"و"ت" و"ف".
(4) "ف": بست.
(5) "ف": بتسع.
(6) "ف": بأربع.
(7) زائدة في "ف".
(8) زيادة من "ت".

ورحلنا {منه}[1] يوم الجمعة ووردنا منهل تلغمت وماؤه عذب لا بأس به، وسقينا واستقينا، وصلينا الظهر، وسرنا، وطلعنا كرب الحماد، وسرنا دفيعة، وبتنا في برد كثير.

ثم ظعنا يوم السبت، وسرنا كذلك في برد كثير، وصادفنا هوى بارد كأنه من نفس جهنم وارد، وسرنا مسرعين، وإلى داعي البين مهطعين[2]، ولم يبق لنا التفات إلى من ورائنا، ولم نشغل بما نحن فيه آراءنا. واستقبلنا أراضي واسعة ومواطن {من}[3] العمران شاسعة لا يهم المرء فيها إلا نفسه، ولا يكون بغير راحلته و[4] عصاه أنسه. أرض لا يجول في فضائها إلا خوافق[5] الرياح، ولا يجترئ على قطعها إلا ذو خف أو جناح.

أرض حرشة وعرة، يغني عن وصفها مالها من الشهرة، لا خصب فيها ولا فلا[6]، ولا ماء إلا {ما}[7] في القرب وإلا فلا، ولا يُرى[8] في وجهها إلا الصلاع[9]، الصلاع[9]، وليس للإبل إلى غيره اطلاع؛ حتى قربنا عقبة واد مسن[10]، رجعنا ذات اليسار، وكان معنا رجل يهدينا السبيل اسمه محمد بن هدان جريري: وأولاد جرير من حميان. وسلك بنا عقبة جيدة، لا عقبة فيها البتة وأسهل بنا، ونزلنا الصَّفَيْصِيفَة قرب العصر، ولم يترك آخر الركب إلى قرب الغروب. وماؤها كثير طيب، وأنشد بعض أهل المحبة في شأن الحماد: (الوافر)

لَـئِنْ طَـالَ الحُمَـادُ فَقَـدْ حَمِـدْنا	بِفَضْـــلِ اللهِ عَاقِبَـــةَ الحُمـــادِ
ســنَبْلُغُ سَـــالِمِينَ وَفضْـــلُ رَبِّـــي	عَلَيْنَـــا كُـــلَّ يَــومٍ فِــي ازْدِيَـــادِ
سَيَحْسُــنُ فِــي التَّنَــاهِي دُونَ رَيــبٍ	كَمَـا قَـدْ كَـانَ أَحْسَنَ فِي المَبَـادِي

(1) ساقطة من"ف".
(2) أهطع:: فلان، نظر في ذل وخشوع، وأهطع في سيره أسرع، ينظر اللسان مادة (هـ، ط، ع).
(3) ساقطة من "ف".
(4) "ف": أو.
(5) الخوافق: الجهات التي تهب منها الرياح، ينظر اللسان مادة (خ، ف، ق).
(6) الفلّ: الأرض لانبات فيها (مادة: ف – ل – ل، لسان العرب).
(7) ساقطة من "ف".
(8) "ع"و"ف": ولا يرمى، والأرجح ما أثبتناه.
(9) الصّلاع: صلاع الشمس حرها (مادة: ص – ل – ع، لسان العرب).
(10) "ع": ولدسن، والصواب ما أثبتناه.

وبتنا بها ليلة الأحد، وظعنا يوم الأحد، وضل الدليل عن الطريق، ووقعنا في عقبة صعبة الهبوط جدا. وقنط الناس، وكادت الأكباد أن يعتريها - مما ظهر لها - انصداع، وليس لهم ولا لإبلهم إلى غير إقدامها اطلاع. وحضر لطف الله، وقاسى الناس من هول النزول فيها ما لا يحمل الحيوان شدته ولا يطيق هبوطا، يكاد الجمل أن يَهْويَ فيه إلى الركبة، وبالغ {في}[1] الناس غاية الكربة؛ هذا مع شدة التزاحم، وكثرة التلاحي والتلاحم، وعدم التعاطف والتراحم، وكَمْ مَرَّ {حَوْلٌ}[2] لا يمُر بها جمل إلا وقع لحينه، وجر لحينه. ولكن شملت العناية الربانية، والبركة المحمدية، فنزل الناس ولم ير أحد [منهم][3] بأسا، ولا لاقى عكسا ولا نكسا؛ وحملنا الهوادج على البغال رفقا بالجمال، ومع صعوبتها هي قصيرة؛ وسرنا بعد أن صبرنا حتى هبط الركب عن آخره، وتاه جل الركب، وسار ذات اليمين، وترك الطريق ذات اليسار، وظننا أن الطريق تجتمع قبل المبيت، ومروا على واد مسن، ونزلنا المريجة بعد العصر، ولم ينزل آخر الركب إلا بعد العشاء، وهي معطن[4]

كبير ملتف الأشجار، قليل الأحجار، كثير المرعى، عذب الماء، غزيره[5]. وشبعت البهائم والإبل بها، وجفلت الخيل والبغال وتفرقت، ورجع منها البعض، وبقيت أربعة عشر فرسا وبغلتان: سبع منها للبداوة، واثنتان منها لمولاي العربي، واثنتان للمرابط سيدي أحمد بن عبد الله، وواحدة لمولانا المامون، وبغلة للحاج محمد بن أبي زيان الحيوني، وواحدة لحاج من تافيلالت. وتبعت البداوة أفراسهم، فردوها. واكترينا اثنين من البداوة بثلاثة مثاقيل، وردوا بغلتين وفرسين لسيدي محمد بن علي الأريزي وأخيه؛ وبقيت الخمسة، وبعثنا الدليل محمد المذكور مع الحاج رمضان الجابوصي، وجعلنا لهما مثقالا لكل واحدة وأعطينا لهما بعيرا حملوا عليه الماء، وأقمنا هناك يوم الاثنين.

وظعنا يوم الثلاثاء، ووجدنا أصحابنا الذين افترقوا عنا، [143 - أ] وصاروا ذات اليمين بعيد العقبة بواد جير[6]، نازلين في انتظارنا، وقد كنا شيعنا لهم رجلا من

---

(1) ساقطة من "ح2".
(2) ساقطة من "ح2".
(3) زائدة في "ت" و"ح1".
(4) معطن: من عطن وهو: مبرك الإبل ومربض الغنم عند الماء (مادة: ع - ط - ن، لسان العرب).
(5) "ت": غزيرة، والصواب ما أثبتناه.
(6) "ت": بواد كير.

سعيد رياح يخبرهم بنا، وبلغناه قبيل الظهر، وصلينا، وسار الركب جميعا. وهو واد أفيح كبير ملتف الأشجار[1]، قليل الأحجار، كثير المرعى، غامض المسعى، تجتمع إليه السيول من المسافات البعيدة، ولا تصل إلا بعد أيام عديدة، وابتداؤه من ناحية بلد[2] أيت عياش، وعليه قرى ومزارع؛ ويمتد كذلك إلى ناحية الصحراء، والعمارة متصلة في جوانبه إلى أن يصل إلى أطراف الحماد الكبير، الذي بينه وبين سجلماسة. فمن هناك تنقطع العمارة إلى أن يصل إلى أول قرى وادي الأساورة، فتتصل قراه كذلك نحوا من عشرة أيام إلى قريب من توات؛ فينعطف يمينا في رمال كثيرة، وهو أطول أودية المغرب مسافة، وأقلها فائدة وأكثرها مخافة. ونزلنا بمسوار[3] الديان قبل المغرب، ولم ينزل آخر الركب إلا بعد العشاء؛ وتلقانا أهل المحبة أهل العين والقنادسة[4] ومغيل وبوكيس وجير[5] وأنوال.

وظعنا يوم الأربعاء {وبلغنا}[6] العوينة ضحى، ونزلنا بإزاء دار الأخ سيدي محمد بن أبي زيان، وأدخلنا[7] مع جماعة من أصحابنا داره، وأطعمنا البسر[8] والكسكس[9] واللحم حتى شبعنا، كثر الله خيره. وعند منزله، اجتمع الحجاج وقدموا وقدموا المحب مولانا العربي بن أحمد يوسف الحسيني على أمور الركب وضرورياته، وما يحتاجون إليه من الجمع والفرق، وكان خير مقدم وخير أمير. ومن هناك وصلنا الدليل بالأفراس الباقية بالمريجة. فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتتنزل البركات، نسأله {تعالى}[10] أن يسدده وأن لا يكله إلى نفسه. وسرنا، ونزلنا بشارا، عند الزوال، على رأس عين مائهم، فإذا هو عين حافل عذب غزير، طيب نمير. وتوضأنا واسترحنا، وارتحلنا إلى علو فوق البلد، ونزل به الركب. وصلينا الظهر وبتنا به، وتلقانا

(1) "ف": بالأشجار.

(2) "ت": بلدة.

(3) "ت": بمسور

(4) "ح2": المقادسة.

(5) "ت": كير.

(6) ساقطة من "ح2".

(7) "ف": ودخلنا.

(8) البسر: تمر النخل قبل أن يرطب: مادة (ب – س – ر) لسان العرب.

(9) "ت": الكسكسو..

(10) ساقطة من " ح1".

أهله أفواجا، فرادى وأزواجا، شيوخا وكهولا وشبانا، ورجالا وركبانا، وأتوا إلينا بفواكه كثيرة، فالله يتقبل منهم.

وظعنا يوم الخميس، وسرنا حتى بلغنا وكدا، وسقينا واستقى من له الحاجة إلى الماء، وبتنا شرقي التوميات وغربي تنفسري.

وظعنا يوم الجمعة، وسرنا حتى بلغنا الزريق. وملنا للماء وسقى الناس دوابهم، وشربوا وملأوا بعض القرب، وماؤه قليل يتبرضه[1] الناس تبرضا. وانحدرنا[2] مع الوادي متبعين لأثر ظنناه مسلوكا لطريق[3] الحاج وتعرضت لنا أودية وأقواز[4]، وعلمنا أن ليس لأحد عليه مجاز، واتبعنا أثر دابة فإذا بها تائهة مثلنا. وحان وقت الظهر وصلينا، وتفرق أصحابنا في طلب السبيل النافذة، ولم يجدوا سوى قُنَن[5] الجبال وتدرعنا جبلا، وأشرفنا عليه، ولاحت لنا أعلام الركب كواكب، ولحقناهم[6]، والحمد لله. وبتنا موضعا يقال له: دار دخيسة.

وظعنا يوم السبت حتى قربنا من أم إلياس تلقانا بعض الأحبة من أهل فجيج من العبيد ومعهم سيدي أحمد بن أبي القاسم البوجدوري، وقِلْنا بأم إلياس حتى صلينا الظهر ولم يزل أهل فجيج يترادفون أفواجا، ويتلاحقون زمرا زمرا، شيوخا وكهولا وصبيانا؛ وأتوا بعنب وبُسر وخوخ كثر الله خيرهم.

ولما صلينا الظهر سرنا ولم يزل أهل فجيج يتلاحقون[7] حتى أشرفنا على البلد، وتلقانا القائد محمد الصغير الدرعي المحرزي، خليفة مولاي[8] عبد الملك بن إسماعيل الإمام – وهو غائب. ونزلنا بمنزل الحاج قرب العصر، وبتنا به السبت وقلنا الأحد لقضاء الأوطار. ووجدنا الزرع به أفضل من تافلالت: ثلاث موزونات للمد – ومدهم على ما أخبرني بعضهم ثلاثة آصُع. وهذا البلد لا يروّج فيه إلا الموزونة[9]

(1) يتبرض الماء: يغترفه كلما اجتمع منه شيء (مادة: ب – ر – ض، لسان العرب).
(2) "ف": اتحذرنا والصحيح ما أثبتناه.
(3) "ح1": بطريقة، والصواب ما أثبتناه.
(4) أقواز: جمع قوز: الكثيب العالي من الرمل (مادة: ق – و– ز، لسان العرب).
(5) قنن: جمع قنة، وقنة كل شيء أعلاه (مادة: ق – ن – ن –، لسان العرب).
(6) "ف": لحقنا بهم.
(7) مطموسة في "ح2".
(8) "ف": مولانا.
(9) [لا يتعامل أهل هذا البلد إلا بالدراهم الخفيفة]. هذه الإضافة في حاشية الورقة 20 من "ت".

الخفيفة، وأما الوازنة فلا. وبه جماعة من أصحاب الشيخ الوالد، نفعنا الله به. آمين. فاشترى الحجاج[1] ما احتاجوا إليه من الأكسية والبرانيس وغير ذلك من الثياب، وأخذ الناس أحمالهم من العرب الذين اكتروهم من تافلالت إلى فجيج، فاتصل كل بما له وافترق الجميع على أيمن طائر. ووجدنا هنالك شرحيْ دلائل الخيرات وتنبيه الأنام للأخ سيدي أحمد بن أبي بكر الشريف الفكوني[2] الفجيجي.

واشتريت الكاغيد[3]، ومكنته للأخ سيدي علي بن محمد {بن أحمد}[4] الراشدي ينسخه، وإلى من قبض الأجرة. [143 - ب] فتقبل[5] الله منه، صنو القاضي سيدي محمد. والقاضي سيدي محمد وجدته غائبا، قبضه مولانا عبد الملك، وأخذ منه مالا، وعزله عن القضاء، وخرج من البلد برأسه، لإراحة نفسه. والقاضي الآن سيدي محمد الصحراوي، وهو من بني ثور على ما أخبرني، وشارح الصغرى من أهله. وقد قدم إلينا مرتين، وأظهر[6] المحبة والوداد، ووالده من أصحاب الوالد، رحمه الله تعالى ونفعنا به. وشارح دلائل الخيرات هذا له منظومة على صغرى السنوسي له معرفة ما بالفروع، خال من العربية. وقد أخبرت عنه أنه ما حمله على الكتب على الدلائل والتنبيه إلا ما وجده من الكتب ميسرة في خزانة سيدي عبد الجبار. ودخلنا هذه الخزانة تبركا في حجة ست وتسعين، واقتداء بسيدنا الوالد، وأطلعنا أولاده على إجازات[7] أسلافهم: سيدي عبد الجبار ووالديه سيدي محمد وسيدي أحمد، ورأيت عندهم كتبا غريبة، وهي إلى الاندثار قريبة. واستأجرنا هنالك رجلا يهدينا الطريق إلى أبي سمغون[8] بمثقال، اسمه محمد بن عيسى أصله من أبي[9] سمغون وسكن بالواد غير. غير.

---

(1) "ح2" و"ف": الحاج.
(2) "ح1": التكوني والأرجح ما أثبتناه.
(3) الكاغيد: ورق الكتابة
(4) ساقطة من "ع".
(5) "ف": تقبل.
(6) "ع": ويظهر.
(7) "ع": إجازة والأرجح ما أثبتناه.
(8) أبي سمغون: أول مرحلة من بلاد المغرب الأوسط.
(9) "ع": بني.

ثم ظعنا منه يوم الثلاثاء ونزلنا وادي درمل بعد الظهر، ولم ينزل آخر الركب إلى بعد العصر، ووجدنا الماء به قليلا إلا أنه يكفي الحجاج، ووجدناه قريب عهد بسيل، بل الماء به كثير، إلا أنه كان فوق الوادي لم يره الناس حتى رحلوا.

ثم ظعنا يوم الأربعاء[1]، وبلغنا أبا رزق، وجلسنا حتى روت الإبل، واستقى الناس الماء، وصلينا الظهر. وبه عين عذبة غزيرة. وعليها نخيل ملتفة وآثار عمارة داثرة[2]. وسرنا ونزلنا قارة الواد غير قرب الاصفرار، ولم ينزل آخر الركب إلى المغرب.

ثم منه، وأصبحنا على البئر الّذي بخنق[3] أُمّ القرار الغربية، وسقينا دوابنا، وسرنا، ولما توسطنا {في}[4] الخنق تلقانا أهل أم القرار الغربية بجماعة، وأكثروا من الخوخ، وأكل كل من حضر حتى شبع وحمل من أراد. وبعثنا البعض إلى الأولاد، وأتوا بالباذنجان[5] وشيء من القرع[6] كثر الله خيرهم آمين. وخوخهم من أجل الخوخ وأطيبه.

وسرنا حتى قرب الظهر، ونزلنا حتى تمكن الوقت. وتوضأنا وصلينا الظهر. واجتمع بالركب بعض من انفصل عنهم من طراق القرية لقضاء أغراض وأوطار لهم. وسرنا وتلقانا بعض من أهل أم القرار القبلية واشتكوا الحمى، وذكروا أنها أضرت بهم كثيرا، ودعونا الله لهم بالعافية الدائمة. وسرنا حتى بلغنا واديا، وكنا طمعنا [في][7] المبيت بوادي القصب، وتلقانا الأخ الأود، السيد محمد بن أبي نوة، وأخبرنا أن الوادي بعيد، وأن هناك بالقرب ماء يقال له: حجاج، يليق بالدّواب. ونزلنا بهذا الموضع وفيه ما تأكل الإبل، وتلقانا أولاد سيدي منصور: سيدي محمد بن أبي نوة وإخوته - سيدي محمد والآخر ضل عني اسمه. وذكر سيدي محمد بن أبي نوة أن والده من أصحاب الشيخ، وأنه وجد لصحبة الشيخ بركة تامة. وأهل تيت وأولاد سيدي أبي دخيل وهم بعين الصفراء. وأتوا بكثرة العنب والسمن والزرع والدقيق

---

(1) مطموسة في "ح2".
(2) "ع"و"ت": دثرة.
(3) خنق: الخانق: الشِّعْبُ الضيق بين جبلين (مادة: خ - ن - ق، لسان العرب).
(4) ساقطة من "ت".
(5) "ح2": بالبادلجال.
(6) القرع: جنس نباتات زراعية من الفصيلة القرعية، فيه أنواع تزرع لثمارها، وأصناف تزرع للتزيين، واحدته: قرعة، وأكثر ما تسميه العرب: الدباء، ينظر اللسان مادة (ق، ر، ع).
(7) زائدة في"ف".

وسبعة رؤوس من الغنم، كثر الله خيرهم وأجزل قراهم[1] وشكر صنيعهم، آمين. وباتوا عندنا بنحو من خمسين نفسا هم وأولادهم.

ثم ظعنا، وسرنا. وبلغنا وادي القصب، ونزلنا وسقى الناس واستقوا. وسرنا، ونزلنا خنق أبي سمغون بعد العصر، وأتيت بعنب لم أر مثله حلاوة وطولا. ومنذ خرجنا من بلدنا لم أر مثل عنبنا إلا هذه البلدة.

ثم ظعنا منه، ونزلنا أبا سمغون[2] قبل الظهر. وتلقانا أهلها على مسافة: خيولا ومشاة، شبانا وكهولا وشيوخا وصبيانا. {وأتوا بعنب}[3]، كثر الله خيرهم، وأضافنا الحاج الشيخ بن المرابط مفتاحي - رحمه[4] الله، صاحب الوالد رحمه الله؛ ونزلنا بداره عام رجوعنا من الحج عام ستة وتسعين وألف - بإناء من طعام عليه نصف شاة لحما، وأناس[5] أُخَر بثلاث أواني، كثر الله خير الجميع. وبهذا البلد ماء عذب غزير طيب، وسميت باسم ربها النازل بها أولا وهو: الولي الصالح سيدي أبو سمغون. وقد دفن وسطها، نفعنا الله به، آمين.

ثم منه يوم الأحد، ثاني رجب. ونزلنا عين مصباح بعد الظهر شرقي الشلالات، [144 - أ] وتلقونا بجماعتهم صغارا وكبارا، وفرحوا بنا غاية الفرح، ومعهم أولاد سيدي محمد بن عيسى، رحمه الله: سيدي عيسى وإخوته، وهم من أهل المحبة التامة. ووالدهم - رحمه الله من أصحاب والدنا. وأضافنا أهل الشلالات بأربع شياه وسمن وزرع، وأعطينا ذلك لمن يستحقه، تقبل الله {ذلك}[6] منهم.

ثم ظعنا منه، وصلينا العصر بعين لاحق، وبتنا برباوات، ونزلنا قرب الغروب، ولم ينزل آخر الركب إلى بعد العشاء. ثم منه، وسرنا دفعة، ووجدنا[7] الركب قد حصر، لما أخبرهم الدليل ألا ماء أمامهم. وتوقفوا. بعض صدق وأراد الرجوع إلى وادي الربوات للسقي، وبعضهم زعم أن الماء يوجد، وأجمع رأيهم على الرجوع

(1) القرى: ما يقدم إلى الضيف، ينظر اللسان مادة (ق، ر، ا).
(2) "ح1": أبو سمغون، والصواب ما أثبتناه.
(3) ساقطة من "ع"
(4) "ف": رحمة، والصواب ما أثبتناه.
(5) "ع": ناس، والأرجح ما أثبتناه.
(6) ساقطة من "ت".
(7) "ت": ووجد.

للسقي. ورجع من أراد الماء، ولم يستقوا قبل من الماء ما يكفيهم. وأقمنا معهم سويعة، وتقدمنا أمامهم إلى بطمة[1] كبيرة ذات أغصان وظل، وانتظرنا الركب تحتها حتى مر بنا بعد تناولهم كفايتهم من الماء. ونزلنا الحديث بعد العصر.

ثم منه، وبلغنا الكراكدة ضحى، وروت الإبل والبهائم وخرج أهلها وفرحوا بنا غاية [الفرح][2]. وأتوا بتين وعنب وسمن وشاة، وأعطينا ذلك [كله][3] لمن يستحقه. وسرنا، وبلغنا الغاسول عصر الأربعاء، سادس رجب آخر غشت؛ وفرح بنا أهلها الفرح التام، أتونا[4] بشاتين، وسيدي عبد الكريم التواتي[5] بتسع شياه وما قسم الله من السمن. وقسمنا ذلك كله للحجاج، تقبل الله ذلك من أربابه. ووجدنا رجلا من الراشدية، من أهل غريس، مع ابنه واسمه: سيدي عبد الله بن سحنون، وابنه سيدي الهاشمي، قاصدين للحج ينتظروننا[6]، رغبة في رفقتنا، كمل الله علينا وعليهم، في جملة جملة أصحابهما وعليهما سمة الخير والطلب، وهم من عملة الترك. واكتريت رجلا من أبي سمغون يهدينا الطريق إلى الأغواط بمثقالين، اسمه: سيدي محمد المختار، وهو طالب يحفظ القرآن، وجال في البلدان، دخل تلمسان[7] والجزائر وحضر وقعة وهران[8]، وسكن بفاس خمس سنين، ودخل مراكش وتردانت[9] وتادلا. وفي حجة تسع نكّبنا[10] هذه الطريق لشدة بردها، وكثرة ثلجها، وكثرة رياحها من الرباوات، وملنا ذات اليمين مع رجل من أولاد سيدي الشيخ، استأجرناه. وكان نزل بنا ليلا من الثلج ما كثر وجل، وثقلت به الأخبية، وغطيت الطرق وظهور الإبل والدواب، وأقمنا له، ولم يزل كذلك إلى الظهر. وعج الناس إلى الله بالدعاء والابتهال والتضرع

---

(1) بطمة: شجر من أربعة إلى ثمانية أمتار أنبت في الأراضي الجبلية (مادة: البطم – لسان العرب).

(2) زيادة من"ف".

(3) زائدة في "ح1".

(4) "ف": وأتَوْا.

(5) لقيه كذلك أبو سالم العياشي في رحلته المشرقية الأخيرة سنة 1072هـ / 1662م بتاكرت حيث استقر بها بعد أن قضا أعواما في مدينة وركلة.ووصفه العياشي بأنه رجل دمث الأخلاق، طيب العرق. "ينظر نفيسة الذهبي معلمة المغرب، ج8، ص: 2609.

(6) " ف": ينتظرونا.

(7) تلمسان: مدينتان متجاورتان مسورتان، بينهما وبين وهران مرحلة، كانت مركزا علميا وحضاريا أيام ملوكها من بني عبد الواد ينظر معجم البلدان ج2 ص 44.

(8) وهران: مدينة جزائرية على ساحل البحر، بينها وبين تلمسان 140 ميلا، ينظر وصف افريقيا، ج: 2، ص: 30.

(9) "ع": تردنت.

(10) نكّب: نكبه الطريق: نحاه عنه (مادة ن – ك – ب، لسان العرب).

إلى أن فرج الله وأدركنا[1] بلطفه. فسلك بنا الدليل طريق الصحراء لسلامتها لما ذكر، ذكر، وتوغلنا في الصحراء ولم نلتق بطريق الجبل حتى نزلنا الأغواط. ثم ظعنا من الغاسول يوم الخميس، سابع رجب - الأول من شتنبر. ونزلنا مخيلف قبل العصر.

ثم منه، ونزلنا قرب شبور يوم الجمعة. ثم منه وأصبحنا على شبور، وأوردنا الإبل والدواب. وهو وادٍ[2] كثير الأشجار والمرعى، طويل. وسرنا بعد أن سقينا من الماء ما نبيت عليه. ونزلنا قبل الاصفرار، ووجدنا غدرانا من الماء، وشربنا وروينا. ثم منه ونزلنا عين الماضي عصر الأحد، تاسع رجب رابع شتنبر، وتلقانا أهلها أفواجا أفواجا، وأقمنا به يوم الاثنين لاستراحة الإبل، وتنعيل الدواب. وعين الماضي أهلها[3] أهلها[3] كلهم طلبة؛ {وجلهم طلبة}[4] علم يقرؤون خليلا[5]، وكبيرهم سيدي أحمد أحمد بن الدهصاء - بالدال المفتوحة وهاء ساكنة وصاد {مهملة}[6] - على وزن حمراء. إلا أنه كبير السن، به علة لا يقدر على المشي إلا راكبا على حمار. وأولاده الثلاثة فقهاء: سيدي عبد الرحمان وسيدي محمد وسيدي زرّوق؛ ومن فقهائهم: سيدي أبو حفص، وسيدي محمد بن عيسى، وصنوه: سيدي أبو القاسم، وسيدي عبد الرحمان بن دلس، وسيدي عيسى بن يحيى، وسيدي بلقاسم[7] ابن عيسى وسيدي عيسى بعكاز[8] مؤدب الأطفال وغيرهم. وهؤلاء امتلأت قلوبهم محبة وصدقا. إلا أنهم سلط الله عليهم مولاي عبد الملك، ومزق أعراضهم، وكسر عليهم الهيبة، وأخذ خزائن الأعراب وسط ديارهم زرعا {وسمنا}[9] [144 - ب] وثمرا، وأخذ عندهم ألف ريال ولم يترك لهم شيئا. وكانوا قبل موقرين ولم يألفوا ذلك؛ وكبر ذلك عليهم، وصبرناهم وصبروا، ورضوا بالقضاء؛ ونساؤهم سارحات كالبهائم كدأب نساء هذه النواحي، وكلمتهم وزجرتهم، ويوم إقامتنا لم تتحرك امرأة بالركب، فالله يتوب علينا وعليهم. وماؤهم طيب بارد، وعينهم خرجت من سفح جبل،

---

(1) "ع": دركنا والأرجح ما أثبتناه.
(2) "ع": وادي، والصحيح ما أدرجناه.
(3) "ح2": أهلهم والصحيح ما أثبتناه
(4) ساقطة من "ح2".
(5) "ف": خليل.
(6) ساقطة من "ع" و"ف".
(7) "ف": أبو القاسم.
(8) "ف": أبو عكاز.
(9) ساقطة من "ع".

ودخلت للجنات. وضيفوا الركب، كثر الله خيرهم. وفي عام ستة وتسعين[1] طلبوا منا منا أن نترك لهم نسخة الغنيمة لوالدنا، لينسخوها. فتركناها لتعم الفائدة. والله يصلح النيات بمنه وكرمه. وهم خلصاء النية فينا وفي غيرنا، تقبل الله أعمالهم، وأصلح أفعالهم. وطلب منا بعضهم الذهاب لبيته[2]، فأسعفناه؛ وذهبنا مع جماعة من أصحابنا، فأطعمنا، جزاه الله عنا خيرا، ووقانا وإياهم والمسلمين ضيرا. ومررت بمسجدهم ودخلت إليه وصليت به سبحة الضحى، تبركا به وبمن صلى فيه {وعلم فيه}[3] من أسلافهم الكرام، وهم - على ما صح عندهم - شرفاء أهل البيت، زادهم الله علما ودينا وعناية وعافية ووقاية.

وهم منعزلون بقريتهم، لا يساكنهم غيرهم؛ وهم عاكفون على قراءة الفقه، ويعظم صغيرهم كبيرهم، وكلهم تفرعوا عن أصل واحد، ولا حسد بينهم ولا تباغض - فيما يبدو لنا - غير أنهم لا يبالون بالحجاب. ترى نساءهم الشواب تبيع وتشتري مع الحجيج غير مستترات. وكلمناهم على ذلك في حجة ستة وتسعين، فقالوا: هذه عاداتنا. ونحن العرب وأهل البوادي، ولا بد لنا من ذلك لقلة ما بأيدينا. وأكبر من هذا: أن نساءهم لا يغتسلن من جنابة ولا من حيض ولا نفاس. وكلمناهم على ذلك، أيضا ولمناهم، فاستعذروا بأن ذلك يضرهن في أرحامهن؛ على أن جماعة ممن يوثق به من أصحابنا قالوا: رأينا نساءهم يغسلن الصوف وسط الساقية الجارية بماء بارد. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، نسأله سبحانه أن يهدينا وإياهم إلى الصراط المستقيم. وأما هذه الحجة فما رأينا لهم امرأة تتعاطى البيع مع الحاج بالركب. وقد كنا قدمنا لهم فخجلوا، والله يوفقنا وإياهم. ولضيق الوقت بنا وإرهاقنا[4] ما أطلنا أطلنا المكث عندهم. ولا دخلنا قريتهم. كما أرهقنا الوقت أيضا عن المرور بميسرة والتبرك بآثار الصالحين الذين مروا بها وسلكوها. وبها مسجد على ربوة، مبنيٌّ بأحجار كبار تحاكي الأحجار المنجورة، باستقامة وليست منجورة، وحوله قبور عديدة وأسفله واد بماء جار، وبإزائه عدة أشجار تين، وهو مفرش بقطائف {جيدة}[5] وحُصُر[1] جيدة، وله نور يعلوه، وبإزائه مطبخ طعام مبني على صورة

---

(1) أي في حجة 1096 هـ.
(2) "ف": إلى بيته.
(3) ساقطة من"ف".
(4) "ت": ولضيق الوقت وإرهاقه لنا، والأرجح ما أثبتناه.
(5) ساقطة من "ف".

بيت، وصحائف وقدور. وقد ذكروا أن السياح ترد إليه من الفيافي لتتعبد به. وأهل تلك الآفاق يعظمونه، لا سيما أهل البادية منهم. وأهل عين الماضي ينكرون زيارته، وقالوا: إن الرحال لا تشد إلا إلى ثلاثة مساجد، وهذا ليس منها؛ وتكلمنا معهم، ولا معتمد لهم في ذلك سوى ما ذكر. فدخلناه وصلينا به وتبركنا به. وأما في هذه المرة فقد راهقنا الوقت، وما أهمنا إلا قطع ما بأمامنا من المسافات.

ثم ظعنا منه يوم الثلاثاء، ونزلنا تجموت ظهرا، وتلقانا أهلها أفواجا: كبارا وصغارا، مشاة[2] وركبانا، وفرحوا بنا غاية، وأظهروا المحبة. وخرج إمامهم سيدي أحمد بن بركة، رجل كبير السن. وأتونا بثلاثة أكباش، وأتى رجل آخر بكبش، وقسمنا ذلك. وهي قرية جامعة لا بأس بها، بها جنّات وبساتين وفواكه. وكنا منعنا من المرور عليها خوفا من الدرياس، نبت يضر بالإبل. وزعموا أنه لا يكون وقتئذ. وصدقناهم إسعافا لمرادهم، فسلم الله.

ثم منها، ونزلنا الأغواط عصرا، ولم ينزل الركب إلى قرب الاصفرار. وخرج أهلهم كلهم كبارا وصغارا، وأظهروا الفرح والسرور، والمحبة والحبور[3]، وسيدي محمد بن أحمد بن يحيى، وسيدي أحمد بن محمد بن أبي زيان بلغونا بتجموت - وهما من أصحابنا - ووالدهما من أصحاب والدنا.

ومن فقهائهم: سيدي محمد بن كسيمة، وسيدي أحمد بن إدريس، وسيدي محمد بن خليفة، [145 - أ] وسيدي الحاج عبد الرحمان الفجيجي، وسيدي إسماعيل العينماضي. وضيّف أهل الأغواط الركب بالطعام، والتين، والفواكه، والخوخ كثر الله خيرهم، وأسبغ عليهم نعمه، وكفاهم شر ما يحذرون، ونصرهم على أعدائهم ظاهرا وباطنا.

وأقمنا به يوم الخميس، ثامن شتنبر رابع عشر رجب. والأغواط هذه بلدة واسعة، ذات الأراضي[4] الواسعة بها محاريث[1] كثيرة، وفواكه متنوعة؛ غير أنها كثيرة

---

(1) "ع": حصور

(2) "ح1": مشاتا، والصواب ما أثبتناه.

(3) [الحبور بضم الحاء السرور كما صرح به في فتح الجليل وما في مطالع المسرات من أنه بفتحها كما اقتضاه صنيع القاموس معارض للمنصوص وكان صاحب المطالع لم يقف على ما في الفتح.] هذه الزيادة في حاشية الورقة 24 من"ت".

(4) "ف": الأرضين.

الرياح والرمال. وقد أخبرني فقيههم، سنة ست وتسعين، سيدي أحمد بن أبي زيان، أن الرياح[2] ذهبت بقرية كانت قرب قريتهم قبل هذا الزمان، ولم يدر أين ذهبت بها ولا بأهلها؛ ولم يبق لها أثر، قائلا: "إن ذلك بدعوة ولي {الله}[3] كان عندهم". وقبره لديهم الآن مشهور عليه بناء، ونسيت الآن اسمه،[4] نفعنا الله به وبأمثاله من أولياء الله الأعيان.

ثم ظعنا منه يوم الجمعة، خامس عشر من رجب تاسع شتنبر، وبلغنا العسّافة[5]، ونزلنا بها. وسقى الناس دوابهم، وكَلَّ لنا بعير ومرض آخر؛ وودعناهما عند واحد من أصحابنا – اسمه والله أعلم – سيدي يحيى. وبتنا[6] تنيل بعد الاصفرار واد يسيل ماء.

ثم منه، ونزلنا دمت – قرية على سفحة الجبل على يمين الذاهب مشرقا، على واد يسيل ماء، ذات أشجار وأنواع من الفواكه – عصرا. وخرج أهلها مع إمامهم سيدي محمد بن مسعود، وفرحوا. وزعموا أنهم لم يزالوا على العهد تائبين، وللتعرض للركب وتعاطي خيانتهم نابذين، وصدقوا، والله أعلم. بات الناس ولم يروا بأسا من سارق ولا طارق.

ثم ظعنا وبلغنا البرج، وسقى الناس واستقوا. وسرنا، وكَلَّ بعير لأولاد الحاج مبارك، وودعته عند رجل من أولاد بن حرز الله اسمه: سيدي محمد بن عيسي بن يحيى بن حرز الله، وهو يقرأ القرآن، وأخوه السيد الطيب، زعم أنه يريد الطلوع معنا ومطله والداه[7]. سافرا للتل ينتظر قدومهما ويأتي مع الركب الفاسي. ونزلنا الغيران – ماء قليل يتبرضه الناس تبرضا – اصفرار الأحد، ورويت الدواب منه.

---

(1) "ع": محاريب، والراجح ما أثبتناه.
(2) "ف":: الأرياح، والأرجح ما أثبتناه.
(3) ساقطة من "ف".
(4) [أخبرنا جماعة من أهل البلد حين مرورنا سنة [ ] أن اسمه [ ]، وأخبر الفقيه سيدي محمد بن يحيى عن شيخه سيدي علي التلمساني أنه يونس بن متى النبي المشهور، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.] هذه الإضافة في حاشية الورقة 24 من "ت".
(5) "ت": العسافية.
(6) ح2": وبلغنا.
(7) "ح2": ولده.

ثم منه، وبلغنا عبد المجيد ضحاء، ونزلنا عن دوابنا حتى سقيناها وملأنا قربنا لمفازة وادي سيدي خالد. وهي مفازة عظيمة، أرض وعرة حرشة معطشة مخوفة تيهاء. وصح عند الحجيج أنها لا يسلكها ركب إلا ويضيع[1] فيها حي: آدمي أو غيره.

وكانت تقول: لا بد أن تأخذ هذه المفازة شاتها، والأمر بيد الله تعالى، لا تأثير لشيء من الكائنات في أمر ما[2] وإياك من أن تنسب التأثير لغير الله فتهوى في مهواة لا قعر لها. وأتى أهل عمورة: قرية على رأس الجبل مجاورة لعبد المجيد، وتسوق[3] الناس معهم – بحسب الإمكان وما تيسر – وأتوا بالدجاج. وسرنا، وبتنا غربي وادي التوميات.

ثم منه وبتنا الغيفك[4] غروبا وسحت علينا به أمطار[5] ثم منه، ونزلنا سيدي خالد اصفرار يوم الأربعاء، عشرين من رجب أربعة عشر من شتنبر، وسلم الله – والحمد لله – الركبَ في هذه المسافة، لم يروا كيدا ولا عطشا، هم ودوابهم، مع قلة الماء؛ ذلك من فضل الله علينا، ونسأل الله تعالى كما أحسن فيما مضى، أن يحسن فيما بقي. وبتنا به، وعولنا على زيارة نبي الله سيدي خالد بن سنان صبحا؛ ثم إن أعرابا هناك[6] غدروا بعدما أعطوا مواعيد[7] ومواثيق أن لا يؤذوا أحدا من أهل الركب: خرج بعض من أصحابنا بفرسين للزاوية ليسقيهما، ومرت به طائفة من الأعراب النازلين بإزاء سيدي خالد، فأخذوهما منه قهرا؛ وجاء مستغيثا، وتعذر الغوث؛ فتبين أنهم حرب بعدما زعموا أنهم سلم. فمنعنا ذلك من إتيان ضريح سيدي خالد. وسرنا والركب جميعا[8] حتى وازيناه وسامتناه. توجهنا إليه وزرناه، فالله يتقبل. فإن رجعنا – إن شاء الله وقَدَّرَ – وقفنا على ضريحه. وذكر أبو سالم

(1) "ف": ضيع.
(2) "ت": في أثر ما.
(3) "ع": تساوق، والأرجح ما أثبتناه.
(4) "ت": الخيفك.
(5) "ع": مطر، والأنسب ما أثبتناه.
(6) "ت": هنالك.
(7) "ت" مواعد.
(8) "ح2": جميع، والصواب ما أُثبتناه.

العياشي، في رحلته، أن سيدي عبد الرحمان الأخضري هو الذي أظهر القبر الذي في بلاد الزاب[1] المنسوب لنبي[2] الله خالد بن سنان عليه السلام قال:

"وهذا القبر الآن، من المزارات الشهيرة[3] في تلك البلاد؛ تقصده الأركاب [145 - ب] للزيارة من نواحي إفريقية كلها. واشتهر أمره عند الخاص والعام، والبدو والحضر، وعليه مسجد عظيم، وحوله مدرسة، والناس يأثرون عن ذلك المشهد كرامات، وقد أشكل أمره علي. وسألت عنه من يظن به علم. فلم أجد عند أحد ما يشفي، ولا رأيت خبره في تواريخ ولا تقييد؛ وغاية[4] ما سمعت من بعضهم: أن سيدي عبد الرحمان الأخضري شاهد النور صاعدا من تلك البقعة إلى السماء ثلاث ليال أو نحوها. وأخبر أنه قبر نبي الله خالد. فإن كان اطلع على ذلك من كشفه، فيسلم له ذلك، فإنه أهل لذلك. وقد رأينا وسمعنا في بلاد[5] المشرق بمشاهد متعددة من قبور الأنبياء والأولياء، أظهرها أهل الكشف الصادق فتزار بحسن النية، وجميل الاعتقاد، وحسن الظن بقائل ذلك؛ حتى إن المشهد المنسوب لكليم الله، موسى عليه السلام، بالأرض المقدسة إنما أظهره بعض أهل الكشف، بعد الستمائة أو قريب من ذلك، وهو الآن من المزارات العظيمة الشهيرة. وقد ذكر لي بعض الناس أن قبر[6] خالد بن سنان هذا مذكور في بعض التفاسير المنقولة عن الإمام ابن عرفة وأنه في هذا المكان. وبحثت عن ذلك فلم أقف عليه، ويبعد عنه كل البعد أن يكون خالد بن سنان العبسي، مدفونا في هذا المكان. فإن الأخبار المنقولة في شأنه، المذكورة في كتب أهل السير تأبى ذلك. وقد ورد في بعض الأحاديث: أنه نبي من العرب، بعث بين عيسى عليه السلام، ونبينا، صلى الله عليه وسلم، وأنه بأرض الحجاز، وأنه مات بها، وأنه أوصى بنيه أن ينبشوه بعد حول فيخبرهم بأخبار ما أرادوه، وغير ذلك من الأخبار المنقولة عنه. فإذا ثبت ذلك فما أبعد الحجاز من الزاب. وقد ورد في بعض الآثار: أنهم لم يدفنوه وأنهم حملوه على ناقة فذهبت به.

---

(1) الزاب الكبير منه بسكرة وتوزر وقفصة ونفزاوة وبادس، والزاب كلمة بربرية معناها السبخة، ينظر معجم البلدان ج3 ص138.

(2) "ت": ولي.

(3) "ف": الشريفة.

(4) "ع": غايتها، والأرجح ما أثبتناه.

(5) "ت": البلد، والصواب ما أثبتناه.

(6) "ع": خبر.

فإن صح ذلك، فربما يتوهم[1] أنه بلغت به إلى هذا المكان ودفن فيه – وهو خرق عادة أيضا. وأقرب ما يحمل عليه أمر هذا المشهد – إن صح أن به قبر نبي – ما قال لي شيخنا {أبو بكر}[2] السجتاني[3]. وقد سألته عنه لما مررنا به سنة ستين وألف، فقال لي: "لم أر خبره منصوصا". وأقرب ما يعمل عليه أنه أحد رسل عيسى، عليه السلام الثلاثة المذكورين في قوله: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ القَرْيَةِ﴾ الآية[4]. الآية[4]. فقد ذكر بعض المفسرين أن أحدهم اسمه خالد، وأنه نبي أصحاب الرس. وقد ذكر بعضهم أن بلد الزاب هي بلد أصحاب الرس، فإن صح أن هذا قبر نبي اسمه خالد فهو هذا، والله أعلم".[5]

وذكر في الاستبصار عن إسحاق بن عبد الملك بن الماجشون[6] لم يدخل إفريقية نبي قط. وأول من دخلها بالإيمان حواريو عيسى عليه السلام، وهذا يقوي ما ذكره سيدي أبو بكر.

ثم قال الإمام العياشي: "وقد مدحت نبي الله خالد بن سنان بأبيات لما مررت بهذا المشهد سنة أربع وستين وهي هذه: (الخفيف)

يَا نَبِيَّ الإِلَهِ يَا ابْنَ سِنَانِ	خَالِداً جُدْ لِخَائِفٍ بِأَمَانِ
مُذْنِبٍ يَطْلُبُ السَّمَاحَ وَيرْجو	نَفْحَةً تُطْلِقُ[7] الأَسِيرَ العَانِي
قَدْ أَنَاخَ[8] بِبَابِكُمْ مُسْتَجِيراً	بِجَنَابِكَ مِنْ صُرُوفِ الزَّمَانِ
فَاحْمِهِ أَنْتَ خَيْرُ مَنْ يَمْنَعُ الجَـ	ـارَ وَيَطْعَنْ مِنْ دُونَهُ بِسِنَانِ
وَحْشَاكَ يُسَامُ جَارُكَ يَا خَيْـ	ـرَ الوَرَى بمَهَانَةٍ وَهَوَانِ

---

(1) "ف": يترجح.

(2) ساقطة من "ت".

(3) "ع": السجستاني.

(4) سورة يس، أول الآية/12، وتتمتها: ﴿إِذْ جاءَهاَ المُرْسَلُونَ﴾

(5) ينظر ماء الموائد: ج2، ص: 414.

(6) ابن الماجشون: فقيه مالكي من الفصحاء. انتفع به كثيرون، دارت الفتيا عليه في زمانه. وفي وفيات وفيات الأعيان ثلاث أقوال في وفاته: 212 هـ و213 هـ و214 هـ. ينظر وفيات الأعيان ج3 ص 166.

(7) "ف": تطق والصحيح ما أثبتناه.

(8) أناخ بالمكان: أقام، ينظر اللسان مادة (أ، ن، ا، خ).

فَـاحْمِ مـنْ أَمَّ بَابَـكَ الرَّحْـبَ يَرْجُـو ... غَـارَةً تَكْشِـفُ الهُمُـومَ الـدَّوَانِي

أَيَخَـافُ إِذَا أَتَـى لِحِمَـاكُمْ ... مُسْـتَجِيرٌ مِـنَ المَهَالِـكِ جَـانِ

كُـنْ كَفِـيلاً لِمَحْـوِ ذَنْبِـي فَمَـالِي ... بِالَّـذِي قَـدْ جَنَيْـتُ مِنْـهُ يَـدَانِ

مَـا أَضَـاعَكَ، إِذْ أَضَـاعَتكَ عَـبْسٌ ... مَـنْ أَحَلَّـكَ فِـي أَجَـلِّ مَكَـانِ

بَـلْ حَبَـاكَ نُبُـوَّةً وَارْتِفاعـاً ... قَـدْ غَـدَا دُونَ دُونِـهِ الفَرْقَـدانِ[1] [146 - أ]

لَـوْ أَطَـاعُوكَ فِـي وَصِـيَّتِكَ الغَـرَّا ... ءِ رَأَوْا مَـا تقُـولُ {رَأْيَ}[2] عِيَـانِ

قَـدْ أَتَيْتُـكَ طَالِبـاً وُصْـلَةَ اللـ ... ـه فَـإِنْ نِلْـتُ هَـذِهِ فَكَفَـانِي

فَبِجَاهِـكَ أَسْـأَلُ اللهَ رَبِّـي ... أَنْ يَقُـودَ إِلَـى الحجَـازِ عِنَـانِي

قَـدَ أَتَيْـتُ لِبَـابِكُمْ بِـثَلاَثٍ[3] ... فِـي ثَـلاَثٍ طَوَيْتُهَـا لِجَنَـانِ

فَبِجَاهِـكَ أَسْـأَلُ اللهَ فِيهَـا ... لأَفُـوزَ بِهَـا بِغَيْـرِ تَـوَانِ

وَقَصَـدْتكَ مَادِحـاً بِنظَـامٍ ... مِثْـلَ زَهْـرِ الرُّبَـى وَنَظْـمِ جُمَـانِ

فَتَقَبَّـلْ بِفَضْـلِ جُـودِكَ مِنِّـي ... حُلَّـةً رُمْـتُ نسْـجَها بِلِسَـانِي

يَـا نَبِـيَّ الإِلَـهِ فَاجْعَـلْ جَزَائِـي ... بِالَّـذِي أَبْتَغِـي وَسُـكْنَى الجِنَـانِ

يَـا نَبِـيَّ الإِلَـهِ فَاقْبَـلْ عَلَـى مَـا ... سَـطَّرَتْهُ مِـنَ المَـدِيحِ بَنَـانِي

فعَلَيْـكَ مِـنَ الإِلَـهِ سَـلاَمٌ ... وَصَـلاَةٌ تَتْـرَى بِكُـلِّ أَوَانِ"[4]

انتهى كلامه.

---

(1) الفرقد: نجم قريب من القطب الشمالي ثابت الموقع تقريبا، ولذا يهتدى به، وهو المسمى النجم القطبي، وبقربه نجم آخر مماثل له وأصغر منه، وهما فرقدان، ينظر اللسان مادة (ف، ر، ق).

(2) ساقطة من"ع".

(3) "ح2": بثلاثة.

(4) ينظر ماء الموائد، ج/2 ص/414 – 415.

و{قد}[1] ذكر في الاستبصار أيضا عن الثقات[2]، عن عبد الرحمان بن زياد بن أنعم قال: "كنت وأنا غلام مع عمي بقرطاجنة[3] نمشي في آثارها، ونتعجب بعجائبها، فإذا {بقبر}[4] مكتوب عليه بالحميرية أنا عبد الله بن الأوس، رسول رسول الله الصالح". وفي رواية بعضهم: "أنا مغيث، بعثت إلى أهل هذه القرية أدعوهم إلى الله، أتيتهم ضحى، فقتلوني ظلما، فحسيبهم الله".

وقرطاجنة هذه بينها وبين تونس اثنا عشر ميلا. ووصف فيها غرائب.

وظعنا صبحا، ومررنا بأولاد جلال، وتلقانا أحبتنا سيدي محمد بن الحاج، وسيدي عبد الباقي، وسيدي محمد بن عيسى، وسيدي محمد السعيد[5]، وساروا معنا ميلا وودعناهم. وقرية أولاد جلال من أكبر قرى الزاب، وهي قرية جامعة فيها مدرسة للطلبة المهاجرين، وهم يسمون: الغرباء مهاجرين، وهم في قوة ومنعة من العرب، لا يؤدون إليهم إتاوة، ويسمون كل من لا يؤدي إتاوة للعرب بالمجاهدين، وقد صدقوا في ذلك. وسرنا ونزلنا العرك بعيد العصر، وبتنا ومطرنا مطرا خفيفا، وأتانا جماعة من العرب بالفرسين اللتين أخذهما العرب من أصحابنا، لما نزلنا بسيدي خالد. فالله يجازيهم خيرا. [وبتنا بالعرك ومطرنا مطرا خفيفا][6].

وظعنا[7]، ومررنا على خلوة ولي الله أبي زيد، سيدي عبد الرحمان الأخضري، لقصد التبرك به. وهو إمام جامع بين علمي الظاهر والباطن، له تآليف مشهورة، وكرامات مأثورة. وأشهر تآليفه المنظومة في المنطق المسماة بالسّلّمِ المرَوْنَقِ، وقد نفع الله بها. وله منظومة في السلوك، تشابه المباحث الأصلية، رائقة النظم، فائقة الحسن، حلوة سلسلة. وله شرح السّلَّمِ، ومقدمة في الفقه مشهورة عند أهل ذلك البلد. وبيتهم بيت علم وصلاح. ونزلنا مليلة[8] ظهرا، وبتنا ومطرنا بها مطرا غزيرا.

---

(1) ساقطة من "ع" و"ف".
(2) "ف": الثِّقَاة.
(3) قرطاجنة: مدينة بإفريقية بينها وبين تونس اثنا عشر ميلا، وقيل: إن اسم هذه المدينة قرطا وأضيف إليها جنة لطيبها وحسنها، ينظر معجم البلدان، ج: 4، ص: 367.
(4) "ت": قبر.
(5) "ت": السعيدي.
(6) ساقطة من "ف".
(7) "ف": ثم ظعنا.
(8) مدينة صغيرة تقع في الجزائر اليوم. ينظر وصف افريقيا، ج: 2، ص: 60.

ولما طلعت الشمس، ظعنا ونزلنا بسكرة النخل عصر السبت، ثالث وعشرين [من][1] رجب سبعة عشر شتنبر، وأقمنا بها الأحد والاثنين.

وظعنا، ولم ندخل المدينة هذه المرة لضيق الوقت. والحجة قبل هذه، سنة تسع ومائة وألف، دخلناها وزرنا مسجدها، وطلعنا [إلى مئذنته][2] وهي في غاية الإتقان والطول والسعة، تقدر الدابة على الصعود إليها بحملها، وأدراجها مائة وأربع وعشرون درجة؛ والمسجد في غاية السعة وإتقان البناء؛ إلا أنه قل عامروه، وضعف ساكنوه، فلا ترى فيه[3] مدرسا [ولا فقيها][4] ولا قارئا، مع أن هذه المدينة من أعجب[5] المدن وأجمعها لمنافع كثيرة، مع توافر أسباب العمران فيها. قد جمعت بين التل والصحراء، ذات نخيل كثير[6]، وزرع كثيف، وزيتون ناعم، وكتان جيد، وماء جار في نواحيها، وأرحاء متعددة تطحن بالماء. ومزارع حناء، إلى غير ذلك من الفواكه، [146 - ب] والخضر، والبقول، وكثرة اللحم والسمن في أسواقها. وبالجملة كما قال الإمام العياشي في رحلته: "فما رأيت في البلاد التي سلكتها شرقا وغربا أحسن منها، ولا أحصن ولا أجمع لأسباب المعاش. إلا أنها {ابتليت}[7] بتخالف الترك عليها وعساكر[8] العرب، فيستولي عليها هؤلاء تارة وهؤلاء تارة، إلى أن بنى الترك حصنا حصينا على رأس العين التي يأتي الماء منها إلى بسكرة؛ فتملكوا[9] البلد، البلد، وأضروا بأهلها، وأجحفوا بهم في الخراج، ولم يقدروا على الخروج عليهم لتمكينهم من الماء الذي به حياة البلد وأهله. فاجتمعت عليها غارات العرب من خارج، وظلم الأتراك من داخل. وقد أشرفت على الخراب، وقاربت أن تكون يبَابا[10] لولا ما تأثل من أسباب عمرانها الموجبة لرغبة الناس في سكناها"[11].

---

(1) زيادة من "ع".
(2) مطموسة في"ح1".
(3) "ع": فيهم، والأرجح ما أثبتناه.
(4) زيادة من "ف".
(5) "ف": أنجب.
(6) "ع": كثيرة.
(7) ساقطة من "ع".
(8) "ت": عساكير.
(9) "ف": فتمكنوا بالبلد.
(10) "ع": فيافي والأرجح ما أثبتناه، واليباب هو الخراب.
(11) ينظر ماء الموائد، ج2ص - ص: 411 - 412.

قال: "ولقد لقيت بها سنة تسع وخمسين رجلا من الصالحين، ممن جمع بين العلم والعمل به، والزهد، والورع، وصدق التوجه إلى الله تعالى، واسمه سيدي أبو طيب[1] نصير، لم ترعيني - قبله ولا بعده - أمثل منه في هديه وسمته؛ تخشع القلوب القلوب لوعظه وتلين لكلامه، ولو كانت أقسى من الحجر"[2] قال: "ولما رجعت من الحجاز في سنة ستين، وجدته قد توفي بالوباء الواقع في تلك السنة، وكان وباء مفرطا مات به ببسكرة على ما قيل لنا [من][3] نحو سبعين ألف نفس. وقد دخلنا المدينة عقبه، فوجدنا أكثر حوماتها خاليا ومساجدها داثرة، ولقيت بهذه المدينة سيدي محمد الصالح، وهو رجل من أهل الخير، منفرد في مسجد له بإزاء داره، يلازم فيه الصلوات الخمس، ويجتمع إليه ناس من أصحابه، يذكرهم ويعلمهم"[4].

قال: "وخرج إلينا[5] أيضا من فقهاء البلد سيدي عبد الواحد الرماني، وهو أيضا رجل من أهل الخير، غلبت عليه الديانة والانقطاع عن الخلق، وقرأ علي أول صحيح البخاري من رواية أبي ذر. وذهب معنا إلى زيارة أبي الفضل، وصلينا العصر في مسجد سيدي أبي الفضل. وفي الغد، يوم الخميس، ارتحلنا، ودخلنا البلد ثانيا لزيارة سيدي محمد بن أبي علي. فوجدناه على سطح دار يشرف على الطريق، ولم ينزل إلينا وقرأ إلينا[6] الفاتحة من هناك ونحن بالطريق، ودعا لنا، وهو رجل من أهل الأحوال الصالحة مغلوب عليه في أكثر أوقاته، تؤثر[7] عنه كرامات"[8].

قال: "ولقد لقيته بداره، سنة خمس وستين، وهو في مرمّة له في داره، يعمل بها بيده، ينسج الثياب. وأخبرنا أن قوته من كسب يده، وأخبرنا بحاله ومبدإ أمره مع شيخه. وقد انتشر صيته في هذا الوقت بتلك البلاد[9]. وله أتباع وأصحاب يجتمعون يجتمعون إليه في أوقات، للسماع والذكر؛ وسمعنا من بعض الحجاج ممن زاره بعد ذلك

---

(1) "ت": الطيب.
(2) ينظر نفسه، ص: 412.
(3) زائدة في "ت".
(4) ينظر ماء الموائد، ج/2 ص /412.
(5) "ف": لنا.
(6) "ح2": قرأنا / "ف": ولم ينزل إلينا الفاتحة.
(7) "ت": يوثر.
(8) ينظر نفسه.
(9) "ت": البلد.

أنه قال لهم: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "إِنَّ النَّارَ لَا تَمَسُّ {كُلَّ}[1] منْ رَآكَ" وزعموا أنه قال: "[له][2] ومن رأى من رآك مراتب[3] متعددة" والله أعلم بحقيقة بحقيقة ذلك، فإن صح أنه قاله فهو في الغالب لا يكذب. إلا أن كلامه يحتاج إلى تأويل، ويبعد حمله على ظاهره. وأن المراد مجرد الرؤية البصرية، فإن القواعد تأبى بقاءه على عمومه[4]. فإنه يراه البر، والفاجر، والمصر على الكبائر، المقَارِف لها[5]، بل والجاهل الذي يتطرق إلى إيمانه الخلل - لغلبة الجهل والآراء الفاسدة -، ولكثرتهم[6] جدا يبعد موت جميعهم على التوبة النصوح الموجبة لغفران جميع الذنوب[7]، الموجبة للنجاة من النار، إلا أن كلام أولياء الله لا ينبغي أن يرمى به جزافا. ليحرص[8] المرء[9] جهده على لقائهم ورؤيتهم والتبرك بهم، فعسى أن يصادف نفحة من نفحات الحق، فيسعد بها دنيا وآخرة: فإن لله عبادا إذا نظروا إلى أحد أغنوه، ومع ذلك فلا يركن إلى ظواهر ما يجري على ألسنتهم كل الركون، حتى يعتقد أن من رأى أحدهم ممن قال مثل ما تقدم، فقد أمن من النار؛ فإن لكلامهم وجوها واحتمالات تَدِقُّ[10] على أفهام[11] أكثر الخلق، ممن لم يسلك طريقهم"[12].

قال: "وأقرب ما يحمل عليه كلام المتقدم أن تحمل الرؤية على القلبية، والمرئي على صورته الباطنة التي توجب العلم بما هو عليه، من سَنِي الأحوال. وسَمِيِّ الأوصاف، ورفيع المقامات؛ ولا شك أن من منح شهود ذلك وأشرف عليه، فله نصيب وافر من التخلق بأخلاق الأولياء، والورود من موارد الأصفياء [147 - أ]. وحينئذ يكون جديرا بأن لا تمسه النار. وذلك من معنى ما اشتهر عن قطب الزمان: مولاي عبد القادر الجيلاني، رضي الله عنه، أنه قال: "أخذت العهد على ربي أن لا

---

(1) ساقطة من "ع".
(2) زيادة من "ف".
(3) "ت": بمراتب.
(4) "ت": ظاهره
(5) "ت": المغارق بها، والأرجح ما أثبتناه.
(6) "ح1": لكثرهم.
(7) "ف": الذنوب كلها.
(8) "ف": فليحرص.
(9) "ت": المسلم.
(10) تَدِقُّ: دقَّ: غَمُضَ وخَفِيَ معناه فلا يفهمه إلا الأذكياء [مادة: د - ق - ق، لسان العرب].
(11) "ت": فهم.
(12) ينظر ماء الموائد، ج/2 ص 412 - 413.

يدخل أحد من أتباعي النار إلى يوم القيامة" فيحمل على من اتبع طريقه، لا على مجرد الانتساب باللسان. ولو صح حمل الكلام المتقدم على ظاهره وعمومه، لكان أولى بذلك الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم. وكثير ممن رآهم رؤية بصرية لم يوفق للاهتداء بهديهم، فَحُرِمَ بركة رؤيتهم. وكل مقام ناله ولي من الأولياء فهو ميراث اتباعه لنبيه، صلى الله عليه وسلم. وما يكون[1] ميراثا لا يصح أن يكون شيئا لم يكن لموروثه، بل يستحيل عند أرباب القلوب أن ينال ولي - ولو ذرة من مقام أَوْ حال - لم تكن بكمالها لمتبوعه. ومعلوم أن هذه الحال لم تكن لأحد قط، فلا بد من التأويل"[2].

قال: "وما أطنبت في هذا إلا أني رأيت كثيرا من الجهلة يغتر بأمثال هذا ويحمله على ظاهره، وإلا فأنا، والحمد لله، ممن يعتقد تنزيه الأئمة الصوفية عن الكذب والافتراء، ويثق بأقوالهم، ويصدق بكراماتهم، ويحمل ما أشكل على أحسن محامله؛ ولا أطعن فيه بوجه وأسهم لهم فيما لم يتبين لي وجهه، والمنة في ذلك لله وحده."[3] انتهى كلامه، ونقلته على طوله لحسنه في بابه.

وزرنا في تلك الحجة أولاد سيدي محمد الصالح. وأخرج لنا ولده السيد[4] علي علي تمرا ولبنا، وأكل أصحابنا ما أرادوا منه وشربوا. وزرنا أيضا سيدي قاسم. وذكر لنا الأخ سيدي محمد بن عبد الواحد الرماني أن هذا السيد كان رجلا صالحا، وكان أمير الركب في زمانه. وسيدي عبد الواحد ولد سيدي محمد، المحدث عن صلاح هذا السيد، كان من أصحاب والدنا، رحم الله جميعهم. وكان في حجتنا الأولى التي حججناها مع الوالد، رحم الله جميعهم، عام ستة وسبعين[5] وألف في قيد الحياة. وولده هذا هو الذي تقدم بنا لزيارة صالحي هذه البلدة، وزرنا أيضا سيدي عبد الرحمان، وسيدي أبا الفضل، وسيدي محمد الموفق، وسيدي الصحابي، وسيدي محمد ابن أبي علي، وسيدي علي الأوداشي[6]. وأخبرنا سيدي محمد بن عبد الواحد أن أبا الفضل هذا هو تلميذ أبي الفضل النحوي، وأن أبا الفضل المذكور مدفون في بلد

---

(1) "ت": ما كان.
(2) ينظر نفسه، ص/ 413.
(3) ينظر نفسه.
(4) "ت": سيدي.
(5) "ت": تسعين والصحيح، ما أثبتناه.
(6) "ح1" الأوداني.

بينه وبين بسكرة[1] يومان وراء الجبل. وسألته عن البسكري الذي حشا على المرادي، فذكر أنه مدفون بالزاب. وأما سيدي محمد بن أبي علي فذكر لي عمي سيدي حسين، رحمه الله، أنه كان حيا عام حج هو، وأنهم لما وصلوا بسكرة، ألح عليهم الأخ الحاج أحمد بن عبد الملك السلجلماسي - أحد تلامذة الوالد رحمه الله، والمقدم على الفقراء في بلده[2] - في زيارة السيد المذكور؛ وتقديم الصدقة له بين أيديهم، وطلب ضمانة الطريق وعاهته لهم - كما كان وقع ذلك مع بعض الحجاج. فصار محفوظا في طريقه إلى أن وصل بلده ومنزله، وكره العم مخالفته، ومشى مساعدا له، مع عدم قصد ذلك، وتقديم صدقة، فزاروه وأطعمهم تمرا وماء، وأقاموا عنده ساعة. فلما جن الليل رأى أستاذه سيدي أحمد بن إبراهيم في عالم النوم.

فقال له: "زلقت وزللتَ [أيضا][3] يا صبي، قُلْتَ: أنا البركة التي يشرب فيها الإنسان، يواظبها ويقيم عليها ولا يكدرها، ولا يطلب[4] غيرها. أتحسب وتظن أنك لم تبلغ في تعبي ومشقتي؟ والله، لقد كنتَ تنام معوجا فآتيك حتى أقوّمك. أتريد ملاقاة الشيخ الأعظم سيدي عبد الله؟ فقلت: نعم، يا سيدي. فذهب بي حتى لقيته فسلمت[5] عليه، وقال له سيدي أحمد أن حان وفاة أحدكم، يعني في الطريق، فإن لم أحضره فسيدي عبد الله بن الحسين يحضره لا محالة". قال سيدي عمي المذكور: "ومات جماعة من فقراء الأستاذ في الطريق، رحم الله الجميع". انتهى.

ولما دخلت مسجدها لم أجد قارئا ولا مدرسا سوى رجل واحد ممتد يقرأ لوحه وهو ملقى أمامه {يقرؤه}[6]، على غير أدب ولا استقامة. وأخبرني بعض أصحابنا أنه وجد رجلا واحدا يسرد البخاري {وحده}[7]. ووقف عنده وقال له: "رُحْ يا حاج

---

(1) بسكرة: بكسر الكاف، مدينة عريقة في القدم، أسست أيم الرومان، وخربت بعد ذلك ثم أعيد بناؤها لما دخلت الجيوش الإسلامية، وسيأتي ذكر بعض خصائصها في ص: 48 من الرحلة. ينظر معجم الأدباء ج1 ص – ص 501 – 502. ووصف إفريقيا ج2 ص 138.

(2) "ت": فقراء بلده.

(3) زيادة من "ع".

(4) "ع": ويطلب، والأرجح ما أثبتناه.

(5) "ف": فسلمنا.

(6) ساقطة من "ت".

(7) ساقطة من "ف".

حاج ووجد آخر كذلك. ولعمري إن هذا أدل دليل على الخراب، وأقرب الأسباب [له][1]، بدليل ما رُوي عن النبي، صلى الله [147 - ب] عليه، وسلم أنه قال:

"إذا أراد الله عمارة قوم بدأ بمالَه فيهم، وإذا أراد خرابهم بدأ بمالَه فيهم"[2] أو كما قال، صلى الله عليه وسلم. ولقد بدأ الله في هذه البلدة بخراب بيته، فهو أقوى الدلائل على خراب البلد وموته. ولقد مرضت من ذلك الأحشاء، والله يفعل في ملكه ما يشاء، ويعذب من يشاء. ويرحم من يشاء، ولقد وددنا عمارتها بالعلم والعمل، ورفع الجرح عنها برفع ذوي الزيغ والزلل، وتدريس العلم، وذكر الله آناء الليل وأطراف النهار في ذلك المسجد المشيد، فإن [لأهل][3] هذه المدينة تأهلا لهذا كله، كله، ولكن الله يفعل ما يريد. وفي مثل ما وقع لنا من التحزن والتحسر، والتألم والتضجر، من فقد[4] العلم وأهله، في مواطن حسنة من محله، يصدق قول العلامة الإمام الهمام أبي علي اليوسي من أجل أصحاب الوالد، وممن ظهرت بركاته[5] عليه في المصادر والموارد: (الكامل)

وَأَوَدُّ لَـوْ كَانَـتْ مَجَـالِسُ بَيْـنَهُمْ — يضْـحِينَ فِـي سُـبلِ الهِدَايـةِ مَعْلماً

وَشَـجَا[6] الحَشَـاَ أَنْ لَـمْ أَجِـدْ مِـنْ عَـالِمٍ — يَهْـدِي الـوَرَى فيهَـا[7] ولا مُتَعَلّمـاً

وفي الاستبصار في أخبار الأمصار، «وبسكرة كورة[8] فيها مدن {كثيرة}[9] {كثيرة}[9] وقاعدتها بسكرة، وهي مدينة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار، الثمار، وهي مدينة مصورة، عليها خندق، وبها جامع، ومساجد، وحمامات كثيرة، وحوَالِيها بساتين كثيرة، وفيها غابة كبيرة، مقدار ستة[10] أميال فيها أجناس الثمار

---

(1) زيادة من "ف".
(2) لم أجده.
(3) زيادة من "ف".
(4) "ف": قلة.
(5) "ت": بركته.
(6) "ف": وشجا. شجا: شجاه الأمر: حزنه (مادة: ش - ج - ا، لسان العرب).
(7) "ع": بها، والصحيح ما أثبتناه ليستقيم الوزن.
(8) "ف": قرية. الكورة: البقعة التي يجتمع فيها قرى ومحال كور (مادة: ك - ا - ر، لسان العرب).
(9) ساقطة من "ف".
(10) "ف": الستة.

منها: جنس يعرف بالكنبا[1] وهو الصيحاني، يضرب به المثل لفضله على غيره، وجنس يعرف بالبازي، أبيض أملس، كان عبيد الله الشيعي يأمر عماله بالمنع من بيعه، والتحظير عليه وبُعث ما هنالك منه إليه، وأجناس كثيرة يطول ذكرها، لا يعدل بها. وحول بسكرة رياض خارجة عن الخندق المذكور، وبسكرة فيها علم كثير، وأهلها على مذهب[2] أهل المدينة، ولها من الأبواب: باب المقبرة، وباب الحمام وباب ثالث يسكنه[3] المولدون.

وداخل مدينة بسكرة آبار كثيرة عذبة، منها في الجامع بئر لا ينزف، و{في}[4] و{في}[4] داخل المدينة جنات[5] يدخل إليها الماء من النهر، وبها جبل ملح يقطع منه صخر جليل، ومنه كان عبيد الله الشيعي وبنوه يستعملون في أطعمتهم. وتعرف ببسكرة النخيل، وشرب بسكرة من نهر كبير يجري في جوفها، ينحدر من جبل الأوراس[6]. وروي أن في الطريق إلى بسكرة جبلا يعرف بزينير، وقيل زنقير، في وسطه وسطه كهف فيه رجل قتيل، يقدر أنه مات منذ يومين لم يغيره مر الدهر[7]، ولا تقادم الأزمان: تبصّ جراحه دما، لا يشك أحد أنه قتيل يومين، وتخبر الكافة عن الكافة أنهم لا يعلمون متى قتل قَدِماً، وقد نقله أهل تلك النواحي ودفنوه بأفنيتهم ليتبركوا به، ثم لم يلبثوا أن وجدوه في الكهف على حالته. وحدث بذلك ثقات[8] أهل تلك الناحية. والله فعال لما يشاء. وقال محمد بن يوسف في كتابه إن هذا القتيل في شق جبل بشرقي عين أوبار، وهذه العين بين مدينة قرطاجنة ومدينة سبيبة، وذكر أنه يظهر كما ذبح من يومه، وأنه هناك من قبل فتوح إفريقية، ولم يذكروا من دفنه والله أعلم بأمره". انتهى كلامه.

(1) "ت": بالكسبا.
(2) "ت": مذاهب.
(3) "ع": يسكنها، والأرجح ما أثبتناه.
(4) ساقطة من "ت".
(5) "ح1": جنان/ "ع": أجنات.
(6) "ع" أوراس.
(7) "ف": الدهور.
(8) "ف": ثقاة.

ذِكْرُ خُرُوجِناَ مِنْ بِسْكُرَة

ثم لما فرغ الناس من قضاء أوطارهم: من بيع وشراء، وازدياد زاد، ظعنا ضحاء الثلاثاء، خامس وعشرين[1] من رجب عشرين من شتنبر. ونزلنا سيدي عقبة عصرا وهو: عقبة بن نافع الفهري التابعي القرشي[2]، ولد في زمان النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك عدّه بعضهم من الصحابة. ولاّه معاوية بن أبي سفيان على إفريقية[3] ووجهه إليها في عشرة آلاف من المسلمين، فافتتحها وقاتل من بها من النصارى، حتى أفنى أكثرهم. ثم قال: "إني أرى إفريقية إذا دخلها إمام تحّرم أهلها بالإسلام، وإذا خرج رجع كل من أجاب دين الله، فهل لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا مدينة تكون لنا عزا للأبد؟" فأجابه الناس لذلك. [148- أ] واتفقوا على أن يكون أهلها مرابطين، وقالوا[4]: "نقرّ بها[5] من البحر ليتم الجهاد". ثم رأوا أن ذلك لا يِؤْمَن يِؤْمَن معه من كيد الروم لها. فأبعدوها عن البحر مخافة من ملك القسطنطينية[6]. وقالوا: قربوها من السبخة، فإن أكثر دوابكم الإبل. فتكون في مراعيها، على بابها، آمنة من البربر والنصارى. ولما اتفق رأيهم على ذلك، وكان موضع المدينة غيضة[7]. نادى عقبة جميع الوحوش والهوام التي كانت بالغيظة، وقال لهم: "إنا أصحاب[8] رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ونريد أن نبني هنا مدينة، وأردنا إحراق هذه الغيضة فاخرجوا منها، بإذن الله." فخرج كل من كان فيها، واختلف أصحابه في موضع

---

(1) "ح1": عشرون.

(2) "ع": القريشي.

(3) أفريقية: قال أبو الريحان البيروتي إن أهل مصر يسمون ما عن أيمانهم إذا استقبلوا الجنوب بلاد المغرب، ولذلك سميت بلاد افريقية وما وراءها بلاد المغرب يعني أنها فرقت بين مصر والمغرب. وحد افريقية من طرابلس الغرب من جهة برقة والإسكندرية إلى بجاية. ينظر معجم البلدان ج1 ص 270.

(4) "ح2": وقال.

(5) "ت": تقر بها.

(6) مدينة كبيرة من مشاهير بلاد افريقية، بناها الرومان على جبل شاهق، ينظر وصف أفريقيا ج2، ص-ص: 55-56.

(7) "ف": غيطا.

(8) "ف": أنا صاحب.

القبلة، وجعلوا ينظرون مطالع النجوم ليهتدوا إلى سمتها. فبات عقبة مهتما. فرأى في المنام قائلا يقول له: "خذ اللواء بيدك إذا أصبحت فإنك تسمع تكبيرا ولا يسمعه أحد غيرك، فاتبعه فحيث ما انقطع التكبير، فَارْكِز اللواء، فإنه موضع القبلة". ففعل ذلك. وسأل أصحابه: "هل تسمعون شيئا؟" فقالوا: "لا". فاتبعه هو حتى انقطع. فركز اللواء بموضع القبلة. ولما كانت سنة إحدى وخمسين. عزل معاوية عقبة بن نافع عن إفريقية. وولى مسلمة بن مخلد مصر وإفريقية. فنزل مسلمة مصر، واستعمل على إفريقية مولى له يسمى: دينارا، ويكنى: أبا المهاجر. فلما انتهى إلى إفريقية، كره أن ينزل بلدا اختطه عقبة، فمضى خلفه بميلين- مما يلي تونس- فاختط هناك مدينة وبناها وسماها البربر بتكيروان. فأخذ الناس بعمارتها وإخلاء[1] القيروان. فدعا عقبة أن يمكنه الله، عز وجل، منه. وكان مجاب الدعوة، ولم يزل أبو المهاجر خائفا من دعوة عقبة. وفي مدة أبي المهاجر افتتحت جزيرة شريك، وهي بمقربة من مدينة تونس، حرسها الله. وإليها ينسب باب الجزيرة من أبواب تونس، وهي مشتملة على قصور كثيرة، ومزارع[2] فسيحة، وخيرات جمة. افتتحها حنش بن عبد الله الصنعاني: بعثه أبو المهاجر فافتتحها، وقتل أهلها. ونهض عقبة إلى المشرق، فلما دخل على معاوية، رضي الله عنه، وعاتبه: "افتتحت البلاد، وأتاني غلام الأنصار فأساء عشرتي." فاعتذر له معاوية، رضي الله عنه. ووعده بالرجوع إلى عمله، وتراخى الأمر إلى أن توفي معاوية، رضي الله عنه، سنة ستين، وقيل إحدى وستين. وولى ابنه يزيد، فولى عقبة بن نافع إفريقية، وقطعها عن مسلمة بن مخلد، وأقره على مصر، فخرج عقبة إلى إفريقية في سنة اثنتين وستين، فمر سريعا حنقا[3] على أبي المهاجر فأوثقه في الحديد، وأمر بتخريب المدينة التي بناها والرجوع إلى القيروان {وعمارتها}[4]. وأجمع على الغزو في سبيل الله عز وجل. وترك بالقيروان زهير بن قيس البلوي. وودع أولاده، وقال لهم: "إني بعت نفسي من الله، عز وجل." وأوصاهم بما أحب. ومضى في عسكر عظيم حتى بلغ مدينة باغاية[5]، وجمع النصارى بها، فقاتلهم قتالا عظيما،

---

(1) "ت": وأخلى.

(2) "ت": مزاريع. والأرجح ما أثبتناه.

(3) حنقا: حَنَقَ يَحْنُقُ عليه: اشتد غيظه(مادة: ح – ن– ق، لسان العرب).

(4) ساقطة في "ت".

(5) "ت": باغية.

فانهزموا وأخذ لهم خيلا كثيرا(1). فلم ير المسلمون في مغازيهم أصلب ولا أصبر منها، وكانت من نتاج جبل أوراس المطل(2) عليها. ومدينة باغاية مدينة جليلة أولية، ذات أنهار، وثمار، ومزارع، ومسارح، وعلى مقربة منها جبل أوراس، وهو المتصل بالسوس. فلما هزمهم وقتلهم قتلا ذريعا رحل عنهم، ولم يقم عليهم كراهية أن يشتغل بهم عن غيرهم. فمضى إلى مدينة لميس- باللام والياء، وكانت في ذلك الزمان من أعظم مدائن الروم. فخرج إليه أهلها، فقاتلهم قتالا شديدا فانهزموا، واتبعهم إلى باب حصنهم وأصاب غنائم كثيرة. وكره المقام عليها فرحل إلى بلاد الزاب، فسأل عن أعظم مدائنهم قدرا، فقيل له: مدينة يقال لها أدناه(3)، وفيها الملك مجمع ملوك الزاب، وكان حولها ثلاثمائة قرية وستون قرية كلها عامرة.

قال اليعقوبي(4): "أدناه أعظم مدن الزاب مما يلي المغرب، وهي كثيرة الأنهار والعيون العذبة". فالتقى أهلها فقاتلوه قتالا شديدا، حتى يئس المسلمون من أنفسهم، ثم أعطاه الله عز وجل الظفر. فانهزم القوم. وقتل أكثرهم، وذهب عزهم من الزاب، [148- ب] وذلوا إلى آخر الدهر، ثم سار إلى تاهرت. فلما بلغ الروم خبره استغاثوا بالبربر، فأعانوهم وبادروا إلى نصرتهم، فالتقوا مع المسلمين، فاقتتلوا قتالا شديدا، فلم يكن للبربر والروم بقتال المسلمين طاقة، فولوا منهزمين. واتبعهم المسلمون، فقتلوهم(5) قتلا(6) ذريعا. وانفضت جموع البربر. وقتلوا حيثما وجدوا، وغنم المسلمون أموالهم وذراريهم.

ثم سار عقبة حتى بلغ طنجة(7) وكان بها ملك من ملوك الروم، وكان شريفا في في قومه، فأهدى إلى عقبة ولاطفه، فنزل على حكمه، فسأله عن الأندلس فقال له: "دونها هذا البحر الذي لا يرام". فقال له: "دُلَّنِي على رجال البربر والروم". فقال {له}(8) "تركت الروم خلفك، وليس أمامك إلا البربر، وهم في عدد لا يحصى ولا

---

(1) "ح1" كثيرة.
(2) "ع": المطل، والأرجح ما أثبتناه.
(3) "ت": أدنه.
(4) "ت": اليعنوبي.
(5) "ع": فقاتلوهم.
(6) "ع": قتالا.
(7) بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء، ينظر معجم البلدان ج4 ص 49.
(8) ساقطة من"ت".

يعلمه إلا الله وهم أنجاد"[1]. قال: "فأين موقعهم"؟ قال له: "السوس الأدنى، وليس لهم دين، يأكلون الميتة، ويشربون الدم، وهم أمثال البهائم: يكفرون بالله ولا يعرفونه". فدخل[2] عقبة[3] حتى أتى جموعهم بمقربة من فاس فقتلهم قتلا ذريعا، وفرت بقيتهم، ومرت خيل في آثارهم. ومر حتى بلغ السوس الأقصى وهي بلاد درعة، ونزل إلى الصحراء وهي لمتونة وسبى منه سبيا لم يدخل المشرق أغلى[4] منه، وربما بيعت الجارية منه بالألف[5]، وفر الناس أمامه، لا يدانيه أحد ولا يعارضه، حتى بلغ البحر الأعظم المحيط، فأدخل فيه قوائم فرسه وجعل يقول: "وعليكم السلام" فقال له أصحابه: "على من تسلم يا ولي الله"، فقال: "على قوم يونس، ولولا البحر لأريتكم إياهم،" ثم قال: "اللهم إنك تعلم إني أنا أطلب السبب الذي طلب[6] عبدك ووليك ذو القرنين" فقيل له: "ما الذي طلب ذو القرنين" فقال: "ألا يعبد في الأرض إلا الله، اللهم إني مدافع عن دينك، معاند من كفر بك، " ثم قال لأصحابه: "انصرفوا على بركة الله".

فتخلى الناس[7] عن طريق عقبة خوفا من جيوشه، سنة ثلاث وستين من الهجرة. ولما وصل [إلى][8] طنجة أمر أصحابه فتقدموا ثقة بما دوخ من البلاد، وأنه ليس بإفريقية إلا من يخافه. فتقدمت الجيوش، وبقي نفر يسير من أصحابه، فسار يريد تهودة[9] وبادس، لينظر إليهما[10] ويترك بهما من الفرسان ما يحتاج إليه. فلما انتهى إليها، يعني تهودة، في من بقى من أصحابه، وكانوا قليلا. نظر إليهم الروم فطمعوا فيهم، وأغلقوا أبواب حصونهم، وجعلوا يشتمون عقبة ويرمونه[11] بالحجارة، ويدعوهم إلى الله عز وجل. فلما توسط البلاد بعث الروم إلى كسيلة البرنسي. وكان

---

(1) أنجاد: شجعان (مادة: ن- ج- د، لسان العرب).
(2) "ح1": فرحل.
(3) عقبة بن نافع الفهري بن عبد القيس الأموي القرشي الفهري (1 ق هـ - 63 هـ) فاتح من كبار القادة في صدر الإسلام، وهو باني مدينة القيروان، ينظر الأعلام ج4 ص 241.
(4) "ح1": أعلى.
(5) "ف": بألف.
(6) "ت": طلبه.
(7) "ف": المسلمون والأرجح ما أثبتناه.
(8) زيادة من "ح1".
(9) "ف": تهويدة.
(10) "ع": إليها.
(11) "ح1": يرمونهم، والصواب ما أثبتنتاه.

كسيلة ممن أسلم على يد أبي المهاجر؛ وذلك أن أبا المهاجر، نهض إلى المغرب فنزل عيونا عند تلمسان، تعرف بعيون أبي المهاجر. فزحف إليه كسيلة في جمع من البرانس، فظفر به أبو المهاجر، وعرض عليه الإسلام، فأسلم. وكان أبو المهاجر يحسن إليه. فلما عزل أبو المهاجر، وقدم عقبة، عرفه أبو المهاجر بحال كسيلة، فاستخف به عقبة. وأتي[1] عقبة بغنم، فأمر بذبحها للعسكر؛ فأمر كسيلة أن يسلخ مع السلاخين، فقال له كسيلة: "أصلح الله الأمير، هؤلاء غلماني وفتياني يكفوني في ذلك". فقال له عقبة: "قم". فقام مغضبا، فكان كلما دحس يده في الشاة مسح بلحيته، وجعل العرب يهزؤون به ويقولون له: "يا بربري ما هذا الذي تصنع؟ فيقول: "إنه جيد"، فيسكتون، إلى أن مر به شيخ من العرب، فقال لهم: "كلا إن البربري يتوعدكم". فعاتب أبو المهاجر عقبة على ما صنع من ذلك، وقال له: "[إنه][2] كان كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم يتألف جبابرة العرب: كالأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، وتأتي أنت إلى رجل جبار في دار قومه، ومكان عزه، وهو قريب عهده[3] بالشرك، فتهينه وتذله". فتهاون عقبة بكلامه. فلما راسلت الروم كسيلة، أمكنته الفرصة[4] فانتهزها. فقال أبو المهاجر لعقبة: "عاجله قبل أن يجتمع إليه أمره". أمره". فزحف إليه عقبة فتنحى أمامه، فقال له قومه: "لم تتنحى عنه وهو في خمسة آلاف، ونحن في خمسين ألف". فقال لهم: "نعم، لكنهم في الزيادة، والرجل قد افترق عنه عسكره وليس عنده من يمده". فلما سار[5] عقبة يريد إفريقية زحف إليه البربر، وكان أكثر المسلمين بالقيروان مع زهير بن قيس. فوافى كسيلة عقبة بمقربة من تهودة فنزل وركع ركعتين، وقال: "أطلقوا أبا المهاجر" فأطلق، فقال له: "اِلحق [149- ع] بالمسلمين فقم بأمرهم وأنا أغتنم الشهادة". فقال له أبو المهاجر: "وأنا أغتنمها معك".

وكسر كل واحد منهما جفن سيفه، وكسر المسلمون أجفان سيوفهم، وأمرهم أن ينزلوا ولا يركب منهم أحد. فقاتل المسلمون قتالا شديدا حتى بلغ منهم الجهد، وكثرت فيهم الجراح وتكاثر عليهم العدو، وقُتِل عقبة وأبو المهاجر ومن معهما من

---

(1) "ت" و"ف": وأوتي.
(2) "زائدة في "ع".
(3) "ت": قريب عهد.
(4) "ع":: الفرسة
(5) "ف": صار.

المسلمين. ولم يفلت منهم أحد: وأوسر محمد بن أوس الأنصاري ويزيد بن خلف القيسي، ونفر معهما. ففاداهم صاحب قفصة[1]. وبعث بهم إلى زهير بن قيس ومن معه من المسلمين بالقيروان. وأراد زهير الانصراف من إفريقية إلى مصر، فقيل له: "أهزيمة من إفريقية إلى مصر؟". فعزم على القتال، وكان معه تبيع، ربيب كعب الأحبار، فقال له: "لمن تراها" فقال: "لرجل من بلى وأنت رجل من غسان" فقال زهير: "الله أكبر وأنا {والله}[2] رجل من بلى، جنى جدي جناية في قومه، فلجأ إلى غسان. فاجتمع الى كسيلة جميع أهل المغرب.

فزحف[3] يريد القيروان[4]: فاضطرمت إفريقية نارا وعظم[5] البلاء. فقام زهير في في الناس خطيبا، فقال: "يا معشر المسلمين، أصحابكم قد دخلوا الجنة، إن شاء الله، وقد من عليهم بالشهادة، وهذه أبواب الجنة مفتوحة، فاسلكوا مسلك أصحابكم، أو يفتح الله عليكم دون ذلك" فقام حنش الصنعاني فقال: "لا والله، لا نرى قولك ولا لك علينا من طاعة ولا ولاية، ولا نرى أفضل من النجاة بهذه العصابة من المؤمنين[6]، فمن أراد منكم القُفُول فليتبعني"، ثم رحل فنزل بقصر الماء، واتبعه الناس، ولم يبق مع زهير إلا أهل بيته في عدد قليل. فلما رأى ذلك زهير اتبعهم. وأقبل كسيلة بعساكره، فلما قرب من القيروان، خرج العرب منها هاربين، ولم يكن لهم بقتاله طاقة- لعظم ما كان معه من البربر والروم- فأسلموا لهم[7] القيروان، ولم يبق فيها إلا الذراري والأثقال والضعفاء. فأرسلوا إلى كسيلة يطلبون الأمان، فأمنهم. وأقبل كسيلة حتى دخل القيروان في المحرم سنة أربع وستين. وأقام زهير مرابطا ببرقة إلى أن توفي يزيد ابن معاوية في النصف من صفر عام أربعة وستين. وبويع لابنه معاوية الأصغر بعده، ثم توفي معاوية بعد شهرين وعشرة أيام من بيعته. واجتمع الناس بالشام على مروان بن الحكم، وتوفي في رمضان سنة خمس وستين، وولي بعده

---

(1) قفصة: مدينة قديمة بناها الرومان، وبقيت في أيدي دوقاتهم إلى أن فتحها عبد الله بن سعد بن أبي شرح، ينظر وصف أفريقيا ج2 – ص 143.

(2) ساقطة من "ف".

(3) "ت": يزحف.

(4) القيروان: مدينة بإفريقية بناها عقبة بن نافع سنة 51 هـ. كان يقيم بها الولاة، وبها كان مقام الأغلب وبنيه إلى أن زال ملكهم أبو عبد الله المحتسب، ينظر المسالك والممالك للأصطخري ص 34.

(5) "ح1": أعظم.

(6) "ت": المسلمين.

(7) "ت": له.

ابنه عبد الملك بن مروان. فلما اشتد سلطانه اجتمع أكابر المسلمين وسألوه أن ينظر في خبر إفريقية وتخليصها ومن بها من المسلمين من يد كسيلة. فقال لهم: "لا يصلح لدم عقبة إلا من مثله في الدين"، فاتفق رأيهم على زهير بن قيس البلوي، وقالوا: "هذا صاحب عقبة، وأعرف الناس بسيرته، وأولاهم بمطالبة دمه". فوجه إليه عبد الملك يأمره بالخروج إلى إفريقية ليستنقذ من بالقيروان من المسلمين. فكتب إليه زهير، يعرفه بأمر كسيلة ومن معه من جموع البربر، فحشد له وجوه العرب وأهل الشام. وبعث إليه بالأموال. فلما ترادفت عليه الجنود أقبل في عسكر عظيم إلى إفريقية، وذلك في سنة تسع وستين. فلما بلغ كسيلة قدوم زهير، دعا أشراف قومه، فقال: "إني رأيت أن أرحل عن هذه المدينة حوطة على أهلها من المسلمين، فإن لهم عهدا، وخشيت أن يصيروا علينا إلفا مع المسلمين. ولكن ننزل ممّس على ماء كثير، يحمل عساكرنا. فإن هزمناهم، اتبعناهم إلى طرابلس وقطعنا أثرهم، وتكون لنا إفريقية إلى آخر الدهر. وإن هزمونا، كان الجبل منا قريبا {والشعرا}[1] نتحصن بها[2]".

فارتحل عنها، ونزل ممس، وبلغ ذلك زهيرا، فلم يدخل القيروان، ونزلوا[3] على باب سلع. وأقام ثلاثة أيام حتى استراح الجيش، وزحف في يوم الرابع، حتى أشرف على كسيلة آخر النهار، فنزل الناس، وباتوا على مصافهم. فلما أصبح صلى، ثم زحف إليهم، فالتحمت الحرب، فانهزم كسيلة وقتل بممس ولم يجاوزها، ومضى الناس في طلب البربر، فقتلوهم قتلا ذريعا، ورجع زهير إلى القيروان، فخافه من بإفريقية، واشتد جزعهم، ولجأوا إلى الحصون والقلاع، ثم إن زهيرا رأى بإفريقية ملكا عظيما، فكره الإقامة بها، فقال: "وإنما خرجت للجهاد، وأخاف أن تملكني الدنيا فأهلك. ولست أرضى بها [149- ب] ولا بملكها، ورغد عيشها" وكان رحمه الله من رؤساء العابدين، وكبار الزاهدين، فرجع قافلا إلى المشرق. فلما انتهى إلى برقة وكان الروم- حين سمعوا برحيله منها إلى إفريقية- خرجوا إليها بمراكب، فغاروا، وأخذوا نساء، وقتلوا، ونهبوا، ووافق ذلك قدوم زهير من إفريقية، فأخبر بذلك، فأمر العسكر بالمسير على الطريق، وسار هو على الساحل طمعا أن يدرك سَبْي المسلمين؛ فأشرف على

---

(1) ساقطة من "ف".
(2) "ف": به.
(3) "ح1" نزل.

الروم، وهم في خلق عظيم. فلم يقدر على الرجوع، فاستغاث[1] به الأسارى[2]، والروم يدخلونهم المراكب، فأمر أصحابه بالنزول، فنزلوا وقصدوا الروم، والتحم القتال حتى عانق بعضهم بعضا. وكثرت النصارى فقتل زهير ومن معه، وأدخل الروم جميع السبي مراكبهم وارتحلوا إلى القسطنطينية. ولما انتهى الخبر إلى عبد الملك، عظم ذلك عليه وبلغ منه، لفضل زهير ودينه، وكانت مصيبته كمصيبة عقبة- رحمهما الله تعالى- وغضب أشراف المسلمين، وسأل عبد الملك أن ينظر في سد ثغر إفريقية فقال: "لا أعلم أعظم من حسان بن النعمان الغساني" وكان حسان بمصر في عسكر[3] عدده أربعون ألفا، عدة لما يحدث. فكتب إليه عبد الملك يأمره بالتوجه إلى إفريقية، وأطلق يده في أموال مصر يعطي منها من ورد {عليه}[4] من الناس ما[5] شاء. فقدم حسان في عسكر عظيم، لم يدخل إفريقية قط مثله، وذلك في سنة تسع وتسعين[6]، وسار حتى بلغ القيروان. فسأل أهل إفريقية عن أعظم ملك، فقيل له: صاحب قرطاجنة، وكانت مدينة عظيمة، تضرب[7] أمواج البحر سورها، وهي من تونس على على اثني عشر ميلا، وبين تونس والقيروان مائة ميل. فغزا حسان بن النعمان قرطاجنة، وبها خلق عظيم. فإنها كانت دار الملك بإفريقية. فبعث الخيل إليها، وكان البحر لم يخرق إلى تونس وإنما خرق بعد ذلك. وعملت دار الصناعة فالتقى الفريقان، والتحمت الحرب بينهم، وضيق عليهم حسان، فقتل مقاتلتهم ورجالهم، فاجتمع رأيهم على الهروب، وكانت لهم مراكب قد أعدوها، فارتحلوا فيها بأهلهم وأموالهم، فمنهم من ذهب إلى جزيرة صقلية، ومنهم من ذهب إلى الأندلس، فلما انصرف حسان، [و][8] علم أهل بواديها بهروب أهل الملك، تحصنوا بها. فوجه إليهم إليهم حسان فحاصرهم حصارا[9] شديدا، حتى دخل بالسيف وقتلهم[10] قتلا

---

(1) "ف"و "ح2": واستغاث.
(2) "ت": الأسرى.
(3) "ت": عسكره.
(4) ساقطة من "ع".
(5) "ت": من.
(6) "ح1": وسبعين.
(7) "ع": يضرب.
(8) زيادة من "ت".
(9) "ح1": حصرا.
(10) "ح2": قاتلهم.

ذريعا، وأرسل {إلى}[1] من حولها، فأمرهم بهدمها، وكسر القناة التي كان يأتيهم الماء الماء عليها، ثم إن حسان[2] بلغه أن النصارى تجمعوا لقتاله، وأمدهم البربر، فزحف إليهم فقاتلهم قتالا[3] شديدا، فانهزموا، وهرب البربر إلى إقليم برقة. وقدم حسان مدينة القيروان، فلما استراح الناس قال لهم: "دلوني على أعظم ملك بقي بإفريقية، إذا قتل خاف البربر والنصارى، وهابت المسلمين فلم[4] تقدم عليهم" فقالوا: "ليس بإفريقية أعظم من امرأة بجبل أوراس يقال لها الكاهنة، والبربر والنصارى لها مطيعون، ومنها خائفون". فلما أخبر[5] بذلك، توجه لقتال الكاهنة، فبلغ الكاهنة أمره فارتحلت من جبل أوراس في عدد عظيم إلى مدينة باغاية. فأخرجت منها الروم وأخربت حصنها، وظنت أن حسان إنما يريد معقلا يتحصن فيه. وأقبل حسان في جيوشه، حتى دنا بعضهم من بعض، وذلك في آخر النهار، فكره حسان لقاءها في ذلك الوقت، فبات الناس على سروجهم حتى أصبح الصباح، فزحف بعضهم إلى بعض، واقتتلوا أشد قتال. وقتل من العرب خلق كثير وأسرت الكاهنة من أصحاب حسان ثلاثين رجلا، منهم خالد بن زيد العبسي، وكان رجلا شريفا، واتبعت الكاهنة حسان[6] حتى خرج من عمل قابس، وأسلم إفريقية. وكتب إلى عبد الملك يخبره بما لقيه المسلمون، فوافاه كتابه يأمره بالمقام حيث أدركه[7] الجواب، فأدركه وهو بعمل برقة، فأقام هناك خمسة أعوام بموضع يعرف بقصور حسان، وله نسبت قصور حسان، ثم أعمل عبد الملك رأيه في من يبعث لإفريقية، واستشار في ذلك، ولم يجد مثل حسان. فبعث إليه جيشا عظيما، ومالا وسلاحا، وكانت الكاهنة أطلقت أصحابه الذين أسرتهم. وأحسنت إليهم إلا خالد بن يزيد فإنها أمسكته، وكان لها ولدان، فقالت [150- أ]: "إني أريد أن أرضعك مع ولدي هاذين." فقال لها: "كيف يكون ذلك، وقد ذهب منك الرضاع؟" فقالت: "إنا جماعة {من}[8] البربر

---

(1) ساقطة من "ف".

(2) "ف": حسانا.

(3) "ح1": قتلا.

(4) "ف": فلا.

(5) "ت": أخبروه "ف": أخبره.

(6) "ف": حسانا.

(7) "ف": يدركه.

(8) ساقطة من "ت".

{لنا}[1] رضاع نتوارث به إذا صنعناه"، ثم عمدت إلى دقيق الشعير فلثته بزيت، ثم جعلته على ثديها ثم أمرت ولديْهاَ أن يأكلا منه مع خالد، فأكلوا وقالت لهم: "أنتم إخوة من الرضاع" ثم إن حسانا وفدت إليه العرب ورجالها، فدعا رجلا منهم فبعث معه {كتابا}[2] إلى خالد، وكان واثقا بأن خالدا لا يرجع عن الإسلام. فلما أتى رسول حسان خالدا، فوقف إليه في زي سائل، فعلم خالد أنه رسول، فاعتذر له، وقال له: تعود في غير هذا الوقت، فلما انقضى المجلس، أتاه وأخذ الكتاب، فقرأه وكتب في ظهره أن البربر متفرقون، لا نظام، ولا رأي لهم، وإنما ابتلينا بأمر أراد الله أن يكرم به من مضى، فَاطْوِ المراحل وجِدَّ في السير، فإن الأمر لله، ولن يسلمك الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وجعل الكتاب في خبز، ومضى الرسول. فلم تلبث الكاهنة بعد ذهابه إلى أن خرجت، ناشرة شعرها، تضرب صدرها، وتقول: "ويلكم ذهب ملككم فيما يؤكل". فافترقوا يمينا وشمالا يطلبون ذلك، فستره الله عز وجل. فلما وصل إلى حسان، أخرج الكتاب من الخبزة وقد احترق. فقال له حسان: "ارجع"، فقال له: "إني أخاف على نفسي، فالمرأة كاهنة". فكتب له كتابا وجعله في نقرة نقرت[3] في قربوس[4] سرْجه وغطاه بالشمع. فمضى الرسول حتى أتى خالدا، فدفع إليه الكتاب وعرفه أن الأول أحرقته النار، فرد جوابه وأعاده في قربوس سرجه ومضى، فخرجت ناشرة شعرها تضرب صدرها وتقول: "ذهب ملككم في نبات الأرض وأراه بين لوحين". وكانت الكاهنة قد ملكت إفريقية خمس سنين، منذ انصرف حسان عنها. ولما رأت إبطاء العرب قالت للبربر: "أن العرب إنما يطلبون من إفريقية المدائن والذهب والفضة والشجر، ونحن إنما نطلب منها المزارع والمراعي، ولا نرى لكم إلا خراب إفريقية حتى ييأسوا منها، ويقل طمعهم[5] منها." فوجهت قومها قومها إلى كل ناحية يقطعون الزيتون والشجر ويهدمون الحصون. فحكى بعض المؤرخين عن عبد الرحمان بن زياد بن أنعم، رحمه الله، أنه قال: "وكانت إفريقية من طرابلس إلى طنجة ظلا واحدا وقرى متصلة عامرة، وأخربت جميع ذلك." قال

(1) ساقطة من "ع".
(2) ساقطة من "ح1".
(3) نقر نقرا في الحجر: كتب فيه ينظر اللسان مادة (ن، ق، ر).
(4) القربوس: حنو الشرج، وهما قربوسان ج قرابيس، ينظر اللسان مادة (ف، ر، ب).
(5) "ح2": طمعكم.

الشيخ محمد بن علي، شارح الشقراطسية[1]، سمعت من يقول: "إنه كان بإفريقية في القديم مائة ألف جفن[2] من بين قصر ومدينة، وإن ملكها كان إذا أراد الغزو، وبعث إلى كل جفن[3]، فيأتيه منه فارس ودينار، فيجتمع له مائة ألف فارس ومائة ألف دينار ولا ينقص من بلده[4] شيء"، والله أعلم بصحة ذلك.

ومن تأمل أثر المدن والقصور الخاربة بإفريقية وتَدَانِي بعضها من بعض، رأى من ذلك ما يقضي منها العجب، ويستدل به على كثرة عمرانها في السالف، وكذلك الشعارى التي بها. إذا تأمل أشجارها في مواضع على اعتدال وترتيب، تنبئ أنها مغروسة لا نبات. ويقال إنما فيها الآن من بطم إنما كان فستقا، وإنما استحال إلى الصغر، وإلى طعم آخر، لطول ما أتى عليه من السنين. ولا شك أن من أكل البطم أخضر وجد طعمه كطعم الفستق.

قال: "فلما بلغ كتاب خالد إلى حسان [رحمه الله][5]، خرج بالجيوش فلقي في في طريقه ثلاثمائة رجل من النصارى يستغيثون من الكاهنة، فيما نزل بهم من الخراب، وإخراب[6] ضياعهم، ووصل إلى قابس، فخرج إليه أهلها وطلبوا منه الأمان، الأمان، وكانوا قبل ذلك يتحصنون ويمتنعون من كل من مر بهم. وترك عامله عليهم، وقاطعهم على مال معلوم، واستطال طريق القيروان. فمال إلى قصور قفصة فنزلها. وأهدى إليه ملوكها وملوك قفصة وقصطبيلة ونفزاوة، وبعثوا إليه يستغيثون به من الكاهنة، فسره ذلك. وبلغ الكاهنة قدومُه، فرحلت من جبل أوراس تريده في خلق

---

(1) [نسبة إلى ناظم القصيدة البليغة الرائقة الآتية من البلاغة بالأنواع الفائقة المشتملة على مائة وخمسين بيتا من البسيط. لامية مادحة لخير الخلق صلى الله عليه وسلم. وناظمها هو: أبو محمد عبد الله بن أبي زكريا. وقد خمسها الشيخ محمد المذكور، وهو الشيخ محمد التوزري نسبة إلى توزر. وهو أحد أعلام القضاة والعلماء الصدور والفضلاء، وله معارف جمة وتصانيف معبرة وكان زاهدا فاضلا. وقد شرح هو بنفسه تخميسه بشرح لم يسبق إلى مثله في مجلدات عدة قال ابن مرزوق: وهو كتاب قد بلغ الغاية في الإحسان، ومن تأليفه الغرة اللائحة والمسكة الفائحة في الخطوط الصمدية والمفاخرة المحمدية. وسبب هذا التأليف ما حكى هو بنفسه. قال ولد عندنا بتوزر ليلة غرة رجب من عام أربعة وسبعين وستمائة: "جَدْيٌ أسود غرته بيضاء وفيها مكتوب بالأسود محمد بخط بين يقرأه كل أحد، ووضع في ذلك نظما بديعا من بحر الكامل، والقافية لامية، وهي مشهورة. قف على فتح المتعال للإمام المقري وتوزر، يأتي ذكرها بعد بورقة.] هذه الإضافة في حاشية الورقة 36 من "ت".

(2) "ف": حصن.

(3) "ف": حصن.

(4) "ت": بلاده.

(5) زائدة في "ح2".

(6) "ح1": خراب.

عظيم. فلما كان في الليل دعت ابنيها وأخبرتهما أنها مقتولة، وكأنها تنظر إلى رأسها يركض به فارسان إلى ناحية المشرق. وكأنها ترى رأسها بين يدي ملك العرب الذي بعث بهذا الرجل. فقال لها خالد: "فإذا كان هكذا فارحلي بنا. وخلي لهم عن البلاد" وأشار عليها أولادها بمثل ذلك. فقالت: "كيف أفر وأنا ملكة والملوك لا تفر وأورث قومي عارا" فقالوا لها: "إنما تخافين على قومك". فقالت [150- ب]" إذا أنا مت فلا أبقى الله منهم أحدا. " فقال لها ابناها وخالد: "فما نحن صانعون" فقالت: "أما أنت يا خالد فستدرك[1] ملكا عظيما عند الملك {الأعظم}[2]، وأما أولادي فسيدركون سلطانا عند هذا الرجل ويعقد لهم على البربر"، ثم أمرتهم أن يركبوا ويستأمنوا إليه. فركبوا وتوجهوا إلى حسان، فأعلمه خالد بقولها، وأنها مقتولة، وبوصول ولديها. فأمر بحفظهما وأمر خالد على عامَة[3] الخيل، ثم خرجت الكاهنة، ناشرة شعرها، تقول: "انظروا ما دهاكم، انظروا لأنفسكم، فإني لمقتولة"[4]. والتحمت الحرب[5] واشتد القتال، واستحرّ القتل في الفريقين، حتى ظن الناس أنه الفناء، ثم انهزمت الكاهنة وتبعها حسان حتى قتلها، وقطع رأسها عند بئر يعرف ببئر الكاهنة. وولى حسان الأكبر من ولدي الكاهنة على جماعة من البربر، ثم إن البربر استأمنوا إلى حسان، فلم يقبل إلا أن يعطوا من قبائلهم اثني عشر ألفا يكونون مع العرب مجاهدين، فأجابوا، وأسلموا على يديه. فعقد لكل واحد من ولدي الكاهنة على ستة آلاف، وأخرجهم مع العرب يجاهدون في سبيل الله، عز وجل، بإفريقية، ويقتلون الكفرة من الروم والبربر وانصرف حسان إلى القيروان، وذلك في سنة أربع وثمانين، وقد دانت له إفريقية، وكتب الخراج على من بها من النصارى، ومن كان على دين النصرانية من البربر وغيرهم، وأقام بإفريقية لا ينازعه بشر، إلى أن عزل عنها ووليها موسى بن نصير. انتهى: ملخصا من شرح الشقراطسية للشيخ محمد بن علي وبعضها بالمعنى والتقديم والتأخير.

---

(1) في " ح1": مدرك.
(2) ساقطة من "ع".
(3) "ت": عمة(أشار الناسخ في الحاشية: عامة).
(4) "ح1": فإنها مقتولة، والصحيح ما أثبتناه.
(5) "ح2": الحرب.

ثم دخلنا لزيارته[1] مع جملة وافرة من أصحابنا اصفرارا، وقبره بالبسيط الذي تحت جبل أوراس الذي قتل به، وهو مشهور يزار. وعليه مسجد عجيب، وحوله قرية عجيبة في وسط هذا البسيط. وفي مسجده مئذنة كبيرة متقنة البناء وفي أعلاها عمود، يزعم الحجاج أن من تمسك بذلك العمود وحركه، وقال: "أقسمت عليك أيتها المئذنة بحق سيدي عقبة إلا ما تحرَّكْتِ فتهتز"[2].

وفي حجة ستة وتسعين، طلع إليها بعض أصحابنا، كالقاضي سيدي أحمد بن إبراهيم المراكشي، والفقيه سيدي عبد الله ابن إبراهيم السملالي إمام مسجد طلحة، وسيدي محمد بن عبد العزيز الرسموكي، وشاهدوا ذلك وصدقوه، وأنكر ذلك الإمام شيخنا سيدي عبد الله العياشي قال: "{و}[3] طلعت إليها ورأيت ذلك وليس كما زعموا، وإنما هو من إتقان البناء وفرط طوله، فإذا صودم بقوة[4] ظهر فيه شبه اهتزاز وذلك يقع في كل بناء"،[5] قال: "وغالب من دخل المسجد من الحجاج يكتب خطه على أساطين المسجد وحيطانه، ويكتب اسمه، واتخذوا ذلك ديدنا وعادة مستمرة"[6] انتهى.

وقد دخلت إليه مرارا، وصليت فيه سبحة الضحى، وهذه المرة زرناه اصفرارا، [و][7] في وقت لا تحل فيه النافلة[8]، ثم ارتحلنا منه وأصْحَبْنا معنا رجلا اسمه: محمد بن مبروك، عربيا، يهدينا السبيل إلى الزرايب. ونزلنا بالمنصف بعيد العصر، ووجدنا

---

(1) [مدفن سيدي عقبة رضي الله عنه ورحمه]. هذه الزيادة من حاشية الورقة 37 في "ع".
(2) ينظر ماء الموائد: ج2، ص: 411.
(3) ساقطة من "ت".
(4) "ح1": لقوة، والصحيح ما أثبتناه.
(5) ماء الموائد، ج2 ص نفسه: 411.
(6) ينظر م. نفسه.
(7) زائدة في "ح2".
(8) هناك عدة أحاديث شريفة تنهى عن الصلاة قبل غروب الشمس ومنها ما جاء في صحيح مسلم: "عن "عن ابي بصرة الغفاري رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر بالمخمص فقال: إن هذه الصلاة عرضت على من كان قبلكم فضيعوها، فمن حافظ عليها، كان له أجره مرتين، ولا صلاة بعدها حتى يطلع الشاهد ". والشاهد هو النجم. ينظر مختصر صحيح مسلم ص 64 رقم الحديث 215.
"عن أبي هريرة رضي الله هنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة بعد العصر، حتى تغرب الشمس، وعن الصلاة بعد الصبح، حتى تطلع الشمس". ينظر مختصر صحيح مسلم ص 65 رقم الحديث 218.

قبله خنادق مملوءة بماء المطر. وسمي بالمنصف لأنه نصف الطريق بين الزرايب وسيدي عقبة.

ثم منه، وبلغنا الحقف، ونزل الناس حتى أفطروا، واستقى الماء من أراده، وبلغنا زريبة الوادي قرب الظهر، وجلسنا هناك وقلنا[1] في قبة ولي الله الشريف سيدي حسن[2] الكوفي. وزعم أهل تلك النواحي أنه طار من الكوفة وقد قيل له ذات يوم: "من لنا بأنك شريف؟".

فذهب ساعتئذ، فرجع قريبا فإذا بيده صك فيه نسبه كما كتب بخط كوفي، وكان واديهم لا يجري، فشكوا إليه ذلك، فقال لهم: "جروني فيه". فكان الوادي بعد ذلك يجري إلى الآن. أخبر بهذا جماعة ممن يوثق بهم[3] من أولاد سيدي ناجي، وصلينا عند ضريحه الظهر حتى قرب العصر، وسرنا، ونزلنا أم الخير قرب الغروب، والتقانا هناك أحبتنا أولاد سيدي ناجي، سيدي بلقاسم بن محمد بن المبارك،[4] وسيدي محمد بن الهاني، {وسيدي الهاني}[5] بن الحفيان، وسيدي عبد الحفيظ بن الطيب، وشقيقه سيدي ناجي، وسيدي محمد بن الطيب، وسيدي المبروك، وسيدي مسعود: رأيته ببسكرة، وسيدي أبو بكر: لم نجده [151- أ] هناك. وهؤلاء أشقة والفقيه سيدي عيسى بن محمد بن مبارك، وابنه سيدي مسعود وغيرهم من المرابطين. وإمامهم ومدرسهم سيدي أحمد بن عمرو،[6] والأخ سيدي رمضان. وأقمنا بهذا المنزل يوم الجمعة لتسوق الأعراب، واشترى الحجاج عندهم ما قسم الله من الإبل، واشترينا نحن منهم خمسة، وثلاثين[7] بزريبة الوادي.

وظعنا يوم السبت، واكتريت رجلا يهدينا السبيل لتوزر[8]، بريال، اسمه: مسعود مسعود بن صالح، وبتنا بالمنصف، ووجدنا غدرانا من ماء المطر قبله.

---

(1) "ع" و"ف": وقيلنا.
(2) "ت": سيدي الحسن.
(3) "ت": به والصحيح ما أثبتناه.
(4) "ت": مبارك.
(5) ساقطة من "ح1".
(6) "ح2": عمر.
(7) "ع": وثلاثة والأرجح ما أثبتناه.
(8) توزر: قاعدة البلاد الجريدية، وليس في بلاد الجريد غابة أكبر منها ولا أكثر مياها. وأصل مياهها من من عيون تنبع من الرمل وتجتمع خارج البلد في واد متسع، تتشعب منه جداول يقسمونها بينهم على أملاك لهم مقررة، ينظر نزهة النظار ج1 – ص 105.

ثم منه ونزلنا غربي وادي الرتم.

ثم منه، ونزلنا غِسران- على وزن عِمران- مغربا، وبه واد جار، وماؤه ليس بذاك.

ثم منه، ونزلنا قرب الشبيكة قرب الغروب.

ثم منه، ونزلنا الحامة قبل[1] الاصفرار.

ثم منه، ونزلنا توزر ضحى الأربعاء، رابع شعبان الثامن والعشرين من شتنبر. وأودعنا ثلاثة من الإبل عند سيدي الهاني بن الحفيان، وضاع لنا بعير بالنفيضة، مريض، والآخر بالسبخة قبل الحامة، وأقمنا بها يوم الخميس. وتوزر هذه هي قاعدة بلاد الجريد، من عَمل تونس. ووافينا بها في الحجة قبل هذه، عام تسعة، أمير تونس: رمضان بي، بمحلته. جاء لقبض الخراج[2] الموظَّفِ على البلد- كما هي سنتهم وسنة من اقتدى بهم- قطعها الله من سنة، وأخلى منها جميع أراضي الإسلام بلا محنة، وملأها بالعدل المستديم، والدين القويم. وما رأيت ببلاد الجريد أكثر منها نخلا وأحسن بناء، وأوسع- بعد بسكرة- ساحة، وأغزر ماء. وبناؤهم بالآجر، فلذلك كان أحسن من بناء بسكرة، ما عدا المسجد والمنار، فقد قدمنا من وصفهما ما يغني عن الإعادة، وبها من الثمار ما لا يحصي عدده إلا الله. يرد عليها من الأعراب الآلاف المتألفة، ويملأ كل واحد إبله بما شاء من الثمار، وتمرها من أجود تمر الجريد، ومياهها غزيرة، وجناتها كثيرة، ينساب[3] فيها واد كبير منبعه من غربيها. وأعرابها أهل أهل بادية مخصبة، يرخص فيها غالبا سعر السمن واللحم، وأما الثمر فيها فرخيص جدا، يكاد يكون كدرعة وأمثالها. ولكن أضر بأهلها جور الولاة، حتى كاد الخراب يستولي عليها، لضعف أهلها بالجبايات الظلمية. وقد بنى بها محمد بيْ- عفا الله عنا وعنه- مدرسة للطلبة جيدة، بإزاء مسجد جيد متقن بناء[4] رائق، أعمدتها كلها رخام. وبنى أخرى بقابس[5] مثلها وأحسن، عفا الله عنه. وقد كثر جور الأتراك بهذه

---

(1) "ح2": قرب.

(2) لعله يقصد بالخراج، بعض الإتوات الظالمة التي تفرضها الجهة الحاكمة، غير الخراج الشرعي.

(3) "ت": ينساق، والصحيح ما أثبتناه.

(4) "ح1": بناء.

(5) قابس: مدينة بين طرابلس وسفاقس ثم المهدية على ساحل بحر المغرب، من أعمال افريقية، وبها مرفأ السفن في كل مكان، وبينها وبين البحر ثلاثة أميال، ينظر مراصد الإطلاع ج3- ص 1054.

البلاد، وشاع بها الظلم والفساد. أخبرني بعضهم: أنهم كانوا يعطون ستة نواصر على كل نخلة، وأربعة على كل زيتونة. والناصر اسم لسكة عندهم معروفة: اثنان وخمسون في كل ريال. [لكل عام][1]. وأخبرني بعض الشرطيين في الحجة قبل هذه أن خراج الجريد من نفطة[2] إلى قابس خمسمائة ألف ريال، لكل عام، وخراج جربة[3] وحدها ستون ألف، ومؤونة مائتي صباحي من البر[4] والأرز والسمن والخل والزيت واللحم. فالله تعالى يقطع جور الجائرين، ولا يصلح عمل المفسدين. ونفطة أيضا مدينة كبيرة قريبة من توزر. ولها واد مثل واديها ويقال إن خراجها مثل ثلثي خراج توزر.

ثم ظعنا منه، ونزلنا سداد[5] يوم الجمعة، بلدة سيدي أبي هلال على حد السبخة، سادس شعبان واشترينا بها بعيرين، أحدهما: بأحد وعشرين[6] غير ربع، والآخر: بسبعة عشر[7]، ثم بغلتين ببعيرين. وهو مدفون بسند الجبل، وعليه مشهد عظيم، وعنده مسجد وثيق، وحوله أبنية ليس بها ساكن، وقبور كثيرة.

ثم منه، يوم السبت، سابع شعبان أول أكتوبر، ودخلنا السبخة الكبيرة الهائلة، التي لم يسمع مثلها في الأرض، في الطول والعرض. والتقينا قبل الدخول فيها ببعض الحجاج الصعاليك الراجعين من أهل تكرث[8]، وسألناهم عن أصحابنا، فأخبرونا بسلامتهم، والله يكمل علينا. آمين. وقد كانت الأركاب تحير في هذه السبخة[9]، وربما تهلك فيها الرواحل. وقد ذكر الإمام العياشي[10] أن رفقة هلكت فيها –على ما قيل– بأن غاست في بعض الأمكنة منها، وابتلعتها الأرض، ولم يظهر لها أثر ولا خبر. ونزلنا غربي زاوية الرمل قبل الاصفرار.

---

(1) زيادة من "ف".
(2) نفطة: مدينة بإفريقيا، بينها وبين توزر مرحلة، ينظر معجم البلدان، ج5 – ص 342.
(3) جربة: جزيرة في بحر إفريقية، وطولها من المغرب إلى المشرق ستون ميلا، ينظر الروض المعطار ص–ص: 158– 159.
(4) "ح2": التبر، والأرجح ما أثبتناه.
(5) "ت": سداس.
(6) "ح1": أحد وعشرون.
(7) "ت": سبعة عشر.
(8) "ت": تكترث.
(9) السَّبْخَة: أرض ذات ملح ونزّ لا تكاد تنبت، وتسوخ فيها الأقدام (مادة: س – ب– خ، لسان العرب).
(10) ينظر ماء الموائد ج 1، ص: 53.

نكتة: ليس بهذه السبخة [151- ب] ما يستبرأ به ولا ما يستجمر به من الأحجار، ولقد أخذ من له خبرة بها من الأحجار المعدة لذلك من خارجها ما يكفيه، ويهديها لمن يليه، وكذلك ينبغي لكل عاقل أن يفعل. ومن الألطاف الخفية أن جميع إيالة تونس وعمالتها في غاية ما يكون من الأمان من شن الغارات، كما هي عادة الأعراب، ولا يقدر أحد أن يمد يده جهارا على جهة التعدي خوفا من الفعل الواصل إليهم من الولاة من غير حد ينتهي إليه، وأما النهب بالسرقة والاختلاس، فاحفظ مالك وما عليك من جميع الناس في: جميع المواضع وخصوصا توزر، فإنها أكثر بلاد الله سرقة وخطفا. ومن حلمه تعالى لم تخسف بهم بلدهم خسفا، فإن الله تعالى حليم لا يعجل، ولولا ذلك لنزل عليهم البلاء المعجل، فإنهم يسرقون بالليل، ويخطفون بالنهار، قلّ من سلم منهم من الحجاج، خصوصا المغفلين الذين لا خبرة لهم بأحوالهم، في حجة تسع:[1] فلقد كانوا يتبايعون مع الناس، ويخطفون من أيديهم المبيع ويذهبون به، فقليل من يلحقهم لكثرة الازدحام، وقد غسل الحجاج ثيابهم ونشروها، وجلسوا عليها يحفظونها. فإذا رأى أحدهم غفلة من صاحبها، وثب عليها كالسِّنَّوْرِ، فاختطفها ومر هاربا. وقع ذلك كله لكثير من الحجاج. وكنا وجدنا عندهم كثيرا من الأعراب نزلوا مع الترك وقت التمر. وأما العام فلم نر من ذلك شيئا، ولم نجد بها أعرابا. وزعم أهل البلد أن ذلك من الأعراب، والله يهدي من يشاء، ويضل من يشاء. ومر بعض الركب بزاوية الرمل، واشتروا الشعير بالرخص والتمر.

{و}[2] لما ارتحلنا يوم الأحد، ونزلنا قصر الرمان عصرا، والتقانا خارج البلد متعرضا، محبنا ابن التومي، وأضافنا بما أمكنه، والله يتقبل منه. ثم وادي نخلة قبل الاصفرار، ولم ينزل آخر الركب إلى العشاء، ثم حامة قابس بين ظهري الثلاثاء، عاشر شعبان رابع أكتوبر. ومات لنا بعير من هذه المرحلة، تقبله الله. وفي حجتنا قبل هذه مررنا بهذه المرحلة على أولاد الحاج، فوجدناهم تعرضوا للحجاج بخيامهم وسط الطريق، وفرحوا بهم غاية الفرح، وصبوا عليهم أودية من اللبن مجانا، وتفضلا منهم وإحسانا، ولما فرغ لبن الأوطاب[3]، شرعوا في لبن الضروع[1] يحلبون ويسقون حتى

(1) "ع": تسعة، والصحيح ما أثبتناه.
(2) ساقطة من"ت".
(3) الأوطاب جمع الوطب سقاء اللبن وهو جلد الجذع فما فوقه، ينظر اللسان مادة (و، ط، ب).

أرضوْهم عن آخرهم وأرْوَوْهُم، كثر الله خيرهم، وأعلى ذكرهم، وشكر سعيهم، وتولى رعيهم. وقد عمدوا إلى مواشيهم من الغنم والإبل وجمعوها، وساقوها وصفوها، وقالوا: "لا بد أن تمروا وسطها"، نفعهم الله بنياتهم وأعطاهم فوق أمنياتهم. وماء هذا البلد[2] حار جدا، كأنما غلى[3] على النار، ولا يستطيع الإنسان الجلوس فيه إلا تكلفا وكرها. وبنيت عليه حوانيت للاغتسال، وحولها مسجد صغير.

ثم قابس ظهر الأربعاء، حادي عشر شعبان، ومررنا بضريح أبي لبابة[4]، وزرناه، وصلينا في مسجده، وجلسنا خارجه، وتلقانا هنالك الأخ سيدي علي الفرجاني. ولما اطمأن الركب وبنوا الأخبية لحقنا به، وأضافنا بقصعة كبيرة من الطعام مملوءة لحما، وأكلها سادتنا الأشراف مع الطلبة، تقبل الله منه. وهو من أصحاب الشيخ الوالد نفعنا الله به. آمين. أخذ الورد من الشيخ على لسان سيدي أبي راوي الاجليتني[5] من سلالة سيدي عبد السلام، وهو رحمه الله من أجل أصحاب الشيخ. والفرجاني هذا فرح بنا غاية الفرح، وله معرفة بالفروع، أخذها على الفقيه السيد[6] إبراهيم الجربي، ولا يحكى عنه إلا الخير، خلاف ما عليه الطائفة المعلومة[7] بجربة من انحرافهم عن طريق أهل السنة، وميلهم إلى مذهب الرافضة، طهر الله منهم تلك البقعة.

نكتة: وأبو لبابة هذا من أصحاب سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ذكره ابن ناجي في اختصار معالم الإيمان، وروضات الرضوان، من مناقب المشهورين من صلحاء القيروان[8]: وهو كتاب ممتع في سفر، والأصل لأبي زيد[9] الدباغ[1]

---

(1) الضروع جمع الضرع وهو مدر اللبن ويقال: ما له زرع ولا ضرع. ينظر اللسان مادة (ض، ر، ع).
(2) "ت": البلدة.
(3) "ع": غلا، والأرجح ما أثبتناه.
(4) أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري، صحابي، شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا وما بعدها من المشاهد، توفي في خلافة علي رضي الله عنه. ينظر الإصابة ج 4 – ص 168.
(5) "ح2": الأصيليتي، "ف": الا گليتيني.
(6) "ت": سيدي.
(7) "ح1": المعروفة.
(8) وفي ذلك يقول العبدري عن صاحب هذا الكتاب: وله مجموعة تواليف، ونظم جيد كثير. ومشاركة في العلوم، وألف كتابا حسنا مفيدا في طبقات من دخل القيروان من الفضلاء، من دخلها الإسلام إلى زمانه وهو كبير في مجلدين وسماه: "معالم الإيمان وروضات الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان". الرحلة المغربية: ص– 165.
(9) "ت": زياد.

القيرواني. وذكر البلوي[2] في رحلته أنه لقي صاحب هذا التأليف وأثنى عليه وعلى تأليفه هذا، وقد أطال في خبره. وذكرأن قبره مما تواتر عند أهل بلده، وذكر أنه سأل شيخه البرزلي عنه، فقال له مثل ذلك. وإن تواتره دليل على صحة[3] ذلك، وذكر أن من لم يذكره ممن ألف في أسماء الصحابة وأمكنة وفياتهم، فلأنه لم يبلغه العلم به. والتواتر المذكور مقدم على ذلك، وكاف في إثبات أن ذلك قبره، وقد بني عليه أمير تونس حمودا بنيانا عظيما، أثابه[4] الله على قصده"[5]. وبإزائه مدرسة بناها محمد بي في غاية الجودة والإتقان والحسن، ومسجده كذلك. وجعل لهذه المدرسة أحباسا، ورتب فيها عشرين طالبا، يعطي كل واحد منهم ريالا على رأس كل شهر، واستأجر فقيها يعلمهم ويصلي الصلوات الخمس بالمسجد المذكور، إماما به. فالله تعالى يرحمه به ويعفو عنه، فلقد خلف ما يذكر عنه من الآثار الحسنة. والله [تعالى][6] برحمته يبدل لمن يشاء [السيئة بالحسنة][7]. وأنشدنا هنالك لنفسه صهرنا الأحب أبو العباس البرنوسي[8] الشفشاوني، رحمه الله، عام تسعة: (الوافر)

نَـزَلْنَا بِقَابُـسٍ[9] وَشَـفَيْنَا[10] فِيـهِ ... غَلِيـلَ القَلْـبِ مِـنْ شَـوْقٍ أَصَابَـهْ

وَزُرْنَـا بِـهِ ضَرِيـحَ إِمَـامٍ بَـرٍّ ... وَبَـحرٍ فِـي السَّخَـاءِ أَبَـى لُبَـابَهْ

هُـوَ البَحْـرُ المَعِيـنُ لِـوَارِدِيهِ[11] ... فَـرِدْ مَا شِئْتَ مِنْ بَحْرِ الصَّحَابَةْ

فَأَيْقَنَّا بِـنَيْلِ القَصْـدِ حَقّـًا ... وَصَدَّقْنَـا بِـإِسْرَاعِ الإِجَـابَهْ

---

(1) أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن عبد الله الأنصاري الأسيدي، من ولد أسيد بن حضير رضي الله عنه، ويعرف بالدباغ، تنظر ترجمته في رحلة العبدري ص– ص: 163– 164.

(2) فالبلوي لم يذكر الدباغ في رحلته ولم يلتق به ولم يثني عليه. والأرجح أن ذكر البلوي في الرحلة العياشية ورد خطأ. فالذي ذكر الدباغ بإسهاب وأثنى عليه فهو العبدري. ينظر الرحلة المغربية للعبدري الصفحات: 106– 163– 164– 165– 166– 167– 168– 169– 307– 412.

(3) "ف": صحته.

(4) "ح1": أتى به، والصحيح ما أثبتناه.

(5) ينظر ماء الموائد ج2، ص: 405.

(6) زيادة من "ت".

(7) "ع": بالسيئة الحسنة.

(8) "ت": البرنسي.

(9) اسم مكان.

(10) "ت": فشفينا.

(11) "ح1": لوارده.

أَنِلْنَا يَا إِلَهِي كُلَّ خَيرٍ ... وَإِحسَانٍ وَزَوِّدْنَا الإِنابَهْ

وَعَامِلْنَا فَإِنَّا قَدْ أَسَأْنا ... بِفَضْلٍ لاَ تُغَلِّقْ عَنا بَابَهْ

وَأَمْدِدْنَا بِوَافِرِ مُلْعَطَايَا[1] ... أدِرْ عَلَيْنَا مِنْ دَرِّ السَّحابَهْ

وَنَوِّرْ قَلْبَنَا وَامْلأْهُ حُبّاً ... وَصِدْقاً وَلْتُزِلْ عَنَّا حِجَابَهْ

بلغه الله جميع مراده، وجعله من خواص أهل محبته ووداده. وأُخْبِرت بأن المدرسة التي يدرس بها السيد إبراهيم الجمني بجربة، هو الذي بناها أيضا. وصلينا الظهر عند أبي لبابة، والعصر بمنزل الركب، وهي آخر البلاد التي فيها ماء واد جار، وفيها رحى ماء غريبة الصنعة، إلا أنها تتعطل كثيرا.

ثم ظعنا منه يوم الخميس، وسار معنا سيدي علي الفرجاني أميالا، ورددناه لما بلغني سليمان مملوك أخي وأخبرني بتخلف ولد أخي محمد بن محمد وراءنا ليبحث لنا عليه. وجاءنا به ولحقنا بالمبيت بمارات ولحق بنا أيضا سيدي عبد الظهار بن عمر صهر سيدي أحمد بن جابر، وصحبنا إلى طرابلس، ونعم الأخ هو.

ثم ظعنا من مارات يوم الجمعة، ونزلنا قبالة أبي غرارة ثم منه ونزلنا شرقي نبش الذيب قبل الاصفرار. وصحبنا أيضا سيدي أحمد بن عبد اللطيف، من أولاد ابن مريم، وهو من أحبة سيدي محمد المكني. وتلقانا المرابط الخير سيدي محمد الصالح الحمروني وأولاده، سيدي عبد الله وسيدي عبد الكريم، ونعم السيد هو. لم أر مثله من سادتنا الحمارنة دينا وسمتا وعلما، وولده السيد عبد الكريم من أجل الطلبة. وأضافنا بغرارة شعير وكبش وغرارة بلح، تقبل الله منه، وسار معنا إلى القرية التي كانت شرقي زريق وودعناه عند قبة هناك، أخبرنا[2] أن صاحبها من تلامذة الإمام الشهير أبي العباس سيدي أحمد البدوي، وَوَلداه سارا معنا حتى صلينا الظهر، ورجعا، وبتنا ابن قردان، موضعا فيه كثرة السواني وآثار العمارة قد دثرت، قرب الاصفرار. وأقمنا به يوم الاثنين وتسوقنا الأعراب عكارة وأولاد سيدي عبد النبي وأولاد ابن مريم وأولاد نوير. وأتوا بكثرة الإبل، واشترى الناس، واشترينا نحن خمسة عشر بعيرا بنحو

---

(1) ملعطايا: أدغمت نون (من) في (لام) العطايا لضرورة الوزن.
(2) "ع": أخبرني.

مائتي[1] ريالة وإحدى وتسعين ريالة ونصف. وأضافنا السيد بلقاسم -[2] عم سيدي أحمد بن عبد اللطيف- بحمل قمح وحمل شعير وحملين تمرا وأربع أوطاب من حليب الإبل وأربع شياه، كثر الله خيره وأدام عليه نعمه. وهو صهر سيدي أحمد المكني، ماتت عنده أخته. وأودعنا عند سيدي أحمد بن عبد اللطيف سبعا من الإبل، وأوصيته أن يأخذ الذي عند العكاري فيكون ثامنا[3]، وواحدا[4] للحسين بن أحمد [152- ب] وناقة للحاج أحمد سباطة، ومات لنا بعير بابن قردان، تقبله الله.

ثم ظعنا يوم الثلاثاء، ونزلنا غربي برج الملح.

ثم منه يوم الأربعاء، ونزلنا بين الزوارتين بعد[5] الاصفرار. وماء ابن قردان من أقبح المياه، وماء الزوارتين[6] من أحسن المياه.

ثم منه ونزلنا مليتة قرب العصر. ثم عقبة[7] قرب الاصفرار، وأودعنا جملين بها على يد الأخ سيدي عبد الظاهر. ثم زنزور قرب[8] المغرب. ووثب بعض السراق على بعض الحجاج. وأخذوا منه[9] ما قدر لهم، وفطن له[10] بعضهم وأوقعوا به الضرب والشجح برأسه وأصموه بإذن الله- نسأل الله تعالى السلامة والعافية بمنه وكرمه.

ثم ارتحلنا منه قاصدين لمدينة طرابلس أمنها الله، وبينها وبين هذه البلدة نحو {من}[11] اثني عشر ميلا انتهى. والحمد لله {أولا وآخرا}[12].

---

(1) "ع": مائتين والصحيح ما أثبتناه.
(2) "ف": أبو القاسم.
(3) "ح1": تابعة.
(4) "ف": وواحد.
(5) "ح2": بعُيد.
(6) "ت": الزوارة.
(7) "ت": عقبه.
(8) "ف": قبل.
(9) "ف": منهم.
(10) "ف": لهم. (ل)- "ف": وصموه.
(11) ساقطة من "ف".
(12) ساقطة من "ف".

ذِكْرُ وَصُولِنَا لِطَرَابُلُسَ
حَمَاهَا اللّٰهُ مِنَ الأَغْيَارِ [آمين]

كان وصولنا لطرابلس[1] ظهر يوم الأحد، الثاني والعشرين من شعبان ستة عشر من أكتوبر، ونزلنا بإزاء الهنشير لأجل فتنة وقعت واختلاف بين أهل طرابلس وباشاها[2] خليل. {كان}[3] ظلوما فجورا[4] يقدم الكفرة من الروم على أهل الإسلام، واتخذ بطانته من النصارى ويوليهم على المسلمين وكاد يخلع ربقة الإسلام من عنقه، وأضر بالمساكين. ولا لأحد عنده حرمة من أئمة المسلمين وسادتهم بل يعمد إلى الإساءة بالأعيان من المرابطين والعلماء العاملين، فلا يرقب في أحد إلاًّ ولا ذمة حتى لا تجد الرعية ملجأ ولا منجا إلاّ إلى الله. فلذلك قيض الله له من نفاه من أهله وقبيله، وقامت معه العامة وأسعدوه على نفيه ورموه عن قوس واحدة، وخرج عن البلد لغرض أوداه، ومقصود أرداه، فسدوا المدينة في وجهه، والشوارع بين يديه، ولم يجد مسلكا لما أراد، وخيم بطرة حاصر البلد مع جنده المفلول وحزبه المخذول، ولما حاديناه بعث لملاقاتنا أعيان دولته ورؤساء محلته فلقيناه. ورغب في النزول بإزائه والبيات تلك الليلة بحذائه، وامتنعنا، وسرنا، وتعرض لنا أهل الساحل والمنشية أفواجا أفواجا، فرادى وأزواجا، بقضّهم وقضيضهم، وعددهم وعديدهم، آخذين أهبتهم، ومبدين شوكتهم. ولما عاينونا وأيقنوا أنا لهم سلم وأنا وفد الله زوار[5] نبيه وحجاج بيته ضجوا[6] باكين، وجأروا داعين، وكشفوا رؤوسهم، وأذلوا نفوسهم، وأعلنوا عقيرتهم، وكشفوا سريرتهم، قائلين بصوت عال وَدوي متوال: «يا لوفْد[7] الكبير المتعال! من الأسير العاني، المضيم المتفاني: (الخفيف)

(1) طرابلس مدينة في آخر أرصف برقة وأول أرض افريقية. ينظر معجم البلدان ج1 – ص 257.
(2) زيادة من "ف".
(3) ساقطة من "ع" و"ف".
(4) "ف": فخورا، والأرجح ما أثبتناه.
(5) "ت": وزور، والصحيح ما أثبتناه.
(6) "ت": ضحوا، والصحيح ما أثبتناه.
(7) "ع": بالوفد، والأرجح ما أثبتناه.

فُكُّـوا فُكّـوا بِمَـنْ إِلَيْـهِ تَـوَجَّهْ تُـمْ أَسِيـراً عَـتَتْ عَـلَيْهِ الأَعـادِي

وَارْحَمُـوا ذِلَّـةَ الكَئِيـبِ بِحَـقِّ الـ ـبَيْـتِ وَالطَّائِفِيـنَ بِـالآسَادِي

وَانْصُـرُوا وَانْصُـرُوا فَـإِنَّ لَكُـمْ وَجْـ ـهاً يُفَـلُّ لَـدَيهِ حَـدُّ الـعَوَادِي

ولم يرتب من عاين تلك الحال، وشاهد تلك الفعال، بأن الله منجز لهم وعده وناصر جنده. وجاوزناهم، وفي حفظ الله تركناهم. ونزلنا بالمنزل المذكور وأقمنا به[1] يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وأكرمنا بها أحبتنا، المفتي أبو عبد الله المكني وابن أخته ابن مقيل وأولاد الأخ الصدوق أبي محمد السيد[2] عبد الله بن غلبون، رحمه الله تعالى وأرسل إليه شآبيب غفرانه ووالى، وأهل دار الأخ المصافي، الزلال الصافي، أبي الحسن سيدي على النجار، وسيدي أحمد بن جابر، وصهره سيدي عبد الظاهر، وسيدي محمد بن عبد الله بن فرج الله، وسيدي محمد بن عثمان، وسيدي عبد الله بن يحيى الحيحي، وسيدي حامد بن محمد التواتي، وابن عمه السيد[3] عبد اللطيف بن عبد القادر، ولهم لجانبنا محبة صادقة، وأخوة رائقة. ولما رأى منهم الأديب البليغ الأريب صهرنا أبو العباس أحمد بن محمد البرنسي نجارا، الشفشاوني منشأ ودارا، ما يروق من الوداد، ويفوق من صفى الاعتقاد، مدحهم بما نصه: (الكامل)

إِخْـوَانُ صِـدْقٍ فِـي طَرَابلُـسٍ سَـعَوْا لِلْمَجْـدِ بِـالإِدْلاَجِ[4] وَالإِسْـعَادِ

أَرْزِي[5] إِلَـى فِـعْلِ الكِـرَامِ وَأَوْسِـعُوا وَفْـدَ الحَجِيـجِ مِـنَ الـنَّعِيمِ الـبَادِي

بَـرَزُوا بِـأَوْجِهٍ حِسَـانٍ فِـي العُـلاَ مُسْتَوْجِبِينَ فَخَارَ صَدْرِ النَّادِ [153- أ]

فَاقَـتْ صَنَائِعُـهُمْ صَنِيعَ ذَوِي النَّدَى شُكْـراً لِفِعْـلِ رَوَاحِهِـمْ وَالغَـادِ

سَبَقَتْ إِلَى الإِحْسَانِ أَنْفُسُهُـمْ وَقَدْ تَـجْرُو الرِّيَـاحُ[6] مَحَـامِدَ[1] الآيَـادِي

(1) "ع": بها.
(2) "ت": سيدي.
(3) "ت": سيدي.
(4) السير في الليل كله، أو في آخره. اللسان، مادة: (د. ل. ج).
(5) رزى، يرزي، فلانا: قَبِلَ بِرَّه. اللسان، مادة: (ر. ز. ى)
(6) "ف": لربع.

فَهُمُ البُحورُ الزاخِرَاتُ لِوَارِدٍ ... عَذْبَ المَنَاهِلِ غُنْيَةٌ لِلصَّادِي

فَتَزَيَّنَتْ بِهِمُ طَرَابُلُسٌ وَقَدْ ... بَرَزَتْ بِوَجْهٍ نَيِّرٍ وَقَّادِ

تَجْلُو عَرُوسًا زَانَهَا كَفُّ[2] الحَيَا ... بِقَلَائِدِ العِقْيانِ فِي الأَجْيَادِ

فَتَرَى الرِّيَاضَ أَمَامَهَا مَا بَيْنَ مُخْ ... ضَرٍّ يَميسُ بِغُصْنِهِ المَيَّادِ

وَمُفَضَّضِ الأَزْهَارِ حَاكَى كَوْكَبَ[3] الْ ... جَوْزَاءِ أَوْ بُرْدَ السَّحِيمِ الغَادِ

وَمُوَرَّدٌ وَمُعَصْفَرٌ فِي رَوْضِهِ ... تَسْلُو القُلُوبُ بِهِ مِنَ الأَنْكَادِ

فَتَخَالُهُ شَرِبَ العُقَارَ فَيَنْثَنِي ... سُكْراً وَيُطْرِبُهُ نَشِيدُ الشَّادِي

وَالبَحْرُ حَفَّ بِهِمْ تَخَالُ أَكُفَّهُمْ ... مِنْهُ غَدَتْ تُسْدِي بِكُلِّ مُرَادِ

لِلَّهِ مِـْ سفُنٍ بِهِ يَحْمِلْنَ مِنْ ... نَوْعِ المَتَاجِرِ دَائِمِ الإِمْدَادِ

فَرَعَى الإِلَهُ عَلَى ذَوِيهَا نَعِيمَهُمْ ... وَحمَاهُمُ مِنْ صَوْلَةِ الأَعَادِي

نَشَرُوا الأَيَادِي عَلَى العِبَادِ وَأَوْضَحُوا ... سُبُلَ الرَّشَادِ لِمُقْتَفِي القُصَّادِ

حَرِصُوا عَلَى نَيْلِ الهُدَى وَسَبِيلِهُ ... فقَفُّوا[4] سَبيلَ أَئِمَّةٍ أَمْجَادِ

أَعْلَامُ هَدْيِ يُهْتَدَى بِمَنارِهِمْ ... وَطَرِيقِهُمْ فِي الدِّينِ وَالإِرْشَادِ

بِالسَّالِكِ الأَرْضَى جُنَيْدِ زَمَانِهِ ... وَالشَّاذِلِي والجِيلِي فِي بَغْدَادِ

العَالِمُ الأَحْظَى ابْنُ نَاصِرٍ الَّذِي ... نَصَرَ الإِلَهُ بِهِ طَرِيقَ الهَادِ

صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا لاَحَ شَارِقٌ ... أَوْ دَرَّ بَرْقٍ أَوْ تَرَنُّمَ حَادِ

---

(1) "ت": محاصد، وهي غير مناسبة.
(2) "ع": حق، والأرجح ما أثبتناه.
(3) "ف": كواكب.
(4) "ع": سبيل.

فائدة: قال الشيخ محمد بن علي شارح الشقراطسية ناقلا عن البكري، ويذكر أن تفسير طرابلس بالعجمية[1] ثلاث مدن.

قال: "وعلى مدينة طرابلس سور [عظيم][2] صخر جليل البنيان، وهي على شاطئ البحر وبها أسواق حافلة، وحمامات كثيرة فاضلة، وفيها رباطات كثيرة يأوى إليها الصالحون، ومرساها مأمون من أكثر الرياح... ومدينة طرابلس كثيرة الثمار والخيرات وبها بساتين جليلة في شرقيها. ويتصل بالمدينة سبخة كبيرة يرفع منها الملح الكثير... ومن طرابلس إلى جبل نفوسة ثلاثة أيام... وذكر الليث بن سعد قال: "غزا عمرو بن العاص مدينة طرابلس سنة ثلاث وعشرين حتى نزل القبة على الشرق من شرقيها فحاصرها شهرا لا يقدر منهم على شيء. فخرج رجل من بني مدلج ذات يوم من عسكر[3] عمرو يتصيد في سبعة نفر، فمضوا غربي المدينة، فاشتد عليهم الحر، فأخذوا راجعين على ضفة البحر، وكان البحر لاصقا بالمدينة، ولم يكن فيها بين البحر والمدينة سور. وكانت سفن البحر شارعة في مرساها إلى بيوتهم. ففطن[4] المدلجي وأصحابه به. فإذا البحر قد غاض من ناحية المدينة، فدخلوا منه حتى أتوا من ناحية الكنيسة، فكبروا. فلم يكن للروم مفزع إلا سفنهم، وأقبل عمرو بجيشه حتى دخل عليهم، فلم يفلت الروم إلا بما خف عليهم في مراكبهم. وغنم عمرو ما كان بالمدينة. وسور المدينة مما يلي البحر إنما بناه هرثمة بن أعين في حين ولايته القيروان... وبعث عمرو بن العاص إلى ودان بشر بن أرطأة وهو محاصر طرابلس فافتتحها، وذلك سنة ثلاث وعشرين... وأكثر معيشة أهل ودان التمر، ولهم زرع يسير يسقونه بالنضح. وافتتح عمرو بن العاص رضي الله عنه نفوسة وكانوا نصارى، وأم قرى جبل نفوسة شروين، مدينة كبيرة آهلة جليلة، وبين طرابلس ومدينة شروين خمسة أيام بينهما حصن لبدة، حصن من بنيان الأوائل[5] بالآجر والحجر، حوله آثار عجيبة وخرائب كثيرة، يسكن هذا [153- ب]الحصن قوم من المغرب حماتهم نحو

---

(1) وفي كتاب البكري: "أن تفسير طرابلس بالأعجمية الافريقية: ثلاث مدن، وسماها اليونانيون طربليطة وذلك بلغتهم أيضا ثلاث مدن: طر معناه: ثلاث وبليطة يعني مدينة ". ينظر المسالك والممالك ج2 – ص 653-654-655-656-660.

(2) زيادة من "ح1".

(3) "ف": عساكر.

(4) "ح2": فنظر.

(5) "ع": الأوَل.

ألف فارس، وهم محاربون لجميع من يحاربهم[1] من قبائل البربر أزيد من عشرين ألفا بين رجل وفارس وظاهرين عليهم. وفي وسط جبل نفوسة النخيل والزيتون الكثير والفواكه، ويجتمع فيما حوله من القبائل ستة عشر ألف رجل. وطول جبل نفوسة من المشرق إلى المغرب ستة أيام[2]". انتهى كلامه مع بعض اختصار وتغيير.

وفي رحلة أبي سالم: "وهي مدينة مساحتها صغيرة، وخيراتها كثيرة، ونكايتها للعدو شهيرة، ومآثرها جليلة، ومعائبها قليلة، أنيقة البناء، فسيحة الفناء، عالية الأسوار، متناسبة الأدوار، واسعة طرقها[3]، سهل طروقها، إلى ما جمع لأهلها من زكي الأوصاف، وجميل الأنصاف، وسماحة على المعتاد زائدة، وعلى المتعافين بأنواع المبرة عائدة، لا تكاد تسمع من أحد من أهلها لغوا إلا سلاما ولو لمن استحق ملاما، سيما مع الحجاج الواردين ومن انتسب إلى الخير من الفقراء العابدين، فإنهم يبالغون في إكرامهم، ولا يألون جهدا في إفضالهم عليهم وإنعامهم. ولهذه المدينة بابان: باب إلى البر وباب إلى البحر، لأن البحر محيط[4] بكثير من جهاتها والحصن الذي فيه الأمير متصل بالمدينة من ناحية باب [البَرِّ بَيْنَهُ][5] وبين البحر. ولأمير هذه هذه المدينة نكاية في العدو، دمرهم الله، وله مراكب قل نظيرها، معدة للجهاد في البحر قلما تسافر وترجع بغير غنيمة، وقلما أسرت لهم سفينة إلا أن تكون من سفن التجارة لا من سفن الجهاد. فجزاهم الله خيرا وأعانهم على ما أولاهم من ذلك وسائر بلد المسلمين أجمعين"[6].

قال: "وكان عادة الركب إذا دخل هذه المدينة، سيما في الذهاب، أن يقيموا بها نحوا من شهر يستعدون منها لدخول المفازة التي قل نظيرها، وهي مفازة برقة. ومن هذه المدينة يشتري الحجاج ما يحتاجون [إليه][7] من الإبل والقرب. ويتخذون

---

(1) "ف": يجاورهم، والأرجح ما أثبتناه.
(2) ينظر المسالك والممالك للبكري ج2، صفحات: 653- 654- 655- 656- 660.
(3) "ف": طريقها.
(4) "ت": يحيط.
(5) "ف": باب البرنية.
(6) ينظر ماء الموائد، ج/1ص /60.
(7) زيادة في "ف"، وغير موجودة في الأصل.

زادا من نحو[1] ثلاثة أشهر إلى مصر، إن كان الوقت شتاء، وإن كان الوقت صيفا فنحو[2] من شهرين"[3].

قلت: وهذا في الزمان الأول حيث يبكر الحجيج الخروج من ديارهم، فيخرجون بإثر أكل طعام المولد النبوي، فتكون معهم فسحة، فيسيرون سيرا معتدلا يلائم ويوافق الراجل والراكب. وأما هذه الأوقات فيؤخرون الخروج إلى رجب ولا يسعهم إلا إزماع السير إزماعا وإلا عوقوا فيفوتهم الحج. ويقطعون مسافة برقة من طرابلس إلى مصر في أربعين مرحلة تزيد شيئا أو تنقص شيئا. فتكابد لذلك الجمال مشقة، وكذلك الرجال. وأما الصعاليك فلا تسأل عما يلاقونه لذلك. فإنا لله وإنا إليه راجعون. عادت العبادة حبالة للتجارة وملعبة وملهى للغافلين عن دار القرار.

ثم قال: "وإبل عمالة طرابلس غاية في الجودة، قل أن يوجد لها نظير، شبيهة بإبل بلدنا، بل تزيد هي عليها بكثرة الخدمة، فإنهم يستعملونها في سائر الأشياء، حتى الحراثة والدراس ويسقون[4] عليها ويُديرون الرحى. فتمرنت على المشاق العظيمة، مع طيب هواء البلد ونقاء مرعاها، فيقل فيها الغش وتندر أمراضها. ولذلك قيل في أمثال الحجاج: "جمل طرابلسي وقربة مصرية»، لأن قرب هذه البلدة[5] رديئة الدباغ، وماؤها خبيث المساغ، ومع ذلك لا تمسك من الشراب إلا كما يمسك الماء الغرابيل. من اتكل عليها أوسعت عليه الري أول المسافة، وأوردته آخرها[6] موارد التلف والمخافة.

وهذه المدينة قد شاهد أهلها بركة الحجاج والمجاهدين في أمر معاشهم، فربما اجتمع فيها من الركبان الذاهبين والآئبين خمسة أو ستة، ويصادف ذلك في كثير من الأحيان عسكر البحر للجهاد، ومع ذلك لا يزيد فيها السعر على ما كان بكل مطعوم، بل ربما نقص في الغالب، مع أن البلد في أكثر أحواله معروف بغلاء الأسعار بالنسبة إلى أرياف النيل وسواحل المغرب وجباله إلا أن أهلها مستكفون بها غاية،

---

(1) "ح2": نحوا، والصحيح ما أثبتناه.
(2) "ف": فنحوا.
(3) ينظر ماء الموائد، ج/1 ص/60.
(4) "ع": وسنون، والأرجح ما أثبتناه.
(5) "ف": البلد، والصواب ما أثبتناه.
(6) "ح1": آخر، والصواب ما أثبتناه.

وراضون بها إلى النهاية، وهي جديرة بذلك. إذا اجتمع الأركاب بها كثر الزحام على الأراحي غاية، فيلاقي الحجاج من ذلك مشقة. ولولا ما جبل عليه أهلها من السماحة وحسن الخلق لما تهيأ للحجاج اتخاذ الزاد منها لصغرها وكثرة الواردين [154- أ] سيما من لم تطل إقامته كركبنا في هذه السنة، فإنا لم نقم بها إلا نحو العشرة أيام، وذلك شأن {ركب}[1] الإبل الواردين على الصحراء في كل سنة، فإنهم يتأخرون ويستصحبون معهم جل ما يحتاجون من [الإبل والقرب][2]، فلا يزيدون منها إلا قليلا، وإنما يحتاجون إلى اتخاذ الزاد فقط. وأما ركب الجريد، أهل البغال والحمير، فتطول إقامتهم بها في الغالب، وربما أقاموا شهرين[3] أو أزيد لبيع الدواب وشراء ما تقدم ذكره. فكأنما يستأنفون منها سفرا آخر غير السفر الذي كانوا فيه قبل ذلك، لأنه مخالف له في كثير[4] من أحواله حتى كأنه لا يشاركه إلا في مطلق السفر. ولذلك تجد كثيرا ممن لم يتقدم له حج يشق عليه الخروج من طرابلس أكثر من الخروج من بلده، وكذلك الخروج من مصر بالنسبة إلى ما قبله. نسأل الله العون والتوفيق على سلوك أحسن طريق"[5].

ثم قال: "وكان نزولنا يوم دخلنا طرابلس في المحل الذي كنا ننزل فيه قبل ذلك في المِصْرِيَّة {التي}[6] على باب المسجد المسمى بجامع الحاج إبراهيم بأقصى المدينة قرب ضريح ولي الله تعالى سيدي سالم المشاط"[7].

قال: "ولما اطمأن بنا المنزل ذهبنا لزيارة شيخنا مفتي البلد سيدي محمد بن أحمد بن مساهل – رضي الله عنه– فلقينا أحسن الملاقاة وفرح بقدومنا، فجزاه الله خيرا، ووجدناه – رضي الله عنه – قد استعفى من الفتوى فأُعْفِيَ وبقي ملازما لداره ومسجده للتدريس فيه، مستريحا من التكاليف، مشتغلا بمطالعة التآليف، ولا يقطع

(1) ساقطة من "ف".
(2) "ع": إبل وقرب، والأرجح ما أثبتناه.
(3) "ف": الشهرين.
(4) "ف": كثرة، والصواب ما أثبتناه.
(5) ينظر ماء الموائد، ج/ 1 ص /60- 61.
(6) ساقطة من"ت" و"ح2".
(7) ينظر م. ن:، ص/61.

القراءة في الغالب صباحا ومساء {و}[1] صيفا وشتاء، يقرأ ما تيسر من فقه ونحو وما يشاكل ذلك، ويختم بشيء من كتب الوعظ والتذكير"[2].

قال: "وهذا الشيخ، رضي الله عنه، من أحسن من رأينا سمتا[3] ودلا وأصدقهم وأصدقهم قولا وفعلا، له مشاركة في العلوم وحسن اطلاع على فروع المذهب، طالت ولايته في الفتوى نحو الأربعين سنة وحُمِدَتْ سيرته فيها. وله مع ذلك ميل قوي إلى طريق القوم. وقد أخذ الطريق عن ولي الله بلا نزاع بين أهل تلك البقاع سيدي محمد الصيد- رضي الله عنه-، و«الصيد» في لغة أهل هذا القطر هو الأسد. وسمي بذلك لكثرة ردعه للظلام وقهره للجبابرة حتى كان لا يجترئ أحد على معارضته فيما أمر به، ولا يتعرض لمن انتسب إليه، وظهرت له كرامات. وقد أخذ الطريق عن سيدي عيسى بن محمد التلمساني المشهور بأبي معزة، وهو أخذ عن الولي الكبير والعالم[4] الشهير، سيدي أبي عمرو القسطلِّي المراكشي[5]، ولأجل هذه النسبة لم يزل ولد الشيخ المذكور، سيدي عبد الحفيظ، يبالغ في تعظيم أولاد سيدي أبي عمرو، بل في تعظيم كل من ينتمي[6] إليهم بقرابة {أو خدمة}[7] أو جوار أو غير ذلك، وإن اتفق اتفق قدوم أحد عليهم فلا يُبقى ولا يَذَر في إكرامه والمثول بين يديه كأصغر الخدام وأحقرهم. ولقد حج معنا سنة ستين سيدي محمد بن أبي القاسم من أولاد سيدي أبي عمرو وتلقاه بالبرِّ والتعظيم وأنزله عنده وبالغ في إكرامه وشيعه في الذهاب والإياب نحوا من سبع مراحل. ولقد أخبرني من حضره ذات يوم وقد غسل سيدي محمد بن أبي القاسم يده، صباحا، ورأسه من حناء كان بها في إنائه، فأخذ سيدي عبد الحفيظ ما اجتمع من الغسالة {التي}[8] في ذلك الإناء وشربه. نفعه الله تعالى بحسن اعتقاده. ولهذا السيد اعتقاد حسن في كل من ينتسب إلى الصلاح، وقد نفعه

---

(1) ساقطة من"ف".
(2) ينظر م. ن:، ص/62.
(3) "ح2": سمة.
(4) "ف": العلم.
(5) هو محمد الكامل بن أبي عمرو بن أحمد الأمين بن أبي القاسم القسطلّي المراكشي، أبو عبد الله(ت: 997هـ): متصوف مغربي من أهل مراكش، شيخ الحلفاوي مؤلف " شمس المعرفة في سيرة غيث المتصوفة". الأعلام للزركلي، ج: 7، ص: 12.
(6) "ف": ينتسب.
(7) ساقطة من "ف".
(8) ساقطة من "ف".

الله بذلك، فطار صيته وانتشر ذكره في البلاد أكثر من أبيه {وهابه الولاة فمن دونهم. وله -كما قيل-}[1] دنيا عريضة من كل المال. {قد أتاه نعما}[2] وحرثا وغيرهما، يطعم منها[3] الواردين، ويواسي المحتاجين. أعانه الله على ما به تولاه، {ورزقه الشكر على ما أولاه}[4]. وتوفي الولي أبوه سيدي محمد الصيد سنة خمسين وألف"[5].

قال: "وقد أخبرنا شيخنا سيدي محمد بن مساهل أنه منذ عرفه لم يترك صلاة الجمعة {عنده}[6] إلا لعذر ظاهر، ولم يزل على ذلك إلى الآن، منذ أزيد من أربعين أربعين سنة، يذهب كل {يوم}[7] جمعة ضحى إلى محل الشيخ المذكور بالقرية المسماة بالهنشير، وبينها وبين المدينة ستة أميال، فيصلي هنالك الجمعة ويدرس هنالك في مسجد الشيخ إلى أن يصلي العصر ويرجع إلى المدينة"[8].

لطيفة: قال: "أخبرني شيخنا هذا أن شيخه المذكور قال له: "إن لأهل الله مراغة كمراغة الإبل لا يمر بها أحد منهم إلا تمرغ بها، وإني لأرجو أن يجعلك الله مراغة لأوليائه. ولأجل دعوة هذا الشيخ لا يدخل أحد هذه المدينة، ممن فيه انتساب إلى هذا الطريق المبارك، إلا كان [154- ب] إيواؤه إلى هذا الشيخ، إما بنزول عنده أو بالتردد إليه. وكان رضي الله عنه يقوم بحوائجهم قدر الإمكان ويواسيهم. نفعه الله بقصده الجميل"[9].

نادرة: قال: "وأخبرني شيخنا ابن مساهل عن بعض مشايخه أنه قال: "إذا أذن خلف مسافر فذلك أمان له حتى يرجع من سفره". وروى في ذلك {لنا}[10] حديثا. وقد فعل ذلك لنا - رضي الله عنه- حين ودعنا خارج داره، فرأينا بركته ولله الحمد.

---

(1) ساقطة من "ت".
(2) ساقطة من "ع".
(3) "ف": منهما.
(4) ساقطة من "ع".
(5) ينظر ماء الموائد، ج/ 1/ ص/62 -63.
(6) ساقطة من "فط.
(7) ساقطة من "ع".
(8) ينظر نفسه، ص/63.
(9) ينظر في ماء الموائد، ج/1 ص /63.
(10) ساقطة من "ت".

غريبة: وأخبرني أيضا أن سيدي عليا الخضيري[1] ذكر في شرحه على المختصر أن الزبد[2] المسمى في عرف غربنا بالغالية نجس وإن كان عرق حي لمروره بمحل البول" قال: "وكان بعض الصالحين لا يتطيب به لذلك، وأظنه الشيخ اللقاني". قال شيخنا: "وكنت أتوهم ذلك إلى أن بعثت بحضرة الشيخ سيدي عبد الحفيظ إلى قط من القطوط الذي يستخرج منه الزبد[3] وكان عند بعض الأتراك، فلما أحضر أمرنا متولي [استخراج الزبد منه باستخراجه][4] بحضرتنا ففعل. فشاهدنا محل اجتماع ذلك ذلك منه خارجا عن محل البول لا يمر به أصلا وإنما هو جليدة رقيقة عن يمين المحل أو يساره يجتمع فيها ذلك العرق تشتد[5] عليه وتنطوي حتى يؤخذ منها". قال: "فحينئذ اطمأنت نفوسنا وأيقنا بطهارته"[6].

قلت: وفي شرح المختصر للشيخ عبد الباقي: "الزبد كالمسك لخروجه من غير مخرج البول والروث ولا يصل إلى محل خروج[7] بوله ولا روثه، كما أخبرني به مسلم ثقة في ذلك، كذا قال الأُجْهُورِيُّ في كبيره ومن خطه نقلت فيكون طاهرا وبه أفتى الشيخ سالم بعد التوقف حتى أخبره من له معرفة وذكر له كما ذكر للأجهوري وهو خلاف قول حياة الحيوان يوجد في إبطيه وفي باطن أفخاذه وفي باطن ذنبه وحوالي دبره فيؤخذ من هذه الأماكن بملعقة صغيرة أو بدرهم رقيق". انتهى.

واقتصر صاحب القاموس على أنه: "وسخ يجتمع تحت ذنبها أي دابته وهي السنّور". انتهى كلام الزرقاني.

قلت: "ويؤيد ما للزرقاني ما عاينه الشيخ ابن مساهل المذكور مع من معه فلا يرتاب في طهارته لبعده عن محل النجاسة لانطواء تلك الجلدة واشتدادها عليه بعد اجتماعه حتى يؤخذ منها".

---

(1) "ت": الحنظيري.
(2) "ت": و"ف": الزباد.
(3) "ت": و"ف": الزباد.
(4) "ت": إخراج الزباد منه بإخراجه.
(5) "ت": تشد، والأرجح ما أثبتناه.
(6) ينظر نفسه، ص /64 –65.
(7) "ع"خروجه، والصحيح ما أثبتناه.

ثم قال: غريبة: أخبرني الشيخ سيدي محمد بن مساهل سنة أربع وستين في الرحلة التي قبل هذه أنهم سمعوا في سنة اثنين وستين وألف صوتا هائلا في ناحية البحر كصوت المدافع الكبار من قرب الضحى إلى الليل، قال: "وظننَّاه سفنا للمسلمين تلاقت مع بعض سفن النصارى. وكما سمعنا[1] ذلك [الصوت][2]، سمعه أهل هذا الساحل إلى مصراتة[3] وسمعه حتى أهل فزان واسكندرية، وسمعه من الناحية الغربية أهل جربة[4] وسوسة[5] وتونس، وكل يظن أنه قريب منه. وبعد شهر أو شهرين قدمت مراكب من بر الترك وأخبروا أن ذلك الصوت لأمر هائل: وذلك أن جزيرة من [جزائر البحر] خرجت في بعض نواحيها حجارة [لا] تطلع من البحر، حتى إذا ارتفعت [على] الماء وعلت في الهواء تصدعت[6] فيخرج[7] منها نار، ويسمع ويسمع لها ذلك الصوت. فإذا خرجت النار وقعت الحجارة على الماء خفيفة كهيئة الجفافة. ودام ذلك إلى الليل. وارتفع من ذلك في الجو دخان كثير فيه رائحة الكبريت. وأعجب من هذا أنهم قالوا أصبح في ذلك البلد كل ما عندهم من الفضة نحاسا في تلك الليلة"، والله أعلم بغيبه"[8].

قال: "وهذه المدينة معروفة بأهل الصدق في الأحوال من المجاذيب. وقد أدركنا بها رجلين أو ثلاثة من المجاذيب توثر[9] عنهم كرامات وحكايات غريبة تدل على صدقهم في مواجدهم. وكانت فيما مضى فيها مزارات كثيرة لكثير من أكابر الصالحين، ولا يعرف منهم الآن إلا القليل كسيدي سالم المشاط صاحب المسجد الجامع الذي بأقصى المدينة، وقبره يزار"[10].

---

(1) "ت": سمعناه والصحيح ما أثبتناه.

(2) زائدة في "ف".

(3) مصراتة: مدينة من مدن طرابلس الكبيرة، وهي ذات أهمية تجارية منذ القديم، تقع على شاطئ المتوسط وتبعد 100 ميل عن طرابلس. ينظر وصف افريقيا، ج 2- ص 111.

(4) جربة: جزيرة في بحر افريقية أقرب بلاد قابس، وطولها من المغرب إلى المشرق ستون ميلا، وبينها وبين البحر نحو ميل. ينظر الروض المعطار ص-ص 158 - 159.

(5) سوسة: مدينة كبيرة عتيقة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط على بعد 100 ميل من تونس، ينظر وصف أفريقيا ج2 ص83.

(6) ساقطة في "ف".

(7) "ع": فخرج والأرجح ما أثبتناه.

(8) ينظر ماء الموائد، ج/1 ص /65.

(9) "ت": توتر والصحيح ما أثبتناه.

(10) ينظر نفسه.

قال: "وسبب خفاء كثير[1] من قبور الصالحين المدفونين أن البلد تداولته أيدي أيدي المسلمين والنصارى مرارا عديدة". فقد ذكر ابن بطوطة في رحلته أن النصارى استولوا عليها في أيام السلطان أبي عنان، وافتداها منهم بخمسة قناطير من الذهب العين. فعد ذلك من مآثره انتهى "[2]

قال: "وقد استولى عليها النصارى أيضا في القرن العاشر"[3].

قلت: وفي رحلتنا للحرمين الشريفين سنة ست [155– أ] وتسعين وألف وحاصرها الكفار، دمرهم الله تدميرا، وذلك أنّا يوم نزولنا بها بمنزل الركب بسبب[4] البحر، إذا بسفن ثلاث ظهرت على متن البحر، ثم تتابعت الفلك في اليوم نفسه إلى أن كملت اثنتين وعشرين سفينة فأقاموا عليها دمرهم الله، بقية الثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة، وأهل المدينة في تلك المدة في هول عظيم، ونكد جسيم، وعناء شديد، وليس فيهم مدبر ذو[5] رأي حميد، أو نظر سديد. بل أخذوا في نقل أمتعتهم أمتعتهم من المدينة لخارجها وحريمهم إلى سوانيهم بالمنشية. ولما رأينا ذلك تكلمنا مع وجُوهِهِم[6] على فعلهم الغير اللائق [بهم]، فيما يبدو لنا[7]. فيه من إظهار الجزع والجبن لأعداء الله الكفرة، اللئام الفجرة، وقلنا لهم إن هذا الصنع الذميم مما يغريهم عليكم فاصبروا ولا تظهروا لهم الوهن والجبن. فقالوا، هذا والله منا ليس بجبن، وإنما حملنا على ما رأيتم ما أتوا به مما لا طاقة لنا به من البُنْبَة، يضربون بها ولا تقع على شيء كائنا[8] ما كان إلا وهدته ودكته. والمسلمون في هذه الليالي كلها لا ينامون، بل بل يحرسون على البحر ويطوفون حوله ونحن وركبنا معهم في ذلك مستهلين بالشهادة، رافعين أصواتنا بالتكبير، معلنين بالصلاة على البشير النذير، عليه أفضل

---

(1) [سبب خفاء كثير من قبور الصالحين بطرابلس استيلاء النصارى عليها]هذه الإضافة في حاشية الورقة47 من "ت".

(2) ينظر نفسه، ص /65 –66.

(3) ينظر نفسه، ص /66.

(4) "ف". بسد

(5) "ع": ولا ذووا.

(6) "ع": زجرهم، والأرجح ما أثبتناه.

(7) "ح1": لهم، والصواب، ما أثبتناه.

(8) "ف": كائن.

الصلوات وأزكى التحيات من الملك القدير، وعلى آله وصحابته ذوي المنهج[1] الواضح المنير.

فلما كان بعد صلاة العشاء، ليلة السبت، ضرب الكفرة، -دمرهم الله- بمدافعهم، فرأينا من ذلك ما لم نره قط ولا سمعنا به. ترى البارود حين يخرج من بخش المدفع فإذا بكورة محماة تحكي الشهب خرجت منه [فـ]ـصعدت. ثم يرمون بأخرى وترتفع أكثرمن الأولى، ثم تتدلى {هابطة، فإذا وقعت بالأرض سمع لها صوت هائل تصم منه الآذان، فتتصدع}[2] في الموضع الذي وقعت فيه وتتفرق. ولا تقع على بناء بناء إلا وهدته، ولا على بسيط مستو[3] إلا {وجرفته}[4] وحفرته، ولا على علية أوأسطوانة إلا وهدتها، ولا على شجرة إلا وأحرقتها أو قلعتها، فتمكث في أعماق الأرض سُوَيْعة فتتكسر، فَيُسْمَعُ لها صوت هائل أعظم من الأول.

ونحن في ذلك رافعي الأكف بالذلة والافتقار، والخضوع والتضرع إلى الله تعالى الليل كله، ولا نكتحل بنوم قط. وما خرج مدفع من مدافعهم إلا وظننا أنه يقع علينا، فتارة تقع حداءنا، وتارة تمر علينا، وأكثر ما تقع بالمدينة أو البحر أو قرب المدينة خارجا. وفي بعض الليالي، وهي من الليالي الهائلة، أخذوا في الضرب الليل كله إلى الصباح، بل إلى الضحى، لا يفترون عنه ساعة وضربوا- فيما أخبرني بعض فقهاء البلد- بأزيد من تسعمائة كورة. فلما رأينا هولهم العظيم، ومعنا النساء {والصبيان}[5] -وفيهن الحوامل-، فخشينا عليهن أن يقذفن ما بأرحامهن[6] مما يُعَاينَّ، فتحولنا لبعض البساتين المسوّرة، فنزل الركب بها، وأدخلنا حريمنا لبعض الديار. ثم أمسكوا عن الضرب إلى أن صُلِّيَ[7] العشاء، فضربوا أيضا دفعة واحدة. فهاجت عليهم أرياح[8] عاصفة، وأفسدت كورهم بإخماد ما تعلق بها من نار. وعند الفَيْءِ[9] عادوا للرمي إلى الضحى. ولما قرب الزوال زحفوا للمرسى فعاقهم مَن

---

(1) "ف" المنهاج.
(2) ساقطة من "ت".
(3) "ف": مستوى.
(4) ساقطة من "ف".
(5) ساقطة من "ع"
(6) "ف": ما في أرحامهن.
(7) "ح1": أن صليت.
(8) "ت": أرواح.
(9) الفيء: الظل بعد الزوال ينبسط شرقا (مادة: ف – ا– ء، لسان العرب).

بالبرجين اللذيْن على البحر من المرابطين [بهما[1] البائعون][2] أنفسهم من الله، وقط وقط لا يخلوان من حارس في السلم والحرب، وردوهم على أعقابهم بما قذفوهم به من الكور والمدافع حتى كسروا لهم صندلا صغيرا. فنكصوا على أعقابهم، وولوا أدبارهم، وعانقوا أدبارهم. والحمد لله رب العالمين.

فكثر اللغط والعويل بالبر[3] فجاء أهل الإسلام من كل وجهة مشاة[4] وركبانا وركبانا بِعَدَدِ وَعُدَدِ، كل بحسب وسعه. فاكفهرت وجوه الأبطال، وكلحت شفاه الرجال، وشمروا للنزال، وتهيؤوا للدفاع والقتال، واحمرت الحدق[5] فكسا[6] الكفرة الفَرَقِ[7]، فارتحلوا إلى أبعد مكان، فأبعدهم الله وأسحقهم وأذلهم وأقلقهم. فكاد الإسلام يقتحم بأهله البحر إليهم، وأشد الناس حنقا[8] عليهم الحجيج فعملوا على النجاز والنّصال والبراز، ولولا البحر لأراهم الله في أهل الإسلام ما يسيئهم. فكتب كل وصيته وأعد الشهادة مغنما، وفواتها مغرما، كل يرجو[9] أن تخرج الكفرة للبر. واجتمعت آلاف مؤلفة من أهل الإسلام، من أجل الدفاع والقتال. وما رد الكفرة من الخروج إلا ما رأوا من شدة الحزم، وقوة العزم، وأبلغ الغيظ [155- أ] على[10] أهل الكفر والظلم.

ثم جرى بينهم صلح على أن يدفع لهم المسلمون جميع من عندهم من أسراهم، وشرط عليهم المسلمون مثل ذلك، والكفار على المسلمين أن يردوا لهم ما أخذوا منهم[11].

قبل ذلك الزمان في البحر، في هدنة بينهم. وقبل المسلمون لهم ذلك وقدره، والله أعلم، مائتا ألف ريالة كرميلية[1]، فحينئذ دخل الكفرة المدينة للتسوق، وربما

---

(1) "ف": بها.
(2) "ع": البائعين، والصواب ما أثبتناه.
(3) "ف": بالبلد.
(4) "ع": مشتانا والصحيح ما أثبتناه.
(5) الحدق: جمع الحدقة أي السواد المستدير وسط العين(مادة: ح - د-ق، لسان العرب).
(6) "ح1": كساه.
(7) الفرَقَ: فَرِقَ فَرْقاً: جزع واشتد خوفه (مادة ف- ر- ق، لسان العرب).
(8) "ع": خنقا، والصواب ما أثبتناه.
(9) "ف": يرجوا، والصحيح ما أثبتناه.
(10) "ف": من.
(11) "ف": لهم، والصحيح ما أثبتناه.

أغلظوا[2] على بعض المسلمين في القول لتوعّد أمير البلد من العثماني على من أساء إلى كافر ولو بكلمة بعقاب شديد وهو عِلج[3] فأغرى ذلك الكفار على أهل الإسلام[4]، فصبر أهل المدينة لذلك. وأما المغاربة وجميع الحجيج فأغلظوا على الكفَرة فأخشنوا لهم في القول وربما ضربوهم ولا ألقوا إليهم بالا، إعزازا لدين الله وإعلاء لكلمة الله. فرفع الكفرة ذلك لأمير البلد العلج المذكور، فقال: "إن المغاربة شداد على النصارى، فاتركوهم لئلا يوقعوا[5] فيكم القتل ولا يد لي عليهم، فدعوهم عنكم وتحملوا منهم {ما}[6] واجهوكم به". فأخذوا في دفع ما شرط عليهم: فصاروا يدفعون لهم الخيل والزرع والإبل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وكلمنا علماءهم المالكية فقالوا: «إن هذا والله هو الصّغار بعينه، ولا قدرة على ما فعله هؤلاء الأتراك». وخرجوا تلك الأيام خارج المدينة مخافة حضور هذا الفعل الذميم.

تنبيه: من جملة الدواهي المعضلات أننا دخلنا للجمعة، فجلسنا ننتظر الإمام، فإذا برجال من الدِّوَلِتْلِي أرسلهم بالنداء أن لا تصلى الجمعة، فقام لهم صاحبنا الفقيه سيدي أحمد بن محمد الهشتوكي. فقال لهم: "إن هذا والله حرام لا يجوز كيف تترك الجمعة من غير عذر بين؟ ". وأكثر من ذلك! فقام فقيه منهم فقال: "إن هذا جائز عندنا". فخرجنا من مسجدهم فأتينا مسجدا آخر تصلّى به[7] الجمعة للمالكية، فإذا برسول الدِّوَلِتْلِي ينادي بما نادى به أولا، فأبى الإمام المالكي {فصلاها}[8]، رضي الله عنه، قائلا: "والله حتى أصليَها[9] ولو تنفد سالفتي». فصليناها معه، جازاه[10] الله خيرا، ووقانا وإياه ضيرا.

---

(1) "ف": كرميلية.
(2) "ع": غلظو، والأرجح ما أثبتناه.
(3) العِلْجُ: كل جاف شديد من الرجال (مادة: ع-ل-ج-، لسان العرب).
(4) "ت": المسلمين
(5) "ف": يقع.
(6) ساقطة من "ح1".
(7) "ح1": فيه.
(8) ساقطة من "ت".
(9) "ت": نصليها.
(10) "ت" و"ف": جزاه.

ثم أجلى الله الكفرة عن المدينة يوم الخميس بعد تمام المهادنة وإمضاء شروطها. وفرح المسلمون بانتقالهم عنهم وإقلاعهم عن البحر غاية الفرح. أخزى الله الكفرة وأذلهم، وأعز أهل الإسلام وأحاطهم.

نكتة: أخبرني بعض من يوثق به أن هذه الآلة التي يرمي بها الكفرة كانت تصنع من نحاس وحديد وذهب وفضة وأنواع أُخرى من المعادن، ويفرغونها على قَدر القِدر المتوسطة المسماة في عرف أهل بلدنا بالمقلة[1] ولها يدان مثله، وبابه[2] ضيق ضيق قدر ما يُدخِل فيه الإنسانُ ثلاثة أصابع أو أربعة، ويأخذون عود الكلخ ويثقبون وسطَه طولا، ويجعلون فيه فتيلة تخرج من فوقه وأسفله، ويملئونها بارودا ومسامر وقطع الحديد وعقاقير، ويجعلون هذا العود في فمها، ويسدون عليه بحلْقة الحديد، ويجعلونها في مدفع على هيئة المهراس[3] بعدما يجعلون فيه البارود ويرفعون فم فم هذا المدفع نحو السماء، فإذا مسَّ بنار خرجت {و}[4] النار مشتعلة في الفِتيلة، الفِتيلة، وهي طالعة في الجو والريح تنفخها، والنار في الفتيلة وعود الكلخ يزيد اشتعالا بما يصيبها من الريح، وتُرى في الجو على هيئة النجم، فلا تصل النار إليها حتى تسقط حيث تسقط. انتهى.

والتقانا[5] بهذا الثغر، في سنة الوقعة هذه، أخونا في الله سيدي أحمد بن عبد الواحد بن يوسُف الزنزوري، ثم الفزاني، وهو ساكن بزاوية زنزور. [و][6] أضافنا يوم نزولنا[7] موطنه[8] وشيعنا لطرابلس، وكان يتعاهدنا مدة إقامتنا بها. وأنشدنا لنفسه لنفسه حين الوداع: (الطويل)

أَيَا سَيِّدي[9] حَقِّق بِأَنِّي عُبَيْدُكُمْ ذَلِيلٌ[10] حَقِيرٌ بَيْنَ قَوْمٍ أَرَاذِلِ

---

(1) "ت" و"ح2": بالمقلات.
(2) "ت" و"ح2": وبه ضيق.
(3) المهراس: آلة يُدَقُّ بها الحَبُّ جمعها مهاريس (مادة: هـ - ر- س، لسان العرب).
(4) ساقطة من"ف".
(5) "ع": والتقينا، والصحيح ما أثبتناه.
(6) زيادة من "ف".
(7) "ف": نزلنا.
(8) "ف": موطنها.
(9) "ح1" و"ف": سيِّداً.
(10) "ح1": دليل والصحيح ما أثبتناه.

وَنفْـسٌ لَـهُ شَيْطَانـةٌ قـدْ بـُلِي بِهَـا ... هَـــوَاهُ وَإِبْلِيـــسٌ وَدُنــيَا العَلاَئِـــلِ

أَفِيـضُوا عَلَيْـهِ سَيِّدِي مِـنْ نَـوَالِكُمْ ... عَسىَ وَعَسَى يَعْلُو عَلَى كُلِّ كَاهـلِ

وَيَفْهَـمُ[1] مَـوْلاَيَ[2] عُلُـوماً دَقيقَـةً ... وَيُمْسِي خَلِيَّ القَلْبِ مِنْ كُلِّ شَاغِلِ

ومن جملة أهل ودنا بطرابلس من السادات[3] الأعلام: أبو عبد الله سيدي محمد بن مقيل[4]، وصهره الأجل سيدي [156- أ] أحمد بن محمد المكنى، تقبل الله الله عملهم، وأصلح فعلهم. وأطالا التردد إلينا بأطعمة وفواكه مدة إقامتنا. ولحق بنا هنالك الفقيه الأجل أخونا ومحبنا سيدي أحمد بن محمد الهشتوكي. وقرأنا بهذه المحروسة على شيخنا أبي العباس سيدي أحمد القصري[5] تآليف[6] على الربُع المجيّب. المجيّب. ومدة إقامتنا بها في تلك المدة شهران كاملان ويومان، وظعنا منها تاسع عشر شعبان يوم السبت.

نكتة: تقدم أن ترجمة هذه اللفظة (ثلاث مدن). والأشهر في ضبط هذه المدينة[7] فتح الطاء وضم الباء واللام، وبعض الناس يكتبها بزيادة الألف قبلها وإسكان الطاء. قال التجاني في رحلته: "وكذلك رأيت[8] الأجدابي[9] يكتبها حيثما حيثما وقعت في خطه. وعلى ذلك قول أحمد بن يحيى، من قديم شعرائها، في قصيدة له: (المتقارب)

لقَــدْ طَــالَ شَــوْقِي إِلَــى فِتْيَــةٍ ... حِســـــانِ الوُجـــــوهِ بِــــأَطْرَابُلُسْ

وَقَـدْ عِيـلَ صَـبْرِي فَمَـا مُسَـاعِدِي ... عَلَى الشَّوْقِ إِلَّا دُمُوعِي[10] البُجُسْ"[11]

---

(1) "ت": وأفهم.
(2) "ت" و"ف": مولانا.
(3)« ت" و"ح2": الأئمة/ "ف": السادة.
(4) "ت": سيدي محمد بن مغيل.
(5) أحمد يوسف بن محمد بن يوسف بن عبد الرحمان القصري الفاسي المالكي محدث، فقيه، صوفي. ينظر معجم المؤلفين ج1 – ص 331.
(6) "ع": تواليف.
(7) "ف": لفظتها.
(8) "ف": رأيت.
(9) "ف" الأحدابي.
(10) "ح1": دمعي/"ف": أدمعي.
(11) ينظر رحلة التيجاني، ص: 271.

قال: "وذكر لي بعض النبهاء[1] من طلبتها أنه وقف لبعضهم على أن المختار في طرابلس هذه أن تكتب بزيادة ألفٍ، و{أن}[2] المختار في طرابلس الشام أن تكتب بغير ألف تفرقة بينهما. وبخارج البلد محارس قديمة، ومساجد كثيرة، مشهورة الفضل، مزورة للبركة. وأثنى البكريّ[3] على المسجد المعروف منها بمسجد الشّعاب، وذكر أنه أعمرُها وأشهرُها»[4]

قال: "يريد في ذلك الزمان، وأما الآن فهو خال لا عمارة به".[5]

قلت: أما زماننا هذا فلم أسمع له ذكرا. و{فيه}[6] في الأزمنة السالفة جملة وافرة من أكابر الصالحين، والعلماء العاملين، ومزارات شهيرة، من جملتهم: "أبو مُحمّد عبد الله الشعاب أحد الصلحاء الفضلاء[7] من أهل طرابلس، وكان نجّارا فحضرت له نية في إتمام هذا المسجد الذي نسب له، وكان بعض الناس قبله ابتدأ بناءه ثم عجز عنه، فرمى الشعابُ الآلة من يده وتوجه لإتمامه فأتمه وسكن به. ويذكرُ أن الخضر [عليه السلام][8] كان يزوره ويحادثه، وأنهما [رئيا] مجتمعين في المسجد المذكور. وسمع، يوما، بكاء امرأة عند باب المسجد فسألها ما السبب، فأخبرته أن لها ولدا أسره العدو، وسألته الدعاء فدعا لها وأمّنت على دعائه، ثم انصرفت لبيتها. فأصبح ولدها في السكك يسأل عن دار أمه، فسئل، فأخبر بفراره في البحر وسلامته ووصوله عن عهد قريب. فتوجهت المرأة إلى الشيخ تشكُره وتعرفه بوصول ولدها، وأن ذلك إنما كان بدعائه فهنّأها[9] بسلامته، وقال لها: "إنما نجاه الله الله بدعائك لما علم اضطرارك". وكانت وفاته، رحمه الله، سنة ثلاث وأربعين ومائتين."[10]

---

(1) "ف": الفقهاء.
(2) ساقطة من "ع".
(3) المسالك والممالك، ج2، ص: 653/ رقم 1091.
(4) ينظر نفسه، ص- ص: 271- 247.
(5) ينظر نفسه ص: 247.
(6) ساقطة من "ف".
(7) "ت": الفضلاء الصلحاء.
(8) زيادة من "ح1".
(9) "ع": فيهنئها.
(10) ينظر رحلة التجاني، الصفحات: 247- 248 - 249 - 250.

ومنهم "الشيخ خطاب البرقي، الرجل الصالح، يكنى أبا نزار، وكان ذا كرامات وخصوصا في باب المرائي، ظهرت له في ذلك عجائب. وكان يخاطب في النوم بجميع ما يكون في اليقظة قبل كونه."[1] والتقى بالخِضر. وذكر أنه عارضَه سَبُع فقال له:

« أبا الحارث! إن كنت قد أُمِرْت فينا بشيء فدونك، وإلا فالطريق». قال: « فقرب مني ووقف هنيئة ثم انصرف»، وحكى أنه قال: "بينما أنا في البريّة إذ رأيت شخصا، فاستغربت وجوده هنالك وقصدته فوجدته مفرج بن بياضة، فقلت له: "أبا عبد السلام! ها هنا؟ فقال: "نعم يا أبا نزار" فاستغربت معرفته بي مع أنه مكفوف البصر. وكان مفرج هذا رجلاً صالحا من أهل جزيرة تونس المعروفة بجزيرة باشو، وكان يخرج وحده من بلده إلى مكة فيحج ثم يعود. قال[2]: "فبتنا جميعا وتأنست به، وسألته كيف يتهيأ له الحج مفردا فقال: "يا أبا نزار إني إذا خرجت من موضعي أسمع قائلا يقول لي، يمينَك شمالَك أمامَك خلفَك حتى أصل إلى مكة أو كما قال"[3].

ومنهم «أبو عثمان سعيد بن خَلَفون الحساني، المعروف بالمستجاب. وأصله من قرية حسان من قرى طرابلس. كان زاهدا فاضلا منقطعا إلى الله سبحانه، وظهرت بركته غاية فعرف بالمستجاب. وقال الشيخ أبو عبد الله الخشاب القاضي رحمه الله: "خرجت مع أبي الحسن بن المنمر من طرابلس لزيارة الفقيه ابن أبي زيد، رحمه الله تعالى، وسماع العلم عليه. فبينما نحن عنده يوما إذ تحدث أبو الحسن فقال: "أراد [156- ب] الشيخ أبو عثمان الحساني الحج مرة، فاتفق مع جماعةٍ من إخوانه أهل الدين والفضل، وكنت معهم. فخرجنا على الوحدة، وقطعنا صدرا من الطريق، وأقمنا ثلاثا لم نطعم. فأتى الشيخ أبو عثمان إلى رُبوة، فمسح وجهها بيده، وجعل يأخذ من ترابها ويجعل في إناء كان معه ثم ثرّاه بشيء من ماء، وقرأ عليه وسمى، وقال لنا: "سموا الله وكلوا" قال: "فجعلنا نأكل ونتطعّم منه طعم السَّويق». قال: "فطرق الشيخ أبو محمد بن أبي زيد ساعة ثم رفع رأسه، وقال: "هذا داخل في الإمكان سيّما وقد ذكرت أنكم أقمتم ثلاثا لم تطعموا، وقرأ قوله تعالى: «أَمَّنْ يُجِيبُ المضْطَّرَ إِذاَ دَعَاهُ».[4] ولما رجع المؤدب مُحْرَزٌ بن خلف من الحج قيل له: "من رأيت في طريقك

(1) ينظر رحلة التجاني، ص: 248.
(2) "ع": فقال.
(3) ينظر رحلة التجاني، ص: 249.
(4) سورة النمل، بعض الآية: 64. "وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ، آإِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ"

من الصلحاء"، فقال: "رأيت بطرابلس رجلا[1] وامرأة، أما الرجل[2] فأبو [عثمان الحساني][3] وأما المرأة فسمدونة". وكانت سمدونة هذه عجوزا صالحة تسكن مسجد الشعاب المتقدم الذكر، وكان أبو نزار خطاب، الرجل الصالح المتقدم الذكر يزورها ويعتقد بركتها. وهذا كما يحكى أن سحنون بن سعيد لما رجع من الحج قيل له: "من رأيت من الصالحين" فقال: "لقيت بطرابلس رجالا ما الفضيل بن عياض بأفضل منهم".[4]

ومنهم: "أبو الحسن علي بن أحمد بن الخطيب[5] الطرابلسي، أقام ساكنا بمسجد المجاز بها، فيما يقال، أربعين سنة. وكان فقيها صالحا عالما زاهدا، وله من الفقه والفرائض والشروط تآليف مفيدة.

وأقام أربعين سنة لم يضحك، ونحوا من خمسين سنة لم يحلف بالله يمينا. وقال له ابن أخيه، عندما أملى وصيته: "أنسيت الكفارة"، فقال: "لولا أني في الموت ما أخبرتك، ما حلفت بالله منذ كذا وكذا محقا ولا مبطلا، وما[6] علمت أن علي يمينا أكفرها".[7]

ومنهم الشيخ الصالح أبو محمد عبد الوهاب القيسي، رحمه الله، وقبره خارج المدينة بين شرق وشمال، يزار؛ وأهل البلد يعظمونه كثيرا. "وحكى لي جماعة منهم أنه رأى النبي، صلى الله عليه وسلم، في المنام نحوا[8] من أربعمائة مرة، وأنه كان يشاور النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر أموره، فلا يفعل ما يفعل إلا بإشارته"، قالوا ولم يسمع منه هذا في حياته، ولكنه وجد بعد موته مكتوبا عنده بتواريخه، يذكر كل ليلة وما رأى فيها، ثم أوقفني بعد ذلك بعض أهل هذا البلد على جزء فيه هذه المرائي، وذكر أنه نقلها من خطه، فرأيت فيها غرائب من سؤاله للنبي، صلى الله عليه وسلم.

---

(1) "ح1": رجالا.
(2) "ح1": الرجال.
(3) "ت": أبو حسان العثماني.
(4) ينظر رحلة التجاني، الصفحات من 249 إلى 251.
(5) في بعض النسخ: الخصيب.
(6) "ف": ولا.
(7) ينظر رحلة التجاني، ص: 251.
(8) "ف": نحو.

عليه عما يفعله في جميع ما يعرض له من أموره، وإشارة النبي، صلى الله {عليه}[1] وسلم، بذلك بما يراه، ودوام ذلك واستمراره من كل جزء من جزئيات حاله. "[2]

ومنهم: "الفقيه الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الأجدابي اللواتي الطرابلسي، وقبره معظم يكثر الناس من زيارته والدعاء عنده. وكان من أعلم زمانه بجميع العلوم، كلاما وفقها ونحو ا ولغة وعروضا ونظما ونثرا. وله تآليف جليلة وأسئلة مفيدة في الفقه وغيره. ومن جملة تآليفه: كتابه المتداول المسمى (بكفاية المتحفظ)، وكتابه في العروض، وناهيك به حسنا وترتيبا وتهذيبا، وهو نسختان: كبرى وصغرى. وكتابه في الرد على أبي حفص بن مكي في (تثقيف اللسان. وكتابه في (شرح ما آخره ياء مشددة من الأسماء وبيان اعتلال[3] هذه الياء)، الياء)، استوفى فيه جميع أحكام هذه الياء على اختلاف أحوالها من تصغير وتكسير وغير ذلك. ولما استوفى فيه ذلك استيفاء جميلا تعرض لشرح مقاطع الواقعة في "سورة مريم" لاشتمالها على كثير من تلك الأحكام، فجاء هذا التأليف في غاية الإفادة والتحقيق. وكتابه {المختصر في علم الأنساب}[4]. وله تأليف: مختصر في الأنواء على مذهب العرب. ورسالته المعروفة (برسالة الحول)، [تعرب على أدب كثير، وحفظ غزير، وكان الفقيه أبو إسحاق المذكور أحول][5]. وسبب تأليفه لها أنه حضر حضر يوما بطرابلس عند القاضي بها أبي محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن هانش الطرابلسي، فحكم أبو محمد بحكم أخطأ فيه. فرد عليه الفقيه أبو إسحاق. فقال له: "اسكت يا أحول! فما استدعيت ولا استفتيت". فألف تلك الرسالة. وأكثر هذه التآليف ملكتها بخطه. وكان رحمه الله من أحسن الناس خطا.

وأُخْبِرْت أن الأمير أبا زكريا، رحمه الله [157- أ] كان شديد البحث على خطه، وسمع أن كتاب (الفصيح) بيع[6] بخطه بطرابلس فأبرد بريدا[7] إليه في البحث عليه، ووجه به إليه. وأنه سمع أن بها من كتاب (أمثلة الغريب) لأبي الحسن علي بن

(1) ساقطة من "ح1".
(2) ينظر رحلة التجاني، الصفحات: 259 – 260.
(3) "ف" اعتدال والصحيح ما أثبتناه.
(4) ساقطة من "ح1".
(5) زيادة من "ت" وفي "ح2".
(6) "ح1": بع والصحيح ما أثبتناه.
(7) برّد بريدا: أرسل رسولا، ينظر لسان العرب، مادة☹ ب– ر– د).

أبي الحسن بن الحسين الهنائي، المعروف بالكراع، بخط الفقيه أبي إسحاق وفي ملك بعض بني النقاد من أعيان طرابلس فوجه إليه فيها فوجه النقادي[1] بها إليه.

وملكت بخطه أيضا تأليفه الذي اختص فيه كتاب أنساب قريش، تأليف أبي عبد الله الزبير بن أبي بكر بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام، رحمه الله؛ وحسبك بهذا التأليف الجليل علما وفائدة. وهو، كما كان الشيخ أبو الحسن بن مغيث، رحمه الله، يقول: "هو كتاب عجب[2]، لا كتاب نسب". ورأيت الفقيه أبا الحسن[3] قد أدخل من حفظه في نفس هذا المختصر زوائد تشتمل على فوائد، نبه عليها. وكفى بهذا الرجل المعظم القدر، لهذا القطر! ولم تكن له رحلة عن بلد طرابلس إلى غيرها، وقد سئل: « أنى لك هذا العلم ولم ترتحل؟» فقال: "اكتسبته من بابيْ هوارة وزناتة"، وهما بابان من أبواب البلد نسبا[4] إلى من نزل بهما أول الزمان، يشير إلى أنه إنما استفاد من العلم بلقاء من يقدم على طرابلس، يدخل على[5] هذين البابين من المشرقين والمغربين، وكان له اعتناء بلقاء الوفود وقيام بإضافتهم.

وأخبرني بعض الطلبة أن خط أبي إسحاق باق إلى الآن في بعض جدر داره من طرابلس وهي في وسط البلد بمقربة من الجامع الأعظم، وعلى مسافة يسيرة منها من جهة غربيها دارا لفقيه الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن المنمر الطرابلسي الفرضي المشتهر فضله وعلمه ورئاسته. وهي مواجهة لمسجد يعرفونه بمسجد ابن فرج أضيف إلى الفقيه أبي مسلم موسى بن فرج الهواري الطرابلسي لإقرائه به. وتوفي أبو مسلم هذا سنة اثنين وأربعين وأربعمائة.

وكان مولد الفقيه أبي الحسن بطرابلس قديما سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة. وله تأليف في الحساب والأزمنة وغير ذلك سوى كتابه المشهور المسمى (بالكافي) في الفرائض. وقد لقي الشيخ أبا محمد بن أبي زيد وقرأ عليه وارتحل إلى مكة سنة تسع

---

(1) "ت": النقاد.

(2) "ح2": عجيب

(3) "ت": الفقيه أبا إسحاق.

(4) "ح1": نسبت.

(5) "ت": من.

وثمانين، فلقي بها أحمد بن زريق[1] البغدادي، وروى عن ابن القاسم عبد الرحمان بن عبد الله الجوهري. ثم عاد لطرابلس، فلم يزل بها إلى سنة ثلاثين وأربعمائة، فخرج منها لمحنة جرت عليه، فتوجه إلى موضع يعرف بغانية بالغين المعجمة والنون، قرية من قرى مسلاتة، فسكن بها إلى أن توفي هنالك سنة اثنين وثلاثين. وقبره الآن على الطريق بها، والناس إلى الآن يزورون قبره ويتوسلون إلى الله عنده. ويذكر أهل تلك الجهة أن كل رفقة استصحبت شيئا من تراب ذلك القبر فإنها لا يتعدى عليها. فهم لا يزالون ينقلون ترابه، فيجده[2] من يقصد الأجر من أهل تلك الجهة أومن المجتازين عليه. وهو أول من أظهر السنة بطرابلس لما كانت في إفريقية الوقعة المعروفة « بوقعة المشارقة[3]» سنة سبع وأربعمائة، قتل فيها الشيعة وأتباعهم. وعلى يد الفقيه أبي الحسن قتل من قتل بطرابلس منهم وأول من قطع من الأذان "حي على خير العمل" وأذن في ذلك اليوم أذان أهل السنة بنفسه. وقد قتل بنو عبيد بشرا كثيرا، أسقطوا هذه اللفظة من أذانهم تعمدا أو نسيانا. وأول من أقام للناس بطرابلس صلاة القيام، وقد كان رسم هذه الصلاة انمحى من إفريقية.

قال الشيخ أبو الحسن القابسي رحمه الله: « لما دخل بنو عبيد القيروان أرادوا أن يمنعوا الناس من هذه الصلاة، فقيل لهم: "وليس شيء أشد على بني عبيد من هذه الصلاة، فقيل لهم إنكم توغرون بهذا الفعل قلوب العامة فإنهم يقولون منعونا من الصلاة، فأمروا الأئمة أن يختموا كل ليلة ختمة كاملة وألا[4] ينقصوا شيئا منها فصلى الناس [من][5] أول ليلة بوفرهم. فلما كانت الليلة الثالثة نقصوا، ولم يزالوا ينقصون لثقل ما كُلِّفُوا به حتى خلت المساجد منهم، كما أرادوا. وأسقط الناس القيام بهذه الصلاة. فكان الشيخ أبو الحسن ابن المنمر أول من أحيا رسمها بطرابلس. وقدم أبا مسلم موسى ابن فرج فصلاها بالجامع الأعظم ولم تكن قبل ذلك صليت به، لأنه من بناء بني عبيد. وأول من أطلق للناس صلاة الضحى جهارا ولم يكن أحد

---

(1) "ف": رزين.
(2) "ت": فيجدده.
(3) يعرف شيعة المغرب بالمشارقة أو أهل التشريق، ينظر: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، تحقيق محمد ماضور، تونس: المكتبة العتيقة، ط: 1، 1978 ج: 3، ص: 65. والروافض من الشيعة يعرفون في الحجاز باسم النخاولة بسبب اشتغالهم بغرس النخيل ورعايته، ينظر: ماء الموائد، ج: 1، ص: 272.
(4) "ت": وأن لا.
(5) زيادة من "ف".

في مدة بني عبيد يصليها إلا مستخفيا بها، فإن ظهروا عليه قتلوه. ومر بعض عمالهم برجل على شاطئ البحر يصلي وقت الضحى فسأله عن صلاته، فذكر أنه كان جنبا فلما مر بالبحر نزل واغتسل وقضى صلاة الصبح فلم يقبل ذلك منه، وأمر به فألقي في البحر إلى أن مات". انتهى كلامه.[1]

نكتة: وهذه المزارات كلها خفية، مندرسة غير جلية، لا تعرف وكذلك غيرها، مع ما احتوت عليه المدينة من المزارات الكثيرة، وذوي[2] المكانة الشهيرة، تأوي إليها الجهابذة من الزهاد، والأئمة الأفراد، لقصد الرباط وحراسة الإسلام، لكونها[3] ثغرا من الثغور العظام.

ولما تداولتها أيدي الكفرة خَفِيتْ مراسمُها، واندثرت معالمها. وذكروا أن الاستيلاء الآخر الذي استولى الكفرة، دمرهم الله، {عليها}[4] كان سنة ست عشرة[5] وتسعمائة، يوم ستة عشر في المحرم[6]، وافتُكَّت منهم عام ثمانية وخمسين وتسعمائة.

قال أبو سالم العياشي في رحلته: "وتاريخه [ذلك][7] نقط قولك: جاء الترك باسْ[8] وافتكها منهم درغوت باشا، وكان بجربة، ومراد باشا، {و}[9] كان بمسلاتة وبقي بها درغوت إلى أن توفي بها. وقبره الآن بها يزار وعليه بناء عظيم.

وسبب أخذها من العدوأن مراكب للمسلمين[10] جاءت من اصطنبول مددا للعمارة المحاصرة لحلق الوادي بتونس. فمرت بسواحل[11] طرابلس. فكلمهم أهل السواحل في إعانتهم على النصارى، فقالوا: "إنا لم نؤمر بذلك من السلطان" فقال لهم الباشا مراد: "أعينوني في هذا الأمر فإن كانت عقوبة من السلطان فأنا المؤاخذ بها

(1) ينظر رحلة التجاني، الصفحات من 262 إلى 266.
(2) "ت": لذوي.
(3) "ف": لكونه.
(4) ساقطة من "ع".
(5) "ف": ستة عشر.
(6) "ت": محرم.
(7) زيادة من "ح2".
(8) "ت": بس/ "ف": بلس.
(9) ساقطة من"ح1".
(10) "ف": المسلمين.
(11) "ف": بساحل.

دونكم" فحاصروها برا وبحرا إلى أن أخذوها. فذهب معهم مراد باشا إلى السلطان وقال له: "إن كانت عقوبة فأنا المؤاخذ بها دون هؤلاء الأمراء" فرضِيَ عنه وعنهم وأكرمهم.

وأما أخذ النصارى لها فذكروا لذلك قضية غريبة، وهي أن أهل هذه المدينة، فيما مضى، كانوا أهل دنيا عريضة فيما يقال، وليس فيهم غناء ولا لهم بالحرب خبرة، فبينما هم كذلك إذ قدمت سفن النصارى تجارا بسلع كثيرة. فنزلت بالمرسى فخرج إليهم رجل من التجار فاشترى منهم جميع ما بأيديهم من السلع ونقد لهم ثمنها، ثم استضافهم رجل آخر فصنع لهم طعاما فاخرا. فلما أخرج لهم الطعام أخذ ياقوتة ثمينة فدقها دقا ناعما وذراها على طعامهم، فبهتوا من ذلك. فلما فرغوا قدَّم لهم دلاَّعاً فطلبوا سكينا لقطعها فلم توجد في داره سكين، ولا عند جاره إلى أن خرجوا للسوق فأتوا بسكين.

فلما رجعوا إلى بلدهم سألهم ملكهم عن حال البلد التي قدموا منها فقالوا: "ما رأينا بلدا[1] أكثر منها مالا وأقل سلاحا وأعجز أهلا عن مدافعة عدو. فحكوا له الحكايتين. فتأهب ملكهم لدخولها في مراكب في البحر، فدخلها في ليلة واحدة بلا كبير مشقة. واستولى عليها ولم ينج من أهلها إلا من تسور ليلا. وانحاز المسلمون إلى تاجورة وجبال غريان ومسلاتة، وصارت المدينة للنصارى إلى أن كان من أمرها ما كان في التاريخ المذكور "[2] انتهى. أدامها الله للإسلام، وحاطها بالنبي عليه السلام. السلام.

ومن جملة أهل ودنا في هذه البلدة: مفتيها الزكي الفقيه اللوذعي، خير خلف عن خير سلف، سيدي أحمد المكنى، بيته بيت علم من لدن أسلافه الكرام. [ووالده] سيدي محمد المكني كان من أعلم أهل ذلك الساحل. تولى الفتوى ببلده مرارا واشتغل بالتدريس، وله مشاركة حسنة في فنون كثيرة. توفي قريبا من سنة ست وخمسين وألف، {و}[3] لم يخلف إلا ولده هذا. واشتغل بالقراءة على الشيخ سيدي سيدي محمد بن مساهل وعلى غيره، وكان له ذكاء عقل، وزيادة نبل، فتمهر في

(1) "ف": بلادا.
(2) ينظر ماء الموائد، ج 1 ص – ص 66 – 67.
(3) ساقطة من" ح1".

فنون عديدة، وفاق أقرانه. فلما عزل الشيخ ابن مساهل على الفتوى، وليها هو. فحمدت سيرته فيها، وظهرت نجابته [وسدده] في فتواه، وولي أيضا تدريس الجامع الكبير والخطابة والإمامة به. وصهره العلامة الجليل أبو عبد الله سيدي عبد السلام محمد بن مقيل[1]، والأستاذ الأجل الموقت الأفضل، أبو العباس سيدي أحمد القصري. والأخ في الله سيدي عبد السلام بن عثمان وقد توفي الأولون رحمة الله عليهم.

وأكرمنا بها، في رحلتنا هذه، أهل المحبة سيدي محمد المكني وسيدي محمد بن مقيل ولدا[2] المذكورين[3]، وأولاد بن غلبون، وأهل دار الأخ سيدي علي النجار، وسيدي أحمد بن جابر، وصهره سيدي عبد الظاهر، وكان دليلنا من قابس إلى هنا تقبل الله منه، وسيدي محمد بن عبد الله بن فرج الله، وسيدي محمد بن عثمان، وسيدي عبد الله بن يحي الحيحي، وسيدي حامد بن محمد التواتي، وابنه عمه سيدي عبد اللطيف بن عبد القادر، وجماعة وافرة لم أستحضر[4] أسماءهم الآن، وتلقى الورد منهم جماعة فالله ينظمنا جميعا في سلك أهل الولاية[5] المحفوفين بعنايته المحفوظين {منه}[6] برعايته[7] [آمين، أمين].

(1) "ح1": مغيل.
(2) "ف: ولدا، وهو الأرجح.
(3) "ف": المذكورين، وهو الأصوب.
(4) "ت": لم نستحضر.
(5) "ت": ولايته.
(6) ساقطة من "ت".
(7) "ح1": رعايته والصواب ما أثبتناه.

[ذِكْرُ رَحِيلِناَ مِنْ بَلَدِ طَرَابُلُسَ حَمَاهَا اللّٰه]

وكان رحيلنا منها يوم الجمعة السابع والعشرين من شعبان الثالث {والعشرين}[1] من أكتوبر. ومررنا على ضريح الإمام الولي الصالح سيدي عبد الحفيظ ووالده سيدي محمد الصيد، {بالحاح}[2] حفيده[3] سيدي حامد بن محمد، بعد أن رحلنا مراحلنا قاصدين منزل الركب بتاجورة، ونزلناها قرب الزوال بمنزل الركب. وتاجورة بوزن: باكورة. قال التجاني:

"وهي قرية كبيرة عامرة وبها قصر متسع {يجتمع}[4] على دور كثيرة. وفي وسط وسط هذا القصر حصن أقدم منه بناء يقال إن حميد بن جارية ابتناه وشارك فيه بالعمل بنفسه ليحض أهل الموضع على إتمامه، وهو الذي عمر هذه القرية ونقل أهلها إليها من أرض هنالك تعرف بأرض عبد رب، وكان ابتداء عمارتها في عام خمسين وخمسمائة. وهم يدعون أنهم من العرب، وينتسبون إلى تميم، ويذكرون أنهم سكنوا الأرض المعروفة بأرض عبد رب من حين الفتح الإسلامي، ثم نقلهم منها حميد إلى هذه القرية".[5]

قال: "وبتاجورة السفرجل الذي لا يوجد في بقاع الأرض مثله. "[6]

قال: "وليس يقرب منه إلا السفرجل الموجود بنفزاوة. "[7] انتهى.

قلت: والذي نعرفه في ضبط هذه البلدة {تاجوراء}[8] عاشوراء[9].

(1) ساقطة من "ف"

(2) ساقطة من "ت".

(3) "ف": حفيد والصحيح ما أثبتناه.

(4) ساقطة من "ع".

(5) ينظر رحلة التجاني، ص – ص: 307 – 308.

(6) ينظر رحلة التجاني، ص – ص: 308.

(7) ينظر رحلة التجاني، ص – ص: 308.

(8) ساقطة من "ح2".

(9) "ح1": هاشوراء، والصواب ما أثبتناه.

[ذِكْرُ بعْض أَهْلِ المَحَبَّةِ بتاَجُوراَءَ[1]]

وأكرمنا إخواننا من أهل تاجورة[2]، كثرا لله خيرهم، ووفر جمعهم، وفيها جماعة من الطلبة والفقهاء، منهم: العالم المدرس سيدي عبد الرحمان عمار - به لقب- وهو المقدم على من بها من أهل نسبتنا. وصنوه الفقيه سيدي عبد الله، وسيدي محمد[3] مراد، وسيدي أحمد خالد، والحاج محمد عمار، وسيدي علي المياس، وسيدي على الصغير. وسيدي الحاج محمد بن راشد، والفقيه القارئ سيدي علي بن سعيد، وسيدي محمد بن مسعود، وسيد الحاج محمد ماطوس، وسيدي محمد بن أبي غرارة، والفقيه سيدي رمضان خليفة[4]، وسيدي عبد السلام الشلوكي[5]، والفقيه القاضي سيدي محمد كرموص، والفقيه القارئ سيدي علي كرموص، والشيخ المسن سيدي محمد أغرس، والفقيه القارئ سيدي علي أغرس، والفقيه القارئ سيدي أحمد سلام، والفقيه العالم المدرس سيدي عبد العزيز مروان، والفقيه القارئ الطالب سيدي الحاج رمضان فارس، والفقيه القارئ سيدي خليفة بن كموش، والفقيه القارئ سيدي محمد بن عون، وسيدي عبد الله بن عمرو، والفقيه [القارئ] سيدي علي بن سالم، والفقيه الطالب سيدي عبد الحفيظ القاري[6] والحاج أبو بكر بن الشيخ، والفقيه العالم المدرس سيدي محمد بن الشيخ، والفقيه القارئ سيدي محمد [بن][7] أبي[8] سعد، وسيدي عبد الله بن عبد الجواد، وسيدي محمد الشريف، وسيدي محمد بن سعد، وسيدي محمد بن إدريس، وسيدي علي كرم، والمحب الصادق سيدي محمد بن الحاج محمد بن أبي الخير، وجماعة من النساء نحو ست عشرة وبالغوا في إكرامنا، تقبل الله منهم، كالمرة قبل هذه.

---

(1) "ع": بتاجورة.
(2) "ح2": تاجوارا.
(3) "ت": أحمد.
(4) "ف": خليشي.
(5) "ت": السلوكي.
(6) "ح1": الغاري.
(7) زيادة من "ف".
(8) "ف": أبي سعد.

وأقمنا بها السبت والأحد والاثنين، ولحق بنا الركب المغربي، واستفدنا منهم أخبار الحرمين الشريفين. واكترى الناس من الجمالين [157- ب] القادمين معهم بعد أن يئسوا من الكراء.

ثم ظعنا منه بعد صلاة الظهر يوم الثلاثاء ثاني رمضان، ونزلنا غافق بعد صلاة العصر.

قال التجاني: "وهو قصر خرب خال لا عمارة به "،[1] انتهى.

وبه الآن بئر غزيرة الماء، ينزل إليها بأدرج، وماؤها لا بأس به.

ثم ارتحلنا منه، ومررنا بواد[2] يقال له: وادي الرمل وهو واد متسع عذب الماء لا لا ينقطع ماؤه صيفا وشتاء. ومبدؤه من الجبل قاطعا إلى البحر، لا بد لكل مشرق، يجعل الجبل يمنته، أو مغرّب، يجعله يسرته، مِنْ قَطْعِهِ. وهو واد[3] مخصب من أعلاه، أعلاه، فيه مزارع، تخرج إليه ماشية أهل طرابلس وسواحلها أيام الربيع، وربما أخرج الحجاج إليه إبلهم مع رعاتها إن طالت إقامتهم بطرابلس. وأصل مائه من عيون تنبع في أثنائه، تبتدئ من مسافة قريبة من الجبل، فتجري قليلا ثم تنقطع، ثم تبتدئ بعدها عيون أخرى، فينتهي ماؤه إلى[4] البحر. ولا يعم الماء جميع الوادي إلا في وقت الأمطار عند نزول السيول من الجبل.

قال التجاني:

"وفي أعاليه عند سفح الجبل قصر يعرف ب(صِيبار) بكسر الصاد المهملة بعدها ياء معتلة، ثم باء مفردة قال: "وبقرب البحر، في أسفل هذا الوادي، بئر تعرف ببئر طُشّانة[5] بضم الطاء المهملة وتشديد الشين المعجمة، بإزاء قبر يعرف هذا الموضع به، فصار القبر اسما علما له. وهو لرجل من العرب من ذباب، ثم من بني عيسى منهم، واسمه: شهوان[6] بن عيسى بن عامر بن جابر بن فائد بن رافع بن ذباب

(1) ينظر رحلة التجاني، ص: 309- 310.
(2) "ف": بوادي.
(3) "ف": وادي.
(4) "ح1": في.
(5) "ف": طشاتة.
(6) "ف": شهران.

وكان هذا الرجل ذا رئاسة في قومه وصيت بعيد، واشتهر بالكرم فلم يذكر معه في وقته غيره وفيه يقول شاعر العرب: (الطويل)

حَمى الأَرْضَ شَهْوَانُ[1] بِنُ عِيسَى بْنِ عَامِرٍ

وَعِرْضُ[2] الفَتَى إِنْ ضَيَّعَ المَجْدَ تَالِفُ

[قلت][3]: والأعراب الآن، إذا نزلوا هنالك، ولم يكن لهم زاد، قاموا على قبره فنادوه: "يا شهوان[4] بن عيسى اِقْرِ أَضْيَافَكَ! "فيذكرون أنهم لم يبيتوا قط دون عشاء، إما بصيد يتاح لهم أو بضالة يلقونها أو بغير ذلك."[5]

قال: "وهذا الأمر حدثني به جماعة منهم". وهو مشابه لما يذكره المؤرخون على حاتم الطائي أنهم كانوا ينزلون بقبره فيقريهم. وفي ذلك يقول الشاعر يمدح عدي بن حاتم: (الطويل)

أَبُوكَ أَبٌ سَبَّاقَةُ الخَيْرِ لَمْ يَزَلْ لَدُنْ شَبَّ حَتَّى شَابَ فِي الخَيْرِ رَاغِبَا

قَرَى قَبْرُهُ الأَضْيَافَ إِذْ نَزَلُوا بِهِ وَلَمْ يَقْرِ قَبْرٌ قَبْلَهُ الدَّهْرَ رَاكِبَا

وحكى أبو عبيدة قال: "نزل أبو الخيبري،[6] في نفر من قومه، بقبر حاتم فجعل يناديه: "يا أبا عدي اقر أضيافك!، فقال له أصحابه: "فكيف تنادي رمَّة بالية؟"، فقال: "أن طيئا تزعم أنه لا ينزل به أحد قط إلا قراه" فناموا فانتبه أبو الخيبري[7] مذعورا ينادي: "واراحلتاه!" فاستفهمه أصحابه عن أمره، فقال: "خرج حاتم بالسيف، وأنا أنظر إليه، حتى نحر راحلتي"، فنظروا إلى راحلته تتشحط في دمائها، فقالوا له: "قد والله قراك" وأخذوا يأكلون من لحمها ما شاءوا، ثم ارتحلوا صباحا. فنظروا إلى راكب يقود بعيرا وهو يسأل عن أبي الخيبري، فتعرض له أبو

---

(1) "ف": شهران.
(2) "ت": وأرض.
(3) زيادة من "ف".
(4) "ف": شهران.
(5) ينظر رحلة التجاني، ص – ص: 310 – 311.
(6) الخيبري أحمد كان حيا سنة 376 هـ /986 م هو أحمد بن جعفر بن محمد بن ابراهيم العلوي الخيبري، فاضل، من مؤلفاته: كتاب المصابيح في ذكر ما نزل من القرآن في أهل البيت، ينظر معجم المؤلفين، ج1 – ص 115.
(7) "ت": أبو الخبير.

الخيبري فقال له: "أنا عدي بن حاتم وإن حاتما أتاني الليلة فذكر أنك استقريته وهو ينشدك: (المتقارب)

أَبَــا الخَيْــبَرِيِّ وَأَنــْتَ امــرُؤٌ ... وَلُــؤْمُ العَشِيــرَةِ ظَلاَّمُــهَا

أَتَيْــتَ بِصَحْبِــكَ تَبْغِــي القِــرَا ... لَــدَى حُفْــرَةٍ[1] صَدَحَــتْ هَامُهـا

أَتَبْغِـي[2] لـيَ الـذَّمَّ[3] عِنـْدَ المَبِيـتِ ... وَحَــوْلِيَ طَيْــئٌ[4] وَأَنْعَامُــها

وَإِنَّــا نُــشْبعُ[5] أَضْيَافَنــا ... وَنَــأْتِي[6] الــمَطِيَّ وَنَعْتَامُهــا[7][8]

وقد أمرني أن أحملك على بعير، مكان راحلتك، فدونكه".[9] انتهى.

ومررنا بعد بوادي[10] المسيد، وهو كالذي قبله، أو أخصب منه، وماؤه ماء غزير لا ينقطع صيفا ولا شتاء، ويكثر في أوقات السيل لأنه يجتمع إليه ماء جبال مسلاتة ومن أعلاها. وجاوزناه بأميال كثيرة، وبتنا غربي تورغوت[11]. وبهذه المراحل شجر العُشَر [158- أ](كَصُرَد القاموس) فيه حراق، لم يقتدح الناس في أجود منه [ويحشى في المخاد][12]، ويخرج من زهره وعشبه سكر معروف، وفيه مرارة.

قال التجاني: "وهو شجر ناعم النبات، شديد الخضرة، إلى السواد مائل، هو ينبت صعدا، وله أوراق عظيمة ونور مشرق، حسن المنظر كنَوْر[13] الدفلا. وثمر أخضر كالأترج، تملأ الواحدة يد حاملها؛ وهي مملوءة بشيء يشبه القطن تسميه

---

(1) "ح1": عفرة.
(2) "ف": أتبغني
(3) "ت": الدّم.
(4) "ف": طيٌّ.
(5) "ح1": لنشبع.
(6) "ت": ونأت.
(7) قري الضيف، اللسان/ مادة: (ع. ت. م).
(8) "ع": ونعتامها.
(9) رحلة التيجاني، ص- ص: 311- 312.
(10) "ف": بواد.
(11) "ف": توزغت.
(12) زيادة من "ف".
(13) "ف": كنورة.

العرب الخُرْفُع[1] – بضم الخاء المعجمة وسكون الراء وضم الفاء[2] –، وربما حشيت حشيت منه المرافق والوسائد".[3]

قال: "وأخبرني من أثق به أنه رأى ثيابا صنعت منه، ولا يأكله حيوان. وهو شجر كثير اللبن. وليس شيء من اللبن على اختلاف أنواعه أكثر لبنا منه. ويجنى منه مغافر، واحدها مغفور– بضم الميم– وهو صمغ حلو كريه الرائحة يقال له سكر العُشَر وفي الحديث: "أكلت مغافر" وهو من هذا.

ولا تكون المغافير[4] إلا فيه وفي العرفط والرمث والثمام[5]. أكثرها مغافير، وليس في كلام العرب مُفعول بضم الميم إلا مُغفور هذا، ومُغرود – بالغين المعجمة– لضرب من الكمأة، ومُنخور لغة من المنخر. ومنابت العُشَر القِيعان وبُطون الأدوية، وقد ينبت بالرمل. قال ابن البيْطار في أدويته:

"ولم أر شيئا منه بالأندلس. وأول ما وقفت عليه بظاهر طرابلس المغرب بالجهة الشرقية منها"، يشير إلى هذا الموضع، ثم قال: "بعد ذلك رأيته بديار مصر، بظاهر القاهرة" انتهى كلامه[6].

قلت: {كذا}[7] كان بأرض الحجاز وبلدان. وأول ما وقعت عليه عيني برملة[8]، غربي تاجورة، شرقي السبخة. والله أعلم". ثم قال التجاني:

"وكانت العرب تستجلب المطر إذا احتبس عنهم بشجر العُشر وشجر السَّلَع – بفتح السين واللام"[9]

قلت: وفي القاموس السَّلَع: مُحَرَكة شجر مُرٌّ أوسم أو ضرب من الصِّبر أو بقلة خبيثة الطعم.

---

(1) "ف": الخُربع.
(2) "ف": الباء.
(3) ينظر رحلة التجاني، الصفحات: 312– 313.
(4) "ح1": المغافر.
(5) "ت": التمام.
(6) ينظر رحلة التجاني، الصفحات: 313– 314.
(7) ساقطة من "ع".
(8) "ت": برمة والصحيح ما أثبتناه.
(9) ينظر رحلة التجاني، الصفحات: 314.

قال: "يعمدون إليهما فيأخذون منهما أغصانا ويجعلونها في أذناب البقر ويشعلون النار فيها، ثم يصعدونها إلى الجبل فيزعمون أنهم يُمطرون {في}[1] وقتهم. وهو قول أمية بن أبي الصلت: (الخفيف)

سَنَةٌ أَزْمَةٌ تَخَيلُ بالنَّا ... سِ تَرَى لِلْعُضَاةِ[2] مِنْهَا صَرِيراً[3]

لاَ عَلَى كَوْكَبٍ يَنُوءُ وَلاَ رِيـ ... ـحِ جَنُوبٍ وَلاَ تَرَى زَمْهَرِيراً

وَيَسُوقُن بَاقِرَ السَّهْلِ لِلطُّوْ ... دِ مهازِيلُ[4] أَوْشَكَتْ أَنْ تَبُورَا

عَاقِدِينَ النِّيرَانَ فِي ثكَنِ الأَذْ ... نَابِ مِنْها لِكَيْ تُهِيجَ البُحُورَا

سِلَعاً مَا وَمِثْلَهُ عُشَراً مّا ... عَائِلاً مَا وَعَالَتِ اليَقُورَا

تخيل بالناس أي تطمعهم في المطر والطخرور[5]: القطعة من السحاب -بالخاء بالخاء المعجمة وبالحاء المهملة- والبيقور: جماعة البقر، وهو ضرب من السحر. ولله در القائل يعيب عليهم فعلهم هذا: (البسيط)

لا دَرَّ دَرُّ[6] رِجَالٍ خابَ سَعْيُهُمُ[7] ... مُسْتَجْلِبُونَ[8] نُزُولَ الغَيْثِ بِالعُشَرِ

أَجَاعِلٌ أَنْتَ بَيْقُوراً[9] مُسَلَّعَةً ... وَسِيلَةً لَكَ بَيْنَ اللهِ وَالمَطَرِ"[10]

انتهى.

قلت: وهذا من جهل العرب، وهو كثير.

(1) ساقطة من "ح1".
(2) "ف": للعضاه.
(3) صوت أو صاح شديدا، اللسان/ مادة: (صرر).
(4) "ف": مهازل.
(5) "ح1": الطخر.
(6) "ت": لاذو ذو.
(7) "ت": فعلهم.
(8) "ح2": مستجلبين.
(9) جماعة البقر، اللسان/ مادة (ب. ق. ر).
(10) ينظر رحلة التجاني: ص: 314- 315. ينظر ماء الموائد، ج/1 ص /90.

ونزلنا تورغرت[1] قبل الاصفرار. وبها بئر عذب ماؤها، حفرها الأخ في الله سيدي عبد السلام بن عثمان وغرس عليها شجرة من شجر التوت لقصد ابن السبيل: فيشرب[2] من ماء البئر ويستظل بظل الشجرة، تقبل الله منه، وشكر سعيه. سعيه. وقد صدق[3] في ذلك لكون المحل معطشة في زمن القيظ.

غريبة: وذكر شيخنا العياشي في رحلته قال:

"أخبرني الشيخ الأجل، قاضي مدينة القدس، محمد النفاتي التونسي، أيام لقائي له بالقدس الشريف، أنه حج، في صغره، مع أخيه أبي الحسن النفاتي أمير الركب، فمروا بهذا المكان في زمن القيظ، فألجأهم العطش إلى بئر في واد يُنُوت[4]".

قال التجاني: "بضم الياء المعتلة وبالنون والتاء المثناة الصحيحة". انتهى.

قلت: وهو واد ينزل من جبال مسلاتة وعليه مزارع، إلا أن ماءه [158- ب] قليل يسقي منه الركب -إن اضطرّهم العطش إليه في زمن الحر- وعلى يمين الذاهب داخلا في أصل الجبل قليلا.

قال: "فنزلوا عليهما قائلة ووافتهم هنالك قفول قدمت من فزّان، حاجاتهم مثل حاجاتهم. فذهب الناس إلى البئر فنزحوا ما فيها من الماء فلم يسق بعض أدَانيهم[5] ورجع الناس مغمومين: فمن قائل نرتحل هذا الوقت لندرك الماء قبل حلول الهلاك، ومن قائل نؤخر إلى آخرا لنهار. قال لي الشيخ: "فدخلت على أخي فأخبرته بذلك وقلت له: "أن الناس قد أشرفوا على الهلاك واضطرب أمرهم في الرحيل؛ فمرهم بالرحيل لئلا يهلكوا، قال: "فاغتم لذلك واستند في خبائه كالنائم. فلما أفاق قال لي: "ناد في الناس بالإقامة وقل لهم: اذهبوا لسقي الماء". فقلت له: "أبك جنون؟ أنا أخبرك أنه لا قطرة بالبئر![6] والناس قد أشرفوا على الهلاك!" فقال لي: "افعل ما أمرتك". فقلت له: "لست بأحمق أنادي بالإقامة على غير ماء! فلما أبيت نادى خديمه الغلام، وقال له: "ناد في الناس بالإقامة والذهاب لسقي الماء".

---

(1) "ف": توزغت.
(2) "ف": يشربون.
(3) "ع": صادق.
(4) ينظر رحلة التجاني: ص: 317.
(5) "ت": أوامرهم والصواب ما أثبتناه.
(6) "ت": في البئر.

فلما سمعت ذلك استحييت وتغيبت. فأقام الناس وذهبوا إلى البئر فوجدوها قد امتلأت -بالماء حتى كاد أن يفيض من جوانبها- فاستقى الحجاج وجميع القوافل حاجتهم والماء كما هو. {و}[1] قال لي الشيخ: "فلما رأيت ذلك ذهبت إليه وقصصت عليه الخبر: فقال لي: "إني لما أغفيت، عندما أخبرتني بخبر الناس، رأيت النبي، صلى الله عليه وسلم، في النوم فقال لي: "مر الناس بالإقامة" فعلمت أن الله سيجعل لهم[2] فرجا. قلت: ولا يستبعد هذا في حق وفد الله وزوار نبيه، صلى الله عليه وسلم. فإن لله بهم عناية، ولهم منه أعظم وقاية، ولقد أخبرني عن أخيه هذا بأمور من جنس هذا في سفرته تلك وفيها توفي بقرية الينبوع. التي ينزلها الحاج. وقبره إلى الآن ظاهر عليه بناء خفيف على تل مشرف بحذاء[3] منزل الركب المغربي بالينبوع وكنا نزور قبل هذا ذلك المحل ولا نعلم من دفن فيه حتى أعلمني به القاضي المذكور. والله يتغمدنا وإياه برحمته، ويغمرنا في الدنيا والآخرة بجزيل نعمته، آمين"[4] انتهى.

ولم نزل نسير يومنا ذلك في أرض ذات غياظ[5] وشعوب متوعرة. ووصلنا ماء طيبا بخليج غادرته السيول وسقى الناس دوابهم واستقوا. ووجدنا مبيت الركب المغربي في سفح جبل النكازة[6] بقاف مقعودة تحت العقبة. وهنالك تسوق[7] أهل مسلاتة الركب، إن بات، بزيت كثير طيب رخيص. وربما تسوّقوهم[8] على ظهر فيشترى الناس منهم حاجاتهم. وزيت هذا البلد من أطيب الزيوت مذاقا، سيما ضرب منه يسمونه ضرب الماء {يعصرونه بالماء}[9]. ولا أدري كيف يصنعون ذلك[10]. لا تكاد تكاد تميز بينه وبين السمن. إلا أننا في سفرتنا هذه ما تسوّقونا لأنا مررنا بالموضع مع العشي. وصعدنا العقبة. وقطعنا الجبل، وهو منتهى الجبال في تلك البلاد. قال أبو سا لم في رحلته:

---

(1) ساقطة من "ف".
(2) "ت": فعلمت أن سيجعل الله من أمرهم.
(3) "ح2": مجرى.
(4) ينظر ماء الموائد، ج/1 ص/ 90- 91.
(5) "ف": غياض.
(6) "ف": نكازة.
(7) "ح2": تتسوق، والصواب ما أثبتناه.
(8) "ح2": تسوّقُهم.
(9) ساقطة من "ت".
(10) "ع": بذلك.

"وهو آخر الجبل الذي لا نظير له في الدنيا طولا وعرضا وخصبا وماء وقرى متصلة وعمرانا[1] متراكب[2] من قبائل وافرة غالبها البربر، {و}[3] أوله من البحر المحيط أطراف السوس[4] الأقصى.

ثم يمتد كذلك إلى أن يمر قبلي[5] مراكش، وهو المسمى جبل دَرَن، ثم يمتد كذلك إلى بلدنا إلى أن يقارب البحر قرب تلمسان، ثم لم يزل يساير البحر، وإن كان يبعد[6] منه في بعض المواضع، ويسمى في كل بلد باسم. وربما تعددت أطرافه فيسمى كل طرف باسم إلى أن انتهى هنا بأطراف برقة".

وقال صاحب تقويم البلدان إنه يمتد من أطراف السوس الأقصى من البحر المحيط إلى أن يبقى بينه وبين الإسكندرية خمس مراحل.

قلت: وكأنه جعل بلاد برقة كلها والجبل الأخضر منه. لأن أرض برقة مرتفعة عما يجاورها من بلاد فزان ونواحيها، والبحر من الناحية الأخرى إلى العقبة الصغيرة. وبينه وبين الإسكندرية خمس مراحل. والظاهر ما ذكرناه أولا- وهو الذي اقتصر عليه غيره- فغرب[7] هذا الجبل في كل البلاد [بلاد][8] مخصبة ذات {أنهار}[9] وعيون وأشجار، وقبلته صحراء ذات نخيل ورمال- من البحر المحيط من أطراف السوس الأقصى- إلى آخر برقة"[10] انتهى.

وصعدنا النكازة وبأعلاها وأسفلها آثار أبنية كثيرة {عادية}[11]، [159- أ] والله تعالى أعلم بحقيقتها، الوارث الأملاك بعد فناء الملاك. ونزلنا أعلاهم قرب الغروب وهو قصير في أكمة، وبتنا في غوط يمينه.

---

(1) "ح2": وعمران.
(2) "ف": متراكبا.
(3) ساقطة من "ف".
(4) "ح1": سوس.
(5) "ف": قبلتي.
(6) "ف": بعيدا.
(7) "ت": قرب.
(8) زيادة من "ت" /"ف": بلد
(9) ساقطة من "ع".
(10) ينظر ماء الموائد، ج/1 ص/91 - 92.
(11) ساقطة من "ت" [في مكانها بياض].

وفي سفح هذا الجبل الذي يلي ساحل حامد مدينة عظيمة يقال لها مدينة لبدة[1]، قد خلت في العصور الأوائل وبقيت آثارها ورسومها. قد أكل البحر كثيرا منها. وفيها مباني عظيمة، وهياكل جسيمة، وأبراج خارجها مبنية بالحجر المنحوت في غاية الإتقان. قد هرم الدهر وما هرمت، وتعاقبت عليها الأزمنة وما ثلمت. فترى الأبنية مائلة متقابلة على رؤوس الجبال مد البصر بحيث يقتضي الحدس أن كل ما كان داخلها كان مدينة إلى البحر واحدة[2]. وترى أعمدة الرخام وغيره واقفة في وسط البحر قد أحاط بها الماء بحيث لا يرتاب أن البحر قد أكل الكثير منها. ومن هذه المدينة ينقل كثير من أعمدة الرخام إلى طرابلس وإلى مصر وإلى غيرهما من البلدان ويقال إن بانيها الملك دقيوس وبعد وفاته تملكتها امرأة اسمها روميّة. وبعضهم ذكر أن النمرود لما بنى دمشق بقي ثلاث سنين وبعث ولده وأمره أن يبني مدينة بالمغرب، فبنى هذه المدينة وجلب إليها الماء من واد[3] كعام في بناء متقن يحار الناظر فيه. وأثر البناء وممر الماء باق إلى اليوم متصل من جوف الوادي إلى أطراف المدينة. إلا أن ماء هذا الوادي الآن قليل آجن[4]. ويزعم أهل البلد أن ماء هذا الوادي كان حلوا غزيرا أيام عمارة المدينة، وكان مما يوثر عند أهلها أنه إذا بدت الملوحة في ماء الوادي فذلك من علامات خرابها. فلما بدت فيه الملوحة أخذ أهلها في الانتقال منها، والله أعلم أي ذلك كان. وقد ذكر العبدري[5] في رحلته هذه المدينة، وذكر أنه أنه وجدها خالية. والذي يظهر أنها خلت قبل الإسلام، إذ لم يذكرها أحد ممن ذكر فتوح إفريقية. والله أعلم بغيبه.

غريبة: "أخبرني بعض أهل ذلك البلد أن الملك الذي بنى هذه المدينة وقع موتان[6] في عسكره حتى تفانوا، ولم يدر ما سببه. وأمر بشق بطن [كل][7] واحد منهم وشق عن قلبه[8] فوجد فيه دودة. فعلم أن ذلك سبب موتهم. وأمر بصب

---

(1) مدينة بين برقة وافريقية، وهو صحن من بنيان الأوائل بالحجر والأجر، وحوله آثار عجيبة. ينظر معجم البلدان ج5 – ص 11.
(2) "ف": مدينة واحدة إلى البحر.
(3) "ت" و"ف": وادي.
(4) "ع": أجن.
(5) الرحلة المغربية للعبدري، ص: 483.
(6) "ف": موت، والأرجح ما أثبتناه.
(7) زيادة من "ح1".
(8) "ف": بطنه.

جميع الأدوية عليها واحدا فواحدا فلم تمت، حتى أخرجوا زيتا كان عنده في قارورة جاء به من أرض الشام، فصب عليها قطرة من زيت فماتت. فعلم أن دواء ذلك المرض بأكل الزيت فبعث إلى الشام وجاءه غرس الزيتون فأمر بغرسه في تلك الأوطان كلها من مسراتة إلى سوسة وتونس وأعمالها. ومن تلك الساعة بقي الزيتون في هذه البلاد. والله أعلم[1]" انتهى كلامه.

ولم نمر في هذه الحجة على هذه المدينة، ومررنا بها في حجة ست وتسعين ورأينا فيها العجب العجاب، وموعظة وذكرى لأولي الألباب: (الوافر)

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ فَكُلُّكُمُ يَصِيرُ إِلَى ذَهَابِ

ثم ظعنا منه، ومررنا بساحل حامد، وتعرض لنا الأخ في الله سيدي أحمد بن شحاتة وراود في نزول الركب لديه، وامتنعنا لعسر الوقت. وذكر أنه لا خبرة له بنا. واسترحنا معه هنيئة، وأمر بالرطب فأحضروها[2] وبعراجين[3] من البلح الحلو وأعطيناه وأعطيناه لمن حضر معنا من أهل الركب، تقبل الله منه. وكان من عادة هذا السيد أن يتعرض للأركاب ويطعمهم العصيدة، فالله ينفعه بنيته.

وبلدة ساحل حامد بلدة كبيرة ذات نخل كثير ومزارع وسوان[4] وزيتون، إلا أن نخله رديء التمر[5] -كنخل هذا الساحل كله- لا يدخر، ولا ييبس إلا بعد إزالة النوى منه، فيبقى كقطع الجلد لا قوة فيه ولا حلاوة ولا طعم."[6]

قال الإمام أبو سالم: "لا تكاد تفرق بينه وبين لحا الشجر"[7] قلت: وفيه تمر جيد يجعلونه بمسالخ[8]، وأماجل ما يتسوقون[9] به فكما قال. قال: "وبهذه البلدة قبر قبر الولي الصالح، ذي الكرامات الكثيرة، والمآثر الشهيرة سيدي مفتاح. وهو على تل

---

(1) ينظر ماء الموائد، ج/1 ص /92-93.
(2) "ف": فأحضروها.
(3) عراجين: جمع العرجون: ما يحمل التمر وهو من النخل كالعنقود من العنب (مادة: ع – ر–ج – ن، ن، لسان العرب).
(4) "ف": سواني.
(5) "ع": الثمر، والصحيح ما أثبتناه.
(6) ينظر ماء الموائد ص: 93.
(7) ينظر نفسه.
(8) "ف": بمساليخ
(9) "ف": ما يتقوتون به والصواب ما أثبتناه.

مرتفع بساحل البحر بينه وبين البلد في موضع[1] يعلوه البهاء، ويتفجر منه السناء. تسكن النفوس إذا حلت به، وتطمئن القلوب إذا نزلت بقربه. وهذا السيد ممن توثرعنه الكرامات الكثيرة. وجربت إجابة الدعاء عند قبره، [159- ب] فلا ينبغي لمن مر بذلك البلد أن يهمل زيارته. وقد قيل إن قبره كان مخفيا وأظهره سيدي عبد السلام الأسمر وكان قد أظهر قبور كثير للأولياء بذلك الساحل. وأظهرت فرسه أيضا آخرين. وذلك أنه إذا ركب على فرسه ربما تمر بمكان فتنحث[2] برجلها في الأرض، فيقول لهم الشيخ: "احفروا فإن هنا قبر ولي" فيجدونه. فظهرت بذلك مزارات كثيرة. وفقراء الساحل إلى الآن يعرفونها ويقولون هذا من الذين أظهرهم فرس الشيخ. ولا بدع في ذلك، فإن الكرامة في ذلك لراكب الفرس لا للفرس. فقد بركت ناقة النبي، صلى الله عليه وسلم، في مكان مسجده، وعندما دخلت الحرم يوم الحديبية. وإذا كانت بركة النسبة للأنبياء -عليهم السلام- وللأولياء -رضوان الله عليهم- يظهر أثرها في العجماوات، فما بالك بالآدمي الذي هو أشرف المخلوقات. فلا تقصروا إخواني من خدمة الصالحين، وزيارتهم، وملاقاتهم، فإن لذلك أثرا عجيبا في تليين القلوب وتسخير النفوس. والله، تبارك وتعالى، يجعلنا من المحبين لأهل ولايته، ويحشرنا مع حزبهم وفريقهم في دنياه وآخرته. "[3]

وبإزاء روضة هذا السيد بئرعذبة الماء باردة. وكنا زرناه في حجة ست وتسعين مع جماعة وافرة من أصحابنا -تقبل الله- وسنزوره، إن شاء الله، في هذه السفرة.

ومررنا على "آثار ساقية فيها قنوات تحمل الماء إلى المدينة المذكورة من عين يقال لها عين كعام: وفيها صنعة عجيبة، وأبنية غريبة، بحجارة منحوتة عظيمة، تحار فيها العقول منها أحجار من أربعة أذرع فأكثر، منقورة في وسطها نقرا متقنا، والحجر في غاية الصلابة، قريب من حجر الصّوان."[4]

قال شيخنا العياشي:

---

(1) "ت": في مكان.

(2) "ت": فتبحث.

(3) ينظر ماء الموائد ج1، ص- ص: 93- 94.

(4) ينظر نفسه، ص: 94.

"والحاصل أن من رأى ذاك استغرب أن تكون قدرة البشر واصلة إلى ذلك المقدار، وعلم أن دهرا أفنى أولائك الأقوام، جدير بأن يستأصل شأفة[1] الأنام"[2].

ثم نزلنا غربي إجلتين[3] قرب الغروب على حد سبخة في شفة النخل، وتلقانا الأخ سيدي علي ابن عبد الصادق في جماعة من طلبته، وشيعنا، وبات معنا، وبالغ في القرى: أحضر تمرا وشعيرا {وخبزا}[4] ودجاجا ولحما جيدا ودلاعا، كثرا الله خيره، وهذه البلدة مثل التي قبلها في النخيل والسواني إلا أنها أصغر منها فيما يظهر.

[ثم ظعنا][5]، وتعرض أهل البلدة للركب بالشعير والثياب، ونال الناس من ذلك حاجتهم[6] وكفايتهم. وطشت السماء علينا طشا، فلم نمل لزيارة ولي الله سيدي عبد السلام الأسمر، حين وازينا بلده، حتى نرجع، إن شاء الله. وهو رجل كما قال في رحلته شيخنا أبو سالم:

"من أهل المائة العاشرة، كثير الكرامات، علي المقامات، من أجل تلامذة سيدي أحمد بن عروس نزيل تونس. والغالب عليه الجذب من أول أمره وآخره، وله تصرف قوي. ويوثر عند أهل البلد من تصرفاته آثار كثيرة يطول استقصاؤها. وأخباره في قهر الجبابرة وفك الأسارى من أيدي الإفرنج -في حياته وبعد مماته- شهيرة. وهو من بلدة يقال لها: الفواتر، وأمه مغربية[7] درعية. ولم تزل هذه البلدة -التي هو منها- منها- مأوى الصالحين، ووكر العابدين من قديم الزمان. تواتر عند أهل البلد أنها لا تخلو من سبعة من أكابر الصالحين. قالوا: "وهم ظاهرون فيها حتى الآن، وليس عليهم سمة متفقرة الوقت، بل هم على هيئة العوام في ملابسهم ومساكنهم وحرفهم، إلا أنهم قائمون على منهج الشريعة. وكل من رام أهل هذه البلدة بسوء يقصمه الله

---

(1) "ح1": شأنه.
(2) ينظر ماء الموائد، ج/1 ص / 94.
(3) "ح2": أصليتين.
(4) ساقطة من "ع".
(5) زيادة من "ح2".
(6) "ت": حوائجهم.
(7) "ت": غريبة.

[تعالى][1]. ولا يدخلها أحد بزهو وتكبر إلا أذله الله. ويذكر عن أهلها كرامات كثيرة".[2]

قال: "وقد ذكر لي بعض الإخوان أن سيدي عبد الحفيظ قدم لزيارة أهل هذا[3] البلد[4] ومعه بشر كثير كما هو شأنه إذا خرج. فلما قرب من البلد نزل عن فرسه ومشى راجلا متواضعا إلى أن زار وخرج. فقيل له في ذلك، فقال: "لو دخلتها على الحال التي كنت عليها خارجا من الركوب كهيئة المتبوع، لخشيت على نفسي". أو كلاما هذا معناه.

وبلدة الفواتر هي بإزاء زاوية سيدي عبد السلام قريب منها بنحو [من][5] فرسخ وفيها مزارات [160- أ] كثيرة للأحياء والأموات"[6].

لطيفة: أخبرا لإمام العياشي، في رحلته، أنه أخبره أخوه في الله، المجذوب السالك، سيدي أحمد ابن محمد بونجيب: "أنه لما حج بقي أمام النبي، صلى الله عليه وسلم، وقال في نفسه: "إني لا أذهب لزيارة حمزة ولا غيره هذا يكفيني. فأخذتني سنة فرأيته عليه السلام. فقال لي: "يا أحمد يا حبيبي، عم الرجل عوض[7] أبيه". قال: "فقمت في الحين وذهبت لزيارة سيدنا حمزة وحدي. وكان وقت خوف. ولقيت هنالك[8] ثلاثة رجال أحدهم الخضر، عليه السلام."[9].

ونقل عنه عن اللقاني: "أن الوزغ يتغذى بعينيه وأنه- أي اللقاني- كان، ذات يوم، يأكل ووزغ ينظر إليه من السقف، فأمر من قتله. قال وشقوا بطنه فوجدوا فيه من الخضرة التي كان الشيخ يأكل منها"[10]. [انتهى][11]..

---

(1) زيادة من "ف".
(2) ينظر نفسه.
(3) "ف": هذه.
(4) "ف": البلدة.
(5) زيادة من "ت".
(6) ينظر ماء الموائد، ج/1 ص /94.
(7) "ف": صنو.
(8) "ت": هنالك.
(9) ينظر نفسه، ص/95.
(10) ينظر نفسه.
(11) زيادة من "ت".

وممن لقينا من أهل هذا البلد في حجتنا قبل هذه، صاحب سيدنا الوالد نفعنا الله به وسلك بنا طريقه[1] في اتباع السنة بالنبي، عليه السلام وآله وصحبه، سيدي محمد بن سالم الأصليني وأطعمنا وفرح بنا غاية الفرح، وآثار الصلاح على وجهه يلوح. وعرف الفلاح من بشره يتضوع ويفوح، وسايرنا إلى الولي الكامل سيدي أبي العباس {أحمد}[2] زروق. وكان يكاشف. ولم ندركه في حجتنا هذه، توفي رحمة الله عليه قبلها.

نادرة: كان سيدي عبد السلام الأسمر، الشيخ الأكبر، يستعمل السماع بالدف " إلا أنه كان- رضي الله عنه- ذا حال صادقة لا يقتدى به في ذلك. وأراد خلفه والمنتسبون إليه اقتفاء أثره، في ذلك فحقهم اتباع السنة، واجتناب مواقع الظنة[3]. وليست الأحوال مما يورث[4]، ولا مما يصح فيها التقليد، لأنها واردات من الحق تستعمل العبد بمقتضى وقته استعمالا جبريا، فليس لغيره اتباعه في ذلك إن [لم] تظهر له موافقته للمشروع[5].

ومما يحكى من ذلك عن الشيخ سيدي عبد السلام، أنه سمع ذات يوم بالدف. فلما نقره سمعه كل من حضره، يقول: "الله! الله!" بحيث لا يمترون في ذلك"[6]. قاله في رحلته شيخنا أبو سالم.

قال: "وهذا شاهد صدق في صحة سماعه وصدق حاله مع الله، ومثل هذا له أن يسمع بأي[7] شيء أراد من دف ومزمار لانقلاب سمة[8] الملاهي في حقه ترياقا، ترياقا، فعادت[9] المخالفة للمشروع بانعكاس الثمرة وفاقا، فسبحان من يخرج "من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين"، ومن بين الزفر[10] والزمر[1] أحوالا سنية للمقربين"[2].

---

(1) "ح2": طريقته.
(2) ساقطة من"ت".
(3) "ف": الضنة.
(4) "ح1": تورث.
(5) "ت": المشروع.
(6) ينظر نفسه، ص/95 -96.
(7) "ح1": بكل
(8) "ح1": سيمة.
(9) "ح2": فعادة.
(10) "ف": الدّف.

وكان حج سنة سبعين مع شيخنا الوالد رضي الله عنه وأرضاه، بعض أهل زاويته.[3] "وكان يسمع بالدف على عادتهم. فبعث إليه الشيخ، فقال له: "إن أردت مرافقتنا فاترك هذا السماع وإلا فاعتزلنا". فاعتل بأن ذلك من عادة أسلافه، فلم يقبل منه الشيخ ذلك ولم يزل به حتى ترك السماع.[4]

قلت: وقد عمت البلوى، والعياذ بالله، بانكباب أبناء الطوائف على السماع بالدفوف والمزاهير[5] وسائر الآلات والأشعار والألحان. واتخذوا ذلك صراطا مستقيما، واتبعوا فيه شيطانا رجيما. ونبذوا السنة وراء ظهورهم. وزالت هيبة الشريعة من صدورهم. وكان لهم ذلك ديدنا في سائر الأزمان، فصاروا مسخرة للشيطان.

وفي "الرسالة"، عن أبي إسحاق الأولاسي قال:

"رأيت إبليس في المنام على بعض سطوح الأولاس، وأنا[6] على سطح. وعلى يمينه جماعة وعلى يساره جماعة وعليهم ثياب لطاف[7]. فقال لطائفة منهم: "قولوا". فقالوا وغنوا. فاستفرغتني طيبة حتى هممت أن أطرح نفسي من السطح". ثم قال: "ارقصوا". فرقصوا أطيب ما يكون. قال لي: "يا أبا الحارث! ما أصبت شيئا أدخل به عليكم إلا هذا". انتهى.

ولعمري كيف تسلم ديانة من يتعاطى السماع بالأغاني، وإنشاد [الألحان][8] الأشعار، إذ هو معشش الدسائس وأحق بالنزاع، ومغرس التخليط والتلبيس، وأدخل في الابتداع، إلا من عصمه الله، وقليل ماهم.

فلذلك، كان إنكار السماع، من كثير العلماء وتحذيرهم منه، ولا سيما، في حق العوام، الباقية نفوسهم، القائمة حظوظهم، وكثر استعماله[9] لكثرة الغرور

---

(1) "ف": المزمار.
(2) ينظر ماء الموائد، ج/1 ص /96.
(3) زاويته: الضمير يعود على السيد عبد السلام الأسمر.
(4) المزاهر جمع مزهر وهو العود الذي يضرب به، وهو أحد آلات الطرب، ينظر اللسان مادة (ز، هـ، ر).
(5) "ت": المزاهر، مطموسة في "ح2".
(6) "ف": وأنه، والصواب ما أثبتناه.
(7) "ت": نظاف.
(8) زيادة من "ف".
(9) "ح2": استعمال.

وطفوح الجهل، حتى ربما رأوه من أركان الطريق. وربما توغلوا فيه حتى تعاطوه بالآلات الملهيات[1]، والأصوات الحسنة من الأحداث [160- ب] الملاح، حتى كأنهم في محاضر المنادمة. وما أبعد هذا عن الدين وأهله. وقد يكون الفتى من أهل البطالة والغواية [بالفتح مصدر غوى][2] واللهو والشرب، ثم إنه يتوب على أيديهم.

فيحضرونه في أمثال هذه المجالس، وهذا الغناء وهذا اللهو. فلا تزداد نفسه إلا قوة وجموحا، ولا شهوته إلا كلبا وطفوحا. نعم كان قبل التوبة منكسر القلب، معترفا على نفسه بالإساءة، متمنيا للخير والصلاح واللحاق بأهله، والخير كله في هذا الوصف، وفي الحديث {القدسي}[3] ﴿أَنَا عِنْدَ المُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي[4]﴾. ثم ثم إنه إذا تاب، ظن أنه قد التحق بالصفوة وبرئ من العيوب بمجرد خروجه عن الحالة الأولى إلى الثانية؛ وهذا العجب والاغترار هو العيب كله. والشيطان يكتفي منه بذلك، فلا يوسوس له أن يتعاطى تلك المعاصي السابقة، لأن هذا العجب والاغترار أعجب إليه إذ لا يتمنى الانتقال والتوبة عن هذه الحالة أصلا، وعدم الوسوسة بذلك تزيده اغترارا وإعجابا. فيكون في مرضاة إبليس، ما دام على تلك الحال، وفي سخط الكبير المتعال. نسأله العافية. ولهذا قال إمام الطريقة الجنيد، رضى الله عنه:

" إذا رأيت المريد يحب السماع، فاعلم أن فيه بقية من البطالة".

وقال الشيخ الإمام، القدوة الهمام، أبو الحسن الشاذليّ رضى الله عنه: "سألت أستاذي، رضى الله عنه، عن السماع فأجابني بقوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ، فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾[5]

وقال أيضا، رضى الله عنه: "رأيت في النوم كأن بين يدي كتاب الفقيه ابن عبد السلام، وأوراقا فيها شعر مرجّز. وإذا بأستاذي رحمه الله واقف، فتناول كتاب الفقيه بيمينه وتناول الأوراق بشماله، فقال كالمنتهر: "أتعدلون عن العلوم الزكية؟ -وأشار بيده إلى كتاب الفقيه-، إلى الأشعار ذوات الأهواء الردية -وأشار بيده إلى

---

(1) "ح1": الملهوية، "ف": الملهية.
(2) زيادة من الناسخ بين السطرين.
(3) ساقطة من "ت".
(4) من كتاب الهم والحزن، ج/1 ص /56 رقم 61، ولفظه قال داود النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿أيْ رَبِّ رَبِّ أَيْنَ أَلْقَاكَ؟ قَالَ: تَلْقَانِي عِنْدَ المُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ﴾.
(5) سورة الصافات، الآية 69 و70.

أوراق الشعر- ثم رمى بها [إلى][1] الأرض، ثم قال: "فمن أكثر من هذه فهو عبد مركوز لهواه، أسير شهوته ومناه، يسترقون بها قلوب الغفلة والنسوان، ولا إرادة لهم في فعل الخير واكتساب العرفان، يتمايلون عند سماعها تمايل اليهود، {ولم يحظ أحد منهم بما حظِي به أهلُ الشهود}[2] لئن لم ينته الظالم لتقلبن[3] أرضه سماء. فأخذني حال وَجْدٍ وبكاء، وأنا أقول: "ألا إن النفس أرضية، والروح سماوية". فقال: "بلى إذا كانت الروح بإمطار العلوم دآرة، والنفس بأعمال الصالحات نباتة، فقد ثبت الخير كله. وإذا كانت النفس[4] غالبة والروح مغلوبة، فقد وقع القحط والجدْبُ.

وانقلب الأمر وجلب الشر كله. فعليك بكتاب الله الهادي، وكلام رسول الله الشافي، ولم تزل[5] بخير ما لزمتهما. وقد أصاب الشر من عدل عنهما. وأهل الحق إذا إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه، وإذا سمعوا الخير[6] أقبلوا عليه. ﴿وَمن يقترف حسنة[7] نزد له فيها حسنا﴾[8] انتهى.

وقال الإمام أبو العباس زروق: "وقد اتفق مشايخ المتأخرين من القوم على منعه، لما حدث فيه وبه من الفساد حتى قال الشيخ محي الدين رحمه الله: "السماع في هذا الزمان لا يقول به مسلم ولا يقتدى بشيخ يعمل السماع أو يقول به".

وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾[9]: "نزلت في اليهود ومن كان من فقراء هذا الزمان، مؤثرا للسماع بهواه. آكلا مما حرمه مولاه. فهي نزعة يهودية: لأن القوّال يذكر العشق وما هو بعاشق، ويذكر المحبة وما هو بمحب: والوجد وما هو بمتواجد. فالقوال يقول الكذب والمستمع سماع له. ومن أكل من الفقراء طعام الظلمة، حين يدعى إلى السماع، يصدق عليه قوله تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآءُوكَ

---

(1) زيادة من "ت".
(2) ساقطة من "ع".
(3) "ف": ليقلبن.
(4) "ح1": النفوس.
(5) "ت": ولن تزال والصحيح ما أثبتناه.
(6) "ف": الحق.
(7) "ح1": حسنا والصحيح ما أثبتناه.
(8) سورة الشورى: بعض الآية 21.
(9) سورة المائدة: أول الاية 44، وتتمتها: ﴿فَإِنْ جاَءوُكَ فَاْحُكُمْ بِيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ، وَإِنْ تَعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضرُّوكَ شَيْئاً، وَإِنْ حَكَمْتَ فَاْحُكُمْ بَيْنَهُمْ بِالقِسْطِ، إِنَّ الله يُحِبُّ المُقْسِطِينَ﴾.

فَـاحْكُمْ بَيْـنَهُمْ أَوَ اَعْـرِضْ عَـنْهُمْ، وَإِن تُعْـرِضْ عَـنْهُمْ فَلَـنْ يَّضُـرُّوكَ شَـيْئاً، وَإِنْ حَكَمْتَ﴾."

قـال: "وعـبر بعـض الصـحابة علـى بعـض اليهـود، فسـمعهم يقـرؤون التـوراة فتخشعوا. فلما دخلوا على رسول الله[1]، صلى الله عليه وسلم، نزل عليه جبريل، عليه السلام، فقـال: "اقرأ، قال[2]: وما أقرأ، قـال: "اقرأ، ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِـمْ أَنـاَّ أَنْزَلْنـاَ عَلَيْكَ الكِتـاَبَ يُتْلىَ عَلَيْهِمْ﴾[3] فعوتبوا إذ[4] تخشعوا من غيره. وهـم إنما تخشعوا من التـوراة، وهـي كـلام الله. فمـا ظنـك بهـذا؟ أَعْـرَضَ عـن كتـاب الله وتخشـع بـالملاهي والغناء" انتهى كلامه.

[و][5] قال الإمام محي الدين: "وكل من سمع من الشيوخ فهوعلى أحد أمرين: إما قبل أن تحصل له مرتبة التمكين، فالسماع عندنا حرام في ذلك الوقت؛ أو سمع بعد التمكين [161- أ] بشروطه[6] المعروفة، التي قد ذكرناها في غير هذا الموضع، فيعلم من هذا أنه قد نزل من المقام الأعلى إلى مقام هو أسفل وأدنى لحظ نفسي". ثم ذكر سر السماع، وأنه نزول كله، "وأن من لم يجد حاله إلا في السماع ويفقده إذا فقده فقد مكر به واستدرج، فَلْيَبْكِ على نفسه، وليبحث على ما جَنَتْهُ يده، فيجد ذنبا ضرورة، لا بد من ذلك."

ثم قال: "والله يلبسنا وإياكم رداء التقوى[7]، ويحلنا وإياكم المراتب السامية ولا يجعلنـا وإيـاكم ممـن لـه إلى اسـتماع السـماع أذن واعيـة، فيكـون مـن أهـل القلـوب الملهية". انتهى.

وله في التدبيرات الإلهية:

" السامعون شخصان: شخص يسمع بنفسه، وشخص يسمع بعقله، وليس ثم سامع آخر. ومن قال إنه يسمع بربه فهو نهاية درج سمع العقل.

---

(1) لم أجده.

(2) "ف": فقال.

(3) سورة العنكبوت: أول الآية 51، وتتمتها: ﴿إِنَّ فِي ذَلْكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُومِنُونَ﴾

(4) "ع": إذا، والأرجح ما أثبتناه.

(5) زيادة من "ف".

(6) "ح1": في شروطه.

(7) "ت": العافية.

لكن للعقل سمعان: سمع من حيث فطرته، وسمع من حيث الوضع. فالذي له من حيث الوضع، هو الذي قيل عنه إنه يسمع بربه، وقوفا عند قوله عليه السلام عن ربه: ﴿[كُنْتُ][1] سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ﴾[2]، فالذي يسمع بعقله يسمع في كل شيء، ومن كل شيء، وعلى كل شيء، لا يتقيد. وعلامته في ذلك البهت وخمود البشرية، والذي يسمع بنفسه لا يسمع إلا في النغمات والأصوات العذبة الشهية وعلامته أن يتحرك عند السماع بحالة فناء عن الإحساس. ومهما أحس المتحرك بالسماع[3]، فإنه مسخرة للشيطان. وإن لم يحس. وفني عن كل شيء، فهو صاحب نفس وتحت سلطانها، وحاله صحيح، {صحيح}[4] الفناء. ولا يأتى بعلم أبدا عقب عقب هذا الفناء والحركة في السماع. فإن ادعى أنه أتي بعلم فلم يكن فانيا، ولم يكن سمع بعقله. فإنه قد تحرك ولم يبق له إلا أن يكون كاذبا. فإن سماع النفس لا يأتي بعلم البتة، وسماع العقل لا تكون معه حركة. فمن جمع بين الحركة والعلم فهو كاذب جاهل بالحقائق" انتهى.

الغرض منه، فقس هذا الكلام {على أهل زمانك][5] تر العجب العجاب، والله يلهمنا الصواب، ويعصمنا من الزلل، ويوفقنا في القول والعمل.

قال الشيخ أبو القاسم القشيري {رحمه الله}[6] ورضي عنه: "سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله {تعالى}،[7] يقول: "السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم، مباح للزهاد لحصول مجاهدتهم، مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم". انتهى.

قلت: وإلى هذا الكلام، والله أعلم، يشير صاحب نظم المباحث الأصلية، حيث يقول:

وإنما أُبِيح للزُّهَّادِ ونَدْبُه إِلَى الشيوخِ بادِ

وهو على العوامِ كالحرامِ عند الشيوخِ الجِلَّةِ[1] الأَعلام

---

(1) زيادة من "ف".
(2) صحيح البخاري، ج: 5، ص: 2384، رقم الحديث: 6137.
(3) "ف": في السماع.
(4) ساقطة من "ف".
(5) ساقطة من "ت".
(6) ساقطة من "ع" و"ف".
(7) ساقطة من"ت".

قال الإمام زروق: "أما إباحته للزهاد، الذين لا إرب لهم في الشهوات والمستلذات، ولم يبلغوا رتبة التحقق[2] والذوق، فلأنه[3] لا يضرهم فيمنع، ولا ينفعهم فيُنْدَبَ. وأما الشيوخ، فلأنه[4] يثير منهم الحقائق، فتنتشر في عوالم الأجسام، ثم تتسع في ميادين الحضرة، فيكون للحضار منها نصيب، لأن من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها. وكل ما أفضى إلى الكمال. فهو كمال، وأما تحريمه على العوام، فمن جهة أنه يثير نفوسهم، ويحرك شهواتهم وغيرها من الطبائع والعوائد الرديئة. وهذا فيما يحتمل بذاته وصورته، وفيما يوافق الحق بمعناه، من حيث الطباع، لأن الشعر من مخامد النفس: فهو يقويها ما لم تكن ميتة. وفي ذلك قالوا: "إن الغناء مرقاة[5] الزنا، وإنه ينبت النفاق في القلب". انتهى.

قلت: وكلام أبي علي الدقاق هذا هو فصل الخطاب، والتوسط بين الخطإ والصواب، ونحوه قول الشبليّ، رضى الله عنه. وقد سئل عن السماع: "ظاهره فتنة، وباطنه عبرة. فمن عرف الإشارة حل له استماع[6] العبرة وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية".

وقال بعضهم: "لا يصح السماع إلا لمن كانت له نفس ميتة وقلبه حي: فنفسه ذبحت بسيوف المجاهدة، وقلبه حي بنور الموافقة. واتفقوا أنه لا بد للسماع من زمان ومكان وإخوان. ولذلك قيل للجنيد، رضى الله عنه: "ما لك لا تسمع"؟ فقال: "ممن" قيل: "من الله تعالى" فقال: "مع من". وقالوا: "السماع على قسمين: سماع بشرط العلم والصحو: فمن شرط صاحبه معرفة الأسامي والصفات، وإلا وقع في الكفر المحض. وسماع بشرط الحال: فمن شرط صاحبه الفناء عن أحوال البشرية، والتنقى من[7] آثار الحظوظ بظهور أحكام الحقيقة." [161- ب]

---

(1) "ح2": الآجلة.
(2) "ف": التحقيق.
(3) "ف": فإنه.
(4) "ت": فإنه.
(5) في الأصل مرقات، وهو خطأ.
(6) "ح1": الاستماع.
(7) "ف": عن.

وهذا، والله أعلم، إنما هو في سماع الأشعار المشتملة على الأوصاف الصالحة لأهل النفوس ولأهل الأرواح: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾[1] كسماع أبي الحسن، في الطريق، قول القائل: "رأى المجنون في البيداء كلبا"، الأبيات والقصة.

وأما الأشعار الوعظية المشتملة على التذكير بالله تعالى والترغيب فيما عنده، والتنفير عن الدنيا والتحضيض على التقوى فهي سليمة الجناب، تصلح للعوام والعبّاد والزهاد. وبالجملة، فالسماع ورطة لأهل النفوس {والشهوات}،[2] وروضة لأهل الفهم عن الله تعالى. وهؤلاء يسمعون من كل شيء، ولا يتوقفون على طيب النغم- كما تقدم عن صاحب التدبيرات- {ويشهد له}[3] حكاية ياَ سَعْتَرْبَر. وما فهم منه منه كل من الثلاثة المذكورين في حكايته. انظرها في "لطائف المنن". وهذا كله مع شروطه المقررة.

وقد عدمت الآن. فتعرض لمتعاطيه، عند تعاطيه، ترى ما ذكرت لك عيانا، نسأل الله السلامة والعافية. ويتعاطون ذلك بآلات ملهيات، وكيفيات منكرات. وأما التصفيق، وهز الرأس، والرقص، والتحرك، فإن كان بغلبة فالمغلوب معذور. وإن كان بغير غلبة، وهو للإيهام، فهو حرام، لما دخله من الرياء والتصنع والتظاهر بما ليس له حقيقة عنده. وإن كان مع بيان الحال، بحيث يعلم الحاضرون إنه غير مغلوب وإنما أراد إراحة نفسه، فهو إلى الباطل[4] أقرب، وليس من الحق في شيء. ولذلك، لما سئل بعض العلماء عمن يفعل ذلك، ضحك حتى بدت أنيابه، ثم قال: "أمجانين هم؟

وأما الدفوف والطنابير والمزامير والمزاهير[5] والطرور، فكان شيخنا ومفيدنا وقدوتنا، الإمام الوالد، يضرب فيها بالعصا والنعل، ويجلي فيها وينفي متعاطيه ويغري عليهم، ويبعث في نفيهم ويبالغ في زجرهم، ولا يسكت عنهم بحال؛ إلا أنه يخفف

(1) سورة الأعراف: بعض الآية 160 وتتمتها: ﴿وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما، وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر، فانبجست منه اثنتا عشرة عينا، قد علم كل أناس مشربهم، وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى، كلوا من طيبات ما رزقناكم، وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾.
(2) ساقطة من "ع".
(3) ساقطة من "ح2".
(4) "ف": للباطل.
(5) "ح2": المزاهر.

في رفع أصواتهم بالأذكار عند الاجتماع المجرد من[1] الزعقات {والهامعات}[2]، {والهامعات}[2]، وضرب الأكف وغير ذلك من الآلات. وإن طرق[3] شيء من من ذلك سمعه، بالغ في الزجر. بل المرضي عنده ترك كل ذلك واختلاء المرء بسره، والإخفاء لذكره، وكان الفقراء. ذات يوم، مجتمعين بالزاوية على الكيفية التي ذكرنا أنه يخففها ويسكت عنها، وجلس وراءهم خفية عنهم. وظفر به بعض أصحابه فقال له: "يا سيدي ما أجلسك هذا المجلس؟ فقال: "أطلب الله في هؤلاء وأدعو لهم".

وفي المباحث الأصلية: (الرجز)

وَلاَ يَجـــوُزُ عِنْـــدَهُ التَكـــلُّمُ وَلاَ التَّلَهِـــي[4] لاَ و[5] لاَ التَبَسُّـــمُ

قلت وإن كان ولا بد، فمن أسلم الهيئات وأحسنها وأبعدها من الظنة[6]، ما ما ذكره الإمام الساحلي، رضى الله عنه. وهو: "أن الفقير إذا اشتغل بالإرادة، فحقه أن يقطع العلائق كلها، وينبذ اللذات والراحات، ويهجرا لمألوفات، ويستعمل العزلة والخلوة. وذلك أمر شاق على النفس في الابتداء، فإنها شديدة الحنين إلى ما تألفه من البطالة والأنس بالخلق. ويخشى عليها- من هجم عليها- بقطع جميع ذلك على الدوام أن تنفر.

{فوجب ترويحها حينا بعد حين بالاجتماع ليكون ذلك استجماما، ولا يكون ذلك على الدوام}[7]، لئلا ترجع إلى طبعها من الألفة، بل يكون ذلك بحسب الحاجة. ثم يجب أن لا يكون الاجتماع بالبطالة، وترك ما هو عليه. فإنه لابد من مواصلة الأوراد والدوام على العمل، بلا فترة. فلزم أن يكون الاجتماع على الذكر الذي كان يستعمله المريد في خلوته بنفسه، حتى كأنه لم يخرج عن خلوته، ولم ينتقل عن حالته. غير أن ما كان يعمله وحده عمله مع إخوانه ليفيد النفس[8] تأنيسا بهم. بهم. وصفة الاجتماع: أن يعقدوا الميعاد ليوم معلوم، فيحضرون ويجمعون من الطعام

---

(1) "ف": عن.
(2) ساقطة من "ت"(ترك الناسخ مكانها فارغا).
(3) "ف": طرأ والصحيح ما أثبتناه.
(4) "ف": التلاهي.
(5) ساقطة من "ح2".
(6) "ف": الضَّنَّةِ.
(7) ساقطة من "ح2".
(8) "ف": للنفس والصواب ما أثبتناه.

ما تيسر، مع غاية البعد عن التكلف والرياء والتباهي، وصفة ذلك أن يأخذ القيم بأمرهم ما يطرح فيه ذلك فيجعله في مكان[1] مظلم، ولا يحضر هنالك أحد. فمن جاء[2] بشيء وضعه هنالك، قليلا أو كثيرا. فلم يدر ما أتى به كل واحد، ويأكلونه عند الفراغ من الذكر.

وصفة الذكر أن يجلسوا حلقة، ثم يرفعوا أصواتهم بذكر واحد من الأذكار التي عندهم: كالهيللة، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، خافضين رؤوسهم، غاضين أبصارهم، على غاية الوقار والسكينة والخشوع، من غير اضطراب ولا حركة، إلى أن تنزل على أحد حالة غالبة، تزعجه من غير اختيار، وليس لأحد أن يتمنى نزول ذلك، ولا أن يتعاطاه، بل يستعيذ بالله من شر الوسواس والخواطر الشيطانية.

وأما السماع بالأغاني وإنشاد الأشعار، فهو أدخل في الابتداع، وأحق بالنزاع. وهو معشش[3] الوساويس، ومغرس التخليط والتلبيس، إلا من عصم الله. وقليل ما هم." انظر تمامه.

نستعيذ بالله من مواقف الملامة. دينا ودنيا، في الآخرة والأولى. آمين آمين آمين.

ثم ظعنا من هذه الدار ونزلنا غربي مصراتة، بين العشاءين، ومن الغد، ارتحلنا ونزلنا خارج قصر أحمد، بطرف السبخة بإزاء روضة أبي شعيفة بين الظهرين، يوم الأحد سابع رمضان. وملنا مع جماعة من أصحابنا لزيارة الشيخ المحقق، العالم العلامة المدقق، العارف بالله، الدال على الله، صاحب العلمين، ومحقق النظرين، ومحل المذهبين، ومرتضى الفريقين، مقتدى أهل العلم الباطن، والمتبوع أهل الظاهر، وينبوع الأسرار في سائر المظاهر، قطب مغربنا، وإمام أئمتنا، سيدي أبي العباس أحمد بن أحمد زروق والبرنوسي[4] الفاسي، حقق الله إليه نسبتنا، وخلّص في محبته سريرتنا، آمين.

---

(1) "ع": فمن شاء.

(2) "ف": فمن شاء، والصواب ما أثبتناه.

(3) "ح1": معشعش والصواب ما أثبتناه.

(4) "ح1": البرنسي.

وزرناه بمقتضى الوقت من أدب ووقار، وذل وانكسار، عند استواء الشمس ولم نعّرج على سواها. وخرجنا آمين موضع الركب. وصلينا به الظهر.

نكتة: ذكر شيخنا الإمام أبو سالم، في رحلته، أنه التقى مع "خديم ضريح الشيخ ومتولي زاويته سيدي أبي العباس بن أحمد بن عبد الرحيم بن أحمد. وجده هذا أحمد.

قال: "هو خديم الشيخ، وهو الذي بنى المسجد الذي هو اليوم على ضريح الشيخ، وتولى عمارته والقيام به، ثم أولاده وأحفاده بعده[1] إلى هلم جرا"[2].

قال: "والمتولي الآن هو سيدي أبو العباس هذا، وابن عمه سيدي عبد الواحد، وهو أسن منه، وكلاهما لا يخلو من بركة، وهما ملازمان للصلاة بجوار الشيخ وقراءة وظيفته مع الفقراء النازلين بجواره. والكل محترمون بحرمته: ليس عليهم مثل ما على غيرهم من الوظائف الجورية لأرباب الدولة. و[قد][3] قرأت معهما وظيفة الشيخ غيرما مرة. وأخبراني بها عن سيدي محمد بن غلبون؛ وكان قد أسن وقارب المائة أو تجاوزها. ومسكنه بقصر أحمد على نحو [من][4] فرسخين. ومع ذلك لا يترك صلاة الجمعة بمسجد الشيخ، ويحضر الوظيفة إلى أن مات. وهو قد أدرك وأخذ عن خديم الشيخ وأخصّ أصحابه وتلامذته سيدي أبي زعامة[5]. وفيه يقول، رضي الله عنه، مداعبا وممازحا ومزاح- أولياء الله حق:

يا بوزعامة[6] يا عنق الحمامة، أَبْشِرْ بالسلامة يوم القيامة.

فهنيئا له، [له][7] أعظم البشارات، على لسان أصدق أهل الإشارات"[8].

---

(1) "ت": بعد.
(2) ينظر ماء الموائد، ج/1 ص/97.
(3) زيادة من "ت".
(4) زيادة من "ح1".
(5) "ت": أبو زعامة.
(6) يا با زعامة.
(7) زيادة من "ح1".
(8) ينظر نفسه.

قال: "وقد أخبرني بهذه الحكاية السيدان المتقدمان كلاهما، وأذنا لي في قراءة الوظيفة مدرجا فيها قوله[1]: "يا مولانا يا مجيب، من يرجوك ما يخيب، اقض حاجتنا قريب، يا حاضر لا يغيب. "آمين الخ. بعد قوله يا عالم[2] السر منا الخ.

وأخبراني[3] أنه لم يكن من كلام الشيخ، وإنما زاده تلميذه الإمام الخروبي، لما مر بأهل زاوية الشيخ قاصدا للحج، واشتكوا عليه من ظلم الأعراب، فأمرهم بزيادته وإدراجه في الوظيفة. واستمر الحال عليه إلى الآن. وكثير من الناس يظن أنه من كلام الشيخ، رضى الله عنه، والصحيح إن شاء الله ما ذكراه[4]، إذ لم نجد هذه الزيادة في النسخ الصحيحة، المتصلة السند والرواية بالشيخ.

ولم يذكرها الخروبي في كتابه "كفاية المريد"[5].

قال: "وأصح الطرق التي رأينا فيها هذه الزيادة، طريق شيخ والدنا سيدي أحمد أذفال"[6]، إلا أنه قال: "إنما أخذها عن شيخه بركات الحطاب بالإجازة، واجتهد في في تصحيحها من النسخ، بعد ذلك، حسبما رأيته بخطه آخر نسخة من الوظيفة، رضى الله عنه، آمين[7]"

قال: "وقد أخبرني سيدي أبو العباس المذكور أن جده الأعلى سيدي أحمد، الذي كان خديم الشيخ، قال للشيخ في حياته: "ألا نبني هنا زاوية ونتخذ لها أوقافا؟" فقال له: "يا أحمد نحن لا تفوح رائحة مسكنا إلا بعد ما نتسوس تحت التراب.

ثم بعد موته، وكثرة الواردين والزائرين وانتشار صيته في مشارق الأرض ومغاربها، بنى {تلميذه}[8] المذكور المسجد[1] [162- ب] بإزاء قبره. وسكن عنده بعد موته

---

(1) زيادة من "ت"، وفي: ف.
(2) "ح1": يا عليم.
(3) "ع": وأخبرني، والأرجح ما أثبتناه.
(4) "ع": ما ذكره، والصواب ما أثبتناه.
(5) ينظر ماء الموائد، ج/1 ص 97.
(6) "ت": أذا فال. أذفال هو أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد أبو العباس الدرعي المنشأ، من شرفاء فكيك، ويدعى السوساني نسبة إلى سوسانة، وهي إحدى قرى افريقية، وهو صوفي كبير تتلمذ عن الشيخ محمد بن علي التمكروتي، وتنقل بين درعة وفاس وسوس والمشرق. توفي سنة 1023 هـ/ 1615م. ودفن بالأكتاوة من أسفل درعة، وقبره مزاره مشهور بها. ينظر الدرر المرصعة أول ترجمة في الكتاب.
(7) ينظر نفسه.
(8) ساقطة من "ع".

بعشرين سنة. وقد وجدت عند هؤلاء[2] الأخوين جزءا من "شرح الرسالة" للشيخ بخط يده. رضى الله عنه"[3] انتهى.

فائدة: لما كنا بروضة الشيخ، حجة ست وتسعين وألف، خطر ببالنا ما سبب سكنى هذا الإمام الأعظم، والشيخ المكرم، بهذه البلدة البعيدة عن المدن والحواضر. فنطق أخونا في الله سيدي عبد الله بن غلبون، كأنه مطلع على ما في ضمائرنا، والله عليم بذات الصدور، فقال:

"سئل الشيخ، رضى الله عنه، عن سكناه بهذه البلدة، فقال: "أمّا ما ذكرت من استيطاننا في هذه البلاد[4]، فأمر خارج عن قياس النظر، غير مصحوب بالجزم ولا معقود لشيء نعلمه، بل اتفاقي ظهر وجوده فلزم موجوده، إلى ما يقتضيه[5] الحق: (الطويل)

وَمَا أَنَا بِالْبَاغِي سُلَيْمَى بَدِيلَةً بِلَيْلَى وَلَكِنْ للضَّرُورَةِ أَحْكَامُ

قلت: ولعل فائدة استيطانه هذه البلدة، والله أعلم، استئناس الأركاب بزيارته، واستمدادهم من معونته، وتقويهم على ما هم بصدده بمطالع[6] حضرته، وقد شاع عند الحجاج أن من مر بقبره وأودع الله عنده نفسه وماله لا يصيبه مكروه حتى يرجع. ويفعلون ذلك إذا مروا [به][7] في البر أو حاذوه في البحر فيجدون بركاته[8]. ولا بدع في ذلك ولا غرابة، فإن الله تعالى حفيظ لا تضيع ودائعه، والأولياء أبواب الله. فمن أودع الله شيئا عند باب من أبوابه كيف لا يحفظه فيه! والله خير حفظا، وهو أرحم الراحمين.

وأطلعنا أصحابنا هنالك على نسخة من شرحه على "الرسالة" بخط يده الكريمة، وعلى وصيته على أولاده، لما حضرته[9] الوفاة. نفعنا الله به آمين.

---

(1) "ف": المسجد المذكور والصواب ما أثبتناه.
(2) "ف": هاذين.
(3) ينظر نفسه، ص: 97 /98.
(4) "ف": البلدة.
(5) "ع": يقضيه، والصواب ما أثبتناه.
(6) "ف": بمطالعة.
(7) زيادة من "ت".
(8) "ف": بركته.
(9) "ح2": حضره.

فائدة: قال أبو سالم في رحلته: "وقد وجدت ورقة فيها زمام تركة الشيخ وعدة أولاده ونسائه، ومن خلفه من بعده وعدد متخلفه: من كتب وأمتعة. ولننقلها هنا [و][1] بحروفها، لما اشتملت عليه من الفوائد منها: استفادة عدد أولاد الشيخ وأين استوطنوا بعده، فإني لم أجد ذلك بعد الفحص الشديد عنه. ومنها التأسي به في قلة ما خلفه من الدنيا، مع كونه ذا أولاد ونساء في بلد يشق فيها العيش، ولا يعوزه ما يخلفه لهم، لو شاء، لانتشار صيته وخدمة الدنيا وأهلها له. ومع ذلك لم يخلف إلا ما ستراه، ونصه بعد الافتتاح:

بعد أن توفي إلى عفو الله الشيخ الفقيه {العالم}[2] العلامة الصالح العارف المحقق القدوة المتبرك به أبو الفضل أحمد بن الشيخ المقدس المرحوم أبو[3] العباس [أحمد][4] بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق، غفر الله له ولوالديه، انحصر إرثه في زوجته، أمة الجليل، ابنة أحمد المكرم أبي العباس أحمد بن الفقيه العدل أبي زكرياء يحيى الغلباني المصراتي. وأولاده منها أحمد أبي الفضل وأحمد أبي الفتح وعائشة. وزوجه فاطمة {بنت}[5] أبي عبد الله محمد الزلاعية الفاسية. وولده منها الفقيه، الشاب، الطالب، الأسعد أبي العباس أحمد الأصغر. وابنه الشيخ الفقيه القدوة المدرس أبي العباس أحمد الأكبر، لا غيرهم في علمهم.

ثم توفي أحمد أبو الفتح المذكور. وانحصر إرثه في والدته، أمة الجليل، وشقيقه أبي الفضل وعائشة المذكورين، وأخيه لأمه أحمد بن الشيخ الفقيه، الأجل، الأسعد، الصالح، أبي علي منصور بن أحمد بن محمد البجاوي[6]، لا غيرهم في علم شهوده.

ثم توفيت عائشة المذكورة وانحصر إرثها في أمها، أمة الجليل، المذكورة، وشقيقها أبي الفضل، وأخيها لأمها أحمد بن الشيخ منصور المذكور.

ثم توفي أبو الفضل المذكور. وانحصر إرثه في والدته، أمة الجليل، وأخيه لأمه أحمد بن الشيخ منصور المذكورين، وأخويه لأبيه أحمد الأكبر وأحمد الأصغر

---

(1) زيادة من "ح1".
(2) ساقطة من "ف".
(3) "ت": أبي.
(4) زيادة من "ف".
(5) ساقطة من "ف".
(6) "ح2": اليحياوي.

المذكورين، لا غيرهم في علم شهوده. وكان من متخلف[1] الشيخ أحمد المذكور: نصف الفرس الشهباء، كبيرة السن، شركة بينه وبين الحاج عبد الله بن محزازة التكيراني المصراتي بالنصف الثاني، مع برنوس أبيض وجبة صوف بزر مختم مع ثوب بالغزل وسبحة. فقد كان أخذها الشيخ أحمد المذكور من الشيخ سيدي أحمد بن عقبة الحضرمي اليمني، نفعنا الله به، آمين، مع أربعة [163- أ] عشر سفرا وكناشا. فمن الكتب في الفقه [من][2] مختصر ابن عرفة رحمه الله، وأسفار في "الكبير". مع حاشية الوانوغي والمشذالي على "المدونة"، مع سفر به مختصر الشيخ خليل، والشامل للشيخ بهرام[3]، رحمهما الله مع شرح ابن عسكر في الفقه للشيخ أحمد المذكور آنفه. ومن غير الفقه الديباج المذهب، في التعريف برجال المذهب، لابن فرحون، رحمه الله؛ ومعه تأليف الشيخ أحمد المذكور، [و][4] القواعد في علم التصوف، ومعه شيء من علم الطب مع سفر به قواعد الونشريسي، والمذكور شيء من علم الطب، مع سفر به {الزركشي والسبكي، في أصول الفقه وبلوغ المرام لابن حجر والبلالي اختصار الأحياء، ومع سفر به}[5] شرح التفتازاني في أصول الدين، والحكم لابن عطاء الله، والمنهل الروي في علم الحديث وغيره، مع سفر من ملتم الحديث، بخط الشيخ أحمد المذكور، وتأليف الشيخ عبد الرحمان الثعالبي مع إجازة له، وشيء من ابن حجر في علم اللغة رحمهم الله، وسفر به تفسير القرآن، وكناش محتو على وظائفه وغير ذلك.

وقد كان استوطن الشيخ أحمد الأكبر، مع[6] موت أبيه، ببلاد المغرب. واستقر واستقر آخر ذلك بمدينة قسنطينة، حرسها الله. وأرسل مراسيل للإتيان بالمخلف المذكور بخط يده، وثبت منها بالعدالة، حسبما بيانه كما بان. يوجه له ذلك مع من أمكن، وكان جميع ذلك تحت يد الشيخ منصور المذكور. وامتنع من ذلك لعدم الأمن والأمين، حتى وصل الفقيه الطالب أبو العباس أحمد الأصغر المذكور في عام تاريخه لمدينة طرابلس، حرسها الله تعالى. ولم يأت بموجب يقتضي له قبض[7] ذلك لأخيه،

(1) "ع": مخلف، والأرجح ما أثبتناه.
(2) زيادة من "ح2".
(3) "ح2": بهرم.
(4) زيادة من "ف".
(5) ساقطة من "ع"، و: ف.
(6) "ت": بعد.
(7) "ح1": قبلو الصحيح ما أثبتناه.

فتوقف أصحاب الشيخ المذكور، فطلب الشاب أحمد المذكور بأن يعطى ذلك في زمانه، يطلب نصيبه[1] ونصيب والدته فاطمة المذكورة، لكونه[2] وارثها، ونصيب ونصيب أخيه أحمد المذكور الأكبر فوافقوه على ذلك، بعد ثبوت الإذن المذكور، بأن يعطى ذلك. ولأخيه حضر إلى شهيديه الفقيه أحمد المذكور الأصغر، نائبا عن نفسه، وعن أحمد الأكبر. وأشهد أنه قبض جميع المخلف[3] المذكور، عدا نصف الفرس، فإنه قبض ثمن ذلك وهو ثمانية دنانير مشحرة من الشيخ منصور المذكور قبضا تاما وأبرأه {إبراء}[4] بتاريخ أوائل ذي الحجة الحرام، متم عام ثلاثة عشر وتسعمائة. انتهى. وصلى الله على محمد وآله.

[نقلته][5] الرسم المذكور بحروفه، من غير زيادة ولا نقصان، مع وجود بعض التصحيف. به ولم أغير شيئا. بل تركته كما وجدته. ولم أكتب من الرسم الأصلي، بل من رسم نقل منه. والله أعلم"[6] انتهى.

ولبعض أهل المحبة في هذا الشيخ[7] من أصحابنا ما نصه: (الطويل)

أَلاَ أَيُّهَا القُطْبُ الهمَامُ الّذِي بِه ... تَعَلّقَتِ الأَرْكَابُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ

وَمَنْ بِهُدَاهُ يَهْتَدِي بِمَفَازَةٍ ... دَلِيلٌ[8] بِتَيْهَاءٍ يَتِيهُ وَلاَ يَدْرِي

وَمِنْ بِحِمَاهُ يَحْتَمِي لِمُضِيمَةٍ ... فَتَكْشِفُ عَنْ قرْبٍ وَتُولِي سَنَا النَّصْرِ

---

(1) "ح2": فطلب.
(2) "ح2": لكونها.
(3) "ف": المتخلف.
(4) ساقطة في "ت".
(5) في ماء الموائد: نقلت.
(6) ينظر ماء الموائد، ج/1 الصفحات: 98- 99- 100.
(7) أي الشيخ أبو العباس أحمد بن زروق.
(8) "ف": ضليل.

وَمَــــنْ بســـــنَاهُ اسْتَوْضَـــح الِّـــدينُ فَانْثَنـــىَ[1]

لـــدَى الكـــلِّ مَعْرُوفـــاً ســـلِيماً مِـــنَ النُّكْـــرِ

بِنَشْــــــرٍ وَتِبْــــــيَانٍ وَإيِضَــــــاح مُشْــــــكِلٍ

فَأَضْـــحَى سَمِيًّـــا طَـــائراً[2] أَطْـــيَبَ النَّشْـــرِ

وَمَــــــنْ لِنـــــدَاهُ يَمْتَطِــــي مِــــنْ مَطِــــيَّةٍ

غَــــرَامِسَ[3] نَصْــــرٍ فَـــذْ فـــدٍ بعْـــدَهُ تَـــفْر

عُلاَكُــــــمْ وَجَــــــنَّ نَاعِمَــــــاتٌ تَاوَّبــــــتْ

كـــأَنْ قَانـــصٌ يَرْتَادُهَـــا نيْـــلُهُ[4] يفْـــرِي

يَسُــــــوقُهَا مِـــــنْ شَـــوْقٍ شَدِيـــدٍ مُبَـــرِّح

فـــلاَ تَتّـــقِي حَزْنـــاً كَمَـــا الحَـــرَّ وَالـــقَر

تُشــــيرُ بِهَــــا دِيهَــــا لِهَــــادِي أئِمـــــةٍ

تَـــرُومُ وَلِيّـــا أَعْـــذَبَ الـــورْدِ وَالـــصَّدْرِ

تَقُــــــولُ وَأَلْقَـــــتْ لَبَّــــــةً بِفِنائِـــــهِ

مَقَالَــــةَ مَقْتُــــولِ الصَّـــبَابَةِ ذِي خبْـــرِ

أَلاَ يَـــا أَبَـــا العَبَّـــاسِ أَحْمَـــدَ مَـــنْ لَـــه

سَـــمِيٌّ مِـــنَ الأَلْقَـــابِ يَسْمُـــو عَلَـــى البَـــدْرِ

أَتَيـــنَاكَ نرجـــو الفـــوز والفَـــتحَ[5] وَالمُنَـــى[1]

---

(1) "ح2": فانتشا.

(2) "ف": حائزا.

(3) "ف": عرامس.

(4) "ح1": نبله.

(5) "ع": الفتح الفوز.

وَيُمْنــــــا وَتوْفـــــيقاً وَتَصْـــــفِيَةَ الـــــسر

وَتَحْسِـــــينَ أَخْـــــلاَقٍ وَنُـــــورَ سَريـــــرَةٍ

وَهَـذْيَ ذَوِي التَّوْفِـيقِ وَالصِّـدْقِ وَالبِـرِّ [163- ب]

وَتَيـــــسْيِرَ مَطْـــــلُوبٍ وَنَيْـــــلَ مَـــــآرِبٍ

وَإِتْقَـــانَ أَعْــمَالٍ كَمَـــا جَـــاءَ فِـــي الذِّكْـــرِ

وَتَطْهِيـــــرَ قلـــــبٍ مِـــــنْ رِيَـــــاءٍ وَسُـــــمْعَةٍ

وَعُجْـــبٍ وَخِـــذْلاَنٍ وَغِـــلٍّ كَمَـــا الكِـــبْرِ

وَتَحْلِيَّـــــةً بِالـــــصِّدْقِ وَالدِّيـــــنِ وَالتُّقَـــــى

وَمَعْرِفَـــةَ الرَّحْمـــاَنِ فِـــي الِســـرِّ وَالجَـــهْرِ

وَفَهْـــــمَ كتـــــابٍ وَاتِّبَـــــاعًا لِسُنَّـــــةٍ

لَـدَى القَـوْلِ وَالأَفْـعَالِ فِـي[2] كُـلِّ مَـا أَمْـرِ

وَحِفْـــــظَ لِسَـــــانٍ مِـــــنْ خِـــــدَاع وَغِـــــيبَةٍ

وَزوُرٍ وَبُهْـــتَانٍ وَمُفْـــضٍ إِلَـــى الـــوِزْرِ

وَكَـــمْ[3] مِـــنْ شَقِـــيٍّ نَـــالَ مِنْـــكَ سَعـــادَةً

وَكَـــمْ مِـــنْ ذَلـــيِلٍ نَـــالَ عِـــزّاَ وَفِـــي القَـــبْرِ

وَكَـــمْ بَـــائِرٍ[4] رَشَّـــدْتَ[5] بَعْـــدَ تَحَيُّـــرٍ

وَكَـــمْ مِـــنْ خَـــلاً[1] عَمَّـــرْتَ بِالـــدِّينِ وَالخَـــيْرِ

---

(1) "ح2": والمنى.
(2) "ف": أو.
(3) "ف": فكم.
(4) "ح1": بائرا.
(5) "ت": أرشدت.

وَقَدْ طُمِسَتْ أَعْلاَمُهُ وَتَغَيَّبَتْ

وَكَانَ طَوِيلاً بَيِّناً أَفْقَرَ القَفْرِ[2]

وَكَمْ مِنْ غَبِيٍّ أَسْعَدَتْهُ يَدَاكُمُ

فَأَصْبَحَ مَجْلُوَّ البَصِيرَةِ ذَا خطْرِ

فَيُدْرِكُ أَسْرَاراً وَيَدْرِي مَعَانِيا

تَدِقُّ عَنِ الأَلْبَابِ فِي أَيْسَرِ الفِكْرِ

وَيَجْنِي ثمَارَ العِلْمِ دُونَ تَرَيُّثٍ

وَيَفْتضُّ أَبْكَارَ العَرَائِسِ فِي خدْرِ

وَيُبْدِي عَوِيصاً[3] مُدْنِياً كُلَّ شَاسِع

فَأَحْسِنْ بِهِ مِنْ سَيِّدٍ مَاهِرٍ حبْرِ

وَكَمْ مِنْ فقِيرٍ[4] جَاءَ مُصْفِرَ رَاحَةٍ

فَأَوْلَيْتَهُ فَتْحاً وَنُوراً عَلَى نورِ

وَأَغْنَيْتَهُ بِاللهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ

بِحَيْثُ يَرَى العَبُودَ[5] فِي أَنْدَرِ الشَّزْرِ

وَكَمْ مِنْ طَرِيدِ البَابِ أَصْلَحْتَ شَأْنَهُ

فَأَوْصَلْتَهُ بِرَبِّهِ سَنِيَّ القَدْرِ

---

(1) "ح1": خال.
(2) "ت": الفقر.
(3) "ح1": عويما.
(4) "ت": فقيه.
(5) "ح1": المعبود.

وَكَـــمْ خَـــائِفٍ[1] أَمَّنْتَـــهُ فَتعـــزَّزَتْ

أَمَاكِنُـــهُ لاَ يَخْـــتَشي فَتْكَـــةَ القَـــهْرِ

وَكَـمْ مِـنَ عُبَيْـدِ النّـفْسِ وَالشَّـرِ وَالهَـوَى

فَصَـــيَّرْتَهُ دَيّـــانَهَا حَائِـــزَ الظّفْـــرِ

وَكَـــمْ مِـــنْ مَرَاتِـــبٍ وَأَسْنـــَى مَفَاخـــرِ

لَكُـمْ مِـنْ إِلَـهِ العَـرْشِ مِـنْ غَيْـرِ مَـا حَصْـرِ

أَلاَ يَـــا إِمَامـــاً حَـــازَ كُـــلَّ فَضِيـــلَةٍ

وَمَنْقَبـــةٍ عُلْيَـــا تَجِـــلُّ عَـــنِ الحَـــزْرِ[2]

وَزَرُّوق[3] أَهْـــلُ اللَّـــهِ فـــِي كـــلِّ بُرْهـــةٍ

وَمَـــأْوَى العُفَـــاةِ فِـــي الـــيَسَارِ وَفِـــي العُـــسْرِ

أَنِـــلْ شَيْخـــَنا الـــقَرْمَ الإِمَـــامَ ابْـــنَ نَاصِـــرٍ

سَنِـــيّ السُّمُـــوِّ وَالمَكَانَـــةِ بِـــالفَوْرِ

فَيُلْحَـــظُ مَحْفُوظـــاً بِعَـــيْنِ عِنـــَايةٍ

وَيَحْـــظَى مـــِنَ الـــرَّحْمَانِ بِاليُمْـــنِ وَالـــوفْرِ

وَيَشْـــخَصُ مَعْصـــُوماً مِـــنَ الـــسّوءِ وَالـــبَلاَ

---

(1) "ت": من خائف.

(2) الحزْر: حزر الشيء: قدره. ينظر اللسان، مادة (ح-ز-ر).

(3) زروق: هو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى الفاسي، المالكي، الشهير بزروق (شهاب الدين أبو الفضل) صوفي، فقيه، ومحدث، ولد بفاس سنة 846 هـ/ 1442، وتوفي في صفر بتكرين من عمل طرابلس الغرب، من مؤلفاته: شرح الحكم العطائية - قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة ويصل الأصول والفقه بالطريقة - اغتنام الفوائد في التنبيه على معاني قواعد العقائد للغزالي - شرح مختصر خليل في فروع الفقه المالكي - تأسيس القواعد والاصول وتحصيل الفوائد لذوي الوصول في التصوف، وله نظم: خواص حزب البحر الشاذلي - الجامع لجمل من الفوائد والمنافع وهي وصايا دينية - الدرة المنتخبة في الأدوية المجرية. ينظر معجم المؤلفين: ج1 - ص 98.

وَسَـــائِرِ أَنْـــوَاعِ الإِسَـــاءَةِ وَالضُــــرِّ

وَأَفْنَـــانِ أَهْـــوَالٍ مِـــنَ الصَّمَـــدِ الَّـــذِي

لَـــهُ العِصْمَـــةُ الشَّـــمْلاَءُ سَـــهْلاً مَـــعَ الـــوَعْرِ

وَيُفْلِـــحُ بِالـــمَطْلُوبِ فِـــي أيِّ وِجْـــهَةٍ

تَيَمَّمَهَـــا[1] قَطْعـــاً عَلَـــى أَيْمَـــنِ الطَيْـــرِ

وَخَيْبَـــةُ حُسَّـــادٍ وَرَدُّ كَيُودِهِـــمُ

حِبَالُهُـــمُ فِـــي سَـــعْيِهِمْ مِثْـــلُ مَـــا الـــنَّحرِ

فَيَسْمُـــو عَلَـــى الشَّـــمْسِ المُنِيـــرَةِ فِـــي الضُّحَـــى

وَيَبْـــدُو بِخِصِّيصَـــى[2] تَلُـــوحُ كَمَـــا الفَـــجرِ

وَيَرْقَـــى مقَـــاماً لَـــمْ يَنَلْـــهُ مُـــقَرَّبٌ

مِـــنَ العَـــارِفِينَ الـــزُّهْرِ فِـــي أَيِّمَـــا قطـــرِ

وَتَسْـــنُوا لَـــهُ الـــرَّغْبَاءُ[3] مِـــنْ غَيْـــرِ حِيلَـــةٍ

فَيُكْبَـــتُ وَاشٍ ثَـــارَ فِـــي كُـــلِّ مَـــأْثُورِ[4]

وَقَـــدْ عَـــرَّسَ الرَّكْـــبُ السَّـــمِيُ بِبَابِكُـــمْ

يُـــرَجَّى قِـــرىً تَقْرِيـــهِ مِـــنْ أَنْفَـــعِ الـــسِّرِ

بِـــأَمْنٍ وَإِعْـــزَازٍ وَحِفْـــظٍ وَنُـــصْرَةٍ

وَصِـــحَّةِ إِجْمَـــالٍ مِـــنَ البَـــرِّ وَالـــحضْرِ

---

(1) "ح1": تيمها.
(2) "ح2": مخصيصا.
(3) الرغباء: الابتهال، ينظر اللسان، مادة: (ر- غ- ب).
(4) "ع": ماطور.

وَعَفْـــوِ مُعَـــافَاةٍ وَعَافِيَـــةٍ مَـــعَ السَّـــلاَ
مــةِ فِــي الأَنْجَــادِ وَالــوَهْدِ وَالغَــوْرِ [164- أ]

فَأُتْحِفْـــــنَا[1] مِنْـــــكَ وَاقْرِنـــــا بعزِيـــــمَةٍ
وَهِمّـــــةِ جَهْبَـــــذٍ[2] وتَصْـــــفِيَةِ الصـــــدْرِ

وَمَـــوْتٍ عَلَـــى الإِسْـــلاَمِ وَالدِّيـــنِ وَالهـــدَى
وَشَــوْقٍ إِلَــى الرَّحْمَــانِ مِــنْ غَــيْرِ مــا ضَيْــرِ

فَـــــإِنَّ الكَرِيـــــمَ لِلْمُضِـــــيفِ مُعَـــــظمٌ
بِحُـــسْنِ القِـــرَا مـــع[3] بُغْيَـــةٍ سَـــالِفِ الـــدَّهْرِ

فَأَتْحِـــــفْ[4] إِمَامـــــاً حَـــــازَ كُـــــلَّ مزِيَّـــــةٍ
بِوِلْـــــدَانِ صِـــــدْقٍ بِالصَّـــــلاَحِ وَبِالعُمْـــــرِ

أَئِـــــمَّةُ أَعْـــــلاَمٍ ثـــــقَاتٍ ذَوِي الهُـــــدَى
مَـــعَ العِـــلْمِ والتَّحْقِيـــقِ وَالمَفْخَـــرِ الـــذِّكْرِ

وَعَـــوْداً عَلَـــى بَـــدْءٍ إِلَـــى الحَـــرَمِ الَّـــذِي
تَسَامَـــى عَـــلَى الغَبْـــرَاءِ بِـــالرُّكْنِ وَالحـــرِ

فَـــلاَ زِلْـــتَ للإِحْـــسَانِ أَهْـــلاً وَمَـــرْحَباً
وَمَـــأْوَى الخِصَـــالِ السَّـــامِيَّاتِ مَـــدَى العَـــصْرِ

عَلَيْكُـــــمْ مِـــــنَ الرَّحْمـــــانِ أَزْكَـــــى تَحِـــــيَّةٍ

(1) "ف": فاتحفه.
(2) "ف": سفسير.
(3) "ح1": و، والصحيح ما أثبتناه.
(4) "ف": وأتحف.

وَأَسْــــمَى مَهَـــابَةٍ إِلَـــى الحَشْـــرِ وَالنَّشـــرِ

وَصَـــــلَّى الَّـــــذِي أَوْلاَكَ مَـــــجْداً وَسُـــؤْدَدا

عَلَـــى المُنْتَقَـــى المَبْعُـــوثِ لِلسُّـــودِ وَالحُـــمرِ

وَآلِـــــــهِ وَالأَزْوَاجِ طـــــــرًّا وَصَحْـــــــبِهِ

ذَوِي النَّجْـــدَةِ الفَيْحَـــاءِ وَالسَّـــادَةِ[1] الغـــرِّ

وممـن لقيناه في هـذا السـاحل، مـن السـادات[2] الأماثـل، سـيدي علـي بـن شعيب: هو من أصحاب سيدنا الوالد، رضى الله عنه وأرضاه عنا. آمين. وهو رجل من أهل الصلاح، لا بأس به، في حجة ست وتسعين.

وسيدي [محمد][3] فتح الله مخير التقينا معه في حجتنا مع الوالد، فزاره، وزرناه وزاره إخواننـا، أصـلح الله مـن حيـي مـنهم، ورحـم مـن مـات، ووفـق ذريـة الجميـع للخيرات بمنه ويمنه. وهو من أحفاد[4] سيدي عبد السلام. وهو ممن ترجى بركاته[5]، ووسمه وسـم خير. [قد][6] نزل وحده بداره منقطعا عن الناس في نخيل على طرف البلد من ناحية البر، ودفن قرب منزله، عليه روضة يزار.

والمجذوب الصادق سيدي أبو تركية رجل متقشف[7] لا يؤبه له.

قال أبو سا لم في رحلته: "أرى أنه ممن لو أقسم على الله لأبره. وهو نازل وحده بساحل البحر بأهله. يرد عليه أهل الخير السائحون في الأرض. ويدخلون البادية من هناك على قدم التوكل، قاصدين الحجاز الشريف. ومنهم[8] من يرجع بعد أعوام،

(1) "ع": السادات.
(2) "ف": السادات.
(3) زيادة في "ف".
(4) "ت": أحفد والصحيح ما أثبتناه.
(5) "ف": بركته.
(6) زيادة من "ح1".
(7) "ح1": مقشف، والصواب ما أثبتناه.
(8) "ف": فمنهم.

ومنهم من يبقى هناك ومنهم من لا يوقف له على خبر. وقد حكى لي من ذلك أخباره منهم شيئا كثيرا[1]"، انتهى.

لما قربنا من داره، حجة ست وتسعين، خرج إلينا يتهادى بين رجلين، تخط رجلاه الأرض. فنزلنا عن دوابنا وصافحناه. فقال لي: "أنت سيدي أحمد بن محمد بن ناصر".

وكرر ذلك مرارا عديدة، ثم بعد حديث وسويعات يكرر ذلك أيضا مرارا. وكلما قال لي ذلك أقول له: "نعم يا سيدي" فضمني إليه ضمة وهو يقول: "مرحبا، مرحبا". وظهر منه من السرور، والفرح والحبور، ما لم يظهر من غيره ممن مررنا عليه من أهل البوادي والقصور، وهو في ذلك كله يقول:

"الحمد لله والشكر له[2] اليوم يوم عيد".

وبالغ في الدعاء غاية، وأخذ بيدي وسار معنا إلى مسجد بباب داره، كما بناه. فدخلنا وجلس معنا ونادى بإحضار الطعام. فأحضر الخبز والعنب[3] الجيد. فأَوْسَعَ الحاضرين[4] شبعا.

وشيعنا[5] إلى نحو ميل. ومن العجب أنه لا يستقل على رجليه. ولما شيعنا كانت له قدرة على ذلك وما ذلك، والله أعلم، إلا لما غامره من المحبة. ثم أتانا للركب، بعد المغرب قرب الصلاة، بصحفة[6] كبيرة يحملها رجل أمامه، وهو على حمار، يقوده به إنسان. وقمنا إليه وقال: "هذا ما تفطر به". مخاطبا إياي "لما صمت ولم تأكل مع الجماعة بمنزلنا". فوضعت الصحفة[7]، وبها ثريد ولحم وقفة كبيرة من أطيب العنب وأجوده. فقال لي: "كل وآمر أصحابك يأكلون". فجلسنا وجلس أصحابنا فأخذنا في الأكل. فقال في أثناء ذلك: "كل! من أكل من طعامي هذا، فإنه يجد له إن شاء الله البركة". وقال بعض من يدعي محبة الشيخ الوالد، رضى الله

---

(1) ينظر ماء الموائد، ج/1 ص /100.
(2) "ف": لله.
(3) "ف": العنب، هو الأصوب، وفي غيرها العنم.
(4) "ع": الحاضرون.
(5) شيع فلان: خرج معه ليودعه ينظر اللسان مادة (ش، ا، ع).
(6) الصحفة: إناء من آنية الطعام جمع صحاف. ينظر اللسان مادة (ص، ح، ف).
(7) الصحفة: إناء من آنية الطعام جمع صحاف. ينظر اللسان مادة (ص، ح، ف).

عنه: "ادعو لي، يا سيدي، فإني أحب سيدي محمد بن ناصر". فنظر إليه فقال له: "محبة الأشياخ صعبة قل من يقدر عليها".

فضرب الصفح[1] عن كلامه، وعد هذا من كرامته.

ولما فرغ الناس من الأكل نهض نهوض الصحيح الذي لا بأس به ولا علة. وقمنا لوداعه فقال له الأخ سيدي أحمد الهشتوكي[2]: "ادع لسيدي [164- ب] أحمد ابن ناصر- يا سيدي- بعمارة داره فإنه لا أولاد له، فادع الله له بنسل صالح وأن يرزقه الله ذرية صالحة طيبة". فقال له: "تكون له، إن شاء الله، بحيث يرجع، إن شاء الله، مما خرج له، فإن داره تكون، إن شاء الله، عامرة. والحمد لله. والله أعلم بغيبه وأحكم". وتوفي عام ثلاثة ومائة وألف ودفن بموضعه. وزرناه به وتلقانا ولده[3] سيدي أحمد، أحسن الملاقاة.

فالله يوفقه للخير ويعينه عليه، ويجعله [خير][4] خلف[5] بمنه وكرمه. آمين.

وأكرمنا من أهل المحبة أولادُ ابن غلبون بسبع أوان من طعام وقفة تمر[6] وغرارة شعير[7]. وولدُ الأخ سيدي علي بن شعيب، سيدي أبو[8] مدين وسيدي منصور، بخبز ودجاجة، وسيدي أحمد أبو تركية بخبز. تقبل الله منه وأوسعه من الخيرات والبركات. آمين.

ولما صلينا الظهر، وتلاحق الركب واطمأنت بهم الدار، واستقر بهم القرار، نادى منادي الركب أن تعاهدوا أسقيتكم واملأوا قربكم وخذوا ماء خمسة أيام إلى مورد الزعفران، إذ ليس بينكم وبينه من الماء إلا ماء العريعير، على نصف يوم[9]، وقل

---

(1) ضرب الصفح: أعرض عنه ينظر اللسان، مادة (ص، ف، ح).

(2) أحمد الهشتوكي: هو أحمد بن داود بن يعزى بن يوسف المجزوعي الهشتوكي، فاضل، رحل رحلتين للديار المقدسة الحجازية، من آثاره: رحلته إلى الحج سنة 1096 هـ ورحلته الثانية سنة 1123 هـ توفي سنة 1127 هـ. ينظر: معجم المؤلفين، ج1 ص 256.

(3) "ح2": والده والصواب ما أثبتناه.

(4) زيادة من: ت.

(5) "ف": خلفا.

(6) "ح2": ثمر.

(7) "ف": من شعير.

(8) "ح2": أبي.

(9) "ف": ميل.

وقل ما يمر به الركب. وبالقرب منه ماء يسمى بالسميرة: وهو قليل آجن. وبعده بيوم ونصف يوم ماء الهائشة: وهو أقبح ماء لا يشربه إلا من اضطر إليه. وبعده بيوم بئر حسان: وقل أن يوجد فيها ماء. ومن هنا يستقبل الحاج مسافة برقة العريضة الطول والعرض، ولا ترى العمارة من قصر أحمد إلى الإسكندرية إلا أن يلقى الناس أحياء من العرب.

ولما تهيأ الناس واعتدوا ما يحتاجون إليه من الماء، ظعنا بعد صلاة الصبح من أبي شعيفة، يوم الاثنين ثامن رمضان والآخر من أكتوبر. وبإزاء {روضة}[1] أبي شعيفة المذكور مزارة في مغارة بساحل البحر يتعبد بها الصالحون. لا يكاد يطلع عليها أحد إلا من عرفها لأنها صغيرة مستقبلة البحر، يغلب على الجالس بها الحضور: إذ لا يرى إلا البحر ولا يسمع إلا تسبيحه وتحميده[2] لربه، ﴿وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ اِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ[3]﴾ بغفلتكم[4] عنه. ومن امتزج امتزج تعظيم الحق وتسبيحه بلحمه ودمه وأنس بذلك، سمع تسبيح كل شيء إما بحالة أو مقالة.

وفي الفتوحات المكية للإمام الأكبر: "والعقلاء من الإنس، أصحاب الأفكار من أهل النظر والأدلة المقصورة على الحواس والضرورات والبديهات يقولون لا بد أن يكون المكلف عاقلا بحيث يفهم ما يخاطب به. وقد صدقوا، وكذلك الأمر عندنا. العالم كله عاقل حي ناطق من جهة الكشف بخرق العادة التي هم الناس عليها، أعني حصول العلم بهذا عندنا. غير أنهم قالوا: هذا جماد لا يعقل، ووقفوا عندما أعطاهم بصرهم. والأمر عندنا بخلاف ذلك، فإذا جاء عن نبي أن حجرا كلمه وكتف شاة وجذع نخل وبهيمة، يقولون خلق الله فيه الحياة والعلم في ذلك الوقت. والأمر {عندنا}[5] ليس كذلك، بل سر الحياة في جميع العالم، وإن كل من يسمع المؤذن من رطب ويابس، يشهد {له}[6]، ولا يشهد إلا من علم هذا، عن كشف عندنا لا

---

(1) ساقطة من "ف".
(2) "ت": تمجيده.
(3) سورة الإسراء: بعض الاية 44، وتتمتها: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾
(4) "ح2" و"ف": لغفلتكم.
(5) ساقطة من "ع".
(6) ساقطة من "ع".

لا عن استنباط من فكر بما يقتضيه من ظاهر خبر ولا غير ذلك. ومن أراد أن يقف عليه فليلزم طريق الرجال وليلزم الخلوة والذكر، فإن الله سيطلعه على ذلك كله عيانا[1]. فيعلم أن الناس في عماية عن إدراك هذه الحقائق" انتهى كلامه.

قال الإمام الشعراني[2] في لواقح الأنوار القدسية المنتقاة من الفتوحات المكية بعد ما تقدم:

"وقد وقع لي ذلك في سنة سبع وعشرين وتسعمائة: فسمعت تسبيح الجمادات والحيوانات كلها في سائر أقطار الأرض، وذلك في صلاة المغرب. واستمر ذلك إلى آخر الليل حتى خفت على عقلي. فسألت الله الحجاب عن سماع ذلك فحجبه عني، رحمة بي، وأبقى علي علم ذلك. وكان من جملة ما سمعت من تسبيح الحيوانات في البحر المحيط: "سبحان الله خالق الأرزاق والأقوات والنباتات والحيوانات". انتهى كلامه.

قال الشيخ أبو سالم:

"وقد أخبرني [سيدي أبو تركية][3] أن مفتتح هذه المغارة رجل من العباد اسمه سيدي فرج، وهو الآن بالجزائر. وكانت قبل ذلك مغلقة لا علم لأحد بها[4]" انتهى.

قلت: وزرنا قبل هذه الحجة المغارة المذكورة ودلنا عليها صاحبنا سيدي عبد الله بن غلبون، رحمة الله عليه. وأما [هذه][5] المرة فقد عميت علينا علامتها ولم نهتد إليها بعد مطلق البحث، لعدم من يعرفها معنا من أهل [165- أ] البلد. وإنما زرنا أبا شعيفة على تل مرتفع على ساحل البحر، ثم استقبلنا {تلقاءنا}[6] المغارة وتوسلنا وتوسلنا إلى الله تعالى بمن يأوي إليها من لدن كانت إلى أبعد غاية من العباد والزهاد. واعتمدنا على تلك الأقطاب والأوتاد، واتخذنا دليلا يتقدم معنا أمام الركب، وهو عبد الحفيظ بن أبي غنيمة الضعفي، فدخلنا برقة.

---

(1) "ف": عينا

(2) "ع": الشعراوي، والصحيح ما أثبتناه.

(3) زيادة من الشيخ الناصري في ماء الموائد: صاحبنا هذا.

(4) ينظر ماء الموائد، ج/1 ص /101.

(5) زيادة من "ف".

(6) ساقطة من "ف".

ومر بعض أصحابنا بماء العريعير قرب الظهر: وهو حلو طيب بين السبخة والبحر، ووردنا ماء السميرة قبل المغرب وسقينا واستقينا وسرنا إلى قرب غيبوبة الشفق ونزلنا.

ثم ظعنا منه ولاحت لنا نخيل تورغا[1]: "وهي بلدة منقطعة أول برقة وفيها نخل كثير وتمرها[2] أطيب من تمر[3] غيرها من بلاد الساحل وأجود منه، وإن كان على وصفه من عدم ادخاره إلا بإزالة النوى وطيه، والله أعلم، لبعده شيئا ما عن البحر ورطوبته ودخوله قليلا إلى الصحراء حيث تكاد[4] اليبوسة تستولي على أبدان الحيوانات، فضلا عن النبات"[5]، قاله الشيخ أبو سالم في رحلته.

وماء هذه البلدة غزير في وسط السبخة، وهم ساكنون في الأخصاص، ولا ينون بالطين إلا مواضع الخزين: ويبنونها بالطين والأحجار، يحفرون عليها فيستخرجونها تحت الأرض وهي أحجار سود. وبناؤهم لا يكاد ينهدم. وهي واسعة جدا لا يقدر الإنسان أن يحيط بها في يوم واحد. وعينهم غزيرة تسع ألف ساقية، فيما ذكروا، ولا يحرثون حرثا ولا يغرسون غرسا إلا النخل فقط. وخراجهم للأتراك كل عام ثلاثمائة وحيق وخمسة[6] آلاف ريال. وهذا العدد الأخير أحدثوه ولم يكن قبل قبل عليهم. وهي إلى الخراب أقرب للعداوة المغرات بينهم. لا تخلو من فتنة وقت الخريف مع تداول الأتراك والأعراب عليهم.

فنزلنا غربي الهائشة بين العشاءين. وبعث الناس دوابهم لتشرب وتسقى، وماؤها ملح أجاج لا يكاد يساغ، يضرب به المثل في القبح. وليس في مياه برقة أقبح منه إلا مواضع قليلة لا يعتد بها الحاج – مع أن هذا أيضا لا يستسقى[7] منه إلا من أضره العطش– وكانت أيام الحر. وهو ماء راكد في مواضع كثيرة يحيط به القصب، وبعضه أشد قبحا من بعض.

---

(1) في ماء الموائد: تاورغا.
(2) "ع": ثمرها، والأرجح ما أثبتناه.
(3) "ع": ثمر والأرجح ما أثبتناه.
(4) "ف": تكاد، وهو الصواب.
(5) ينظر ماء الموائد، ج/1 ص/101.
(6) "ع" خمس آلاف ريال، والصحيح ما أثبتناه.
(7) "ف": لا يستقي.

ثم ظعنا منه ومررنا بالهائشة. قال سيدي عبد الله العياشي:

"وهي سبخة مستطيلة[1] وعلى جوانبها بناء وقصور خالية، وفيها نخل متفرق كأنه رؤوس الشياطين، لا ترى أوحش منه ولا أثقل طلعة على الحاج في ذهابه- سيما المعاود- لما يستشعر بعده من المهامة والمفاوز والمعاطش التي يحار فيها الدليل. كما لا آنس منه ولا أبهى منه، في منظر الآيب لدلالته على انقضاء المفازة وقرب العمارة. ونخيله آخر نخل يراه الذاهب، وأول ما يراه الآيب".[2]

قال: "وبآخر الهائشة واد من الملح: يجري الماء على أرض من الملح. فلا الماء يجمد ملحا، ولا الملح يذوب ماء. وأظن ذلك لقوة ملوحة الماء ونداوة المحل[3]" انتهى انتهى كلامه.

ثم بتنا شرق حسان يوم الأربعاء العاشر من رمضان ثاني نونبر، وبين أيدينا بئر حسان ماجل منقور في حجر، تجتمع فيه مياه المطر. فإذا فرغ المجتمع فيه بقي محلّه يرشح بماء قليل يجم في قعره يبل به الظمآن فمه. وبإزاء هذا الماجل قرى خالية لم يبق [فيها][4] إلا رسومها، تسمى فيما مضى قصور حسان إضافة لبانيها. وكان عاملا لبني أمية، لما نقض أهل إفريقية العهد، في آخر خلافة بني مروان، بنى هنالك قصورا وأقام فيها نحوا من ثلاث سنين. حتى افتتحها بعد ذلك، حسبما ذكره، من أرخ فتوح إفريقية، وسمى المكان باسمه إلى الآن. وقد تقدمت إشارة لشيء من ذلك.

ثم مطروا[5] يوم الخميس اصفرارا سانية غزيرة الماء إلا أن ماءها ليس بذلك. فسقى الناس إبلهم ودوابهم وملأوا أسقيتهم، وهي أول عمالة سرت[6]. واكتفى الناس بما ملأوا منها عن ماء الزعفران، لضيق الوقت وحيدودته عن الطريق لناحية البحر. وهي أحساء في ساحل البحر، ماؤها طيب وعليها كثبان[7] من رمل أحمر،

(1) "ت": طويلة.
(2) ينظر نفسه.
(3) ينظر نفسه.
(4) زيادة من "ت".
(5) "ت": أمطروا. مطر فلان: ذهب – وأمطر غلان: صار في المطر (ينظر مادة اللسان (م – ط– ر).
(6) سرت: مدينة لبية على ساحل بحر الروم (أي البحر المتوسط) بين برقة وطرابلس الغرب وأجدابية في جنوبها إلى البر. ينظر: مراصد الاطلاع ج2 – ص 704.
(7) "ف": كثبان.

تظهر من بعيد. ومن وراء الكثبان، من ناحية البر، قصور سرت: تخزن فيها الأعراب ميرتها. وهي الآن خالية لا عمارة بها.

وبلاد سرت هذه من أخصب البلاد وأمرئها، ذات مزارع كثيرة بالبعد[1]، وعربها أهل رفاهية، إلا أن الجور أجلاهم عن بلادهم وشتت [165- ب] شملهم، ولا يكاد أمرهم ينتظم. ولهم جدار وعقار كثيرة بساحل أحمد، ثم قصير الدبان بعد المغرب.

ثم ظعنا سحرا، ونزلنا تورغا مغربا.

ثم ظعنا آخر الليل أيضا، وبلغنا سحرا ماء يقال له النعيم.

وسقى الناس واستقوا ماء خمسة أيام إلى المنعم. وتسمى هذه المسافة: مقطع الكبريت- تغليبا- وإلا فالمسمى بذلك موضع واحد. وفي هذه المسافة مياه كثيرة، إلا أنها تقل في بعض الأحيان، وبعضها أجاج. فيحتاط الناس بأخذ الماء الطيب. وهي مفازة قبيحة تهب فيها السموم. وصلينا فيها الصبح وسرنا بعد طلوع الشمس ووردنا على الأحمر ظهرا. وسقينا دوابنا. وصلينا الظهر. ونزلنا القبر مغربا.

ثم ظعنا سحر الاثنين، خامس عشر رمضان، سابع نونبر. ونزلنا غربي اليَهُودية طفل[2] العشي. وختم الطلبة السلكة يوم بتنا بالقبر، كما ختموها بقصر الرمان والشلالات، وواحدة بين درعة وتافلالت. واليهودية قرى كثيرة متقاربة[3] فيها آثار بناء {خال}[4]، يدل على أنها كانت عمارة كبيرة. واشتهر على ألسنة الحجاج أنها مدينة كانت ملكتها يهودية في عسكرها كذا وكذا من الخيل.

قال أبو سالم في رحلته: "وفي "الرسالة القشيرية" عن بعض الفقراء، أنه قال: "دخلت مدينة اليهودية بأرض المغرب... وساق الحكاية إلى آخرها. ولعل تلك المدينة هي هذه، إذ لا نعلم بأرض المغرب مدينة تسمى اليهودية، والله أعلم بحقيقة ذلك[5]". انتهى.

---

(1) "ف": بالعمل، بالبعل.

(2) طفل: الطفل محركة: ميل الشمس للغروب، ينظر اللسان مادة(ط – ف – ل).

(3) "ف": متقاربات.

(4) ساقطة من "ت".

(5) ينظر ماء الموائد، ج/1 ص/103.

وماؤها لا فرق بينه وبين ماء البحر.

قلت: وبرقة مسافة شهرين من الإسكندرية إلى إفريقية. وكانت متصلة العمارة لا تكاد تسير فيها بريدا[1] ليس فيه أثر[2] بناء ورسوم عمارة داثرة. وقد جاء الإسلام وغالبها عامر، ثم لم تزل عمارتها تضعف من مرج الرعية وظلم بعضهم بعضا إلى أن خرج عرب هلال من مصر، أواخر الرابعة وأوائل الخامسة فخربوا البلاد واستولوا على القرى فأفسدوها، وخلت البلاد من يومئذ. والبقاء لله الواحد القهار.

ثم ظعنا يوم الثلاثاء، ومر أصحابنا بالكحيلة واردين. وماؤها ذو حمأة لا يكاد يشرب. وأوردنا نحن الحدادية، وصلينا بها العصر، وسقينا دوابنا ونزلنا شرقيها بأميال بعد الاصفرار، وهي بئر مستطيلة وماؤها ذو حمأة.

ثم منه يوم الأربعاء، ونزلنا سبخة مقطع الكبريت اصفرارا، [وسمي][3] هذا المحل مقطع {الكبريت}[4] لأن في أعلى السبخة معدن الكبريت في آبار كثيرة يحمل منها كالطين، ومن هناك يحمل إلى طرابلس وكذلك إلى مصر والإسكندرية. ويذهب منها مع الركب إلى مصر {في كل سنة}[5] أحمال كثيرة، لأن الأعراب، الذين يحملون الكراء من مصر إلى طرابلس للحجاج،[6] إذا رجعوا حملوا على ما فضل من إبلهم عن الكراء كبريتا، ويتقدمون أمام الركب لحمله إذا قاربوا هذا المحل، ثم يلحقون الركب في المنعم، هذا مع الأمن وسعة الوقت.

ثم منه يوم الخميس، ثامن عشر رمضان، وبلغنا المنعم ظاهرا، وهي أحساء بساحل البحر ماؤها طيب عليها كثبان رمل، ينزل الناس وراءها فيمرون إلى الماء من بينها، وقلما يخلو من عمارة الأعراب، وسقينا واستقينا، وتيامنا عن البحر قليلا وسرنا، ونزلنا بعد السبخة.

---

(1) بريدا: المسافة بين كل منزلين من منازل الطريق، وهي أميال اختلف في عددها، ينظر اللسان، مادة (ب، ر، د).
(2) "ح1": آثار.
(3) "ف": تسمى.
(4) ساقطة من "ع".
(5) ساقطة من "ع".
(6) "ف": الحاج.

ثم ظعنا منه يوم الجمعة. ونزلنا المصانع طفل العشي. ثم ظعنا منه قبل السحر[1] ونزلنا الجديدة بعد عصر السبت، عشرين من رمضان اثني عشر من نونبر، وهي آبار منحوتة في الحجر قرب أجدابية[2] بإزاء قصر دثر، لا بأس بمائها، وبهذه المرحلة ضل ولدنا[3] جعفر بن موسى، وحضر معه لطف الله وبركة الأشياخ - لا عدمناها في جميع الحركات والسكنات، والهواجس والخطرات- نزل عن بعيره لصلاة العصر وتقدم أمام الإبل. ثم جلس في انتظارها، وضرب النوم به فنام. ولما وصل الركب ولحق أصحابه ولم نره قالوا: عهدنا به حين نزل لصلاة العصر. وبعثنا للطلب في أثره الدليلين مع جماعة من سادتنا الحجاج وأعطيناهم الفانوس، ورفعوه على رمح وذهبوا به علّه يهتدي به إليهم، فوجدوه قاعدا وزعم أنه انتبه من النوم اصفرارا ورجع القهقرى مغربا ثم انتبه وتفطن لحاله ورجع للطريق، ولما غلبه ظلام الليل جلس حتى أتاه أصحابنا [166- أ] المبعوثون في طلبه، وأتوا به فجمعنا الله به جمعهم الله مع كل فضيلة، ونحى عنهم كل رذيلة.

ثم منه بعيد السحر، وبلغنا أجدابية قرب الطلوع، ولم يلحق آخر الركب حتى حلت النافلة. وسقى الناس واستقوا وملأوا أسقيتهم عازمين على سلوك السروال[4]. ونادى منادي الركب بحمل الماء مراحل سبع إلى التميمي بعد أن استخبر الدليلان عن الماء، فأخبروا أنه بمظانه به، ووقفنا على مسجد بها يزعمون أن الإمام سحنون درس فيه ثلاث سنين[5]. وفارقنا البحر من المنعم، فلا تجتمع طريقنا معه إلى التميمي.

قال الشيخ العياشي:

"وفي هذه الاجدابية آثار[6] عمارة كثيرة، وآبار عظيمة منقورة في الحجر، وبنيان هائل بالحجر المنحوت. وهناك رسم مسجد قديم تهدم، ووجدنا في بعض حجارته [أنه][1] تاريخ بنيانه منقوش [سنة] ثلاثمائة[2]".

---

(1) "ح1": السحور.

(2) أجدابية: مدينة كبيرة قديمة في حيز برقة تبعد أربعة أميال عن البحر، ينظر الروض المعطار ص- ص: 11-12، ومراصد الاطلاع ج1 - ص 30.

(3) في حاشية «ف": [لعله ولد أخيه لأن الشيخ لم يعقب].

(4) "ف": السراويل.

(5) ينظر ماء الموائد، ج/1 ص /104.

(6) "ت": أثر.

قال: "وهذه المدينة هي مدينة برقة المذكورة في كتب الفقه، [وقيل][3] إنها مدينة بالجبل الأخضر في الجانب البحري. وقد أخبرنا[4] صاحبنا سيدي عبد الله بن غلبون أنه رآها. وأن رسومها تدل على عمارة قوية، وبها آثار سور وأبراج ورخام كثير. وقال إن بها قبرا مشهورا يزار، ويزعم أعراب البلد أنه قبر نبي. فقلت له الغالب أنه قبر صحابي؛ فقد نص المؤرخون على أن رويفع بن ثابت ابن السكن الأنصاري النجاري الصحابي[5] قد توفي ببرقة، وهو أمير عليها من قبل مسلمة بن مخلد.

وقتل ببرقة -أيضا من الصحابة- زهير بن قيس البلوي، ندبه عبد العزيز بن مروان إلى برقة، فلقي الروم، فقاتل حتى قتل. وما ذاك إلا قبر أحدهما. فإن كثيرا من العوام يطلقون اسم[6] النبي على الصحابي، وقد شاهدنا كثيرا منهم يعتقدون في أبي بكر وعمر وعلي أنهم أنبياء، ويظن أن اسم النبي والصحابي مترادفان. فلما أخبرته بذلك فرح وقال لي ليس إلا كما ذكرت. قال ولما رجعنا من الحجاز سنة أربع وسبعين لقيته ببلدة مصراتة وقال لي: إني قد ذهبت بعدك إلى المكان المذكور، وتأملت القبر وعليه كتابة وأمارات وربما تدل على صحة ما ذكرت، قال لي: وذكرت كلامك لبعض الأمراء في درنة ففرح بذلك. {و}[7] أمر بالبناء على القبر والتنويه به والله لا يضيع أجر من أحسن عملا، ونية المؤمن أبلغ من عمله فإن صح أن هذا القبر قبر الصحابي المذكور، فتلك هي مدينة برقة المشهورة لا أجدابية، والأمر في ذلك قريب. فإن بين المدينتين نحوا من خمسة أيام، فكلاهما يصح أن يقال بينهما وبين كل من مصر وإفريقية شهرا، إذ بذلك يعرفها الفقهاء. إلا أن التي في الجبل أقرب إلى مسمى المدينة، لما بإزاءها من المياه والأماكن[8] المخصبة والمزارع الكثيرة والغياض[9] الملتفة من أنواع الأشجار. بخلاف أجدابية: فإنها في صحراء من الأرض مقفرة. والله أعلم بغيبه. ومسمى برقة على التعيين عند عرب البلد اليوم، هي مسيرة

---

(1) ساقطة من "ت".
(2) ينظر نفسه.
(3) ساقطة من "ف".
(4) "ف": أخبرني.
(5) "ت": من الصحابة.
(6) "ح1": باسم.
(7) ساقطة من "ع".
(8) "ف": الأماكين.
(9) "ف": والغياظ.

ستة أيام: من المنعم إلى سلوك[1]. وفيها رسم أبنية كثيرة. وإطلاق برقة على ما سواها سواها مجاز علاقته المجاورة، وهذا مما يقوى أن مدينة برقة هي اجدابية. وبإزاء المسجد الذي بها[2] قبر محوط عليه بالحجارة يزار، يقال لصاحبه سيدي يونس، وهو من عرب الفواخر. وقد وجدنا ركب أهل تونس الذين مروا أمامنا قد أوقدوا عليه شمعا كثيرا. وبقيت منه بقية فأردنا أخذها للحاجة إليها، ثم توقفت في ذلك. وبعد ذلك ظهر لي جواز أخذه، فبعثت إليه فوجدت الغير أخذه"[3]. انتهى كلامه.

وذكر شارح الشقراطسية الشيخ محمد بن علي برقة فقال: "أما وصفها فقال البكري[4] رحمه الله: "واسم برقة بالرومية الإغريقية بنطابلس: تفسيره خمس مدن، وذكر أن {مدينة}[5] برقة في صحراء حمراء التربة والمباني، فتحمر لذلك ثياب ساكنيها[6] والمتصرفين لها. وعلى ستة أميال منها الجبل. وهي دائمة الرخاء كثيرة الخير الخير تصلح بها الماشية وتنمى على مراعيها، وأكثر ذبائح أهل مصر منها. ويحمل منها إلى مصر الصوف والعسل والقطران، وهو يعمل بها بقرية من قراها بقرب جبل وعرما، يرقى إليه فارس على حال. وهي كثيرة الثمار من الجوز والأترج والسفرجل وأصناف الفواكه ويتصل بها عريضة[7] شعراء من شجر العرعر. وببرقة قبر رويفع، [166- ب] صاحب النبي صلى الله عليه وسلم. وأما فتحها، فاعلم أن عمرو بن العاص افتتحها في زمن عمر بن الخطاب، وذلك لسنة إحدى وعشرين، وصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار، وعلى أن يبيعوا من أبنائهم في جزيتهم."[8]

قال: ووجه عمرو بن العاص[9] عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة وصار ما بين برقة برقة وزويلة للمسلمين. وزويلة مدينة غير مسورة في وسط الصحراء وهي أول حد بلد السودان وبها جامع وحمام وأسواق ويجتمع بها الرفاق من كل جهة، منها يتفرق

---

(1) "ف": السلوك.
(2) "ت": به.
(3) ينظر ماء الموائد، ج/1 ص /104 -105.
(4) المسالك والممالك ج2، ص- ص: 649- 650، رقم: 1086- 1087.
(5) ساقطة من "ت".
(6) "ف": ساكنها.
(7) "ت": شعرا.
(8) ينظر نفسه.
(9) ينظر نفسه.

قاصدهم ويتشعب طريقهم[1]، وبها نخيل وبسيط[2] الزرع. وبرقة- بفتح الباء المنقوطة المنقوطة بواحدة وسكون الراء المهملة بعدها قاف. والإغريقية- بكسر الهمزة وبسكون الغين المعجمة وكسر الراء المهملة وكسر القاف وتشديد الباء، قيل المراد بالرومية الإغريقية القديمة، التي هي أصل لغة[3] الروم، والله أعلم. وبنطابلس بفتح الباء. المنقوطة بواحدة وسكون النون بعدها طاء مهملة. {وألف}[4] وباء منقوطة بواحدة مضمومة واللام مضمومة وآخره سين مهملة كذا وقع في كتاب البكري بنطابلس بالباء، والذي وقع في المدونة: انطابلس بالهمزة، قال: "وجباب انطابلس ومراحل برقة. إلا أن هذا الذي في المدونة يؤذن أنهما مدينتان بخلاف ما قال البكري. لكن يحتمل أن تكون إحدى المدن برقة. وانطابلس اسم لجميعها كما يقال قسطبلية وتوزر إحدى بلد قسطبلية. والشعر[5]: الشجر الكثير. وأرض كثيرة الشعاره:[6] أي الشجر". انتهى كلامه.

قلت: وفي رحلة شيخنا العياشي:

"وأرض برقة منقسمة في عرف أهلها على أقسام أولها: من حسان إلى ما وراء الأحمر بيومين يسمى: سرت، ومن هناك إلى قرب المنعم يسمى: برقة البيضاء، ومن هناك إلى سلوك يسمى: برقة الحمراء، ومنه إلى التميمي يسمى: الجبل الأخضر، ومنه إلى العقبة الكبرى يسمى: البطنان، ومن العقبي الكبرى إلى الصغرى يسمى: بين الأعقاب، ومن العقبة الصغرى إلى الإسكندرية يسمى: العقبة الصغرى. وقد ذكر العبدري تقسيما غير هذا جار على اصطلاح أهل زمانه[7]" انتهى.

قلت: وسلوك المذكورة آبار متعددة كآبار اجدابية في صفتها ومائها، وبإزائها أيضا رسوم بناء إلا أنها قليلة بالنسبة إلى اجدابية، وماؤها يقل في أيام الحر، وبه تتعرض الأعراب للأركاب لقصد التسوق، ويجلبون إليها الكثير من السمن والزرع واللحم والإبل. ومنه يتوجه القاصد مرسى ابن غازي: وهي مرسى حسنة بسفح

(1) "ح1": طرقهم.
(2) "ت": بساط.
(3) "ح2": لغات.
(4) ساقطة من "ت".
(5) "ت": والشعرا.
(6) "ت" الشعارى.
(7) ينظر ماء الموائد، ج/1 ص/110.

الجبل الأخضر، بينها وبين سلوك مسافة يوم، وفيها عامل وعسكر لصاحب طرابلس. وفي تلك المرسى تصب أودية السمن والعسل والشحم والودك من الجبل الأخضر الذي لا أخصب منه ولا أكثرإداما فيما رأينا من البلاد. وتحمل كل ذلك السفن إلى طرابلس وجربة وما بإزائها من البلدان. ومن هذا الجبل غالب إدامهم ولحمائهم. قال شيخنا العياشي:

"وقد دخلنا طرفا من هذا الجبل سنة تسع وخمسين في شدة الحر وتسوقنا طائفة من أهله بما قضينا منه العجب من السمن والغنم والإبل، لم نعهد ذلك في بلد من البلدان ولا رأينا أرخص منه سعرا ولا أقل معرفة بالبيع والشراء من أهله، يؤخذ منه زهاء قنطار من السمن بالثمن التافه من بز أو عروض أو غير ذلك من الحوائج، ولا يعرفون للدرهم قدرا، وكانوا إذ ذاك[1] كنعمهم غفلا لم يدخل التجار بلدهم، ولا صدرتهم العمال من أموالهم إذ لا حكم {لأحد}[2] من العمال عليهم، إلا أشياء قليلة يؤدونها في بعض الأحيان لصاحب أوجلة. وأما صاحب طرابلس فلم يكن -إذ ذاك- له عليهم حكم، وأما الآن فهم تحت إيالته وفي أمر طاعته، يؤدون الخراج، ويدخل التجار من أهل طرابلس ومصراتة بلدهم لشراء الإبل والبقر والغنم والصوف والإدام. فبذلك حصل لهم بعض الخبرة بقيم الأشياء ومقاديرها[3]، وعرفوا الدينار والدرهم. وأما قبل ذلك فهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا.

غريبة: عرب [أهل][4] هذا الجبل[5] من أشد العرب كفرا ونفاقا، لا يعلمون حدود ما أنزل الله على رسوله. ليس عندهم من الدين إلا اسمه. لا حرفة لهم بعد تنمية المواشي إلا النهب والغارة [167- أ]. قلما مر بهم ركب فسلم من إنشاب[6] الحرب بينهم وبينه. بسبب غدرهم وفتكهم عند اشتغال الناس بالتسوق معهم. وقد وقع ذلك معهم مرارا.

---

(1) "ح1": إذا /"ف": لذلك.
(2) ساقطة من "ت".
(3) "ح2": مقادرها.
(4) زيادة من "ف".
(5) "ح1": هذا البلد.
(6) "ف": انتشاب.

قال: "وأغرب من ذلك أنهم لا يعرفون السرقة، فيحترس الناس منهم نهارا خشية النهب والغارة وبالليل يبيت الناس رقودا مطمئنين، لا تسرق لهم حاجة. وما ذاك، والله أعلم إلا لانقطاعهم عن العمران وتوحشهم. والسرقة في الغالب إنما تعهد حيث يكثر العمران ويجتمع[1] أجناس من الناس، وتعمر أسواق ويوجد بيع وشراء. وأما هؤلاء فأعداؤهم بعيد منهم لا يقدرون منهم إلا على الغارة المرة بعد المرة، وفيما يأمن بعضهم بعضا فألفوا ذلك. ونوادر هذا الجبل في رخاء الإدام وغفلة أهله عن قيمته وكثرة خصبه وبيعهم لبناتهم وأخواتهم وغير ذلك أشهر من أن تذكر. وطول هذا الجبل: نحو عشرة أيام بحرية وسبعة أيام من الناحية الأخرى[2]".

قال: "وأكثر أشجار الناحية التي مررنا بها العرعر، حتى إنه من شدة اشتباكه والتفافه لا ينفذ الناس فيه إلا {من}[3] طرق معلومة وشعب مسلوكة، ومن خالفها توعر وانتشب في الغياض[4]، بحيث لا يخلص إلا بمشقة، سيما {إن كان}[5] ذا دابة. ومع كثره غاب[6] هذا الجبل، لا يوجد فيه الأسد. والحجاج يزعمون أن سيدي سيدي أبا محمد صالح دعا عليه، فأجلاه الله من هذا البلد، لئلا يؤذي صعاليك الحجاج. وذلك إن صح غيض من فيض فيما لأولياء الله من الكرامات[7]".

قال: "ومما شاهدناه في عرب هذا الجبل من الغرائب ركوبهم على البقر وحملهم[8] الهوادج عليها وإناختها عند الركوب والنزول، مثل الإبل، من غير مشقة عليها ولا عليهم في الإناخة، لاعتياد الكل ذلك، ولله في أرضه عجائب، وفي طبع الحيوانات {غرائب}[9] وكذلك {الغنم}[10] لا يسوقونها إنما يسير صاحبها أمامها.

---

(1) "ف": وتجتمع.
(2) ينظر ماء الموائد، ج/1 ص /106 –107.
(3) ساقطة من"ف".
(4) "ف": الغياظ.
(5) ساقطة من "ف".
(6) "ف": غياب، والصواب ما أثبتناه.
(7) ينظر نفسه، ص/107.
(8) "ت": حمل.
(9) ساقطة من "ع" / و"ف".
(10) ساقطة من "ف".

قلت أو كثرت، وهي تتبعه. فإذا أمهل في السير أمهلت، وإذا أسرع أسرعت، وإذا جرى جرت، ويأتي أحدهم بالكبش إلى السوق وهو يتبعه مثل الكلب المعلم"[1].

ثم سرنا من اجدابية قرب الظهر، وتنكبنا طريق الجبل -لوعرها وطولها، وسوء خلق أهلها، وتلصصهم على الحجاج- ويممنا طريق السروال، متكلين على الكبير المتعال، عن يمين الجبل. وهي مسافة سبعة أيام، لا ماء فيها إلا ما غدرته السيول، والأمطار في قيعان الأرض، لكن بفضل الله تعالى ما[2] أعوز الناس فيها الماء إلا وأتاهم الفرج من الله، عادة عودناها. ونزلنا شرقي شبيكة، يوم الأحد الحادي والعشرين من رمضان ثالث عشر نونبر.

ثم منه قبيل[3] سحر [يوم الاثنين][4]، ونزلنا كرداس قبيل الغروب. ثم منه سحر سحر الثلاثاء، ونزلنا وادي مسوس قبيل الغروب. وبعثنا دوابنا واردات نحو غدير ماء شرقي المنزل. واستقى الماء من أراده.

ثم ظعنا بعد صلاة الصبح، ومررنا على قصر وادي مسوس، ولم يزل قائم البناء على العدوة الصحراوية للوادي ووجدنا غدران ماء بعدما حلت النافلة، وسقى الناس إبلها واستقى الماء من أراده.

ثم سرنا وصلينا العصر بعدوان، ونزلنا مزربا قرب عشاء الأربعاء.

ثم منه بعد سحر الخميس الخامس والعشرين من رمضان والسابع عشر من نونبر، وصلينا العصر بوادي سمالوس. وجاوزناه حيث لا ماء به. وبتنا الشبيكة.

وظعنا، بعد صلاة الصبح، ومررنا على نجع كبير من السعادى[5] مع الأشراف. الأشراف. وعرضوا علينا النزول للسوق، فأبى الحجاج. فاشتروا منهم الغنم، وعرضوا الأحمال من الزرع للبيع ولم يشتر منهم أحد شيئا. وسرنا وبتنا غربي تنملوا. ثم منه بعد السحر، وصلينا الظهر بقصر مخيلف، ولم نجد فيه ماء. وفيه مآجن كثيرة مبنية بالحجارة المرصوصة بناء متقنا. ويجتمع فيه من ماء المطر ما يتبحر، حتى يكاد

(1) ينظر ماء الموائد، ج/1 ص /107.
(2) "ف": ولا.
(3) "ح1": قبل.
(4) زيادة في "ت".
(5) "ح1": السعاد.

يتفجر، إلا أن عامنا هذا قل فيه مطر تلك النواحي. وهذا القصر من أعظم القصور الخالية التي بقيت رسومها في تلك البلاد، وليس فيه ماء حي. ولو احتسب أحد من الولاة يحفر بئرا فيه لكان له في ذلك أعظم أجر، لأنه في محل بعيد من الماء من [167- ب] كل الجهات، وقلما يسلم الحجاج أيام الحر من شدة تقع لهم بسبب العطش في ذلك المحل أو قريب منه.

{ثم}[1] تجاوزنا ذلك المحل. {و}[2] لم نبت إلى المغرب بل بعده.

ثم ظعنا منه بعد سحر الأحد، السابع والعشرين من رمضان والعشرين من نونبر، في غيم كثير. وسرنا، وضل الدليل عن الطريق. ولما[3] قرب الصبح، نزلنا حتى ظهر الضوء وتبين الطريق. وسرنا وعطشت الإبل حتى كاد بعضها يموت، ومات واحد منها. لأن منها من لم ير الماء من اجدابية راجين الماء بوادي سمالوس أو مخيلف، ولم يقدر من ذلك شيء. وسح علينا مطر رقيق حتى بل الثياب وأروى الأرض. وسرنا حتى مررنا على غوط، فوجدنا به غدرانا من الماء. وفرح الناس غاية لكثرة العطش. مكثت البغال والخيل والحمير يومين لم تر ماء، والناس منهم من لم تبق عنده ولو قطرة. وشرب الناس من تلك الغدران، وسقوا إبلهم ودوابهم، واستقوا من الماء ما يبيتون عليه. وعلمنا أن ذلك من فضل الله علينا، لأنا لم نر من المطر ما يملأ هذه الغدران، ولم يوجد الماء في غير ذلك الموضع وقربه، لا قبل[4] ولا بعد[5]، وإنما أغاث الله به تعالى[6] وفده، والله تعالى لا يضيع وفده.

ثم سرنا ونزلنا بعد المغرب في مزرعة واسعة لعرب تلك النواحي.

ثم ظعنا بعد صلاة الصبح، ونزلنا التميمي قبل[7] الظهر، التاسع والعشرين من رمضان الحادي والعشرين من نونبر. والغدير المذكور من نعم الله علينا وعلى الناس والإبل، دلنا عليه دليلنا عبد الحفيظ؛ وذلك أنا لما انحدرنا للغوط الذي هو به في

---

(1) ساقطة من "ع".
(2) ساقطة من "ف".
(3) "ح1": وما.
(4) "ف": لا قبله.
(5) "ف": ولا بعده.
(6) "ت"و"ف": تعالى به.
(7) "ف": قرب.

زداد، وخلفنا الركب وراءنا، نزلنا للاستراحة حتى يتلاحق الركب. وأوقد أصحابنا نارا تقدم يرتاد. وتفرق الناس لأغراضهم؛ منهم من التف في ثيابه لتقيه المطر، ومن استتر بشجرة ومن استوقد نارا. إذا بصائح ينادي نحونا، وبثوبه يشير إلينا. وتسابق الناس إليه مسرعين، ووجدوه يدلنا على الغدير المذكور. ونزلنا عليه حتى تلاحق من الركب من له به وللإبل حاجة، ونالوا من حاجتهم[1]. وسرت الأعراب بذلك سرورا كبيرا، لوهن توقعوه من إبلهم. حاجة، ونالوا ولما وقعوا على هذا الغدير وظفروا أمنوا بذلك، إذ من أمثلة أعراب هذه النواحي:

شـــــربة الوقيـــــــع خيــر مــن أكلــة الربيــع

وقد كنا اكترينا رجلا من الفواخذ[2] قبل اجدابية بيوم، بخمسة كلاب. بعثناه لدرنة ليتلقوا الناس بالميرة- كما كان ذلك دأبهم مع الأركاب- يعلمونهم بمجيئهم، فيتسوقونهم بكل ما يحتاجون إليه. وشرطنا {عليه}[3] أن يتلقانا بجواب كتابنا إليهم، إليهم، يوم نزولنا التميمي ولم يقدر ذلك ولم نر له خبرا. وبعد الظهر أتت جماعة من عرب درنة بقليل شعير ودقيق، واشتراه الحجاج بالغلاء. وقد كنا كتبنا لأصحابنا أولاد بن غلبون يأتوننا بما نحتاجه. وبتنا ذلك اليوم، وانتظرنا في اليوم إلى الزوال. ولما لم يأت أحد ولا خبر ولا أثر؛ توكلنا على الله تعالى.

فظعنا، وبتنا أبا الفرائس[4] قبيل الغروب. واستهل لنا هلال شوال.

ثم ظعنا منه قرب الطلوع، وسار الركب، وجلسنا نحن ننتظر الفجر. أتانا بعض أعراب درنة بتسع دواب موقورة شعيرا. ووقف الركب حتى طلعت الشمس. واشترى الناس ذلك بخمس كلاب للأردب.[5] وتوزعها الحجاج، أرباب الدواب، على قدر حاجاتهم[6] إلى العلف ولم نسر حتى تعالى النهار. ولم نقم صلاة العيد لكراهة إقامتها إقامتها للمسافر على ما في الفوائد[7]، وعليه الوالد، رضي الله عنه [ونفعنا به.

(1) "ح1": حاجهم والصحيح ما أثبتناه.
(2) "ت": الفواخر.
(3) ساقطة من "ح2".
(4) "ح1": الفوارس.
(5) "ت": الأرداب.
(6) "ح1": حاجتهم.
(7) "ف": الفوائد. وهو الأرجح.

نكتة: ودرنة مدينة على ساحل البحر][1]، بها مرسى بينها وبين التميمي مسافة يوم ونصف من غربيه. وكانت خالية منذ أزمان إلى أن عمرها الأندلس قرب الأربعين والألف. ولم يزالوا بها إلى أن بطروا، فأنشبوا[2] الحرب بينهم وبين أمير طرابلس، فأخرجهم منها صاغرين، بعد وقعة قتل بها مئون من أشرافهم، وهي الآن في طاعته. وفيها عامله المستولي عليها وعلى عرب الجبل. ومرسى هذه المدينة عجيبة تنزل بها السفن الجائية من الاسكندرية ومن طرابلس ومن بر الروم، سيما مدينة كندية، فإن بينها وبين درنة مسافة يوم في البحر، لأنها في مقابلتها. والمعاش متيسر كثير [فيها][3]، لجمعها بين البادية والحاضرة. "[4]

ثم سرنا وصلينا الظهر [168- أ]بعين الغزالة، وهي عين من الماء العذب فيها بعض ملوحة تصب، في بحيرة منقطعة عن البحر يدور بها الهضب من أكثر جهاتها. وليس في برقة كلها ماء يجري إلا هذا. وتجاوزناها وبتنا شرقي أبي حصن[5].

غريبة: وفي ميسرة الطريق، شرقي العين المذكورة، وأنت مشرق، بيت منحوت في الحجر الصّلد. قال شيخنا العياشي في رحلته:

"طوله عشرون ذراعا في مثلها، وبداخله[6] بيت آخر نحو نصفه، وفيه غرف صغار كأنها[7] مخازن. وكل منقور في الحجر الصلد نقرا عجيبا مربعا كهيئة أحسن ما أنت راء من البيوت، وباب مربع كأحسن الأبواب، وعند الباب حجرة واسعة منقورة في الحجر أيضا، فتعجبنا من حسن صنعها وإتقانها وتدبرنا قوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا﴾[8]. "[9]

---

(1) مطموسة في "ح2".
(2) "ع": فأنشب، والأرجح ما أثبتناه.
(3) زائدة في "ف".
(4) ينظر ماء الموائد، ج1، ص- ص: 108- 109.
(5) "ت": أبي حصنى.
(6) "ح1": وفي داخله.
(7) "ت": كانت.
(8) سورة الشعراء، أول الآية: 149، وتتمتها: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبالِ بُيُوتاً فَرِهِينَ﴾.
(9) ينظر ماء الموائد، ج/1 ص /109 - 110.

قال: "وقد ذكر العبدري[1] هذا البيت وأجاد وصفه"[2] انتهى. وبهذا الموضع أرض طيبة كلها منقسمة بتخوم الحرث. وآثار البناء متصل بأطرافها، وعن يمينها شعاب تنصب من الجبال، وكأنها كانت مجاري السيل، ويقسمها أهل تلك الأرض على مزارعهم.

ثم ظعنا، ومررنا بعيد الزوال بموضع يقال له المدور، وفيه مآجل[3] كثيرة مملوءة بماء المطر، وقضى الناس وطرهم منه، وبقي كأنه لم تنقص منه قطرة. وسرنا، ونزلنا مقابلة الشجرات السبع بعد المغرب، يوم الخميس ثاني عيد الفطر.

ثم منه يوم الجمعة. ثالث عيد الفطر الخامس والعشرين من نونبر. ومررنا. بعد أن[4] صلينا الظهر على واد به ماء المطر. وأوردنا دوابنا وتجاوزناه والتقينا مع نجع أولاد علي مع الحرابة، وقد كنا بعثنا لهم[5] للسوق. ونزلنا بعد العصر واشترى الناس منهم ما أرادوا من الشعير لدوابهم، ستة كلاب للأردب، والغنم والدقيق، وعريفهم داود بن آدم، وابنه – صبي مراهق- أبو بكر، وصنوه عبيد، والعريف الآخر اسمه سعد الله وفيهم مخايل المحبة والصدق لا بأس بهم.

ثم ظعنا بعد صلاة الصبح، ومررنا ضحى على جب ماء فأوردنا منه دوابنا، وآخر بإزائه مملوء ماء، أورد بعض الكرائين فيه إبله. وتجاوزنا. وبعد صلاة العصر لحق بنا فوارس من أولاد علي. وذكروا أن عندهم تمر سوى، وقلنا لهم: ائتونا به نشتري منكم.

وذهبوا وبلغنا المغاير قرب غروب الشمس ووجدناه مملوءا ماء، وتوضأنا به ولحقت بنا قافلتهم موقورة تمرا؛ وصلينا المغرب وسرنا وساروا معنا ونزلنا – بين العشاءين- شرقي المغاير، واشترى الحجاج ما أرادوا من التمر- نصف ريال للقفة- وهي صناديق من السعف مملوءة تمرا، مقدار صحفة وصحفة ونصف إلى صحفتين، ويعلقونها على الإبل يحمل الإبل منها من اثنتي عشرة إلى عشرين على حسب صغرها وكبرها وقوة الإبل وضعفها. وتمر سوى من أجود التمر. لم نر يوم خروجنا من فجيج

(1) ينظر رحلة العبدري، ص: 205.
(2) ينظر ماء الموائد، ج 1، ص: 110.
(3) "ت": مآجن والصحيح ما أثبتناه.
(4) "ح1": بعدما.
(5) "ت": إليهم.

وتافلالت[1] تمرا يشابه تمر بلادنا إلا هذا لونا وطعما وهذا أنظف منه وأنقى لأن عادتهم ألا يحملوه[2] إلا في القفاف كما تقدم، وتلك صنعة عجيبة. يبقى التمر على حاله نظيفا ولا يحتاج مشتريه إلى غرائر للحملان. وليت أهل بلدنا يفعلون مثل ذلك.

وسوى بلدة كبيرة، ليسوا تحت حكم أحد. وهي قصران أحدهما أكبر من الآخر؛ وفيها كثرة التمر والفواكه والبطيخ والدلاع. وبيع الفواكه عندهم غير معتاد، يعد وصمة على بائعه. إنما يعطونه مجانا والتمر. وتمرهم يخزنونه في القفاف -إلا ما يقتاتونه- فيجعلونه في الخوابي. هكذا حدثنا من له خبرة بها. وبينهما وبين مصر خمسة عشر يوما ولا يستطيع أحد أن يدخلها إبان الخريف من الحمى؛ فمن دخلها سلطت عليه وقلما[3] يسلم من الموت، وتأخذ أهل البلد أيضا، إلا أن الغالب في حقهم السلامة معها[4]. ولهم بلد بينها وبينهم مسيرة نصف يوم، فيها كثرة الزيتون والفواكه والحرث، فيها [إكارتهم][5]. هناك بإزائها بلد تسمى الغارة، فيها أيضا كثرة النخل بينهما ثلاثة أيام إلى جهة مصر. وبسوى كثرة المياه الحية عيون.

ثم ظعنا يوم الأحد، خامس عيد الفطر السابع والعشرين من نونبر ونزلنا سطح العقبة [بعد العشاء.

ثم ظعنا، ونزلنا {العقبة}[6] ضحى، ووجدنا [علة][7]من أولاد علي، تحت [168- ب] العقبة، واشترى الناس[8] تمر سوى كلب لقفتين. ونزلنا مغربا، اصفرار يوم الاثنين سادس شوال الثامن والعشرين من نونبر. وسرق للحجاج ست[9] من الإبل: واحد للسيد محمد بن علي الأريزي، والاثنان[10] للحاج محمد بن أبي زيان،

---

(1) "ت": تفلالت.

(2) "ع": ألا يحملونه.

(3) "ع": وقل ما، والصحيح ما أثبتناه.

(4) "ف": معنا، والصواب ما أثبتناه.

(5) مطموسة من "ت.

(6) ساقطة من "ح1".

(7) "ف": حلة. عَلّة: مفرد علات، وبنو العلات: بنو رجل واحد من أمهات شتى (مادة: ع – ل، لسان العرب).

(8) "ت": واشترى منهم الحجاج.

(9) "ح2": ستة من الإبل.

(10) "ف": واثنان.

وواحد للحاج عبد الله المولى، واثنان للبداوي. خطفهن[1] السراق في السرح، الله يخلف لهم.

ثم منه يوم الثلاثاء، ومررنا على نجع أولاد[2] علي والحرابة، بعد الظهر. وظهرت وظهرت فيهم مخائل المكر وأخذ الناس حذرهم منهم، وتأهبوا أهبتهم. واجتمع الركب وجعلوا له ميمنة وميسرة، وشمروا لمحاربتهم. وفروا تاركين خيمهم وحرمهم، ورمت الناس البنادق -إرجافا بهم وإظهارا للقوة- إرهابا لهم. وخافوا غاية الخوف وقالوا: أخفتمونا. وقلنا لهم: أنتم في أمان. وجاوزناهم. ونزلنا بعد مغيب الشفق قبالة الخشومي.

ثم منه يوم الأربعاء، ونزلنا غربي المعمورة ثم منه يوم الخميس، تاسع شوال، أول دجنبر. ونزلنا الآبار السبعة عشاء.

ثم منه، ونزلنا بأحلاك قبل الغروب.

ثم منه بعد صلاة الصبح، ونزلنا قصبات المدار يوم السبت.

ثم منه يوم الأحد، ثاني عشر شوال {و}[3] رابع دجنبر. ونزلنا أبا سحيمة بعد بعد المغرب. ومطرنا يومنا مطرا غزيرا. ودام المطر إلى قرب المغرب[4]. واشتد المطر ودام. وزلقت الإبل. ونزل الناس ولم يجدوا موضعا يليق بالنزول. وصارت الأرض طوفانا واحدا، كل ينظر مكانا يليق به. وأدركنا أوائل[5] ركب الفاسيين أول هذا اليوم. وطلبونا بالنزول قبل وقته لينزلوا علينا، ويتحد ركبنا بركبهم. وكان أول من أسرع إلينا منهم الأخ الصدوق، والمحب الخلوص، الحاج محمد بن أبي بكر. وكان في خدمتنا في كل موطن {وفي كل محل}[6]، والله يجازيه عنا خيرا ويعطيه فوق أمنيته ويغنيه[7] من فضله. ثم تلاحقوا إلينا[1] أفواجا، ثم انتظروا ركبهم وتجاوزنا ونزلوا علينا قريبا من ركبنا.

---

(1) "ح2": خطفوهن/ "ف": خطفها.
(2) "ت": لأولاد.
(3) ساقطة من "ع".
(4) "ح1": العشاء.
(5) "ت": أول.
(6) ساقطة من "ع".
(7) "ح2": ويعينه.

ثم ظعنا منه بعد صلاة الصبح فصار الركب واحدا، وجمع الله الشمل وأنس الناس بعضهم ببعض، واشتد عضد كل بأخيه، وساروا سيرا واحدا وأميرهم الحاج محمد أصفيرة به لقب، وهو، فيما يظهر، رجل عاقل، متواضع، محب لأهل الخير.

ونزلنا العقيبة[2] بعد طلوع الشمس، ونزلنا بغوط أسفلنا، ونشفنا ثيابنا. ولما تجاوزت[3] الجمال، سرنا، بعون الله الكبير المتعال، ونزلنا رأس الحصان بعد العشاء. وفي حجة [سنة][4] تسع أغار عرب السلالمة على إبل الحجاج[5] بالسرح، ونحن في صلاة المغرب في الركعة الثانية؛ فصادفوا مرحولا متطرفا لبعض الجمالين فيه عشرة ونيف، وتبعهم الحجاج وردوا ما أدركوا. وأفلتت الفرقة الأولى بالعدد المذكور، والله تعالى يخلف لأصحابه.

ثم منه قرب طلوع فجر[6] رابع عشر شوال سادس دجنبر، ونزلنا دويل النعامة.

ثم منه ونزلنا الشمامة مغربا، ومطرنا هذا اليوم مطرا غزيرا. وبات علينا إلى الصباح لولا أن المكان مسترمل لكابد الناس فيه مشقة عظيمة.

ثم ظعنا يوم الخميس، سادس عشر شوال ثامن دجنبر، وسرنا نخوض في الماء، وروت الإبل والدواب، وسقى الناس قربهم وأراقوا ماء الشمامة، وهو أقبح مياه برقة. ونزلنا {غربي}[7] الثمار بعيد المغرب، ثم منه سحر الجمعة ونزلنا غربي الرقيبة بعيد المغرب.

ثم ظعنا، وقد بقي من ليلة السبت ثلاث ساعات كالذي قبله. وتقدم جماعة أمام الركب من الفاسيين على بغالهم لقضاء أوطارهم بمصر قبل لحوق الركب، لضيق الوقت عن استيفاء أغراضهم فيما يظنون. وبلغنا الوادي ضحى. ورجعنا ذات اليسار

---

(1) "ف": بنا.
(2) "ح2": العقبة.
(3) "ح2": تجاوز.
(4) زائدة من "ت".
(5) "ح2": الحاج.
(6) "ت": الفجر.
(7) ساقطة من "ت":.

منكبين[1] عفونة. ووجد الناس غدرانا من ماء السماء، وأغنى الله به عن ماء الوادي. ونزلنا شرقي الديريين المقرونين.

ثم ظعنا[2] سحرا، وأصبحنا بالدير الآخر. وسقي الناس ماءهم. وصبّت علينا مطر. وتبعنا خيل من السلالمة يطلبون غرة[3] من أخريات الركب، ولكن الله سلم، فخيبهم، فنكصوا على أعقابهم بخُفَّي حنين. وتلك عادتهم قطعها الله من عادة. والسلالمة طوائف ثلاثة: الهنادى. والبهجة، والأفراد. وهم الذين يسكنون أطراف البحيرة إلى الاسكندرية إلى ما بين العقبتين وهم كثيرون. وانضاف إليهم كثير من عرب برقة وطرابلس، ممن يفر من جور عمال طرابلس أو ممن يرغب في سعة العيش من متفقرتهم، كالجوابيص وبعض هوارة، والفواخر [169- أ]، وغير ذلك من طوائفهم. وهم {تارة}[4] يذعنون ويدّعون طاعة السلطان، وتنالهم الأحكام فيخف ضررهم، وتارة ينتقضون. وقد يلقي الله العداوة بينهم - بعض الأحيان- فتستجيش[5] منهم طائفة على الأخرى بالترك وتستعين بهم، حتى يكادوا يجلونهم من من البلاد، ثم ترجع الطائفة الأخرى إلى الطاعة، وتستميل وجوه الجند على الآخرين ويفعلون بهم مثل ذلك. والترك لا يبالون ما أضعفوا وأوهنوا من الفريقين، لشدة شوكتهم على الجميع. وهم الآن -والله أعلم- جميع غير متفرقين[6] تحت الطاعة. إلا إلا أنهم متعادون[7] المغاربة من نجمة، ومن انضاف إليهم من ضعفة. وقد كانوا قبل هذه الأزمنة في شدة العتو والطغيان، ويتعرضون للأركاب في كل أوان: يغيرون ويسرقون ويتعرضون ويخطفون.

وذكر شيخنا العياشي في رحلته أنهم: "سنة خمس وخمسين، عارضوا الركب بين العقبتين -وأمير الحجاج يومئذ الحاج عمران- وعزموا[8] على نهبهم، فلما علم الحجاج بذلك نزلوا وباتوا. فلما كان عند طلوع الشمس جاءوا بخيلهم ورجلهم

---

(1) نكب: تنحى (مادة ن، ك، ب، لسان العرب).
(2) مطموسة من "ع".
(3) غرة أغرار وغرار، من ينخدع إذا خدع.
(4) ساقطة من "ف".
(5) "ح1": تستحيش [بمعنى تنفر] والصواب ما أثبتناه.
(6) "ح2" مفترقين.
(7) "ع": متعادين.
(8) "ت": وعرفوا، والصواب ما أثبتناه.

وأحاطوا بالركب، فصبر الحجاج صبر الكرام، وقاتلوهم أشد القتال، ولازموهم أشد اللزام، وقتل الحجاج بعض خيل الأعراب، وجرح كثير من الفريقين. وكان في الركب جماعة من حجاج -أهل تادلا- نحو الأربعين صعلوكا، فصدقوا القتال، ولولاهم - مع لطف الله - كاد الركب ينهب على ما أخبرونا، فلما أيس العرب منهم وعلموا صبرهم على القتال، انصرفوا عنهم وقالوا ظنناكم تجارا -وهم كاذبون-. ثم ارتحل الحجاج وكفا هم الله شرهم"[1].

قال: "ومن ذلك الوقت لم تقم لعرب السلاملة قائمة، ببركة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وسلط الله عليهم الترك يطردونهم كل مطرد، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة مرارا متعددة. وهم الآن يهابون الركب بعض الهيبة لعلمهم أن ما أصابهم إنما هو ببركة الحجاج، وقد جرت عادة الله {تبارك}[2] وتعالى، وله أعظم حمد وأجل شكر شكر في ذلك، بأن لا يمهل من تعرض لركب الحجاج وفد الله ووفد رسوله، فينزل بهم من البلاء عاجلا ما يتعرفون به ببركته[3]، ويكفهم عن معاودة أمثال ذلك[4]". ذلك[4]".

قال: "وقد شاهدنا ذلك في قوم كثيرين من أهل برقة وإفريقية والمغرب. ولولا فضل لله على الحجاج ورحمته بهم -بالانتقام ممن رامهم- لتعطلت طريق الحج منذ أزمان خصوصا حجاج المغاربة، لضعفهم وقلتهم، وبعد المشقة عليهم: فكم من قصر ومصر وإقليم يقطعونه بلا عسكر ولا عدد، ولكن: (البسيط)

وِقَايَــةُ اللهِ أَغْنَــتْ عَــنْ مُضَاعَفَــةٍ مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ [عالٍ مِنَ الأَطُمِ][5]

نسأل الله تعالى بجوده وإحسانه العميم، وببركة نبيه الكريم، أن يحمي وفد بيته بما به قد حمى نبيه [العظيم][6]، وينصر زواره بما به نصر رسوله، وأن لا يقطع الطريق الطريق بيننا وبين تلك الأماكن المشرفة، والبقاع المطهرة. فما دمنا نرى، في كل سنة، طائفة ممن قدم من تلك المعاهد، وورد من تلك الموارد، وتشرف برؤية البيت العتيق

---

(1) ينظر ماء الموائد، ج/1 ص 119.
(2) ساقطة من "ت".
(3) "ح1": ما يتعرفون به بركتهم.
(4) ينظر نفسه.
(5) مطموسة من "ع".
(6) زيادة من "ف".

والمسجد الحرام، ووقف بالمشاعر ونسك المناسك العظام، وصلى بين قبره ومنبره، صلى الله عليه وسلم[1]، وزار محله الشريف ومحل أصحابه الأعلام، فلا نشك أن مدد ذلك يسري في أدياننا وبلادنا وأبداننا وسائر متعلقاتنا، ولو انقطعت رؤيتهم – نعوذ بالله من ذلك– لاختل النظام، وانقطع الخير بين الأنام"[2] انتهى.

نسأل الله تعالى الكرة إليها بعد الكرة، والمرة بعد المرة. {آمين آمين}[3].

ووادي الرهبان واد كبير ذو رمل، وفيه فسلان نخل وماؤه كثير. وبه من أنواع الوحش والبقر والنعم[4] والظباء[5] والمها[6]، وغير ذلك من أنواع الصيد. وإنما أضيف أضيف هذا الوادي للرهبان لأن فيه رهبان النصارى يتعبدون في ديور. كل طائفة في دير ولا يدخل إليهم أحد من غير جنسهم، وليس لهم زرع ولا ضرع[7][8]. وأهل الذمة من النصارى الذين بمصر يعاملونهم ويبعثون إليهم بالنذور والصدقات من الطعام والكسوة، ومن هناك تمرا لطريق من مصر إلى دجلة.

وسرنا في أرض مسترملة لا ماء بها ولا كلأ[9] {للإبل}[10]، ونزلنا الضميرين مغربا، وتسارعت لملاقاة الركب بعض أفراس لعرب نجمة. واستفاد الناس منهم بعض أخبار مصر.

ثم ظعنا منه سحر الاثنين، ولما أسفر النهار إذا بجماعة من الفلاحين تعدو بهم خيلهم؛ وإذا بهم أفواجا متتابعون رجالا وركبانا [169– ب]، يتطلبون[11] أصحابهم من الحجاج ومعارفهم ليودعوهم ما أرادوا إبقاءه[12] بمصر من الجمال والبغال من

---

(1) "ت": عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.
(2) ينظر ماء الموائد، ج/1 ص /119 – 120.
(3) ساقطة من "ت".
(4) "ت": النعام.
(5) "ح1": الظبا.
(6) المها: جمع المهاة وهي البقرة الوحشية (مادة: م– هـ – و، لسان العرب).
(7) الدرع: الغض من العشب(مادة: د– ر– ع، لسان العرب).
(8) "ع": درع والصواب ما أثبتناه. (الضرع مدر اللبن ويقال: ماله زرع ولا ضرع أي ماله شيء، ينظر اللسان مادة (ض، ر، ع).
(9) "ع": ولا أكلا.
(10) ساقطة من"ع" و"ف".
(11) "ح2": يطلبون.
(12) "ت": بقاءه.

لدن آبائهم، تلك عادتهم. ومن لم يعهد له صاحب بحث عليه. وفي ذلك نعمة أي نعمة على الحجاج، يتركون بهائمهم حتى يؤوبوا من الحجاز، ويتعاملون {معهم}[1] في ذلك كل بما قدر له، فتارة لهم وتارة عليهم. وعند الضحى تراءت قرى الريف. وبلغنا آبار واش ظهرا، ونزلنا، واسترحنا، وصلينا الظهر، وزرنا ابن عمنا سيدي أحمد ابن الحسين، رحمه الله وهو مدفون بروضة آبي رواش. مات عام سبعة وتسعين بالوباء قفولنا[2] من الحرمين الشريفين، كثرا لله ترددانا إليهما في سلامة وقرة عين. ودفناه هناك، رحمه الله ورضي عنه آمين، كما زرنا أيضا ابن أخينا جعفر بن علي ومن مات من أصحابنا بالطاعون ذلك العام. وتلقانا أصحابنا من أهل كرداسة وفرحوا بنا غاية. ولما تلاحق الركب سرنا في وحل عظيم، وزلق أليم، وماء مستبحر، بعد أن أودعنا أصحابنا هنالك بعض حمالنا[3] وبغالنا، وخاض الناس خضخاضا[4] صعبا،[5] صعبا،[5] وتشمع على أخفاف الإبل حتى لا تكاد تسلك، وحضر من الله اللطف الجميل. وتلاحق الركب ولم يضع منه جمل، ومررنا على كرداسة وغيرها مما حواليها من قرى الريف إلى أن نزلنا بسفطة[6] اللبن، وبتنا بموضع جاف لا ماء به ولا طين، عشية يوم الاثنين، العشرين من شوال ثاني عشر دجنبر الموفى ثلاثة وأربعين يوما من يوم خروجنا.

وظعنا من أبي شعيفة بطرف قصر أحمر آخر العمران من عمالة طرابلس، وهذا من أجد السير، وقد تقطع في أقل من هذا لتأخر الركب. فيستعجلون ويزمعون السير خوف الفوات[7]، وإلا فقد انت في العصر الأول تقطع في شهرين وفي شهرين ونصف إلى ثلاثة إذا كان فصل الشتاء. ووجدنا أرض مصر مخصبة أحدق[8] الزرع والبرسيم وسائر أنواع المزارع بقرى الريف، فصارت كأنها فدان واحد. وبتنا في أرغد عيش واشترى الحجاج ما أرادوه من أنواع المطاعم الريفية وتنعموا. وزال ما بهم من

(1) ساقطة من "ت".
(2) قفل قفولا من السفر ونحوه رجع (مادة ق، ف، ل، لسان العرب)
(3) "ف": أجمالنا، والصواب ما أثبتناه.
(4) الخضخاض: المكان المبلل بالماء (مادة خ- ا-ض: لسان العرب).
(5) "ت": صعب، والصواب ما أثبتناه.
(6) "ح1": بفسطة.
(7) "ع": الفرات، والصواب ما أثبتناه. الفرات: الماء العذب، أي يستعجلون السير خوفا من انقضاء الماء العذب.
(8) "ف" و"ح2": مقاليدها.

العياء. وألقت إليهم المسرة بمقاليدها؛ "كيف لا ونحن على ساحل النيل، الذي هو أشرف الأنهار الأربعة الخارجة من الجنة، وآثار بركته ظاهرة بالعيان في مائه وترابه وقراه ومدائنه، بحيث لا يوجد بلد أوسع مزارع وأكثر خصبا، مع اتصال العمارة نحو الشهر من هذه؛ إلا أنها مزيد اختصاص، بمضاعفة الوظائف الجورية على الرعية بحيث تملك رقابهم فضلا عن أموالهم، ولا يجدون عن ذلك محيصا بمنعة أو فرار، حتى إن أحدهم لو أراد أن يتخلى عن السبب، ويترك المزارعة والفلاحة لم يتركوه، ولو فر لتبعوه حتى يأتوا به أينما كان"[1].

قال الإمام العياشي في رحلته: "حتى استفاض عند العوام[2] الفسقة أن ثلاثة لا تقبل منهم[3] شفاعة شافع، فيعدون منهم من يريد أن يتخلى عن الزراعة والفلاحة، قاتلهم الله أنى يوفكون؛ لا هم ينصفونهم فيخففوا عنهم من المظالم، ولاهم يتركونهم يذهبون [حيث شاؤوا، يسيحون في الأرض][4]، يرزقون كما ترزق الطير، بالالتقاط من نبات الأرض [وحشاشها، فتغدوا خماصا وتروح][5] بطانا؛ اتخذوا مال الله دُوَلاً، وعباد الله خَوَلاً، والله [من ورائهم محيط. ولا حول ولا][6] قوة إلا بالله.

وقد ذكر المؤرخون[7] أن مصر لا بد أن تشتمل على طائفتين: إحداهما في غاية العتو والاستكبار، والأخرى في غاية الذل والاحتقار وقد صدقوا فكان بها فرعون وملؤه[8] فلم ينته دون أن قال: "أنا ربكم الأعلى! وبنو إسرائيل إذ ذاك مستضعفون في الأرض يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم، ثم لم تزل كذلك. وإنها في زماننا، بل قبله بأزمان، لعلى مثل ذلك الوصف: فبشاوتها وصناجقها وولاتها وحكامها بل وسائر جندها وعسكرها - فيما يظهر لنا- ليس فيهم إلا من أعماه حب الدنيا وأصمه وختم على سمعه وقلبه، فلا يرحمون ضعيفا ولا يوقرون كبيرا، أينما

---

(1) ينظر ماء الموائد، ج/1، ص /121.
(2) "ت": عند العمل، والصواب ما أثبتناه.
(3) "ف": فيهم.
(4) مطموسة في "ح2".
(5) مطموسة في "ح2".
(6) مطموسة في "ح2".
(7) في ماء الموائد، الصفحة نفسها "المؤرخون".
(8) "ع": ملأه، والأرجح ما أثبتناه.

بدت لهم صبابة من الدنيا وثبوا عليها؛ إن كان صاحبها حيا تسببوا له بأدنى سبب حتى يأخذوا ماله إما مع رقبته أو بدونها -إن كان في العمر فسحة- وإن كان ميتا ورثوه دون بنيه وبناته. وأما رعيتها وفلاّحتها فلا تسأل عما يلاقون من الجند من الظلم، وما هم فيه من الإهانة والاحتقار: تضرب ظهورهم، وتؤخذ أموالهم، ولا مشتكى لهم إلا الله، ومن تجاسر منهم واشتكى ضوعف عليه العذاب {الأليم}[1] [170- أ]"[2]

قال: قلت: "لعل لأجل هذه الدقيقة يكثر فيهم الصالحون: لأن نفوسهم ميتة. قد تربوا على الذل والاحتقار، وقد زالت الرياسة وحبها من رؤوسهم فلم تسكنها قط، فإذا وفق أحدهم لعمل الطاعة والتفت أدنى التفات[3] لإصلاح حاله، لم يبق مانع بينه وبين ذلك؛ لأن أكبر الموانع وأعظم الآفات حب الرياسة، ومن جال في أرياف مصر واستخبر أهلها علم صحة ما ذكرنا، ومن لم يجل فليطالع الأخبار في الكتب المؤلفة في ذلك: كطبقات سيدي عبد الوهاب الشعراني، رحمه[4] الله وغيرها ير مصداق ذلك. وأخبار مصر وظلم الولاة بها وغش الباعة وحيل المتسببين ومكر العاملين أعظم من أن تحصى. ولا غرض في تتبع ذلك. ومن أراده فليسأل من وردها يخبره ببعض البعض من ذلك. وبالجملة فمصر أم البلاد شرقا وغربا؛ لا يستغرب شيء مما يحكى عنها من خير أو شر."[5]

قال: "ومصداق ذلك ما حدثني به بعض أصحابنا من التجار في سنة أربع وستين، قال:

"لما دخلت مصر، في حدود الخمسين، سكنت في بعض الوكائل، وكان من قدر الله أن اجتمعنا في محل واحد جماعة: منا فلان وفلان تجار، وفلان طالب علم، وفلان ممن يميل إلى طريق الفقر، وفلان وفلان من أهل المجون، ذكر كلا بأسمائهم. قال: فإذا أصبحنا تفرقنا كل واحد يغدو[6] لحاجته، ف [إذا جن الليل جمعنا][7]

---

(1) ساقطة من"ع".
(2) ينظر نفسه، ج1، ص- ص: 121- 122.
(3) "ح1": الالتفاتات، وفي ماء الموائد ج /1 ص /122/ التفات.
(4) ينظر ماء الموائد ج، 1 ص: 122، رضي الله عنه.
(5) ينظر ماء الموائد ج1، ص: 122.
(6) "ت": يعدو، والصحيح ما أثبتناه حسب النص الأصلي.
(7) مطموسة في "ح2".

المنزل، فنتحدث بما رأينا فيقول التاجر: ما رأيت مثل هذه البلدة في التجارة! فأهلها كلهم [تجار ويحكى][1] من ذلك حكاية ما شهد[2]. ويقول الفقيه مثل ذلك! والفقير مثل ذلك! وذو المجون مثل ذلك! وما ذاك إلا لكثرة أجناس [الناس] فيها. ومن طلب [فيها][3] جنسا وجد فيها فوق ما يظن، فيظن أن غالب أهل البلد كذلك. وبالجملة فأهلها لهم عقول راجحة، وذكاء زائد فمن استعملها في الخير فاق فيه غيره، ومن استعملها في الشر[4] فكذلك.

وقد ذكر ابن خلدون في كتابه منتهى العبر: أن بعض الملوك[5] سأل بعض العلماء، ممن حج، عن مصر، فقال له: "أقول لك قولا وأختصر: من المعلوم أن دائرة الخيال أوسع من دائرة الحس. فغالب ما يتخيله الإنسان قبل رؤيته؛ إذا رءاه وجده دون ما يتخيل، ومصر بخلاف ذلك: كلما تخيلت فيها[6]، فإذا دخلتها وجدتها أكثر أكثر من ذلك".

وسئل آخر عنها فقال: "كأن الناس فيها قد حشروا إلى المحشر! لا ترى أحدا يسأل عن أحد، كل واحد ساع فيما يرى فيه خلاص نفسه".

وقد أخبرني شيخنا سيدي أبو مهدي عيسى الثعالبي، أيام كنت أتردد معه إلى مجلس شيخنا شهاب الدين الخفاجي، فقال لي: "من لدن دخلت هذه المدينة ما رأيت أحدا يمشي في أزقتها وأسواقها على مهل وسكينة وتؤدة، بل كل من تلقاه تراه مشمرا جادا في سيره: إن راكبا فراكب، وإن ماشيا فكذلك."

فتأملت ما ذكر فوجدته صادقا. وسبب ذلك، والله أعلم، أمران: أحدهما[7] الرغبة والحرص المستكين في القلب. فيحمل الإنسان على أن لا يفوته شيء من أغراضه وهو يظن أنه لو توانى في مشيه لفاته غرض، مع كثرة الأغراض وتزاحم الأشغال، والآخر كثرة الزحام في الأسواق. فكل سوق دخلته تقول هذا أكثرها

---

(1) مطموسة في "ح2".
(2) ينظر ماء الموائد ج1، ص: 122. ما شاهد.
(3) زيادة من "ح1".
(4) ينظر ماء الموائد ج1، ص: 123، في غيره.
(5) ينظر ماء الموائد ج1، ص: 123، بعض ملوك المغرب.
(6) "ع": بها، والصحيح ما أثبتناه.
(7) ممسوحة في "ع".

زحاما، فإذا خرجت منه لآخر وجدته مثله أو أشد. وقد شاهدنا الناس في بعض الأسواق تارة يقفون هنيئة لا يقدر أحد أن يتحرك يمينا وشمالا من غير أن يكون هناك حاصر لهم [من أمام][1] إلا الزحام، وربما رفع بعضهم صوته بالتكبير، فيكبرون؛ حتى يظهر فيهم بعض تحرك فيدفعون مثل السيل إذا انجمع في مكان ضيق، فيدفع بعضهم بعضا حتى يتفجر من جهة. فسبحان خالقهم ورازقهم وعالم نياتهم وضمائرهم، يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون، لا إله إلا هو رب السماوات والأرض رب العالمين. وأخبار مصر وما فيها من العجائب وجميع ما يحتاج إليها من أحوالها مستوفى في كتب تواريخها. فلا نطيل بكثير منه."[2]

قال: "وأحسن كتاب جامع بما في ذلك مع الاختصار كتاب: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، للجلال السيوطي، فإنه مفيد جدا. ومن أجاد مطالعته لم يفته من أخبارها إلا المعاينة[3] [وأشياء قليلة][4] من العوارض المشخصات"[5]. انتهى انتهى كلامه.

ثم ظعنا بعد صلاة صبح يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شوال ثالث عشر دجنبر، ثاني ليالي السودان، وبلغنا [نبابة[6] ضحى، [170- ب] وهي][7] وهي][7] "مدينة على ساحل النيل، لها أسواق حسنة ووكائل ومساجد على هيئة هيئة ما في القاهرة، وهي بالجانب الغربي في مقابلة مدينة بولاق، بالجانب الشرقي."[8] واكترينا سفينة بخمس وعشرين فضة، وعبرنا عليها نحن وحرمنا، وبقي أصحابنا حتى يعبروا بالأثاث ويقلبوا باقي الإبل مع أصحابنا الفلاحين لكرداسة. وقد تعرضوا خارج البلد "وتلك عادة الفلاحين عند قدوم الركب كما قدمنا- يتعرضونه ويتخذون الأصحاب ليودعوا عندهم الإبل أمد الإقامة طلوعا ورجوعا، وهم كما قيل: الحرص على الأمانة، يدل على الخيانة. فلا ترى أعجب من تلطفهم ولين

---

(1) زيادة في "ت".
(2) ماء الموائد، ج1، ص: 122- 123.
(3) "ف": المشاهدة، وما أثبتناه هو الأصح حسب الأصل.
(4) مطموسة في "ح2".
(5) ينظر نفسه، ج1، ص: 123.
(6) "ف": نباتة والصحيح ما أثبتناه.
(7) مطموسة في "ح2".
(8) ينظر نفسه، ج1، ص: 121.

خطابهم- عند نصب شبكة الخداع للمغتر من الحجاج: فيحلفون بالأيمان المغلظة على أداء الأمانة وبذل المجهود في النصيحة حتى يركن إلى قولهم، ولو من جربهم مرارا ثم عند المفاصلة قلما ينفصل أحد معهم عن طيب نفس."[1]

قال أبو سالم: "ومن أمثال الحجاج: المال المودَع، بع واستنفع. فالعاقل من باع ما فضل عنه من إبله أو ضاع[2]، ومتى احتاج اشترى. ولكن رزق يسوقه الله للفلاحين من قديم الزمان ولا مطمع لأحد في قطعه! ففي كل مرة نقول متى رجعنا، لا نودع عند أحد. فإذا عدنا، استنزلونا بخلب[3] بارق من وعدهم الكاذب، حتى نقع في حبائلهم، ونتورط[4] في مخالبهم[5] التي يعسر الخروج منها بدين سالم وعرض وعرض مصون".[6]

ولما قطعنا النيل ونزلنا مرسى بولاق، وجمعنا أثاثنا وأمتعتنا التي عبرنا بها مع الدرابيك. واكترينا لحمل ذلك دواب لتعذر الإبل بعض التعذر، ولما في الحمل[7] عليها ذلك الوقت من مطلق العذر، لما امتلأت به الطرقات من الخضخاض والوحل، بحيث لا يأمن معها من الزلق والزلل، لتوالي الأمطار ألسنة على مصر وأحوازها مما لم يعهد بها قبل. ووقف معنا في ذلك الإخوان الفارسان الحاج مهدي راغون، صهر الأحب سيدي علي بركة، والحاج عبد السلام هنداز التطاونيين[8] فحملنا على بغال بغال تمرنت لحمل[9] الأثقال ما يقضي الإنسان العجب منه؛ فإن الله تعالى سخر البهائم للفلاحين ونزع الرحمة من قلوبهم عليها: فنجد الرجل يحمل على إبله "القناطير المقنطرة من الأمتعة [وأحمال الحطب][10] والتبن وغير ذلك حتى لا يظهر من الجمل إلا رأسه، ثم يدخلونه السفينة كذلك، وينيخونها فيها، وأحمالها على ظهورها، ثم يخرجونها منها كذلك؛ وقد ألفت إبلهم ذلك وأما إبلنا فلا يدخل جمل

---

(1) ينظر ماء الموائد، ج: 1 ص: 124

(2) "ف": صاع.

(3) "ع": بحلب، والموافق للأصل هو بخلب.

(4) "ت": نتورظ، والصواب ما أثبتناه.

(5) "ف": مخايلهم.

(6) ينظر نفسه، ج1، ص: 124.

(7) "ف": حمل.

(8) "ت": التطوانيين، "ف": التطاونيان.

(9) "ف": بحمل.

(10) "ف": والأحمال والحطب.

المركب إلا بعد عناء شديد، ووثاق وثيق، وضرب عنيف، وإدارة الرجال بها بعضهم [يحملها وبعضهم يضربها][1]".[2]

قال الإمام أبو سالم بعد ما تقدم:

"لطيفة وعظية: والشيء بالشيء يذكر. ذكر الشعراني [في طبقاته، عن بعض الصالحين][3]، ممن يسكن في {بعض}[4] قرى مصر، أنه كثرت إذاية أهل القرية التي هو بها[5] له، فعزم على الخروج منها. فاكترى جمالا يحمل[6] أمتعته فأتى {بجمل}[7] فجعل يلقي عليه كل ما كان من الأمتعة، فلما أكثر عليه قال له الشيخ: "إنك قد ثقلت[8] على {ظهر}[9] هذا الجمل" فقال له صبي هناك: "يا عم، إن الجمل يحمل أكثر من هذا". فتفكر في نفسه فقال: هذا خطاب من الحق لي، فإذا كان الجمل وهو من الحيوانات العجم لا يعقل ولا يرجو ثوابا- يحمل أكثر من هذا {فكيف لا أتحمل أنا أكثر من هذا}[10] من إذاية الخلق؟[11] فحط أمتعته ورجع فسمع منشدا: (البسيط)

إنَّ الجِمَالَ الَّتِي بِالحَمْلِ قَدْ عُرِفَتْ ... تَأْبَى العَيَاءَ وَلَوْ مَسَّتْ مِنَ القِتْبِ

فأكد ذلك عنده مافهمه"[12] انتهى[13].

---

(1) مطموسة في "ح2".
(2) ينظر نفسه.
(3) مطموسة في "ح2".
(4) ساقطة من "ت".
(5) "ف": فيها.
(6) "ت": لحمل.
(7) ساقطة من "ع".
(8) "ف": أثقلت، والصواب ما أثبتناه.
(9) ساقطة من "ف".
(10) ساقطة من "ع".
(11) [لا يحمل العاقل الأكثر من إذاية الخلق؟] زيادة من "ف"، وغير موجود في الأصل.
(12) "ح1": مفاهمه وما أثبتناه حسب الأصل.
(13) ينظر ماء الموائد، ج/1 ص: 125.

{ذِكْرُ}[1] دُخُولِنَا لِمَدِينَةِ مِصْرَ
حَاطَهَا اللّٰهُ فِي السِرِّ والجهر
{وَصَلَّى اللّٰهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ}[2]

ولما حملنا أمتعتنا التي عبرنا بها مع الدرابيك، تقدمنا أمام ذلك للمدينة، يسر الله لنا ولجميع إخواننا كل مئونة. فدخلنا القاهرة وقد تعالى النهار، وبقي للظهر نحو ساعة ونصف، وأممنا منزلنا بالبلد قانيين[3] دارا اكتراها لنا التاجر الشكور: الحاج محمد الشريبي، وسعتنا وتعلقاتنا وجماعة من أصحابنا {جزي خيرا، ووقي ضيرا}[4]، وبلغه الله غاية المنى، وأعاذه من فتنة الغناء، وأراحه من الكد والعناء، وأقمنا بها[5] الأربعاء والخميس والجمعة والسبت والأحد. والناس في هذه المرة في شدة ما يكون من التشمير والجهاز، والاستعداد لدرب الحجاز. وعزمنا على الرحيل [171- أ] يوم الاثنين، فورد علينا التوارك ليلا، وكلفونا الإقامة لقضاء مآربهم، فأقمنا لهم جبرا لخواطرهم، ووجدنا مصر، في هذه السنة، في عافية ورخص أسعار، وسلامة من الأمراض، على أنها قلما تخلو من مرض وموت؛ وقد كنا وجدنا بها في رجعتنا من الحرمين الشريفين، عام سبعة وتسعين، وباء شنيعا، وموتا ذريعا، مات به جملة وافرة من أصحابنا، تقبلهم الله أحسن قبول.

وقد ذكر شيخنا: أبو سالم عن بعضهم: "أن الوباء وقع مرة بمصر وكثر الموت حتى كان يدفن في اليوم الواحد أربعون ألفا، فهم الباشا وأتباعه بالخروج من مصر والفرار، لما شاهد من كثرة الموت. فلما فشا خبر إرادته الخروج، طلع عليه[6] رجل مسن من أهل التجربة والرأي، فقال: "بلغني أنك تريد الخروج فما الذي يخرجك؟"

---

(1) ساقطة من "ف".
(2) ساقطة من "ف".
(3) "ت": بالبندقانيين.
(4) ساقطة من "ح1".
(5) "ت": و"ف": به.
(6) "ت": به، والصحيح وهو يطابق الأصل.

فقال: "هذا الموت الذريع الذي وقع بالناس". فقال: "وأي موت هنا؟ ابعث إلى شيوخ الحومات بمصر ليعدوا لك كم من حومة بها". فبعث إليهم فعدوا الحومات فوجدوها أربعين ألفا، فقال له ذلك الشيخ: "ألم أقل لك أي موت هنا؟ [إنما هذا ميت من كل حومة، فهو إما عبد أو][1] صبي أو امرأة". فلما سمع الباشا ذلك خف عليه [وجلس"][2].

ومن جملة أهل ودنا بمصر][3]، المتواضع على رفعته، إمام أهل وقته، شيخنا الشيخ أبي الحسن علي الزعتري[4] إمام الموقتين في الديار المصرية، وكنا رجونا لقياه فاستقبلنا بموته، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وقد كنا قبل هذه المرة قرأنا عليه من كتب التوقيت رسالة الحطاب ورسالة على نصف الدائرة للشيخ عبد العزيز الموقت، ولازمت إتيان مجلسه بداره، عام عشرة مدة إقامتنا بمصر، ضحى كل يوم، فقرأنا عليه رسالة أبي الفتح في العمل بنصف الدائرة، ورسالة في علم الإسطرلاب، ورسالة على كورة العالم. وأعطانا، رضى الله عنه، كورة صغيرة متقنة من نحاس، اشتريتها على يده، واختبر عملها، فألفاه متقن الصنع على المنهج المعروف، والسير المألوف. وأتحفنا بعض الأحبة بإسطرلاب صغير يعطي التحقيق، في الجلي والدقيق، وأجازنا، رضي الله عنه، عام سبعة، بتقديم السير وتسعين بتقديم المثناة ونص إجازته: "

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

فقد قرأ علي سيدي أحمد بن سيدي محمد ابن ناصر المغربي رسالة العلامة: الشيخ محمد الحطاب في معرفة التواريخ والأوقات، ورسالة الشيخ أبي[5] الفتح في العمل بنصف الدائرة، قراءة فهم وإتقان. وقد أجزته بإقرائهما للطلبة بشرطه، وأجزته بجميع ما تجوز لي روايته بشرطه، وأنا الفقير علي الزعتري الشافعي، وذلك في مجالس

---

(1) مطموسة من "ح2".
(2) ينظر ماء الموائد، ج/1 ص/125.
(3) مطموسة في "ح2".
(4) الشيخ علي بن محمد الزعتري فقيه مالكي وصوفي ناصري الطريقة، برع في التوقيت، وتبادل مع الشيخ أحمد ابن ناصر عام 1097، لقيه وذكره في رحلته. ولد سنة 1034هـ وتوفي سنة 1120هـ/1708م. ترجم له في: نشر المثاني، ج: 3، ص: 204، الإكليل، ص: 494، التقاط الدرر، ص: 304.
(5) "ح2": أبو.

متعددة، آخرها أواخر ربيع الثاني من شهور سنة سبع وتسعين وألف من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم".

ومما أفادنيه وأنشدنيه: (الطويل)

إِذَا مَا مَضَى القَرْنُ الَّذِي أَنْتَ مِنْهُمُ وَخُلِّفْتَ فِي قَوْمٍ فَأَنْتَ غَرِيبُ

وأنشدنا أيضا لغزا في الخمر إذا استحال خلا: (المجزوء الوافر)

وَمَا شَيْءٌ إِذَا فَسَدَا تَحَوَّلَ غَيُّهُ رَشَدَا

وَإِنْ هُوَ لاَقَ وَصْفاً أَثَارَ الشَّرَّ حَيْثُ بَدَا

وأنشدنا في نيل مصر: (الوافر)

كَأَنَّ النِّيلَ ذُو عَقْلٍ وَفَهْمٍ وَذُو عِلْمٍ بِمَا يَرْجُونَ مِنْهُ

فَيَأْتِي عِنْدَ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ وَيَذْهَبُ حِينَ يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ

وأملى[1] علينا أيضا، في ذم الدخان وأهله، وهو في مجلس إقرائه: (مجزوء الرجز)[2]

دُخَّانُ دَاءٍ لاَ دَوَا مِنْ شُرْبِهِ قَلْبِي انْكَوَى

وَهَدَّ حَوْلِي[3] وَالقُوَى فَقُلْتُ مِنْ عِظَمِ الجَوَى

بيوت شعر مفردة[4]

وَأَنْفُسٌ مِنْ أَصْلِهاً

مَقْطُوعَةٌ عَنْ وَصْلِهاَ

بِعُشْبَةٍ[1] لِأَهْلِهاَ

(1) أملى: تكتب الألف هكذا ى، لأن مضارعه يملي.

(2) كتبت الأشطر الواحد بجانب الآخر، ويتبين أنه تكون مجموعة تخميسا متحد المعنى.

(3) "ع": حيلي.

(4) منفردة، والصواب ما أثبتناه.

مَشْـــــــعُولَةً لِأَجْلِهـــــــــاَ[2]

جـــاءَتْ كَنـــارٍ مُوصَـــدَة. [171- ب]

مَشْـــــــغَلَةً[3] لِـــــــــدَائِهِمْ

تَجـــــوُلُ فِــــــي أَمْعـــــائِهِمْ

مُضِـــــــــرَّةً لُبـــــــــابَهُمْ

تَــــأْتِي إِلَــــى أَفْــــوَاهِهِمْ

فِــــــي عَمــــدٍ مُمـــــدَّدَه

قَــــوْمٌ رَأَوْهـــــاَ مَغْنَمـــــاً

وَمـــــاَ سِـــــوَاهاَ مَغْرَمــــــاَ

وذا وذا عَـــيْنِ العَمـــى هِـيَ السَّـباَبُ مِثْـل مـاَ

هِـــــيَ الفَـــــرَاغُ وَالجِـــــدَةْ

وَاتفَقُـــوا[4] وَأَجْمَعُـــوا بِـــأَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُـــوْا

لَـوْ أَنَّهُـمْ قَـدْ جرعُـوا[5] حَتَّـى بِهـاَ قَـدْ ضَـيَّعُوا

مَصْـــــــلَحَةً بِمَفْسَــــــــدَهْ

وأملى علينا أيضا ونحن بداره: (الرجز)

فَسَبْـعَةٌ تَدْهِمُنَـا حَـالَ الكِـبَرْ تقَـاصُرُ المَشْـي كَحَالَـةِ الصِّـغَرْ

---

(1) "ع": بشعبة.
(2) "ع": لأهلها.
(3) "ف": مشعولة.
(4) "ح1": وأنفقوا.
(5) "ع": قد رجعوا.

وَقِلّـةُ الـسَّمْع وَقِـلَّةُ البَـصَرْ وَقِلَّـةُ الأَكَـلِ إِذَا الـزَّادُ حَضَـرْ

وَقِلّـةُ الجِمَـاعِ فِي قضـا الـوَطَرْ وَالنَّوْمُ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ غَيْـرِ سَهَـرْ

وَسُـرْعَةُ للبَـول[1] أَدْهَـى وأَمَـرّ

قلت: ومثل هذا، وأرفع من كرامات الشيخ لا يعد ولا يحصى، ولا يحفظ ولا يُسْتَقْصَى، فلو تعرضنا لأدنى شيء منه لأملينا أسفارا، واستغرقنا دهورا وأعصارا، نسأله تعالى أن ينفعنا به، وأن يجعلنا من حزبه، وإنما ذكرنا هاتين، إيذانا بمنقبة هذين السيدين إذ الكرامات لا يراها إلا من أَهِّلَ لها وصار من أهلها.

وكنا ذات يوم جلسنا معه في مجلس لقرائه، وقال لنا: "كم هذا في غشت؟" فقلنا له: "خرج وانصرم، وهذا أوان شتنبر". فقال: "هذا لا يصح" فقلنا له: "صحيح" فأخذ بيده جداول التاريخ فاختبره، فوجد كلامنا صحيحا. فقال: "سبحان الله غلطتموني في جمعة". وحكى لنا قصة، فقال:

"كان الإمام السبكي في زمانه يسكن بولاق، وله [منزل على شاطئ البحر يجلس فيه، وفيه كتبه وكان][2] السبط المارديني يأتيه، وهو، رحمه الله [رجل مغفل، ويجلسه الشيخ في مجلسه][3] ويتحدث معه ويتذاكر؛ ثم بعد ذلك ينصرف الشيخ يبيت بمنزله ويتركه هو][4] يبيت هنالك، فكلم الشيخ، رحمه الله، يوما نوتيا معه سفينة جيدة سريعة السير، وفيها كثرة المقاذيف، وقال له: "كيف تصنع؟ تتحايل[5] على السيد، إذا نام تأخذه برفق وتضعه في السفينة، وتقذف به بسرعة حتى تصبح به في دمياط[6]، فإذا بلغت دمياط، خذه برفق وضعه في مكان معلوم عينه له، واتركه واتركه هناك أسبوعا، ثم افعل به ما فعلته به أولا وتصبح به في مكانه". ففعل النوتي ذلك وأصبح به في دمياط، وجلس يقرأ فيه السيد أسبوعا، وكان ذلك ليلة الأحد،

---

(1) "ع": وَسُرْعَةُ البَوْلِ هي أَدْهَى وأَمَرّ، والصحيح وزنا ما أثبتناه.

(2) مطموسة في "ح2".

(3) مطموسة في "ح2".

(4) مطموسة في "ح2".

(5) "ف": تتحيل.

(6) دمياط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بحر الروم (المتوسط) الملح والنيل، مخصوصة بالهواء الطيب. وهي ثغر من ثغور الإسلام، وعلى سورها محارس ورباطات. ينظر معجم البلدان ج2، ص 537 - 538.

فلما كان ليلة الأحد الأخرى فعل به مثل ما فعل به أولا، فأصبح به في بولاق وفي المكان الذي أخذه منه. وجاءه الشيخ السبكي صبحا على عادته، فسلم عليه وقال له المارديني: "أنا أتيت من دمياط، فقال له السبكي: متى جئت من دمياط؟ ألم تكن هنا ليلة الأحد؟ وهذا يوم الأحد". فقال له الماردينى: "بل أتيت دمياطا، وقرأ علي فلان وفلان. " وجعل يعد له من قرأ عليه، وغلطه السبكي في جمعة، وهذا مراده، حتى فعل به ذلك، رضي الله عنهم أجمعين. " [172- أ]

وأنشدنا أيضا رضي الله عنه: (الوافر)

أَرَى الإِحْسَانَ عِنْدَ الحُرِّ دِيناً ... وَعِنْدَ النَّذْلِ[1] مَنْقَصَةً وَذَمّا

كقطر الماء فِي الأَصْدَافِ دُرًّا ... وَفِي جَوْفِ الأَفَاعِي صَارَ سُمّاً

أشار بهذين البيتين إلى ما ذكره أهل الهيئة من أن ماء النيسان ينعقد جواهر في بطن الأصداف، ويصير سما في بطن الحيات[2].

أعجوبة: ذكر صاحب الفلاحة النبطية، أن بالمشرق جبلا عاتيا، ذا مدارج لا يستطاع الصعود إليه، فإذا كانت أيام النيسان أتت الرفاق من أقصى البلاد، وتنزل حواليه لتصغي لأصوات طيور تظهر في تلك المدارج، ولها ريش كريش الطاووس، ومناقير حمر وصفر في غلظ شبر وطول ذراع، وفي تلك المناقير أبخاش متعددة: فتستقبل[3] الريح، وتفتح مناقيرها شهرا كاملا حتى تملأ حواصلها ريحا، ثم يأخذ في في انعكاس مناقيرها فيخرج الريح على أصوات عجيبة، ونغمة مطربة حتى إن رقيق النفس يموت طربا من السماع. فإذا تم شهر استفرغ الريح، وزهقت زهقة عظيمة واشتعلت نارا وتبقى رمادا في مواضعها إلى قابل، فإذا نزل ماء النيسان خلقت منه فأحييت به، وفي أيام نزوله تكثر الضفادع في البر، فإذا ماتت بقيت فرائسها إلى قابل فتحيي حين نزوله، ذلك تقدير العزيز العليم. وحكي أن فرعون، لعنه الله، كان يفتن الناس بها، فيعد تراب فرائسها فيحفظه عنده، ويعد مطرا لنيسان في قوارير، ويقيم عليها وكيلا؛ وإذا أراد فتنة أحد، أمر قيم التراب فيأتيه بقبضة منه، ويأمر الآخر

---

(1) "ح2": الندل والصحيح ما أثبتناه.
(2) "ح1": الحياة.
(3) "ع": يستقبل والصواب ما أثبتناه.

فيأتيه بشيء من مائه، فيجعله في يده ويضمها عليه مدة حتى يحس بتكوينه ضفدعا، فيفتح يده فإذا بها ضفدع تثب، فيدعى أنه خلقها، عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وأنشدنا أيضا رحمه الله أبياتا مطلعها: (الوافر)

لَعَمْرُكَ إِنْ أَخَذْتَ إِخَاءَ قَوْمٍ فَلاَ تَعْجَلْ بِتَوْكِيدِ الوِدَادِ

فَإِنَّ الغَدْرَ فِي النَّسَماتِ طَبْعُ تَعَوَّدَهُ الوَرَى مِنْ قَبْلِ عَادِ

[وَصَاحِبْ مَنْ صَحِبْتَ بِحِرْصِ عَزْمٍ وَلاَ تُودِعْهُ أَسْرَارَ الفُؤَادِ]

فَبَعْضُ النَّاسِ ظَاهِرُهُ بَيَاضُ وَبَاطِنُهُ أَحَالَ مِنَ السوَادِ

وَلاَ تَحْقِرْ عَدُوَّكَ لَوْ تَرَاهُ أَقَلَّ إِذَا نَظَرْتَ مِنَ القُرَادِ

وَكُنْ حَذِراً وَلاَ تَرْكَنَ لخلٍّ[1] وَعُدَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ أَعَادِي

وَكُنْ كَالْغَيْثِ فِي أَرْضٍ بِخِصْبٍ وَفِي أَرْضٍ عَذَابٌ لِلْعِبَادِ

{وَكُنْ كَالغُصْنِ يَنْبُتُ فَوْقَ صَخْرٍ وَكُنْ كَالمَاءِ يَجْرِي مِنَ جَمَادِ}[2]

وَكُنْ كَالسَّيْفِ حَدَّ المَتْنِ عَضْباً وَفِي الأَغْمَادِ يُرْفَعُ بِالنِّجَادِ

فَكَمْ صَاحَبْتُ[3] قَبْلَكَ مِنْ أُنَاسٍ فَخَانُونِي وَخَابَ بِهِمْ مُرَادِي

وَإِخْوَانٍ حَسِبْتُهُمْ دُرُوعاً فَكَانُوهَا وَلَكِنْ للأَعَادِي

وَخِلْتُهُمْ سِهَاماً نَافِذَاتٍ فَكَانُوهَا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي[4]

وَقَالُوا قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ لَقَدْ صَدَقُوا وَلكِنْ مِنْ وِدَادِي

وَقَالُوا قَدْ سَعَيْنَا كُلَّ مَسْعَى فَقُلْتُ نَعَمْ وَلَكِنْ فِي فَسَادِ

---

(1) "ت": ولاتكن بخل.
(2) هذا البيت ساقط من "ع".
(3) "ح1": صحبت.
(4) "ح2": الفؤاد.

وأنشدنا رضي الله عنه: (الكامل)

أَرْزَاقُنَــا شَــتَّى وَنَحْــنُ طُيُــورُهَا ⁂ نُلْقِـطهَا مِــنْ جَـانِبٍ بَعْـدَ جَـانِبِ

ثم قال:

"لما خلق الله الأرزاق وسلط عليها الريح ففرقتها في الدنيا، فكل واحد يجعله الله حيث رزقه".

قلت مراده والله أعلم أن أرزاق العباد فرقتها القدرة الأزلية في البلاد، وأظهر ذلك بالمثال بتفريق الرياح.

ومنه قوله: (الوافر)

وَأَرْزَاقٍ لَنــــا متَــــفاوِتاتٍ[1] ⁂ وَمَنْ لَمْ تَأْتِهِ مِنَّا أَتاهَا [172- ب]

مَشَيْــناها خُــطَى كُتِــبَتْ عَلَيْنَــا ⁂ وَمَــنْ كُتِـبَتْ عَلَيْـهِ خُطَـى مَشَاهَــا

وَمَــنْ كُتِبَــتْ مَنِيَّــتُهُ بِــأَرْضٍ ⁂ فلَــيْسَ يَــموتُ فِــي أَرْضٍ سِــوَاهَا

وعنه أيضا حكمة إلاهية بنت الحكماء عليها قاعدة تقررت لديهم واطردت: [وذلك أن الشمس كلما كانت][2] مسامتة للرؤوس اشتد حرها على وجه الأرض. الأرض. وكلما مالت إلى [الجنوب خمد حرها، ومن ثم[3] تجد المياه][4] غالبا تبرد في تبرد في الصيف لبعد الشمس عن باطن الأرض، وتسخن في الشتاء لقربها من باطنها، ويعتدل حرها فيما بين انتهاء مسامتتها وميلها، وذلك في الربيع والخريف، ذلك تقدير العزيز العليم. وذكر أيضا أن غاية نصف قوس النهار، في بلدنا، مائة وسبع، وأن الساعة المستوية درجة دائما، والزمانية. هي نصف سدس قوس النهار، فيقسم قوس النهار على اثني عشر جزءا يخرج مقدار الساعة الزمانية. وأخبر أنه ولد عام 1034، رضي الله عنه. ولقد سألته يوما عن علم النصبة هل له معرفة به؟ فقال: "نعم، ولكن لم أستعمله إلا مرة واحدة، ولد لي ولد في أول شبابي ونظرت فيه فخرج

(1) "ح1": متفرقات.
(2) مطموسة في "ح2".
(3) "ع": ومن تم.
(4) مطموسة في "ح2".

لي أنه يموت بعد ثلاث سنين، فأخبرت شيخي القيلوبي بذلك، فزجرني ولما مضى ذلك القدر توفي".

قلت: والإمام القيلوبي هذا هو أبو العباس، أحمد بن أحمد بن سلامة المصري، القيلوبي، الشافعي، الإمام العالم العامل، الفقيه، المحدث، أحد رؤساء العلماء المجمع على نباهته، وجلالته، وعلو شأنه، جامعا للعلوم الشرعية، متضلعا من العلوم العقلية، وأما معرفته بالحساب والميقات [والرمل][1]، فأشهر من أن تذكر. وإمامته في الأوفاق الحرفية وغير ذلك من الفنون، فذلك أمر مشهور. وكان في الطب ماهرا خبيرا، ومحبا للفقراء، ولا يتردد إلى الكبراء، ولا يقبل من أحد صدقة، بل يرى متصدقا، وكان متقشفا. ملازم الطاعات، مهابا لا يتكلم أحد بين يديه إلا مطرقا، {و}[2] له تآليف عديدة، وتقاييد مفيدة، توفي أواخر شوال سنة 1069.

وأما الشيخ موسى المصري القيلوبي، فهو من أئمة المالكية المشهورين بحسن السيرة، وطيب السريرة، شهير صيته بين علماء الأزهر وأرباب الدولة، وهو من أجل تلامذة الأجهورى، أبي الحسن، المتصدين للإقراء والإفتاء في حياته، وله خبرة تامة بفروع المذهب، ومشاركة حسنة في غيرها من العلوم، وانفرد بالاختصاص بالكشف عن علم الأوفاق، وأسرار الأسماء والحروف، بحيث لا يشارك في ذلك. وله أخذ وسلوك في طريق القوم، على منهج صاحب كتاب الجواهر. وقد تلقن وأخذ طريق الأسماء الخلوتية عن الشيخ محمد بن علي الشبراملسي، عن الشيخ محمد الخامي، عن الشيخ صبغة، عن وجيه الدين العلوي، عن الشيخ محمد الغوت صاحب كتاب الجواهر. وأسماء الخلوة مشهورة عند أهل مصر، وهي أربعة عشر. وذكر شيخنا العياشي أن:

"بيد هذا الشيخ [أثر جراحات كادت تتلف يده. فأخبرنا أن سبب ذلك أن الشيخ أبا الحسن الأجهوري جاءه بعض طلبة][3] المغاربة يستفتيه في طلاق وقع بينه وبين زوجته [فرام أن يترخص له في ارتجاعها فأبى][4] الشيخ، رضي الله عنه، من

(1) زيادة من "ت".
(2) ساقطة من "ف".
(3) مطموسة في "ح2".
(4) مطموسة في "ح2".

ذلك فاحتقدها عليه المغربي، وأسرها خفية[1] في نفسه. فلما كان ذات يوم جاء مشتملا على خنجر، والشيخ يدرس في المجلس، فلم يشعر به حتى ضرب الشيخ بخنجره، فترامى عليه من حضر من الطلبة يقونه بأنفسهم، فجرح جملة منهم، ووقى الله الشيخ من كيده، وجرح في رأسه جرحا كان السبب في ذهاب عينه. رضي الله عنه، وكان الشيخ موسى من جملة من جرح، فقبض على ذلك المغربي وضرب ضربا شديدا، فأراد الولاة قتله فمنعهم الشيخ من قتله، ثم قتله الله بعد مدة بأثر ما حصل له من الضرب في المجلس. وبعد ذلك ما كان الشيخ يترك أحدا من المغاربة يدخل عليه إلا كان معه أحد من أصحابه ممن يعرفه. "[2]

قال: "ولم يزل شياطين الإنس والجن يضمرون العداوة والسوء لأهل العلم، وينصر الله أولياءه عليهم بمقتضى صادق وعده ﴿وَكَانَ حَقاًّ عَلَيْنَا نَصْرُ المومِنِينَ﴾[3] وينجيهم من كيدهم ويحميهم من شرهم بحماية ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ، حَقّاً عَلَيْنَا نُنَجِّ المومِنِينَ[4]﴾[5]".

قال[6]: "وحضرت درسه وكان يقرئ في الجامع الصغير للأسيوطي[7] بباب رواق الحنفية، ومن جملة [173- أ] ما قرر في الحديث: "أيما عبد أبق[8] من سيده فمات إلى قوله: ولو مات شهيدا"[9]. إن العبد إذا أبق فمات في قتال الكفار كان شهيدا من جهة قتله وعاصيا من جهة إباقه، ثم قال: بمنزلة من شرب خمرا فشرق به فمات، فإنه شهيد بغصته عاص بشرب الخمر" انتهى كلامه. وهذا الأخير عندي

---

(1) خفية سوء، وهي ساقطة في كل النسخ، مقارنة مع الأصل في ماء الموائد، ج/1ص/138.
(2) ينظر ماء الموائد، ج1، ص- ص: 137- 138.
(3) سورة الروم آخر الآية/46، وأولها: ﴿وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً إِلىَ قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقاً عَلَيْنَا نَصْرُ المُومِنِينَ﴾.
(4) سورة يونس الآية /103.
(5) ينظر ماء الموائد، ج1، ص: 138.
(6) قال وحضرت درسه: يفهم من ذلك أن الشيخ العباسي حضر درس الشيخ أبي الحسن الآجهوري، في حين أنه حضر درس الشيخ موسى القلسي المالكي. ينظر ماء الموائد ج/1، نهاية ص /127.
(7) "ح2": للسيوطي.
(8) أبق أبقا وأبق أبقا: هرب، ينظر اللسان مادة (أ، ب، ق).
(9) وفي صحيح مسلم:
+ وفي الشعبي عن جرير أنه سمعه يقول: "أيما عبد أبق من مواليه فقد كفر حتى يرجع إليهم ". فقال منصور: قد والله روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولكني أكره أن يروى عني ههنا بالبصرة".
+ وعن جرير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة " ينظر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: تسمية العبد الآبق كافرا.

غير مقبول لأن الشهادة رتبة شريفة، وهي من الرخص التي ترخص الله بها لعباده المؤمنين، فأكرمهم بها زيادة في ثوابهم على ما حملوا أنفسهم من المشقة المتلفة لأنفسهم في مرضاته. والعاصي بفعله لا يترخص له، ولا سعي له في مرضاة ربه حتى يرضيه بالشهادة. نعم [إذا كانت المعصية بغير ما وقع به القتل كالآبقِ أو من زنى أو من سرق][1] في سفره، فهذا قد يقال فيه شهيد من جهة، عاص من جهة، لأن الجهة منفكة فجهة قتله غير جهة عصيانه، وأما إذا كان سبب القتل في نفسه معصية، كشرب خمر، فيغص بها، أو تمكين امرأة من زنى بها فتموت منه، فبعيد أن تحصل لهذا رتبة الشهادة. أليس الغريق والحريق وذو الهدم والمبطون وغير هؤلاء كلهم قد ورد أنهم شهداء؟ فلو أن أحدهم رمى بنفسه في البحر عمدا فغرق، أو في النار فأحرق، أو تناول سما أو داء معلوما فمات لا يقال فيه شهيد اتفاقا. وكذلك هذا تناول معصية كانت سبب حتفه، أنى له الشهادة، اللهم إلا أن يكون المحترق مثلا ممن قام لنار يريد إطفاءها، ولا يعلم أنها تحرقه، فغلب حتى احترق، أو أراد إنقاذ غريق، وهو يظن من نفسه القدرة على ذلك، فغلب فغرق، وغير ذلك من الوجوه التي يكون فيها أصل الفعل الذي وقع به القتل مباحا، فهذا {شهيد}[2] بلا كلام. وشارب الخمر، وإن لم يقصد به إتلاف نفسه، فهو معصية وحدها، وما ترتب عليه من القتل معصية أخرى سببها معصية، وإن لم يكن القتل مقصودا. فإن المعصية لا يتوقف كونها معصية على القصد إليها ونيته أنها معصية، فإن الطاعة هي التي تتوقف على النية دون المعصية، فيؤاخذ بها عاجلا، ويعاقب آجلا، نواها أم لا. ألا ترى أن من تعمد ضرب إنسان، ولم يرد قتله ولا قصده فمات منه، فإنه آثم آجلا. ويقتص منه عاجلا؟ لأن السبب الذي نشأت عنه المعصية معصية، كشرب الخمر في مسألتنا، فهو معصية ونشأت عنه معصية أخرى هي قتل نفسه. إلا أنها ليست مقصودة فلا ينفعه عدم القصد، ولا يدرأ عنه الإثم. ولو سلمنا أن إثم القتل مندفع عنه لكونه غير مقصود له، فمن أين له الشهادة التي هي أشرف مقام خص به[3] الله من جاهد في سبيله؟ ثم من صبر لضر أنزله به مولاه حتى لقي ربه وهو راض عنه، نعم إن لم يمت هذا المغصوص بأثر الغص وطالت حياته حتى تاب من فعله[4]

---

(1) مطموسة في "ح1".
(2) ساقطة في "ع".
(3) "ع": بها، والصحيح ما أثبتناه حسب الأصل.
(4) "ح1": فعلته.

توبة صادقة ثم مات[1] بإثرها من تلك الغصة، لا يبعد أن يقال هو شهيد بغصته، ولو قيل: إنه {مرتبك}[2] في المعصية بعد توبته لبقاء أثر ما تسبب[3] فيه. كما قال إمام الحرمين، في الخارج من المغضوب تائبا لما بعد ذلك، والصحيح صحة توبة هذا المغصوص إن لم يمت بإثرها كتوبة الخارج من المغصوب"[4] انتهى.

فليتأمل. وذكر أنه حضر مجلس شيخ الإسلام أبي[5] الحسن الشبراملسي يقرئ[6] المواهب اللدنية.[7]

قال: "وقرر تقريرات عجيبات[8] في حديث: أول ما خلق الله نور محمد، صلى صلى الله عليه وسلم، الخ، وقرر وجه انقسام ذلك النور وكيفيته، مع أن الحقيقة الواحدة لا تنقسم. وليست الحقيقة المحمدية إلا قسما واحدا من تلك الأقسام والباقي إن كان منها أيضا، فقد انقسمت وإن كان من غيرها فما معنى الانقسام؟ وحاصل جوابه أن معنى الانقسام: زيادة نور على ذلك النور المحمدي فيؤخذ ذلك الزائد ثم يزاد عليه نور آخر، ثم كذلك إلى آخر الأقسام"[9].

قال: "وهو جواب مقنع بحسب الظاهر والتحقيق، والله أعلم وراء ذلك. وذلك إنما يدركه على الحقيقة من عرف معنى قوله {تعالى}[10] ﴿الله نور السماوات وَالأَرْضِ﴾[11]، ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم لما قيل له: "هل رأيت ربك؟" فقال: "نور أنى أراه"[12] كما في بعض الروايات- بفتح همزة أنى، ونونه كلمة استفهام، أو نوراني- بياء النسب آخره، كما في بعضها، وتحقيق ذلك على ما ينبغي ليس مما يدرك ببضاعة العقول، ولا مما تتسلط عليه الأوهام والأفهام، وإنما يدرك بكشف

---

(1) في الأصل تاب، وما أثبت الشيخ الناصري هو الأرجح. / ينظر ماء الموائد ج/1ص /129.
(2) "ساقطة من "ح2".
(3) "ت": سبّب.
(4) ينظر ماء الموائد، ج/1ص/127-128-129.
(5) "ع": أبو
(6) يقرأ عليه، ينظر ماء الموائد، ج/2 ص/145.
(7) "ح1": الدنية، والصحيح ما أثبتناه.
(8) عجيبة، نفسه.
(9) ينظر ماء الموائد، ج/2 ص/ 145.
(10) ساقطة في "ع" وهي موجودة في الأصل.
(11) سورة النور، بداية الآية: 35.
(12) صحيح مسلم، ج: 1، ص: 161، رقم الحديث: 178.

إلهي، وإشراق حصة من أشعة ذلك النور في قلب العبد. فيدرك نور الله بنوره فيكون الحق في الحقيقة هو المدرك لنوره بنوره، ونسبة الإدراك حينئذ إلى العبد مجاز، [173-ب] وأقرب تقرير يعطى القرب من فهم معنى أن يقال: لما كان النور المحمدي هو أول الأنوار الحادثة، التي تجلى بها النور {القديم}[1] الأزلي، وهو أول التعيينات[2]، للوجود المطلق الحقاني[3] وهو لكل نور كائن أو يكون، فكما أشرق النور الأول في حقيقته فتنورت، بحيث صار هو نورا، كما دل عليه قوله عليه السلام في دعاء الأنوار: "وَاجْعَلْنِي نوُراً" أشرق نوره المحمدي على حقائق الموجودات شيئا فشيئا. فهي تستمد منه على قدر تنورها، بحسب كثرة الوسائط وقلتها وعدمها، وكلما أشرق نوره وفاض على نوع من الحقائق ظهر النور في مظهر الانقسام، فقد كان النور الحادث أولا شيئا واحدا، ثم أشرق في حقيقة أخرى فاستنارت بنوره تنورا كاملا، بحسب ما تقتضيه حقيقتها، فحصل في الوجود الحادث نوران: مفيض، ومفاض في نفس الأمر، ليس هناك إلا نور واحد أشرق في قابل الاستنارة فتنور. فتعددت المظاهر والظاهر واحد. ثم كذلك كلما أشرق في محل ظهر بصورة الانقسام. وقد يشرق نور المفاض[4] المفاض[4] عليه أيضا، بحسب قوته على [قوابل أخر][5]، فتنور[6] لنوره،[7] فيحصل فيحصل انقسام آخر، بحسب المظاهر، وكلها راجعة إلى النور الأول الحادث إما بواسطة أو بدونها، وهذا غاية ما يمكن أن تصل إليه العبارة في هذا التقرير"[8].

قال: "ومثلي في قصور باعه، وعدم تضلعه من العلوم الإلهية إن زاد في التقرير خشي على إيمانه. ولولا تأييد الحق جل وعلا ما كنا نقوى؟[9] على أقل من هذا. والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. وأقرب مثال يضرب لذلك- إذ بالمثال تتضح الأشياء بعض الوضوح- نور المصباح الذي ليس في البيت الكبير إلا هو، فتصبح منه مصابيح كثيرة، [ويصبح بعضها من بعض، فليس هناك

---

(1) ساقطة في "ع".
(2) التعينات، ينظر ماء الموائد، ج/2ص/146.
(3) الحقيقي، ينظر نفسه.
(4) "ح1": المفاوض، والصحيح ما أثبتناه.
(5) قابل آخر، ينظر نفسه..
(6) "ح2": تنورت.
(7) بنوره، ينظر نفسه.
(8) ينظر ماء الموائد، ج/2 ص/145-146.
(9) لنهتدي، ينظر نفسه.

في الحقيقة إلا نور المصباح الأول، وقد انقسم إلى مصابيح كثيرة][1]، وهو في نفسه باق على ما هو عليه لم ينقص منه شيء. وأقرب من هذا المثال إلى التحقيق، وأبعد عن الإفهام نور الشمس المشرق في الأهلة والكواكب، على القول بأن الكل مستنير بنوره وليس لها نور من ذواتها. فقد يقال بحسب النظر الأول:[2] نور الشمس منقسم منقسم في هذه الأجرام العلوية، وفي الحقيقة ليس هناك إلا نورها، وهذا قائم بها لم ينقص منه شيء، ولم يزايلها منه شيء، ولكنه أشرق في أجرام أخر قابلة للاستنارة فاستنارت، وأقرب من هذا الفهم: ما يحصل في الأجرام السفلية من إشراق أشعة نور الشمس على الماء أو قوارير الزجاج، فيستنير ما يقابلها من الجدرات بحيث يلمح فيها نور كنور الشمس مشرق بإشراقه،[3] ولم ينفصل شيء من نور الشمس عن[4] محله إلى ذلك. ومن كشف الله حجاب الغفلة عن قلبه، وأشرقت الأنوار المحمدية على قلبه بصدق واتباعه له، [ما فيه][5] بصفاء إيمانه بالله ورسوله من شبه الباطل، أدرك الأمر إدراكا آخر لا يحتمل شكا ولا وهما. نسأل الله تعالى أن ينور بنور العلم الإلهي بصائرنا، ويحجب عن ظلمات الجهل سرائرنا، ويغفر لنا ما اجترأنا عليه من الخوض فيما لسنا له بأهل، بل نحن عن أهله بمعزل، ولم نطف قط بساحته، فضلا عن المنزل، ونسأله أن لا يؤاخذنا بما تقتضيه العبارة من تقصير في حق ذلك الجناب، ناشئ عن القصور في مقام العرفان، ونزول منازل الأحباب. ولقد أجاد كل الإجادة، صاحب" منارات السائرين إلى الله"، لما قرر معنى كون النور المحمدي أصل الموجودات أو لأجله خلقت مع مجيئه آخرا[6]. وضرب لذلك مثلا قريبا إلى الإفهام ببزر[7] الشجرة مع الشجرة والثمرة. فجعل النور المحمدي، الذي هو الأصل، كالبزر والعالم كله شجرة، واللطيفة المودعة في ذلك البزر[8] سارية في جميع أجزاء الشجرة، من أوراق، وغصون، وأزهار: فيه قامت ولولاه ما وجدت، ثم الحقيقة المحمدية

---

(1) هذه الزيادة غير موجودة في الأصل، ينظر نفسه.
(2) "ت": الأولى والصحيح ما أثبتناه حسب الأصل.
(3) "ح1": شراقه والصحيح ما أثبتناه حسب الأصل.
(4) على، ينظر ماء الموائد ج/2 ص 147.
(5) صافية، ينظر نفسه.
(6) "ح2": آخر، والصحيح ما أثبتناه حسب الأصل.
(7) بزر الشجرة: الثمرة اليابسة، غير المتفتحة/ كل حب يبذر (مادة: ب – ز – ر، لسان العرب).
(8) النور، ينظر ماء الموائد ج/2ص 147.

الموجودة بصورتها آخرا، بمنزلة الثمرة، هي عين اللطيفة البزرية السارية[1] في عوالم الشجرة إلى أن ظهرت آخرا على أكمل وجه، مع عوارضه المشخصة. فهي ثمرة الوجود بأسره. ولولاها ما غرست الشجرة. ولأجلها كان غراسها. وهي أصلها وبزرها. وهو مثال حسن قريب من الفهم، وقد جعل صاحب الكتاب المذكور هذا المثال أصلا بنى عليه فصول كتابه كلها، وهو حسن جدا مفيد في بابه، إلا أن فهمه يعسر على غير أهله"[2]. انتهى.

وممن أكرمنا بهذه الديار، واستدعانا لمنزله الشيخ عبد الرؤوف، [174- أ] نقيب كسوة الكعبة المشرفة وهو من خواص أصحابنا شيخنا الشيخ: علي الزعتري، ذهب معنا يوما لداره باستدعائه، وبالغ في الإكرام، والمبرة والاحترام. وحدثنا وباسطنا حسبما يجب وأخبر أن الكسوة تقوم كل سنة باثنين وعشرين ألف كيس، والكيس خمسمائة قرش، والمحمل بسبعة أكياس من أحباسها،[3] وربما يزيد القيم المذكور من عنده من أربعة أكياس إلى ستة. وكان كثيرا ما يبحث عن[4] علم الكيمياء وسر الحروف ليستعين به على ما هو بصدده، وحسبنا أننا نتعاطى من ذلك شيئا، واستعظم كوننا غير معتنين بتلك الحرفة، ولم يعلم أن طريقتنا كطريقة أشياخنا عدم استعمال الأسماء والأوفاق، بل ولا الأذكار، طلبا لفائدتها العاجلة بل ولا الآجلة، في الغالب، وإن كانت حاصلة في ضمن ذلك، والكفاية بالله أولى من التعلق بالآثار، ولله در شيخ شيخنا، القطب الكامل، وارث المقام المحمدي: أبي محمد سيدي عبد الله بن حسين الرقي أنه {قال لما بلغه أن بعضا اتهمه بعلم}[5] الكيمياء: "خدمنا لا لا إله إلا الله حتى وجدنا لها بركة، ومن ظننا بخلاف ذلك فقد ظلمنا".

قلت: ومن أحمق الناس من لم يرض، ولم يرض بقسمة الله تعالى في حاله ومقامه، وصار يتشوق لما لم يقدر له ولا تحمله قواه، غافلا عن تدبير الله إياه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ، وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما يَشاءُ﴾[6].

(1) "ت": السرية.
(2) ينظر ماء الموائد ج2/ص 146-147.
(3) "ت": أكياسها.
(4) "ع": على.
(5) ساقطة في "ح2".
(6) سورة الشورى، بداية الآية/ 25، وتتمتها: ﴿إِنَّهُ بِعِبادِهِ خَبِيرٌ بصيرٌ﴾.

ولقد ذكر شيخنا: أبو سالم، في رحلته، عن الشيخ على الصوفي- وكان ممن يبحث عن هذا الفن- أنه حدثه: "أن بعض من ينتحل علم الأسماء أخبره أنه كان يستعمل دعوة آية الكرسي ويشتغل[1] بها على طريق أهل ذلك الفن. فجاءه روحاني فقال له: "آتيك كل يوم بألف شريفي ذهبا بشرط أن تنفقها كلها ولا يبيت عندك منها درهم واحد". فقال له: "لا أقدر على هذا، فإنه أمر لا يكاد يخفى وأخاف على نفسي إن ظهر ذلك علي من أرباب الدولة، فلو كنت تأتيني كل يوم بشريفي واحد أو اثنين أو عشرة ففيها كفاية لي. "فقال له لا بد من الألف على الشرط المذكور[2] وإلا فلا". ولم يزل يراجعه في الاقتصار على الكفاية حتى أبى عليه فيئس منه وترك قراءة الدعوة"[3].

قال: "وهذا من أعظم دليل على حمق الراغب في الدنيا. فإن الله قد تكفل له بالكفاية، على وجه يرضاه له على قدر حاله ويعلم فيه صلاحه إن رضي، [ ][4] فلو فلو أعطي ما فوق اللائق بحاله لم يستطع. ألا ترى أن[5] هذا المارد إلى حال لا تليق إلا بالملوك، ومن يحاكيهم لم يقدر على ذلك، لأنه فوق طوره. ولو استغنى بالحال التي أقامه الله فيها، فإنه أعلم بشؤونه لاستراح، ولكنه أراد أن يدبر لنفسه حالا، ظن أنه أولى {به}[6] وهو، خلاف مراد الله به، فنبهه الله بما أراه، على أن ما كان يظنه من أن كثرة المال هو اللائق بحاله، ويحسن[7] في الرأي، وغلط في التدبير لعجزه عن القيام به. وهذا رجل ملطوف به. ولولا لطف الله به لقبل ذلك فيكون فيه حتفه قريبا. ولكن نظر[8] بما آتاه الله من نور العقل والحكمة. فعلم أن ذلك لا يتم له، لأنه لأنه على خلاف مقتضى الحكمة الإلهية"[9] انتهى.

(1) ع": يشتغيل والصحيح ما أثبتناه.
(2) "ت": المذكور الشرط.
(3) ينظر ماء الموائد، ج/2ص/148.
(4) لم يدرج صاحب الرحلة الآية: ﴿وَلَوْ بَسَطَ الله الرِّزْقَ لِعِبادَهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ، وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ماَ يَشاَءُ﴾، [سورة الشورى، أول الآية: 25]
(5) "ت": إلى، والمثبت موافق لما في ماء الموائد.
(6) ساقطة في "ح1".
(7) كسر، ينظر ماء الموائد نفسه.
(8) "ف": فطن.
(9) ينظر ماء الموائد، ج/2ص/149.

تنبيه: والكسوة المذكورة إذا كان النصف من شوال أو بعده أو قبله[1]، يخرج المحمل الخروج الأول، فيؤتى بها من دار الصنعة فتضرب سجافة على باب القلعة فتحضر الصناجق كلهم، والولاة، والأمراء، والحكام، والقاضي، كل واحد مع أتباعه ولكل واحد مجلس معلوم في السجافة المضروبة، ومجلس الباشا في الوسط، وعن يمينه مجلس القاضي وكلما أتى واحد من الأمراء وأرباب الدولة جلس في مجلسه المعهود له وقربهم من الباشا بحسب قربهم في مناصبهم. فإذا تكاملوا كلهم، وأخذوا مجالسهم، وصفت الخيل عن يمينهم، صف[2] كل طائفة مع جنسها إلى أن تحيط بالميدان الذي الذي هو أمام مجلس الباشا، وهو ميدان كبير يسع من الخيل الألف[3]، وآخر من يخرج الباشا، فتخرج أمامه طائفة من عسكره بعضهم إثر بعض، إلى ترتيب معلوم، وقانون مضبوط، وآخر من يخرج معه طائفة الشاوشية على أرجلهم، عليهم جلود النمر، وعلى رؤوسهم طراطير طويلة من اللمط، لها ذيول معكوفة بين أكتافهم، وعلى جباههم صفائح من الفضة،، مستطيلة مع الطراطير إلى فوق، مموهة بالذهب، تلمع لمعانا. فإذا خرج هؤلاء خرج الباشا بإثرهم راكبا. فإذا وصل إلى السجافة، قام الكل له واضعين أيديهم على صدورهم حتى يجلس[4]، [174- ب] وكذلك يفعل من تقدم للجلوس من الأمراء مع من يأتي بعده، فإذا جلس الباشا جيء بالجمل الذي يحمل المحمل، وعليه المحمل: وهو قبة من خشب، رائقة الصنعة بخرط متقن وشبابيك[5] ملونة بأنواع الأصباغ، وعليها كسوة من رفيع الديباج المخوص بالذهب، ورقبة الجمل ورأسه وسائر أعضائه محلاة[6] بجواهر منظمة أبلغ نظم، وعليه رسن[7] محلى بمثل ذلك. والجمل في غاية ما يكون من السمن وعظم الجثة، وحسن الخلقة، مخضوب جلده بالحناء، يقوده سائسه وعن يمينه وعن شماله آخر، ويتبعه جمل آخر على مثل صفته. ثم يوتى بالكسوة المشرفة، ملفوفة قطعا قطعا، كل قطعة منها على أعواد شبه السلالم معدة لذلك، يحملها رجال على رؤوسهم، والناس يتمسحون بها ويتبركون. ويؤتى بكسوة باب الكعبة، منشورة على الأعواد وتسمى البرقع، كلها

---

(1) "ت": أو قبله أو بعده.
(2) "ح1": صفا، والصواب ما أثبتناه.
(3) "ت": يسع الألف من الخيل.
(4) هذه الكلمة مطموسة في "ع".
(5) "ف": شبابك.
(6) "ت": محلات.
(7) "ح1": رصن.

مخوصة بالذهب، حتى لا يكاد يظهر فيها خيط واحد بصنعة فائقة، وكتابة رائقة، ثم يمر بكل ذلك بين الباشا، والأمراء، ويقومون لها إذا مرت بهم تعظيما، ثم تخلع[1] على الذين صنعوها بمحضر ذلك الجمع، ثم يذهب بها كذلك حملتها، ويمرون بها في وسط السوق والناس يتمسحون بها حتى يبلغوها إلى المشهد الحسيني، فتنشر في صحن المسجد وتُخَاطُ[2] هناك. قال الشيخ العياشي في رحلته:

"فإذا كان اليوم الحادي والعشرون من شوال، خرج المحمل[3] من القاهرة. وهذا اليوم هو يوم خروج المحمل الكبير، الذي هو من أيام الزينة، ويجتمع له الناس من أطراف البلد. ويؤتى بكسوة البيت [الشريف المعظم المنيف][4]، من موضع خياطتها وتجعل في المحال الذي تحمل فيها. ويجتمع الأمراء والصناجق والجند جميعا على الهيئة المتقدمة في الخروج الأول، إلا أن هذا أتم احتفالا، وأكثر جمعا. فإذا تكامل جميع الأمراء على الوجه المتقدم، وصفت الخيل والرماة[5]، وخرج الباشا، جيء بجميع ما يحتاج إليه أمير الحاج: من إبل، وقرب، ومطابيخ، وخيل، ورماة، وغير ذلك من الأسباب التي تخرج من بيت المال، فيحضر جميع ذلك في ذلك الميدان، كل طائفة لها أمير مقدم عليها (حتى الطباخين والفراشين والسقائين)، ثم يؤتى بالمحمل على جمله المذكور أولا يقوده سائسه، حتى يناول رأس الجمل للباشا، فيأخذه بيده، ويناوله لأمير الحاج، بمحضر القاضي، والأمراء، ومعاينتهم، ثم يناوله أمير الحاج لسائسه فيذهب به. وذلك كله كالشهادة على الباشا بأنه مكن للأمير المحمل وكل ما يحتاج إليه أمير الحاج من ذهابه إلى إيابه. وعلى أمير الحاج بأنه تسلم ذلك، ويشهد على ذلك القاضي، والأمراء، ويكتب بذلك إلى السلطان. فإذا مر المحمل بين يدي الباشا وذهب، جيء بالإبل {يمر بها}[6] بين يديه، بما عليها من القرب، والمطابخ، والآلات، كل طائفة بمقدمها، فإذا مرت الإبل كلها، جيء بالمدافع، وهي: خمس تجرها البغال، ثم جاء الرماة الرجالة من ورائها فيمرون، ثم تأتي الخيل فتمر. فإذا مر

---

(1) "ف": يخلع.
(2) "ت": توخط، والصواب ما أثبتناه.
(3) المحمل الشريف، ينظر ماء الموائد، ج/2ص/153.
(4) ما بين المعقوفتين، ساقط من الرحلة العياشية، ينظر ماء الموائد، ج/2ص/154.
(5) "ع": الرومات والصحيح ما أثبتناه.
(6) ساقطة في "ت".

جميع[1] ذلك[2] بين يدي الباشا، جاء أرباب الوظائف، كل طائفة من مشائخ الصوفية بشيخهم ولوائهم، رافعين أصواتهم بالذكر: كالقادرية، والرفاعية[3]، والبدوية، والدسوقية، حتى السعاة[4] يأتون بشيخهم فيمرون بين يدي الباشا، ويعطيهم ما تيسر، فإذا لم يبق أحد ممن يمر بين يديه، خلع الباشا على أمير الحاج خلعة، وعلى كل أمرائه الذاهبين معه: كالكخيا، والدويرار، وغيرهما، ثم يودعه، وينصرف، ثم يمر بالمحمل وسائر الإبل والعسكر وسط المدينة، والناس مشرفون من الديار والمساجد التي تلي الشوارع، ويتعطل غالب الأسواق في ذلك اليوم"[5].

قال: "أخبرنا أن بعض تلك الديار المشرفة على الشوارع قد تكرى من أول السنة ولا يسكنها مكتريها ولا ينزلها إلا في ذلك اليوم، قصد التفرج[6]، وفي سوى ذلك [اليوم][7] من الأيام تبقى معطلة أو يسكنها غيره. وبالجملة فهذا اليوم عندهم من أعظم أيام السنة، ولا ثاني له إلا يوم كسر النيل عند وفائه، ويقرب منه أيضا يوم قدوم الحاج. فهذه الأيام الثلاثة هي التي يحتفل لها عندهم غاية الاحتفال، ويبتهل أتم الابتهال، فإذا خرج المحمل من الميدان الذي على باب القلعة إلى فضاء الرملة، بقي الكثير من الخيل هناك للعب، ولا يذهب معه إلا المعينون للسفر معه. والرملة فضاء واسع خارج قلعة الجبل، فبه تباع الإبل والخيل[8] وسائر الدواب. وبه يوجد غالبا[9] ما يحتاجه الحاج من الأثاث والأمتعة، [175- أ] وتنصب به- أيام الموسم- أراحي متعددة لتدشيش[10] الفول، يديرها الرجال بأيديهم مع كبرها، وقد أعطوا قوة على ذلك، يطحن {الرجلان}[11] أرادب متعددة في يوم واحد، فتكون[12] بالرملة صبر من الفول المدششة، كل صبرة تزيد على المائة أردب. ومن هناك يكيل غالب

(1) جميع ذلك، ينظر ماء الموائد، ج/2ص/154.
(2) "ح1": الجميع.
(3) "ع": والرافعية، والأرجح ما أثبتناه.
(4) "ع" و"ت": السعات، والصحيح ما أثبتناه.
(5) ينظر ماء الموائد،، ص- ص: 153- 154.
(6) "ف": قصد للتفرج.
(7) زائدة في "ف": وغير موجودة في الأصل.
(8) "ت": تباع الخيل والإبل.
(9) غالب، ينظر ماء الموائد، ج/2ص 155.
(10) "ح1": لتجشيش.
(11) ساقطة في "ح2".
(12) "ت": فيكون.

الحجاج[1] فوهم ويعمرونه[2] هناك في غرائرهم، ويمكنونه للجمالين، فيذهبون به. فلا به. فلا يراه صاحبه إلى المكان المشترط معهم، وهو المويلح في الغالب. وفي الرملة كثير من الحلق المعجبين، يلعبون هنالك في سائر الأيام كأنواع المشعوذين، وأصحاب القرود، ومن ضاهاهم[3] من أصحاب اللعب بأنواع الحيوان: كالدب، والحمير، والتيوس، والكلاب، وبالجملة فأهل مصر لهم ذكاء زائد، وحيل غريبة، قد سخرت لهم أنواع الحيوانات، فقليل من أصناف الحيوانات ما لا يوجد عندهم مسخرا مذللا، فسبحان الذي خلق لابن آدم ما في الأرض جميعا، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[4]. "[5]

قال: "وبطرف الرملة الذي يلي المدينة مسجد السلطان حسن، وهو مسجد لا ثاني له في مصر[6] ولا في غيرها في البلاد، في فخامة البناء، ونباهته، وارتفاعه، وإحكامه، واتساع[7] حناياه، وطول أعمدته الرخامية، وسعة أبوابه، كأنه جبال[8] جبال[8] منحوتة، تصفق الرياح، في أيام الصيف، بأبوابه كما تفعل في شواهق الجبال. وفي أحد أبوابه سارية رخامية لطيفة، يقال إنها من إيوان كسرى، وفيها نقوش عجيبة، يقال إنها على صورتها وضعت أبواب المسجد. قال المقريزي: "لا يعرف ببلاد الإسلام معبد من معابد المسلمين يحكى هذه المرسة، في كبر قالبها، وحسن هنداسها[9]، وضخامة شكلها". قال: "وذرع إيوانها الكبير خمسة وستون ذراعا في مثلها، ويقال إنه أكبر من إيوان كسرى بخمسة أذرع. قال: "ووجدنا ركنا منه قد انهدم، فكأنه طرف جبل قد سقط فملأ ما تساقط منه الشوارع والرحاب التي بإزائه، ووجدناهم مجدين في ترميمه. وقد أخبرنا أنهم أعطوا ستين كيسا من الريال على جمع

---

(1) "ع": الحاج.
(2) "ح1": ويعمرونها.
(3) "ت: ومن ضاهم.
(4) سورة الإسراء، الآية 70.
(5) ينظر ماء الموائد، ج2/ص154-155.
(6) "ت": بمصر
(7) "ت": اتباع والصحيح ما أثبتناه.
(8) "ح2": حبال والصحيح ما أثبتناه
(9) "ت": هندستها.

أنقاضه ورفعها[1] من الشوارع والرحاب لتعاد للبناء ثانيا، فإذا كان هذا أجرة جمع النقض فما بالك بأجرة البناء!" قال: "ولما رجعنا[2] من الحجاز بعد سنة ونصف، وجدناهم قد فرغوا من ترميم ذلك الجناب المهدوم، وبالغوا في إتقان صنعته، ورفع بنائه ليناسب البناء الأول، فكان كما قيل: (البسيط)

يـا بـارِقا بِأَعَـالِي الرَّقْمَتَيْـنِ[3] بَـدَا لَقَـدْ حَكَيْـتَ وَلَـكِنْ فاتَكَ الشّنَبُ

فَرَحِمَ اللَّهُ أَفَاضِلَ المُلُوكِ الَّذِينَ دَرَجُوا، وَالَّذِينَ مِنْ خَلْفِهِمْ عَلَى مَنْهَجِهِمْ نَهَجُوا، لقد خلدوا من المآثر الدينية ما أوجب خلود الثناء عليهم، ووصول الدعاء ممن بعدهم إليهم. ولم يزل أهل المشرق، إلى الآن لهم، فضل اعتناء ببناء المساجد والخانقات، ويبالغون في تعظيمها ويتأنقون في ذلك، ويبادرون إلى إصلاح ما وهى منها. وأما أهل مغربنا، فلا تكاد ترى في مدائنه مسجدا عظيما قد أحدث، بل ولا مهدما قد جدد، أو واهيا قد أصلح، بل لو سقط شيء من أكبر مساجدهم فأحسن أحوالهم فيه، إن كان مبنيا برخام، أن يعاد[4] بآجور وجص، وإن كان مجصصا أن يعاد بطين، بحيث تجد المسجد كأنه مرقعة فقير هندي، من كل لون رقعة. وإلى الله المشتكى. وما أرى ما حل بمغربنا من الوهن إلا بسبب أمثال هذا من عدم تعظيم شعائر الله، ولو في الأمور الظاهرة فضلا عن الباطنة. وقد قيل: إذا أراد الله خلاء بلد بدأ ببيته ثم يتبعه ما سواه، وإذا أراد عمارته[5] فكذلك. ثم يسار بالمحمل[6] على هيئته وتعبئته، حتى ينزل ذلك اليوم بالعادلية، خارج باب النصر[7]، فيقيم هنالك إلى اليوم الثالث والعشرين، فيدخلون من هناك إلى البركة. ويخرج أمير الحاج وجميع عسكره. ويخرج مع الركب، من المشيعين ومن العساكر والأمراء، أضعافهم، فتنصب الأسواق هناك ويخرج غالب الباعة والمتسببين، بحيث يوجد

---

(1) "": ورفعه.
(2) "ع": ولما رجعت.
(3) الرقبتين، ينظر ماء الموائد، ج/2ص/156.
(4) "ح1": يعاود.
(5) "ت": عمارة.
(6) "ع": بالحمل.
(7) القصر، ينظر نفسه.

هنالك ما يحتاج إليه السفر بأرخص من سعر مصر. يقيمون[1] هنالك إلى آخر اليوم اليوم السابع والعشرين"[2].

وممن أكرمنا بهذه المدينة، وجهتنا قبل هذه، واستدعانا لداره وبالغ في الإكرام: الشيخ حسن، نقيب الأشراف. كان، رضي الله عنه، من أهل الخير وممن يحب الخير وأهله [175- ب] ويدل عليه. وله حظ في العلم؛ وله رئاسة كبيرة بمصر. وعنده كتب كثيرة. وهو إلى الآن لم يزل يجمعها ويبحث عنها. وهو حنبلي المذهب، والله أعلم. ذهب بنا لداره، وأحضر كثرة الأطعمة، وذلك ليلة المولد النبوي. جلسنا عنده حتى صلينا العشاء، وبالغ في الإطعام، والتكرمة والإنعام، بما أرجو أن يتقبل الله منه ويثقل به موازينه. وأخرج لنا شربات من السكر والحلو[3]، لما علم أنا[4] لا نتعاطى نتعاطى القهوة التي يستعملها العام والخاص في هذه النواحي المشرقية[5]. وكانت عندهم من أعظم التحف، تغني عن غيرها، ولا يغني عنها غيرها. ونحن لا نعرفها، وليست عندنا بطعام ولا دواء ولا شراب ولا شهوة، والكلام فيها، من حيث الإباحة وعدمها، طويل، عريض، معلوم، شهير، نظما ونثرا. وكان قليل الذرية: ليس عنده إلا بنت واحدة، وقال: "أريد أن تدعو[6] الله لي أن يرزقني ذرية صالحة". وحكيت له ما ما شاع وذاع عن شيخ شيخنا، سيدي عبد الله بن حسين. وقال: "أشهدك أني وعدت عدة، إن فتح الله علي. " وبذل رضي الله عنه، جهده معنا حتى خرجنا من مصر، مع أولي الأمر: فإنهم منعوا الحجاج من الخروج [حتى يبلغ الوقت المعتاد][7] الذي يخرجون فيه، لأجل ما يأخذونه منهم. فوقف معنا في ذلك، وذهب، وجاء حتى خرجنا، وعد الناس خروجنا من قبيل المحال، ولم يعلموا أن الأمر بيد الله تعالى، وهو شديد المحال، الكبير المتعال. ووجدناه في حجتنا هذه توفي، رحمة الله عليه. وكنت جالسا يوم المولد النبوي بدارنا بالقاهرة[8]، إذ أتاني رجل فسلم علي وناولني

(1) "ح2": يقيم.
(2) ينظر ماء الموائد، ج/2، ص/155- 156.
(3) "ت": الحلوا.
(4) "ف": أننا.
(5) "ح1": المشرقة.
(6) "ع": تدعوا.
(7) مطموسة في "ح2".
(8) القاهرة: مدينة بجنب الفسطاط يجمعها سور واحد وهي اليوم المدينة العظمى وبها دار الحكم ومسكن ومسكن الجندن وهي غنية عن التعريف، ينظر معجم البلدان ج4 ص-ص: 341 - 342.

بطاقة وقال لي: "هذه أبيات مدحتك بها، لله تعالى، وأسندت المدحة لمولاها". فأخذتها فإذا فيها ما نصه: باسم الله الرحمان الرحيم، صلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم: (الكامل)

حَدِّثْ عَنِ المَرْعَى الخَصِيبِ ... وَدَعِ التَغَزُّلَ فِي الجَمَالِ الأَرْوَعِ

وَأَنْزِلْ وَلُذْ بِالظَاعِنِينَ وَبُثْهُمْ ... أَشْوَاقِيَ اللاَّتِي مُزجْنَ بِأَضْلُعِي

فَرِيَاض هَاتِيكَ المَعَاهِد أَيْنَعَتْ ... وَالشَّوْقُ أَمْطَرَهَا غَرَائِقُ أَدْمُعِ

فَارْبَحْ غَنَائِمَ مَا تُرِيدُ نَجَازَهُ ... إِذْ أَنْتَ فُزْتَ بِشَمْسِ أُفْقِ المَطْلَعِ

فتُخَالُ[2] ضَوْءَ وَمِيضِهَا وَسَنَائِهَا ... ضَوْءَ العِبَادَةِ عَنْ حَمِيدِ المَشْرَعِ

ذِي النَّسْكِ وَالفِعْلِ الحَمِيدِ أَحْمَد ... ـن نَاصِرٍ سَامِي المَقَامِ الأَرْفَعِ

المَالِكِيِّ الشَّاذِلِيِّ المَغْرِبِيِّ ... اللُّوذُعِيُّ أَخِي النَّوَالِ الأَوْسَعِ

الأَمْجَدِيِّ الأَوْحَدِيِّ الصَّالِح ابْـ ... ـنِ الصَّالِح ابْنِ الصَّالِح المُتَوَرِّعِ

يَا دُرَّ عِقْدِ الأَفْضَلِينَ وَمِنْ غَدَا ... {فَعَلَيْهِ}[3] {فِي}[4] أَحْمدِ[5] المُتَشَرِّعِ[6]

إِذْ فَهِمَهُ الغَازِي بِغَازٍ وَفَضَّلَهُ ... وَعَطَاؤُهُ تَاجٌ بِكَفٍّ مُرَصَّعِ

مِنْ عَبْدِ رَاحِمِهِ وَقُطْبٍ فَخَارِهُ ... وَسَعِيدُهُ فَتْحُ السُّعُودِ المُتَّبَعِ

أَمُهَذَّبُ الأَخْلاَقِ[7] مِصْرُ تَشَرَّفَتْ ... وَأَجَبْتَ يَا مِصْرُ السَّعِيدِ تَمَتَّعِ

خُذْ مِدْحَةً كَعَرُوسَةٍ مِنْ خِدْرِهَا ... جاءَتْكَ تَسْعَى فِي جَمَالِ أَبْدَعِ

أَهْدَاكَهَا عَبْدُ الرَّحْمَانَ الَّذِي ... يُدْعَى بِإِبْنِ العِنْزِلِيسَ بِمُدَّعِ

---

(1) أينع الثمر ينع: أدرك وطاب وحان قطافه.
(2) "ح1": فنحال.
(3) ساقطة من "ح1".
(4) ساقطة من "ع".
(5) "ح1": في أحد.
(6) "ت": المتسرع.
(7) "ت": الإخلاص.

مَـدَّاحُ خَيْـرِ الخَلْـقِ طَـهَ المُصْطَفَـى   أَكْـــرِمْ بِـــهِ مِـــنْ شَافِـــعِ وَمُشَـــفَّعِ

صَلَّـى عَلَيْـهِ مُسَلِّمـاً رَبُّ السَّمـَا   مَـــا سَـــارَ رَكْـــبٌ لِلْعَذِيـــبِ وَلَعْلَـــعِ

وَالآلِ وَالأَصْـحَابِ فِـي مَـرْبا الحَيـَا   حَـدِّثْ عَـن المَرْعَـى الخَـصِيبِ الأَيْنَـعِ

تنبيه

[موقف العلماء من شرب القهوة]

أكثر العلماء مائلون، في القهوة، إلى الإباحة، وترشح قولهم بفعل أكثر الصوفية، مع تورعهم [176- أ] في المطاعم والمشارب، زاعمين أنها تعين على السهر في العبادة، ويستعين بها الطلبة كثيرا في المطالعة الليلية. قال الإمام أبو سالم:

"ولا شك أنها تزيل ما يحصل في الرأس من تدويخ، بسبب السهر[1] وخلو المعدة صباحا. فإذا شربها الإنسان وجد في أعضائه نشاطا، وأحس بخفة في رأسه، وهذا في الغالب لمن اعتادها. وهي مخففة[2] اتفاقا وهاضمة. وصحح بعض العلماء أنها تحرم على من طبعه السوداء، وتكره لمن طبعه الصفراء، وهي نافعة لصاحب البلغم[3]، وغيرها من أنواع المطعومات، كذلك يحرم تناول ما يضرمنها على من علم أنه يضره، ولا يكون ذلك موجبا للحكم بتحريمها. والحاصل أن الشاربين لها فريقان: فريق يشربها في أماكن معدة لذلك، مزخرفة قلما تخلو من لهو وحضور من لا يحل حضوره من الجواري والمرد[4]، فهؤلاء؛ الحامل لهم على شربها اتباع الأهواء والتلذذ بما بما قارنها من الأمور المذمومة، فلا يبعد أن يقال: إنها في حق هؤلاء محرمة لا لذاتها بل لما قارنها. وفريق يشربونها في مساكنهم أو حوانيتهم[5] أو يشترونها في السوق، ويشربونها من غير جلوس مع الفريق الأول، فهؤلاء: الحامل لهم عليها إلفهم لها، حتى إنهم ربما يتضررون ضررا خفيا بتركها [كما يتضرر من ألف الحجامة بتركها، ومن ألف شرب المسهل بتركه][6]، أوغير ذلك من الأمور التي يعتادها الناس، ويحملهم

(1) "ت": [أو].

(2) "ف": مجففة والصحيح ما أثبتناه حسب الأصل.

(3) البلغم: خلط من أخلاط الجسم وهو أحد الطبائع الأربع (قديما)، لسان العرب، مادة (ب، ل، غ).

(4) المُرْد: جمع أمْرَد، وهو الغلام الذي طر شاربه وبلغ خروج لحيته ولم تبد، لسان العرب، مادة (م- ر- ر- د).

(5) "ع": حوانتهم، والأرجح ما أثبتناه، ويوافق ما جاء عند العياشي.

(6) "ت": [ومن ألف شرب المسهل كما يتضرر من ألف الحجامة بتركها، ومن ألف شرب المسهل بتركه] بتركه] والصحيح ما أثبتناه.

عليها أيضا تحصيل المنافع المتقدمة، من الاستعانة على السهر، ومن إزالة التدويخ صباحا، وغالب ما يستعملونها مع طعام خفيف: ككعك أو كسر خبز، فيكفيهم ذلك إلى وقت الغذاء. هذا كله مع خفة المؤونة، إذ بفلس واحد يشرب ما يكفيه من ذلك، مع تيسرها في أي وقت أرادها. ولا يحتاج فيها إلى كبير مؤونة، ولا مقارنة إدام أو ملح أو إبزار أو خضر أوغير ذلك، مما يحتاج إليه غالب[1] الأطعمة. ويزاد على ذلك، وهو أكبر منافعها عندهم، أنها تقوم مقام القرى[2] للضيف، بحيث لا يستحيي أحد في تقديمها للباشا فمن[3] دونه، ويقوم ذلك عندهم مقام ما يتكلفه المرء عندنا من أطعمة كثيرة تبلغ قيمتها، في بعض الأحيان، دينارا فأكثر، ودرهم واحد يقوم مقام دينار لا يكرهه [أحد][4]، بل لو قدم إليه أي طعام لم تكن معه فكأنه لم يقدم شيئا. وإن قدمت هي كفت"[5].

قال: "أخبرني شيخنا الملا إبراهيم بن حسن الكوراني، أن شيخنا الإمام: صفي الدين القشاشي كان يقول: "مما أنعم الله به على أهل الحجاز هذا البن، لأنهم ضعفاء فقراء في الغالب، والناس يقدمون عليهم من الآفاق، والإنسان لا بد له من طعام يقدمه لمن دخل عليه، ولا قدرة لهم على تكلف ذلك لكل أحد يدخل عليهم. وهذه القهوة خفيفة المؤونة، والناس راضون بها- غنيهم وفقيرهم [ورئيسهم ومرؤوسهم، فكانت صيانة][6] لوجه[7] الفقراء [عند ورود أحد عليهم، فلا يبعد أن تكون مستحبة][8] عند أهل الحجاز، لأن اتخاذ الإنسان ما يصون به [عرضه مطلوب شرعا". قال][9] ذلك في معرض المزاح[10]، وقد سئل عن حكمها".[11]

---

(1) "ح1": غالبا.
(2) "ف": القرا.
(3) "ف": ممن.
(4) زيادة في "ف".
(5) ينظر ماء الموائد، ج/1 ص/132-133.
(6) مطموسة في "ح2".
(7) "ت": لوجوه، وهذا يتناسب مع ما جاء عند العياشي.
(8) مطموسة في "ح2".
(9) مطموسة في "ح2".
(10) "ف": المدح، والصحيح ما أثبتناه حسب الأصل.
(11) ينظر ماء الموائد، ج/1 ص/133-134.

قال: "وكلام هذا الشيخ، مع جلالة قدره، وجمعه بين العلم الظاهر والباطن، وكلام غيره من أئمة الطريق، مما يتقوى به قول من قال بإباحتها، لأن المسألة إذا كانت ذات قولين، وكان الصوفية مع إحدى الطائفين، ترجح قولهم، لا محالة، لما رزقوا من صدق الإلهام، ونفوذ البصيرة، مع تأييد الله لهم عند اشتباه الأمور. فيميلون مع الحق أينما مال لدفعهم دواعي الهوى. نص على ذلك غير واحد من الأئمة. وقد شاع وذاع عند كثير من الناس، بل ذكره غير واحد ممن تكلم عليها: أن أول من أحدثها وأخرجها من أرض اليمن الشيخ الولي الصالح، المتفق على ولايته، سيدي علي بن عمر الشاذلي اليمني، وأمر أصحابه بشربها ليستعينوا بذلك على السهر في العبادة، ثم لم يزل أمرها يفشو شيئا فشيئا، ومن بلد إلى بلد، إلى أن آل إلى ما آل بحيث عمت البلاد المشرقية وكثيرا من المغربية، فيحمل منها في كل سنة من بلد اليمن إلى كل أفق من الآفاق، شرقا وغربا، آلاف من الأحمال فتدفع فيها أموال، قلما تدفع في غيرها من التجارات. فيبلغ الحمل منها في مكة، إذا رخص، فوق العشرين ريالة؛ وبمصر: إلى الخمسين؛ وفي البلاد الشاسعة، كإفريقية وبلاد الروم من القسطنطينية وغيرها، فوق المئين. قال لكل جواد كبوة، ولكل صارم نبوة. رأيت بمكة كلاما لابن حجر المكي الهيثمي في إباحة القهوة، بالغ فيه بالثناء، عليها [176- ب] وذكر محاسنها. وكان من جملة ما ساقه مساق الاستدلال على أنها مباحة، وأنها من شراب الصالحين ومعينة على العبادة إن كثيرا من السلاطين والولاة والحكام قد بالغوا في إرادة قطعها والنداء عليها في الأسواق وأن لا تشرب، وإراقتها والزجر عنها بأنواع الزجر ومع ذلك، لم تزد إلا شهرة وشيوعا في البلاد.

فدل ذلك على أنها من شراب الصالحين، وأنه قد شمل نظر مخرجها ومبدعها فلا يقدر أحد على قطعها، أو كلام هذا معناه لطول العهد به"(1).

قال: "وهذا الاستدلال كما ترى ساقط، فإن الدخان الذي شاع في الآفاق أكثر العلماء على تحريمه، وهو الصحيح، إن شاء الله تعالى، لما اشتمل عليه من المفاسد ولا منفعة فيه أصلا. واتفق أرباب القلوب، شرقا وغربا، على التنفير منه وكراهته. ولم يزل الأمراء مجتهدين في قطعه، ومع ذلك، فلا يزداد إلا شهرة. بل الخمر المحرم بالكتاب والسنة والإجماع قد اشتهر في كثير من الأمصار، وعمت البلوى به

(1) ينظر ماء الموائد، ج1، ص: 134.

غالب الأقطار، فالاستدلال بالشيوع وعدم قطع الولاة والحكام على الإباحة لا يخفى ضعفه وبطلانه على من له أدنى معرفة وتمييز من صحيح [الأدلة وباطلها، فكيف][1] فكيف][1] بذلك الإمام اللهم إلا أن يقال لما[2] لم يقتصر في الاستدلال عليه، وضم وضم غيره إليه. فكأنه لم يعتمده دليلا بل ذكره مقويا للأدلة ومستأنسا به، وهو الظاهر من كلامه. ومع ذلك فلا يخفى ضعفه، فإن داعي الهوى، سيما في الأواخر، غالب مع ميل[3] النفوس إلى المطلوب، وضعف داعية الردع من الطالب[4]"[5]. الطالب[4]"[5].

قال: "ومن أحسن ما رأيت من الأسئلة والأجوبة في شأن القهوة نظما، ما اشتملت عليه هذه الأبيات، كتب بها العلامة: رضى الدين محمد بن إبراهيم الحلبي الحنفي، المعروف بابن الحنبلي للشيخ علي بن محمد بن عراق: (الرمل)

أَيُّهَا السَّامِي لِكِلْتَا الذِرْوَتَيْنِ ... بِجِوَارِ المُصْطَفَى وَالمَرْوَتَيْنِ

وَالعَلِيُّ القَدْرُ عِلْماً وَكَذاَ ... عَمَلاً فَوْقَ عُلُوٍّ النِّيرَيْنِ

مَنْ لَهُ فِي الزُّهْدِ بَاعٌ وَيَدٌ ... وَهْوَ فِي بَذْلِ النَّدَى رَحْبُ اليَدَينِ

أَفْتِنِي فِي قَهْوَةٍ قَدْ ظَلِمتْ ... حَيْثُ مَا شِيبَ تَعَاطِيهَا بِشَيْنِ

[مِنْ تَلَهٍ هَالَنَا مَهْيَعُهُ ... وَافْتِرَاقٍ لأَقَاوِيلَ وَمَيْنِ

وَمُرَاعَاةِ[6] أُمُورٍ شَهِدَتْ ... فَعْلَهَا فِي الخَانِ كلتا[7] المُقْلَتَيْنِ

وَحَكَى شُرَّابُهَا أَهْلَ الطِّلاَ ... فَالتَّدَانَى بَيْنَ بَيْنِ الفِرْقتَيْنِ

أَوْدَعُوا ذَا الطِّرْسِ مَا يَرْجُو الفتَى ... أَوْدَعُوا فَالْيَأسُ إِحْدَى الرَّاحَتينِ

فأجابه الإمام ابن عراق: (الرمل)

---

(1) مطموسة في "ح2".
(2) "ت": لعله، والصحيح ما أثبتناه.
(3) "ح1": محامل، والصحيح ما أثبتناه
(4) من المطالب ينظر نفسه، ص 135.
(5) ينظر ماء الموائد، ج1، ص- ص: 134- 135.
(6) "ح2": مراعات.
(7) "ح1": تلك.

أَيُّهَــاَ السَّامِـــي ســـمُوَّ الفَرْقَدَيْـــنِ وَإِمــَامُ العِلْـــمِ مُفْتـِــي الفِرْقَتَيْـــنِ

يَارَضِـــيَّ الّديـــنِ يـــا بَـــحْرَ النّـــدَا مَـــنْ رَجَاكُـــمْ رَاحَ مَمْلُـــوَّ الـــيَدَيْنِ

جَـــاءَنِي مِـــنْكُمْ نـــظَامٌ قـــدْ حَـــكى فـــي نَصُـــوع[1] اللَّفْـــظِ مَسْبـــُوكَ

قُلْـــتَ فِيـــهِ إِنَّ ذِي القَهْـــوَةَ قَـــدْ خَلَّطوهَـــــا بِتَلَّـــــةٌ وَبِمَيْـــــنِ[3]

وَبِمَطْعُـــــــومٍ حَـــــــرَامٍ وَغِنَّـــــــى وَبِرَقْـــصٍ وَبِصَفْـــقِ الرَّاحَتَـــــينِ

وَطَلَبْـــتَ الحُكْـــمَ فِيهَـــا بَعْدَمـــاَ قَـــدْ رَأَيْتُـــمْ مَـــا ذَكَرْتُـــمْ رَأْيَ عَـــينِ

وَجَـــــوَابِي أَنَّهَـــــا حِـــــلٌّ وَلاَ يَقْتَـــضِي مَـــا قُلْـــتُمُ تَـــحْرِيمَ عَيْـــنِ

وَعَلَـــى ذِي الأَمْـــرِ إِنْـــكَارُ الـــذِي شَأْنَـــهَا حَتَّـــى تُصَفَّـــى دُونَ رَيْـــنِ

وَإِذَا لَـــــمْ يَسْتَطِعْـــــهُ دُونَ أنْ يَمْنَـــعَ الأَصْـــلَ فَفِـــعْلٌ مِنَـــهُ زَيْـــنِ

[وَالتَّدَانِـى مِـنْ][4] حِمَاهَـا وَهْـيَ فِي المَـذْكُورِ شَيْنٌ[5] أَيُّ شَـينِ [177- أ]

[وَالصَّـفَا فِـي شُرْبِـهَا مَـعْ فِئـةٍ][6] أَخْلَصُـوا التَّقْـوَى وَشَـدُّوا المِـئْزَرَيْنِ

[ثُـمَّ نَـاجَوا رَبَّهُـمْ جِـنْحَ الـدُّجَى] بِخُشُـــوع وَدُمُـــوع المُقْلَتَيْـــنِ

فَابْتِـــداءُ الأَمْـــرِ فِيهَـــا هَـــكذَا قَـدْ حَكَـوْهُ[7] عَـنْ وَلِـيٍّ دُونَ مَيْـنِ

ذَا جَوَابِـــي وَاعْتِقَـــادِي أَنَّـــهُ فـي اعَتِـدَالٍ كَـعْتِدَالِ الكَفَّتَـيْنِ"[8]

قال: "الإمام ابن عراق، مشهور فضله وورعه، وهو صدر في علماء الحرمين علما وعملا. وجوابه في المسألة هو الحق، إن شاء الله، وإلى مثل ذلك تميل أجوبة

(1) "ت": نصوج.
(2) الفضة، ينظر اللسان، مادة - ل- ج- ن).
(3) المين: الكذب جمع ميون، ينظر اللسان مادة (م، ا، ن).
(4) مطموسة في "ح2".
(5) الشين: العيب والقبح، ينظر اللسان مادة (ش، ا، ن).
(6) مطموسة في "ح2.
(7) "ت": حكاه.
(8) ينظر ماء الموائد ج/1ص/135-136.

كثير من الأئمة: أنها، إذا خلت مما يضاف إليها من المحظورات، فهي في نفسها مباحة، وعلى ذلك عمل كثير من الأئمة في جميع الأمصار التي هي فيها، وربما رأينا من يبالغ في التنفير عنها من الأئمة المتعمقين في الورع، تركا لما لا بأس به حذرا مما به البأس، كما هو شأنهم في غيرها من المباحات التي هي من الفضول[1]" انتهى كلامه.

قلت: وفي الخطاب ما نصه فائدة: ظهر في هذا القرن وقبله يسير شراب يتخذ من قشور البون[2]، يسمى القهوة واختلف الناس فيه فمن متغال فيه: يرى أن شربه قربة، ومن غال يرى أنه مسكر كالخمر، والحق أنه في ذاته لا إسكار فيه، وإنما فيه تنشيط للنفس ويحصل بالمداومة عليه ضراوة تؤثر في البدن عند تركه، كمن اعتاد أكل اللحم بالزعفران والمفرحات[3] فيتأثر عند تركه ويحصل له انشراح باستعماله، غير أنه تعرض له الحرمة لأمور منها: أنهم يجتمعون عليها، ويديرونها كما يديرون الخمر ويصفقون، وينشدون أشعارا من كلام القوم فيها: الغزل، وذكر المحبة، وذكر الخمر، وشربها ونحو ذلك، {فيسري إلى النفس التشبه بأصحاب الخمر خصوصا من كان يتعاطى مثل ذلك}[4]، فيحرم حينئذ شربها لذلك، مع ما ينضم إلى ذلك من المحرمات، ومنها أن بعض من يبيعها يخلطها بشيء من المفسدات كالحشيشة ونحوها[5]، على ما قيل، ومنها أن شربها في مجامع أهلها يؤدي للاختلاط بالنساء، لأنهن يتعاطين بيعها كثيرا. وللاختلاط بالمرد، لملازمتهم لمواضعها، ولسماع الغيبة، والكلام الفاحش، والكذب الكثير من الأراذل الذين يجتمعون لشربها، مما يسقط المروءة بالمواظبة عليه، ومنها أنهم يتلهون بها عن صلاة الجماعة، غيبة بها ولوجود ما يلهي من الشطرنج ونحوه في مواضعها. ومنها ما يرجع لذات الشارب بها، كما أخبرني والدي رحمه الله وحفظه، عن الشيخ العارف بالله تعالى العلامة: سيدي أحمد زروق أنه سئل عنها في ابتداء أمرها فقال:

---

(1) ينظر نفسه ص/136.
(2) "ف": البن.
(3) "ت": الفوحات.
(4) ساقطة من "ت".
(5) "ع": ونحوه.

"أما الإسكار: فليست بمسكرة، ولكن من كان طبعه الصفراء والسوداء يحرم عليه شربها، لأنها تضر به[1] في بدنه وعقله، ومن كان طبعه البلغم[2] فإنها توافقه. وقد كثرت في هذه الأيام واشتهرت وكثر فيها الجدال، وانتشر فيها القيل والقال، وحدثت بسببها فتن وشرور، واختلف فيها فتاوى العلماء وتصانيفهم، ونظمت في مدحها وذمها القصائد، فالذي يتعين على العاقل: أن يجتنبها بالكلية، إلا لضرورة شرعية، ومن سلم من هذه العوارض كلها، الموجبة للحرمة فإنها ترجع في حقه إلا أصل الإباحة" انتهى.

قلت: وهذا هو الحق الذي لا معدل عنه، والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وأكرمنا أيضا بمصر في الحجة قبل هذه سيدي عبد الله بن هاشم، أحد أمراء مكة المشرفة، ذهب بنا لداره، والسيد أحمد بن غالب [كذلك، وفيهما من المحبة مالا يحصى، فالله ينفعهما][3].

وممن اجتمعت به وسررت بالاجتماع به الأستاذ المقرئ الشيخ محمد البقري، وإليه انتهت اليوم بالديار المصرية رئاسة علم القراءات. أتيت لداره سنة عشر، ففرح كثيرا، وأظهر سرورا، فهش وبش، وأمطر مزن محياه وطش، ووجدت ابن عمه الأستاذ الشيخ أحمد يقرأ عليه بالعشر. فلما دخلنا سكت فقلت له: "اقرأ". فاستأذن الشيخ فأبى، وقال له: "دعني أتأنس [بفلان- يعنيني"].[4] فقال له: "يا سيدي هو أمرني أن أقرأ فامتنع". فرغبته أن يأذن له فأذن له فقرأ من حيث وقف: من قوله تعالى: ﴿فَجاَءَتْهُ إِحْداَهُماَ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْياَءٍ﴾[5]، إلى قوله تعالى ﴿لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[6]، بالقراءات العشر. فلما فرغ "ح1: لأنه.

---

(1) "ف": تضره.

(2) ينظر هامش 1، من ص: 163.

(3) مطموسة من "ع".

(4) مطموسة من "ح2.

(5) سورة القصص: أول الآية 25، وتتمتها: ﴿قاَلَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيكَ أَجْرَ ماَ سَقيتَ لَناَ، فَلَماَّ جاَءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ القَصَصَ قاَلَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ القَوْمِ الظاَّلِمِينَ﴾.

(6) سورة القصص، آخر الآية 25.

مما فيها من الروايات، قال له: "حَسْبُكَ نَجَوْتَ مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ. [177-ب]" فسرني هذا الفال وما فيه من التوقيع الحسن، الذي نرجوه لنا ولجميع المسلمين، فاستأذنته في قراءة الفاتحة، فأذن بقراءتها وصدرا من {أول}[1] "البقرة" إلى "المفلحون" بقراءة ورش، فلما بلغت: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[2] قال: "مده، " قلت: يا سيدي إنما أقرأ لورش،[3] وورش لا يمده. " فقال: "اقرأ لغير[4] ورش أيضا. "فقلت: "لا أحسن إلا قراءة ورش فقط".

فطلبت منه الإجازة، فأجازني باللفظ، وأمر تلميذه بكتب الإجازة فكتبها ونصها:

"بسم الله الرحمن الرحيم، وبه أستعين. الحمد لله الذي رفع، بالشريعة المحمدية المصطفوية، للعلماء قدرا، وأدخلهم في حرز الأماني، وأتحفهم بحفظ كلامه وتهانيه، ففازوا بسعادة الدارين، تيسيرا، وتقريبا ونشرا، واختارهم {له}[5] من الأزل بنفسه، وجعلهم من الآمنين بنور أنسه، فحازوا جميع الفضائل، توفيقا وإرشادا ونصرا. أحمده حمد معترف بآلائه، مغترف من بحر جوده ونعمائه، واقف بالذل في باب عطائه، فعمه فضله وإحسانه، تحننا ولطفا وجبرا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تكون لنا يوم القيامة ذخرا، وأشهد أن سيدنا وسندنا ونبينا محمدا عبده ورسوله، [نبي خصه الله][6] بالشفاعة يوم الطامة الكبرى، صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وذرياته صلاة وسلاما دائمين متلازمين دنيا وأخرى، وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

فإن أولى ما تصرفت به الهمم العوالي، وأجمل ما تبذل فيه المهج الغوالي، تعلم كتاب الله وتعليمه، وتفهم أوجه قراءته وتفهيمه، فلذلك رغب فيه أهل العلم الأخيار، واعتنى به أهل الفضل السادات الأبرار، منهم اللوذعي[7] الأديب، والألمعي الأريب،

---

(1) ساقطة من "ف":

(2) سورة الفاتحة، الآية 3.

(3) "ف": بورش.

(4) "ف": بغير.

(5) ساقطة من "ع".

(6) مطموسة من "ح2".

(7) "ع": اللودعي.

سلالة الأولياء والصالحين، العالم، العامل، المسلك، ولي الله تعالى: سيدي أحمد بن محمد بن محمد بن ناصر لطف الله بنا وبه، ونفعه ونفع به، جاء إلي، وقرأ علي، من طريقة ورش، من أول القرآن إلى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾.[1] وقد أجزته، بما قرأ علي وبما بقي من القرآن العظيم، إجازة بشرطها المعتبر، عند علماء الأثر، أن يقرأ ويقرئ في أي مكان حل، في أي قطر حل، من أراد قراءته إفرادا، غفر الله له بها أوزاره، وأعلا له في الدنيا والآخرة منارة. وأخبره[2] أني أخذت القراءة عن العارف بالله تعالى الشيخ: عبد الرحمان اليمني، والشيخ: عبد الرحمان اليمني أخذ القراءة عن والده الشيخ: شحادة، عن الناظر[3] الطبلاوي، عن شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري، عن شيخه رضوان العقبي، عن شيخه الشمس ابن الجزري، عن شيخه محمد، إمام جامع الأزهر، عن شيخه ابن اللبان، ومشائخ كثيرة ذكرها في النشر عن الشيخ أحمد صهر الشاطبي، عن ولي الله أبي القاسم الشاطبي وبقية السند إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، مذكور في النشر والتيسير وغيرها. والنبي صلى الله عليه وسلم أخذ عن جبريل، عن اللوح المحفوظ، عن رب العزة، جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه. قال ذلك بفمه، وكتبه عنه بإذنه، أفقر عباد الله وأحوجهم إلى عفوه ومغفرته، محمد بن قاسم ابن إسماعيل البقري بلدا، الشافعي مذهبا، الأشعري اعتقادا، الصوفي محبة ونسبة، مسبحا، مهللا، مكبرا، مصليا، مسلما، مستغفرا. حرر ذلك وكتبه يوم السبت المبارك، السابع عشر صفر من شهور سنة ألف ومائة وعشرة من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والله أعلم".

وذكر لنا أن من أراد أن يقدم لحاجة وأراد قضاءها، أنه يكتب على خنصر يده اليمنى محمدا[4] وفي إبهامها دحطة- بالدال والحاء والطاء المهملات والتاء المثناة من فوق، ويذهب إليها فإنها تقضى، بحول الله وقوته.

وأفادنا أيضا أن من قرأ سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ إلى آخرها ثم يقول: "سبحان الله {العظيم}[5] ملء الميزان، ومنتهى العلم، وعدد النعم، ومبلغ الرضى، وزنة العرش،

---

(1) سورة البقرة، آخر الآية 4، وأولها: ﴿أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾.

(2) "ت": وأخبرنا.، والصحيح ما أثبتناه.

(3) "ت": الناصر.

(4) "ح2": محمد

(5) ساقطة من"ف".

فإن الله يكتب له من الأجر قدر ما بين حروف ﴿إِذاَ زُلْزِلَتِ﴾ إلى أول القرآن، ويمحو عنه بقدر ذلك من السيئات، ويرفع له بذلك درجات".

وعنه أيضا من وضع يده على جبهته وقرأ: "يا مبدئ يا معيد، ثلاث مرات، ذكرني ما نسيت". فإنه يتذكر الشيء الذي نسيه".

وعنه أيضا: "تكتب الفاتحة أحرفا مقطعة، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. وهذه الأحرف ف ج ش ث ظ[1] خ ز، بماء ورد وسكر ويشربها، فإنها تزيل جميع ما في الإنسان من الأوجاع.

وعنه أيضا: (مجزوء الرجز)

لاَ تَعْتَــرِضْ مَــنَ تَــرَا هُ تــكْتَبْ مــنَ الأَحْبـاَبْ

وَاحْـــذَرْ تــكَنْ منْكــراً تـطْرَدْ عَنِ الباب [178- أ]

أَهْـلُ الــوَلاَءِ فِـي الــوَرَى أَخـــقاهمُ الوَهَّـــابْ

كَليلــةِ القَــدْرِ أَخْـــفاهــا عـــنِ الُطــلاَّبْ

وقال هذان البيتان لسيدي عبد الوهاب الشعراني من الملحون، ولم يقل منه شيئا سوى هاذين البيتين.

(1) "ف": ك.

[زيارة مزارات مصر]

وزرنا، بمصر، غالب ما بها من المزارات[1] بالقرافتين الكبرى والصغرى، من أئمة الإسلام وعلماء الدين، وما بداخل المدينة كذلك. ومن أجل المزارات وأعظمها بركة ونجحا، المشهد العظيم، المحتوي على جماعة من أهل البيت- رجالا ونساء- أشهرهم السيدة نفيسة[2] الطاهرة، وإليها ينسب المشهد، وبها يعرف. وعليه بناء عظيم، وبإزائه مسجد وبيوت تسكن، قلما تخلو من زائر وراغب إلى الله في كشف كربه. وقبرها معروف بإجابة الدعاء، فهو ترياق لنيل كل مراد كقبر ابن عمها موسى الكاظم ببغداد. وهي السيدة نفيسة بنت الأمير حسن بن يزيد بن علي بن الحسين، دخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق. وكان الإمام الشافعي يصلي بها التراويح في رمضان، رضي الله عن جميعهم. وزرنا أيضا قبر الإمام الذي لا ينبغي لأحد دخل مصر أن يهمل زيارته، إذ هو صاحب التصريف التام بمصر ورئيس الأئمة، وشيخ مشايخ الأمة، محمد بن إدريس الشافعي[3]، رضي الله عنه. وعليه بناء عظيم، ومسجد، وخانقات، وقوم من الفقراء يسكنون هناك، وقيم المشهد لا يفارقه ليلا ولا نهارا، وهو من المشاهد الكريمة، والمآثر العظيمة، له أوقاف كثيرة ويتخذ عند قبره كل ليلة سبت مولد يجتمع فيه ناس كثيرون، يضيق بهم المسجد وأفنيته، ما بين فقراء، وأمراء، رجال ونساء، يبيتون، طول الليل، بين ذكر بجماعة، وقراءة قرآن، وصلاة، لا يفترون إلى طلوع الفجر، وذلك دأبهم أبدا في كل ليلة سبت. ولا يخلو ذلك المجمع من جماعة من الصالحين. فقد ذكر سيدي: عبد الوهاب الشعراني أن جماعة من الأولياء يحضرون كل يوم لزيارة الإمام الشافعي، رضي الله عنهم، [وهو

---

(1) "ع": المزارة.

(2) السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، عالمة بالتفسير والحديث، ولدت بمكة سنة 145، ونشأت بالمدينة وانتقلت إلى القاهرة فتوفيت بها سنة 208 هـ. ترجمتها في وفيات الأعيان ج5 ص 423 - غربال الزمان ص 198 - أعلام النساء ج5 ص 187.

(3) (150هـ - 204هـ)، محمد بن ادريس بن العباس القرشي الحجازي أحد الأئمة الأربعة إليه تنسب الشافعية. من تصانيفه: المسند في الحديث، أحكام القرآن، اختلاف الحديث، الخ ينظر معجم المؤلفين ج3 ص 116 وطبقات الشافعية كلسبكي ج1 ص 293.

حقيق بذلك وجدير][1]، فإنه بالمحل الذي لا يدرك علما، وعملا، وحالا، وفتوة، وحسن أخلاق، وزكاء أعراف، ونصرة للدين وحماية له، باذلا في ذلك نفسه وماله وجاهه. فقد اتفق العلماء على أنه ليس في أصحاب مالك، رضي الله عنه، أثبت ولا أعلم ولا أفقه من الإمام الشافعي، {كما اتفقوا}[2] [على أن ليس في مشايخ الإمام الشافعي أجمع للخصال المذكورة][3] من الإمام مالك بن أنس، رضي الله [عنه و][4] عن جميعهم، وما علم من تعظيم كل واحد منهما للآخر وثنائه عليه، يدل على أنهما عالما الأمة، وناصرا السنة، وشيخا المشرقين والمغربين، وقمرا سماء الكتاب والسنة المنيرين. فالعلماء في كل قطر من بعدهما عيال عليهما، فهما فارسا رهان، وقطبا فلكي الإتقان، وإن انفرد الإمام مالك، رضى الله عنه، بفضيلة السبق، ورتبة الأستاذية، وسكنى المدينة ودار الهجرة والسنة إلى أن مات، فللإمام الشافعي، أيضا، مزايا كثيرة، ومآثر شهيرة، استحق بها أن يشهر ويذكر، خصوصا شريكيهما في تقرير المذاهب وحيازة التشريف باسم الأئمة بالغلبة- وذلك من أعظم المواهب- الإمام الأعظم: أبي[5] حنيفة، وناصر السنة: أحمد بن حنبل. فكلهم على هدي من ربهم، ومهتدى حقا من اهتدى بهديهم، فرضي الله عنهم وعن سائر العلماء الأجمعين، وجعلنا لمناهجهم السديدة[6] من خيار المتبعين.

وزرنا، أيضا، الإمامين الشهيرين، الشامخين، الهمامين، الحاملين لراية مذهب الإمام مالك، السالكين في ذلك أحسن المسالك: راوية المذهب عبد الرحمان بن القاسم[7] وحاميه وناصره أشهب[8]، رضي الله عنهما، وقبراهما متجاوران يستجاب

---

(1) مطموسة في "ح2".
(2) ساقطة من "ح1".
(3) مطموسة في "ح2".
(4) زائدة في "ف".
(5) "ف": أبا والصحيح ما أثبتناه.
(6) "ت": السعيدة.
(7) هو أبو عبد الله عبد الرحمان بن القاسم العتقي، المصري، كان أعلم الناس بأقوال الإمام مالك. توفي سنة 191هـ بمصر. وفيات الأعيان ج3 ص 129 - البداية والنهاية ج10 ص 206 - العبر ج1 ص 138 أعلام الزركلي ج4 ص 108.
(8) هو أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسي العامري الجعدي، فقيه الديار المصرية في عصره، ولد سنة 145هـ، وصحب مالكا. قال عنه الشافعي: ما أخرجت مصر أفقه من أشهب. لولا طيش فيه قيل اسمه مسكين، وأشهب لقبه، توفي بمصر سنة 204هـ. وفيات الاعيان ج1 ص 238 - العبر ج1 ص 270 - البداية والنهاية ج10 ص 255 - أعلام الزركلي ج1 ص 333.

الدعاء عندهما، مجرب. وذكر الإمام أبو القاسم القشيري، رضي الله عنه، في رسالته، أن من وقف بين قبريهما وقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[1] مائة مرة، ثم استقبل القبلة ودعا، أجيب دعاؤه. وبإزائهما قبور كثيرة لمشايخ الأمة، رضى الله عنهم.

وزرنا بائع نفسه في مرضاة الله، المجاهد في سبيل الله: عقبة[2] بن نافع[3]، الصحابي، رضي الله عنه، {وعليه بناء عظيم ومسجد [178- ب] كريم. وزرنا أبا الفيض، ذا النون المصري، وشيخ المشتهرين بحب الله، لسان المحبين: أبا حفص، عمر بن الفارض[4]، رضي الله عنه}[5]، وقبور السادات بني الوفاء، مناهل الصفاء [و][6]، [و][6]، مشائخ العارفين: الإمام تاج الدين بن عطاء الله[7]، صاحب الحكم، والإمام والإمام شرف الدين البوصيري[8]، وإمام المحققين: ابن أبي جمرة. وتلوه في المعارف والعوارف: ابن الحاج صاحب المدخل، وغير ما ذكر[9] من المشايخ، لو تتبعنا ذكر أسمائهم لطال الكلام ولا نستقصيهم.

وزرنا قبر الشيخ: أبا عبد الله المغاوري، على حرف الجبل، مشرف على القرافة كلها. وبالجملة، ففضل القرافة، وما اشتملت عليه من المزارات، أشهر من أن يذكر، وأظهر من أن يشهر: وقد ورد في الآثار أنها بقعة من الجنة. ولذلك أمر الإمام عمر

---

(1) سورة الإخلاص، الآية /1.

(2) عقبة بن نافع الفهري، قائد، فاتح، ولاه عمرو بن العاص أفريقيا ففتح كثيرا من البلدان حتى وصل إلى إلى البحر المحيط، مات سنة 63 هـ، الاستقصا ج1 ص 36 - أعلام الزركلي ج4 ص 241.

(3) "ت": عامر.

(4) ابن الفارض هو الشيخ أبو حفص عمر بن الحسن بن المرشد بن علي الحموي الأصل المعري المولد المولد والدار والوفاة. كانت ولادته 4 ذي القعدة 576 هـ بالقاهرة وتوفي بها يوم 2 جمادى الأولى سنة 632 هـ. ودفن بالقرافة حسب وصيته. قال الشعراني أنه أحد مشاهير الأولياء وأكابر العارفين. وقال المناوي في طبقاته وهو الملقب بسلطان المحيين وأنه سيد شعراء عصره، سلك طريق الصوفية واشتغل بفقه الشافعية. ينظر: طبقات الشعراني، وطبقات المناوي، وديوان ابن الفارض.

(5) ساقطة من "ت".

(6) زيادة في "ت".

(7) ابن عطاء الله، أصله من الاسكندرية، قطن مصر، له كتاب " التنوير في إسقاط التدبير " و" حكم ابن عطاء" مات سنة 709 هـ ودفن بالقرافة، ينظر: طبقات الشعراني، وطبقات المناوي.

(8) البوصيري: إمام أئمة المديح صاحب البردة التي نال بها شرف الإمامة في هذا المضمار. وهو مدفون بالاسكندرية، وينتهي نسبه إلى قبيلة صنهاجة بالمغرب. ومات حوالي 695 هـ. ينظر: شذرات الذهب ج5 ص 432 - والأعلام ج6 ص 139.

(9) "ف": وغير ذلك.

بن الخطاب رضي الله عنه بجعلها مقبرة للمسلمين قائلا: "لا أعلم تربة الجنة إلا مقابر المسلمين". فرضي الله عنه. ما أصدق فراسته! وأجل إمامته!

وزرنا تربة المجاورين، ومن اشتملت عليه من الأئمة المحققين، العلماء العاملين. وسمي هذا المكان بتربة المجاورين: لأنه قريب من الجامع الأزهر وبه يدفن غالب أهله والمجاورين له، بل الأماكن القريبة من الجامع كلها تسمى حارة المجاورين، إذ لا يسكنها، في الغالب، إلا العلماء والغرباء والفقراء. وقل أن تجد بازائه دار سنجق[1] أو أحد أرباب الدولة، لضيق المحل، وهم يريدون السعة والقرب من القلعة التي هي محل الباشا وأكابر دولته، وزرنا، كذلك، غالب من بالقرافة الصغرى من الصالحين: فزرنا قبر خليل، رضي الله عنه، وقبر شيخه الشيخ عبد الله المنوفي، وهما في مكان واحد بقربهما تربة الأئمة اللقانيين.

وزرنا، أيضا، قبر "السلطان المرحوم، الملك المعظم، المهاب، العدل، المعدود من الأولياء الأتقياء، كما ذكر غير واحد من الأئمة، السلطان قايتباي، رضى الله عنه وأرضاه ونفعنا به وببركاته، وعلى قبره بناء عظيم، وبإزائه مسجد متقن ومحلات[2] لسكنى الفقراء ولقيّم القبر، وهو لا يخلو من عمارة."[3]

و: "عند رأس القبر حجر مبنى عليه بناء حسن فيه أثر قدمين، شاع عند الناس أنهما قدما النبي، صلى الله عليه وسلم. وهناك حجر آخر فيه أثر قدم أخرى يقال أنها قدم الخليل، والناس يزورونها، ويذكرون أنها من الذخائر التي ظفر بها قايتباي[4] أيام سلطنته، فجعلت عند قبره رجاء بركتها، ولا يبعد ذلك فقد كان ملكا ملكا عظيما، عدلا، موقرا، مهابا، محببا إلى الخلق، ذا سيرة حسنة في الرعية، واجتهاد في عبادة ربه، إلا أنا لم نر من نص على أنه ظفر بشيء من هذه الآثار من المؤرخين، بل قد ذكر [جماعة من حفاظ المحدثين][5] أن ما استفاض واشتهر خصوصا على ألسنة الشعراء والمداحين، أن رجل النبي، صلى الله عليه وسلم،

---

(1) "ت": صنجق والصحيح ما أثبتناه. والسنجق هو اللواء.
(2) "ت": محل.
(3) ينظر ماء الموائد ج1، ص: 131.
(4) قايتباي: توفي سنة 904 هـ / 1499 م، هو محمد بن قايتاباي (ناصر الدين) فاضل، له إثبات الدلالات على نصرة الملك الناصر، ينظر معجم المؤلفين ج3، ص: 600.
(5) مطموسة في "ح2".

غاصت في الحجر، لا أصل له. ولم يذكر أحد أن أثر الخليل عليه السلام موجود في غير حجر المقام."[1]

قال شيخنا العياشي في رحلته: "وبالمدينة المشرفة ومكة والقدس آثار يقال إنها آثار بعض أعضاء النبي، صلى الله عليه وسلم، من: قدم، ومرفق، وأصابع، والله أعلم بصحة ذلك؛ ولكن لم يزل الناس منذ أعصار يتبركون بها، من العلماء، والصلحاء، ويقتفي الآخر منهم الأول."[2]

وقال: "فلأجل ذلك، لما دخلنا إلى مزار السلطان المذكور، صب القيم على الأثرين شيئا من ماء الورد. فغمسنا فيه أيدينا، ومسحنا به على أوجهنا ورؤوسنا وأبداننا، رجاء البركة بحسن النية وجميل الاعتقاد، لأن المنسوب إليه ذلك عظيم، ورائحة النسبة، مع حسن النية، كاف في ظهور الأثر وحصول المرام. ولم يزل الناس يتعرفون البركة وإجابة الدعاء في الأماكن المنسوبة إلى الأنبياء والأولياء والعلماء، ولو لم تصح النسبة، فما بالك بما نسب إلي سيد الوجود فالكل في الحقيقة إليه منسوب إذ هو أصل الموجودات، وسر المشهودات، فأي محل كان مظهرا لبعض كمالاته بالفعل أو بالقول[3]، أو بمجرد النسبة، مع أصل النسبة الحقيقية، عمته البركة وغشيته الرحمة؛ يدرك ذلك بالذوق أربابه، ويتعرفه بالبصيرة النورانية أصحابه، والله المسؤول أن يمدنا بمدده الساري في أسرار محققي أتباعه، وينظمنا في زمرة حزبه وأشياعه، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين"[4] انتهى كلامه.

ومن يوم خروج المحمل، شمر الناس على ساق الجد في التجهيز للسفر باتخاذ الزاد وشراء الإبل أو كرائها، وأزيحت العلل، وكان الناس قبل ذلك في سعة من أمرهم، ويقدم الجمالون من الصعيد والأرياف طالبين الكراء. واختلفت رغبات الناس في ذلك: فمن مائل للكراء، ومن مائل للتدرب بإبله.

فمن أراد إراحة بدنه وتعب قلبه والخصومة [179- أ] آناء الليل وأطراف النهار، اكترى. ومن أراد سلامة قلبه ودينه والمخاطرة بماله، اشترى إبله، ثم يأتي عرب

(1) ينظر ماء الموائد ج1، ص: 131.
(2) ينظر نفسه.
(3) القول: ينظر ماء الموائد ج/اص/132.
(4) ينظر نفسه، ص- ص: 131- 132.

الدرب للكراء على حمل الفول من مصر إلى المويلح. ومن أراد المخاطرة فلا يكتري شيئا، ويشتري في كل بندر[1] ما يحتاج إليه. إلا أنه ربما يقل في بعض الأحيان فيشتري[2] في بعض المحال غاليا، وغالب الأوقات يكون الأمر متقاربا في الشراء والكراء، وربما كان الشراء أرخص من الكراء.

قلت: وفي وجهتنا هذه، كان الشراء أرخص بكثير. والتقى الناس من رخص الأسعار، في جميع البنادر، ما لم يخطر لهم على بال، وكاد أن يعد من المحال. وكذا في الحرمين الشريفين، فسبحان من بيده الأمر كله، يفعل في ملكه ما يشاء، تبارك وتعالى، هو أرحم الراحمين. ولا يقطع الكراء مع واحد من عرب الدرب، حتى يأتي عريفهم لأمير الركب، فيتقاطع معه في الكراء. ويعطون له حملا هناك بمصر، لئلا يغدروا، وربما غدروا في بعض السنين، فيغلى الفول في بعض البنادر، فيكابد الناس لذلك ما الله به عالم.

فإذا كان اليوم الحادي والعشرون من شوال، خرج المحمل من القاهرة. وهذا اليوم، هو يوم خروج المحمل الخروج الكبير الذي هو من أيام الزينة، ويجتمع له الناس من أطراف البلد إلى أن ينزل خارج باب النصر بالعادلية. فيقيم هناك إلى اليوم الثالث والعشرين، فيرحل من هناك إلى البركة. ويخرج أمير الحج وجميع عسكره، ويخرج مع الركب من المشيعين، ومن العساكر والأمراء أضعافهم، فتنصب الأسواق هنالك، فيخرج غالب الباعة والمسببين بحيث يوجد هناك ما يحتاج للسفر بأرخص من سعر مصر. ويقيمون هنالك إلى آخر اليوم السابع والعشرين. وأما المغاربة فلا يخرج منهم إلا من قصده الذهاب مع المصري، موثرا مشي الليل على مشي النهار، مستسهلا مشقة السهر بالليل على حر النهار- سيما في أيام الصيف. وإنما يوثر ذلك غالبا صنفان من الناس: أهل الثروة والقوة من الناس الذين لهم شقاذف[3]، ومحامل، وهوادج، ينامون فيها بالليل على ظهور الإبل ويصبحون بالنهار كأنهم مقيمون. ولا شك أن هذا أولى لهم من السير نهارا، إذا أوطنوا نفوسهم على بذل الدينار[4]

(1) البندر: مرسى السفن في الميناء (فارسي). ويطلق الآن على البلد الكبير، يتبعه بعض القرى، ينظر اللسان مادة (ب، ن، د).

(2) "ح1": فترى والصحيح ما أثبتناه.

(3) "ح1": شقانف والصحيح ما أثبتناه. شقاذف: جمع شقذف وهو مركب أكبر من الهودج، يستعمله العرب، وكان يركبه الحجاج إلى بيت الله الحرام، ينظر اللسان، مادة (ش، ق، د، ف).

(4) "ف": الدنيا.

والدرهم للجمال، والعكام،[1] والسقاء، والطباخ، وقائد الإبل وغيرهم؛ وهم في ذلك متعاطون من النوم على ظهور[2] الإبل ما تأباه الشريعة السمحة المبنية على الرحمة والشفقة[3]. والصنف الآخر: الفقراء الذين لا إبل لهم ولا أمتعة، فيسترفقون عند المصري بالماء المسيل في أوقات من الليل وعند الرحيل نهارا، مع ما ينالهم من أهل الثروة من التصدق بفضل الأطعمة. إلا أنهم يكابدون مشقة عظيمة في المشي والسهر ليلا، وفي النهار يشتغلون بالسعي على ما يفوتهم: فلا يكادون ينامون إلا قليلا. وأما المتسوقة والباعة والجمالون من فلاحي مصر فلهم قوة وفرط على مكابدة أعظم من ذلك: فبالليل يسيرون، وبالنهار يعملون في البيع، والشراء، والسقي، والطبخ، وعلف الإبل، وإصلاح أقتابها[4]، ومداواة جراحاتها، فلا يكادون ينامون حتى القليل.

قال شيخنا أبو سالم: "وقد أخبرنا عن بعض من اعتاد السفر في درب الحجاز من الجمالين أنه لم ينم من يوم خرج من مصر، إلى أن رجع إلى مصر، مائة يوم، وهذا كالمحال عادة، فإن صح، فهو من أغرب الغرائب، ولعله كان لا يضطجع للنوم على هيئة القاصد لذلك، بل يغفى إغفاءة تارة على ظهر بعير، وتارة في وقت انتظار حاجة، أو فراغ من أكل أو ما يضاهي ذلك، فإن كان مثل هذا فلا يستبعد"[5] انتهى.

وأما من لم يقصد الذهاب مع المصري من المغاربة، فلا يخرجون إلى اليوم السابع والعشرين من شوال، وينزلون بالبركة، عند رحيل الركب المصري أو قبله بقليل.

قلت: وهكذا كانت العادة: وقد يؤخرون، في هذه الأواخر بحسب تجهيزهم وتهيئة زادهم وما يحتاجون إليه، لمسافة الدرب أمامهم، والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(1) العكام الذي يعكم الأعدال على الدواب ونحوها، ينظر اللسان مادة (ع، ك، م).
(2) "ف": ظهر.
(3) "ف": على الشفقة والرحمة.
(4) أقتاب جمع قتب وهو الرحل الصغير على قدر سنام البعير، ينظر اللسان مادة (ق، ت، ب).
(5) ينظر ماء الموائد ج2، ص: 157.

[ذِكْرُ خُرُوجِناَ مِنْ مِصْرَ إِلىَ دَرْبِ الحِجَازِ]
[وَماَ فِي أَخْبَارِهِ مِنْ حَقِيقَةٍ وَمَجَازٍ]

لما كان يوم الاثنين السابع والعشرون[1] من شوال، عزمنا على الرحيل على العادة، وإذا بركب التوارك نازل مصر، أتانا أميره ورغب منا الإقامة يوم الاثنين ليتأهبوا أهبتهم. فرأيت ذلك كالواجب علينا خشية أن يعوقوا عن الأركاب فيقتطعون دونها [فيفوتهم الحج. وأقمنا لهم][2]، وسبق {من لا خبرة}[3] لهم بالإقامة من ذوي الخفة للبركة مع الركب التونسي،[179- ب] ولم يقيموا. ثم ارتحلنا يوم الثلاثاء، ونزلنا المسبك خارج باب النصر، لتدنو الدار، ويقرب الرجوع للمدينة؛ لقضاء ما عسى أن ينسى من الأوطار. والطريق كلها من مصر إلى البركة كأنها سوق واحدة من كثرة الذاهب والجائي، كثرة الباعة لأنواع الطعام على الطرقات. وبات الركب هنالك، في حر[4] شديد يتملون[5] من رؤية النيل وشرب مائه. ويتمتعون بشميم عراره وطيب غذائه. وقد مزجوا حلاوة ما به يتمتعون، بمرارة ماله من شدائد الدرب يتوقعون، وباتوا يثيرون الرواحل وينيخونها، ويشدون عليها أقتابها ويرخونها، ويرتبون الأمتعة في الغرائر. وقد شقت منهم خوف هجوم الرحيل العَرَائِر[6]، وتلك الليلة عند الحجاج إحدى الليالي المشهورة، وبالقصر وعدم انشراح الصدر مذكورة. وكأن الدرب أمامهم عدو لا يرحم، وبحر لا يقتحم، يترقبون[7] مزاولته عند الصباح، ومبادرته بالكفاح، وإنه لكذلك، لولا ألطاف الله الخفية فيما هنالك. فودع الناس أصحابهم، وفارقوا أحبابهم، ووطنوا أنفسهم على مقاساة[8] درب الحجاز، وما يبديه من إذلال وإعزاز،

(1) "ح1": السابع والعشرين.
(2) مطموسة في "ح2".
(3) ساقطة من "ت".
(4) "ف": صر 3.
(5) "ف": يُثْمِلُون.
(6) "ع": المدائر/ "ت": الغرائز.
(7) "ح1": يرقبون.
(8) "ع": مقاسات.

إذ فيه تضيق الأخلاق، وتتفرق الرفاق، وتنحل {النياق}[1]، وينحل وثاق الإنفاق، الإنفاق، ويتسلط الجمال والعكام[2] على الحجاج، ويذلون لهما كما ذل أهل الكوفة الكوفة للحجاج، ولله در القائل وهو العلامة الصلاح الصفدي[3]: (الكامل)

دَرْبُ الحِجَـازِ مَشَقَّـةٌ لَكِـنْ إِذَا الـ ... جَمَّـالُ هَـانَ تَسَاهَلَـتْ أَهْوَالُـهُ

أَصْبَحْتُ فِي تَصْرِيفِ جَمَّالِي عَلَى ... مَـا يَشْتَهِي فَكَأَنَّنِـي جَمَّالُـهُ

قَدْ كَانَ خَفَّ عَلَى فُؤَادِي لَوْ غَدَا ... منْ فَوْقِ ظَهْرِي فِي السُّرَى أَحْمَالُهُ

وَيَكُونُ طَوْعِي فِي الَّذِي أَخْتَارُهُ ... لَكِـنْ قَسَـا وَتَضَاعَفَـتْ أَثْقَالُـهُ

وقال أيضا في المعنى: (الكامل)

دَرْبُ الحِجَـازِ مُبَـارَكٌ لَكِنَّـهُ ... يَحْتَـاجُ صَبْـراً زَائِـدَ الإِجْمَـالِ

وَغُبُونُـهُ شَتَّـى وَلاَ مِثْـلَ الَّـذِي ... أَصْبَحْـتُ أَلْقَـاهُ مِـنَ الجَمَّـالِ

وقال أيضا: (الوافر)

غَـدَا سَفَرُ الحِجَـازِ كَمَـا تَـرَاهُ ... لأَخْـلاَقِ الـرِّجَالِ بَـدَا مِحَكّـاً

فَكَـمْ مِـنْ صَاحِبٍ أَمْسَـى عَـدُوًّا ... بِـهِ وَصَحِيـحِ وُدٍّ قَـدْ تَشَكَّـى

وَجَمَّـالٍ جَمِيلُـكَ لاَ يَـرَاهُ ... وَعَكَّـامٍ أَتَـى مِـنْ أَرْضِ عَكَّـا

كَمَـا أَنَّ المُقَـوَّمَ فِـي اعْوِجَـاجٍ ... وَحِيـنَ تُقِيمُـهُ[4] يَنْـدَكُّ[5] دَكَّـا

ثم بعد الإسفار تحملنا[6] فحملنا ما لا مندوحة عنه في الأسفار، فقوضنا[1] فقوضنا[1] الخيام من المسبك، وفوضنا إلى الله الأمر في المحرك والمبرك، [ونحن نتوقع

---

(1) ساقطة من "ت".

(2) العكام: الذي يعكم الأعدال على الدواب(مادة ع- ك- م، لسان العرب).

(3) الصفدي: صالح بن علي الصفدي، الحنفي فقيه، تولي الإفتاء، من تآليفه: بغية المبتدي في اختصار اختصار متن كنز الدقائق في فروع الفقه الحنفي، توفي سنة 1078 هـ / 1667 م. ينظر معجم المؤلفين ج1 ص: 832 .

(4) "ع":نقيمه.

(5) "ف": بيديك.

(6) "ف": ارتحلنا.

تواتر الأذى ونتوقى توالي القذى][2]، فما وجدنا . والمنة لله ـ إلا اللطف الخفي والإعانة، وتسهيل الطريق منه تعالى وسبحانه، ونكبنا البركة ذات اليسار، وشمرنا ذيول التسيار، آمين الدار الحمراء، مستمدّين من ملك الغبراء[3] والخضراء، وهان علينا بذل البيضاء والصفراء، بل سررنا بذلك لما أملناه، وخف على النفس كل ثقل لما قصدناه: (الطويل)

سُرِرْنَا وَطِبْنَا حِينَ سِرْنَا لِطِيبَةٍ وَلَمْ نَخْشَ مِنْ طُولِ المَسِيرِ التَّمَادِيَا

وَقُلْنَا اجْتَهِدْ يَا سَائِقَ[4] الرَّكْبِ إِنَّمَا تَهُونُ المَنَايَا إِنْ بَلَغْنَا الأَمَانِيَا

وبركة الحاج المذكورة هي بركة واسعة مد البصر، يتموج فيها ماء النيل العذب الفرات، تنصب الأسواق الحافلة بشطها، والقهاوى المزخرفة والفساطيط[5] المؤنقة، ويخرج غالب أهل مصر لوداع الحاج، والتفرج هناك، والتنزه في بساتين ومقاصير على شاطئ النيل المنصب إلى تلك البركة. وفي جانبها الغربي قرى متعددة، في إحداها [180– أ] مسجد سيدي إبراهيم المتبولي، حسبما ذكره الشيخ الشعراني في الطبقات. فنزلنا غربي الدار الحمراء، فاستهل لنا هلال ذي القعدة، وهو كالسنان المنعطف فوق الصعدة.

ثم ظعنا منه يوم الخميس الأول من ذي القعدة حادي عشر الليالي، الثاني والعشرين من دجنبر. ونزلنا غربي عجرود ثم منه يوم الجمعة أسفرنا النقلة، وعجلنا الرحلة، ووجدنا مع طلوع الشمس رجلين من الركب المصري ميتين بالبرد فواريناهما. ومررنا على واد به ماء طيب بآبار قريبة القعر يحفر الإنسان بيديه فينبع له الماء قريبا، بحيث تتناول الدابة منه بفمها من غير معالجة. وأخبرني بعض من كثر تردداه في هذا الطريق، أن هذا الموضع يجدون به الماء ولو بالصيف هذه الأزمنة، وهذه السنة زاد الماء فيه من كثرة الأمطار ونداوة الأرض. ونزلنا هناك حتى أوردنا دوابنا، واستقى الماء

---

(1) "ف": فعوضنا.

(2) "ت": ونتوقى توالي القدى، ونحن نتوقع تواتر الأذى. قدا قدوا: الطعام طاب طعمه ورائحته. قدي: طيب الطعم. ينظر اللسان مادة (ق،د،ا). قذى: ج القذاة: ما يتكون في العين من رمض وغمص وغيرهما. ينظر اللسان مادة (ق،ذ،ى).

(3) "ف": القبراء.

(4) "ع":سائر.

(5) الفساطيط: جمع الفسطاط: بيت يتخذ من الشعر ينظر اللسان مادة ف– س–ط).

من أراده، وهو عن يمين الذاهب لعجرود. فسرنا[1] ومررنا كذلك على واد به قيعان من ماء يسيل سيلا تاما من مطر المطر بإزاء عجرود. فقلت لأعرابي حجازي: "هذا الماء طيب"، فقال مجيبا: "نعم زي الشهد." وبلغنا عجرود ضحى ونزلنا حتى أوردنا الإبل، وقضى الناس حاجتهم[2] من مائه. وماؤه يضرب به المثل في القبح. واشتهر بذلك مع وجود ما يضاهيه كثيرا في مياه الدرب، إلا أنه لما كان أول ماء يرده الحاج قبل أن يألف مشاق الطريق مع اعتياد الناس قبل ذلك لمياه النيل ووجود فضلة منه لا يكادون يسيغون منه جرعة، إلا [وهمت من بطونهم بالرجعة][3]، وفي هذا المورد حصنان متقاربان مبنيان بأوثق بناء يترك الناس فيهما ما استثقلوه من الأزودة[4] والأمتعة {إلى الرجوع}[5] وكثيرا ما تعطب المئون من الإبل في هاتين المرحلتين، بجد السير وثقل الأحمال؛ إذ لم يخفف منها شيء، والإبل قد ألفت الراحة بمصر ويغلب عليها السمن.

وكثير من الناس لا يشفقون عليها، فيحملونها فوق طاقتها، ولا يرخون عليها في المشي، لما يتوقعون من خوف اللصوص على من تأخر. فكل واحد يريد أن يتقدم، وقد لطف الله بنا عادة عودناها تعالى في جميع الأحوال، فنتأخر عن الركب ونكون في أخرياته، فنسير على مهل بإبلنا، وينضم إلينا من ضعف من الناس أو تأخر لغرض، فكان لنا وللناس في ذلك خير كثير. فلم نر ما رأى الناس من المشاق وموت الإبل. وفي أحد الحصنين اللذين هناك بئر كبيرة تسنى[6] دائما بالبقر، ويخرج الماء من البندرإلى برك ثلاثة خارجات: ثنتان صغيرتان والثالثة كبيرة، وبهما عسكر لا يفارقهما أبدا. وكذلك غيره من البنادر في كل سنة يأتي قوم فيذهب الذين كانوا فيه ولهم جراية من بيت المال على ذلك. ولولا لطف الله بالعباد بوجود هذه البنادر في الطريق لما قدر أحد على سلوكها مع كثرة مخاوفها، وقلة مرافقها، ﴿وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[7] ومن هنا يعدل عن طريق الحاج ذات المصانع ذات

---

(1) "ت": فسررنا.
(2) "ع": حاجهم.
(3) مطموسة في "ح2".
(4) الآزودة: ما يوضع فيه الزاد.
(5) ساقطة من "ع".
(6) سنى تسني على الدابة: سقى عليها، ينظر اللسان مادة: (س– ن – ى).
(7) سورة الأنفال، آخر الآية:44، وأولها:﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ ﴾.

اليمين للنابعة والمصانع سواري مبنية في سبخة لا يظهر فيها أثر الطريق، وكذا في الرمل القريب منها. فجعلوا تلك الأعلام المبنية ليستدل بها على الطريق وجعلوا في رؤوس الأبنية حجرا مستطيلا خارجا لناحية الطريق ليستدل بها الماشي ليلا، وربما علقوا على بعض الأعلام مصابيح ليلا لبعد ما بينهما وبين كل علم وعلم نحو فرسخ أو أقل أو أكثر، حتى انتهوا بنا إلى رأس واد الرمل[1] إلا أنها {الآن}[2] انهد[3] منها بعض ولم يبق إلا النقض في محالها. وعلى هذا الطريق يسلك الحاج المصري والمغربي دائما إلا في أوان الحر وخوف العطش، فيعدلون إلى النابعة عن طريق المصانع وهي واد كبير، ذو رمل به أحساء كثيرة تزيد على المائة، بل أينما حفرت مقدار قامة أو أقل وجدت ماء حلوا باردا في غاية الحلاوة كأنه ماء النيل {و}[4] ربما يتوهم أنه أحسن منه شرقي مدينة سويس:

[مدينة سويس]

وهي مدينة: صغيرة ذات أسواق ومساجد[5] ووكالات مستطيلة على شاطئ البحر المالح الذي يأتي من الهند. وهناك يقف بين جبال الشامخات[6] وبينه وبين البحر الرومي نحو[7] [من][8] مرحلتين"[9]. قاله الشيخ أبوالسالم في رحلته.

قلت: ذكر المقريزي أن ما بينهما هوالبرزخ الذي ذكر الله في كتابه في قوله: ﴿بَيْنَهُماَ بَرْزَخٌ لاَ يَبْغَيَانِ﴾[10] "وبهذه المدينة ترسى السفن التي تأتي من جدة ومكة

(1) "ت": واد المرمل.
(2) ساقطة من "ع".
(3) "ف: انهار.
(4) ساقطة من "ع".
(5) "ع": مساجيد.
(6) شامخة، ينظر ماء الموائد ج/1ص /162.
(7) نحوا، ينظر ماء الموائد نفسه.
(8) زيادة في "ت".
(9) ينظر ماء الموائد نفسه.
(10) سورة الرحمن الآية/ 18.

واليمن، فيها السلع التي لا تحصى، [180- ب] والبضائع التي لاتستقصى، ومن هناك تحمل إلى مصر في البر"[1].

قلت: وهي بموضع مدينة القلزم التي ينسب إليها هذا البحر، وبالقرب منها غرق فرعون.

[ذكر البحور والكلام عليها]

قال: "وقد غرق بهذا البحر وذكر تفاصيله، وأن [مبدأه من البحر الكبير المحيط][2] بالأرض المسمى ببحر الظلمات لتكاثف البخار[3] المتصاعدة منه، وضعف وضعف الشمس عن حله، فيغلط وتشتد الظلمة، ويعظم موج هذا البحر وتكثر أهواله. ولم يوقف من خبره سوى ما عرف من بعض سواحله، وما قرب من جزائره. وفي جانب هذا البحر الغربي الذي يخرج منه البحر الرومي الجزائر الخالدات: وهي فيما يقال ست جزائر يسكنها قوم متوحشون، كما أن في جانبه الشرقي مما يلي الصين ست جزائر أيضا تعرف بجزائر السيلي، نزلها بعض العلويين في أول الإسلام خوفا على أنفسهم من القتل. ويخرج من هذا البحر المحيط ست بحار أعظمها اثنان، وهما اللذان ذكر الله {تعالى}[4] في كتابه العزيز[5] في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾[6]. وفي قوله: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ البَحْرَيْنِ حاَجِزاً﴾[7] فأحدهما من جهة الشرق، الشرق، {والآخر من جهة الغرب}[8]، فالخارج من جهة الشرق يقال له البحر الصيني والبحر الهندي والبحر الفارسي والبحر اليمني والبحر الحبشي بحسب ما يمر عليه من البلدان. وأما الخارج من الغرب فيقال له البحر الرومي. وأما البحر الهندي

(1) ينظر ماء الموائد نفسه.
(2) مطموسة في "ح2".
(3) "ت: البحار والصحيح ما أثبتناه.
(4) "ساقطة من "ف".
(5) "ف": قوله تعالى.
(6) سورة الرحمن الآية/ 17.
(7) سورة النمل بعض الآية/ 63، وتتمتها ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهاَ أَنْهاَراً وَجَعَلَ لَهاَ رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ البَحْرَيْنِ حاَجِزاً أَئِلاَهٌ مَعَ اللهِ﴾.
(8) ساقطة من "ف".

الخارج من جهة الشرق فمبدأ خروجه من مشرق الصين وراء خط الاستواء بثلاثة عشر درجة ويجري إلى ناحية الغرب، فيمر على بلاد الصين وبلاد الهند إلى مدينة كتبانة وإلى التبر من بلاد مكران ينقسم هناك قسمين: أحدهما يسمى بحر فارس، والآخر يسمى بحر اليمن، فيخرج بحر اليمن من ركن ينزل خارجا[1] من البحر، يسمى هذا الركن رأس الجمجمة. فيمتد من هناك[2] إلى مدينة ظفار [وساحل بلاد حضرموت][3] وإلى عدن فإذا انتهى إلى باب المندب يخرج بحر القلزوم. والمندب جبل[4] طوله اثني عشر ميلا، وسعة فوهته قدر ما يرى الرجل من البر اتجاهه، فإذا فارق باب المندب مر بجهة الشمال بساحل زبيدة. فإذا وصل إلى القلزوم انعطف من جهة الجنوب[5] ومر إلى القصير. ومن القصير إلى عيذاب[6] إلى بلاد الذيلع وهو ساحل بلاد الحبشة ويتصل برا. وطول هذا البحر ألف وخمسمائة ميل، وعرضه من أربعمائة ميل إلى ما دونها، وهو بحر كريه المنظر والرائحة. وأما البحر الرومي فقد تقدم أن مخرجه من جهة الغرب، وهو {يخرج}[7] في الإقليم الرابع بين الأندلس والغرب سائر إلى القسطنطينية[8]. وإذا خرج هذا البحر مر مشرقا في بلاد البربر وشمال الغرب الأقصى، إلى وسط بلاد المغرب على إفريقية وبرقة والإسكندرية وشمال التيه وأرض فلسطين وسواحل بلاد الشام، ثم يعطف من هناك إلى العلايا وأنطاكية إلى ظهر بلاد القسطنطينية، حتى ينتهي إلى البحر المحيط الذي خرج منه. وطول هذا البحر خمسة آلاف ميل وقيل ستة آلاف، وعرضه من سبعمائة[9] ميل إلى ثلاثمائة. وفيه مائة وسبعون جزيرة عامرة. وذكر بعض أصحاب السير من الفلاسفة أن ما بين الإسكندرية وبين بلادها وبين القسطنطينية، كان في قديم الزمان، أرض[10] تنبت

---

(1) "ح2": خارج.
(2) "ت": هنالك.
(3) مطموسة في "ح2".
(4) "ت": جبله.
(5) "ع": الجنب.
(6) "ت": عداب. عيذاب: بالفتح ثم السكون وذال معجمة، وآخره باء موحدة: بليدة على ساحل بحر القلزم، وهي مرسي المراكب التي تفد من عدن إلى الصعيد ومنها يعدى إلى جدة، ينظر مراصد الاطلاع ج2 ص 974 .
(7) ساقطة من "ح1".
(8) "ف": القسطمطينة.
(9) "ف": تسعمائة.
(10) "ح2": أرضا.

الجميز، وكانت مسكونة وكان أهلها قوما من اليونانية، وإن[1] الاسكندر[2] خرق إليها البحر فغلب على تلك الأرض.

[الطائر الذي يقال له فقنس]

وكان منها فيما يزعمون الطائر الذي يقال له فقنس، وهو طائر حسن الصوت، وإذا حان موته زاد حسن صوته[3] قبل ذلك بسبعة أيام حتى لا يمكن أحد أن يسمع صوته لأنه يغلب على قلبه من حسن صوته ما يميت السامع، وأنه يدركه قبل موته بأيام طرب عظيم وسرور، فلا يهدأ[4] من الصياح. وزعموا أن بعضا من الفلاسفة أراد أن يسمع صوت فقنس في تلك الحال، فخشي إن هجم[5] عليه أن يقتله حسن صوته، فسد أذنيه سدا محكما، ثم قرب إليه، فجعل يفسخ من أذنيه شيئا بعد شيء . حتى استكمل فسخ الأذنين في ثلاثة أيام، يريد أن يتوصل إلى سماعه رتبة بعد رتبة ولا يسمعه {في}[6] أول مرة فيأتي عليه. وزعموا أن ذلك الطائر هلك ولم يبق منه ولا من أفراخه[7] شيء، هجم عليه ماء البحر وعلى رهطه {بالليل}[8] في الأوكار، ولم تبق[9] له بقية. يقال إن بعض الفلاسفة أراد ملك من الملوك قتله، فأعطاه قدحا فيه سم ليشربه وأعلمه بذلك، فظهر منه مسرة وفرح. فقال له: هذا ما هو أيها الحكيم؟ فقال له: هل أعجز أن أكون مثل فقنس؟" انتهى كلام المقريزي، مع بعض حذف ولولا الإطالة بما لم يكن لنا بصدده[10] لا ستطردنا ذكر البحور السبعة [181- أ] ومواقفها وكيفية مجاريها في أمكنتها، وإنما تعرضنا

---

(1) "ف": وكان.
(2) "ح2": الاسكندرية والصحيح ما أثبتناه
(3) "ف": حسنا في صوته.
(4) "ح2": يهدى.
(5) "ع": يهجم.
(6) ساقطة من "ت".
(7) "ف": فراخه.
(8) ساقطة من "ع"وفي "ف".
(9) "ح2":ولم يبق.
(10) "ح2": بصدد.

لهاذين لأن لهما تعلقا بطريق الحاج، ومجاورتهما له ذهابا وإيابا، والله العفو[1] بفضله بفضله وطوله.

قال شيخنا أبو سالم:"تتميم، قد ظفرت بمصر برسالة الشيخ البكري، وأظنه شيخنا [سيدي][2] محمد بن الشيخ زين العابدين، ذكر فيه منازل الحج ودياره ذهابا ذهابا وإيابا. وحقق قدر ما في كل مرحلة من الساعات والدرج والدقائق وصعوبتها وسهولتها بنثر بليغ وعبارات رائقة. وذكرفي كل منزلة شعرا يتعلق بأحوالها، فأردت أن اقتطف منها ما يكون في أذن هذه الرحلة شنفا، إذكلامي بالنسبة إلى كلامه لا يعد معه صنفا. ولما كانت المنازل التي ذكرها قد لا تتفق مع منازلنا، ومراحله تزيد أو[3] تنقص عن بعض مراحلنا، لم أذكر في كل مرحلة ما[4] يناسبها من كلامه. فأخرت ذلك إلى آخر مرحلتين أو ثلاثة أو أزيد، فاخترت لإدراج كلامه المراحل التي فيها البنادر، لأنها في الغالب متفقة. فإذا جاء ذكر بندر من البنادر ذكرت من كلامه ما يتعلق بالمراحل التي قبله ليكون ذلك أسهل لمطالعته، وأبقى لرونق كلامه من التقطيع، وكثير[5] التوزيع[6]".

قال: "فلنذكر الآن من كلامه ما يتعلق بالمراحل التي قبل عجرود فأقول: قال الشيخ البكري رضى الله عنه:"فأول المنازل البركة {المباركة}[7] التي توحدت [في مشارق أنوارها، ومشارع][8] شوارع أقطارها عن المشاركة وقصرت عن أوصافها[9] ذوو أوصافها[9] ذوو الألسن[10]، وجمعت بين الماء والخضرة وقدوم الوجه الحسن، فهي فهي مخضرة الأكناف، بديعة الأوصاف، قد صدحت[11] أطيارها، ونفحت بالنسائم بالنسائم أزهارها، وبها الخيام منصوبة ومرفوعة، والخيرات لا مقطوعة ولا ممنوعة، مع

---

(1) "ف": الغفور.
(2) زيادة من "ف".
(3) "ف": و، والصحيح ما أثبتناه.
(4) "ف":: إلا ما، وهذه الزيادة غير موجودة في ماء الموائد.
(5) "ح1": كثرة.
(6) ينظر ماء الموائد ج2 ص 160 .
(7) ساقطة من "ف".
(8) مطموسة في "ح2".
(9) أوصاف محاسنها، ينظر ماء الموائد، ج2 ص: 160 .
(10) "ت":اللسن، وهذا ما يناسب الأصل.
(11) مدحت، ينظر نفسه.

وقوف[1] آثارها على الأقدام، يستدل بضوئها في الليل من له على القدوم إقدام، وكأنها في جنح الليل نجم الثريا إذا اقترنت بالنثرة، والإكليل إذا قارن الزهرة، وبها سوق يساق إليه بدائع البضائع، التي يحتاج إليها المسافر في أكثر الوقائع، ما قصد نحوه قاصد، إلا وعاد منه موصولا بالصلة والعائد، وكان هذا النعيم المقيم مسامرنا في الذهاب والإياب، إلى أن رجعنا إلى بركة الحاج ثانيا ولا قينا الأحباب، {قال الشاعر}[2]: (مجزوء البسيط)

فِي بَرْكَةِ الحَجِّ تَرَى ... نَخْلاً زَهَا لَكِن عَجَبْ
زَبَرْجَداً يَحْكِي وَمَا ... ثَمَارهُ[3] إلاَّ الذَّهَبْ[4]
فِيهَا نَسِيمٌ رائِقٌ ... بِلُطْفِهِ يَشْفِي الوَصَبْ
وَالطَّيْرُ فَوْقَ مَائِهَا ... يَشْدُو[5] بِأَنْوَاعِ الطَّرَبْ
فَيَالَهَا مِنْ بَرْكَةٍ ... تُبَلِّغُ القَلْبَ الأَرَبْ
عَوَّذْتُهَا مِنْ طَارِقٍ ... وَغَاسِقٍ إِذاَ وَقَبْ[6]

وعندما كملت الركائب، واجتمع بعد التفريق نجائد النجائب، وانقضى مقام المقيل، ونودي في ذلك المكان الرحب بالرحيل، وحمل المحمل الشريف، وفارق المربع[7] المربع[7] والظل الوريف، وسار الركب سير السيل، وتسابقت العيس لجهات[8] الخير كأنها الخيل، حتى وصل إلى قرب البويب المعروف بالتصغير، وفي الحقيقة هو باب الدرب ومفتاح المسير، فاجتمع شمل الرّكاب[9] في ذلك المكان، ورجع المودع في خبركان، فاستراح الناس والبهائم، واستيقظ بسهر الليل كل نائم، ثم أطعمت الجمال

(1) "ف": موقف.
(2) ساقطة من "ع"وفي "ف".
(3) "ت":ثمره
(4) "ت":ذهب.
(5) "ت": يشذوا
(6) (وغاسق إذا وقب) تضمين قرآني لقوله تعالى (ومن شر غاسق إذا وقب).
(7) "ف": الرِّبْعَ وما أثبتناه هو ما يوجد في الأصل.
(8) "ف": لجهة وما أثبتناه يتناسب مع الأصل.
(9) "ف": الركب.

العلائق، وقطع الحجاج من تلك المحطة العلائق، ومدة المسير في تلك المرحلة، ثلاث ساعات مكملة، ثم نادى منادي الرحيل، فسار[1] الركب إلى أن أصبح مقاربا للبئر الطويل، وهوالمكان المعروف بالمصانع، ومطلب راحة الناس في الإقامة لولا الموانع، وبها تقطير الجمال وضبطها في سير الركوب، واحتياج الماشي من تعبه إلى الراحة والركوب، فيا له من يوم تقطر فيه الدموع، ويطول فيه الوقوف والوقوع، وتشرب فيه الفقراء كاسات الردى، لشدة ما يحصل لها [181- ب] من جور الجنود واعتداء الاعتداء، فما من فقير إلا ويحتاج إلى غني يسعفه، وإلى عادل من ظلمته ينتصفه، قال الشاعر: (الخفيف)

قَـدْ أَتَيْنَـا إِلَـى مَحَـلِّ الـمَصَانِـعْ فَـاصْنَع الخَيْرَ فِيـهِ إِنْ كُنْـتَ صَانِعْ

وَ انْفَـع النَّـاسَ فِـي كَثِـيرِ جَمِيـلٍ عَـلّ تَـلْقَىٰ خَيْـراً كَثِـيراً وَنَافِـعْ

واعلم أن عدة درج المسير، إلى هذه المنزلة ست ساعات على التحرير، ثم قام دليل الركب للمسير، وأمن الناس من تقطيع أزِمَّة الجمال بالتقطير، فسرنا طول ليلنا إلى الإسفار، فاسترحنا بالوصول إلى عجرود من مشقة الأسفار، فوصلنا إلى بندرعجرود. وماؤه ملح أجاج غير مورود، فأتانا أهل بندر السويس، وعطفوا علينا انعطاف الأغصان في الميل والميس، وأهدوا إلينا الأحطاب للمشاعل، والأغنام للمآكل، وعدة درج هذه المرحلة المبهجة، سبع وثمانون درجة". انتهى كلام الشيخ البكري رضي الله عنه"[2].

فلنرجع إلى ذكر مراحلنا، وحيث انتهى سيرنا، فأقول: لما قضى الناس من هذا البندر الأوطار، وعانقوا أعناق التسيار، وجدوا السبخة لكثرة ما توالت عليها من الأمطار، بركة واحدة من جميع أرجائها والأقطار، فنكبوها[3] فعدلوا ذات اليسار، ونزلنا بعدما توغلنا في الرمل مغيربين، في أفيح بسيط وأوسع مكان، ثم ارتحلنا من ذلك الموضع يوم السبت وبلغنا وادي الرمل، قبل الظهر ووجدنا به غدران ماء غدرها السيل، لما جر عليها الذيل، وللناس إليه أي ميل، وأدركنا الركب التونسي هنالك،

---

(1) "ع": فصار.

(2) ينظر ماء الموائد،ج/2ص/160- ج/1ص/161-162. ملاحظة: وقع خطأ في عملية تصفيف الأوراق الأوراق لأن المفروض ص 160 أن تكون في الجزر الأول وليس الثاني من .

(3) "ع": نكبوها.

وكان قد خرج من مصر قبلنا، لما تأخرنا للتوارك كما ذكرنا، وسرنا حتى خلفناه وراء ظهورنا، أرحنا أركابنا، ونزلنا لصلاة الظهر، وإراحة الظهر، ولما بلغنا ركبنا وكنا في أخرياته وزالت الشمس، وحين لم يبق في زوالها لبس، أذنا لها[1] ثم {أقمنا}[2] فصليناها جماعة، وكان ذلك لأهلها أربح بضاعة، فتمطينا مطايا المسير، فشمرنا[3] فشمرنا[3] لقطع المراحل أبلغ تشمير، حتى أنخنا بغربي وادي السدرة والخروبة، وللسرقة[4] تلك الليلة من كل ناحية من الركب أعجوبة، ولكن الله تعالى سلم وفده، وفده، فرد على السارق في نحره كيده، فأخذوا بغلة لسيدي أحمد بن أطاع الله وضايقوهم[5] عليها ففروا عنها فأخذها صاحبها وسمي الوادي بشجرة كبيرة من الخروب ومن السدر في أصل الوادي.

[أرض التيه][6]

ثم ارتحلنا من هناك يوم الأحد رابع ذي القعدة الخامس والعشرين من دجنبر الرابع عشر الليالي، وسرنا مع الوادي برهة، [ومررنا بالعقبة، المشرفة][7] على التيه وقت الضحى، ونزلنا بعد أن جاوزناها في أوائل التيه في انتظار الركب وتناول الأغذية. "وهي عقبة فيها بعض صعوبة، إلا أنها سويت حتى صارت طريقا لاحبا ومنها ينزل إلى أرض التيه، وهي أرض مقفرة موحشة طويلة عريضة معطشة، قد امتدت فيها الطرق امتداد السطور في الطروس[8]، لم يلحقها على قدم العهد

---

(1) "ح1": له.
(2) ساقطة من "ح1".
(3) "ع": وشمرنا.
(4) "ع":السرقة.
(5) "ت": وضيقوهم
(6) التيه: هو الموضع الذي تاه فيه موسى عليه السلام مع بني إسرائيل، بين أيلة ومصر وبحر القلزم القلزم وجبال السراة، أربعين فرسخا، لماامتنعوا من دخول الأرض المقدسة، حبسهم الله تعالى في هذا التيه أربعين سنة، لم يدخلوا مدينة ولا أووا إلى بيت: ولا بدلوا ثوبا، كانوا يسيرون في ظل نهارهم فإذا انتهى النهار نزلوا بالموضع الذي رحلوا عنه، ينظر الروض المعطار ص 147 .
(7) مطموسة في "ح2".
(8) الطروس، م طرس، وتجمع كذلك على أطراس: ورقة، كتاب محي ثم كتب، اللسان مادة (طرس).

الدروس، وهذا المحل من المحال الذي تعظم فيه المشقة أيام الحر وقد تتلف فيه أنفس كثيرة بالعطش"(1).

قال أبو سالم: "وقد وقع لنا مثل ذلك في سنة تسع وخمسين، ارتحل الناس من عجرود ظهرا ولم يمروا على النابعة، فبتنا ليلتين بلا ماء إلا ماء عجرود الذي لا يتجرعه الظمآن ولا يكاد يسيغه، فلم نصل إلى أرض التيه حتى اشتد الحر وقل الماء في اليوم الثالث، ومات بعض الإبل وجعل الناس يعصرون ما في بطون الإبل من الفرث ويشربونه، وفي ذلك قلت: (المتقارب)

وَلَمْ أَنْسَ بِالتيْهِ يَوْماً بِهِ تَفَانَى الحَجِيجُ صَدىً وَوُلُوهَا

وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَا ثُوا بِمَا ءِ عُجْرُودَ كالمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَا"(2)

قلت: وكذا يشتد أمره في زمان الشتاء لأن أرضه عراء لا حطب بها، فقد تتلف به النفوس من البرد. وأماعامنا هذا فسلكناه في أطيب هواء لا حر ولا قر ولا مخافة ولا سآمة، ووجدنا به اصفرارا(3) غدرانا(4) من الماء في أخاديد ما كفى الله به شر العطش وأوامه. فتوسطنا التيه فنزلنا بعيد المغرب.

والتيه كما في خطط المقريزي: "أرض بالقرب من أيلة لا يكاد الراكب يصعد إليها لصعوبتها، إلا أنها مهدت في زمان جارويه بن أحمد [182- أ] بن طولون وهو مقدار أربعين فرسخا في مثلها ويسير الراكب مرحلتين في فحص التيه حتى يصل بحر فاران، وفيه غرق فرعون وفيه تاه بنو إسرائيل أربعين سنة لم يدخلوا مدينة ولا أووا إلى بيت ولا بدلوا ثوبا. وفيه مات موسى، على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

ويقال إن طول التيه نحو ستة أيام. واتفق أن المماليك(5) البحرية(6) لما خرجوا من القاهرة هاربين في سنة اثنين وخمسين وستمائة، {مرت}(1) طائفة منهم بالتيه

---

(1) ينظر ماء الموائد،ج1، ص:163 .

(2) ينظر نفسه .

(3) "ف": اصفرار.

(4) "ف": غدران.

(5) "ع": الممالك.

(6) تمييزا عن المماليك البرجية، الذين حكموا مصر ما بين 648 هـ و784 هـ. وبلغ عددهم 2' سلطانا خال خال فترة لا تتجاوز قرنا و36 سنة،ينظر: بردة البصيري وأثرها في الأدب العربي القديم، ص 19، الدكتور مصباح فتح الله.

فتاهوا فيه خمسة أيام ثم تراءى لهم في اليوم السادس سواد على بعد فقصدوه فإذا مدينة عظيمة لها سور وأبواب كلها من رخام أخضر فدخلوها وطافوا بها، فإذا [هي][2] قد غلب عليها الرمل حتى طم أسواقها ودورها، ووجدوا بها أواني وملابس. وكانوا إذا تناولوا منها شيئا تناثر من طول البِلَى[3]، ووجدوا في صينية بعض البزازين[4] تسعة دنانير ذهبا عليها صورة غزال وكتابة عبرانية، وحفروا موضعها فإذا حجر على صهريج ماء، فشربوا منه ماء أبرد من الثلج، ثم خرجوا ومشوا ليلة فإذا بطائفة من العربان حملوهم إلى مدينة الكرك[5] فدفعوا الدنانير إلى بعض الصيارفة، فإذا عليها أنها ضربت أيام موسى، على نبينا وعليه الصلاة والسلام. ودفع لهم في كل دينار مائة درهم وقيل لهم إن هذه المدينة الخضراء من مدن بني إسرائيل، ولها طوفان[6] ورمل، يزيد تارة وينقص تارة أخرى لا يراها إلا تائه والله تعالى أعلم.

ثم ظعنا منه يوم الاثنين وغلّسنا[7] الرحلة، وانفرد عن الركب مسائره بإزائه رجل من أهل توات مع ولده وعبده بعدما حملوا على جملهم، ولا قوا جماعة من المتلصصة فأخذوا الجمل وما عليه وهو كل ما يملك، وذلك مقدار ثمانمائة مثقال تبرا بعدما شجوه، فخر سريعا نسأل الله السلامة والعافية التامة، فالله يخلف له من فضله الفياض، إنه الكريم الوهاب. وأتينا بندر النخيل قرب الزوال، ووجدنا الركب التونسي نازلا، واستقرت بهم الدار وحططنا الرحال. واستبق[8] الناس لسقي الجمال والبغال. وصادفنا فيه بقية من السوق به بعض الفواكه الشامية أتى بها أهل غزة مثل: الزبيب الفاخر الحلو ونحو ذلك، وذلك عادتهم أبدا يتعرضون {للركب}[9] هناك[10] ذهابا وإيابا بالكثير من [الزبيب و][11] أنواع الفواكه الشامية. وهنالك [بندر حصين][1]

---

(1) ساقطة من"ف".
(2) زائدة في "ف".
(3) "ع": البِلا.
(4) "ت": البزازين.
(5) "ف": الكرد.
(6) "ف": طرفان.
(7) غلس القوم: ساروا بغلس، والغلس ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح،(لسان العرب، مادة غ،ل،س).
(8) "ت" و"ف": وتسابق.
(9) ساقطة من "ع".
(10) "ف": هنا.
(11) زائدة من "ف".

فيه بئر ماء عذبة كبيرة[2] لا تنزح أبدا، يسقى منها بالبقر إلى برك خارج الحصن وهي ثلاث، مثل ما[3] بعجرود إلا أن هذه أكبر. وقد وجدنا الماء فيه فاضلا عن الركب المصري، وأخذ الناس منه حاجتهم وهو من المواضع التي يصعب بها[4] الماء إذ ليس فيه إلا بئر واحدة. فإذا شرب المصري ما في البرك وقعت الزحمة على البئر، فلا يصل الناس إلى الري إلا بعد تعب[5] شديد ومشقة فادحة. واتفقت الأركاب المغربية على الذهاب وعدم البيات به. فلما قضوا[6] منه الغرض، ووفوا الحق المفترض، سرنا ونزلنا بعيد المغرب، وقل في ركبنا الفلاحون فضبط أمر الركب بعض ضبط.

قال الإمام أبو سالم: "وقد كانوا في غالب السنين يكثرون في الركب المغربي فرارا من جور عساكر المصري عليهم، فيكثر صخبهم وخصوماتهم فلا يكاد ينضبط الركب المغربي أمر من كثرتهم فيه فيرحلون في غير إبان الرحيل، ويتبع الآخر منهم الأول من غير تأن سيما في المحل الضيق والخوف لا يبالون بما أتلفوا من أنفسهم وأموالهم خشية التأخير والزحمة[7] على القرب من أول الركب لغلبة الجبن والخوف عليهم، إذ لا يعرفون في بلادهم قتالا ولا مدافعة عن الأنفس لكونهم رعايا، إن شتموا مروا، وإن ضربوا فروا، وكلما نقص من جهدهم وجرأتهم وبسط أيديهم زيد في ألسنتهم، حيث لا يخافون فيبالغون في الشتم والسب حتى لا يكاد سامعهم يملك نفسه. فإذا رأوا من هو[8] يضرب[9] خضعوا وقالوا: عافية يا مغربي عافية. وقالوا المغاربة مجانين لا يعرفون إلا الضرب. وكان الضرب عندهم أبعد بعيد يصدر من شخص عاقل، ولعمري إنه لكذلك[10] في حق كل مسلم لمسلم، ولكن الغريزة الغضبية سيما ممن لم تذلله[11] الأحكام، ولم تكسر من [سورته شدة][12] الأيام، لا

---

(1) مطموسة في "ح2".
(2) "ع": كثيرة.
(3) "ف": الذي.
(4) "ت": فيها، "ف": فيه
(5) ساقطة من "ح1".
(6) "ت": قضينا
(7) "ح2"و"ف"، ماء الموائد: المزاحمة.
(8) "ح2": همَّ. وهذا ما يوافق نص العياشي.
(9) "ع": بِضَرْب.
(10) "ت": كذلك.
(11) "ح2": تدلله.
(12) "ف": شدته، وما أثبتناه يوافق النص الأصلي.

يملكها إلا الأقوياء وهي لا تنتهي دون أبلغ عقوبة تمكنها. نسأل الله أن يكفينا شرها، ويسخر لنا أمرها، إنه سميع مجيب"[1] انتهى .

قال البكري في رحلته من عجرود إلى النخيل: "ثم سرنا إلى النواظر ورأس المنصرف، وهو واد بكثرة الرمال والكثبان قد عرف، ليس به ماء ولا مرعى، وإنما عيون الناس لمضيق أرجائه ترعى، قال [182- ب] الشاعر: (الرمل)

نَــزَلَ الرَّكْــبُ بِــوَادِي المُنْصَــرِفْ   وَعَلَــى لُقْيَــاهُ كَــمْ مَــالٍ صُــرِفْ

نَحْمَــدُ اللَّــهَ الَّــذِي جِــئْنَا لَــهُ   وَجَمِيــعُ الهَــمِّ عَنــا مُنْصَــرِفْ

ثم سرنا إلى وادي القباب وهو واد فسيح الرحاب، تهيم به قلوب الأحباب، ويتذكر به عهد زينب والرباب، لا سيما اجتماع[2] الأصحاب، في مواطن البعد والاغتراب. قال الشاعر: ((الرمل)

شَاقَنَــا وَادِي القَبَــابِ المُــرْتَضَى   فِي اسْمِهِ وَهْــوَ فَسِيــحٌ فِـي الرُّبــاَ

فَوَصَلْنَــاهُ وَقَــدْ قُلَنَــا عَسَــى   بَعْــدَهُ تَــأْتِي إِلَــى وَادِي قُبَــا

وميقات المسير إليه عشر ساعات على التمام، وبعد إقامتنا به إلى وسط النهار، تهيأنا للقيام ثم نادى المنادي بالرحيل، فسرنا إلى واد تيه بني إسرائيل [من الغمام][3] قال الشاعر: (البسيط)

لاَتَسْلُــكَنَّ بِــوَادِي[4] التيــهِ مُنْفَــرِداً   بِــلاَ دَلِيــلٍ تَــرَى وَقْــعَ الــرَّدى[5] فِيــهِ

فَمَـا سَـمِعْتُ كَــلاَماً مِـنْ أَخِـي ثِقَــةٍ   فِي النَّــاسِ إِلاَّ وَقَـالَ احْـذَرْ {مِـنَ}[6] التيـهِ

---

(1) ينظر ماء الموائد،ج/1ص/164.

(2) "ح1": اجتمع.

(3) ساقطة في "ف"، وفي كل النسخ لم يتم إدراج ما يأتي [وهو وادي واسع الفضاء، يعتبر فيه بأحوال من من مضى، ليس فيه ماء ترده الأنام، ولا ظل سوى ما ظلل بني إسرائيل من الغمام]. ينظر ماء الموائد،ج/1ص/165.

(4) "ت": بواد.

(5) "ح2": الردا.

(6) ساقطة من "ح2".

ومدة المسير إليه عشر ساعات، حررها أهل الميقات، ثم سرنا إلى قلعة نخل المحمية، وتعجبنا من كثرة الفواكه الشامية، من سفرجل ورمان، وعنب على اختلاف ألوان، والخيرات الكثيرة، وما يحتاج إليه الحجاج من الدخيرة، والفساقي المملوءة بالماء البارد، المعدة للغادي والوارد، قال الشاعر: (الوافر)

إِلَى نَخْلِ الحَصِينَةِ سِرْ حَمِيدًا ... تَرَى فِيهِ المُنَى[1] وَالخَيْرَ بَاقِ

وَلاَ تَشْكُو الظَّمَاءَ لِفَقْدِ مَاءٍ ... فَسَاقِيهَا مُقِيمٌ بِالفَسَاقِي

ومدة المسير ست ساعات محررة، وخمس من الدرج مقدرة"[2] انتهى كلامه رضي الله عنه.

رجوع وانعطاف، إلى التعداد لمراحلنا والائتلاف: ثم قوضنا الأخبية، وحملنا الأبنية، من منزلتنا[3] التي[4] جاوزنا النخيل إليها في صر شديد، وبرد متزايد جديد، جديد، تخال الأيدي منه رميت[5] بالشلل، والأرجل نظمت[6] بالسّلاسل[7] والأسل[8] قال الشاعر: (الوافر).

رَحَلْنَا العِيسَ نَمْشِي فِي هَوَاءٍ ... لَهُ بَرْدٌ عَلَى الغَادِي يَشُقُّ

فَمَا فِي الرَّكْبِ إِلاَّ مَنْ تَرَاهُ ... لَهُ حَتْكٌ[9] بِسَوْرَتِهِ[10] يُدَقُّ

ولم يزل الهواء كذلك إذا سد منه منخر جاش منخر، وعم ببرده[11] المفرط المتقدم والمتأخر. وسرنا ولم يزل البرد ساحب أذياله، إلى أن حان وقت العصر فأشرق جرحه على اندماله، فصلينا صلاة العصر ببئر الصعاليك وتسمى بئر البارود: وهي

---

(1) "ف": المنا.
(2) ينظر ماء الموائد،ج/1ص/165.
(3) "ف": منزلنا.
(4) "ف":الذي.
(5) "ف": وفيت.
(6) "ت": قضت.
(7) "ع": بالسلاء2، والأرجح ما أثبتناه.
(8) الأسل: الشوك الطويل، ينظر اللسان مادة (أ- س- ل).
(9) "ح1":هتك.
(10) السورة من البرد: شدته وحدته، ينظر اللسان مادة (س ا- ر).
(11) "ح2":ببرده

بئر كبيرة طويلة مطوية بحجر وبناء متقن في أصل واد، بجانب البئر أثر بناء وبركتين إلا أنه لا عمارة عليه وماؤه بارد إلا أنه قبيح لا يكاد الشارب يسيغه فتقدمنا ونزلنا بعد المغرب.

ثم ارتحلنا بعد صبح يوم الأربعاء سابع ذي القعدة الثامن والعشرين من دجنبر سابع عشر الليالي في اشتداد القر وتزايد الصر، ولما تعالى النهار تراءت للركب خيل وإبل للحراميين فأخذ الناس حذرهم، وكفى الله شرهم، ثم تبين بعد أنهم سلم للحجاج[1] لا حرب لهم، وإنما أغاروا على بعض أعدائهم وأكلوهم والتقوا مع الحجاج. وبتنا بسطح العقبة.

ثم ظعنا بكرة يوم الخميس ثامن ذي القعدة والتاسع والعشرين من دجنبر وثامن عشر الليالي وما تعالى النهار، وتفتحت للشمس عيون الأزهار، حتى وافينا عقبة أيلة وخبرها قد روع القلوب، ونوع المهابة لأمرها فما من الركب إلا من هو من لباس الصبر مسلوب، فحصل هنا لك من الزحمة، ما تقطعت له القلوب رحمة، وتصادمت الجحاف وانكسرت، وبرزت أنياب النوب[2] وتكسرت، فما كان أسرع من خمود أمرها، وركود حرها وجمرها، وهي عقبة كؤود[3]، صعبة الهبوط والصعود، إلا أن الطريق بها منحوتة قد سويت في الأماكن الصعبة، وبنيت حافاتها ببناء متقن. ولما كان المحل معروفا بتلصص الأعراب [183- أ] وحرابتهم تهيأ الناس وأخذوا حذرهم وأبرزوا أسلحتهم، وعبوا تعبئتهم، خوفا من أعدائهم، فإن الغالب لا بد أن يتعرضوا[4] يتعرضوا[4] للركب في هذا الموضع لصعوبته. وتقدمت طائفة من الحجاج بمدافعهم أمام الركب وتأخرت طائفة، ﴿وَكَفَى اللهُ المومِنِينَ القِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِياً عَزِيزاً﴾[5] فلم نر بها سارقا ولا غائرا، ولا عاتيا ولا غادرا، فانفرجت هذه الشدة وكفى الله منها مدية المدة، وما زهقت روح، ولا أثرت جروح، وخلص الناس من تلك الضغطة،

(1) "ف"و"ح2":للحاج.
(2) "ف": النوق.
(3) عقبة كؤود أو كأداء: صعبة المرتقى (لسان العرب، مادة ك،أ،د).
(4) "ت": يتعرض.
(5) سورة الأحزاب، بعض من الآية 25،وتتمتها:" وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً وَكَفَى اللهُ المُومِنِينَ القِتَالَ، وَكَانَ اللهُ قَوِياً عَزِيزاً".

وخرجوا من ضيق القيض وجلسوا على بسط البسطة، ونزل الناس منها سالمين ﴿وَقِيلَ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾[1] وقال الشاعر: (مجزوء الرجز).

كَمْ قَدْ فَكَكْنَا رَقَبَـهْ لَمَّا اقْتَحَمْنَا العَقَبَـهْ

وَكَمْ لَنَا مِنْ أُمْنِيَّـةٍ فِي حَجِّنَا مُرْتَقَبَـهْ

[ذكر القرية التي كانت حاضرة البحر]

وبعد أن نزلنا من المنحدر الصعب جعلت الطريق تلتوى كأنها أزقة يكثرفيها المخاوف والمتالف[2] فيرى البحرمن بعيد فينظرأنه قريب. ووصلنا البندرظهرا ولم يبلغ الحاج إلى قرب العصر. ووجدنا المصري به مخيما وأرسل إلينا أمير الحاج إمامه، وأبلغنا سلامه، واسمه إبراهيم أبو شنب. وأقمنا بها الخميس والجمعة، " وفيه حصن حصين في قرية على شاطئ البحر في سفح جبل، وبها آبار كثيرة وفيها نخل كثير، وسوق كبير يحضره أهل غزة[3] وتأتيه الأعراب[4] بالإبل والغنم والسمن والعسل والعلف للدواب. ووجدنا الفول فيها رخيصا أرخص ممن اكترى عليه من مصر، وأوقد المصري بالليل نيرانا كثيرة، وضرب المدافع ورمى المحارق في الهواء، ولها منظر عجيب وأسلوب غريب، كأنها شهب النجوم يرمى بها من الأرض إلى السماء، فتراها في الجو طالعة، ثم تراها شوامخ الجبال دونها، ثم تنعطف راجعة كأنها ثعبان أحمر، ثم يسمع لها صوت، وتخرج منها شرارات من النار، فإذا انقطعت تلك أتبعتها بالأخرى[5]. وخروجهن فيما نرى من نار زرقاء[6]، كأنها من نار الكبريت تشتعل اشتعالا قويا،

---

(1) سورة الزمر :آخر الآية 72، وأولها:﴿وَتَرَى المَلائِكَةَ حافِّينَ مِنْ حَولِ العَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِرَبِّهِمْ، وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالحَقِّ، وَقِيلَ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾.

(2) مطموسة في "ح2.

(3) "ت": عرة والصحيح ما أثبتناه.

(4) مطموسة في "ح2".

(5) "ع": بالأخر.

(6) "ف": زرقى.

فتطلع بها تلك الشهب ولا نعلم صنعة ذلك، وهي من الغرائب والرمي بها وبالمدافع عادة المصري في كل منزل أقام فيه إذا أراد الرحيل"[1].

قال الإمام[2] أبو سالم: ثم ارتحل في الغد وأقمنا بعده ولم نر فى مبيتنا ولا إقامتنا ما يسوءنا من سارق ولا غيره"[3].

قال شيخنا أبو سالم: "وقد سألنا هناك[4] وبحثنا عن {أثر}[5] القرية التي كانت حاضرة البحر، هل بقي من رسومها شيء؟ فذكر المفسرون أنها أيلة فلم نجد من يشفي لنا خبرها، وقد ذكر لنا بعض الناس أن بأعلى الوادي أثر بناء كثير يشبه أن يكون مدينة ولعلها هي. وقد أخبرنا كثير من متسوقة الأعراب أن هناك وراء الجبل الكبير المشرف على القرية بلدة فيها نخل وماء إلا أنها خالية ويمكن أن تكون هي . فإنها قريبة من البحر والعلم عند الله[6] تبارك وتعالى" انتهى.

قلت: وفي الخطط للمقريزي: "أن أيلة مدينة في[7] شاطئ البحر المالح سميت بأيلة بنت[8] مدين بن إبراهيم عليه السلام. وقد كانت مدينة جليلة القدر، بها التجارة الكثيرة، وأهلها أخلاط من الناس، وكانت حد مملكة الروم في الزمان الفائت، وعلى ميل منها باب معقود لقيصر قد كان مسلحته يأخذون المكس. وبين أيلة {وبين}[9] القدس ست مراحل. والطور الذي كلم الله [تعالى][10] عليه موسى عليه السلام على يوم وليلة من أيلة. وكانت في الإسلام منزلا لبني أمية وأكثرهم موالي عثمان بن عفان رضي الله عنه. كانوا سقاة الحاج، وكان بها علم كثير وآداب[11] ومتاجر وأسواق عامرة، وكانت كثيرة النخل والزرع[12] قال: وكان بأيلة مساجد

(1) ينظر ماء الموائد،ج1، ص:167 .
(2) "ف": شيخنا.
(3) ينظر ماء الموائد،ج1، ص:167 .
(4) "ع": هنا.
(5) ساقطة من "ع".
(6) ينظر ماء الموائد،ج1، ص:167 .
(7) "ت": على.
(8) "ت": مدينة.
(9) ساقطة من "ف"
(10) زائدة في "ت" و"ف".
(11) "ف":أدب.
(12) "ت": الزروع.

عديدة وبها كثير من اليهود يزعمون أن عندهم بردا للنبي صلى الله عليه وسلم، وانه بعثه إليهم أمانا وكانوا يخرجونه رداء عدنيا ملفوفا في الثياب قد أبرزوا[1] منه قدر شبر شبر فقط. ويقال إن أيلة هي القرية التي ذكر الله تعالى في كتابه حيث قال: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾[2] واختلف في تمييزها[3]، فقال ابن ابن عباس رضي الله عنهما، وعكرمة والسدي: هي أيلة. وعن ابن عباس أيضا أنها مدينة بين أيلة والطور، وعن الزهري: أنها طبرية، وقال قتادة وزيد بن أسلم: هي ساحل من سواحل الشام بين مدين[4] وعينونة. قال: وسئل الحسين بن الفضل "هل "هل تجد في كتاب الله الحلال لا يأتيك إلا قوتا والحرام يأتيك جزافا؟ قال: نعم في قصة أيلة ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ [183- ب] يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ1﴾[5] انتهى المراد مع بعض حذف.

ولما التقينا بالمصري في العقبة أخبرونا عن حالهم مع البرد وأنه قتل منهم واحدا أو اثنين ليلة العقبة وقرب عجرود ما ينيف على خمسين نفسا. وذكروا أن الإنسان يكون في حمل الخشب فيوجد ميتا بالبرد وعلى الدابة كذلك. وحدثنا بعض حجاج القدس التقوا مع المصري في سطح العقبة أنهم لاقوا من البرد والثلج والمطر ما يقضي منه العجب، مكثوا يومين و{ليلتين}[6] ما أوقدوا نارا ولا قدروا عليه ولا أكلوا من من كثرة المطر. وأخبرني واحد منهم انه عليه عدة لباس من الأقبية والقُمص[7] وجوخة[8] فوق ذلك. وبات من أول الليل إلى آخره واقفا ورجلاه داخلتان في الطين الطين إلى ركبتيه والمطر يصب عليه حتى أفضى إلى لحمه، وعاينوا من ذلك الموت الأحمر. ونحن والحمد لله سلمنا الله من ذلك كله.

---

(1) "ح2": أبرز.
(2) سورة الأعراف: أول الآية 163 .
(3) "ح1": تفسيرها.
(4) "ت": مدينة.
(5) سورة الأعراف: بعض من الآية 163، وتتمتها.:﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ، كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.
(6) ساقطة من "ع".
(7) "ع":القميص.
(8) جوخة: الجوخ نسيج صفيق من الصوف، ينظر اللسان مادة (ج- ا – خ).

تتمة في {ذكر}[1] كلام البكري من النخيل إلى العقبة قال: ثم سرنا من النخيل إلى وادي القريض المشهور، وهو واد ينبت به الشوك عوضا عن الزهور، فكم أذي بشوكه {من}[2] أقدام، وعطل من له على المشي إقدام، وسيما الفيحاء لا تساع أرضه، وزيادة فضائه، في طوله وعرضه، قال الشاعر: (السريع)

فِي وَادِي القُرَيْظِ كَمْ سَائِرٍ مِنْ غَيْرِ نَعْلٍ ثَابِتِ الكَعْبِ

قَدْ صَارَ كَالأَعْجَامِ مِنْ شَوْكِهِ يَرْقُصُ مِنْ رَقْصٍ[3] عَلَى الكَعْبِ

وسيرها اثنتا عشرة[4] ساعة كاملة، محررة في الميقات متواصلة، ثم سار الركب إلى بئر العلاء في التجريد، وهي محطة بئرها معطلة و{ليس}[5] بها قصر مشيد، وبقربها حدرة منحدرة، وأشجار أتل منتشرة، وبجانبها فسقيتان ليس بهما منفعة، فما ورد عليهما حيوان ظمآن إلا وقام عند رؤيتهما بالأربعة، قال الشاعر: (الوافر)

إِلَى بِئْرِ الْعَلاَءِ قَدْ أَتَيْنَا وَفُزْنَا بِالنَّجَاحِ وَبِالثَّنَاءِ

شَكَرْنَا لِلدَّلِيلِ وَقَدْ دَعَانَا إِلَى شَيْءٍ يُوَصِّلُ لِلْعَلاَءِ

ومدة المسير[6] إليه اثنتا عشرة[7] ساعة بالتحرير، وبعدها الجد إلى سطح العقبة العقبة في المسير، وهو سطح واسع الأكناف، متسع الجوانب والأطراف، لا يوصل إليه إلا بالاستطاعة، لأن مدة المسير إليه اثنتي عشرة ساعة، ثم سرنا إلى العقبة، ﴿وَماَ أَدْرَاكَ ماَ العَقَبَةْ﴾[8] فكم بها من حدرات ومضيق، وجبال في شكل الحمرة والبياض، وهي عقلة في الطريق، وصعود وانهباط، {وعلو وانحطاط}[9] قال الشاعر: الشاعر: (الرمل).

---

(1) ساقطة من "ف".
(2) ساقطة من "ت".
(3) "ع": قوص.
(4) "ح1": اثنا عشر ساعة.
(5) ساقطة من "ع".
(6) "ف": السير.
(7) "ت": اثنا عشرة.
(8) سورة البلد، الآية 12.
(9) ساقطة من "ح1".

عَقَبَـــاتٌ تَسْلُـــكُ النـــَّاسُ بِهَـــا بِعُقُـــولٍ[1] لَـــمْ تَـــزَلْ مُتْعَبَـــةْ[2]
قَـــدْ قَطَعْنَاهَـــا بِوَقْـــتٍ هَيِّـــنٍ لَـــمْ نَـــرَ فِيهَـــا أُمُـــوراً مُتْعِبَـــةْ
نَحْمَـــدُ اللَّـــهَ الَّـــذِي خَلَّصَنَـــا وَ أُرِحْنَـــا[3] مِـــنْ عِقَـــابِ العَقَبَـــةْ

فقطعنا تلك الحذرة الكبرى، ثم سرنا إلى واد بشاطئ البحر وأحطت به خبرا، وبجانب البحر مغائر ماؤها عذب فرات، وآبار تسقى منها الناس بسائر الجهات، ورأينا نخلا زاهية، وقلعة حصينة عالية، فأقمنا بتلك المنزلة ثلاثة أيام، ونحن في زيادة إنعام وذبح أنعام، وقد وردت فواكه من غزة وأعمالها فنصبت للبيع وانخفضت الأسعار، ورفعت البواقي على أحمالها، وبقلعتها توضع [البضائع ودائع إلى الإياب][4]، ومدة المسير تسع ساعات في الحساب"[5] انتهى كلام الشيخ البكري [رضي الله عنه][6].

وزرنا، {بها}[7] حجة تسع قبر الشيخ إبراهيم اللقاني[8] في مقبرة هنالك[9] محوط عليه بأحجار على يسار الذاهب إلى منزل الركب أوقفنا عليه مغربي ساكن ببندر العقبة نيفا وعشرين سنة، ثم ارتحلنا من العقبة صبح السبت، وسرنا في مسلك ضيق بين البحر والجبل، لا يمر به إلا جمل إثر جمل، كأنه متن[10] الصراط إلا أنه غير مستقيم وقلما يخلو هذا المحل من لصوص يتعرضون للركب فتشتد إذايتهم، وتعظم نكايتهم، لا سيما عند البرج قرب بندر العقبة، ولكن ذلك في الرجوع أكثر. ولم نر والحمد لله [بأسا ولا بؤسا، ووصلنا][11] ظهر الحمار بعد الظهر، ووجدنا أخريات

---

(1) "ت": بقلوب.
(2) "ت": مرتعبة.
(3) "ف":فاسترحنا.
(4) "ف": الودائع ترد إلى الإياب.
(5) ينظر ماء الموائد ج1/ص167-168.
(6) زيادة من "ع".
(7) ساقطة من "ت".
(8) ابراهيم اللقاني: ابراهيم بن حسن بن علي اللقاني، المالكي، المصري من علماء الحديث، وأصوله، والكلام، والفقه، توفي سنة 1041 هـ وهو راجع من الحج، ودفن بالقرب من عقبة أيلة. ينظم معجم المؤلفين، ج1 ص 8 .
(9) "ح1": هناك.
(10) "ت": من.
(11) مطموسة من "ح2".

المصري [184- أ] ووقفنا حتى غاب عنا وسار، وصلينا العصر. وهو "بسيط من أرض أحرش مرتفع يطلع إليه من مسلكين لا يخلوان[1] من صعوبة، وتحته على ساحل البحر احساء كثيرة في وسط حدائق النخل، وقلما يخلو من عمارة بعض ضعفة الأعراب، سيما {في}[2] وقت جذاذ[3] النخل، ويكون فيها[4] هذا[5] الوقت الوقت رطب جيد."[6] وماء هذا المحل كله عذب طيب.

قال شيخنا أبو سالم في رحلته: "ويسمى ذلك المحل في زماننا هذا حفائر النخل"[7].

وخلفنا البحر يمينا فسرنا ونزلنا بعد[8] المغرب في فسحة من الأرض بين جبلين، جبلين، ثم ارتحلنا منه يوم الأحد الأول من يناير حادي عشر ذي القعدة، وبلغنا عش الغراب قبل الظهر، وجاوزنا دار المصري بشرف بني عطية بموضع يقال له أم العظام[9] وهناك أرجام كالشعاب عن يمين الذاهب. ذكر العبدري[10] في رحلته أن ذلك قبر الشفاف. والشفاف: رجل كان يقطع الطريق على الحاج هناك في غابر الزمان، وقصته مشهورة في رحلة العبدري. ومن وراء {هذا}[11] الجبل الذي على يسار الذاهب بلد واسع فيه ماء جار وأرض مخصبة، وربما عطش الركب في ذلك المحل، فيأتي العرب بماء فيبيعونه. ونزلنا قبيل مغيب الشفق. وبنو عطية هم عرب هذه البلدة.

قال الإمام أبو سالم: "ويقال لهذا المكان، يعنى الشرف، عش الغراب.

---

(1) لا يخلو

(2) ساقطة من "ت".

(3) جذ النخل جذًا وجذاذا: قطع ثمره وجناه. ينظر اللسان مادة (ج- ذ -ذ)

(4) "ف": منها.

(5) "ت":ذلك.

(6) ينظر ماء الموائد،ج1، ص- ص:168- 169 .

(7) ينظر نفسه.

(8) "ف": بعيْد.

(9) "ح2" أبو العظام.

(10) الرحلة المغربية للعبدري، ص: 341 .

(11) ساقطة من "ع" و"ف".

غريبة: تزعم العرب أن الإبل تنفر في هذا المكان، ويقولون إنها تسمع صوت سَقْبِ[1] ناقة صالح، وإنه في ذلك الجبل[2] وأن هناك الصخرة التي دخل فيها لما عقرت أمه، فالإبل إذا وصلت إلى ذلك المكان تسمع صوت العشار[3] فتنفر، ولا أدري من أين لهم ذلك. وهو بعيد إذ ليست هذه ديار ثمود الذين عقروا الناقة وهم قوم صالح على نبينا وعليه الصلاة والسلام"[4].

[ذكر مغائر سيدنا شعيب]

ثم منه يوم الاثنين، وصلينا العصر بالمكان المسمى بمغائر سيدنا شعيب، على نبينا وعليه الصلاة

والسلام، في حشر ملتف ملنا إليه؛ لأجل الحرم الذي معنا. وهي أحساء كثيرة في مضيق بين جبلين فيها نخل، وماؤها طيب حلو خفيف نافع، وعادة أعراب مدين أن تسوق الأركاب هنالك بأحمال كثيرة من أنواع العنب وغيرها من الفواكه، وتنخفض أسعار ذلك كله. وبينها وبين مدين مسيرة نصف يوم. "وهي بلدة بساحل[5] البحر، كثيرة الفواكه والمياه الغزيرة، وسكانها[6] أعراب أهل بادية، وكانت قبل ذلك مدينة. ويذكر أن أثر البناء باق فيها إلى الآن"[7].

قال شيخنا أبوسالم: "وعلى يسار منزل الركب، خارج المضيق، مغارة يقال: إن فيها شعيبا، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، يأوي بغنمه. وبإزائه بئر كبيرة[8] كبيرة[8] معطلة، وبجانبها بركة. ويقال: إن هناك كانت البئر التي سقى منها موسى، عليه السلام، غنم شعيب، عليه السلام. وفي ذلك الوادي دوم طويل كأنه نخل

---

(1) السّقب: ولد الناقة الذكر ساعة يولد، ينظر اللسان مادة (س– ق– ب).
(2) "ف": المكان.
(3) العشار جمع العشراء من النوق ونحوها ما مضى على حملها عشرة أشهر، ينظر اللسان مادة: (ع – ش– ر).
(4) ينظر ماء الموائد، ج1، ص: 169 .
(5) "ت": ساحل.
(6) "ع": وساكنها.
(7) ينظر ماء الموائد، ج1، ص:169 .
(8) "ح1": كثيرة.

صنوان وغير صنوان، وعريش كثير في الوادي[1]، وهو محل مخافة قلما يخلو من لصوص الأعراب"[2].

قلت: ولمدين أخبار وآثار ذكر المقريزي منها نبذة.

ولما صلينا العصر[3] بالمغارة كما تقدم، تجاوزنا ونزلنا بين العشاء ين في بسيط بسيط {منزل}[4] أفيح، ثم ارتحلنا منه يوم الثلاثاء، ونزلنا عيون الأقصاب بعد العصر. وهو ماء جار في مضيق بين جبلين في محل كثير القصب والديس[5]، وفي أعلى الوادي نخل وأرض صالحة للحرث قلما يخلو ذلك المحل من الأعراب نزول به، فيكثر الخوف ويعظم ضررهم، سيما مع نزول الليل، فيأخذ الناس حذرهم، فيطلع الرماة إلى أعلى الوادي مراقبين حتى يأخذ الناس حاجتهم من الماء ويكتفوا، فتأتي الرماة لمنازلهم[6]. وعلى شفير الوادي عند منزل الركب مسجد مبني بالحجارة المنحوتة المنحوتة ومنبر بازائه.

ثم ارتحلنا منه يوم الأربعاء رابع عشرذي القعدة ورابع يناير، وخرجنا على البحر، ولم نزل نسايره إلى بندر المويلح، ونزلنا قبل الغروب، ونزل أول الركب عصرا، وبنينا الأبنية والأخبية بإزاء البحر بحيث تقرب الأمواج من الأستار. وماء هذا البندر كثير حلو، فيه آبار كثيرة وبساتين حسنة ونخل، وهناك حصن كبير فيه عسكر وأمير، يخزن فيه الميرة والفول كثيرا. وعلى بابه سوق كبير يوجد فيه غالب المحتاج.

وبه مرسى حسنة تنزل بها السفن القادمة من سويس والقادمة من جدة {ومن القصير}[7] والحجاز. عامنا هذا، والحمد لله، كثر[8] فيه المطر جدا، وقل يوم يمضي[9] يمضي[9] ولا نجد فيه غدران المطر؛ وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس. وما

---

(1) "ح1": الواد.
(2) ينظر ماء الموائد،ج1، ص:169 .
(3) مطموسة في "ح2".
(4) ساقطة في "ف".
(5) الديس: الغابة المتلبدة، ينظر اللسان،مادة: (د ا س).
(6) "ت": لمنازلها.
(7) ساقطة من "ع".
(8) "ف": كثير.
(9) "ح1": مضى.

شربت قط بعد فراغ ماء النيل إلا ماء المطر أعني فيما مضى. ونرجو أن يكون فيما[1] بقي كذلك فإنه الجواد الكريم، المنان الحليم الرؤوف الرحيم.

تتميم:[2] قال البكري رضي الله عنه [184- ب] في ذكر المراحل من العقبة العقبة إلى المويلح: "ثم سرنا إلى مرحلة يقال لها ظهر الحمار، وهي محطة عالية كثيرة الأوعار، يصعد إليها من عقبتين، واليمنى أوسع من اليسرى في المسلكين، قال الشاعر: (الكامل)

صَعِدُوا عَلَى ظَهْرِ الحِمَارِ لَعَلَّهُمْ ... أَنْ يَبْلُغُوا بِصُعُودِهِمْ كُلَّ الأَمَلْ

تَعِبَ الحِمَارُ مِنَ الطَّرِيقِ وَطُولِهَا ... وَمَدِ يدِهَا إِجْتَثَّ مِنْ بَعْدِ الرَّمَلْ

حَتَّى الجِمَالُ بِهِ اشْتَكَتْ يَا هَلْ تُرَى ... نَقْبَلْ[3] بِه عُذْرَ الحِمَارِ أَمِ الجَمَلْ

ومدة المسير[4] إليه ثمانية[5] من الساعات، محررة عند أهل الميقات. ثم سرنا إلى سرنا إلى بين الجرفين وهو مكان كأن الجبال[6] قد قسمت[7] به شطرين، يحترز منه أن منه أن يقذف بالحجاج، في أيام السيل إلى البحر الملح والأجاج، قال الشاعر {مُلْغِزا فيه}[8]: (الوافر)

وَخَمْسَةُ أَحْرُفٍ فِي اللَّفْظِ تُقْرَا ... فَإِنْ صَحَّفْتَهَا صَحَّتْ بِحَرْفَيْنِ

وَإِنْ أَسْقَطْتَ خَمْسَيْهَا فَيَبْقَى ... ثَلاَثَةُ أَحْرُفٍ مِنْ أَصْلِ أَلْفَيْنِ

ومنها إلى الشرفة، وهي بطول السير[9] متصفة، تتعب فيها الجمال، ولو رحلت رحلت بالأرحال، لما فيها من الوهاد، والطّلوعات الشداد، وخلف جبالها قبيلة بني عطية، المعروفين بالسرقة والأذية، قال الشاعر: (مجزوء الوافر).

---

(1) "ت": ما.
(2) "ح2": تتمة.
(3) "ح2": يقبل.
(4) "ت": السير.
(5) "ت": ثمان.
(6) "ف": الجبل.
(7) "ف": قسم.
(8) ساقطة من "ح1".
(9) "ف": المسير.

إذَا مَــــا جِئْــــتَ لِلشُّرْفَـــــةْ تَـــــرَى الغُرْبَـــــانَ مُخْتَلِفَـــــةْ

وَأَمَّـــــا العِـــــيسُ فَاجْعَلْهَـــــا بِحِـــسِّ الحِفْـــظِ مُتَّصِفَـــــةْ

فَــــإِنْ مُنِعَـــــتْ بِحارِسِهَـــــا وَ إِلاَّ فَهْــــــيَ مُنْصَرِفَــــــةْ

ومدة السير[1] خمس عشرة ساعة[2] من غير ريب، وبعده المغار المعروف بمغار بمغار شعيب، وهو غار تتبرك به[3] الناس، وترى فيه الحظ والإيناس، وبه الماء العذب العذب والنخيل، وشجر المقل والأثل والظل الظليل، قال الشاعر: (الخفيف)

قَــدْ وَصَلْنَــا إِلَــى مَغَــارِ شُعَيْــبٍ فَرَأَيْنَـــا المِيَـــاهَ كَالأَنْهَـــارِ

فَاسْتَقَيْنَـــا مِـــنْ مَائِـــهِ وَاشْتَفَيْنَـــا وَظَفِرْنَـــا بِغَايَـــةِ الأَوْطَـــارِ

وَذَكَرْنَـــا بِغَـــارِهِ غَـــارَ ثَـــوْرٍ مَـــنْ حَـــوَى لِلصِّدِيـــقِ وَالمُخْـــتَارِ

خَيْـــرُ مَـــنْ أَنْـــزَلَ الإِلَـــهُ عَلَيْـــهِ ﴿ثَانيَ اثْنَيْـنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ﴾[4]

ومدة المسير ثماني عشرة[5] ساعة، محررة عند أهل الصناعة، ثم منها إلى عيون عيون القصب، إذا نظر إليها العاجز أذهبت[6] عنه الوصب، لأن حضرتها نضره، والأشجار بها منتظمة ومنتشرة، قال الشاعر: (الرمل).

قَــدْ وَصَلْنَــا لِعُيُــونِ القَصَــبِ وَاسْتَــرَاحَ القَلْــبُ بَعْــدَ النَّصَــبِ

وَعُيُــونُ المَــاءِ فِيهَــا قَــدْ جَــرَتْ كَسُــيُولِ الغَيْــثِ بَيْــنَ القَصَــبِ

فَجَلَسْنَــا فِــي صَــفَاءٍ حَــوْ لَــهَـا وَظَفِرْنَـــا عِنْدَهَـــا بِـــالأَرَبِ

وَتَشَوَّقْنَـــا[1] لِشَـــادٍ مُطْـــرِبٍ يَتَغَنَّـــى بِعُـــيُونِ القَصَـــبِ

---

(1) "ف": المسير.
(2) "ح2": ساعات.
(3) "ح2": فيه.
(4) سورة التوبة: بعض من الآية:40 وتتمتها: ﴿ إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُماَ فِي الغَارِ إِذْ يَقُولَ لِصاَحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَناَ، فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ، وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهاَ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُو السُّفْلَىَ، وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْياَ، وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.
(5) "ت": ثماني عشر.
(6) "ف": ذهب .

ورأينا مجاورا لتلك العيون نسوة من العرب يوصفن بحسن العيون، ويتعاجبن بظفائر الشعور، فيمنعن من عقل الحب[2] الشعور، كأنهن الأقمار، أو كأنما نبتت في وجناتهن الأزهار، فكأن قطع المفاوز والأوعار، كالمتنزهات في الرياض والأزهار، قال الشاعر في بدوية اسمها ساكتة: (الطويل)

بِرُوحِـــيَ أَفْـــدِي ظَبْيَـــةً بَدَوِيّـــةً لَهَـــا وِجْنَـــةٌ فِـيهَا الأَزَاهِـرُ[3] نَابِتَــهْ

إِذَا رُمْـتُ مِنْـهَا أَنْ تُكَلِّمَنِي غَـدَتْ تُكَلِّمُنِــي أَلْحَاظُــهَا وهْــيَ سَاكِتَــهْ

ومدة المسير إليها أربع عشرة ساعة وثلاث من الدرج، يتعب في سيرها من ركب ومن درج، ثم منها إلى [185- أ] بندر المويلح المشهور، ورأينا بساحله المراكب من السويس[4] والطور، فياله من بندر فاق البنادر يأتي إليها الوارد والصادر، وبه جملة من الكروم التي تذهب برؤيتها الهموم، وبمخازن القلعة تودع[5] الودائع، وإلى سوقها تساق نفائس البضائع، من ثمار تجلبها العرب، وزلابية عجينها كاللجين، فإذا [قليت][6] أشبهت الذهب، وبهذا البندر رجل من أرباب الأحوال، حاز رتبتي الجلال والجمال، صاح مجذوب، تميل إليه محبة القلوب، وله أسرار ظاهرة، ومكاشفات باهرة، يعتقده الناس، ويحصل لهم به الإيناس، لا يعرف الدرهم ولا الدينار، ولا يقبل إلا القوت عند الاضطرار، لباسه جبة من صوف، ورأسه في غالب الأوقات مكشوف، إن نطق تكلم على الخواطر، وإن صمت نطقت عليه ألسنة الناس بالثناء العاطر، ويكسوه المارة العدد، فيقبلها ويعطيها لمن وجد، لأن من رآها عليه، يطلبها فيدفعها إليه، وهذا شأن الكرام، الذين قطعوا علائق الدنيا على الدوام. فأقمنا بهذا البندر [مدة من][7] ثلاثة أيام، وبعدها طوينا المضارب والخيام ،. مدة المسير ثلاث عشرة ساعة، وخمس من الدرج في علم الصناعة"[8]. انتهى كلام البكري .

---

(1) "ح1": تشاوقنا.
(2) الحب: المحب، ينظر اللسان، مادة (ح – ب- ب-).
(3) "ح1": الأزهار.
(4) "ف": سويس.
(5) "ت": توديع.
(6) "ت": مكان هذه الكلمة فيه بياض.
(7) زيادة من "ف".
(8) ينظر ماء الموائد،ج1، الصفحات: 171- 172- 173 .

قلت: وأقمنا بالمويلح الخميس والجمعة، ورحل المصري سحر ليلة الجمعة، لأجل السبخة التي أمامه أراد أن يتعداها نهارا، ومطرنا ليلة الجمعة [ويوم الجمعة][1] إلى أن تعالى النهار مطرا غزيرا وخزنا بالقلعة [من][2] الزاد ما يبلغنا إلى العقبة، ومن العقبة كذلك إلى مصر. ووجدنا هنالك رجلا من سكان زاوية الفتح، طلع معنا عام تسعة وانقطع هناك، وتزوج وولد له، يسمونه الحاج أحمد المغربي، وله وجه ومعرفة بالناس، وعنده أودعت ما أودعت، وأتانا بقربتين من ماء المطر جزاه الله عنا خيرا آمين،

ثم بعد صلاة صبح يوم الأحد سابع عشر ذي القعدة[3] وسابع يناير، طوينا الأخبية والمضارب، وشددنا للترحال المحامل والمراكب، وأضحينا بالسبخة، ونزلنا بالموضع[4] المسمى بدار أم السلطان قبل الغروب. وبه آبار عذبة المياه، تستلذه الأفواه، على انه سخن، ولكنه سريع الانفعال للهواء[5]. وهي محدثة وأحلى ما في[6] الدرب من الماء ومثلها ماء النبط. أخبرني بعض كبراء[7] أعراب هذه النواحي أن الأمير إبراهيم الفكاري، هو الذي تسبب فيها، وأنه طلع للحج وبعث إلى أخيه بمصر، وقال له: "إن الماء الطيب بهذا المنزل إن مت فاحفره، وأكد عليه في ذلك ومات بمكة لما حج، وحفر[8] أخوه آبارا، ولها نحو من عشرين سنة والمحل قبل لا ماء به" انتهى كلامه.

ثم منه قبيل[9] الفجر يوم الأحد ذهبت[10] الركاب وتربصنا بجماعة حتى صلينا الصبح، ومررنا بالمضيق الموسوم بشق العجوز. وسايرنا البحر المالح، عن يسارنا جبال سلمى وكفافة، ومررنا ضحى بقبر سيدي مرزوق الكفافي على ساحل البحر، عليه أعواد قد علم بها عليه؛ والناس يتبركون به. وطلعت الشمس فارتفعت حارة.

---

(1) زائدة في "ت".
(2) زائدة في "ت".
(3) "ع": ذي قعدة.
(4) "ف": الموضع
(5) "ت": إلى الهواء.
(6) "ف": بالدرب.
(7) "ت": كبار
(8) "ح2":حفره.
(9) "ح1": قبل.
(10) "ت": هبت.

ونزلنا بندر الأزلم قبيل الاصفرار، ووجدنا به، شرذمة من الأعراب يبيعون الحشيش والغنم، وبه ثلاثة آباركبيرة محكمة البناء وماؤها غزيرإلا أنه زعاق[1] يصلح للإبل، ولضروريات[2] الناس من غسل ونحوه، ولا يسيغه إلا المضطرون.

قال {الشيخ}[3] أبو سالم: "وعلى يسار البندر بعيدا عن الآبار حسى[4] محفور في الأرض[5] ليس بمطوي، ماؤه أحسن من ماء الآبار إلا أنه قليل ولا يعرفها[6] يعرفها[6] الكثير من الناس. وهذا البندر قليل الجدوى، لقبح مائه وقربه[7] من المويلح المويلح ومن الوجه، وهما أتم منفعة منه فليس فيه كبير فائدة وقد انهدّ ما في داخله من البيوت وتثلم بعض صوره[8]، والخلاء أقرب إليه من العمارة: (الطويل)

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيكُنَّ ظِلٌّ وَلاَ جَنَى فَأَبْعَدَكُنَّ اللَّهُ مِنْ شَجَرَاتِ"[9]

انتهى.

ثم ارتحلنا من الأزلم يوم الاثنين، وسرنا بين جبلين، في مضائق وعقاب صغار إلى أن وصلنا إصطبل عنتر بعيد المغرب، وفيه ثلاثة آبار، وماؤها حلو إلا أنه ضنين[10] أنزحته الدلاء بسرعة، وبات الناس يتبرضونه[11] تبرضا، منهم من رجع بما يكفيه لشربه، ومنهم ذو قربة وقربتين، ومنهم من رجع منه بخفي حنين؛ وأما الإبل فلا تكاد تطمع فيه.

ثم منه يوم الثلاثاء سحرا، ومررنا بواد الأراك[12]، وهو واد واسع يأتي من ناحية الشمال، والبحرعن يمينه قريب[13] منه، وفيه كثير من شجر الأراك الأخضر الناعم،

---

(1) الزعاق: من الماء: المر الغليظ لا يطاق شربه، ينظر اللسان، مادة (ز- ع- ق).
(2) "ح2": لضرورية.
(3) ساقطة من "ف".
(4) حسي: احتفره ليخرج الماء، ينظر اللسان مادة (ح،س،ي).
(5) "ت": بالأرض.
(6) "ح1": لا يعرفه
(7) "ف": مقربه.
(8) "ف: سوره.
(9) ينظر ماء الموائد،ج1، ص: 173 .
(10) "ف": ضيق
(11) يتبرضونه: يخرجونه قليلا، ينظر اللسان، مادة (ب – ر- ض).
(12) "ح1": الأرك.
(13) "ت": قريبا.

فتجاوزناه إلى مضائق بين فدافد[1] من جبال ذات حدور وصعود [185- ب] إلى أن وصلنا لبندر الوجه عصرا، وبواده أدينا فريضته. [وتقدمنا قرب البندر][2] في انتظار أصحابنا، وفيه حصن حصين في جرف واد كبير يخرج بين جبلين والناس يتهيئون النزول في أصل الوادي، إذ كان الوقت وقت السيول، فيرتفعون عن جنبي الوادي وكذلك يفعلون. وفي الوادي عدة آبار: بعضها حسن بمهملتين، وبعضها بمعجمتين والتي فوق البندر أحسن من التي تحته. وداخل البندر بئر تسنى بالبقر، وتصب في ثلاث[3] برك خارج البندر أظن[4] حائط إحداها من بناء الأمير رضوان في آخر أيامه، وهي أوسطها، والثنتان من بناء مملوكه الأمير غطاس[5] عام تولّى إمرة الحاج بعد مولاه؛ والبرك الثلاثة ملاصقة لسور البندر.

قال أبو سالم: "وفي أعلى الوادي بين جبلين ماء يسمى الزعفران، وماؤه طيب إلا أنه قليل فإذا كثر الزحام على الآبار طلع إليه أهل الجرأة من الناس، وربما هجمت عليهم العرب هنالك فيقع بينهم قتال، إلا أن الموضع قريب من البندر فيغاثون. واستقى الناس ما احتاجوا إليه، وأوردوا إبلهم وبالغوا في حمل الماء، وتعاهدوا أسقيتهم، وأوثقوا أوكيتها، ولم يألوا ما ملأوا[6] من الأوعية، وباتوا ليلتهم في الآبار إذ نزحت. وكابد الناس في ذلك مشقة [عظيمة][7] فادحة، لأنهم استقبلوا المياه القبيحة القبيحة والمسافة العويصة التي ليس في الدرب أصعب منها؛ لتوالي المياه القبيحة فيها وبعد العمارة ووخم[8] هواها وسوء أخلاق عربها"[9].

قال أبو سالم: "وهذا البندر آكد البنادر للخزن لأن الركب في الإياب قد يسبق الملاقى التي من مصر إلى هذا المحل، فيغلى فيه الفول والطعام غاية حتى تعجز عنه الأثمان في بعض الأوقات"[10].

---

(1) فدافد جمع الفدفد وهي الأرض الواسعة . ينظر اللسان مادة (ف،د،ف،د).
(2) مطموسة في "ح2".
(3) "ع": ثلاثة.
(4) "ح2": لصق حائطه.
(5) "ع": عطاس.
(6) مطموسة في "ح2".
(7) زائدة في "ح2".
(8) الوخم: تعفن الهواء، ينظر اللسان مادة: (و – خ– م).
(9) ينظر ماء الموائد،ج1، ص: 174.
(10) ينظر ماء الموائد نفسه.

وفي حجتنا عام تسعة تجاوزناه لقلة مائه، ونزلنا قرب العشاء بعد مجاوزته بأميال، إذ لم نجد به شيئا من المنازل[1]. "قال الشيخ البكري في ذكر المراحل من المويلح إلى الوجه: ثم سرنا من المويلح إلى دار أم السلطان التي هي لعرب البادية أوطان، ونزلنا بوادي سلمى وكفافة، وحصل مزيد الأمن بعد المخافة، وخلف جبلها الغربي البحر الأصيل، وبجانبه القصطل البري منتظم كالنخيل، وحفائر مائها عذب بارد، يشرب منها الغادي والوارد، قال الشاعر: (الخفيف)

إنَّ وَادِي سَلْمَى بَهِيٌّ بَهِيجٌ ... حَيْثُ فِيهِ قَبْرُ الوَلِيِّ المُسَمّى

صَاحِبَ السِّرِّ وَالمَعَارِفِ مُرْزو ... قَ وَالكَفَافِيَّ طَابَ رُوحاً وَجِسْمَا

فَإِذَا جِئْتَ قَبْرَهُ فَتَأَدَّبْ ... وَتَوَسَّلْ بِجَاهِهِ ثُمَّ سَلْ مَا

فأقمنا بتلك المرحلة الإقامة المعتادة، وحصل لنا ببركة الشيخ مرزوق {الرزق}[2] في الزيادة، ومدة المسير كاف تمام، وعدها معروف من غير إيهام، ثم سرنا إلى بندر الأزلم[3]، ولا يرغب فيه من بحقيقته يعلم، فماؤه ملح أجاج، ما شربه شربه إنسان إلا احتاج للعلاج، فأقمنا به من غير إقبال، ورحلنا منه بعد الزوال، ومدة المسير إليها ست عشرة ساعة محررة، وخمس من الدرج مقدرة، ثم سرنا إلى مرحلة تسمى اصطبل عنتر، وقد اختفى بها العربان {للأذى}[4] وتستروا، والمسير إليها من جبال صاعدة، وحدرات وأوعار متقاربة ومتباعدة، وبها آبار عذبة، يود كل ظمآن شربه، قال الشاعر: (المجزوء الكامل).

إنْ جِئْتَ[5] لِلإصْطَبْلِ لاَ ... تَغْفُلْ بِهِ عِنْدَ النُّزُولْ

وَاحْذَرْ مِنَ العَرَبِ الَّذِي ... بِجِبَالِهِ أَبَداً تَصُولْ

وَاعْلَمْ فَدَيْتُكَ أَنَّهُ ... صَعْبٌ وَلَكِنِّي أَقُولْ

قَدْ سُمِّيَ الإصْطَبْلُ مِنْ ... عَرَبٍ بِهِ شِبْهُ الخُيُولْ

---

(1) مطموسة من "ح1".
(2) ساقطة من "ف".
(3) "ع": الأزلام.
(4) ساقطة من "ت".
(5) "ف": إن جئنا.

ومدة المسير {إليه}[1] ثلاث عشرة ساعة في العدد، صحيحة الضبط والسند.
والسند. ثم سرنا منه إلى وادي الأراك، وهو واد ليس لانفراد محاسنه اشتراك، وبعده دخلنا بين جبال وأوعار، ومضيق وأحجار، وحدرات[2] طوال، وصعودات وتلال، حتى[3] نزلنا ببندر الوجه المبارك، وصار حصنه متقاربا متداركا، فرأينا فيه الآبار الخالية، وحفائر الماء العذب بقربه غير خالية، فأقمنا به إلى قبيل العصر، وقد زال من الناس الحصر، قال الشاعر [186- أ]: (الرمل).

قَـدْ دَخَلْـا بِنـدرَ الوَجْـهِ الـَّذِي	فِيـهِ قُـوتُ كُـلِّ عَـامٍ يُخْتَـزَنْ
وَشَرِبْنَـا مِـنْ مِيَـاهٍ عَذُبَـتْ[4]	شُرْبُهَـا يَجْلُو عَـنِ القَـلْبِ الحَـزَنْ
نَحْمَـدُ الـلَّهَ الَّـذِي أَسْعَفَنَـا	وَرَأَيْنَـا ذَلِـكَ الـوَجْهَ الحَسَـنْ

ومدة المسير إليه سبع عشرة ساعة وثلثي ساعة بالإجماع، حررها أهل العلم والاطلاع"[5]. انتهى كلام البكري رضي الله عنه[6].

فلنرجع فنقول: ثم ارتحلنا من الوجه إسفار يوم الأربعاء الحادي والعشرين من ذي القعدة حادي عشر الليالي ونزلنا غربي أكره بين العشاءين، وفي هذه المسافة لما توجهنا عام تسعة هبت على الناس ريح السموم، وتسقيهم من نضيح اليحموم واشتد الحر وتوالى الكرب على الناس. وضاعت الحيل وعدم الإيناس، واشتد العطش على الرجال، والأجمال يشرب ولا يغني شربه، بل يتزايد بمناولته الماء كربه لا يبين[7] يبين[7] القدح أو السقآء عن فيه إلا وتزايدت حرارة العطش له، فبركت الإبل، وفرت وفرت لظلال الأشجار، وتدخل رؤوسها[8] في أدنى ظل يبدو لها. وإذا بركت لا تكاد تكاد تقوم ولو قطعت إربا إربا، واشتدت الحال، ﴿وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ﴾[9]

---

(1) ساقطة من "ف".
(2) "ف": مزارات.
(3) "ع": ثم.
(4) "ف": عذبه.
(5) ينظر ماء الموائد،ج1، ص: 174- 175- 176 .
(6) "ت": انتهى كلامه رحمه الله.
(7) مطموسة في "ح2".
(8) "ت": رأسها.
(9) سورة الأحزاب: بعض الآية 10، وتتمتها: ﴿ إِذْ جاَءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَناَجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا ﴾.

وكلحت[1] الوجوه، واغبرت الغدر وتغيرت، واسود بيضها وتنكرت. فترى الرجل لا بأس به، فإذا به يخشى عليه الفوت، فإذا أوتي بالماء سبقه إليه الموت، وهلك من الناس كثير، ومن الإبل أكثر. وترك الناس بضائعهم وأحمالهم مشحونة بأزوادهم وما به قواؤهم فتيت الفلوات[2]، وذهبوا بأنفسهم في طلب النجاة، يوم يذكر الموقف والعرض، وضاقت الدنيا على سعتها في الطول والعرض، يود الإنسان لو يجد السبيل إلى باطن الأرض، الناس فيه حيارى ﴿وَتَرَاهُمْ سُكَارَى وَمَاهُمْ بِسُكَارَى﴾[3]. مات من المغاربة زهاء الستين بالشرب[4] والعطش من نساء وصبيان، ورجال وولدان، هذا ما رأينا عيانا على أن الناس تفرقوا لطلب الظلال شذرمذر[5]، وللتبرد بالأفياء شغربغر، ومررنا بامرأة مصرية فلاحية وقد بركت أجمالها رافعة أكفها إلى السماء تتضرع وتقول: "يا رسول الله اشتد الأمر" وتكرره، وتركناها، مكره أخاك لا بطل، ولم ندر ما فعل الله بها على أنا رجونا الله لها، متيقنين سلامتها، بتمسكها[6] بسيد الأولين والآخرين، صلى الله عليه وسلم: (الوافر)

تَمَسَّكْ بِالنَّبِيِّ فَكُلُّ خَطْبٍ يَهُونُ إِذَا تَمَسَّكْتَ بِالنَّبِيِّ

ثم منه وبلغنا الأكره ضحى، وهوواد كبير تأتيه السيول من بلاد بعيدة . ويذكر أن سيل[7] المدينة المشرفة – على من شرفت[8] به أفضل الصلاة والسلام، وأزكى التحية والإكرام – {يصل إليه}[9] وماؤه قبيح جدا إلا أن يكون عقب سيل فيحسن، وفيه أحساء كثيرة وأشجار ملتفة. ووجدنا ماء جل آباره جيد لقرب عهدها[10] بسيل، وسقى الناس منه وأخذوا من مائه ما ليس لهم عنه بد، وسقوا إبلهم وتجاوزوه قبل الظهر، وباتوا غربي بين الدركين.

---

(1) "ع": وكحلت.
(2) "ف": فتاعت في الفلوات.
(3) سورة الحج: بعض الآية 2، وتتمتها: ﴿ يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾.
(4) "ت" من الشرب.
(5) "ح2": شدر مدر.
(6) "ت:": متمسكين.
(7) "ف": سيله من سيل.
(8) "ف": تشرفت.
(9) ساقطة في "ع" وفي "ف".
(10) "ت": عهده.

{ثم ارتحلنا منه وبلغنا بين الدركين}[1] مع طلوع الشمس، وهو منزل الحاج المصري. وسمي بذلك لأنه بين درك أعراب مصر وأعراب الحجاز {فإن ما بعده من عمل الحجاز}[2] وفي درك أعرابه.

ووجدنا الأعراب هنالك[3] تبيع ماء المطر، واشترينا[4] منهم أربع قرب بتسع عشرة فضة، وسرنا . ولما تعالى النهار، رأينا نجعا من الأعراب بازاء البحر راحلا بالإبل والبقر والغنم، ولما بلغنا العقبة السوداء: وهي عقبة صغيرة في حرة سوداء ذات أحجار وأشجار، ويقال: إنها أول أرض الحجاز ولا يبعد ذلك. فإن من هنالك تخالف الأرض ما قبلها، وتباين الجبال ما سواها، ويشتد شبهها بجبال الحجازالسود، ويتقوى الحر. تلقت تلك الأعراب الركب بكثرة السمن واللبن والخرفان للبيع، ولم نر نحن من ذلك[5] شيئا . وهذه المرحلة والتي قبلها يشتد فيها الحر. وهي أرض سهلة مطمئنة ليس فيها جبال إلا ما يتراءى عن شمال المار بها، والبحر يتراءئ عن يمينه، وفيها غياض من شجر الطلح، وهي من أنواع الكلإ الذي ترعاه الإبل كثيرا، إلا أنها لا تترك للرعي فإن المحل مخوف تغير فيه أعراب بلى[6] وجهينة وغيرهما، فسرنا محادين للبحر إلى أن نزلنا الحوراء بعد المغرب، وتفرق الناس في مياهها وهي حفائرعلى ساحل البحر [186- ب] يحيط بها ديس كثير وفيها[7] ملوحة قليلة، والقريب العهد بالحفر أجود من غيره، وكلما طال في القرب خبث، والإكثارمنه يورث إسهالا مفرطا كماء الأكره والأزلم وعجرود وأخذوا أهبتهم راقين على تلال واديها وآكامها وروابيها لكون المحل محل الغارات، فلما أخذ الناس حاجتهم من الماء ارتفعوا عن الحفائرو باتوا. "ومن أمثال الحجاج[8]: "لا رجال[9] إلا رجال الحوراء، ولا جمال إلا جمال

(1) ساقطة في "ح1".
(2) ساقطة في "ت".
(3) "ت": هناك.
(4) "ح2": اشتريت.
(5) "ح1": ولم نر من ذلك نحن.
(6) "ح2": بنى.
(7) "ف": وفيه.
(8) "ف": الحاج.
(9) "ت": رجل.

الدوراء"، ويعنون بالدوراء: الرجعه، يعني لا يعد صابرا من الجمال إلا من صبر في حال الرجوع من الحجاز، إذ هو آخر السفر ومحل قلة العلف"[1].

ولما صلينا الصبح ظعنا، فطلعنا مع واديها الكثير الأشجار من أراك وغيره، إلى أن ارتفعنا فعدنا يمينا إلى الوادي المسمى على ألسنة الحجاج وادي العقيق.

قال شيخنا {أبو سالم}[2]: "ولا مناسبة بين الاسم والمسمى {بل}[3] تسميته تسميته بوادي العقوق أنسب لشدة جرأة أعرابه على السرقة فإنهم من أجرإ الناس على ذلك"[4].

ولم نبت تلك الليلة إلا بقرب النبط، فنزلنا غربيه بعيد المغرب، ثم ارتحلنا منه يوم الأحد الخامس والعشرين من ذي القعدة خامس عشر الليالي. وجئنا وادي النبط بعيد طلوع الشمس، وفيه آبار أربعة محكمة البناء بالحجر المنحوت، وماؤها عذب {حلو}[5] غزير في الغالب.

قال أبو سالم: "وغزارة مياه أودية الدرب إنما يكون بحسب كثرة المطر وقلته، فإذا حمل الوادي ولو مرة في السنة غزر ماؤه سائر السنة"[6]. وبهذه السنة توالت الأمطار بالحجاز، خصوصا من الأكره إلى هنا، فقد[7] صب فيه المطر الكثير ونبت به الربيع، ونزل الناس بهذا الوادي إلى أن سقوا واستقوا، ووجدوا به الماء الكثير، فساروا وسلكنا وادي النار. ولما صلينا العصر وجدنا غديرا من ماء المطر في قلعة بسفح جبل، وأوردنا دوابنا، وملأنا أدواتنا، فنحمد الله الذي سقانا، في مكان يتشوف فيه الناس ويموتون عطشا لماء المطر وهذا الوادي قد وافق فيه الاسم المسمى، قلما تخلو سنة من شدة تقع للحجاج فيه بحرأو عطش أو تلصص[8]، وهو واد كبير طبق ما بين جبلين، لا سعة فيه من النبط إلى الخضيرة. فإذا متع النهار، واشتد الحر،

---

(1) ينظر ماء الموائد،ج:1، ص: 177.
(2) ساقطة من "ت".
(3) ساقطة من"ع".
(4) ينظر ماء الموائد،ج:1، ص: 177.
(5) ساقطة من"ت".
(6) ينظر ماء الموائد،ج/1، ص/177.
(7) "ح1": فإذا.
(8) "ت": أو متلصصين.

حجبت الجبال {عنه}[1] الهواء البحري، فينعكس غربيا أو شرقيا صاعدا مع الوادي أو منهبطا، فيصير سموما محرقا، ولا ماء هناك من النبط إلى الينبع[2]، فربما أتلف الناس فيه العطش المهلك، وربما أحدث سمية في الأبدان[3] بقبح الهواء مع حرارته، فتموت المئون بل الآلاف[4] من الخلق في أسرع مدة، فيأخذ الرجل الماء فلا يضعه من يده حتى يموت.

قال الشيخ أبو سالم: "ووقوع ذلك في الإياب كثيرا، وفي الركب المصري أكثر"[5].

وقد غمرتنا[6] فيه، والحمد لله، ألطافه تعالى الخفية، وحضرتنا منته[7] ومواهبه السابغة الوافية، فلم نر به بأسا في الحر وفي القر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتتنزل البركات. ونزلنا مغيب الشفق قبيل الخضيرة وهومحل نزول المصري.

وظعنا قبل الفجر، وجئنا الخضيرة، وصلينا بهاالصبح، وقطعنا الوعرات السبع المسماة على ألسنة الحاج بسبع وعرات، وخرجنا إلى متسع من الأرض، وبلغنا ينبع[8] ينبع[8] النخل غروب الشمس[9]، ولما قربنا مضيق ينبع تأخر كثير من الصعاليك، فخرج عليهم المحاربون وجردوا صعلوكا فصاحوا، ورجع إليهم[10] بعض الحجاج فهربوا، وجلسوا تحت أحجار ورموهم ببنادق، ورموهم الحجاج، وكفى الله شرهم. واستبشر الناس بقدوم الينبع، لأنها أول بلاد الحجاز العامرة، وفيها قرى كثيرة ومزارع ونخيل وعيون جارية. وذكروا أن عمرانه متصل بنحو[11] ثلاثة أيام والقرية. التي ينزل بها الركب هي آخر القرى، التي من ناحية البحر، وليس بعدها إلا ينبع البحر الذي

---

(1) ساقطة من "ع".
(2) "ف": الينبوع. ينبع النخل: واد فحل كثير العيون والقرى والنخيل، التي اخذ اسمه منها. ينظر: الجغرافية الواردة في السير، ص: 340.
(3) "ت": في البدن.
(4) "ح1": الألف.
(5) ينظر ماء الموائد،ج/1 ص/178.
(6) "ت":غمرنا.
(7) "ح2": مننه.
(8) مطموسة في "ح2".
(9) "ت": النخل والصحيح ما أثبتناه.
(10) "ت": لهم.
(11) "ف": نحو

هو المرسى. وغالب أهل القرى يأتون إلى هذه القرية التي ينزل بها الحاج للتسوق، وتعمر هناك سوق كبيرة يوجد فيها غالب المحتاج، وتجلب إليها البضائع والسلع ذوات الأثمان، ويجلب إليها من الثمار، والفواكه والحبوب والفول شيء كثير. وهناك وجدنا أخبار المدينة ومكة زادهما[1] الله تشريفا وتعظيما، وتبجيلا وتكريما. ووجدنا ـ أيضا ـ أخبار سائر بلاد الحجاز، وتعرفنا رخصها من غلائها. وخصبها من جدبها. ومن هناك تجلب الميرة للمدينة المشرفة، لأن السفن الجالبة للطعام من مصر: ما كان منها للمدينة يرسى بينبع {البحر} [187- أ][2] وما كان منها لمكة يتجاوز إلى جدة. فإذا وصل الطعام إلى الينبع[3] حمل منه إلى المدينة. تحمله أعراب تلك الناحية من بني سالم، وجهينة. ويتداركون بالطريق من هناك إلى المدينة.

قال شيخنا أبو سالم: "وأكبر جبال تلك البلاد جبل رضوى، وهو المشرف على بلاد الينبع، وليس هو الجبل الصغير الذي هو بجانب الينبع بل هو الجبل الكبير المشرف عليه. وإلى هذه البلدة[4] كانت غزوة العشيرة من غزواته، صلى الله عليه وسلم. ومسجد القرية[5] الآن، هو مسجد العشيرة المعدود في المساجد التي صلى فيها النبي، صلى الله عليه وسلم. قال السيد السمهودي ما نصه: "ومسجد العشيرة معروف ببطن الينبع، وهو[6] مسجد {القرية}[7] التي ينزلها الحاج المصري"ولابن زبالة:"أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى، في مسجد ينبع بعين بولا". قلت وعنده عين جارية، لكنها لا تعرف بهذا الاسم[8]" انتهى.

وقد دخلنا[9] هذا المسجد، وقلنا فيه حتى صلينا الظهر والعصر، وتوضأنا من هذه العين وعليها نخيل ملتفة ناعمة، ووجدناها[10] العام يبس ماء العين وانهدم بعض

---

(1) "ح1: زاد لهما.
(2) ساقطة من "ت".
(3) "ع": الينبوع.
(4) "ع": البلد.
(5) مطموسة في "ح2".
(6) "ت": وهي .
(7) ساقطة من "ت".
(8) ينظر ماء الموائد،ج/1ص/179.
(9) "ع": وقد دخلت بهذا.
(10) "ف": ووجدنا بها.

سقف المسجد وذبلت[1] النخل[2] وفي الينبع مزارات[3] على تل مرتفع لأبي الحسن الحسن النفاتي وقبر الحسن المثلث فوق القرية لم يوصل إليه لبعده ودعارة[4] أعراب البلد، يزار من بعيد بالنية . وبهذا البلد موطن طائفة من الأشراف ومنهم شرفاء بلدنا القاطنين[5] بسجلماسة.

" قال البكري في ذكر المراحل من الوجه إلى الينبع ما نصه: "ثم سرنا من الوجه إلى مشرف النعام، إلى حدرات وآكام، وأماكن يرى منها البحر الأجاج، وشدة تلاطمه بالأمواج، ثم إلى حدرات كبيرة المقدار، كثيرة الصخور والأوعار. ونزلنا في مرحلة يقال لها بركة أكره، وهي أرض بها حفائر[6] ماء تكره، ماؤها مر المذاق، من من تقيد بشربه حصل له الإطلاق؛ وهي مرحلة لا تنزاح[7] بها النفوس ولا يضحك يضحك بها العبوس، قال الشاعر: (البحر السريع)

يَا مَنْ أَتَى أَكْرَهَ فِي سَيْرِهِ   أَبْشِرْ بِنَيْلِ القَصْدِ وَالمِنَّهْ

لاَ تَكْرَهِ المَكْرُوهَ فِي أَكْرَهٍ   فَبِالمَكَارِهِ حُفَّتِ الجَنَّهْ

ومدة المسير إليها تسع ساعات بتمامها، وثلث ساعة ثابتة في أحكامها.

ثم سرنا إلى مرحلة يقال لها الحنك، ولها من بين القرون[8] اسم مشترك، بين فضاء واسع المجال، ومراعي أعشاب للجمال، إلا أنها خالية من الماء للورّاد، والإقامة بها إنما هي على طريقة السير المعتاد، ومدة السير إليها أربع عشر ساعة[9] من الزمان، الزمان، حررها أهل الإتقان، ثم سرنا إلى العقبة السوداء المشتهرة، وقطعنا مفازتها ونزلنا بالحوراء النضرة، وهي مرحلة رملها غزير، ومحاطبها كثير، وبها شجر الأراك الأخضر، والماء من حفائر رملها يتفجر. قال الشاعر: (البحر الكامل).

---

(1) "ف": دبلت.
(2) "ت": النخيل.
(3) "ف": مزارة.
(4) "ع": ذعارة.
(5) "ف": القاطنون.
(6) "ح1": حفار.
(7) "ف": لاتراح.
(8) "ح1":القرى.
(9) "ت": ساعات.

{جِئْنَا[1] إِلَى الحَوْرَاءِ وَهْيَ مُحَاطَةٌ فِيهَـا الأَرَاكُ نَزَاهَـةٌ لِلـرَّآئِي}[2]

نَادَيْـتُ خِلِّـيَ: قِـفْ بِهَـا مُتَأَمِّـلاً وَانْظُـرْ لِرَمْـلٍ مُغْمَـرٍ بِالمَـاءِ

وَاغْنَـمْ زَمَانًـا مُقْـبِلاً بِسُـعُودِهِ فِيـهِ اجْتِمَـاعُ الشَّمْـلِ بِـالحَوْرَاءِ

ومدة المسير إليها في جمل الأعداد، حررها أهل الإرشاد. ثم سرنا منها إلى مفازة نبط، وهي حد عربان جهينة في السيل والحط، وبطرقها مضائق وحدرات، وجبال راسيات شامخات، وشجر أثل[3] كالنخيل، وحفائر ماء عذب يشفى العليل، العليل، قال الشاعر: (المتقارب)

وَفِـي أَكْـرِهِ وَالَّتِـي بَعْـدَهَـا مَـرَارَةُ مَـاءٍ تَزِيـدُ القَسَـاوَةْ

فَجِئْنَـا إِلَـى نَبْـطِ نَشْـكُو الظَّمَـا فَأَنْعَشَنَـا مَاؤُهَـا وَالطَّـلاَوَةْ

وَلَمَّـا صَبَرْنَـا عَلَـى غَيْرِهَـا فَأَعْقَبَنَا صَبْرُنَا بِالحَلاَوَةْ [187- ب]

ومدة المسيرإليها عدد كاف، وهي عشرون ساعة من غير اختلاف، ثم سرنا منها إلى طراطر[4] الراعي، وهي مكان تحمد فيه[5] المساعي، وهي جبال سود {فوق {فوق الجبال}[6]، وتسمى أيضا بالأباطح كما يقال، ثم إلى واد يسمى وادي النار، النار، وهو واد بين جبال ووعر وغبار، ثم نزلنا بالخضراء وقيل بالخضيرة بالتصغير، وهي من أعمال بندر ينبع في المسير، قال الشاعر: (البحر الكامل).

وانْظُرْ إِلَى الخَضْرَاءِ وَاغْنَمْ بَسْطَهَا تَلْـقَى[7] رُبَاهَـا نُزْهَـةً للـرَّائِي

فَلَرُبَّ حَشَّاشٍ شَكَى مِنْ هَمِّهَا[8] قَـدْ زَالَ عَنْـهُ[1] الهَـمُّ بِالخَضْـرَاءِ

---

(1) "ف": يمّمت.
(2) هذا البيت ساقط في "ع".
(3) أثل: جنس شجرة من فصيلة الأثليات، أنواعه تقارب نباتات البحر المتوسط، بعضها صحراوي، ومنها ومنها جبلي ينبت في الأصقاع المعتدلة جميعها برية وقد تزرع للتزيين ولصد الرياح. ينظر اللسان مادة(أ، ث،ل).
(4) "ف": طراطير.
(5) "ف": فيها.
(6) ساقطة من "ح1".
(7) "ت": تلقى، و"ف": تلفي.
(8) "ف": همه.

ومدة وصولنا إليها في المسير[2][ ][3]

ثم رحلنا منها واستقبلنا دارين البقر. ورأينا أول الوعرات قد ظهر، وهي سبع وعرات كبيرة، أصعبها الأولى والأخيرة، بين كل وعرة[4] فضاء وبعده عقلة في الطريق، ويليها شف جبل هائل ومضيق، ثم أنخنا الركاب ببندر ينبع، وهو أول بلاد الحجاز في الذهاب، وآخرها في الرجوع، به حدائق ونخيل، وعيون بين زروع[5] تسيح وتسيل، وكان {به}[6] سور منيع[7]، وجامع مفرد وسيع، وبيوت فسحة الرحاب، فآل أمرها إلى الخراب، وبه الآن سوق للحجاج، يأخذون منه الدخيرة عند الاحتياج، وبه أفران وحيشان كبار، وعشش[8] تسقى فيها القهوة من أيدي الجوار: قال الشاعر: (الرمل).

حَبَّذَا بَنْدَرُ يَنْبُعٍ وَمَاءْ	فِي رُبَاهُ[9] مِنْ رِيَاضٍ وَعُيُونْ
وَسُقَاةٌ مِنْ مِلاَحٍ نُهَّدٍ[10]	يَصْرَعَنَّ الصَبَّ مِنْ نَيْلِ العُيُونْ
فَارْتَحِلْ عَنْهُنَّ وَاذْهَبْ وَانْتَصِحْ	فَإِذَا خَالَفْتَ أَذْهَبْتَ العُيُونْ

---

(1) مطموسة في "ح2".
(2) "ف": بالمسير.
(3) بياض في/ كل النسخ، وكذلك في ماء الموائد
(4) "ف": دار.
(5) "ف": زرع.
(6) ساقطة في "ت".
(7) "ف": صنيع، والصحيح ما أثبتناه.
(8) "ف": عشوش.
(9) "ح1": رباب.
(10) "ت": نهر.

وجميع تلك الأسواق خارجة عن المساكن، ويعم نفعها الساكن والظاعن. فنصبنا بهذا البندر الخيام، وأقمنا فيه[1] ثلاثة أيام. ومدة المسير إليه سبع عشرة ساعة في العدد، محررة في ميقاتها صحيحة السند[2]". انتهى كلام البكري رضي الله عنه.

فلنرجع إلى تعداد مراحلنا، وضبط منازلنا، فأقول: أقمنا بالينبع يوم الثلاثاء السابع والعشرين من ذي القعدة سادس عشر ينايرإلى قرب العصرقدر ما يهيئ[3] المحتاج، ونزلنا بعيد المغرب قرب الدهناء، ثم منه يوم الأربعاء، وجاوزنا السقائف ودار الوقدة، وحان وقت العصروملنا ذات اليسارغربي الجبل من الرمل المشرف على بدر، وصلينا وصلى محارمنا، وتجاوزنا ونزلنا بدرا بعيد المغرب، ويسمى هذا بدار[4] الوقدة يعنى المكان، لأنهم يقدون فيه الشمع الكثير يستصحبه الناس معهم من مصر، لذلك ويبيعونه في الركب يجعلونه على أقتاب الجمال بالليل، فترى الركب كله كأنه من أعظم المساجد المسرجة مصابيحها في أحد المواسم.

قال أبو سالم: "وشاع عندهم أن الصحابة، رضوان الله عليهم، في غزوة بدر أوقدوا هنا نيرانا كثيرة . فنحن نتشبه بهم. وتلك غفلة منهم وخطأ من وجهين: أحدهما أن وقوع الأمر بإيقاد النيران الكثيرة إنما كان في غزوة الفتح بمر الظهران كما هو معروف في كتب السير، وأما بدر فلم يقل فيها أحد ذلك. وثانيهما لو سلم أن ذلك وقع فيها فقد كان لإرهاب العدو وإظهار قوة المسلمين، وكثرة عددهم. وحيث لا عذر[5] فلا معنى له. ولا شك أن الفرح بنصر الله أولياءه على أعدائه والاستبشار بالأماكن[6] التي أعزالله فيها الإسلام أمر مطلوب مستحسن ما لم يؤد ذلك إلى محظور[7] مثلا: اعتقاد أن الوقود سنة متبعة، بل ربما ظن بعضهم أنها من أفعال الحج. الحج. فلتعظم بغير ذلك من فرح وسرور وصدقة وعبادة وإعلان بشكر. وقد جاء في كثير ممن لا شمع عنده يستفتون ويقولون لا شمع عندنا، فهل يلزمنا شراؤه ممن كان عنده؟ ظانين أن ذلك من مناسك حجهم وشعائره. وكم مثلها من بدعة محدثة يرى

---

(1) "ف": به.
(2) ينظر ماء الموائد،ج/1ص/179- 180-181.
(3) "ت": هيأوا.
(4) "ح2": بدارة.
(5) "ح1": لا عدو.
(6) "ف": الأماكين.
(7) "ت": محذور، والصحيح ما أثبتناه.

الناس أنها من أعظم القربات ! نسأل الله أن يثبتنا على سنة النبي، صلى الله عليه وسلم، المستقيمة التي لا ترى[1] فيها عوجا ولا أمتا[2]" انتهى[3].

{و}[4] لما صلينا وانعطفنا للطريق[5] وتوسطنا بين الجبلين: جبل الرمل {الكبيرة}[6] المشرف على بدر يسرى الطريق، والجبل [الآخر][7] الأخضر يمناه، فإذا فإذا بالناس يهرعون ويتجشمون الصعود لجبل الرمل أفواجا رجاء أن يسمعوا ما يؤثر [188- أ] هناك من صوت الطبل. وزعم كثير من الحجاج أنهم يسمعونه هنالك.

تتمة: ذكر الإمام ابن مرزوق في شرحه على البردة ما نصه:"ومن الآيات ببدر الباقية، ما كنت أسمعه من غير واحد من الحجاج أنهم إذا اجتازوا بذلك الموضع يسمعون كهيئة طبل ملوك الوقت، ويرون أن ذلك لنصرأهل الإيمان. قال: وربما أنكرت ذلك، وربما تأولته بأن الموضع لعله صلب فيستجيب فيه حوافر الدواب. وكان يقال لي: إنه دهس[8] رمل غير صلب، وغالب ما يسير هنالك الإبل وأخفافها وأخفافها لا تصوت في الأرض الصلبة فكيف بالرمل[9]! قال: ولما من الله تعالى بالوصول إلى {ذلك}[10] الموضع المشرف، نزلت على الراحلة أمشي وبيدي عود طويل من شجر السعدان المسمى بأم غيلان، وقد نسيت ذلك الخبر الذي كنت أسمع، فما راعني وأنا أسير في الهاجرة إلا واحد من الذين كانوا معنا عبيد الأعراب[11] الحمالين الذين كانوا معنا، يقول: أتسمعون[12] الطبل ؟ فأخذتني لما سمعت كلامه قشعريرة بينة وتذكرت ما كنت أخبرت[13] به، وكان في الجو بعض ريح فسمعت صوت الطبل وأنا دهش مما أصابني من الفرح أو من الهيبة أو ما الله أعلم

---

(1) "ح1": لا نرى.
(2) الأمت: العوج، والشك والعيب ينظر اللسان مادة: (أ – م– ت).
(3) ينظر ماء الموائد،ج/1ص /181.
(4) ساقطة من "ح2".
(5) "ت": الطريق.
(6) ساقطة من "ت"و"ف": الكبير.
(7) ساقطة من "ت".
(8) دهس: المكان اللين ليس برمل ولا تراب ولا طين، (لسان العرب، مادة: د،هـ،س).
(9) "ت": بالرمال.
(10) ساقطة من "ع".
(11) مطموسة في "ح2".
(12) "ت": تسمعون.
(13) "ح1": أخبر

به، فشككت وقلت لعل الريح سكنت في هذا الذي في يدي، وحدث مثل هذا الصوت وأنا حريص على طلب التحقيق بهذه الآية العظيمة. فألقيت العود من يدي وجلست إلى الأرض أو وثبت قائما أو فعلت جميع ذلك، فسمعت صوت الطبل سماعا محققا، وصوتا لا شك أنه صوت طبل وذلك من ناحية اليمن، ونحن سائرون إلى مكة المشرفة، ثم نزلنا ببدر فظللت أسمع ذلك الصوت يومي أجمع، المرة بعد المرة . قال: ولقد أخبرت أن ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس" انتهى.

وقال الإمام المرجاني {رحمه الله}[1]:"وضربت طبلخانة[2] النصر ببدر، فهي تضرب إلى يوم القيامة"، نقله عنه السيد السمهودي في تاريخه الكبير والصغير[3]".

قال شيخنا أبو سالم الإمام:"وقد كثر كلام الناس في هذه المسألة، وإذ[4] ذكر ذكر من يوثق به كابن مرزوق وغيره، أنهم سمعوه فالصحيح[5] أن بعض الناس يسمعونه[6] دون بعض. وقد مررت ببدر سبع مرات وأنا في كلها ألقي البال لذلك، فلم أسمع شيئا أتحققه. وفي هذه المرة سمعنا بعدما قربنا من البندر صوت طبل محقق، فإذا هو طبل بعض أمراء الركب كان متأخرا وراءنا، وتحققنا ذلك بجلوسنا حتى مر بنا. وكثير من الناس ممن لم يحقق ذلك زعم أنه الطبلخانة المذكورة. وقد سألت عن هذه المسألة، محقق زمانه شيخنا أبا بكر السجستاني، رضي الله عنه، فقال لي: كنت حريصا على تحقيق ذلك، وقد مررت ببدر نحوا من سبع وعشرين مرة فلم أسمع شيئا أتحققه . والعلم عند الله.

قلت: وهذه المسألة مثل ما شاع على ألسنة الحجاج أنهم يرون الأنوارمشرقة من يوم قربهم من ينبع، ويقولون: إن وادي النار {اسمه وادي النور}[7]، لأجل رؤيتها رؤيتها منه فحرف الناس التسمية، وقد ألقيت البال لذلك، فكلما قالوا: إنهم رأوا الأنوار نظرنا فإذا هو بروق تخفق في بلاد بعيدة، وتحققنا ذلك بظهوره مرات كثيرة

(1) ساقطة من "ع" وفي "ف".
(2) "ت": طيلخانة. والصحيح ما أثبتناه.
(3) ينظر ماء الموائد، ج/1ص /182.
(4) "ح1": إذا.
(5) "ح2": والصحيح.
(6) "ت": يسمعه.
(7) ساقطة من "ت".

[من][1] غير ناحية المدينة وتارة في ناحيتها، ويتصل خفقانه[2] حتى يقرب إلينا فنتحقق[3] أنه بروق أو تظهر أمارات أخر تحقق رؤية ذلك، مثل رؤية غيم متراكم وصوت رعد. وأرض الحجاز معروفة بكثرة الرعد والبروق[4]، وكثير من الحجاج يصممون على أنها أنوار، ولو ظهرت الأمارات، ولو كان من غير ناحية المدينة. وقد سألت أيضا شيخنا أبا بكر السجستاني، رضي الله عنه عن هذا فقال لي كنت أتأمل ذلك كثيرا فلم أر شيئا مما يزعمه الحجاج إلا البرق، نعم، قال لنا، رضي الله عنه وأرضاه الذي لا يمترى إنه فيه نور النبي صلى الله عليه وسلم، [حقيقة][5] وإن كانت كانت جميع الأنوار من نوره {ما}[6] عايناه مرارا ونحن مجاورون بالمدينة المشرفة في الحرم الشريف، فإنا نجلس أحيانا نهارا حتى يستفيض من ناحية الحجرة ما يخالف ضوء النهار، فيغشى الحرم الشريف كله فيراه الناس. قلت: ولعل هذا الذي ذكره[7] شيخنا، رضي الله عنه، خاص به أيضا وبأمثاله ممن تنورت بصائرهم، فاستنارت بنورها أبصارهم، فيشاهدون الأنوار المعنوية محسوسة، وإلا فكثير من الناس لا يشاهدون ذلك، ﴿وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾[8]. وفي آخر المضيق الذي بين الجبل والرمل[9] عريش إلى الآن، يزعم الناس أنه بموضع العريش الذي بني لرسول الله صلى الله عليه وسلم، يوم بدر؛ وأن ذلك موضع الوقعة وليس به"[10] انتهى. [188- ب]

---

(1) زيادة من "ف".
(2) "ع": خفقانها.
(3) "ت": فتحقق.
(4) "ح1": البرق.
(5) زائدة في "ت".
(6) ساقطة من "ت".
(7) "ح2" ذكر.
(8) سورة البقرة: آخر الآية 104، وأولها: ﴿ماَ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتاَبِ وَلاَ المُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.
(9) "ح1": بين الرمل والجبل.
(10) ينظر ماء الموائد،ج/1ص/182-183.

[ذكـــر بـــدر]

ونزلنا بدرا بعيد المغرب، "وهي قرية حسنة ذات نخيل وماء عذب فيه بركة كبيرة تكفي الأركاب كلها ومادتها من عين هنالك، وعلى ذلك البلد أنوار تلوح، ورياض النصر تغدو وتروح، ينشرح فيها الصدر والقلب، ويتجلى فيه بصفات[1] الجمال لكل لكل مسلم الرب، سبحانه وتعالى، ومعالم النبوءة لا تخفى، ومواطئ أقدام الرسول، صلى الله عليه وسلم وأصحابه، رضي الله عنهم لا تخفى، وقد ظهرت على أهل البلد بركة الرسول، صلى الله عليه وسلم، معلنين بذلك. فأسعارها في الغالب أرخص من غيرها مع صغرها وانقطاعها عن البلاد. وأهلها محفوظون، آمنون مطمئنون مع سوء أخلاق عرب صبح المجاورين لهم"[2]. وكان نزولنا خارج البلد غربية. وزرنا قبور الشهداء وعليهم جدار قصير محيط بقبورهم.

قال الإمام أبو سالم: "وبالقرب منهم قبور السادات[3] الأشراف الزيدية من أهل اليمن، نزل أسلافهم بهذا البلد، ولهم أتباع في طريق القوم، ومجلس ذكر"[4].

قال: وكبيرهم اليوم السيد الغيث". وزرنا أيضا المسجد المسمى بمسجد الغمامة وهو موضع العريش يوم الوقعة ببدر، كما نص عليه غير واحد. وانشرحت صدورنا"[5] بذلك، ووجدنا به المصري ونزل عليه الشامي سحرا. وأخذ المصري ساعتئذ في الرحيل، وحثوا ركابهم بالرسيم والذميل. وظعنا نحن بعد صلاة الظهر، ومررنا على قبور الشهداء، وموضع العريش مع الأخ سيدي محمد الأخصاصي[6] وجدناه هنالك[7] ينتظرنا إذ هو مجاور بطيبة[8] المشرفة. وقبور الشهداء أسفل الوادي

---

(1) "ت": بصفة.
(2) ينظر ماء الموائد، ج1، ص: 183 .
(3) "ف": السادادة.
(4) ينظر ماء الموائد، ج1، ص: 184 .
(5) ينظر نفسه
(6) "ت": الخصاصي.
(7) "ت": هنالك.
(8) "ح1": لطيبة.

الوادي من جهة البزوة، وليس بالموضع الذي تزعمه العوام تحت الكثيب على طريق القادم من مصر.

قال البكري: "ثم سرنا من ينبع إلى الدهناء[1] في فضاء ورمال، وآكام وجبال، وجبال، حتى وصلنا إلى الأبرقين، وهي كناية عن جبلين متفرقين: أحدهما رمل صاعد، والآخر [من][2] وعر وجلامد، وبينهما تدق الطبول الحربية، لنصرة خير البرية، فيسمعها من كان أهلا للسماع، ويحجب أهل الزيغ {عنها}[3] والابتداع ثم ثم دخلنا قرية بدر وحنين، التي حماها الله من كل شيء، وبها جسر طويل، وعيون تجري بين حدائق ونخيل، وبها مسجد العريش، وقيل مسجد الغمام، وموضع حوض المصطفى عليه الصلاة والسلام، ومحل النصرة لجيوش[4] الإسلام، على أهل الأنصاب الأنصاب والأزلام، وهي الغزوة العظيمة المقدار، التي بها شاهت وجوه الكفار، فيالها من غزوة قاتلت فيها الملائك، وضاقت بها على أعداء الدين المسالك، وأخزى الله أهل الشرك والغواية، واستشهد من المسلمين من سبقت له العناية، وخرج فيها أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم للجهاد، وقتل بها أبو جهل، لعنه الله، رأس العناد، فبلغت الشهداء من السعادة أوفر نصيب، وقلبت أعداء الله في القليب، ووجدوا ما وعدهم ربهم من العذاب الأليم، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[5] قال الشاعر: (البسيط)

يَا أَهْلَ بَدْرٍ لَقَدْ طَابَتْ مآثِرُكُمْ	وَقَدْ عَلاَ قَدْرُكُمْ فِي أَرْفَعِ الدَّرَجِ
فُزْتُمْ بِغُفْرَانِ أَوْزَارٍ[6] وَحُسْنِ ثَنَا	عَلَى المَدَى نَشْرُهُ مِنْ أَطْيَبِ الأَرَجِ[7]
يَكْفِيكُمُ فِي عُلاَكُمْ قَوْلُ مَادِحِكُمْ	هُمْ أَهْلُ بَدْرٍ فَلاَ يَخْشَوْنَ[8] مِنْ حَرَجِ

---

(1) "ف": هناك./- زائدة في "ت".
(2) زائدة في "ح2".
(3) ساقطة من "ت".
(4) "ت": بجيوش.
(5) سورة النور: آخر الآية 44، وأولها:﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾- سورة البقرة:آخر الآية 211
(6) "ت": ذنبكم.
(7) الرائحة الزكية الطيبة، ينظر اللسان، مادة: (أ- ر- ج).
(8) "ع": تخشون.

فيا لها من ليلة بتنا بها وقد أشرق بدرها! وسما قدرها، أذهبت عن العيون الهجوع؛ لاشتغالها برؤية القناديل والشموع. فأما الشموع فقد ملأت الأرجاء بالنور، ومحت بضوئها ظلام[1] الديجور، وقد دقت طبول الأفراح، وزاحت عن القلوب الأتراح، وأحضر السكر المادد[2]، وأذيب في الماء للوارد، وملئت به البواطى والحلل، والحلل، وسقي به جميع الطوائف وأهل العمل، فشرب كل منهم أوفى[3] نصيب، فكانت ليلة من صفائها أقصر من جلسة الخطيب. وقضينا الأوطار من مشاهدها المبتهجة، ومدة المسير إليها ثماني ساعات[4] واثنتي عشرة درجة" انتهى كلام الشيخ الشيخ البكري رضي الله عنه[5].

فسرنا نطوي المراحل، ونُنْضي[6] الرواحل، إلى أن رعت الغزالة نرجس الكواكب، وصلى المكتوبة كل راجل وراكب، إلى أن نزلنا بقاع البزوة، والناس بقرب المزار في فرح ونشوة، {من رجال ونسوة} [189- أ][7]، وهو قاع لا يظفرغائصه بقاع، ولا يرى المسافرون نظيرا له في البقاع، فنزلنا بعيد المغرب، ولا يرى من الناس إلا مطر ومطرب، إلى أن تفجر ينبع الفجر، وقبض كل متهجد في مصلاه جائزة الأجر، فشمرنا الذيل لقطع بسيط البزوة، وكم فيه من غدوة وسروة، فهو حقا[8] قاع قاع صفصف، ومهمه نفنف، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، ولا تجد فيه إلا السماء سمتا. ولله در القائل: (الخفيف)

قَدْ سَلكْنَا القَاعَ المَدِيدَ الَّذِي أَضْحَى[9] مُضَافاً دُونَ[10] البِقَاعِ لِبَزْوَهْ

فَهْوَ قَاعٌ لاَ نَبْتَ فِيهِ تَرَاهُ عَيْنُ سَارٍ وَكَمْ لَنَا فِيهِ سَرْوَهْ

---

(1) "ح1": ظلم.
(2) "ح2 ": الما د، والأرجح ما أثبتناه.
(3) "ف": أوفر.
(4) "ع": ساعة.
(5) ينظر ماء الموائد،ج/1ص /184– 185.
(6) "ع": وننظر.
(7) ساقطة من "ف".
(8) "ف": حق.
(9) "ت": وأضحى.
(10) "ف": بين.

فأعاننا الله تعالى على قطع مسافته، وكان لنا في طي مراحله وإتمام مفازته، فسرنا وبلغنا أول سبيل، وقلنا مستظلين بظله الظليل، حتى وصلنا الركب {فسرنا}[1] {فسرنا}[1] وبتنا غربي مستورة حيث تراءت لنا مخلوة مشهورة، فرأينا هلال ذي الحجة، أبين وأصفى من الحجة، ليلة السبت ثاني عشر يناير من شهور العجم. وهي قرية، وبها بئر كبيرة مطوية بالحجر المنحوت، إلا أن الرمل قد غلب عليها وحولها عمارة قليلة. وبها قبر يزار عليه بناء، واسم صاحبه الشيخ يحيى قالوا إنه شريف من أهل اليمن.

[ذكر رابغ]

ثم ارتحلنا من منزلنا ذلك وخلفناه، وولينا[2] المصاحبة غيره فعزلناه، فجد بنا السير، وكادت المطايا من سرعتها تحكى الطير، حتى أوصلتنا {وقد آن}[3] وقت الظهر رابغ، وكم لها علينا من فضل [شائع][4] سابغ، ووجدنا بها الأركاب المصري والشامي قد خيموا، فإذا الشاميون على الرحيل قد صمموا، فنقضوا أخبيتهم، وعانقوا أرديتهم، فارتحلوا ملبين، وللسير مزمعين. ووجدنا واديه قريب العهد بالسيلان، وجلسنا للصلاة في ظل النخيل والفسلان، فجاء[5] ركبنا فأخذ الناس منازلهم، فالتحقنا بأصحابنا وأناخوا رواحلهم.

ورابغ: قرية فيها نخيل وآباركثيرة في واد يأتي إليه السيل من بعيد، وتزرع فيه مقاثي كثيرة ودخن وذرة، وهي من أخصب أودية الحجاز. ثم اشتغل الناس بغسل ثيابهم والاغتسال، والتنظيف وشراء النعال، توجد هناك معدة للمحرمين، إلا أنها غالبا غالية. ولما حان للشمس أفول[6]، تشمر[7] الركب المصري للذيول، {فقام

(1) ساقطة في "ف".
(2) "ف": ووالينا.
(3) ساقطة في "ت" و"ح1".
(4) زائدة في "ت".
(5) "ف": وجاء.
(6) "ف": الأفول.
(7) "ف": شمر.

وارتحل، وعن رابغ انتقل، وبتنا هنالك.}[1] وفي غد[2] تهيأنا للإحرام، فاغتسلنا وأزلنا وأزلنا ما في إزالته فضل ورغبة من الشعث، وألقينا التفث، وأخذنا الإحرام.

[الإحرام بنية الحج بالإفراد]

فارتحلنا ضحاالأحد ثاني الشهرإلى أن وازينا مهيعة وتراءت أبنية الجحفة[3] أتحفنا هدايانا بأكمل تحفة، فقلدنا وأشعرنا، وجللناها[4] وتجردنا، فركعنا وأحرمنا، ملبين بالحج مفردين، وللفرض الكفائى ناوين، وحافظنا على استحضار النية، وواصلنا بالإحرام[5] التلبية[6]، واتبعنا فيها السنة المتبعة[7]، وتابعنا السير بها صارخين، صارخين، غير مفرطين ولا مفرطين، {مستبشرين آمنين مسرورين مطمئنين}[8] ولبث[9] الناس في ثياب إحرامهم كأنما نشروا من قبورهم بأكفانهم يزفون ويهرعون للموقف: (الطويل)

وَسِرْنَا كَأَمْوَاتٍ لَفَفْنَا جُسُومَنَا ... بِأَكْفَانِنَا كُلٌّ ذَلِيلٌ لِمَوْلاَهُ

لَعَلَّ يَرَى ذُلَّ العَبِيدِ[10] وَكَسْرِهِمْ ... فَيَرْحَمُهُمْ رَبٌّ يَرْجُونَ رُحْمَاهُ

يُنَادُونَه لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ ذَا العُلاَ ... وَسَعْدَيْكَ كُلَّ الشِّرْكِ عَنْكَ نَفَيْنَاهُ

---

(1) ساقطة في "ع".
(2) "ع": غاد.
(3) الجحفة: كانت قريبة على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل. وهي ميقات أهل مصر والشام إذا والشام إذا لم يمروا على المدينة. ويقول أحمد الجاسر: درست الجحفة ولم يبق سوى أطلالها ومسجد حديث بني فيها. وتقع بقرب بلدة رابغ شرقها بميل نحو الجنوب بما يقارب 15 كلم. ينظر المناسك ص 415 .
(4) "ع": وجللنا.
(5) الإحرام: الركن الأول من أركان الحج، وهو نية أحد النسكين: الحج أو العمرة، أو نيتهما معا، فإن نوى الحج فمفرد، وإن نوى العمرة فمعتمر، وإن نواهما فقارن، ويبتدئ وقت الإحرام للحج من أول ليلة عيد الفطر، ويكره الإحرام قبل شوال كما يكره قبل مكانه المعين. ينظر شرح صفحة حجة النبي صلى الله عليه وسلم، للمعلومي ص 41 .
(6) "ف": واصلنا الاحرام بالتلبية.
(7) "ف": السنية.
(8) ساقطة من "ع". وفي "ف".
(9) "ع": ولفت.
(10) "ف": العباد.

وَلَـوْ كُنْـتَ يَـا هَـذاَ تُشَاهِـدُ[1] حَالَـهُـمْ ... لَأَ بْكَـاكَ ذَاكَ الحَـالُ فِـي حَـالِ مَـرْآهُ

وُجُوهُهُـمُ غُبْـرٌ وَشُعْـثٌ رُؤُوسُهُـمْ ... فَـلاَ رَأْسَ إِلاَّ لِـلإلاه[2] كَشَفْنَـاهُ

لِتَـزْدَاد رَوْعـاً مِـنْ خُضُـوعٍ لِرَبِّنَـا ... وَمَـا كَـانَ مِـنْ دِرْعِ المَعَـاصِي خَلَعْـنَاهُ

وَذَاكَ قَلِـيلٌ فِـي كَثِـيرِ ذُنُوبِنَـا ... فَقَـدْ طَـالَ مَـا رَبَّ العِبَـادِ عَصَيْـناهُ

إِلَـى زَمْـزَمٍ زُمَّـتْ رِكَـابُ مَطِيِّنَـا[3] ... وَنحْـوَ الصَّـفَا عِيسَ الـوُفُودِ صَفَفْنَـاهُ

تَـؤُمُّ مَقَـاماً لِلْخَـلِيلِ مُعَظَّمـاً ... إِلَيْـهِ اسْتَبَقْنَـا وَالـرُّكَّابُ حَثَثْنَـاهُ

وَنَحْنُ نُلَبِّي فِي صُعُودٍ وَمَهْبِطٍ فَكَمْ نَشْزٍ ... كَـذاَ حَالُنَـا فِـي كُـلِّ مَرْقَـىً رَقَيْنَـاهُ

عَـالٍ [قَـدْ][4] عَلَتْـهُ وُفُـودُنَـا ... وَتَعْـلُو لَنَـا الأَصْـوَاتُ حِيـنَ عَـلَوْنَاهُ

نَحُـجُّ لِبَيْـتٍ حَـجَّهُ الرُّسْـلُ قَبْلَـنَا ... لِنَشْهَـدَ نَفْـعاً فِـي كِتَـابٍ وُعِدْنَـاهُ

دَعَانَـا إِلَيْـهِ اللَّـهُ عِنْـدَ بِنَـائِـهِ ... فَقُلْنَا لَـهُ لَبَّيْـكَ دَاعٍ أَجَبْـنَـاهُ [189- ب]

أَتَيْنَـاكَ لَبَّيْـنَاكَ جِئْنَـاكَ رَبَّنَـا ... إِلَيْـكَ هَرَبْنَـا، وَالأَنَـامُ تَرَكْنَـاهُ

وَوَجْهَـكَ نَبْغِـي أَنْـتَ لِلْقَلْـبِ قِبْلَـةً ... إِذَا مَـا حَجَجْـنَا أَنْـتَ بِالـحَجِّ رُمْنَـاهِ

فَماَ البَيْتُ مَا الأَرْكَانُ مَا الحِجْرُ مَـا الصَّفَا ... وَمَـا زَمْـزَمٌ أَنْـتَ الَّـذِي قَـدْ قَصَدْنَـاهُ

وَأَنْـتَ مُنَانَـا أَنْـتَ غَايَـةُ سُؤْلِنَـا ... وَأَنْـتَ الَّـذِي دُنْيَـا وَأُخْـرَى أَرَدْنَـاهُ

إِلَيْـكَ شَدَدْنَـا الرَّحْـلَ، نَخْتَـرِقُ الـفَلاَ ... فكَـمْ سُـدَّ سَـدٌّ[5] فِـي سَـوَادٍ خَرَقْنَـاهُ

كَذَلِـكَ مَـا زِلْنَـا نُـحَاوِلُ سَيْرَنَـا ... نَهَـاراً وَلَيْـلاً، عِيسُنَـا مَـا أَرَحْنَـاهُ

---

(1) "ع": ترى.
(2) "ح1": لله والصحيح ما أثبتناه عروضيا.
(3) "ف": مطايانا، والصحيح ما أثبتناه عروضيا.
(4) زيادة من "ف".
(5) "ف": فدفد في السواد.

إِلَى أَنْ بَدَتْ إِحْدَى المَعَالِمِ مِنْ مِنًى وَهَبَّ نَسِيمُ لِلْوِصَالِ نَشَقْنَاهُ[1]

وَنَادَى بِنَا الحَادِي البِشَارَةَ وَالهَنَا فَهَذَا الحِمَى هَذَا تَرَاهُ[2] مَشَيْنَاهُ[3]

وسرنا وجاوزنا الرمال التي تتيه فيها . بعض الأحيان . الأركاب، وأخذنا بطن هرشا، ونزلنا بعيد المغرب شرقي السبيل[4] وغربي قديد وهي قرية أبنيتها حيشان وفيها قهاوي وفواكه تباع، ولا ماء بها إلا ما يسقى من بعيد.

ثم ارتحلنا منه ومررنا وقد متع النهار بالمشلل ويسمى اليوم بعقبة السكر.

قال الإمام أبو سالم: "وأكثر الناس خصوصا المصرية[5] يجلبون السكر من مصر بالقصد ليشربوه {هنا}[6] ويأثرون في ذلك أثرا لا أصل له: يزعمون أن رمل ذلك المحل قد انقلب للصحابة سكرا [فشربوه][7]. وهي عقبة في جبل صغير فيها رمل يتعب[8] الإبل"[9] مع كثرة التلاحي وشدة التلاحم، وإفراط التزاحم، وعدم التعاطف والتراحم، وفيها قيل: (السريع)

كَمْ جَمَلٍ مُنتَصِبٍ لِلّشقَا مَا جَرَّهُ الجَمَّالُ إِلاَّ أنكَسَرْ

وَكَانَ فِي الرَّكْبِ يُرَى مُبْتَدَا فَمَا لَهُ مِنْ بَعْدِ هَذَا خَبَرْ

وقد سوي البناء في جانبيها والتقطت أحجارها، وبني مسجد صغير بأحد جانبيها، وبينها وبين خليص نحو من ثلاثة أميال. وذكر السيد السمهودي: أن هناك بالمشلل مسجدا للنبي[10]، صلى الله عليه وسلم، على يسار الذاهب إلى منى، ولعله هو هذا المبنى هنالك اليوم. فقد دخلناه وزرناه تبركا بالآثار[11] المضافة له، صلى الله

---

(1) "ح2": كشفناه.
(2) "ح2": ثراه.
(3) "ف": غشيناه.
(4) "ف": السيل.
(5) "ح2": المصارية.
(6) ساقطة من "ح2".
(7) زائدة في "ت".
(8) "ع": يثعب،والصحيح ما أثبتناه.
(9) ينظر ماء الموائد،ج1/ص186.
(10) "ت": بنبي، والصحيح ما أثبتناه.
(11) "ت": الآبار.

عليه وسلم، وشرف وكرم، ومجد وعظم، فبلغنا الكديد قبل[1] الظهر، ونزلنا في قبة عظيمة بإزاء بركة عظيمة تحت القرية. وفي خليص[2] هذا، عين تجري وأبنية وقهاوي وسوق حافلة. وقد سيق الماء في قنوات محكمات[3] من العين يفجر عنها، ويبرز في مواضع للسقي وللوضوء إلى أن خرج الماء إلى البركة المذكورة. وكانت عميقة يغرق فيها من لا يحسن العوم. ويخرج الماء من البركة إلى مزارع قريبة من البلد. وجل حرثهم الدخن، ويكثرون من المقاتي. وماء هذه العين أحلى وأعذب، إلا أنه سخن. ونمنا هنيئة ريثما يحين وقت الصلاة، فتوضأنا، وصلينا الظهر، وتلاحق الركب، وسقى الناس واستقوا. وركعنا بمسجد هناك فوق البركة ينسب لسيدنا {محمد}[4] صلى الله عليه وسلم، وقد تهدم وامتلأ أوساخا وصارإصطبلا للدواب. فإن لله وإنا إليه راجعون. لقد ضعف الدين، وقلت[5] الرغبة في الخير، حيث[6] يكون بهذه المثابة المكان الذي دخله سيد الأولين والآخرين، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام[7]، وصلى فيه، وكان من حقه أن يذهب ويفضض. وقد أشرت بذلك لأمير الحاج المصري، ووعد بإصلاحه والله يوفقنا وإياه. وسرنا في غيضة كبيرة، ذات أشجارملتفة، من أثل وغيره، وفي خلالها مزارع للمقاتي والدخن وغيرذلك. ونزلنا بين العشاء ين في بسيط بين أشجار برية من السيال وغيرها.

ثم منه قبيل الفجر، ومررنا بالثنية التي يهبط منها إلى عسفان إسفارا، والطريق فيها مبنية ملتقطة أحجارها كعقبة السكر، إلا أن هذه أطول منها وأسهل، وبأحد جانبيها {مسجد}[8]، فلما خرجنا من العقبة، وصلنا عسفان ضحى، وفيها سوق وآبار من جملتها: البئر التي يذكر أن النبي، صلى الله عليه وسلم، تفل فيها، وماؤها حلو غاية، شربنا منه تبركا بآثاره، صلى الله عليه وسلم. واستفاض ذلك [190- أ] على ألسنة العوام، ولم أقف عليه في شيء من التواريخ التي بأيدينا، وعثرنا عليها . والله أعلم بحقيقته . . وبه مسجد ولا أدري ما أصله. فسرنا وقطعنا تلك المفاوز كلها

(1) "ف": قبيل.
(2) خليص: حصن بين مكة والمدينة: ينظر معجم البلدان ج2 ص 442 .
(3) "ع": محكمة.
(4) ساقطة من "ت".
(5) "ع": وقلة.
(6) "ف": حتى.
(7) "ف": التسليم.
(8) ساقطة في "ت".

من أرض تسمى ببرقة: وهي أرض طيبة ذات مزارع، ووادي العميان إلى أن أنخنا بمر الظهران[1] بعد العشاء[2]، ويسمى وادي فاطمة ووادي الشريف، ووجدنا به الشامي الشامي والمصري خيما. وبفور نزولنا رحل الشامي وتبعه المصري آخر الليل. وهو واد كبير، فيه قرى متعددة ذات[3] نخيل وبساتين وعيون تجري، وأعظمها القرية التي ينزل ينزل بها الحاج، وفيها سوق وعين كبيرة وبساتين مونقة[4]، والقلوب بالنظر لنضارتها لنضارتها من الأحزان مجلوة، مع ما عمرها من السرور قرب الديار، ومشاهدة الآثار، ففرح الناس، وتزايد الإيناس، وأعبق عليهم بأرجه الأريج، وعرفه المتكاثر[5] البهيج، شجر الكادي، فاشرأب لاستنشاق الحاضر والبادي، فغمر[6] عبيقه كل نادي. ولما ولما بلغنا عام تسعة هذا الوادي، قلنا بعريش هنالك، وجرى ذكر الكادي في النادي وسألنا عنه صاحب العريش، وأخبرنا[7] أن شجره كشجر النخل. وبعث من أتانا بشيء من أوراقه وإذا فيها رائحة طيبة جدا، وأوراقه عريضة، وأنواره وميضة، فسبحان من يخص ما[8] شاء بما شاء.

تكملة[9]: قال الإمام البكري في عد[10] المراحل من بدر إلى هنا ما نصه:

" ثم سرنا من بدر إلى قاع البزوة، وتسمى طرف النحجار[11]، ثم إلى عالج وجبل القرود ومكان يسمى ودان، ثم نزلنا بسبيل محسن المشهور، وتنزهنا في خضرة أعشابه وسرحه الممطور[12]، قال الشاعر: (الخفيف)

قَدْ شَكَى لِي بَعْضُ المُحِبِّينَ يَوْماً ظَمَأَ المَاءِ قُلْتُ ذَا غَيْرُ مُمْكِنْ

---

(1) مر الظهران: موضع على الطريق بين مكة والمدينة، قال ياقوت على مرحلة من مكة، ينظر معجم معجم البلدان ج5 ص 104 .
(2) "ف": بين العشاءين.
(3) "ت": ذوات.
(4) "ف": مرونقة.
(5) "ح1": المكاثر.
(6) "ف": غمرت.
(7) "ف": أخبر.
(8) "ف": من.
(9) "ت":تكميل.
(10) "ت": عدة.
(11) "ح1": التحجاز.
(12) "ف": المنظور.

كَيْـفَ تَشْكُـو الظّمَـا وَتَجْـزَعُ مِنْـهُ   وبِــهَذَا السَّبِيــلِ أَحْسَــنُ مُحْــسِنْ

ومدة المسير منه ثماني[1] عشرة من الساعات، وعشرون درجة محررة بالميقات، بالميقات، ثم[2] سرنا منه إلى بستان القاضي، ونسينا بقرب الديار تعب السير الماضي، ثم نزلنا برابغ محل الميقات، وتجردنا من لبس المخيط بصدق النيات، وأحرمنا بالعمرة والحج، عملا {بقوله}[3] الحج والعج والثج[4] وأهللنا[5] بالتلبية لعلام لعلام الغيوب، وسألنا الله تعالى غفران الذنوب، ورأينا حفائر ماء تنبع، ومزارع بطيخ يتنوع، ومسجدا[6] قديم الأثر، ويسمى ذا الجحفة، كما ورد في الخبر، وهو محل وقته[7] المصطفى، زاده الله رفعة وشرفا، قال الشاعر: (الطويل)

تَـجَرَّدْتُ لَمَّـا أَنْ وَصَلْـتُ[8] لِرَابِــغ   وَلَبَّيْـتُ لِلْمَـوْلَى كَمَـا حَصَـلَ النِّـدَا

وَقُلْتُ إِلَهِي عِنْدَكَ الفَوْزُ بِالْغِنَـى[9]   وَإِنِّـي فَقِيـرٌ قَـدْ أَتَيْـتُ مُجَــرَّدَا

ومدة المسيرإليها ست عشرة {ساعة}[10] بتمام، وعشرة[11] من الدرج ثابتة ثابتة الإحكام، ثم سرنا إلى الجرنيات، ونزلنا بطارق قديد، الذي لا يحل في حرمه للمحرم الصيد، وأرجاؤه واسعة المجال، كثيرة الوعر والرمال، إلا أنها تبشر بقرب البلاد، وهي مواطن الأمجاد، قال الشاعر: (الخفيف)

قَــدْ نَزَلْنَــا بِطَــارِقٍ لِقُــدَ يْــدٍ   وَدَخَلْنَــا حِمَــاكَ نَرْجُوالحِمَايَــةْ

فَتَفَــضَّلْ عَلَــى عُبَيــدٍ وُفُــودٍ   مِنْـكَ يَرْجُـو دَفْـعَ العَنَـا بِالعِنَايَـةْ

---

(1) "ع": ثمان.
(2) "ع": و.
(3) ساقطة في "ت".
(4) مطموسة في "ح2.
(5) "ت": واعلنا.
(6) "ع": مسجد والصحيح ما أثبتناه.
(7) مطموسة في "ح1".
(8) "ت": وصلنا.
(9) بالغنى، ينظر ماء الموائد،ج/1ص: 187.
(10) ساقطة من "ع".
(11) عشرون، ينظر نفسه، ص/188.

ومدة المسير إليها سبع عشرة من الساعات، محررة بالميقات، ثم سرنا إلى عقبة السويق، وهي عقبة عالية في الطريق ثم منها إلى خليص الشهيرة، وبها فسقية[1] من من الماء كبيرة، ثم[2] منها إلى الديسة، ويحترز بها من اللصوص أصحاب النفوس الخسيسة. ثم خرجنا من مدرج عثمان إلى قرية عسفان وبها البئر التي تفل فيها سيد البشر، وهي بئر من شرب من مائها زال عنه الضرر، قال الشاعر: (الرمل)

إِنَّ عَسْفَانَــاً تَسَامَــتْ رِفْعَــةً ... وَعَلَـتْ قَـدْراً عَلَـى كُـلِّ القُـرَى[3]

وَبِهَــا بِئْــرُ النَّبِــيِّ المُصْطَفَــى ... خَيْــرُ مَــنْ صَلَّــى وَصَــامَ وَقَــرَا

فَــإِذَا جِئْــتَ لَهَــا كُــنْ مُحْسِنــاً ... فَعَسَــى تُحْسَــبُ مِــنْ أَهْــلِ القــرَا

ومدة المسيرإليها زاي[4] في العدد، معلومة في المدد، ثم سرنا منها إلى جبل العميان، الذي تجتمع فيه الفقراء بقصد الإحسان، نزلنا بالوادي، وهو نهاية سير البوادي، وهو واد خصيب، يرى فيه طالب النزاهة أوفر نصيب، أغصانه زاهية، وقطوفه دانية، وأطياره ناطقة، وجداوله دافقة، ومزارع[5] تنبت من كل زوج بهيج ويفوح من أزهارها كل عرق أريج، وهي زائدة الابتهاج، وعلى كل حديقة سياج، فلو رآه مصري من الناس، نسي الروضة والمقياس، وبه عشيش تسكنها عرب البوادي، وبأرضه ينبت شجر الكادي، قال الشاعر: (السريع).

يَــا حَبَّــذَا وَادٍ فَسِيــحُ الفَضَــا ... أَرِيجُــهُ قَــدْ عَطَّــرَ النَّــادِي

كَــمْ فِيــهِ مِــنْ بَاغِيَــةٍ قَــدْ زَكَــتْ ... وَفِيــهِ زَهْــرُ الفُــلِّ وَالكَــادِي

وَكَــمْ ثَمَــارٍ[6] وَزُرُوعٍ بِــهِ ... وَالمَــاءُ فِيــهِ يُنْعِــشُ الصَّــادِي

قُلْــتُ لِخِلِّــي حِيــنَ شَاهَدْتُــهُ ... وَلاَحَ لِــي نُــورُ السَّنَــا بَــادِي

---

(1) الفسقية: حوض من الرخام ونحوه مستدير غالبا، تمج الماء فيه نافورة، ج فساقق. ينظر اللسان مادة مادة (ف، سن ق).

(2) "ح1": ويخرج.

(3) "ح2": القرا، والصحيح ما أثبتناه.

(4) "ح2": زي والصحيح ما أثبتناه أي مدة المسير سبع في العدد (على حساب الجمّل).

(5) "ح1": ومزارعه

(6) "ح2": نهار، والصحيح ما أثبتناه.

هَـلْ دَارُ لَيْلَـى قَـدْ تَدَانَـتْ لَنَـا[1]   فَقَـــالَ لِـــي إِنَّـــكَ بِالْـــوَادِي

ووصوله خمس عشرة {ساعة}[2] في المسير، وخمس من الدرج بالتحرير، ثم سرنا إلى سبيل الجوخى المعروف، ورأينا جنان مكة دانية القطوف، ثم مررنا بمساجد ميمونة بالعمرة[3]، وقد اقترن {أسماء سموها}[4] كوكب الثريا بالزهرة، ولاحت لنا أعلام الديار، ومشاهد المشاعر والآثار، ووصلنا ثنية كداء، وبعدها المعلى التي بها مشاهد أهل الهدى، وكنا عند خروجنا من عدم الوصول خائفين، حتى تلقتنا[5] هواتف البشائر ﴿لَتَدْخُلَنَّ المسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ ءامِنِينَ﴾[6] فدخلنا من باب السلام، وشاهدنا البيت والمقام، وطفنا طواف القدوم، وذهبت عنا الهموم، وجئنا إلى محل الصفا، وسعينا في طلب الوفا، ولما تم سعينا بالطواف، وحفتنا من عناية الله الألطاف، أقمنا بمكة بالإحرام، إلى سابع ذي الحجة الحرام"[7] {انتهى كلام الشيخ البكري رحمه الله}[8].

[ذكر سرق]

ولنرجع إلى تعداد مراحلنا، وذكر منازلنا، ولما اطمأن المنزل بالوادي، ولاحت لنا من أعلام القرب الهوادي، رحلنا آخر الليل سحرا، وما جعلنا سوى شد الحمولة وطرا، فسرنا ونسمات الوصال تهب علينا، وبشائر التلاقي تترادف إلينا، وظفرنا بمسرة[9] ما ظفر بها مسرور، ولا طوى كشحه[1] عليها مصرور، وقلنا بالقلوب

---

(1) "ت": تبدت.
(2) ساقطة من "ت".
(3) وقد أشار الشيخ العياشي إلى أن "المقصود هو "مساجد" عائشة لأنها أحرمت من هناك بالعمرة، وأما قبر ميمونة فقبل ذلك بأميال ".(ينظر ماء الموائد،ص/189).
(4) ساقطة من "ت".
(5) "ت": تلقانا.
(6) سورة الفتح: بعض الآية 27، وتتمتها:﴿ لَقَدْ صَدَقَ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامِ إِنْ شَاءَ شَاءَ الله ءامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَتَخَافُونَ، فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكِ فَتْحاً قَرِيباً﴾.
(7) ينظر ماء الموائد،ج/1ص/187 – 188- 189.
(8) ساقطة من "ح2".
(9) "ع": مصرة.

والقوالب: الحمد لله الذي أدنانا وأنالنا المطالب. وبلغنا سرق ضحى، وبه قبة أم المؤمنين ذات النقية الميمونة، الهلالية السيدة ميمونة، رضي الله عنها وأرضاها، وبمقاصير فراديس الجنان حباها، توفيت بهذا الوادي وكان من غريب الاتفاق، الذي ليس للأذهان إليه انسياق، أن[2] بهذا الوادي بنى[3] بها سيدنا صلى الله عليه وسلم، ورضي عنها، وكان تزوجها بمكة وهو محرم في عمرة القضاء[4]، وبنى بها بسرق في رجوعه[5]. وعلى قبرها بناء ومسجد، فزرناها[6] خارج البناء، معظمين لحرمتها، راجين حسن بركتها، وزار من معنا من الحرم، معظمات الحرم[7]، وركعنا في مصلى النبي صلى الله عليه وسلم هنالك، وتجاوزنا نفر المسالك، إلى أن جئنا التنعيم وقد متع النهار، حيث المسجد المنسوب لعائشة، رضي الله عنها، بني في المكان الذي أحرمت منه بالعمرة مع أخيها عبد الرحمن، رضي الله عنه، بأمر من النبي، صلى الله عليه وسلم، في حجة الوداع. ومن ذلك المكان يحرم الناس بالعمرة في المواسم وغيرها، وهو أدنى الحل حتى صار يطلق على المكان اسم العمرة تسمية للشيء باسم ما يقع فيه. فنمنا هنالك واسترحنا، وطبنا واطمأنا، وقمنا وتوضأنا، وفي مصلاة صلى الله عليه وسلم ركعنا، فسرنا وتجاوزنا المكان المسمى بالزاهر[8] ويسمى جنان مكة، وبه آبار وبه قبر يذكر أنه قبر الصحابي المشهور[9]، الإمام الشهير[10] أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما.

قال الإمام أبو سالم: "فقد صح أنه مات بمكة بعد الحج، فقيل: إنه دفن خارجها بوصية منه كراهية أن يدفن في البلد الذي هاجر منه. فمن قائل: إنه بهذا الوادي، ومن قائل: إنه بالوادي الذي بطرف المحصّب وهو الذي شهره كثير من الناس، إلا أنه ليس هناك قبر ينسب إليه[11].

---

(1) "ح2": علينا .
(2) "ح1": إذ.
(3) بنا أي بنى بزوجته وعليها: دخل بها . لسان العرب مادة (ب،ن،ى).
(4) "ف": القضاء.
(5) "ف": في رجوعها .
(6) "ع": بها.
(7) "ف": للحرم.
(8) مطموسة في "ح1".
(9) "ع": الشهير.
(10) "ع": المشهور.
(11) ينظر ماء الموائد،ج/1ص/190.

قال: "وقد زرناه بهذا [191- أ] المكان بحسن النية . وأكثر الناس اغتسل بهذا المكان لدخول مكة اقتداء بمن قال: إن هذا هو وادي[1] طوى الذي بات به صلى الله عليه وسلم، واغتسل فيه. واستحب أكثر العلماء الاغتسال فيه. والتحقيق ما عليه كثير من المؤرخين أن ذا طوى أمام هذا وليس بينه وبين مكة واد آخر وهو الوادي الذي وراء قعيقعان، وبأسفله الموضع المسمى بالشبيكة حيث الثنية السفلى التي يخرج منها الحاج. فأعلى هذا الوادي هو ذو طوى، وأسفله هو الشبيكة[2]". انتهى.

ونزلنا ذا طوى ظهر الأربعاء خامس ذي الحجة الخامس والعشرين من يناير، وبتنا به في مسرة، أعظم بها من مسرة، لم تدع[3] من العناء ذرة! ويالها من مبرة، نولت[4] كل قلب قرارا وكل عين قرة

فلما صلينا الصبح اغتسلنا غسلا خفيفا، كما هو سنة المحرم لدخول مكة بذي طوى، وبللنا بذلك غلة الجوى، فارتحلنا عامدين أم القرى، ودخلنا من باب المعلى، وهو الثنية العليا التي دخل بها المصطفى سيد الآخرة والأولى، عليه أفضل الصلاة والسلام وأنماها وأعطرهما وأزكى، وهي المسماة بكداء بالفتح. وقد بالغ[5] الولاة[6] في حفر هذه الثنية وتنقيتها من الأحجار حتى صارت كأحد الأزقة، ومع ذلك ففيها صعوبة، ومنها يشرف[7] على مقبرة مكة المسماة بالحجون، وهي إحدى المقابر التي تضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض[8]، كما ورد في الأحاديث.

---

(1) "ف": ذو.
(2) ينظر نفسه.
(3) "ف": لم يدع.
(4) "ف": تولت،
(5) "ع"و"ف": بالغت.
(6) "ع": وت": الولات والصحيح ما أثبتناه.
(7) "ع": يتشرف.
(8) "ع": كما تضيء بالكواكب الأرض.

[ذِكْرُ دُخُولِنَا لِمَكَّةَ المُشَرَّفَةِ]
[زَادَهَا اللَّهُ تَشْرِيفاً وَتَعْظِيماً]

فدخلنا مكة بفرحة، لم تغادر في النفس ترحة[1]، وجلت عن العيون كل[2] كل[2] قرحة، صبيحة يوم الخميس سادس ذي الحجة السابع والعشرين من يناير، فذهبنا نؤم البيت الحرام، واثقين بنيل كل مرام، فجئنا المسجد الشريف، فدخلناه من باب بني شيبة، [فأفاض الله علينا العظيم من جوده سيبه[3]][4] فظفرنا بالأمن والأمان، والسلام من باب السلام، فشاهدنا[5] البيت العتيق الذي تزيح أنواره كل ظلام، وقد تدلت أستاره، وأشرقت أنواره، وقد شمر البرقع عن أسافله، حتى لا يكاد الطائف يناله بأنامله، يفعلون ذلك به من أول ما تقدم[6] الوفود، ولا يطلقون الأستار الأستار حتى تعود .

قال الإمام أبو سالم: "وقد قلت في هذا المعنى وأبديت فيه تشبيها غريب المعنى: (الكامل)

فَكَأَنَّه لَمَّا بَدَا مُتَشَمِّراً	**وَالطَّائِفُونَ بِهِ جَمِيعاً أَحْدَقُوا**
مَلِكٌ هُمَامٌ نَاهِضٌ لِلِقَاءِ مَنْ	**قَدْ زَارَهُ وَلَهُ إِلَيْهِ تَشَوَّقُوا**[7]
فَتَبَادَرَ الغِلْمَانُ رَفْعَ ذُيولِهِ	**حَتَّى إِذَا رَجَعُوا جَمِيعاً أَطْلَقُوا**"[8]

(1) "ح1": مزحة.
(2) "ت": بكل.
(3) سيبه: عطاءه، ينظر اللسان، مادة (س – ا – ب).
(4) زيادة في "ت".و"ح2".
(5) "ف": فشهدنا.
(6) "ت": ما يقدم،"ف": من أول تقدم.
(7) "ع": تشوق.
(8) ينظر ماء الموائد، ج1، ص: 191.

قال: "ومن رأى أكابر الملوك عند قيامهم، وتشمير الغلمان لفاضل[1] الذيول الذيول عن يمينهم وشمالهم، علم غرابة هذا التشبيه وحسن موقعه، وأنه واقع في موضعه، وعلم ما بينه وبين من شبهه بهند وليلى، وأنه لم يجد وصفا ولم يحسن قولا، فلما وقعت عليه أبصارنا، وافتضح ما أكنته من الشوق [إليه][2] أسرارنا"[3].

[طـــواف القـــدوم]

فقطعنا التلبية لما رأيناه، وقلنا من الدعاء ما رُويناه، وتجلت لنا الكعبة المشرفة، ورأينا جماعة من الناس به مطيفة، فيا لذلك المنظر الذي ملأ القلوب مهابة، والعيون جلالة، تسكن لها الرياح الهابة، ولما تطوقنا من الجود قبل ما تطوفنا به عقدا نظيما، رفعنا أيدينا وقلنا: اللهم زد لهذا البيت تشريفا وتعظيما، بعد أن بسملنا وسلمنا، {وصلينا}[4] وهللنا وطبنا، وللحجر الأسعد[5] يمنا، ولم نقدم على تقبيله شيئا، ولا شيئا، ولا التحفنا من ظلال غيره فيئا، وقبلنا[6] يمين الله في أرضه، والشاهد لمن قبله قبله في يوم عرضه: (الطويل)

إلـى سَـيِّدِ الأَحْجَـارِ فِـي الحَـرَمِ الَّـــذِي	**قَضَـى الخَالِـقُ البَـارِي بِتَعْـظِيمِ شَأْنِـهِ**
حَطَطْنَا مَطَايَا[7] الـشَّوْقِ، وَالسُّوقِ فِي الفَلاَ	**فَجَـاءَتْ بِنَـا إِنْسَـانَ عَيْـنِ زَمَانِـهِ**

وطفنا بالبيت سبع طوفات، للقدوم نوينا هذه الحركات، فأتممناه ولم نبال بما لنا في تقبيل[8] الحجر[9] من الازدحام، والمورد العذب كثير الازدحام، وبعده أوقعنا أوقعنا ركعتين خلف المقام، وعدنا للبيت فوقفنا بالملتزم، وشربنا من ماء زمزم، ودعونا

(1) "ت": الأفاضل والأرجح ما أثبتناه.
(2) "ت": ما أكنته إليه من الشوق.
(3) ينظر نفسه.
(4) ساقطة من "ت".
(5) "ت": الأسود.
(6) "ح2": وقلنا. والصحيح ما اثبتناه
(7) "ع": مطاقي.
(8) "ت": تقديم.
(9) "ف": الأحجار.

في ذلك كله بالأدعية المأثورة {ونظم كلماتها المنثورة}[1] فعاودنا من الحجر بالاستلام، ناوين سنة [191- ب] السعي، كما ورد عنه عليه الصلاة والسلام، فخرجنا لقضاء شعيرة السعي من باب الصفا، كما روي عن معدن الصفا، وبدأنا بما به الله بدأ، فارتقينا على الصفا ووقفنا، وللقبلة الشريفة استقبلنا، فهللنا وكبرنا، ووشينا[2] الصحف بالدعوات المأثورة وحبرنا، فسعينا منه إلى المروة، ووجدنا الحظوة في كل خطوة، وسعينا بين الميلين الأخضرين سعيا رفيقا سديدا، وفعلنا ذلك سبعا كلما انقضى شوط وجد له منا معيدا، مع زحام في المسعى كثير[3]، لأنه من أسواق أسواق البلد الهائلة العظيمة يتضرر الساعي بذلك كثيرا، ولم آت على إتمامه، حتى ضعفت[4] جدا وما ظن الإنسان أن يكمله على أقدامه، ثم إن الله من علي بفضله وطوله، وأعانني بقوته وحوله، فكملته راجلا، فله المنة عاجلا وآجلا، ولو قيض الله الأمراء لمنعوا {الناس}[5] التسوق فيه أيام الموسم لكان في ذلك نفع كثير، وأجر كبير.

فلما قضينا الوطر من السعي، ونزلنا بدار الشيخ محمد بن سليمان، اكتريناها من ورثته بتسعين[6] أحمر، وفيها ثلاثة مساكن، نزلت مع حرمي بالمسكن الأعلى، وجعلنا أثاثنا وحوائجنا في الوسط، ونزل أولادنا وأصحابنا بالأسفل، وكل مسكن منها يشاهد منه[7] البيت الشريف، المعظم المنيف، ولما كان آخر الليل بعثت زوجتي وطافتا وسعتا، فعدنا للتلبية، ولم نزل ملبين، وخرجت[8] أيضا آخر الليل للطواف. وصلينا الجمعة بمكة، وخطب الخطيب خطبة السابع، وهو ولد الشيخ محمد تاج الدين مفتي الحنفية. ووالده هذا رأيته والتقيت به من باب منزلنا بالمسجد الحرام. وأخبرني أنه جارنا هو وولده الخطيب المذكور وآخر أصغر منه. وسألته عن بعض شراح الهمزية، وذكر[9] أنه عنده ابن حجر، وقلت له أردت أن أنظر فيه الشيخ

---

(1) ساقطة من "ت".
(2) "ح1": ووشيت.
(3) "ح1": كثيرا.
(4) "ت": ضقنا.
(5) ساقطة من "ت".
(6) "ح1": بسبعين.
(7) "ع": فيه.
(8) "ت": وخرجنا.
(9) "ف": وقال.

مرزوق والكفافي. وبعث ولده وأتى به، وأوقفني أيضا على الثالث والأول[1] من البرموى[2] على البخاري، وأخبرني أن الثاني كان عند الشيخ عبد الله بن سالم البصري، ورأيته وأكثر نقله[3] عن الكرماني والزركشي وهو حاشية. والشيخ عبد الله هذا التقيت معه بالمسجد الحرام يوم دخولنا هو والشيخ محمد النخيلي، وفرح بنا، ووقف معنا في كراء المنزل، تقبل الله منه، وذهبنا لداره أيضا يوم الجمعة، ووجدناه في بيت كتبه، والكتب محدقة به يمينا وشمالا ووراء وأماما، ورأينا عنده مسند الإمام أحمد في ثلاثة[4] مجلدات كبار، وأخبرني أنه كتب نسخة من اليونانية بيده. وشرع في شرح شرح البخاري وبلغ فيه الحج. وزعم طلبة مكة أنه فاق أهل الحرمين في الحديث وفي غيره من سائر العلوم، وهو شافعي المذهب. وأجازنا سائر مقروآته[5]، {ومروياته}[6] {ومروياته}[6] ومسموعاته، وسألناه عن قول العباس رضي الله عنه: "إلا الإذخر لقيننا وبيوتنا" فزعم أن القين يسعر بعروقه ناره لا فراط حرارة ناره، وذكر بعض أصحابنا أنه يخلط به الطين كالتبن فيبني به القين تنوره، والله اعلم بحقيقة ذلك. والله أعلم بما نال وفد الله من الطرب والفرح، ونسيان العناء والترح[7]. {و}[8] لما عاينوا عاينوا تلك المشاهد، وشاهدوا[9] تلك المراسم والمعاهد، فلا ترى إلا ضاجا بالذكر، بالذكر، وصارخا بالدعاء بالسر والجهر، {كما}[10] قال قائلهم [ولله دره][11]: (الطويل)

وَمَا زَالَ وَفْدُ اللَّهِ يَقْصِدُ[12] مَكَّةً	إِلَى أَنْ بَدَا البَيْتُ[13] العَتِيقُ وَرُكْنَاهُ
فَضَجَّت وُفُودُ اللَهِ بِالذِّكْرِ وَالدُّعَا	وَكَبَّرَتِ الحُجَّاجُ حِينَ رَأَيْنَاهُ

(1) "ع": الأول والثالث.
(2) "ف": البزماوي.
(3) "ف": نقوله.
(4) ثلاثة مجلدات.
(5) "ح2": مقروياته.
(6) ساقطة من "ع".
(7) ترح يترح ترحا: حزن، ينظر اللسان، مادة (ت - ر - ح).
(8) ساقطة من "ت".
(9) "ع": وشهدوا.
(10) ساقطة من "ف".
(11) زائدة في "ت".
(12) "ف": يطلب.
(13) "ت": بيت.

وَقَـدْ كَـادَتِ الأَرْوَاحُ تَزْهَـقُ فَرْحَـةً لِمَـا نَحْـنُ مِـنْ عُظْـمِ[1] السُّرُورِ شَهِـدْنَاهُ

تُصَافِحُـهُ الأَمْـلاَكُ مَـنْ كَـانَ رَاكِبـاً وَتَعْتَنِـقُ المَاشِـي إِذَا تَتَلَقَّـاهُ

وَطُفْنَـا بِـهِ سَبْـعاً رَمَلْنـاَ ثَلاَثَـةً وَأَرْبَعَـةً مَشْيًـا كَمـا قَـدْ وُعِدْنَـاهُ

كَـذَلِكَ طَـافَ الهَاشِمِـيُّ مُحَمَّـدٌ طَـوَافَ قُـدُومٍ مِثْـلَ مَـا طَـافَ طُفْنَـاهُ

وَسَالَـتْ دُمُوعٌ مِـنْ غُـمُومٍ[2] جُفُونِنَـا عَلَـى مَـا مَـضَى مِـنْ إِثْـمِ ذَنْـبٍ كَسَبْنَاهُ

وَنَحْـنُ ضُيُـوفُ اللَّـهِ جِئْنـاَ لِبَيْتِـهِ نُرِيدُ القِرَا نَبْغِي مِنَ اللَهِ حُسْنَاهُ [192- أ]

فَنَـادَى بِنَـا أَهْـلاً ضُيُوفِـي تَبَـاشَرُوا وَقَـرُّوا عُيُونـًا فَالحَـجِيجُ أَضَفْنَـاهُ

غَـداً تَنْظُـرُونَ فِـي جِنَـانِ خُـلُودِكُمْ وَذَاكَ قِرَاكُـمْ مَـعْ نَعِيـمٍ ذَخَرْنَـاهُ

فَـأَيُّ قِـرًى يَعْلُـو قِرانـاً لِضَيْـفِنَا وَأَيُّ ثَـوَابٍ فَـوْقَ مَـا قَـدْ أَثْبَنَـاهُ

وَأَبْدَانُكُـمْ قَـدْ طُهِـرَتْ مِـنْ ذُنُوبِـكُمْ وَمَـا كَـانَ مِـنْ رَيْـنٍ[3] القُلُـوبِ[4] غَسَلْنَـاهُ

وَكُـلُّ مُسِـيءٍ قَـدْ أَقَلْنَـا عِثَـارَهُ وَلاَ وِزْرَ[5] إِلاَّ عَنْكُـمُ قَـدْ وَضَعْنَـاهُ

وَلاَ نَصَـبٌ إِلاَّ وَعِنْـدِي جَـزَاؤُهُ وَكُـلُّ الَّـذِي أَنْفَقْتُـمُوهُ حَسَبْنَـاهُ

سَأُعْطِيكُـمُ أَضْـعَافَ أَضْعَافِ ضِعْفِـهِ فَطِيبُـوا نُفُوسـاً فَضْلُنَـا قَـدْ أَفَـضْنَاهُ

فَيَـا مَرْحَبـاً بِالقَادِمِيـنَ لِبَيْتِنَـا إِلَـيَّ حَجَجْـتُمْ لاَ لِبَيْـتٍ بَنَيْنَـاهُ

عَـلَيَّ الجَزَامِنِّـي المَثُوبَـةُ والرِّضَـا ثَوَابُـكُمْ يَـوْمَ الجَـزَا نَتَـوَلاَّهُ

وَجَاهِـي وَإِجْلاَلِـي وَعِـزِّي وَرِفْعَتِـي وَجُـودِي وَمَـنْ قَـدْ أَمَّنَـا مـاَ رَدَدْنَـاهُ

فَطِيبُـوا وَسُـرُّوا وَافْرَحُـوا وَتَبَاشَـرُوا وَتِيـهُوا وهِيـمُوا بَابَنـاَ قَـدْ فَتَحْنَـاهُ

---

(1) عظم الشيء: أكثره، ينظر اللسان، مادة(ع – ظ – م).
(2) مطموسة في "ف".
(3) "ع": راين.
(4) همها وغمها، ينظر اللسان، مادة (ر– ا– ن).
(5) "ح1": وزرا، والصحيح ما أثبتناه.

وَلاَ ذَنْــبَ إِلاَّ قَــدْ غَفَرْنَــاهُ عَنْكُــمُ وَمَــا كَــانَ مِــنْ عَيْــبٍ عَلَيْكُــمْ سَتَــرْنَاهُ
فَهَــذَا الَّــذِي نِلْنَــاهُ يَــوْمَ قُدومِنَــا وَأَوَّلُ ضِيــــقٍ لِلْــــصُّدُورِ شَرَحْنَــــاهُ

[يــوم الترويــة]

ولما كان يوم[1] الثامن[2]، وهو يوم التروية، وزالت الشمس، طفنا فخرجنا بمنى للسعي[3]؛ إذ السنة الخروج وقتئذ بقدر ما يدرك به الظهر، كل على قدر حاله، فإن المراد بقولهم يدركون بمنى الظهر، أي يدركون أواخر الوقت المختار، ويكره التراخي عن ذلك إلا لعذر كما يكره التقديم قبل ذلك. ومن خاف خروج وقت الظهر قبل أن يصل إلى منى صلاها في الطريق. وتردد مالك في قصره وإتمامه، واستحسن سند القصر.

تنبيه: أما الطواف يوم التروية فذكره أبوالحسن. قال أبوالحسن في مناسكه[4]: وإذا كان اليوم[5] الثامن ويسمى يوم التروية طاف سبعا بعد الزوال، ثم يتوجه إلى منى منى ملبيا، والسنة أن يخرجوا بقدر ما يدركون بمنى الظهر. وكذلك ذكره خليل في مناسكه[6] ونصه:

"ثم إذا كان اليوم[7] الثامن، ويسمى يوم التروية، فإذا زالت الشمس منه، طاف طاف بالبيت سبعا، ثم يخرج من مكة إلى منى ملبيا."

وفي مناسك ابن هلال، وابن حبيب وغيره: "إذا مالت الشمس يوم التروية فطف بالبيت سبعا، ثم اركع، ثم اخرج إلى منى "، وكذا في مناسك[8] ابن فرحون .

(1) "ف": اليوم.
(2) "ع": الثاني والصحيح ما أثبتناه.
(3) "ف": فخرجنا لمنى.
(4) "ت": منسكه.
(5) "ت": يوم.
(6) "ت" منسكه.
(7) "ف": يوم.
(8) "ت" منسك.

وإنما ذكرت هذا لأنا لما أردنا الخروج إلى منى طفنا. وأنكر بعض أن يكون الطواف وقتئذ عن أهل المذهب، ولعله اغتر بما حكاه ابن المنير والد مامني وابن حجرعن مالك من: "أن الحاج لا يتنفل بطواف بعد طواف القدوم حتى يتم حجه، فإن ذلك غريب" ذكره الحطاب في مناسكه[1].

[النــزول بمنــى]

ومررنا بمسجد العقبة ودخلناه وصلينا فيه ودعونا الله تعالى. وكان نزولنا بمنى شرقي مسجد الخيف قريبا من بابه الشرقي . وصلينا بمسجد الخيف الظهر وكذلك العصر خارج القبة التي تواتر أنها موضع خيمة مولانا علي، كرم الله وجهه. واجتمعت هنالك بالشيخ محمد أكرم بن الشيخ عبد الرحمن مفتي الهند، وهو رجل عالم له تآليف على رجال البخاري، واختصر البخاري في مجلد حذف الأسانيد [فيه][2] والمكرر. وهو ضرير كبير السن، به مرض، ملازم بيته. ويوم النحر قدمنا من منى للإفاضة ولما رجعنا لمنى[3] التقينا محفة وبها رجل كبيرمستلق، ولما لحق بنا الأخ [الشقيق][4] الصالح سيدي محمد الأخصاصي أخبرني أنه هو، وأخبرني ولده الشيخ محمد أنه شرح {شرح}[5] نخبة[6] ابن حجر في عشرين كراسة، وله تآليف في الرد [192- ب] على الروافض. وهو رجل صالح محقق فيما ذكروا. وسألته عن المسافة بيننا وبين الهند، فقال أربعون يوما في البحر، وأربعة أشهر أو ستة في البر. وأن بلده هو السند، وبينه وبين الهند ثلاثون يوما.

ولما صلينا العصر، وجلسنا في مناخنا هنيئة إذ أخبرنا بعض أصحابنا أن أهل تونس زعموا أنهم رأوا الهلال ليلة الثلاثين[7] والراؤون له سبعة: أحدهم من طلبة

---

(1) "ت": منسكه.
(2) زائدة في "ت".
(3) "ف": إلى منى.
(4) زيادة من"ف".
(5) ساقطة من "ف".
(6) "ح2": تحفة.
(7) "ت": الاثنين.

العلم. وسألنا عنهم لنستخبر رؤيتهم فنكون[1] على يقين من أمرهم. فوجدناهم ذهبوا مع الذاهبين لعرفات؛ لأن الأركاب كلها ذهبت كما هي للجبل، ولم ينزل أحد بمنى سوانا وجماعتنا. وهذه السنة {عياذا بالله}[2] أميتت منذ أزمان، وقد ذكر ذلك كثير من المرتحلين كالعبدري[3] وابن رشيد[4] ومن بعدهما، وذكروا أن الخوف يمنع من من المبيت هنالك بعد ذهاب الأركاب. وقد من الله علينا بإحياء هذه السنة، ولم تفتنا[5] في حجة من الحجات، ولله المنة والحمد.

[الذهاب إلى عرفات]

ولما طرق أسماعنا ما ذكر من الخبرعن التونسيين، اجتمع رأينا على الذهاب وقتئذ لعرفات، فنستيقن[6] الخبر. فرحلنا وقتئذ، وبلغنا نمرة، وقد غاب الشفق. وبتنا بإزاءها، فإذا بخبر الراءين خبر {سجاح}[7] اضمحل مدارج[8] الرياح، ولا هدي علينا في ذلك إلا[9] ما شهر[10] في المذهب ونقل التادلي والجزولي عن ابن العربي أنه يلزمه الهدي، ولم يحك غيره في سقوط الدم خلافا، ومن تورع فليهد ولا حرج عليه فيه. ونزل بإزاءنا[11] الشيخ عبد القادر بن أبي بكر مفتي الحنفية، وأتانا ضحى مع ولدين صغيرين له، وسألته عن البناء القائم بمسجد الخيف ونمرة. وأخبر أنه بناه قايتباي. ولما زالت الشمس أفضنا[12] علينا للإحرام الماء، فاغتسلنا غسلا خفيفا،

(1) "ع": فيكونوا والصحيح ما أثبتناه.
(2) ساقطة من "ت".
(3) الرحلة المغربية: الصفحات: 372- 392- 407 .
(4) ملأ العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة من مكة وطيبة: لابن رشيد الفهري السبتي: ص- ص: 95- 96 .
(5) "ع": يفتنا.
(6) "ع": فنستقين.
(7) ساقطة من "ت". سجاح: امرأة تميمية ادعت النبوة، وهي صاحبة مسيلمة. ينظر اللسان مادة (س،ج،ح).
(8) "ع": مداريج.
(9) "ع": مداريج.
(10) "ت": شذ.
(11) بازائنا.
(12) "ت": أفضت والصحيح ما أثبتناه.

وتلك سنة هذا الغسل. وجمعنا بين الظهرين[1] مع أصحابنا ومن انحازإلينا من أهل الأفاق بأذانين وإقامتين. وتقدمنا إلى الموقف ووقفنا تحت الجبل الذي عليه القبة المنسوبة لآدم عليه السلام، والخطيب لم نر له شخصا ولا سمعنا له[2] صوتا، وإن لم لم يكن بالبعد منا لكثرة الازدحام واختلاط الأصوات، مع اختلاف اللغات، وتباين الرغبات، {ورفع}[3] الأصوات بالتلبية لاشتراك الكل فيها، ولا سبيل لأحد إلى تغييرها. ووقفنا على إبلنا، وأرحنا بغالنا، اغتناما لبركة سنة نبينا، صلى الله عليه وسلم[4]، ولم نزل في موضعنا ذلك واقفين مستغفرين مهللين مكبرين[5] داعين إلى أن إلى أن غربت الشمس. وتحققنا أنا أخذنا جزءا من الليل، فإذا الإمام نفر ونفر الناس ونفرنا معهم في زحمة محفوفة بالألطاف، مصحوبة من الله بالمواهب والإتحاف، ولم نر أحدا نفر قبل ذلك في سنتنا هذه، وإن كانت الجمالون والأعراب تنفر قبل ذلك في غير هذه السنة، والحمد لله على ذلك. فانصرفنا بين المأزمين بلا كلفة ولا تعب[6]. تعب[6]. ولما وصلت إلى الشعاب[7] ملت إليه كما به فعل سيدنا صلى الله عليه عليه وسلم، ثم سرنا آمين المصلى بالمزدلفة فبلغناها بعد مغيب الشفق، فجمعنا بين العشاءين، ونزلنا وبتنا بها. فتفرق للقط[8] الجمار هنالك من أراد من الناس. فلو شاهدت يا هذا تلك الحال، وما عليه الناس من جبال[9] عرفات، ووقوفهم بتلك العرصات، لهالك ذلك المشهد الذي هال أمره، وعجزعن وصفه زيد البنان وعمره، إذ ترى الملوك في مقام الافتقار والذلة، والفقراء في مقام الاضطرار[10] والقلة، والجميع والجميع يرغبون في المغفرة من الرحمن، ويطلبون الرحمة والعفو من العفو الرحيم {الحنان}[11] {المنان}[12]: (البسيط).

---

(1) "ت": الظهر ،والصحيح ما أثبتناه.
(2) "ف": ولا سمعناه.
(3) ساقطة من"ع".
(4) "ف": عليه الصلاة والسلام.
(5) "ح1": مكبرين مهللين.
(6) "ح2": تعب.
(7) "ت": الشعب.
(8) "ت": لالتقاط.
(9) "ف": في جبال.
(10) مطموسة في "ح2".
(11) ساقطة من "ف".
(12) ساقطة من "ت".

جَـاؤوا بِأَحْمَـالِ أَوْزَارٍ تَؤُودُهُـمُ ... مِنْهـا جِبَال وَحُسْنُ الظَّنِ وَطَّاهَـا

فَسَالَ، لَمَّـا رَأى الرَّحْمَـنُ ذِلَّتَهُـمْ ... طُوفَـانُ عَفْـوٍ وَغُفْـرَانٍ فَغطَّاهَـا

فكم دموع تدفقت، وكم ضلوع تحرقت، وكم نسمات هبات هبت، وكم سحائب رحمة صبت: (الطويل).

فَكَمْ حَامِدٍ {كَمْ}[1] ذَاكِرٍكَمْ مُسَبِّـحٍ ... وَكَـمْ مُذْنِـبٍ يَشْـكُو لِمَـوْلاَهُ بَلْـوَاهُ

وَكَـمْ خَاضِـعٍ كَـمْ خَاشِـعٍ مُتَذَلِّـلٍ ... وَكَـمْ سَائِـلٍ مُـدَّتْ إِلَـى اللـهِ كَفَّـاهُ

وَسَـاوَى عَزِيـزٌ فِـي الوُقُـوفِ ذَلِيلَنَـا ... فَكَـمْ ثَـوْبِ ذُلٍّ فِـي الوُقُـوفِ لَبِسْنَـاهُ

وَرَبٌّ دَعَانَـا نَاظِـرٌ لِخُضُوعِنَـا ... خَبِيرٌ[2] عَلِيمٍ بِالَّذِي قَدْ أَرَدْنَـاهُ [193- أ]

وَلَمَّـا رَأى تِـلْكَ الـدُّمُوعَ التِّـي جَـرَتْ ... وَطُـولَ خُـضُوعٍ مَـعْ خُـشُوعٍ خَضَعْنَـاهُ

تَـجَلَّى عَلَيْنَـا بَالْـمَثَابِ وَبِالرِّضَـا ... وبَـاهَى بِنَـا الأَمْـلاَكَ حِـينَ وَقَفْنَـاهُ

وَقَـالَ:"انْظُـرُوا شُعْـثاً وَغُبْـراً نِدَاهُـمُ ... أَغِثْنَـا أَجِرْنَـا يَـا إِلَهـاً عَبَدْنَـاهُ"

وَقَـدْ هَجَـرُوا أَمْوَالَهُـمْ وَدِيَارَهُـمْ ... وَأَوْلاَدَهُـمْ وَالكُـلُّ يَرْفَـعُ شَكْـوَاهُ

إِلَـيَّ فَإِنِّـي رَبُّهُـمْ وَمَلِيكُهُـمْ ... لِمَـنْ يَشْتَكِـي المَمْـلُوكُ إِلاَّ لِمَـوْلاَهُ

أَلاَ فَاشْهَـدُوا أَنِّـي غَفَـرْتُ ذُنُوبَهُـمْ ... أَلاَ فَانْسَـخُوا مَـا كَـانَ عَنْـهُمْ نَسَخْنَـاهُ

فَقَـدْ بُـدِّلَت تِلْـكَ المَسَاوِي مَحَاسِنـاً ... وَذَلِـكَ وَعْـدٌ مِـنْ لَدُنَّـا فَعَلْنَـاهُ

فَيَـا صَاحِبِـي[3] مَـنْ مِثْلُنَـا فِـي مَقَـامِنَا ... وَمَـن[4] ذَا الَّـذِي قَـدْ نَـالَ مَا نَحْـنُ نِلْنَـاهُ

عَلَـى عَرَفَـاتٍ قَـدْ وَقَفْنَـا بِمَوْقِـفٍ ... بِـهِ الذَّنْـبُ مَغْـفُورٌ وَفِيـهِ مَحَوْنَـاهُ

وَقَـدْ أَقْبَـلَ البَـارِي عَلَيْنَـا بِوَجْهِـهِ ... وَقَـالَ: اَبْـشِرُوا فَـالعَفْوُ فِيـكُمْ نَشَرْنَـاهُ

---

(1) ساقطة من "ح1".
(2) "ت": خير، والصحيح ما أثبتناه.
(3) "ح2": فياصاحي.
(4) "ت": ما.

وَعَـنْكُمْ سَمَحْـنَا كُـلَّ تَابِعَـةٍ جَـرَتْ عَلَـيْكُمْ وَأَمَّـا حَقُّنَـا قَـدْ وَهَبْنَـاهُ

أَقَلْنَاكُـمُ مِـنْ كُـلِّ مَـا قَـدْ جَنَيْتُـمُ وَمَـنْ كَـانَ ذَا عُـذْرٍ إِلَيْنَـا عَذَرْنَـاهُ

فَيَـا مَنْ أَسَـا يَـا مَـنْ عَصَـا لَـوْ رَأَيْتَنَـا وَأَوْزَارُنَـا تُرْمَـى وَيَرْحَمُنَـا اللَّـهُ

وَدِدْتَ بِـأَنْ لَـوْ كُنْـتَ حَـوْلَ رِحَالِنَـا وَتَـرْجُو رَحِـيماً كُلُّـنَا قَـدْ رَجَوْنَـاهُ

وَقُمْنَـا إِلَيْـهِ تَائِـبِينَ مِـنَ الخَطَـا وَغُفْرَانُنَـا مِـنْ رَبِّنَـا قَـدْ طَلَبْنَـاهُ

أَمِرْنَـا بِـذَاكَ الظَّـنِ وَاللَّـهُ حَسْبُنَـا عَلَيْـهِ وَهَـذَا فِـي الحَـدِيثِ نَقَلْنَـاهُ

عَلَيْـهِ اتَّكَلْنَـا وَاطْمَأَنَّـتْ قُلُوبُنَـا لِمَـا عِنْـدَهُ مِـنْ وُسْـعِ عَـفْوٍ عَرَفْنَـاهُ

فَطُـوبَى لِمَـنْ ذَاكَ المَقَـامُ مَقَامُـهُ وَبُشْـرَاهُ فِـي يَـوْمِ التَّـغَابُنِ بُشْـرَاهُ

يُـرَى مَوْقِـفٌ[1] فِيـهِ الخَزَائِـنُ فُتِّحَـتْ وَوَالَـى[2] عَلَيْنَـا اللهُ مِنْهَـا عَطَايَـاهُ

وَصَـالَحَ مَهْجُـوراً وَقَـرَّبَ مُبْعَـداً فَـذَاكَ مَقَـامُ الصُّـلْحِ فِيـهِ أَقَمْنَـاهُ

وَدَارَتْ عَلَيْنَا الكَأْسُ بِالوَصْلِ وَالرضَى[3] سُـقِينَا شَـرَاباً مِثْلَـهُ مَـا سُقِينَـاهُ

فَإِنْ شِـئْتَ تُسْقَى مَا سُقِينَا عَلَى الظَّمَا فَخَـلِّ الـوَنَى[4] وَاحْلُـلْ مَحَـلاًّ[5] حَلَلْنَاهُ

وَفِيـهِ بَسَطْنَـا لِلرَّحِـيمِ أَكُفَّنَـا فَقَـالَ: كُفِيتُـمْ عَفْوُنَـا قَـدْ بَسَطْنَـاهُ

وَاعْتَقَنَـا كُـلاًّ وَأَهْـدَرَ مَـا مَضَـى وَقَـالَ لَنَـا: كُـلُّ العِتَـابِ طَوَيْنَـاهُ

وَإِبْلِـيس مَغْمُـومٌ لِكَثْـرَةِ مَـا يَـرَى مِـنَ العِتْـقِ مَحْقُـورٌ ذَلِيـلٌ خَزَيْنَـاهُ

عَلَـى رَأْسِـهِ يَحْثُـو التّـرَابَ مُنَـادِياً بِأَعْوَانِـهِ وَيْـلاَهُ ذَا اليَـوْمَ وَيْـلاَهُ

وَأَظْهَـرَ مِنْـهُ حَسْـرَةً وَنَدَامَـةً وَكُـلُّ بِنَـاءٍ قَـدْ بَنَـاهُ هَدَمْنَـاهُ

---

(1) "ف": يرى موقفا.
(2) "ح1": وولى.
(3) "ح2": الرض.
(4) الونى: الدر، ينظر اللسان، مادة (و- ن- ى).
(5) "ح1": حلا".

تـرَكْنَاهُ يَـبْكِي بـعْدَ مَـا كَـانَ ضَـاحِكاً فَكَـمْ مُذْنِـبٍ مِـنْ كَفّـهِ قَـدْ سَـلَبْنَاهُ

وَكَـــمْ ذَا رَفَعْنَـــا لِلإِلَـــهِ مُسَائِـــلاً وَلاَ أَحَـــد مِمَّـــنْ نُـــحِبُّ نَسَيْنَـــاهُ

وَخَصَّصْـــتُ الآبَـــاءَ وَالأَهْـــلَ بِالدُّعَـــا وَكَـــمْ صَـــاحِبٍ نُـــودِيَ بِـــهِ وَدَعَوْنَـــاهُ

كَـذاَ فِعَـلَ الحَجِـيجُ[1] هَاتِيـك عَـادَةٌ وَمَا فَعَلَ الحُجَّاجُ نَحْنُ تبِعْنَاهُ [193- ب]

فَظَـــلَّ حَجِـــيجُ اللهِ لِلَّيْـــلِ وَاقِفــاً فَقِيـــلَ: انْفِـــرُوا فَالْكُـــلُّ مِـــنْكُمْ قَـــبِلْنَاهُ

[الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة]

فلمـا أن سـقط قـرص الشـمس نفـروا[2]، وكشـفوا عـن[3] وجـوه الاستبشـار واستنفروا (مجزوء الرجز)

إِلَـــى هُنَـــا[4] إِلاَ هَنَـــا وَعَدْتَنَـــا مِـــنْكَ الهَنَـــا

فَـــإِنْ تَجُـــدْ بِرَحْمَـــةٍ فَكَـــمْ مَضَـــى عَنَّـــا العَنَـــا

ولما أصبحنا بالمزدلفة، وصارت القلوب على حصول الرحمة والمغفرة مؤتلفة غير مختلفة، وأسفر الفجر عن وجه الفرض، وأدينا من صلاة الصبح الحق المفترض، غلسنا الرحلة ونادى منادي النقلة: (الطويل)

[الوقوف بالمشعر الحرام]

أَفِيضُـوا وَأَنْتُـمْ حَامِـدُونَ إِلَهَكُـمْ إِلَـى مشْعَرٍ جَاءَ الكِتَابُ بِذِكْـرَاهُ

---

(1) "ع": الحجاج.
(2) "ع": وأنفروا.
(3) "ت": على.
(4) "ت": إلاهنا.

وَسِــيرُوا إِلَيْـهِ وَاذْكُـرُوا اللـَهَ عِنْـــدَهُ ذَكَرْنَــا كَمَــا رَبُّ العِبَـــادِ هــداناه

ووقفنا به إلى الإسفار، وما تركنا من الدعاء وحميد الأذكار. فسرنا حتى جئنا بطن مُحَسِّر[1]، وهو وادي النار. فأسرعنا وحركنا دوابنا، وهو مِن أول ما تحاذى البركة الخربة، التي على يسارك إن مررت بطريق الأركاب وأنت ذاهب إلى منى، حتى تأخذ في الطلوع إلى منى، وترتفع بك الأرض. وبهذا عرفه أعلم أهل عصره بالمناسك، خليل المكي حسبما نقله عنه البلوي[2] في رحلته، "إن سأله عن حده. والإسراعُ فيه مشروع ذهابا وإيابا"[3].

[رمي جمرة العقبة]

فمضينا- كما نحن على الطريق الكبرى التي تشق منى- إلى أن أتينا جمرة العقبة حين الطلوع [بُعيْدَهُ][4]، ورميناها بسبع حصيات من أسفلها، مكبرين مع كل حصاة كما كنا راكبين غير راجلين، كما هو السنة عن سيد الأولين والآخرين، عليه أفضل صلاة المصلين وأزكى سلام المسلمين.

[النحر والحلق وطواف الإفاضة]

فعُدنا لِرِحَالنا ومَناخِنا، فنحرنا هدايانا ودعونا لحلاقنا {أخينا}[5] ووديدنا الحاج عبد القادر. فحلقنا فسرنا إلى مكة، فأتيناها على هيئتنا من ثياب إحرامنا، فطفنا للإفاضة.

---

(1) "ت": معسر والصحيح ما أثبتناه.
(2) ينظر رحلة تاج المفرق في تحلية علماء المشرق للبلوي ج2 ص 6 .
(3) ينظر نفسه .
(4) مطموسة في "ح2".
(5) ساقطة من "ف".

[الدخول إلى البيت]

ووجدنا البيت مفتوحا والناس على ظهره يكسونه. ولما قضينا فريضة الطواف عرض لي وعن[1] في الطواف الأخ الحاج أبو عزة المراكشي، وحث علي في الدخول للبيت فامتنعت تأدبا وتعللت له بالزحمة وقال: لا زحمة بداخله، وهو فارغ منبسط، وما ترى من الزحمة لا يتعدى بابه، وما يتجاوزه الآن. وإذا بأمير الحاج المصري إبراهيم أبو شنب واقف بالباب، وخاطبه قائلا: إن فلانا ذا وقف يبغي الدخول للبيت، وأشار إلي وفرح بي ورحب، وأهش، وأطرب . وتقدمت، وأخذ بيدي، وأطلعني من غير كلفة ولا زحمة فدخلت البيت وعلانى من الهيبة ما الله به عالم، فركعت به ركعتين لناحية الباب مواجهة غافلا عن السنة بأن أجعله خلف ظهري لما علاني من الخجل[2] والدهش والحيرة والوجل . ودعوت بما أمكنني وحضر لي من الدعوات معمما ومخصصا أهل المحبة والقرابات، ولم تطل مدة فتحه وإنما يفتحونه هذا اليوم لتعليق الكسوة الجديدة وإزالة العتيقة، وليس بيوم دخول عام، وإنما يدخل القيم وأمير الحاج المصري وأتباعهما المعينون[3] في ذلك، ولا ينصب سلم للدخول، وإنما يدخل من تكلف الصعود بمعين أو بخفة أعضاء، وعلى الباب أحد خدام الأمير يمنع الناس من الدخول، إلا أن الناس يكاثرونه فإن منعوا من جانب دخلوا من جانب، وربما يتعامى عن البعض. ويحصل لكثير من الناس في ذلك المكان سوء أدب من ضرب وشتم بألفاظ ينزه[4] المكان عنها[5] فالأولى عدم الدخول إلا لمن تيسر له ذلك ذلك عفوا صفوا من غير إيلام.

ولما دخلت إليه المرة الثانية في حجتنا هذه، وذلك ليلة السبت الثاني والعشرين من ذي الحجة، ركعت فيه إلى الجهات[6]، وجعلت باب البيت[1] أولا خلف ظهري،

---

(1) عنّ له الشيء: ظهر أمامه واعترض.

(2) "ف": الحجل.

(3) "ف": المعينين.

(4) "ت": يتنزه، والصحيح ما أثبتناه.

(5) "ع": منها.

(6) "ع": الجيهات.

ظهري، وكبرت في نواحيه {وأجلت النظر في نواحيه}[2] وطوله وعرضه، وسمائه وأرضه، طلبا للتحقيق، وإن كان الأولى خلاف ذلك، إلا أن الأمر سهل إن كان لطلب العلم والوقوف على حقيقة الشيء، وإن لم تزايلنا[3] في ذلك السكينة والوقار، والإعظام والإكبار، والإجلال والابتهال، والله يغفر لنا ويتقبل. وأما لطلب التفرج والتنزه فلا فلا فلا، بل يستشعر الداخل حرمته وعظمته.

روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:"عجبا للمرء المسلم إذا دخل البيت[4] كيف يرفع بصره قبل السقف ليدع ذلك إجلالا لله تعالى وإعظاما، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم [194- أ] الكعبة، فما خلف نظره موضع سجوده حتى خرج منها صلى الله عليه وسلم"[5].

[والبيت][6] الآن على ثلاثة أعمدة من العود، ونقصوا منها من جهة الحجر مقدار السلم.

[الصلاة خلف المقام وشرب زمزم]

[ولما][7] فرغنا من الطواف ركعنا خلف المقام، وأكثرنا من شرب ماء زمزم، ولم نسع لأنا سعينا إثر طواف القدوم كما هو السنة.

تنبيه: قال الإمام أبو سالم:"وكثير من العوام يظن أنه يلزمه سعي آخر إثر الإفاضة، وبعض المتفقهة أفتى من لم ينو فرضية القدوم بإعادة السعي اغترارا بظاهر قول المختصر، ونوى فرضيته وإلا فدم. والتحقيق أن من شروط[8] السعي وقوعه إثر

---

(1) "ح2": البيت والصحيح ما أثبتناه.
(2) ساقطة من "ت".
(3) "ف": ولم تزيلنا.
(4) "ع": الكعبة.
(5) ينظر المستدرك على الصحيحين، ج:1، ص: 652، رقم: 1761، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.
(6) مطموسة في "ح2".
(7) مطموسة في "ح2".
(8) "ت": شرطا.

طواف أي طواف {كان}[1]، وكونه فرضا إنما هو واجب يجبر بالدم ولا يلزم منه بطلان السعي، ومعنى الفرضية كونه يتوقف عليه صحة السعي لا كونه فرضا في نفسه، وهذا القدر يعلمه كل من له أدنى معرفة بالمناسك. وإذا كان كذلك فلا إعادة على من سعى إثر طواف القدوم ولو لم يستحضر نية فرضيته[2] إذا كان عالما بذلك، فإن نية الإحرام كافية في الحج، لأنه عبادة واحدة، ولا يشترط فيه إفراد نية لكل جزء منه كالصلاة . وتمييز الفرائض من غيرها أمر مختلف في كونه شرطا في صحة الصلاة أم لا[3]. والحج أوسع من الصلاة ولا إعادة عليه أيضا لو جهل فرضية فرضية طواف القدوم، لأن الشرط .كما تقدم . هو وقوعه إثر طواف، وهذا واقع إثر طواف، فإن كان عالما بالتلازم بينهما، فلا دم أيضا؛ إذ ذاك القدر هو المعبر عنه بالفريضة وإلا فدم. وهذا ما حققه بعض المشايخ، وأدلة ذلك يطول سردها. وكثير من المتفقهة لا يحقق المسألة هذا التحقيق، ويشغب على الناس بإلزامهم الإعادة، ويقولون: لا بد من إفراد نية لطواف القدوم أنه فرض وإلا بطل السعي. [والعجب كيف يجعلون نية الفريضة شرطا في صحة السعي ولا يجعلونها شرطا في صحة الطواف ذي النية، فتكون نية الفريضة في ركن شرطا لركن آخر لا له][4]، والشرط إذا إذا لم يوثر عدمه في محله كيف يوثر في محل آخر؟ فشد يدك على ما ذكرنا من التحقيق، ولا تلتفت إلى من طريقه التقيد[5] بظواهر ألفاظ المختصرين والله تعالى أعلم1"[6] انتهى كلامه.

قلت وفي مناسك[7] الشيخ يحي الحطاب: "أما تقديم طواف صحيح على السعي فقال ابن عبد السلام أنه متفق عليه، فلو سعى من غير طواف لم يجزه ذلك السعي بلا خلاف، ولا يشترط كون ذلك الطواف الذي يتقدمه واجبا، بل ذلك من الواجبات التي تجبر بالدم، فيجب عليه أن يوقعه أن كان في حج إثر طواف قدوم أو

---

(1) ساقطة من "ع".
(2) "ت": فرضية.
(3) "ح2": أو لا .
(4) "ف": "والعجب منهم كيف لا يجعلون نية الفرضية شرطا في صحة السعي ويجعلونها شرطا في صحة الطواف فتكون نية الفرضية في ركن شرطا لركن آخر لا له". والصحيح ما أثبتناه استناد إلى رحلة العياشي.
(5) "ت": الثقة.
(6) ينظر ماء الموائد،ج/1ص/196.
(7) "ت": منسك.

أثر طواف الإفاضة . وإن كان في عمرة إثر طواف عمرة فإن أوقعه بعد طواف الوداع أو بعد طواف التطوع أعاده ما دام بمكة، فإن لم يعاوده حتى بعد عن مكة لزمه الهدي باتفاق". انتهى.

وقال والده في شرح المختصر بعد نقول: "فعلم [مما تقدم][1] أن معنى قول المصنف ونوى فرضيته إلخ أن الطواف الذي يقع بعده السعي يجب أن ينوي فرضيته بأن يكون طواف الإفاضة أو طواف القدوم في الحج، أو طواف العمرة. فإن أوقعه، بعد طواف لا ينوى فرضيته، كطواف الوداع أو طواف التطوع[2]، كمن أحرم بالحج من مكة وطاف وسعى، فإنه يؤمر بإعادته بعد طواف واجب. فإن لم يفعل حتى تباعد، فعليه دم. و[في][3] قول المصنف: "وإلا فدم، فيه مسامحة، لأن ظاهره أنه لا يؤمر بالإعادة، وليس كذلك".

[الرجوع إلى منى لرمي الجمرات]

ولما فرغنا من الطواف وتوابعه جلسنا للاستراحة في أخريات[4] المسجد، واشترينا خبزا وسمنا وعسلا وأكلنا[5]، ورجعنا إلى منزلنا بمنى. وصلينا بها الظهركما فعل فعل المصطفى، صلى الله عليه وسلم، {على قول الأكثر}[6]. وقيل إنما صلى الظهر، صلى الله عليه وسلم، {بمكة}[7]. وكان نزولنا إزاء ثبير، قرب الغار الذي أنزلت فيه ﴿وَالمُرْسَلاَتِ﴾[8] على النبي، صلى الله عليه وسلم، وخبره مذكور في الصحيح. وقد بني على بابه محوط شبه مسجد صغير؛ والناس يقصدونه للصلاة فيه والدعاء؛ وهو في أصل جبل ثبير، بينه وبين مسجد الخيف رمية بحجر. وكان نزولنا

---

(1) "ع": من ما تقدم، والأرجح ما أثبتناه.
(2) "ف": تطوع.
(3) زائدة في "ف".
(4) "ت": أخرية
(5) "ف": فأكلنا.
(6) ساقطة من"ع".
(7) "ع": ساقطة من "ع وفي "ف".
(8) سورة المرسلات .

بهذا المحل إيثارا للقرب من هذا المكان[1] وقرب المسجد، مع كونه أوسع وأنظف وأستر وأمكن للإنسان في حاجته[2]؛ والناس يتحامون من القرب من الجبل تقية من من أذى السراق، فيستجير بعضهم من بعض، ويفرون إلى الدخول في غمار الناس، ولا يبالون بما نالهم في ذلك من وطء الأقدام، وتقطيع الحبال، وتعفن الأرجاء، واستنشاق الروائح الكريهة. ونحن استسهلنا أمر السرقة في جانب هذه المضار. وكذلك فعلنا في كل ما مضى من الحجات، [194- ب] والله يعيدنا إليه الكرات بعد الكرات. "وقد ذبح في منى ذلك اليوم والذي بعده من الغنم ما أحبس[3] الغني الغني والفقير، وكفى البصير والضرير، وأغنى الوارد والمستوطن: فامتلأت الطرقات وأبنية[4] المنازل باللحم؛ وأما الجلد والساقط والأكارع، فلا ترى أحدا يأخذها. ضيافة الله الملك الحق، الذي لا يقدرأحد على كفاية خلقه سواه، فقد ورد من آفاق الأرض أصناف من الخلق لا يحصى[5]: أغنياء، وفقراء؛ فأكل الكل من ضيافة مالكهم، وتزودوا ما قدروا، وفضل ما أعجز الطير والهوام والوحش"[6].

قال الإمام أبو سالم: "فأقسم: لقد مررت بهذا المكان بعد سنة أو قريب[7] من من ذلك قفولي[8] من الطائف، فوجدت فيه عدة كثيرة من الغنم قد يبست جلودها جلودها على لحومها وعظامها [و][9] لم تمس إلى أن صارت مثل الخشب من يبسها. والمرجو بل المحقق من كرم الملك الوهاب ذي الطول، كما عم وفده بالضيافة المحسوسة، التي صيرت الفقير كالغني في أيام الضيافة، فكذلك أو أعظم منه ضيافته[10] المعنوية بالمغفرة وقبول الدعاء وإجزال المثوبة لعباده، فوق ما يخطر بالبال، بالبال، وما ينال بقياس ولا مثال، فما أسعدنا به من رب: كريم، منعم متفضل، وهاب جواد، محسن، متطول، لا إله إلا هو، ملك الملوك، ورب الأرباب؛ ولا يهلك

---

(1) "ف": المحل.
(2) "ت": و"ع": حاجة.
(3) "ح2": ما أحسب.
(4) "ت": جنب.
(5) "ت": لا تحصى.
(6) ينظر ماء الموائد: ج1، ص: 198 .
(7) "ف": قريبا.
(8) قفولي: رجوعي (لسان العرب،: مادة ق،ف،ل).
(9) زائدة في "ت".
(10) "ع": ضيافة.

على الله إلا هالك. نسأله سبحانه أن يعمنا بفضله وكرمه، ويتحفنا برضوانه، ويعاملنا بإحسانه، {آمين}[1]"[2].

وبتنا بمنى تلك الليلة في نعمة كاملة، ورحمة من الله شاملة . وانقضى ذلك النهار وقد عيدنا وعلينا مناسك[3] الحج {و}[4] شيدنا، وفوق أمانينا أعطينا: (السريع).

بَلَغْتِ يَا نَفْسِي المُنَى فِي مِنىَ ... وَقَدْ أَزَالَ اللَّهُ عَنْكِ العَنَا

فَاسْتَنْفِذِى[5] وُسْعَكِ فِي حَمْدِهِ[6] ... وَشيِّدِي مِنْكِ {بِنَاءَ}[7] الثَّنَا

ثم في الغد عمرت الأسواق، وكثر الإنفاق، وأخرجت البضائع ذوات الأثمان، وصنوف التجارات، وتزاحم الناس على الشراء رجاء بركة هذا[8] المكان، في ذلك الزمان، وأكثر التجار يقولون: إن من اشترى شيئا في منى وجعله في تجارته، وجد بركته وظهرت له ثمرته. ولا يبعدك ذلك: فإنه موسم شريف يأتيه الناس ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيامٍ مَعْلُوماتٍ عَلىَ ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ﴾[9] وقد عمهم الله {فيه}[10] من أمر دنياهم وأخراهم بغاية الإنعام.

ولما زالت الشمس، توضأنا، فخرجنا لرمي الجمار- بلا نزاح ولا ثوان- مبتدئين بالأولى، التي تلي مسجد الخيف، ثم بالوسطى، وختمنا بالعقبة.

---

(1) ساقطة من "ت".
(2) ينظر ماء الموائد، ج/1ص/198-199.
(3) "ع": منار.
(4) ساقطة من "ت".
(5) "ف": فاستنفدي.
(6) "ف": جهده.
(7) ساقطة من "ع".
(8) "ت": ذلك.
(9) سورة الحج، بعض الآية 26 وتتمتها:﴿ وَأَذِّنْ فِي النأسِ بِالْحَجِّ يَاتُوكَ رِجالاً وَعَلىَ كُلِّ ضامِرٍ يأتِينَ مِنْ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى ماَ رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعامِ، فَكُلُوا مِنْها وَأَطْعِمُوا البائِسَ الفَقِيرَ﴾.
(10) ساقطة من "ع".

فوقفنا إثر الأولين بقدر الإمكان، مجتهدين في الدعاء لنا ولعامة المسلمين وخاصتهم وسائر الأحبة والإخوان وما نسينا أحدا في ذلك {المكان}[1]. ولما كانت الليلة الثانية من ليالي منى، بالغ أهل مصر وأهل الشام في إيقاد[2] المصابيح واتخاد المصانع منها، وصور الأشجار والأخبية، وأكثروا الرمي بالبنادق، والمدافع، والمحارق المرتفعة في الجو. وفي ذلك نزهة الأبصار، وتسلية للأفكار، ومحال[3] للاتعاظ والأذكار، والقبول والإنكار؛ فنزل جميع أصناف العباد، وحشرإليه عمار البلاد، فهو أجمل الأندية، ومبانيه أحسن الأبنية، تشرق في النهار فساطيطه المونقة، وبالليل مصابيحه المشرقة.

قال الإمام أبوسالم:"وبالجملة، فأيام منى غرر في أوجه الزمان، ومواسم فرح وسرور لأهل الإيمان، ومناهل رحمة ومغفرة من الله ورضوان، ومحال[4] بركة وعافية وأمان"، يتجلى فيها الحق لوفده[5] بصفة[6] الجمال، جزاء على رضاهم قبل ذلك بتجلي الجلال، فهناك يستصغر المرء ما قاسى في طريقه من الشدائد، في جنب ما حصل له من النعم والفوائد".

فلما أصبح الناس، في اليوم الثالث، أخذوا في الرحيل متعجلين ﴿وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ، فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ، وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنْ اتَّقَىَ﴾ سورة البقرة: بعض الآية 201، وتتمتها: ﴿وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ، فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ، وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنْ اتَّقَىَ وَاتَّقُوْا اللهَ وَاعْلَمُوْا أَنَّكُمُوْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[7]"[8].

وتعجلت الأركاب وطويت الأخبية، ونقضت القبب والأبنية، ولم يبق إلا جماعتنا وبعض أهل البصرة [والاحساء][9]؛ نزلوا تحت الجبل على بعد منا. ولواء

---

(1) ساقطة من "ت".
(2) "ع": اتخاذ.
(3) "ت": محل، "ف": مجال.
(4) "ف": مجال.
(5) "ع":ل فوده.
(6) "ع": لصفة.
(7) سورة البقرة: بعض الآية 201، وتتمتها: ﴿ وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ، فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ، وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنْ اتَّقَىَ وَاتَّقُوْا اللهَ وَاعْلَمُوْا أَنَّكُمُوْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.
(8) ينظر ماء الموائد،ج1،ص– ص: 202– 203 .
(9) غير واضحة في كل النسخ

السلطان المكي تعجل وكان من عاداته ألا يتعجل. وليلة بتنا وحدنا لم نر والحمد لله بأسا؛ وبتنا آمنين ما كنا، والله يختم بخير. واغتنمنا الصلوات[1] بمسجد الخيف، في هذا اليوم، منفردين بعمارته دون غيرنا من أهل الآفاق.

[ذكر مسجد الخيف]

نكتة: "وهذا المسجد- أعني مسجد الخيف- يسمى مسجد علي [195- أ]. قيل إن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أول من بناه، وهو موضع منزل النبي، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، رضى الله عنهم، في حجة الوداع"[2].

قال الإمام أبو سالم: "وطول هذا المسجد من المحراب إلى الباب الذي يقابله أربعمائة قدم، وعرضه ثلاثمائة وأربعون. وبوسط المسجد قبة مثمنة: كل ثمن منها أربعة وعشرون قدما من [خارجها][3]. ورأيت في بعض التواريخ: أن في محل هذه القبة كان فسطاطه، صلى الله عليه وسلم، وصحن هذا المسجد كبير، إذ المسقف[4] من مقدمه {نحو}[5] أربعة من الصفوف، ومن سائر الجوانب غير مسقف"[6].

قال: وقد رأيت، قبل هذا، في إحدى سواري هذا المسجد، مكتوبا، ما أظن أن صورته هذا: (خفيف)

أَيُّهَا الغَائِبُونَ بِاللَّهِ جُودُوا ... لِغَرِيبٍ بِدَعْوَةٍ إِنْ قَدِمْتُمْ

كَانَ مِنْ قَبْلِ هَاهُنَا مِثْلَ مَا قَدْ ... كُنْتُم حَاضِراً كَمَا قَدْ حَضَرْتُمْ

وتحته مكتوب: ما نصه: (الخفيف).

قَدْ حَضَرْنَا بِذَا المَكَانِ وَغِبْتُمْ ... وَشَهِدْنَا بِهِ كَمَا قَدْ شَهِدْتُمْ

---

(1) "ت": الصلاة.

(2) ينظر نفسه، ص: 204 .

(3) بياض في مكان هذه الكلمة بالنسخة "ت".

(4) "ف": السقف.

(5) ساقطة من "ت".

(6) ينظر ماء الموائد،ج1، ص: 204 .

وَذَكَرْنَاكُـــمُ بِكُـــلِّ جَمِيـــلٍ فَاذْكُرُونَـا بِمِثْلِــهِ إِنْ حَضَرْتُـمْ

ووجدت في سارية أخرى بيتا مفردا وهو: (الرمل).

إِنَّ فِـي الجَنَّـةِ نَهْـراً مِـنْ لَبَـنْ لِعَلِـيٍّ وَحُسَيْـنٍ وَحَسَـنْ

قال: وقد صدق قائله. إلا أنه تشم منه رائحة التشييع، وإن هذا النهر خاص بهم، رضي الله عنهم وبمن ولاهم[1]، دون غيرهم من الصحابة، وهو مذهب الرافضة. الرافضة. ومذهبنا معشر أهل السنة أنه لهم ولغيرهم من الصحابة وصالحي الأمة، رضي الله عن جميعهم، وجعلنا ممن أحسن من تابعيهم[2]. آمين[3]" انتهى.

ولما زالت الشمس من اليوم الرابع، ارتحلنا من منى، ورمينا بلا زحمة مع الزوال، وأرغمنا أنف الشيطان[4]، بحذف تلك الحصيات التي تكونت له من طينة الوبال: (الخفيف).

قَدْ رَمَيْتُ الشَّيْطَانَ فِي يَوْمِ حَجِّي بِجِمَـارٍ فِـي طَاعَـةِ الرَّحْمَـنِ

وَعَجِيبٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ تَلَظَّـى وَهْـيَ سَبْعُـونَ جَمْـرَةً بِالعِيَـانِ[5]

[زيارة مسجدي الكبش والعقبة بمنى]

وملنا إلى مسجد الكبش فزرناه، ثم بعده[6] مسجد العقبة أتيناه، وهو المكان المكان الذي بايع فيه الأنصار، رضي الله عنهم، بيعة العقبة. فهو من المساجد المنسوبة إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، المتبرك بها، وهو معدود من الأماكن[7] التي

(1) "ت". والأهم.
(2) "ح1": تابعهم.
(3) ينظر نفسه، ص: 205 .
(4) "ف": الشياطين.
(5) "ت": في العيان.
(6) "ت": بعد.
(7) "ع": الأماكين.

التي يستجاب فيها[1] الدعاء؛ وهو في الشعب تحت جمرة العقبة بيسير على يسارك، يسارك، وأنت ذاهب من مكة إلى منى .

[الإحرام بعمرة من التنعيم]

فسرنا، فجئنا المحصب[2]، فنزلنا بازاء[3] مسجد عائشة، وصلينا به الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ورقدت رقدة. ثم ذهبنا للعمرة وأحرمنا لها[4] من التنعيم[5] التنعيم[5] لتعذر الجعرانة[6]، من شدة الخوف وقلة الرفيق، بعد أن اغتسلنا[7] لإحرامها لإحرامها هنالك مع من لم يغتسل بالمحصب من أصحابنا. وأتينا مكة فطفنا، ووطئ إنسان على بنصر رجلي اليسرى، ولا أظنها إلا انكسرت، وأتممت الطواف وأنا أحجل. ولم أقبل الحجر مباشرة، في أكثر الأشواط: (الرجز).

هَـلْ أَنْـتِ إِلاَّ إِصْبُـعٌ وُطِـئَتِ   وَفِـي سَبِيـلِ اللَّـهِ مَـا لَقِـيتِ[8]

وخرجت إلى السعي، فسعيت من الصفا إلى المروة، ومن المروة إلى الصفا، على رجلي. وتعبت جدا، فعجزت عن إتمامه راجلا، وأتيت بالدابة فركبت وأتممته راكبا، وأتيت المنزل الذي اكتريناه، ورقدت رقدة .

وأصبحنا بمكة يوم الجمعة، رابع عشر ذي الحجة ثالث فبراير[9]. وأقمنا بها بعد بعد قضاء النسك تسعا. وفي هذه المدة في تلك العرصات نجول ونسعى. ودخلت

(1) "ت": فيه.
(2) المحصب: موضع بين مكة ومنى وهو بطحاء مكة.
(3) "ع": بإيزاء.
(4) "ع"و"ف":بلها.
(5) التنعيم: موضع بمكة في الحل وهو حد الحرم من جهة المدينة على ثلاثة أميال أو أربعة من مكة. مكة. وهو أقرب أطراف الحل إلى البيت الحرام. ينظر معجم البلدان ج2 ص 58 .
(6) الجعرانة: وهو موضع بين مكة والطائف إلى مكة أقرب بكثير، بينها وبين مكة ثمانية عشر ميلا. ومنها كانت عمرة النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة حين قسم غنائم حنين كما في الصحيحين.
(7) "ت": اغتسلت.
(8) لعبد الله بن رواحة.
(9) "ع": فابراير.

البيت الشريف- كما قدمنا- فتمتعنا في إجالة النظر في نواحيه، حرصا على تحقيق مبانيه، كما قيل: (الطويل).

وَرُدَّتْ[1] إِلَى البَيْتِ الحَرامِ وُفُودُنَا | تَحِنُّ لَهُ كَالطَّيْرِ حَنَّ لِمَأْوَاهْ
وَطُفْنَا طَوَافاً لِلإِفَاضَةِ حَوْلَهُ | وَلُذْنَا بِهِ بَعْدَ الجِمَارِ وَزُرْنَاهْ
وَمِنْ بَعْدِ مَا زُرْنَا دَخَلْنَاهُ دَخْلَةً | كَأَنَّا [دَخَلْنَا الخُلْدَ حِينَ][2] دَخَلْنَاهْ
وَنِلْنَا أَمَانَ اللَّهِ عِنْدَ دُخُولِهِ | كَمَا أَخْبَرَ القُرْآنُ فِيمَا قَرَأْنَاهْ [195-
فَيَا مَنْزِلاً قَدْ كَانَ أَبْرَكَ مَنْزِلٍ | نَزَلْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَبَيْتٍ وَطِئْنَاهْ
تَرَى حَجَّةً أُخْرَى إِلَيْهِ وَدَخْلَةً | وَذَاكَ عَلَى رَبِّ الوَرَى نَتَمَنَّاهْ
وَإِخْوَانُنَا مَا كَانَ أَحْلَى دُخُولِنَا | إِلَيْهِ وَبِتْنَا[3] فِي حِمَاهُ لَبِثْنَاهْ
وَإِخْوَانُنَا أَوْحَشْتُمُونَا هُنَا لَكُمْ | فَيَالَيْتَكُمْ مَعْنَا أَوَانَ خَفَفْنَاهْ
نَطُوفُ بِهِ وَاللَّهُ يُحْصِي طَوَافَنَا | لِيُسْقِطَ عَنَّا مَا نَسِينَا وَأَحْصَاهْ
وَبِالحَجَرِ المَيْمُونِ لُذْنَا فَإِنَّهُ | لِرَبِّ السَّمَا فِي الأَرْضِ لِلْخَلْقِ يُمْنَاهْ
نُقَبِّلُهُ مِنْ حُبِّنَا لإِلَهِنَا[4] | فَكَمْ لثمة طُولَ الطَّوَافِ لَثَمْنَاهْ
عَلَى لَثمهِ لِلشُّعْثِ وَالغُبْرِ زَحْمَةٌ[5] | فَكَمْ أَشْعَثٍ كَمْ أَغْبَرٍ قَدْ زَحَمْنَاهْ
وَذَاكَ لَنَا يَوْمَ القِيَامَةِ شَاهِدٌ | وَفِيهِ لَنَا عَقْدٌ وَعَهْدٌ عهِدْنَاهْ
وَنَسْتَلِمُ الرُّكْنَ اليَمَانِيَّ طَاعَةً | وَنَسْتَغْفِرُ المَوْلَى إِذَا مَا لَمَسْنَاهْ
وَمُلْتَزَمٌ فِيهِ إِلْتَزَمْنَا لِرَبِّنَا | عُهُوداً وَعَفْوَ اللهِ فِيهِ لَزِمْنَاهْ

---

(1) "ت": وزادت.
(2) "ف": دخول الخالدين.
(3) "ح1": ولبثا.
(4) "ت": لإلآهنا.
(5) "ع": رحمة.

وَكَمْ مَوقِفٍ فِيهِ يُجَابُ لَنَا الدُّعَا ... دَعَوْنَا بِهِ وَالفَضْلُ فِيهِ نَوَيْنَاهْ

وَلَمَّا قَضَيْنَا لِلْإِلَهِ مَنَاسِكاً ... ذَكَرْنَاهُ وَالمَطْلُوبُ مِنْهُ سَأَلْنَاهْ

فَمِنْ طَالَبٍ حَظّاً لِدُنْيَاهُ مَالَهُ ... خِلَافٌ بِأُخْرَاهُ إِذَا اللَّهُ لَاقَاهْ

ومِنْ[1] طَالِب حُسْنَى[2] بِدُنْيَاهُ نَاوِيًّا ... وَحُسْناً بِأُخْرَاهُ وَذَاكَ يُوَفَّاهْ

وَآخَرَ لاَ يَبْغِي مِنَ اللهِ حَاجَةً ... سِوَى نَظْرَة فِي وَجْهِهِ يَوْمَ يَلْقَاه

---

(1) "ت": ومن.
(2) "ع": حسنا

[ذِكْر المَشَاهِدِ الَّتِي يَنْبَغِي لِلْحَاجِّ أَنْ يَزُورَهَا بِمَكَّةَ] [شَرَّفَهَا اللَّهُ]

منها "الدار التي ولد فيها، صلى الله عليه وسلم، وقد اتخذت، الآن، مسجدا ومزارا[1] عظيما[2]، تفد إليها[3] الوفود من كل ناحية أيام المولد النبوي، هذا على ما علم مما وقع من الاختلاف في كتب السير في مولده، صلى الله عليه وسلم، هل هو بمكة أو بالأبواء؟. وعلى أنه بمكة، فقيل بالشعب، وقيل بالمحصب، إلى غير ذلك من الأقوال. ولا أدري من أين أخذ الناس تعيين هذا المحل بالخصوص؟ اللهم إلا أن يثبت أن تلك داروالده أوجده، صلى الله عليه وسلم، فيترجح[4] القول بأنه في مكة بقضية عادية، وهي أن ولادة الإنسان في الغالب في منزل والده، وإن أريد بالشعب: شعب أبي طالب، الذي انحاز إليه مع بني هاشم وبني المطلب في قضية الصحيفة. فلا يبعد ذلك لأن هذه الدار قريبة من الشعب، أسفله. والعجب أنهم عينوا محلا من الدارمقدار مضجع، وقالوا: إنه موضع ولادته، صلى الله عليه وسلم."

قال شيخنا أبو سالم: "ويبعد عندي كل البعد تعيين ذلك من طريق صحيح أو ضعيف، لما تقدم من الخلاف في كونه بمكة أوغيرها، وعلى القول بأنه فيها، ففي أي شعابها؟ وعلى القول بتعيين هذا الشعب، ففي أي الدور؟ وعلى[5] القول بتعيين الدار، فيبعد كل البعد تعيين الموضع من الدار بعد مرور الأزمان والأعصار، وانقطاع الأثر[6]. والولادة وقعت في زمان الجاهلية، وليس هناك من يعتني بحفظ الأمكنة، سيما مع عدم تعلق غرض لهم بذلك. وبعد مجيء الإسلام، فقد علم من حال الصحابة ضعف اعتنائهم بالتقييد[7] بالأماكن التي لم يتعلق بها عمل شرعي،

(1) "ف": مزارة
(2) "ف": عظيمة.
(3) "ح2": إليه.
(4) "ف": فيرجح.
(5) "ح1": على.
(6) "ف": الآثار
(7) "ف": بتقيد.

لصرفهم اعتنائهم، رضي الله عنهم، لما هو أهم[1]: من حفظ الشريعة والذب[2] عنها بالسنان واللسان[3]. وكأن ذلك هوالسبب في خفاء[4] كثير من الآثار الواقعة في الإسلام: من مساجده، صلى الله عليه وسلم، ومواضع[5] غزواته، ومدفن كثير من الصحابة مع وقوع ذلك في المشاهد الحفيلة، فما بالك بما وقع في الجاهلية، لا سيما ما لا يكاد يحضره أحد، كمولد علي، رضي الله عنه، [196- أ] ومولد عمر، ومولد فاطمة، رضي الله [تعالى][6]، عن جميعهم . فهذه أماكن مشهورة عند أهل مكة، فيقولون: هذا مولد فلان، وهذا مولد فلان. فذلك في البعد أبعد من تعيين مولده، صلى الله عليه وسلم، لوقوع كثير من الآيات في ليلة مولده، صلى الله عليه وسلم . فقد ينتبه بعض الناس {لذلك}[7]، بسبب ما ظهر من الآيات، وإن كانوا أهل جاهلية . وأما مولد غيره ممن[8] ولد في ذلك العصر، فتكاد العادة تقطع بعدم معرفته، إلا أن يرد خبر عن صاحب الواقعة بنفسه أو أحد من أهل بيته.

وحاصل الأمر أن هذه الأماكن اشتهرت بين الناس، فتزار بحسن النية رعاية لتعظيم[9] قدر من أضيفت إليه صلى الله عليه وسلم. فليستحضر[10] الزائر في قلبه عظمة {من نسبت إليه الأمكنة، وعظمة}[11] تلك النسبة. ولا يشغل قلبه بصحة النسبة وضعفها، لوجودها[12] في الخارج، ولو عدمت في نفس الأمر، فرعاية تعظيم الموجودات[13] على الألسنة لها أثر كبير في الجلب والدفع. نسأل الله تبارك وتعالى، أن يجعلنا ممن يعظم حرماته وشعائره، تعظيما يوافق أوامره.

---

(1) "ف": أعلى.
(2) ذب عنه: دفع عنه، ينظر اللسان مادة: (ذ - ب- ب).
(3) "ف": باللسان والسنان.
(4) "ف": إخفاء.
(5) "ف": موضع.
(6) زيادة من "ع".
(7) ساقطة من "ع".
(8) "ف": فمن.
(9) "ت": لعظيم.
(10) "ح1": فيستحضر.
(11) ساقطة من "ح1".
(12) "ف": لثبوتها.
(13) "ت": الموجودة.

ومن المزارات،"أيضا: مولد فاطمة، رضي الله عنها،{في دار خديجة، رضي الله عنها}[1]، والنفس أميل إلى صحة هذا المكان [أكثر][2] من غيره.

ومنها البيت الذي سكنه سيدنا {محمد}[3] رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وسلم، مع السيدة خديجة، [رضي الله عنها][4]، وولدت له فيه الأولاد وفيه توفيت. ولم يزل، صلى الله عليه وسلم مقيما به حتى هاجر.

ومنها مولد علي رضي الله {تعالى} عنه[5].

ومنها دار[6] أبي بكر الصديق، رضي الله {تعالى}[7] عنه، وبقربها حجر في جدار، فيه كأثر المرفق. يقال: إن مرفق النبي، صلى الله عليه وسلم، غاصت فيه، لما استند إليه، والناس يتمسحون ويتبركون به.

ومنها دار الخيزران، عند الصفا، فله فيها، صلى الله عليه وسلم، تردد وإقامة.

ومنها مسجد البيعة: الذي[8] بايع فيه[9] رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الجن.

ومنها مسجد إبراهيم بعرفة: وهو غير الذي يصلي فيه الإمام، ولا يعرف اليوم.

ومنها مسجد الكبش بمنى: الذي نزل فيه فداء إسماعيل عليه السلام.

ومنها مسجد بأجياد: يقال له المتكى، قيل: إنه {كان}[10]، صلى الله عليه وسلم، اتَّكأ[11] هناك.

[ومنها مسجد العقبة: حين بايع {الأنصار}[1].

---

(1) ساقطة من"ع"، وفي "ف".
(2) زائدة في "ت".
(3) ساقطة من "ت".
(4) زيادة من "ف"
(5) ساقطة من "ف".
(6) "ف": مولد.
(7) ساقطة من "ف".
(8) "ح2": التي.
(9) "ح2": فيها.
(10) ساقطة من "ت".
(11) "ف": اتكأ.

ومنها غار جبل ثور: الذي اختفى فيه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، رضي الله عنه، في هجرتهما، وصرح القرآن بذكره في قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ﴾[2]. وجبل ثور على ثلاثة أميال من مكة، إذا مر السالك إليه فيما بين الخندسة[3] وأبي قبيس، وهو وراءهما. وأما من مر بأسفل مكة، حتى يدور إليه فأضعاف ذلك، وعليها يسلك من مر راكبا، مع بعدها، لتوعر القريبة. وهو: جبل منقطع عن الجبال التي حوله، ذاهب[4] في الهواء، مشرف على كل ما حوله من الجبال مكسو جلالة ومهابة، صعب المرتقى غاية. وارتفاعه في السماء نحو من ثلاثة أميال، والغار في أعلاه من الناحية الموالية[5] لمكة. وهو من عجائب آثار قدرة الله، تعالى. وله بابان: الأصلي الذي دخل منه النبي، صلى الله عليه وسلم، مع صاحبه، رضي الله عنه، من ناحية الغرب- وهو صغير جدا ملاصق بأرض الغار- وهو شق صغير بين صخرتين، عرضه ثلاثة أشبار وارتفاعه أزيد من شبر"[6].

قال أبو سالم:"ولقد[7] خيل لي، عندما رأيته، أن أحدا لا يمكنه الدخول منه. فأيست[8] من الدخول منه، حتى رأيت من هوأعظم مني جثة قد دخل منه، فتحاملت. ودخلت من ذلك الشق، مع مشقة وترتيب أعضاء: من تقديم إحدى اليدين إلى المنكب، وإتباع الرأس لها، وإرسال اليد الأخرى مع الجنب. ولقد طال تعجبي من معرفة الناس بكونه غارا واسعا من داخل. فهو، إن لم يكن معروفا عندهم قبل ذلك معهودا، فالأقرب أنه بالوحي أوإلهام من الله تعالى لرسوله، صلى الله عليه وسلم. لأن العادة تكاد تقطع بأن مثل ذلك لا يكون كهفا متسعا من داخل، إذ هو صخرة واحدة منقطعة عن غيرها، منكفئة، على أخرى، منقورة في وسطها قدر قامة الإنسان ارتفاعا وسعة نحو العشرة الأذرع. ولولا عظم الصخرة، وتواتر الخبر بأنه

---

(1) ساقطة من "ف".

(2) سورة التوبة، بعض الآية 40، وتتمتها:﴿ إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ، وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى، وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا، وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

(3) "ع": الخندمة.

(4) "ح1": ذهب.

(5) "ع": المولية.

(6) ينظر ماء الموائد،ج1، الصفحات: 224- 225- 226، وج2، ص- ص: 102- 103.

(7) "ح2": وقد.

(8) فأئست.

كذلك من قديم الدهر لتوهم نها صخرة نقرت في وسطها ثم قلبت على أخرى، [و][1] صنع آدمي[2]، وأما الباب الآخر: فإنه إلى ناحية المشرق، وهو واسع، يدخل منه الإنسان ويخرج كيف شاء. وزعموا أنه مفتوح بصنع الآدميين، وأن سبب فتحه: أن شخصا [196- ب] تكلف الدخول فلم يقدر على الخروج؛ وكرهوا تغيير الباب الأصلي، بتوسعه، ففتحوا هذا الباب من الناحية الأخرى لخروج هذا الشخص، وليدخل منه من لم يقدر على الدخول من الباب الأصلي. وبإزاء هذا الباب المفتوح مصطبة[3]، محوط عليها بأحجار شبه مسجد مفروش برمل، والناس يصلون فيه، ويصلون أيضا داخل الغار، وفوق الغار، في قنة الجبل، غار كبير واسع تحت صخرة عظيمة، مفتوح من جوانبه، محوط عليه بأحجار شبه مسجد آخر يجلس الناس فيه ولا أدري ما أصله. وفيه منظر رائق يشرف منه الإنسان على بلاد كثيرة"[4].

قال: "ولم أر في تلك الناحية جبلا أعلى منه، إلا جبل فران[5]، الذي يصعد منه إلى الطائف. وقد ذكر بعض من ألف في {أخبار}[6] مكة[7] {وجبالها}[8]، أن أن من زار هذا الغار، وكان به حزن آلمه، وسأل الله إذهابه به أذهبه عنه ولا يحزن بعد ذلك. وكأنه اقتبس ذلك من قوله تعالى ﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[9] انتهى.

"ومنها جبل حراء وفضله مشهور، وفيه الغار الذي كان، صلى الله عليه وسلم، يتحنث فيه قبل النبوءة، وفيه نزل الوحي أول ما نزل، وفيه نزلت سورة ﴿اقرأ﴾، كما في الصحيح. وهو جبل متوحد بأعلى مكة على ثلاثة أميال منها، وعلى رأسه قبة"[10].

قال أبو سالم: "ترى من المسجد الحرام، والغار في أعلاه، من الناحية الغربية الموالية لمكة، وهو، مع صعوبته، قد سويت طريقه وأزيلت الأحجار المتعرضة من

---

(1) زيادة من "ف".
(2) "ح1": الآدمي.
(3) المصطبة: بناء غير مرتفع يجلس عليه(ج) مصاطب، ينظر اللسان.
(4) ينظر ماء الموائد،ج/2ص/103.
(5) "ف": اكن.
(6) ساقطة من "ف".
(7) "ح2": ألف مكة.
(8) ساقطة من "ف".
(9) نفسه،ص – ص: 103 – 104.
(10) نفسه،ص:113.

غالب طريقه، وبني ما يحتاج للبناء فيها، حتى إن الدابة يمكنها الصعود براكبها إلى أعلاه، وفي أعلاه شبه مسجد على باب القبة، يصلي فيه الناس، والغار أسفل من القبة بين صخرات هنالك، وهو صغير جدا يسع ثلاثا أو أربعا فيما أظن. ويصلي فيه الناس للبركة[1] وقد جلسنا هنالك هنيئة، وباب الغار متنكب إلى ناحية الشمال"[2].

قال: "وقد كنت أسمع قبل هذا ورأيته منصوصا: إن الجالس في الغار يرى الكعبة. ولذلك اختار النبي، صلى الله عليه وسلم، التحنث فيه؛ لأن النظرإلى البيت عبادة، فتجتمع له أنواع العبادات، لا تكاد تجتمع في غيره، وهذا لا يصح إلا إن أريد المحل الذي هو فيه، فإن البيت[3]، قبل أن يتكنفه البنيان العظيم، قد يظهر من الخارج، وأما من الغار فلا"[4].

قال: "أخبرني شيخنا أبو مهدى: أنه خرج ذات مرة للتحنث[5] بهذا الغار، وكان يخرج إليه بهذا القصد قبل ذلك، وخرج معه في هذه المرة ثلاثة من أصحابه من الهنود، وكان اثنان مقيمين معه والثالث يتردد عليهما بما يحتاجان من ماء وطعام، قال: "وكان معي بداية المجتهد، للحفيد ابن رشد، أطالع فيه[6] أحيانا. فبينما هو، ذات يوم، في الغار وصاحباه في القبة والثالث تحت صخرة هنالك، إذ عرض في السماء عارض غيم وبرق، ثم ارزمّ[7] الرعد وأتى بأمر هائل، ما رأيت مثله قط، فلم أشك أنه الموت[8]، ولزمت مكاني وطبت نفسا بشرف البقعة؛ فقلت: حبذا لقاء الله في {مثل}[9] هذا المكان، وألزمت نفسي حضور القلب منتظرا {حلول}[10] القضاء، حتى انكشف ذلك، وخرجت من الغار. فإذا صاحباي اللذان[11] في القبة

---

(1) "ت": البركة.
(2) ينظر ماء الموائد،ج/2ص/113.
(3) "ح1": للبيت.
(4) نفسه.
(5) "ت": لتحنث.
(6) "ح2": فيها.
(7) ارزمّ الرعد: اشتد صوته، ينظر اللسان: مادة: (ر – ز – م).
(8) "ع": اليوم.
(9) ساقطة من "ع".
(10) ساقطة في "ع"و"ف".
(11) اللذين.

قد ماتا، وأحدهما جالس على هيئته لم تتغير منه شعرة؛ والآخر ساقط قد سال الدم من بعض منافذه. فلم أر منظرا أهول ولا أفزع من ذلك. فالتمست الثالث من أصحابي فوجدته تحت صخرة، وقد سلمه الله. وبعثته إلى مكة ليعلم أصحابنا. فبقيت هنالك وحدي منفردا معهما في الليل، فلم أر أمرا أفزع ولا أوحش من ذلك. وكان أعظم وأشق علي من الحال التي كنت عليها في الغار. فما جاءني الناس مع صاحبي حتى كدت أهلك غما. فاحتملنا صاحبينا وذهبنا. فمن ذلك الوقت، ما رجعت للتحنث، إلا أن أذهب زائرا ثم أرجع"[1].

قال أبوسالم: "والانفراد عن الناس سيما في المفازات والمغارات البعيدة عن العمران لا يقوى عليه[2] إلا من أيد بروح القدس، وكانت له همة عالية، وسقطت من من قلبه مخافة غير الله.

فإن الإنسان دنيّ الطبع، لا يتحمل وحشة الانفراد، سيما إن نزلت به ملمة وهو منعزل عن الناس، فإن عيشه يتكدر، وحاله يتغير، وتضيق نفسه، وتخرج عن معتادها، فربما يتلف من ذلك أو يذهل عقله. وأما من كان قلبه متعلقا بالله، لا يلتفت إلا إليه في السراء والضراء، فذلك هو[3] قرة عينه، ولو انطبقت[4] السماء على على الأرض، ما زاده ذلك إلا تلذذا بما فيه، لأنه في تلك الحال يقوى تعلقه بربه وانحياشه إليه، وتنتفي الخواطر المشتتة له في أودية الأغيار، وأي شيء هو طلبة المريد وبغيته إلا هذه[5] الحال، [197- أ] ولذلك قيل: "مواسم الفاقات، أعياد المريدين"[6].

قال: "ولا أظن شيخنا، في ذلك الوقت، كان من أهل هذه[7] الحال، لما غلب غلب عليه من محبة العلوم الرسمية، وصرف بعض الهمة إليها، يدلّك[8] على ذلك استصحابه لكتابه بداية المجتهد. ومن كانت هذه حاله، وإن كانت محمودة، لا

---

(1) ينظر ماء الموائد،ج/2 ص /113- 114.
(2) "ع": عليها.
(3) "ح1": هي.
(4) "ت": انطبق.
(5) "ت"و"ف": هذا.
(6) ينظر ماء الموائد، ج/2ص /114.
(7) "ت"و"ف": هذا.
(8) "ف": يدل.

يقوى على تحمل واردات القدر، الخارجة من باب القهر، المتلفعة بمروط الجلال والهيبة، لتعلق قلبه بأمور وخيالات وعلوم، هي في الحقيقة وسائل . فإذا تجلى الحق بصفة القهر، ذهبت الوسائل، وحق الحق، وبطل ما كانوا يعملون، فيفجا القلب أمر غير معهود له ولا مألوف ولا متصور قبل ذلك. فلا تسأل عما[1] يكابده من [الأهوال][2] ألم الغربة[3] والوحشة والخروج عن المألوفات[4]، نسأل الله {تعالى}[5] أن {تعالى}[5] أن يثبت قلوبنا ويؤيدها بنور المعرفة، عند كل وارد وعند واردات القهر خصوصا، ويشهدنا اللطف المصحوب بها، ويغرقنا في بحار التلذذ بمشاهدته حتى لا نحس[6] لذلك، وعافيتك أوسع لي يا أرحم الراحمين"[7] انتهى.

ومنها الجعرانة: وهوموضع بين مكة والطائف، إلى مكة أقرب بكثير، بينها وبين مكة ثمانية عشر ميلا، ومنها كانت عمرة النبي، صلى الله عليه وسلم، في ذي القعدة، حين قسم غنائم حنين، كما في الصحيحين. وذكر المحب الطبري عن الواقدي أن: إحرامه صلى الله عليه وسلم {بالعمرة}[8] منها كان ليلة الأربعاء لاثنتي لاثنتي عشرة [ليلة][9] بقيت من ذي القعدة.

قال المحب الطبري:

"ومنها يحرم أهل مكة كل عام، في ليلة سبع عشرة من ذي القعدة، وذلك خلاف ما ذكره الواقدي". [انتهى][10].

قال القاضي تقي الدين الفاسي، مؤرخ مكة في شفاء الغرام: "وما ذكره الطبري يخالف ما أدركنا عليه أهل مكة. فإنهم يخرجون من مكة في اليوم السادس عشر من

---

(1) "ع": عن ما.
(2) زيادة من "ف".
(3) "ف": والألم والغربة.
(4) "ف": من المألوف.
(5) ساقطة من "ع".
(6) "ف": لا يحس.
(7) ينظر نفسه.
(8) ساقطة من "ت".
(9) مطموسة في "ح1".
(10) ينظر ماء الموائد،ج/2ص /115- 116.

ذي القعدة، ويقيمون اليوم السابع عشر بالجعرانة، ويصلون المغرب بها ليلة الثامن عشر، ويحرمون ويتوجهون إلى مكة، وهو يلائم ما ذكره الواقدي" .

قال الحطاب: "وعلى ما ذكره القاضي تقي الدين أدركنا عمل أهل مكة.

قلت: ولا أدري متى انقطع عمل أهل مكة هذا. فإنهم الآن لا يحرمون منها. ولا تكاد تجد أحدا يعلم أنها من مواقيت العمرة، إلا من مارس كتب الفقه منهم، وأما العوام فلا يطلقون اسم العمرة إلا على التنعيم. ومكانها: واد أفيح كثير العضاءة[1]. وماؤه شديد الحلاوة غزير، {و}[2] بها بئران عظيمان مطويان بالحجر المنحوت، وعنده دوحات عظيمة. وعلى شفير الوادي، مكان مسجد يقال: إن منه أحرم النبي، صلى الله عليه وسلم. ومن فضائلها ما يروى أنه أحرم بالعمرة منها ثلاثمائة نبي. ويقال إن النبي، صلى الله عليه وسلم، فحص موضع مائها بيده المباركة فانبجست[3]، فشرب منه وسقى الناس. ويقال إنه غرز فيه رمحه فنبع"[4].

ومنها مسجد التنعيم، حين اعتمرت عائشة، رضي الله عنها.

وفي مكة غير هذا من المساجد، التي صلى فيها النبي، صلى الله عليه وسلم، وآثارمشهورة عند أهل مكة، قد تطاولت عليها الأعصار، ووجد التنصيص على اشتهارها في القرون الماضية من كثيرمن المؤرخين والمرتحلين، مع العلم بعدم اشتهارها في القرن الأول والثاني، وما يقرب منهما. فتزار بالنية المتقدمة، وبنية من دخلها وتبرك بها من المسلمين من لدن تلك الأعصارإلى الان. وقد علم اختلاف الأئمة، في القديم والحديث، في تتبع هذه الآثار والمشاهد التي[5] لم يرد بها خبر صحيح بمكة والمدينة والقدس؛ وميل أكثرهم، سيما المالكية، إلى عدم التقييد بذلك، لما علم من شدة حرصهم على الاتباع. فقد ورد أن سيدنا: عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، ارتحل إلى المسجد الأقصى؛ فلما دخله لم يزدعلى أن صلى فيه ركعتين ودعا ورجع من يومه. ولم يقف إلى الصخرة، ولا إلى غيرها من الآثار، والمشاهد الكائنة هناك، مع كثرتها، إذ لم يصح في الحديث إلا إتيانه للصلاة؛ فاقتصرعلى ما صح عنده ولم

(1) "ح2": العضاة.
(2) ساقطة من "ف".
(3) "ت": فانبعث.
(4) ينظر نفسه، ج/2ص / 114- 115- 116.
(5) "ح1": الذي.

يعرج على غيره، والكل إن شاء الله مصيب. ففاز من الأجر بأوفر نصيب، قل كل يعمل على شاكلته، وحسن نيته، وصفاء طويته.[198- أ]

حمن الرحيم][1]

مد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما][2]

فِي الحَرَمِ المَكِّيِّ

ـيلي الشافعي، والشيخ: عبد الله {بن}[4]
ـاج الدين: مفتي الحنفية، وابناه، {و}[5]:
ـحم؛ والشيخ عبد القادر بن أبي بكر الحنفي
ـيا[6] قبل، والشيخ: محمد أكرم الهندي، والشيخ: مصطفى بن فتح الله الحموى، المكي، الشافعي؛ وله تآليف على التاريخ، ذكر فيه علماء {القرن}[7] الحادي عشر وصلحاءه وأدباءه وملوكه وشعراءه. أطلعني {الله}[8] على على سفر منه، ذكر فيه المحمدين فقط، ولم يكمل إلى الآن. وله رحلة إلى اليمن، ولقي الوالد وأخذ عنه وجعل له ترجمة، والشيخ: محمد بن عبد الباقي الاسكندراني المالكي، والشيخ: إدريس بن أحمد الصعادي، الشافعي، وهو نسبة إلى صعادة: بلدة باليمن . والشيخ عبد الرحمن السندي- والد أكرم، والشيخ عبد الكريم الهندي . وفي عام ستة[9] وتسعين التقينا بمكة، وأكرمنا الشيخ الحسين العجمي. والشيخ الحسين الحنفي المكي. وأهدى إلينا عكازا من الخيزران؛ والشيخ: علي اليمني، والشيخ: عبد الله اليمني: وهما من أصحاب سيدنا الوالد، رضي الله عنه. وطلعا معنا إلى جبل أبي

(1) زيادة من "ع".
(2) زيادة من "ع".
(3) ساقطة من"ح1".
(4) ساقطة من "ع"
(5) ساقطة من "ت".
(6) "ع": الفتوى .
(7) ساقطة من "ع"و"ف".
(8) ساقطة من "ت".
(9) "ت": ست.

قبيس، فجلسنا هناك[1] سويعات للدعاء ومشاهدة البيت العتيق، والمسجدالحرام، ومكة {كله}[2] وقعيقعان، وغير ذلك من الأمكنة المعظمة .

وزرنا هنالك وليا مدفونا بروضته، عليه بناء بأحجار. وهناك بيت فوق شعب بني هاشم قالوا من حوله وحياله انشق القمر له، صلى الله عليه وسلم . وزارا معنا غير ذلك جزاهما الله خيرا.

[إجازة الشيخ أبي عبد الله البصري للمؤلف]

وممن أجازنا بمكة من السادات: أبو محمد، الشيخ: عبد الله بن سالم البصري. وقد كان أجازنا بلفظه، ثم بعث إلينا بالإجازة لبلدنا مع بعض أصحابنا. ونص إجازته:

"باسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين. الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام، الأتمان[3] الأكملان، على مولانا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد التمس من الفقير إلى الله[4] تعالى مولانا وسيدنا العلامة، والقدوة الكامل الفهامة، مولانا الشيخ: سيدي أحمد بن مولانا وسيدنا شيخ الإسلام: الشيخ: مَحمد ابن ناصر الدرعي، نفع الله {تعالى}[5] به وبأسلافه، أن أجيزه برواية الكتب الستة التي هي دواوين الإسلام، وبرواية موطأ {الإمام}[6] مالك . فقد أجبته إلى طلبته. وأجزته أن يرويها جميعا عني؛ وأن يروي جميع ما يصح عني ولي[7] روايته. والفقير، وإن لم يكن أهلا لذلك [لكن] ما وسعني إلا إجازته[8] نفعنا الله به. وكذلك أجزت

---

(1) "ف": هنالك.
(2) ساقطة من "ف".
(3) "ت": التامان.
(4) "ت": إليه.
(5) ساقطة من "ت".
(6) ساقطة من "ع"و"ف".
(7) "ع": وما.
(8) "ح2": إجابته.

الشيخ: الفاضل اللوذعي، والكامل الألمعي، الشيخ: حسين بن محمد بن علي بن شرحبيل البوسعيدي الدرعي، أن يروي جميع ذلك عني لما أن الجميع أهل لذلك. سلك الله بنا وبهما أحسن المسالك. وذلك[1] بحق أخذى لهذه الكتب وغيرها عن مشايخ جلة من مشايخ الإسلام، العلماء الأعلام، كالشيخ: عيسى بن محمد الجعفري والشيخ: محمد بن سليمان وغيرهما؛ وأجلهم شيخ الإسلام الشيخ: محمد بن علاء الدين البابلي، وذلك عام مجاورته بمكة المشرفة، سنة سبعين وألف. والمسؤول من المجازين، المشار إليهما، ألا ينسياني من دعواتهما الصالحة . وفقني الله وإياهما لصالح القول والعمل، وجنبنا الزيغ والزلل؛ ونسأله أن يميتنا على سنة سيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. كتبه، الفقير إليه سبحانه: عبد الله بن سالم بن محمد بن سالم، البصري منشأ، المكي مولدا، الشافعي مذهبا، لطف الله به وبالمسلمين. آمين.

محررا في الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة الحرام، سنة اثنين وعشرين ومائة وألف".

[التعريف بالشيخ عيسى الجعفري الثعالبي]

قلت: أما الشيخ: عيسى الجعفري، فهو الشيخ العلامة، المحقق الفهامة، نادرة الزمان، وإمام من ضمه الحرمان، خائض بحار العلوم، ومصبر مكتومها من جنس المعلوم، الموفى من الرواية على أعلى[2] ذروتها، بعدما جلس من الدراية على أعلى منصتها، الحائز من العلم الباطن أوفر نصيب، بعدما رمى في العلم الظاهر [198-ب] بسهم مصيب، الشيخ: أبو مهدي، عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري، رضي الله عنه.

قال شيخنا أبو سالم: "تلقى من عدة مشائخ {و}[3] سلك على طريقهم، إلا إلا أنه لم يعدل عن حزب الشاذلية وفريقهم؛ فلذلك كان مقبولا عند أهل الباطن

(1) مطموسة من "ح1".
(2) "ع": أعلا.
(3) ساقطة من "ت".

والظاهر، كما هو شأن أئمة الشاذلية المشاهر؛ لا يملك عينه[1] إذا ذكرت الآخرة وأهوالها، ولا تستفزه[2] نضارة الدنيا وأموالها؛ لا يغشى أبواب الأمراء، ولا يستنكف عن مجالسة الفقراء، قاسى في أول مجاورته من الفقر شدة، فاتخذ الصبر عدة؛ فلم يكشف قناع وجهه لطلب نوال أمير، وقنع بالكسرة والماء النمير؛ ثم اشتهر بعد ذلك أمره، وظهر للناس خيره؛ وانثال الناس إليه من كل جانب. وعكف في آخر عمره على سماع الحديث وإسماعه. فجمع من الطرق والعوالي والأسانيد الغريبة، والفوائد العجيبة، ما لم يجمعه غيره. وكتب الكثير، وسمع وأسمع من المسانيد[3] والمعاجم والأجزاء ما لم يتفق مثل ذلك ولا قريب منه لأهل عصره. وكان أول نشأته، رضي الله عنه، في بلاده من وطن الثعالبة، قومه: وهو من عمالة الجزائر بإفريقية، وعشيرته ينسبون إلى الإمام جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، ومنهم الشيخ العالم الصالح، سيدي عبد الرحمن الثعالبي المشهور. ثم نشأ في حجر أبيه وجده، وحملاه على الاشتغال بالقراءة؛ فقرأ في بلاده على فقهائها . فاشتاقت نفسه إلى طلب العلم. وتسامت همته إلى ما تقاصرت عنه همم أهل وطنه، من الإفادة والاستفادة. فدخل الجزائر فقرأ على علمائها، وتبرك بصلحائها. وكان من مساعدة القدر له، على ما رامه من ذلك، أن صادف دخوله للجزائر، بقصد القراءة، وصول العالم[4] العلامة، حافظ وقته، سيدي علي بن عبد الواحد الأنصاري الفيلالي إليها، وإقباله على نشر العلم بين أهلها، وتصديه للتعليم بكليته، وحصول القبول التام له عند عامتها وخاصتها. فاتصل به الشيخ أبو مهدي ولازمه لزوم الظل للشاخص، وخدمة الراغب [الراهب][5] الناصح، حتى اختص به وصار من علية أتباعه؛ وحظي عنده حظوة ليس فوقها شيء، فزوجه ابنته، وصار من جملة أهل بيته. وكان مع لزومه لشيخه المذكور ينتفع بغيره، بعض الأحيان. وممّن انتفع به، من أهل الجزائر أيضا، عالمها وصالحها ومفتيها: العلامة المشارك المسند: سيدي سعيد قدورة، أجاز له جميع ما يرويه عن شيوخه ومنهم: سيدي سعيد المقري، رضي الله عنه. ولم تزل حالة[6]

---

(1) "ف": عينيه.
(2) "ع": لا يستفزه.
(3) "ت": المساند.
(4) "ح1": العلم.
(5) زائدة في "ت".
(6) "ت": حال.

الشيخ: سيدي عيسى ترتقى[1] مع شيخه، إلى أن وقع له ما أوجب تطليق ابنة الشيخ، بأمر والدها. فلم ينقطع، مع ذلك، عن خدمته وملازمته إلى أن مات.

ومات كثير من أقارب أبي مهدي في الوباء الواقع بذلك العهد. وبقي هو منتقلا في تلك البلاد بين جبال زواوة وقسطينة[2] وبسكرة[3] ونواحيها، ثم لقي صالح وقته ببلاد الزاب، سيدي: أحمد بن المبارك، الملقب بالتواتي: وهو كبير أولاد سيدي ناجي، بذلك العهد. وبقي عنده مدة معظم[4] الحرمة، إلى أن مات الشيخ المذكور. فقادته أزمّة[5] السعادة، وساقه سائق الإرادة إلى الأماكن المختارة، لقضاء الحج والزيارة، فكمل الله عليه، فحج وجاور بالحرمين سنتين، وأقبل على نشر العلم {وبثه}[6]. وكان كامل الأدوات[7]: من نحو، وتصريف، ومنطق، وكلام، وبيان، وأصول. وتجددت له رغبة في خدمة الحديث النبوي، وكان فيه، قبل ذلك، من الزاهدين. فأقبل على الرواية والأخذ والسماع. فشمر على[8] ساق الجد وأخذ[9] عن عن من أدرك من علماء الحرمين: كالشيخ: القشاشي، والشيخ: زين العابدين الطبري، وأخيه: أبي الحسن، والشيخ: عبد العزيز الزمزمي، والشيخ: على بن الجمال، والشيخ: تاج الدين المالكي، والشيخ: محمد بن علاء الدين البابلي، المصري، وكان إذ ذاك مجاورا بالحرمين الشريفين. واستفرغ ما عند هؤلاء من الروايات؛ فلم يشف ذلك غليل أوامه، ولا أبرى عليل هيامه؛ وإنما زاده ذلك نهما في طلبه، وتغاليا في ارتياحه وطربه .

فرجع إلى مصر بقصد الأخذ عن علمائها، والتبرك بصلحائها. فاستوطنها سنة أربع أو خمس وستين. فأكثر الأخذ عن الشيخ الإمام، شيخ مشايخ الإسلام، إمام المالكية وشيخهم الشيخ: أبي الحسن علي الأجهوري، وعن المحقق المسند الشيخ:

---

(1) "ت": تسترقي.

(2) "ت": قسنطينة، "ف": قسمطينة.

(3) بسكرة: مدينة عريقة في القدم، أسست أيام كان الرومان يحكمون بلاد البربر وخربت بعد ذلك. ثم أعيد بناؤها لما دخلت الجيوش الإسلامية إلى إفريقيا.ينظر : وصف إفريقيا، ص: 138.

(4) "ع": يعظم.

(5) أزمة جمع زمام (لسان العرب: مادة زم).

(6) ساقطة من "ت".

(7) "ع": الأدواة.

(8) "ت": عن.

(9) "ف": فأخذ.

شهاب الدين الخفاجي الحنفي، وعن الشيخ المسند: أبي إسحاق إبراهيم الميموني الشافعي،[199- أ] وعن جملة كثيرة من مشايخ القاهرة، وقيد الكثير وقرأ من الأجزاء والمسانيد الغريبة ما صار به فرد وقته في رواية الحديث . وأعطي القبول التام عند المشائخ وأصحابهم، بحيث لا يبخلون عليه بكتاب، ولا يضجرون منه عند {إرادة}[1] سماع[2]؛ بل كان يخف على قلوبهم ويرتاحون[3] للقائه. وقد أخبرني أن شيخنا الأجهوري، مع أخذ الكبر منه غاية، وضجره من طنين الذباب في غالب الأوقات، كان إذا دخل عليه يبتدئه قبل أن يطلب منه السماع، فيقول له: "شنف الأسماع". علما منه أنه لا يأتي إلا لسماع حديث أو رواية غريب. وما دخل على أحد قط من المشائخ فيخرج إلا بفائدة له وللحاضرين. ولو قيل إن مشايخه كانوا يستفيدون منه أكثر مما يستفيد منهم، لم يبعد؛ لأن غالب استفادته منهم الرواية، وهم يستفيدون منه في درايته وتحقيق معانيه. وقد أخبرني أن الشيخ البابلي كا ن يقول له: "ما وصل إلينا من المغرب أحفظ[4] من {الشيخ}[5] المقري، ولا أذكى منك[6]". منك[6]". فأقول له: "يا سيدي: إنما تقول ذلك لإنصافك.

ثم ارتحل شيخنا أبو مهدي من القاهرة، بعدما قضى حاجته، إلى الصعيد للقاء الشيخ الجامع بين علمي الظاهر والباطن سيدي: أبي الحسن علي المصري، رضي الله عنه. فتلقى منه وقرأ عليه من مصنفاته في طريق القوم، وسمع عليه الحديث.

ولما قضى نهمه في بلاد مصر، واستفرغ ما عند علمائها، كر راجعا إلى الحرمين فاستوطنهما[7] وألقى عصاه بهما[8] فقرعينا بتلك البقاع المطهرة كما قرت به أعينا، ونادته السعادة هنا: "أمكث أزمنا". فتفرغ حينئذ، لجمع ما كتب، ونشرما جمع، وإقراء ما قرأ، وإسماع ما سمع، وجمع من عوالي السند وغرائب المسلسلات ونوادر التواريخ ما تقاصرت عن أدناه همم أهل زمانه، وتتبع الخزائن الكبار بمصر والحجاز:

---

(1) ساقطة من "ع".
(2) "ع":السمع.
(3) "ح1": وترتجون، والصواب ما أثبتناه.
(4) "ع": حفظ.
(5) ساقطة من"ت".
(6) في ماء الموائد: ولا أذكى من ذلك.
(7) "ح1": فاستوطنها.
(8) "ح1": بها.

فاستخرج منهاغرائب المصنفات وقيد الكثير منها، وانتقى الثنائيات والثلاثيات والرباعيات من الأحاديث فما فوق ذلك إلى العشاريات من كثير من المصنفات والجوامع والمسانيد والأجزاء، بحسب أزمنة مؤلفيها. فينتقي من كل مصنف أعلى[1] ما فيه، وضبط من الأسماء والأنساب ما قل أن يوجد عند غيره.

وأظهر من طرق الروايات ما كان عند غيره مخفيا[2]. وبالجملة فهو نادرة الوقت الوقت ومسند الزمان[3]" انتهى، مع بعض حذف واختصار.

وقد جمع، رضي الله عنه، سلسلة الفقه[4]، على "مذهب الإمام مالك جمعا لم يسبق إليه، بعد ما حارت فيه فحول الأئمة، كما هو معروف. فرفع الأسانيد من طريق شيخه الأنصاري إلى مشاهير أئمة المذهب المتأخرين، ثم إلى من فوقهم في الشهرة والزمان، {ثم}[5] كذلك على أسلوب غريب إلى أن وصلها[6] إلى الإمام مالك ثم إلى النبي صلى الله عليه وسلم. ولنذكر جمعه المذكور بلفظه، وإن كان فيه طول، إذ هو مما يغتبط به"[7]، لندرته ونفاسته {وعزته وسلامته}[8]، قال رضي الله عنه:

[إتحاف ودود وإسعاف بمقصد محمود في ذكر سند الفقه]

"إتحاف ودود وإسعاف بمقصد محمود في ذكر سند الفقه، عن شيخنا، قدس الله روحه. وقد تقدم ذكرنا له. أخذت عنه في الفقه. وهوأخذه، رضي الله عنه، دراية ورواية عن أعلامه الأدلاء، ومفاخره الأجلاء: أبي محمد بن طاهر الحسني، وأبي عبد الله بن أبي بكر الدلائي، والشهاب أبي العباس المقري التلمساني.

---

(1) "ع": أعلا ما.
(2) "ع": مخففا.
(3) ينظر ماء الموائد،ج/2،صفحات: 126-127-128-129-132.
(4) "ت": الفقيه، والصواب ما أثبتناه.
(5) ساقطة من "ت".
(6) "ح2": أوصلها.
(7) ماء الموائد،ج/2 ص/ 193.
(8) ساقطة من "ت".

أما الأول: فأخذ[1] ذلك عن غير واحد، ومن أجلهم العالم النظار[2]: أبو العباس أحمد بن علي المنجور الفاسي. وهو أخذه عن جماعة منهم: العلامة أبو محمد، عبد الرحمن بن علي بن أحمد القصري، المعروف بسُقَيْنٍ[3]، والعلامة: أبو الحسن، علي بن هارون المضغري، والعلامة: أبو عبد الله، محمد بن عبد الرحمن اليستثنى[4]، والعلامة: أبو محمد، عبد الواحد بن أحمد {ابن يحيى}[5] الونشرسي[6] الونشرسي[6] الفاسيون، وهم أربعتهم أخذوه عن حافظ المذهب في عصره، أبي عبد الله، محمد بن أحمد بن غازي وزاد سقين[7] عن شيخه العلمين، محقق[8] الفنين الإمام: أبي العباس، أحمد زروق الفاسي، وزاد عبد الواحد[9] عن أبيه حامل المذهب: المذهب: أبي العباس، أحمد بن يحيي الونشرسي التلمساني، ثم الفاسي مؤلف المعيار المعروف في النوازل.

وأما الثاني، والثالث: فأخذاه عن شيخ الفتوى بفاس، العلامة المحقق: أبي عبد الله، محمد بن قاسم القيسي، الشهير بالقصار، وهو أخذه عن اليستثنى وغيره، وأخذه اليستثنى عمن تقدم وعن الفقيه الحافظ: أبي العباس، أحمد بن على الزقاق الفاسي، وهو أخذه عن أبيه، [199- ب] العلامة المحقق، أبي الحسن، علي بن قاسم بن محمد الزقاق. وزاد الثالث: وهوالشهاب المقري، {فأخذه}[10] عن عمه، إمام الفتوى بتلمسان بل المغرب ستين سنة، أبي عثمان سعيد بن أحمد المقري، وهو أخذه عن العلامة: أبي عبد الله، محمد بن محمد التنسي، وهوأخذه عن أبيه الحافظ: أبي عبد الله، محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي {التلمساني}[11]. وقد انتهت الطرق، باعتبار ما اقتصرنا عليه، إلى خمسة أعيان من أعلام فاس وتلمسان: الإمام:

---

(1) "ف": أخذه.
(2) "ف": الناظر.
(3) "ح2": بسقيان.
(4) "ح2": اليستقني.
(5) ساقطة من "ت".
(6) "ت": الونشرنشي.
(7) "ح2": سقيان.
(8) "ت": ونخبة.
(9) "ح1": عبد الرحمن.
(10) ساقطة من "ف".
(11) ساقطة من "ع".

ابن غازي، والشيخ: زروق، والعلامة: الونشريسي[1]، {والمحقق}[2]: أبي[3] الحسن الزقاق، والحافظ التنسي.

أما [الطريق الأول]: ابن غازي، فأخذه عن جماعة، من أجلهم: العلامة {الحافظ}[4]، أبو عبد الله، محمد بن قاسم القوري، اللخمي المكناسي، ثم الفاسي، والمحقق النظار: أبوالعباس، أحمد بن عمر المزجلدي[5] والفقيه المتفنن: أبو زيد عبد الرحمن الكاواني. أما القوري: فأخذه عن الحافظ أبي موسى عمران بن موسى الجاناني[6]. وأما المزجلدي والكاواني: فأخذاه عن شيخ الجماعة بفاس: أبي مهدي عيسى بن علال المصمودي وتلميذه الحافظ: أبي القاسم، التازغدري والحافظ الجاناني[7]، وابن علال المصمودي أخذاه عن الحافظ، شيخ الفتيا[8] بفاس: أبي عمران، موسى بن محمد معطى العبدوسي الفاسي، وهو أخذه عن الفقيه الضابط: عبد العزيز القروي الفاسي، صاحب التقييد على المدونة، المنسوب لأبي الحسن الصغير، وهوأحسن التقاييد وأصحها. وعن شيخ الرسالة والمدونة: أبي زيدعبد الرحمن بن عفان الجزولي[9]، والقروي أخذه عن شيخ الإسلام، والقائم على المذهب الجامع بين العلم والعمل: أبي الحسن علي بن عبد الحق الزرويلي، المشهور بأبي الحسن الصُّغَيِّرَ بضم الصاد المهملة وفتح الغين المعجمة وتشديد المثناة[10] التحتية. وابن عفان الجزولي: أخذاه عن شيخ الفتيا، وأتبع الناس للحق: أبي الفضل راشد بن أبي راشد الوليدي[11] الفاسي، وعن شيخ المدونة: أبي إبراهيم إسحاق بن يحيى بن مطر الأعرج صاحب الطرعلى المدونة، وهما أخذاه عن شيخ المغرب علما وعملا، الإمام

---

(1) "ت": الونشرشي.
(2) ساقطة من "ت".
(3) "ح2": أبو.
(4) ساقطة من "ت".
(5) "ع" و"ف": المزدغي.
(6) "ع": الجناني.
(7) "ت": الجاناتي.
(8) مطموسة في "ح1".
(9) أبو زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولي الفاسي، ذكره في أنه ولد سنة 650هـ، ووصفه ابن مرزوق في في مسنده بشيخ الفقهاء، وبشيخ الشيوخ وواحد وقته. اقترنت شهرته بشروحه على الرسالة القيروانية. عاش حوالي تسعين سنة وتوفي عام 740هـ . ينظر: رشيد السلامي، معلمة المغرب، ج9، ص:3009.
(10) "ع": المثنات، والصحيح ما أثبتناه.
(11) "ت": الوليد.

الكبير: أبي محمد، صالح الهسكوري الفاسي، وهو أخذه عن الحافظ الكبير: أبي موسى، عيسى بن أبي النصر المومناني[1]، وأبي القاسم بن البقال، وهما أخذاه عن الحافظ، الضابط، الواسع الدراية والرواية، أبي القاسم، خلف بن بشكوال بن عبد الملك[2]. وهو أخذه عن فحول المذهب وأعلامه: أبي محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عتاب، وأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد، والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم.

وأما شيخ الكمال: أبو العباس، أحمد زروق، فأخذه عن القوري بسنده، وعن عالم الصلحاء، وصالح العلماء: أبي زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجعفري مؤلف: شرح ابن الحاجب وغيره، وعن الحافظ: أبي العباس ابن عبد الرحمن بن موسى المعروف بحُلُولُو[3] شارح المختصر وغيره، وعن قاضي الجماعة ومفتيها: أبي أبي عبد الله، محمد بن قاسم الرصاع التونسي مؤلف: شرح حدود ابن عرفة وغيره. والثلاثة: الثعالبي، وحلولو، والرصاع: أخذوه عن العلامة النظار، حافظ المذهب وشيخ الفتيا: أبي القاسم، بن أحمد بن إسماعيل التونسي البرزلي مؤلف: النوازل المشهورة، وزاد الثعالبي عن العلامة النقاد: أبي عبد الله، محمد بن خليفة الأبي مؤلف: إكمال الإكمال والحافظ: أبي فضل بن مرزوق، الحفيد، وزاد حلولوعن الحافظ أبي الفضل قاسم بن عيسى بن ناجي شارح الرسالة والمدونة . وزاد الرصاع عن العلامة المحقق: أبي عبد الله، محمد بن عقاب التونسي، وأخذ الرصاع أيضا مع الثعالبي عن نادرة الدنيا في الحفظ والاتساع: أبي القاسم عبد العزيز بن موسى ابن محمد بن معطى العبدوسي الفاسي. والجميع ما عدا العبدوسي أخذوه عن إمام المذهب وأستاذ التحقيق أبي عبد الله محمد بن عرفة الورغي[4] التونسي. وزاد البرزلي عن قاضي الجماعة: أبي العباس، أحمد بن حيدرة التونسي. [وأما أبوالقاسم العبدوسي، فأخذه عن أبيه: أبي عمران][5] موسى بن محمد العبدوسي بسنده المتقدم، وأخذه الإمام: ابن عرفة، والقاضي ابن حيدرة، عن جماعة منهم: قاضي الجماعة وشيخ الفتيا: أبو عبد الله، محمد بن عبد السلام الهواري، التونسي، شارح ابن الحاجب، والإمام المجتهد أبو عبد الله، محمد بن هارون التونسي شارح ابن الحاجب ومختصر

---

(1) "ت": الموقناني.
(2) "ع"و"ف": خلف بن عبد المالك بن بشكوال.
(3) "ف": بحلولوا.
(4) الورغمي.
(5) مطموسة في "ح1".

المتيطية. [200- أ] وهما أخذاه عن جماعة منهم: العلامة، الإمام المعمر: أبو محمد، عبد الله بن محمد بن هارون القرطبي، ثم التونسي، وهو أخذه عن الحافظ: أبي القاسم، أحمد بن يزيد بن بقي القرطبي، وهوأخذه عن الإمام: أبي عبد الله، محمد ابن عبدالحق الخزرجي القرطبي، وهو أخذه عن شيخ الفقهاء أبي عبد الله محمد بن فرج، مولى بن الطلاع .

وأما الحافظ: أبو العباس الونشريسي، فأخذه عن جماعة أعلام: أجلهم شيخ الإسلام ومفتيه[1]، المجتهد: أبوالفضل، قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني، وولده أبو سالم إبراهيم بن قاسم، والعلامة: أبو عبد الله، محمد بن العباس العبادي التلمساني، وأخذه ابن العباس عن أبي الفضل قاسم المذكور، وعن إمام المغرب وقطبه الحافظ المطلق: أبي الفضل، محمد {بن أحمد}[2] بن محمد {بن أحمد}[3] بن مرزوق، الحفيد التلمساني، وهما أخذاه عن الإمام [الكبير][4] المجتهد، والد الأول: أبي عثمان، سعيد بن محمد العقباني؛ وزاد الحفيد عن أبيه [وعن العلامة المحقق: أبي محمد، عبد الله بن محمد الشريف التلمساني][5] عن الإمام ابن عرفة بسنده المتقدم. أما الإمام سعيد العقباني، وابن عرفة [أيضا][6]، فأخذاه عن خزانة المذهب، العلامة: العلامة: أبي عبد الله، محمد بن سليمان السطي. وزاد العقباني عن العالمين الراسخين، والعالمين الشامخين، الأخوين: أبي زيد، عبد الرحمن وأبي موسى، عيسى ابني الإمام التلمسانيين، وهما أخذاه عن جماعة منهم: الفقيه، الحافظ: أبوالحسن، علي بن عبد الرحمن بن تميم اليفرني، عرف بالطنجي، وهوالحافظ السطي عن شيخ الإسلام: أبي الحسن الصغير، بسنده. وأما والد الحفيد أحمد بن عبد الرحمن بن مرزوق، فأخذه عن والده: الإمام، الجليل: ابن مرزوق والخطيب، وهو أخذه عن الحافظ السطي، بسنده، وعن العلامة، المحقق: أبي عبد الله، محمد ابن عبد الرحمن بن راشد البكري القفصى، شارح ابن الحاجب، وهوعن العلامة الجهبذ، واحد الدهر: أبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي مؤلف الذخيرة وغيرها، وعن

---

(1) "ف": مفتيها.
(2) ساقطة من "ت.
(3) ساقطة من "ت.
(4) زائدة في "ع".
(5) مطموسة في "ح1".
(6) زائدة في "ع".

القاضي ناصر الدين الأبياري، وعن العلامة، النظار المتبحر في المعارف: أبي العباس، ناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور المعروف بابن المنير الاسكندراني. وثلاثتهم أخذوه عن إمام التحقيق، وفارس الإتقان: أبي عمر جمال الدين عثمان بن أبي بكر بن الحاجب، وهوأخذه عن العلم، الراسخ: شمس الدين علي بن إسماعيل، المشهور: بأبي الحسن، الأبيري- بفتح الهمزة وسكون الموحدة بعدها مثناه تحتية، وهو أخذه عن إمام عصره، المرجع[1] إليه في الفتوى: أبي الطاهر، إسماعيل بن مكي بن إسماعيل بن عيسى بن عوف الزهري- من ذرية سيدنا: عبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنه، وهو أخذه عن الإمام الكبير: أبي بكر الطرطوشي. وأما العلامة: عبد الله الشريف التلمساني، فأخذه عن والده: الإمام، المحقق، النظار، المجتهد: أبي عبد الله، محمد بن أحمد الشريف التلمساني[2]، وهو أخذه عن ابني الإمام: أبي زيد وأبي موسى، وعن الحافظ السطي بسندهم المتقدم، وعن العلامة، {أبي عبد الله البروني}[3]، وهو عن أبي الحسن الصغير، بسنده.

وأما أبو الحسن الزقاق الفاسي، فأخذه عن القوري، وقد تقدم سنده، وعن الحافظ المحقق أبي محمد عبد الله بن يوسف العبدري، الغرناطي، المعروف بالمواق، وهو أخذه عن جماعة منهم: الإمام قاضي الجماعة[4] بغرناطة وحامل رواية الفقه[5] [بها][6]: أبوالقاسم، محمد بن محمد بن سراج الغرناطي. وهو أخذه عن القاضي: أبي أبي عبد الله، محمد بن يحي بن أحمد الأشعري، المالقي، المعروف بابن بكر، وهوأخذه عن الحافظ الكبير: أبي جعفر، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، وهو أخذه عن جماعة منهم: القاضي الجليل: أبو عبد الله، محمد بن غازي الأنصاري، السبتي، والقاضي: أبو الخطاب، محمد بن أحمد بن خليل السكوني، وهوأخذه عن أبيه: أحمد بن خليل، وهو القاضي: ابن غازي، أخذاه عن إمام الشورة وشيخ القضاة والفتيا: أبي الفضل، عياض بن موسى اليحصبي: مؤلف: التنبيهات وغيرها، وهوأخذه عن شيوخ المذهب

---

(1) "ت": المرجوع.

(2) سبتي وبها ولد سنة 676هـ. درس على أبيه وجده، وعلى جملة وافرة من علماء بلده وغيرهم. كان شيخا وقورا مجودا لكتاب الله، على علم بالحديث النبوي والأخبار والآداب. وكثر اهتمامه بكتب السيرة النبوية، وتوفي عام 764هـ. ينظر محمد المغراوي، معلمة المغرب ج8، ص:2526.

(3) "ت": البرموني.

(4) "ت": القضاة.

(5) "ع": الفقهاء.

(6) ساقطة من "ع".

وحفاظه وضابطي معانيه وألفاظه: القاضي الكبير: أبي عبد الله، محمد بن عيسى التميمي السبتي، وعليه عمدته، وقاضي الجماعة بقرطبة، وشيخ الفتوى بها: أبي الوليد، [200- ب] محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، مؤلف: البيان والتحصيل والمقدمات وغيرها، والإمام، الحافظ: أبي عبد الله، محمد بن أحمد بن الحاج القرطبي، صاحب النوازل وغيرها، وشيخ الحفظ والإتقان، القاضي: أبي بكر، محمد بن عبد الله بن العربي الإشبيلي، مؤلف القبس وغيره، والإمام الواسع المستبحر[1] أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب القرطبي، وبالإجازة عن آخر المجتهدين: أبي عبد الله، محمد بن علي المازري التميمي مؤلف شرح التلقين، الذي ليس للمالكية مثله.

وأما الحافظ التنسي: فأخذه عن جماعة منهم: الحافظ، أبو الفضل، بن مرزوق الحفيد، وهو أخذه عمن تقدم، ومن جملتهم: العلامة عبد الله بن محمد الشريف التلمساني، وهو أخذه عمن تقدم، وعن الإمام الحافظ: أبي العباس، أحمد بن القاسم المعروف بالقباب، وهو أخذه عن قاضي الجماعة بفاس: أبي عبد الله، محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي، صاحب: الوثائق، وهو أخذه عن أبي الحسن بن سليمان القرطبي، وهو أخذه عن أبيه: محمد بن عبد الله بن سليمان، أبي عمر، عبد الرحمن بن عبد الله بن سليمان القرطبي، وهو أخذه عن أبيه محمد بن عبد الله بن سليمان، وهو أخذه عن الإمام الجليل: أبي الوليد، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد، الحفيد، مؤلف: بداية المجتهد ونهاية المقتصد وغيره، وعن الحافظ المبرزابي[2] {أبي}[3] عبد الله محمد ابن سعيد بن زرقون، مؤلف: الأنوار في الجمع بين المنتقى والاستذكار وغيره. فالأول، وهو الحفيد: أخذه عن أبيه وجده وعن الإمام النظار، المجتهد، المديد الباع في تحقيق النظر: أبي عبد الله، محمد بن علي التميمي المازري، مؤلف شرح التلقين وغيره. والثاني، وهوابن زرقون: أخذه عن القاضي: أبي الفضل، عياض جامعة مشارق أنواره اللامعة. قد انتهت الطرق إلى أعلام الطبقة وشيوخ الفتيا وأئمة الشورى: الإمام المازري، وأبي الوليد: ابن رشد، وابن الحاج، وأبي بكر الطرطوشي، وابن العربي، وأبي محمد بن عتاب، والقاضي: ابن عيسى التميمي[4].

---

(1) "ت": المستبصر.

(2) "ح2": البزرلي.

(3) ساقطة من "ت".

(4) التميمي، محمد بن عيسى السبتي يعرف بابن الدقاق. أصل أسرته من تاهرت. أصبح التميمي بفضل بفضل توسعه في طلب العلم من أجلِّ شيوخ سبتة، وكان حافظا، عارفا بالفقه حتى اعتبر إمام

أما الإمام المازري، فأخذه عن الإمام المتفنن، رأس الفتيا بإفريقية: أبي الحسن، علي بن محمد اللخمي مؤلف التبصرة، والمحقق النظار: أبي محمد، عبد الحميد بن محمد، المعروف: بابن الصائغ، مكمل تعليقه التونسي، وهما أخذاه عن الإمام المرجوع إليه أبي إسحاق، إبراهيم بن حسن التونسي: مؤلف التعليقة على المدونة، والعلامة النظار: أبي القاسم، بن محرز القيرواني، مؤلف التبصرة، وهما أخذاه عن الإمامين الكبيرين، والعالمين الجليلين: أبي بكر، بن عبد الرحمن، وأبي عمران الفاسي، وهما أخذاه عن شيخي المذهب، وموشى طرازه المذهب، وحلتي الدنيا من سائر الأقطار: أبي محمد، عبد الله بن أبي زيد مؤلف الرسالة والنوادر والمختصر وغيرها، وأبي الحسن[1]، علي بن محمد بن خلف القابسي، وزاد أبو بكر بن عبد الرحمن عن أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الجوهري، المصري، وزاد أبوعمران الفاسي عن أبي عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالرشا[2] المصري، وهاذان- أعني الرشا[3] والجوهري- أخذاه عن رأس المالكية في عصره: أبي إسحاق، محمد بن القاسم بن شعبان، المعروف بابن القرطي- بقاف مضمومة وراء ساكنة وطاء مهملة بعدها ياء النسبة- المصري، مؤلف: الزاهي ومختصر ما ليس في المختصر، وهو أخذه عن الفقيه الكبير: أبي بكر، أحمد بن موسى بن عيسى بن صدقة الصدفى المصري، المعروف بالزيات، وهوأخذه عن رابع المحمدين، وكبير الفقهاء الراسخين، أفقه أهل عصره بمصر: أبي عبد الله، بن محمد بن عبد الله عبد الحكم، وهو أخذه عن أبيه وعن ابن القاسم وأشهب وابن وهب.

وأما الشيخان الراسخان والجبلان الشامخان: أبو محمد، بن أبي زيد، وأبوالحسن: القابسي، فأخذاه عن الحافظ: أبي ميمونة، دراس بن إسحاق[4] الفاسي، وعن عالم إفريقية القائم على مذهب مالك: أبي العباس، عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الإبياني- بكسر الهمزة والموحدة المشددة المكسورة بعدها مثناة تحتية. وزاد ابن أبي زيد عن الحافظ المبرز الجليل القدر: أبي بكر، محمد بن اللباد القيرواني وعليه

المغرب في وقته. وعرف عنه تضلعه في الفقه المالكي، فكان أحفظ الناس للمسائل. توفي سنة 505هـ. ينظر: محمد المغراوي، معلمة المغرب، ص: 2568.

(1) "ت": الحسين.

(2) "ع": بالوشا،"ف": بالرشى.

(3) "ف": الوشا، "ف": الرشى.

(4) "ت"و"ف": اسماعيل.

عمدته، وعن العالم، الثقة: [201- أ] أبي العرب، محمد بن محمد بن تميم التميمي. أما أبو ميمونة دراس، فأخذه عن جماعة منهم: الحافظ: أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي مطر، وهو أخذه عن محقق المذهب، ومنقح مسائله والمعول على قوله في عصره: أبي عبد الله، محمد بن إبراهيم الموازو مؤلف: المختصر المعروف بالموازية، وهو أخذه عن محمد بن عبد الحكم، وابن الماجشون، وأصبغ والحارث بن مسكين، والأخيران أخذاه عن ابن القاسم وأشهب وابن وهب، وأما الثلاثة: أبو العباس الإبياني، وأبو بكر بن اللباد، وأبو العرب[1] التميمي: فأخذوه عن الإمام، الحافظ، المجاب الدعوة: أبي زكريا، يحيى بن عمر الأندلسي القيرواني، مؤلف: اختصار المستخرجة، وعن الحافظ، المقدم: أبي جعفر، أحمد بن {أبي}[2] سليمان المعروف، بابن الصواف، وعن العالم الورع: أحمد بن محمد الأشعري، المعروف بحمديس القطار. وثلاثتهم أخذوه عن إمام العلم والعمل: أبي سعيد، عبد السلام سحنون بن سعيد التنوخي، القيرواني، مؤلف: المدونة وتسمى أيضا المخلطة[3]. وهو أخذه عن علي بن زياد التونسي، وابن أشرس، وابن غانم، وابن القاسم، وأشهب، وابن وهب، وعبد الله بن عبد الحكم، وعبد الملك بن الماجشون. وأما زعيم فقهاء وقته بأقطار الأندلس والمغرب: أبو الوليد، محمد بن أحمد بن رشد، والحافظ، المشاور: أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن الحاج، فأخذاه عن جماعة منهم: شيخ الشورى: أبو جعفر، أحمد بن محمد بن رزق القرطبي، وعليه معولهما. وعن شيخ الفقهاء، القوال بالحق: أبي عبد الله، محمد بن فرج مولى ابن الطلاع القرطبي، مؤلف كتاب: الشروط وكتاب الأحكام. وهما أخذاه عن أحفظ الناس للمدونة والمستخرجة، إمام المذهب وشيخه أبي عمر، أحمد بن محمد بن عيسى، المعروف بابن القطان القرطبي. وهو أخذه عن الإمام الجليل: أبي محمد، عبد الله بن يحيى بن دحون القرطبي، وعن شيخ المفتين[4]: أبي محمد، عبد الله بن سعيد المعروف بابن الشقاق[5] القرطبي. وهما[6] أخذاه عن أحفظ الناس لأقوال مالك وأصحابه: أبي عمر، أحمد بن عمر بن عبد الملك،

(1) "ع": أبو العربي.
(2) ساقطة من "ت".
(3) "ف": المختلطة.
(4) "ت": المفتيين.
(5) "ف": بابن الشقاء.
(6) "ح1": هو، والصواب ما أثبتناه.

المعروف بابن المكوي القرطبي، مؤلف كتاب: الاستيعاب في المذهب . وهو أخذه عن أفقه أهل زمانه: أبي بكر محمد بن أحمد، المعروف باللؤلؤي[1]، القرطبي، وعن صدر الفتيا: أبي إبراهيم، إسحاق بن ابراهيم بن مسرة القرطبي، مؤلف كتاب: النصائح، فالأول: وهواللؤلئي أخذه عن الحافظ، الخبير بمسائل المذهب: أبي عبد الله، محمد بن عبد الملك بن أيمن القرطبي. والثلاثة: أبو صالح، وابن لبابة، وابن أيمن: أخذوه عن الحافظ الكبير: أبي عبد الله، محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي، نسبة إلى عتبة ابن أبي سفيان ولاء- ويقال ولادة القرطبي- مؤلف العتبية ويقال لها المستخرجة أيضا، وعن الحافظ، معلم الأندلس: {أبي}[2] عبد الله محمد بن وضاح القرطبي، وعن فقيه الشورى الحافظ: أبي زكرياء، يحيى بن إبراهيم بن مزين القرطبي، مؤلف: المستقصية وغيرها، وعن الفقيه النظار أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطروح الأعرج، وبه يعرف القرطبي. والأربعة- أعني العتبي، وابن وضاح، وابن مزين، وابن مطروح، أخذوه عن كبير الأندلس ورئيسها[3]: أبي محمد، يحيى بن يحيى الليثي[4] الليثي[4] القرطبي، وعن أفقه الطبقة، الإمام، الحجة، النظار. أبي عبد الله، أصبغ[5] بن بن الفرج المصري. وزاد الثلاثة، سوى ابن [أبي محمد][6] مزين عن الإمام سحنون. وزاد ابن مطروح وابن مزين عن فقيه الأندلس، والمقدم في الفتيا[7]: عيسى بن دينار القرطبي، صاحب الأسمعة، وهو، وسحنون، وأصبغ ويحيى، عن ابن القاسم. وزاد ابن وضاح عن ثقة الثقات، القاضي: أبي عمر، الحارث بن مسكين المصري، وعن الفقيه الزاهد: أبي مروان، عبد الملك بن الحسن، المعروف بزونان، وعن عالم الأندلس وحافظها: أبي مروان، عبد الملك بن حبيب، مؤلف الواضحة وغيرها. والأولان: ابن مسكين، وزونان، أخذاه عن ابن القاسم، وأشهب، وابن وهب. والثالث، وهو ابن حبيب، أخذه عن أصبغ بن الفرج، وعن الغازي بن قيس، وعن زياد بن عبد الرحمن، المعروف بشبطون، وعن مطرف، [201- ب] وابن الماجشون، وعبد الله بن نافع، وعبد الله بن عبد الحكم. وأما شيخ الشيوخ: أبو بكر، محمد بن الوليد الطرشوشي،

---

(1) "ع": اللؤلئي.
(2) ساقطة من "ع".
(3) "ف": رعيسها.
(4) "ح1": اليتي.
(5) "ح2": أصبع.
(6) مطموسة في "ح1".
(7) مطموسة في "ح1".

فأخذه عن الإمام، النظار، الحافظ: أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي: مؤلف: المنتقى وغيره. وهوأخذه عن[1] طريق الأندلسيين، عن حافظ المدونة والمستخرجة: أبي الأصبغ، عيسى بن سهل القرطبي، مؤلف: الأعلام بنوازل الأحكام. ومن طريق القرويين، عن الحافظ: أبي محمد، مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني، القرطبي. و{من}[2] طريق العراقيين، عن إمام المذهب، بالمشرق، في عصره، أبي الفضل، محمد بن عبد الله بن عمروس[3] البغدادي. وأما ابن سهل، فأخذه عن أبي عمرو، بن القطان بسنده، وعن شيخ المفتين[4] ومعتمدهم: أبي عبد الله، محمد بن عتاب القرطبي، ولازمه واختص به، وعن الفقيه الأنبل، أبي بكر، يحيى بن محمد بن حسين الغساني، المعروف بالقليعي. أما ابن عتاب، فأخذه عن جماعة منهم: القاضي، أبو المطرف، عبد الرحمن بن أحمد بن بشير، المعروف بابن الحصار، ولازمه واختص به، وكان يفخر[5] به، وعن كبير المفتين: أبي بكر، عبد الرحمن بن أحمد التجيبي، المعروف بابن حويبل. فالأول، وهو: ابن بشير، أخذه عن قاضي الجماعة: أبي العباس، أحمد بن عبد الله بن دكوان. وهو أخذه عن الإمام المشاور: أبي محمد، قاسم بن أصبغ البياني القرطبي. وهوأخذه عن محمد بن وضاح بسنده. والثاني، وهو: ابن حويبل، أخذه عن شيخ الشورى والفتيا: أبي عبد الله، محمد بن حارث الخشني، مؤلف كتاب: الاتفاق والاختلاف في المذهب. وهو أخذه عن أبي بكر بن اللباد وأبي جعفر أحمد بن نصر بن زياد الهواري. وهما أخذاه عن شيوخ المذهب وحفاظه: يحي بن عمر، ومحمد بن سحنون، ومحمد بن عبدوس. وجميعهم أخذوه عن سحنون. وأما القلعي[6]، فأخذه عن كبير المحدثين والفقهاء: أبي عبد الله، الله، محمد ابن عبد الله بن أبي زمنين- بفتح الزاء والميم وكسرة النون البيري- مؤلف كتاب: المنتخب في الأحكام. وهو أخذه عن أبي إبراهيم، [بن][7] مسرة بسنده. وأما أبو محمد مكي فأخذه عن شيخي المذهب: أبي محمد، بن أبي زيد، وأبي الحسن القابسي بسندهما. وأما أبو الفضل بن عبدوس، فأخذه عن قاضيي المذهب ومحكمي

---

(1) "ت": من.
(2) ساقطة من "ع".
(3) "ت": عمرؤوس.
(4) "ت": المفنيين.
(5) "ح2": يفتخر.
(6) "ت": القليعي.
(7) زيادة من "ف".

أحكامه: العالم، النظار[1]: أبي الحسن، علي بن محمد البغدادي المعروف بابن القصار، مؤلف: عيون الأدلة في الانتصار للمذهب وليس في معناه مثله، والعلامة، القائم بالحجة للمذهب: أبي محمد، عبد الوهاب بن نصر البغدادي، مؤلف: التلقين والمعونة [والممهدي][2] وغيرها. وهو أخذه[3] عن الأول، وعن الحافظ النبيل: أبي القاسم، عبيد[4] الله بن الجلاب البغدادي، مؤلف التفريع وهو: ابن القصار وكذا: عبد الوهاب[5]، أيضا أخذوه عمن انتهت إليه الرياسة[6] في المذهب وتحقيق مداركه الشيخ: أبي بكر، محمد بن عبد الله بن صالح الأبهري، مؤلف: الشرح لمختصرابن الحكم. وهوأخذه عن القاضي: أبي الفرج، محمد بن عمر الليثي البغدادي مؤلف الحاوي، وعن {الفقيه}[7] قاضي القضاة: أبي عمر، محمد بن يوسف من آل حماد، وعن الفقيه الكبير: أبي محمد، بن أحمد بن محمد بن الجهم، ويعرف بابن الوراق والمروزي، مؤلف كتاب: مسائل الخلاف والحجة لمذهب مالك وشرح المختصر الصغير، لابن عبد الحكم. وهو وابن الفرج وأبو عمر أخذوه عن أستاذ المذهب والإقراء، شيخ المالكية في وقته، القاضي: أبي إسحاق، إسماعيل بن حماد البصري. وهو أخذه عن نادرة الدنيا والمثل السائر في الذكاء: أبي الفضل، أحمد بن المعدل العبدي البصري. وهو أخذه عن: أبي مروان، عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون، ومحمد بن سلمة. وأما الحافظ المستبحر، ختام علماء الأندلس: أبو بكر، محمد بن عبد الله بن العربي المعافري، الإشبيلي، فأخذه عن أبي بكر الطرطوشي بسنده وعن أبيه[8] عبد الله بن العربي. وهو أخذه عن أبي عبد الله محمد بن عتاب بسنده. [وأما الإمام الصدر، المشاور، رحلة الدنيا: أبو محمد، عبد الله بن محمد بن عتاب، فأخذه عن أبيه {بسنده}[9]. وأما القاضي: أبو عبد الله، محمد بن عيسى التميمي السبتي، فأخذه عن أبي محمد عبد الله بن حمد بن عمر اللواتي، المعروف بالنسيلي، والعلامة:

(1) "ت": النقار.
(2) "ع": ترك الناسخ بياضا مكان هذه الكلمة. وفي "ف": المهذب.
(3) "ت": أخذ.
(4) "ف": عبد.
(5) "ح1": عبد الله.
(6) مطموسة في "ح1".
(7) ساقطة من "ع"و"ف".
(8) "ت": أبي.
(9) ساقطة من"ف".

أبي عبد الله، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن أحمد بن العجوز. واختص بهما وعليهما عمدته، وعن الحافظ: أبي علي، الحسين بن محمد بن أحمد الغساني الجيلاني القرطبي. أما النسيلي، فأخذه عن رأس فقهاء سبتة: أبي إسحاق، إبراهيم بن يربوع القيسي[1]، السبتي، [202 – أ] وعن الحافظ، النظار: أبي محمد عبد الله بن غالب الهمداني[2] السبتي.

وهذا أخذه عن ابن أبي زيد– أخذه عنه جميع كتبه بسنده. والأول وهو ابن يربوع، أخذه عن أبي محمد، عبد الله بن محمد، المعروف بالباجي. وهوأخذه عن ابن لبابة وابن أيمن بسندهما. وأما أبو عبد الله بن العجوز، فأخذه عن أبيه الفقيه المشهور: أبي محمد، عبد الرحمن. وهو أخذه عن أبي إسحاق التونسي بسنده، وعن أبيه شيخ الفتيا: أبي عبد الرحمن، عبد الرحيم بن أحمد العجوز الكتامي السبتي. وهوأخذه عن ابن أبي زيد ولازمه واختص به بسنده. وأما أبو علي الجياني[3]، فأخذه عن شيخ الأندلس ومسندها وأحفظ الناس بها لسنة مأثورة: أبي عمرو، ويوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر، مؤلف: الكافي والاستذكار والتمهيد وغيرها. وهو أخذه عن أبي عمر المكوي بسنده، وعن الحافظ القاضي: أبي الوليد[4]، عبد الله بن محمد، المعروف بابن الفرضي القرطبي. وهو أخذه عن جماعة أعلام منهم: الفقيه المشاور: أبوعبد الله محمد بن أحمد، المعروف بابن الفخار البيري، وعن أبي الحسن مجاهد ابن أصبغ الأندلسي البجاني– بموحدة فجيم مشددة–: أما الأول: وهوابن الفخار، فأخذه عن الحافظ الكبيرأبي سلمة، فضل بن سلمة، مؤلف[5]: مختصر الواضحة وغيره. وهوأخذه عن جماعة منهم: الثقة، العدل، البارع في الفقه القاضي: أبو القاسم، حماس[6] بن مروان الهمداني القيرواني. وهو أخذه عن محمد بن عبدوس. عبدوس. وهو عن سحنون، وأخذ حماس[7] أيضا عن سحنون، وعن محمد بن عبد الحكم. وأما الثاني: وهو مجاهد بن أصبغ، فأخذه عن الحافظ المشهور: أبي عثمان،

---

(1) "ح1": القبسي.
(2) "ت": الهداني.
(3) "ف": الحياني.
(4) "ت": الوكيل.
(5) "ع": مولف.
(6) "ف": حماء.
(7) "ف": حماء.

سعيد بن مجلون[1] البجاني. وهو أخذه عن الحافظ النبيل يوسف بن يحيي المغامي الدوسي من ذرية أبي هريرة، رضي الله عنه، وعن الإمام الجليل أبي بكر أحمد ابن ميسر -بفتح السين المهملة. فالمغامي: أخذه عن يحيي بن يحيي، وعبد الملك بن حبيب، وابن مزين، وغيرهم بسندهم. وابن ميسر أخذه عن محمد بن المواز بسنده. جامعة كبرى ولامعة دوافق[2] أسرارها تترى: قد ارتقت المسانيد المتان، وانتهت سلاسلها البديعة الإتقان إلى مشاهير أصحاب الإمام، وأعلام أئمة الإسلام، ومدوني[3] طريقته الغراء، ومنتهجي[4] محجته الزهراء من المدينيين: الإمام الثقة، أحد من دارت عليه الفتيا، المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي، والفقيه، الثقة إمام الفتيا: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن دينار الجهني، مولاهم والثقة الجامع بين العلم والورع، أفقه الفقهاء بالمدينة: أبو هاشم، محمد ابن مسلمة بن هشام، والثقة المقدم: أبو مصعب، مطرف بن عبد الله بن سليمان {بن مطرف}[5] بن يسار اليساري، والفقيه بن الفقيه، من دارت عليه الفتيا في وقته: أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون، والثقة الثبت أحد أئمة الفتوى: أبو محمد، عبد الله ابن نافع، مولى بني مخزوم.

ومن المصريين: أثبت الناس في الإمام[6] وأعلمهم[7] بأقوالهم صحيح الرواية والدراية: أبوعبد الله، عبد الرحمن بن القاسم العتقي، وأفقه الناس الإمام[8] أبو عمرو أشهب مسكين بن عبد العزيز القيسي، والإمام الجامع بين الفقه والحديث أثبت الناس في الأمام[9]: أبو محمد، عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي، مولاهم، والعلامة، الصالح، الثقة، المحقق: أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم،

---

(1) "ع": مخلوف.
(2) "ف": دقائق.
(3) "ف": مروي.
(4) "ف": منتهج.
(5) ساقطة من "ح1".
(6) "ف": الأمم.
(7) "ف": وأعملهم.
(8) "ف": الأمم.
(9) "ف": الأمم.

ومن الإفريقيين: الثقة، المأمون الخير، البارع في الفقه: أبوالحسن، علي بن الزياد التونسي، والحافظ الثقة: أبو محمد، عبد الرحيم بن أشرس[1] الأنصاري، ويقال: إن اسمه عبد الرحمن، والإمام المجتهد، المجاب الدعوة، أحد أوتاد المغرب: البهلول ابن راشد القيرواني.

ومن الأندلسيين: إمام الناس بقرطبة، وأول من أدخل الموطأ الأندلس، أبو محمد، الغازي ابن قيس الأموي {القرطبي}[2] القائل: "{والله}[3] ما كذبت منذ اغتسلت"، وفقيه[4] الأندلس وأول من أدخلها الموطأ متقنا[5] أبو عبد الله، زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون: من ولد حاطب بن أبي بلتعة، رضي الله عنه، والإمام الحجة، رئيس الأندلس، وكبيرها: أبو محمد، يحي بن يحيى الليثي، وجميعهم، قدس الله أرواحهم، وأجزل من وافر عطاياه أرباحهم، أخذوه عن إمام دار الهجرة، المعني بحديث عالم المدينة عند {من}[6] أظهر من كنوز [خبايا سره][7]: أبي عبد الله، مالك بن أنس، رضي الله {تعالى}[8] عنه. [202- ب] وهو أخذه عن أوتاد الدين، الدين، وجهابذة الأتباع المهتدين[9]، من ضربت إليهم من أرجاء البسيطة آباط المطايا، وتسامت إلى أوج الكمال بلقياهم المزايا، منهم إمام السنة الحافظ، المجمع على جلالته: أبو بكر، محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري القرشي، والإمام الحجة، أحد من دارت عليه الفتيا بالمدينة: أبو عثمان، ربيعة ابن أبي عبد الرحمن فروخ، مولى ربيعة بن عبد الله ابن المديد التميمي القرشي، والإمام المقدم: أبو يحي، إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري، وأبو عبد الله شريك بن عبد الله بن أبي نصر[10] الليثي من أنفسهم، والعلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب، مولى الحرقة، والحرقة فخذ من جهين، وأبو عبيدة حميد، الطويل بن أبي حميد مولى

---

(1) "ف": أشرص.
(2) ساقطة من "ت".
(3) ساقطة من "ف".
(4) "ح1": وجيه.
(5) مطموسة في "ح1".
(6) ساقطة من"ف".
(7) "ح2" و"ف": خباياه.
(8) ساقطة من"ف".
(9) "ح1": المجتهدين.
(10) "ف": نمر.

طلحة الطلحات، وأبو عبد الله، محمد بن أبي بكر الثقفي، وأبو عثمان، عمرو بن أبي عمر[1] ميسرة، مولى المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومي.

وهؤلاء أخذوا عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، خادم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ومنهم: الإمام: أبو الزبير المكي، محمد بن مسلم بن تدرس[2]، مولى حكيم بن حزام، وأبو عبد الله، وقيل: أبو بكر، محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير التميمي[3] القرشي، وأبو أسامة، زيد بن أسلم، مولى عمر بن الخطاب {رضي رضي الله عنه[4]}[5] وأبو نعيم، وهب بن كيسان، مولى عبد الله بن الزبير ابن العوام، وهؤلاء عن جابر بن عبد الله الأنصاري، رضي الله تعالى، عنهما، وزاد وهب بن كيسان عن عمر بن أبي سلمة، رضي الله تعالى عنهما، [ومنهم الإمام، الحافظ، الثبت، الثقة: أبوعبد الله، نافع، والحافظ أبوعبد الرحمن عبد الله بن دينار، موليا عبد الله بن عمروهما عن سيدهما ومولاهما أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمرو، رضي الله تعالى عنهما، وزاد نافع عن أبي سعيد الخدري وأبي لبابة، رضي الله تعالى {عنهما}[6]، ومنهم الإمام، أبو حازم، سلمة بن دينار الحكيم، مولى بنى[7] ليث، وهو عن سهل بن سعد الساعدي، رضي الله عنه، وكذا ابن شهاب الزهري أيضا، ومنهم الحافظ: أبو سعيد، المقيري[8] سعيد بن أبي سعيد، واسمه: كيسان، مولى لبني[9] جندع، وهو عن أبي شريح الكعبي، رضي الله تعالى عنه، ومنهم نعيم بن عبد الله المجمر، وهو وعن البحر الزاخر[10]: أبي هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوسي، رضي الله تعالى عنه، واقتصرنا على هؤلاء الأعلام، من[11] مشايخ الإمام، لكونهم المروي لهم الثنائيات في الموطإ، والجملة[12] المعرفة[1] من الصحابة، المدركون[2] عن

---

(1) "ع": عمر.
(2) "ف": يدرس، والصحيح ما أثبتناه.
(3) "ت": التيمي.
(4) "ف": عنهم.
(5) ساقطة من "ت".
(6) ساقطة من "ت".
(7) "ت": لبنى، والصواب ما أثبتناه.
(8) "ح2": المقري،"ف": المقبرى .
(9) "ف": بني
(10) "ح1": الزاهر.
(11) "ت": من.
(12) "ف": الجلة .

صواب الإصابة، تلقوه عن سيد الكونين، وجمال الثقلين، الإمام: أبي القاسم، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم، وهو عن الروح الأمين، عن رب العالمين، جل جلاله، وتقدس[3] كماله" انتهى[4].

ما نسب لجامعها وصاحب سلسلتها: العالي الجليل، السيد النبيل، سيدي عيسى بن محمد الثعالبي، نفعنا الله به. آمين، يا رب العالمين.

[التعريف بالشيخ محمد بن سليمان الروداني]

وأما سيدي: محمد بن سليمان الروداني، فقد التقينا واجتمعنا به، وهو من أصحاب الوالد، رضي الله عنه، وممن أخذ عنه، فهو حكيم الإسلام، {و}[5] واحد العلماء الأعلام، المتوقد فطنة، والمتوهج ذكاء، الممتلئ حكمة وإيمانا، ولم يرشح له وعاء، ولا حل له أحد وكاء، كان توغل في أقطار الأرض وجال، وبلغ[6]، على حداثة سنه، مبلغا عجز عنه فحول الرجال، تفنن في علوم كثيرة، وتحلى بحلى من محاسن الأوصاف أثيرة، كان ممن ألهم الرشد في صغره، فاجتنى ثمر رشده في كبره، نشأ ببلده بين والديه بمدينة تاردانت[7]: قاعدة بلاد السوس الأقصى[8]. فلما بلغ مبلغ الرجال، تاقت نفسه إلى تعلم العلم. فبلغ بلاد درعة. فاستقرعند صالح علمائها، وعالم صلحائها، سيدي محمد بن ناصر، الوالد، رضي الله عنه، فاقتبس من علومه مدة، ثم خرج من هنالك. فجال في أقطار المغرب ودخل سجلماسة وغيرها من البلاد القبلية، ثم رحل إلى مراكش، ثم إلى تادلا، ثم إلى فاس، ولقي بها

---

(1) "ف": المعروفة.
(2) "ت": المذكوري.
(3) "ع": تقدم.
(4) ماء الموائد،ج/2، من ص: 193 إلى ص: 204.
(5) ساقطة من "ت".
(6) "ف": بالغ.
(7) "ت": تردانت
(8) "ح1": الأقصا، والصحيح ما أثبتناه.

أوحد زمانه في سلوك طريق الصدق العديم النظير في معرفة [آداب][1] معاملة الحق، سيدي محمد بن عبد الله معان الأندلسي، رضي الله عنه، قال أبو سالم: "وكان دخوله لفاس بقصد تعلم العلوم الرسمية، سيما علوم الحكمة: من هيئة، وتنجيم، وحساب، ومنطق، وما شاكل [203- أ] ذلك. فقد كانت له اليد الطولى في ذلك، شديد البحث عمن[2] يتقن بعضها، فلم يظفر، في بلاد المغرب، بمن يشفى غليله في في ذلك. فلما دخل فاس[3] ولقي [بها][4] العارف بالله: سيدي محمد بن عبد الله، زجره أشد الزجر عن تعاطي هذه العلوم، وغيرها من العلوم الرسمية. ومنعه من لقاء علماء الوقت، وألزمه بالرجوع لوالديه والأخذ بخاطريهما[5]. فرجع إلى والديه، حتى طابت قلوبهما، وأذنا له في السفر، فرجع إلى مراكش وأقام فيها مدة، وانتفع بعلمائها كسيدي محمد بن سعيد، وحكيمها المريد وغيرهما. فلم[6] يزل ينتقل في البلاد، إلى أن وصل البلاد المشرقية[7]، ودخل الجزائروأقام فيها مدة وانتفع بعلمائها كسيدي سعيد بن إبراهيم قدورة، وغيره. وأخبرني أنه لقي هنالك رجلا من أخفياء الصالحين. وكان يواظب[8] الجلوس عنده وهو في الغالب ساكت لا يتكلم. قال: وذات يوم ضاقت علي نفسي، ولا أدري أين أتوجه من البلاد، فجئت إليه. فلما حللت[9] عنده قال لي: "أنت مسجون عند النبي، صلى الله عليه وسلم". وقدآل الأمر به إلى ما قال، فإنه انتهت سياحته إلى المدينة المشرفة. ولم يخرج عنها من لدن وصلها[10] إلا إلى مكة، ثم دخل كثيرا من البلاد الإفريقية، ثم ركب البحر إلى الإصطنبول، ووقعت له هناك وقائع مع بعض علمائها، منها ما أخبرني به أنه نزل هناك عند رجل يتظاهربالعلم والصلاح ويزعم أنه من ذرية الشيخ زروق، رضي الله عنه، وله صيت في ذلك البلد. قال: "وكنت لفرط اعتقادي في الشيخ زروق، لما سمعت أنه من ذريته

---

(1) زائدة في "ت".
(2) "ع": عن من.
(3) "ت"و"ف": فاسا.
(4) زيادة من "ف".
(5) "ف": بخاطرهما.
(6) "ح2": ولم.
(7) "ف": الشرقية.
(8) "ع": يواضب.
(9) "ف": جلست.
(10) "ف": وصل إليها.

أويت إليه {وأجللته}[1] واعتقدت فيه الخير". قال:"وأخرج إلي رسالة في التصوف لبعض المتأخرين، وأمرني بنظمها فنظمتها، وكان ذلك دأبه إذا ورد عليه غريب ممن ينتحل العلم، كلفه بنظم شيء أوتأليفه، ثم ينتحل ذلك لنفسه ويباهي به الأعاجم الذين يعتقدونه. وعندما بدا لي خبث طويته، وظهرت لي منه مقاصد[2] غير محمودة، محمودة، اعتزلت عنه، وصادف ذلك في بعض الأشهر المعظمة. فاعتزلت في بعض الرباط[3] أتحنث ليالي ذوات عدد[4]، ولم يعرفني أحد، ولا خرجت ولا دخل علي أحد مدة وخفي عليه مكاني، وطال بحثه عني ولم يقف لي على خبر وتحير في شأنه، لأنه عندما قدمت عليه، وسر بمكاني منه، أوحى بالخبر إلى أم السلطان [أن][5] قد قدم علينا {هنا}[6] رجل من شأنه كذا وكذا... وبالغ في التعظيم، حرصا على تربية مهابته في قلوبهم، بأنه ممن يقصد للزيارة من الأماكن البعيدة، واستدرارا لصلتهم. فطالَبْته بإيصالي إليها، ولم يقف على خبر، فسقط في يده. فأخذ يتعلل لها، وأنا لا[7] لا[7] أشعر بشيء من ذلك. فلما فرغت من تحنثي، وخرجت من خلوتي، جئته ذات ذات يوم لأسلم عليه، ولا علم لي بما وقع. فلما وقعت عينه علي هش وبش ورحب وقال لي:"أين كنت؟" فقلت: "في بعض أطراف المدينة لأغراض". فرمز لي بالخبر، فأخذت أعتذر إليه، فتنكر لي . فقال لي:"أنا مطالب بك وأخاف على نفسي إن لم أحضرك". فلما علمت منه الجد علمت أنه لا ينجيني منه إلا الكيد، وكنت في خلال ذلك أظهر له التصميم على الإباية. فعدلت إلى فن آخر من الكيد وألنت له الكلام، وقلت له: "هذا من ظهورأثر بركتكم علي، حيث صار مثلي ممن يطلب إلى هذه المراتب العلية[8] فجزاك الله عني خيرا، وسمعا وطاعة لأمرك." حتى اطمأن إلى قولي. وقلت له:"إن {لي}[9] بعض الأمتعة في بعض الحواصل، وأنا أريد أن أحولها إلى عندك هنا وآتي بكتبي، ليطمئن قلبي". وقال لي:"هل تحتاج إلى معين فأبعث

---

(1) ساقطة من "ت".
(2) "ح2": مقاصيد.
(3) "ت"و"ف": الرباطات.
(4) "ح1": العدد.
(5) زيادة من "ف".
(6) ساقطة من "ع".
(7) ساقطة من "ت".
(8) "ف": العالية.
(9) ساقطة من "ع" و"ف".

معك أحدا". فقلت: لا وجزيته خيرا. فخرجت من عنده، ولم تلق[1] عينه عيني إلى الآن"[2]. قال: "ومن جملة ما وقع له أيضا هنالك، على ما أخبرني، أنه دخل على بعض المفتين من عظمائهم، فقدم إليه القهوة والدخان، وكان ذلك عندهم من جملة المكارمة فامتنع من ذلك. وألح عليه، فلح في إبائه، فقال له:"أَزُهْدا أم تَزَهُّدا ؟" فقال له: "بل فرارا من حرام أو شبهة". فدار الكلام بينهما في ذلك. قال: "وَمنَّ الله علي بقوة القلب، واستحضار الجواب، وكنت إذ ذاك قريب عهد بالقراءة، وقد أتقنت طرفا من أصول الفقه والمنطق، فلم يأت بدليل إلا ومن الله {علي}[3] بإبطاله حتى أفحمته وانفصل المجلس، وتسللت من عنده واختفيت في بعض الأماكن. وشاع الخبر في البلد أن مغربيا دخل على المفتي وناظره في كذا وكذا... حتى أفحمه. ولم أزل مختفيا إلى أن خرجت منها بعد مدة". ثم وصل إلى مصر ولم تطل إقامته فيها. وسافر إلى الصعيد وأقام مدة بمدينة جرجان، إلى أن سافر إلى الحجاز منها، ثم حج واستوطن المدينة المشرفة. وكان سكناه بها آخر بيت[4] منفرد برباط السلطان، فيه طاقات يشرف منها على الحرم الشريف. فاعتزل فيه عن الناس ولم يعاشر أحدا في المسكن، وتعاطى أسباب معاشه بيده وترك الخروج نهارا، أو ربما خرج بليل للزيارة أو لهم آخر، وربما أغلق على نفسه بابه شهرا أو أشهرا[5] لا يراه أحد. فنشأت له بذلك بذلك هيبة في القلوب وحصل له ناموس عند الخاصة. وربما تعاطى القراءة مع بعض خواصه ببيته، في وقت معلوم، لا يأذن فيه لغيرهم، وربما لمته على كثرة الانزواء وعدم التدريس في المسجد لنفع العام والخاص، فيعتل بفساد الوقت ونيات أهله، ومشاهدة المناكر، مع عدم القدرة على زوالها: كلبس الحرير [203- ب] وتعاطي الدخان. وقال لي:"كيف أجلس إلى قوم أعلم حالهم وحال تكاسبهم[6]: من أكل المكوس وتعاطيهم للعقود المحرمة شرعا[7]، مع العلم بذلك؟ فإن نهيتهم وزجرتهم، وقعت معهم معهم في أشد مما وقعوا فيه، وإن سكتت[8] عنهم وباسطتهم وألنت لهم القول، كنت

---

(1) "ف": ولم تقع.
(2) ماء الموائد، ج:2، صفحات: 30-31-32.
(3) ساقطة من "ح2".
(4) "ف": البيت
(5) "ف": شهرين.
(6) "ف": تكسبهم.
(7) "ح2": شرعة.
(8) "ت": سكت.

كنت معينا لهم وممالئا[1] لهم على ما هم فيه، وتركت الواجب علي من هجرانهم بلا عذر، إلى غير ذلك مما هو معلوم"[2].

قال:"وكان، رضي الله عنه، شديد الورع، ضيق الحوصلة في تحمل أعباء ملاقاة[3] الخلق، مقبلا على شأنه لكنه غيرعارف بزمانه كما قيل: (الرمل)

كَانَ لاَ يَدْرِي مُدَارَاتِ الوَرَى وَمُدَارَاتُ الوَرَى أَمْرٌ مُهِمْ

وكان هو وشيخنا: أبو مهدي، في حاليهما في ذلك، على طرفي نقيض، مع صلاح حالهما معا وديانتهما ووفورعلمهما. وربما عاب كل منهما على الآخر ترك ما عاب عليه فعله. وقد قلت له ذات يوم:"إن سيدي عيسى يقول: "ما أحسن فلانا لوأنه كف من[4] غربه[5] شيئا وألان جانبه للخلق". فقال لي:"وأنا أقول ما أحسنه وأعلمه وأجرأه على منهج السلف، لو انقبض عنهم شيئا، وترك مداهنتهم في الحق، وكل[6] على هدى". قال:"والنفس أميل إلى ما عليه الشيخ عيسى، لأن اعتزال اعتزال الخلق في هذه الأزمنة وعدم الاختلاط بهم والتهجم لهم وحجبهم عند الاستئذان، مع معرفتهم {له}[7] واستشعارهم لخصوصيته[8]، مما يزيدهم به إغراء، وله مطالبة. فيشار إليه بالأصابع، ويحمل من يرى في نفسه أنه مشارك له في علمه وخصوصيته على التطلع لعوراته، والتتبع لزلاته، والقعود له بالمرصاد[9]، ليسقط منزلته من قلوب الخلق. فينصب نفسه غرضا لسهام ألسنتهم. فيتضرر بذلك في دنياه ودينه، إن كان ممن يكثر تألمه مما يبلغه عنهم، ويوثر ذلك عنده حقدا. وإنما ينبغي ذلك لمن كان مغموضا بين الناس لا يؤبه له ولا يفتقد إن غاب، ولا يستأذن عليه إن احتجب. فيجد الراحة في نفسه، من عدم[10] مشاهدتهم ومخالطتهم، من غير أذى يصل إليه منهم، فيسلم له دينه ودنياه. وأما من كان مشهورا بينهم، موسوما

---

(1) "ع"و"ف": مائلا.
(2) ماء الماوائد: ج:2، ص: 32 و35.
(3) "ح2"و"ف": ملاقات.
(4) "ح2": عن.
(5) "ع": عزله.
(6) "ح2": كان.
(7) ساقطة من "ف".
(8) "ت": الخصوصية، "ف": بخصوصيته.
(9) "ت": بالمراصد.
(10) "ف": غير.

بخصوصية تتشوق[1] النفوس إلى لقائه ومخاطبته، فلا ينبغي له أن يحتجب عنهم ويظهر الانزواء عنهم، والتكره للقائهم، سيما إن كان يصرح بذمهم ويعيب [عليهم][2] ما هم عليه، فإن ذلك، وإن كان حقا في نفسه، إلا أنه عرض [به][3] [به][3] نفسه لآفات كثيرة كان في غنى عنها، اللهم إلا[4] أن تكون له حال قاهرة، قاهرة، فيترك وما انتحل من ذلك، فإن الله جاعل له فرجا ومخرجا. قال: "وقد بلغني، بعد انفصالي عن المدينة بأزمان، أن صاحب الترجمة، حرس الله مهجته، قد أوذي وكثرت المقالة[5] في شأنه، وأدى ذلك إلى خروجه من المدينة إلى مكة، وأطلق الحسدة الحسدة فيه ألسنتهم، وكنت شممت بعض ذلك من بعض الناس ونحن هناك، إلا أني ما كنت أظن أنه يبلغ ما بلغ، وكان أمر الله قدرا مقدورا.

وديانته ومكانته من العلم بالله تحميه. إن شاء الله، منهم، سيما وهو غير منازع لهم في دنياهم، ولا مساهم لهم في خططهم التي يتنافسون فيها، إلا أن داء الحسد قديم، ودواءه من بين سائر الأدواء عديم، والله يهدي من يشاء إلى صراط[6] صراط[6] مستقيم"[7].

قال: "ولما قدمت المدينة[8] المشرفة ولقيت صاحب الترجمة، ولم أكن أعرفه قبل قبل ذلك ولا عرفني، إلا أن عنده من خبري [على][9] ما عندي من خبره، فبالغ في في التحفي وباشر الملاقاة أحسن المباشرة. وعندما أخبرته بما نويته من المجاورة، ما عندي سر بذلك، وهيأ لنا منزلا بجواره كان ينزل به قبل[10]، وهو محل خزانة كتب وقف السلطان قايتباي، مشرف على الحرم وأدخلني إليه وأرانيه، وباشر الخدمة فيه بنفسه من: كنس، وفرش، وتنظيف، وتهييئ[11] مرافق، حتى أخجلني ما رأيت من

---

(1) "ت"و"ف": تستشرف.
(2) زيادة من "ف".
(3) زائدة في "ح1".
(4) "ع": إما.
(5) "ف": المقالات.
(6) "ف": صرط، والصحيح ما اثبتناه.
(7) ماء الموائد: ج:2، ص- ص: 35- 36.
(8) "ف": على المدينة.
(9) زائدة في "ع".
(10) "ح1": قبلا.
(11) "ت": تهيئ.

بره وإحسانه وتواضعه. فجزاه الله أحسن الجزاء، ورمت أن أساعده [204 – أ] في العمل وأخفف عنه، فامتنع؛ وكتبت له بسبب ذلك أبياتا: (الطويل)

بِطَيبَةَ قَدْ خَيَّمْتُ بَعْدَ تَعَسُّفٍ ... وَزُرْتُ شَفِيعَ الخَلْقِ فِي كُلِّ مَوْقِفِ

وَصَحَّحْتُ عَزْمِي فِي جِوارٍ بِأَرْضِهِ ... وَكَانَ نُزولِي عِنْدَ أَفْضَلِ مُنْصِفِ

أَخِي وَخَلِيلِي بَلْ إِمَامِي وَسَيِّدِي ... وَجَامِعُ كُلِّ الفَضْلِ دُونَ تَخَلُّفِ

فَلَمَّا نَزَلْنَا أَحْسَنَ النُّزْلِ وَاللِّقَا ... وَقَامَ مَقَامَ الخَادِمِ المُتَلَطِّفِ

وَلَيْسَ بِعَيْبٍ خِدْمَةُ المَرْءِ ضَيْفَهُ ... وَلَكِنَّهَا زِيَادَةٌ فِي التَشَرُّفِ

وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِنَا وَاحْتَفَى بِنَا ... وَدَامَ عَلَى حُسْنِ اللِّقَا وَالتَّأَلُّفِ

وَأَخْجَلَنِي إِحْسَانُهُ فَهَمَمْتُ أَنْ ... أُخَفِّفَ عَنْهُ رَغْبَةً فِي التَّعَطُّفِ

وَقَالَ لِيَ الظَّنُّ الجَمِيلُ بِهِ فَمَا ... عَلَيْكَ فَلاَ تَخْجَلْ فَلَسْتُ بِمُسْرِفِ

وَلاَ كُلْفَةً فِيمَا فَعَلْتُ فَإِنَّمَا ... عَلاَمَةُ صِدْقِ الوُدِّ تَرْكُ التَّكَلُّفِ

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَفُوزَ بِوَصْلِهِ ... وَكُنْتُ لَهُ قِدماً كَثِيرَ التَشَوُّفِ

وَإِذْ نِلْتُهُ[1] فَالحَزْمُ أَلاَّ[2] أُضِيعَهُ ... وَأَطْلُبُ مَا يُبْقِيهِ دُونَ تَسَوُّفِ

جَزَاهُ إِلَهُ العَرْشِ عَنِّي فَإِنَّنِي ... لِمَا نَالَنِي مِنْ خَيْرِهِ ذُو تَعَرُّفِ

أَقُولُ لَهُ وَالقَلْبُ يَغْبِطُ حَالَهُ ... هَنِيئاً[3] لَكَ البُشْرَى بِمَا نِلْتَ فَاعْرِفِ

مُنِحْتَ جِوَارَ المُصْطَفَى فَاغْتَبِطْ بِهِ ... يُنِلْكَ غِنَى الدَّارَيْنِ حَسْبُكَ فَاكْتَفِ

هُوَ البَحْرُ جُوداً غَيْرَ أَنَّ شَمَائِلاً ... لَهُ عَذُبَتْ حَتَّى حَلاَ[4] ذِكْرُهُ بِفِي[5]

---

(1) "ع": قلته.
(2) "ت": أن لا.
(3) "ع": هنيا.
(4) "ع"و"ح2": خلا.
(5) "ح2": يف.

عَلَيْــهِ صَــلاَةُ اللَّـــهِ ثُـــمَّ سَلاَمُـــهُ   يُنِيــلاَنِ أَمْنــاً فِـي مَكَــانِ التَّخَــوُّفِ"[1]

قـال: "ثم لم تتيسـر الإقامـة بجـواره، لتعذرأسـباب اقتضـى الوقـت مباشـرتها، فانتقلت إلى محل آخر ولم أزل بعد ذلك أكثر التراداد إليه وأستشيره في أموري[2]. وكان ميمون النقيبة له ورع تام ما رأيته في عصرنا لأحد: لا يقبض من أحد شيئا إلا قليلا عن علم وجوه مكاسبه وتحقق استقامته فيها؛ انتهى به الورع إلى ترك أكل ثمار المدينة بالجملة، لفساد معاملة أرباب الحوائط لعمالها في الغالب. فإن رب الحائط يعامل المساقي [بالجزء المشاع][3] على أوسق معلومة، في كل سنة، يدفعها له، وهذا فاش عندهم، قل من يعامل المساقي بالجزء المشاع السائغ شرعا.

ومن ورعه أنه لا يتقوت في الغالب إلا من كسب يده. وكانت له يد صناع يحسن غالب الحرف المهمة، سيما الدقيقة العمل، الرائقة الصنع: كالطرزالعجيب، والصباغة المتقنة، وتسفير الكتب والخرازة. وقد أخبرني: أنه لما كان بمراكش {كان}[4] فيبيعها[5] ويتقوت بها إلى الخميس الآخر. وله يد طولى في استعمال الأسطرلابات وغيرها من الآلات التوقيتية: كالأرباع[6] والدوائر والأنصاف والمكانات"[7].

قال: "ومن أغرب ما رأيته من صناعته أنه يجبر قوارير الزجاج المتصدعة[8]، بحسن احتيال ولطف تدبير، إلى أن لا يكاد صدعها يبين، ويصير مثل الشعرة الرقيقة. ومن ألطف ما أبدعه، وأدق ما صنعه، وأجل ما اخترعه: الأدلة الجامعة[9] النافعة في علمي التوقيت والهيئة. ولم يسبق إلى مثلها ولا قدر[10] أحد على شكلها بل ابتكرها[11] بفكره الفائق، وصنعه الرائق، وهي كورة مستديرة الشكل، منعمة

(1) ينظر ماء الموائد، ج/2 ص: 37.
(2) "ف": أموره والصحيح ما أثبتناه.
(3) زائدة في "ت".
(4) ساقطة من "ف".\
(5) "ف": فيستعملها والصحيح ما أثبتناه
(6) "ف": كالأربع، "ح2": الأبراع.
(7) ينظر ماء الموائد،ج/2 ص ض/37 –38.
(8) "ع": المصدعة.
(9) "ح1": الجامة.
(10) "ت": حادى، "ف": حاذى.
(11) "ع": ابتكره.

الصقل، مغشاة ببياض الوجه المموه بدهن الكتان؛ يحسبها الناظر بيضة من عسجد، لإشراقها. مسطرة كلها دوائر ورسوم، قد ركبت عليها أخرى مجوفة منقسمة نصفين، فيها تخاريم وتجاويف لدوائر البروج وغيرها، مستديرة كالتي تحتها [مصبوغة بلون الأخضر. فيكون لها ولما يبدو من التي تحتها][1] منظر رائق، ومخبر فائق. وهي تغني عن كل آلة تستعمل في فني التوقيت والهيئة، ـ مع سهولة المدرك، لكون الأشياء فيها محسوسة، والدوائر المتوهمة في الهيئة والتقاطع الذي بينها مشاهد فيها، [204- ب] وتخدم لسائر البلاد على اختلاف أعراضها وأطوالها. وحاصل القول فيها أن الوصف لا يكاد يحيط بها، ولا يعلم قدرها ومزيتها إلا من شاهدها. وكانت له معرفة بالعلمين: فيرى ما يذهل الفكر ويحير النظر، ويعلم أن من اهتدى لاستخراج ذلك للعيان، بعد أن كانت القرائح الجيدة تحير في تصويره ذهنا، قد أيد بنور إلهي وإلهام رباني. وقد ألف واضعها رسالة في وصفها وكيفية العمل بها في سائر المطالب التي تدرك بغيرها وزيادة"[2]. انتهى.

وأورد لها {لما فيه}[3] من ذكر غالب رسومها والأشكال المثبتة فيها. فانظر ذلك في رحلته، إن شئت.

[القول في لباس الصوف الرائق]

لطيفة: كان صاحب الترجمة ينهى عن لباس الصوف الرائق، الذي يأتي من بر الروم منسوجا[4]، وتتخذ منه الجوخات، والأقبية[5] الرفيعة الشبيهة بالحرير في لونه وصنعه ورطوبته؛ وهو لباس غالب علماء مصر والقاهرة والشام والحجاز وغيرها. ويرى بطلان الصلاة فيه[6] قائلا: إنه استيقن الخبر من أهل البلدة التي يأتي[7] منها

---

(1) زيادة من "ت".
(2) ينظر نفسه،ص/38.
(3) ساقطة من "ف".
(4) "ع": منسوخا.
(5) "ت"و"ف": الجوخات والأقبيات.
(6) "ح1": فيها.
(7) "ت": البلد الذي.

أنهم ينتفونه من الغنم حية، وأنه لا يكون إلا كذلك، وبذلك يصير في تلك الحالة[1] من الرطوبة والرقة. وإذا ثبت أنه كذلك فهو نجس.

قال أبو سالم: "ولما كان بالصعيد، كتب سؤالا في ذلك إلى شيخ المالكية بمصر، شيخنا: الأجهوري، رحمه الله. فكان من جملة جوابه على ما قال: إنه إن ثبت ذلك، فيخرج على أحد الأقوال في النجاسة، من سنة أو استحباب، لعموم[2] البلوى به؛ فراجعه بأن القول بالسنة مرجعه إلى الوجوب، على ما حقق الحطاب وغيره؛ والقول بالاستحباب لم يقل أحد بتشهيره، فلا يعول عليه. فأجاب بأنه قد شهر أيضا، وممن شهره: الفاكهاني. قال صاحب الترجمة: "ولم أر للفاكهاني تشهيرا[3] في ذلك". قلت: ويمكن البحث في كلام صاحب الترجمة بأحد ثلاثة أمور: أحدها ما كان يورده على نفسه ولا يرتضيه، وقال لي: إن بعض الناس قد نقل له ذلك عن محقق المغرب سيدي: أحمد بن عمران- وكان إذ ذاك بالقاهرة، وهو أن الصوف المذكور إن سُلِّمَ أنه كان منتوفا فالمتنجس منه جزء قليل من أصله وهو أضعف ما فيه. وما سواه يطهر بالغسل، ومن المعلوم أن هذا الصوف لا يصير إلى هذا[4] الحال التي يلبس فيها إلا بعد أعمال كثيرة: من غسل، ودق، ونفش، وقص، وغزل، ونسج، وغير ذلك . ومعلوم، أيضا، أن ذلك[5] الجزء الضعيف لا يصبر على ملاقاة هذه الأعمال ولا يبقى معها، بل يضمحل بالكلية. وإذا تحقق أن عين النجس قد ذهب، فلا معنى لمنع ما سواه، ولو نفشت قطعة من هذا الصوف وتتبعت شعراتها، لم يوجد فيها ما يتوهم أنه من أصل الشعر؛ إذ لم يبق إلا الصحيح المشابه للحرير، وهذا الذي قاله صحيح. وصاحب الترجمة يقدح في ذلك بتدقيقات عقلية ويقول: "إنا قد تحققنا نجاسة هذا المحل، فلا يظهر إلا بيقين ولا يقين مع احتمال بقاء جزء، ولو مثل رأس الإبرة، في جميع الجبة الكبيرة. وتفتيش قطعة منها، ولم يوجد فيه شيء، لا يدل على سلامة الجوخة كلها؛ بل ولو فتشت جوخة ولم يوجد فيها، فغيرها محتمل لأن يوجد فيها.

---

(1) "ف": الحال.
(2) "ع": لعلوم والصحيح ما أثبتناه.
(3) "ح1": تشهير.
(4) "ف": هذه.
(5) "ع": هذا.

قلت: ومثل هذه التدقيقات بالاحتمالات العقلية، تنبوعنها الفروع الفقهية المبنية على غلبة الظن القريب من القطع؛ إذ لو بنينا الأمر عليها ما صحت لنا عبادة، إذ ما من ماء ولا ثوب[1] إلا وهو محتمل عقلا أن يكون تعلق به شيء من النجاسة. وبعد غسل المتنجس، أيضا، على هذا التدقيق لا يطهر؛ لأن الغسل لا ينفي احتمال بقاء جزء قليل من النجاسة في خلال المغسول احتمالا عقليا. لكن الأحكام في ذلك إنما نيطت بما يغلب على الظن مستندا في ذلك إلى حكم العادة لا إلى مجرد التجويز العقلي، الذي لم يستند إلى عادة، في الغالب. فمن غسل ثوبه حتى[2] غلب على ظنه أن أجزاء النجاسة كلها قد خرجت مع الماء، فقد طهر ثوبه؛ مستندا في ذلك إلى أن العادة في ملاقاة هذا القدرمن الماء لهذا القدر من النجاسة، مع مثل هذا العرك، وتوالي الصب، أن لا يبقى شيء من النجاسات في هذا المحل؛ ولا يبالي، مع ذلك، بما يجوزه العقل من بقاء شيء من الأجزاء، غير مستند في ذلك إلى عادة ولا أمارة من لون أو طعم أو ريح، ولا أظن الفقهاء يختلفون في مثل هذا. وأشباه هذا كثير. ومنه غسل المخرج في الاستنجاء، فليس بمرئي؛ بل إذا غلب على الظن النقاء، مستندا إلى أمارة كحروشة المحل وذهاب الرطوبات[3] فقد أنقي، وكذلك تعميم العضو في الوضوء والجسد في الغسل فإذا غلب على الظن إيصال {الماء إلى}[4] المحل المطلوب وصوله إليه، وإن كان [205- أ] غير مرئي ولا ملموس باليد، بل بحبل أو عصى، مستندا في ذلك إلى أن العادة: أن هذا القدر من الماء، إذا مر بمثل هذا العضو يغمره، فقد تطهر المحل بذلك. وما يجوزه العقل من بقاء شيء لم يصل الماء إليه لا عبرة به، واعتباره هو عين الوسوسة المنهي عنها، وقالوا: إن أصلها خبال في العقل أو جهل بالسنة فلولا أن السنة هي الجري مع المعتاد، والظن الغالب في أمثال هذه الأمور لما عدوا[5] لها جاهلا بها. وحيث عبر الفقهاء في الصلاة والطهارة وسائر أنواع العبادات باليقين، فالمراد به هذا الظن الغالب، الذي يعد مقابله وسوسة لمرجوحية احتماله لا اليقين الذي هو أقوى [من][6] أنواع العلم، كما هو

---

(1) "ع": ثواب والصحيح ما أثبتناه.
(2) "ع": على، والصحيح ما أثبتناه.
(3) "ح1": الرطوبة.
(4) ساقطة من "ع".
(5) "ع": لما عدوها.
(6) زائدة في "ع".

عند المتكلمين. إذ ذاك عزيز الوجود في [العقائد][1] التي هي أصل الدين. فما بالك بفروع الفقه المبنية على الظن والاجتهاد، في كثير منها. فإذا علمت ما قررنا، فمن رأى هذا الصوف المذكور، وإتقان صنعته الغريبة الدالة على تعدد الأعمال والأشغال المتداولة عليه إلى أن صار لا يميز [بلينه][2] بينه وبين صافي الإبريسم، إلا من عرفه قبل ذلك، وأخبر بعد ذلك بأنه قد نتف[3]، لا يكاد يرتاب في بقاء شيء من أصوله فيه، فإذا غلب على الظن، غلبة قوية، عدم بقاء شيء من أصوله فيه، مستندا إلى العادة الواضحة في أن بقاء ذلك الجزء الضعيف الرخو فيه مما يخل بإتقان تلك الصنعة، فلا معنى للتوقف في طهارته؛ إذ بهذه الطريق حكمنا بطهارة كل متنجس. ويزيد هذا وضوحا أن الصوف المجزوز الاتفاق على طهارته، مع أنه في الغالب لا يخلو[4] من شعرات متعددة منتوفة في حال الجز وقبله، وبقيت في خلال الصوف، بل بل العادة قاطعة بوجودها، ومن باشر ذلك ورأى [أن][5] الصوف على ظهور الغنم وحضر جزا زها علم ذلك وتحققه. ومع ذلك فقد ألغينا ذلك القليل الذي لا يمكن الاحتراز منه عن[6] الاعتبار، مع تحقق وجوده لعدم العلم بعينه، وللمشقة الفادحة في في تمييزه عن غيره. فليكن مثله هذا الجزء الذي احتمل بقاؤه على تقديم بقائه.

ثانيها: إذا سلمنا أن هذا الصوف منتوف؛ فمن لنا بأنهم لا يجزون الأصول بعد النتف والغالب أنهم يجزونها؟ إذ لا غرض لهم في بقائها، بل تعين[7] {لهم}[8] الغرض في إزالتها لتجويد[9] الصنعة وإتقانها. وإذا كان المباشر[10] لذلك مسلمين، كما قال: "والأصل فيهم توقي النجاسات[11]، وإزالتها عن ملابسهم؛ سيما حيث لا غرض لهم فيها، فيكون الأصل فيها الطهارة حتى يثبت عدم الجز، أو ما يقوم مقامه، وما أبعدَ إثباتَه!

---

(1) ترك الناسخ بياضا مكان هذه الكلمة بالنسخة "ت".
(2) زائدة في "ف".
(3) "ح2": نتفت.
(4) "ح2": يخلوا.
(5) زيادة من "ف".
(6) "ت": على.
(7) "ع": يعين/ "ت": تبين.
(8) ساقطة من "ح2".
(9) "ح2": بتجويد/"ف": تجويد.
(10) "ت": المباشرون.
(11) "ح1": النجاسة.

ثالثها: سلمنا نتفها وبقاء أجزاء النجاسة فيها إلى الآن، ولم نلاحظ أيضا ما ذكرنا في بقاء مثلها في الصوف المجزوز بالمشاهدة. فلا يبعد قول الشيخ الأجهوري يخرج على القول بعدم وجوب زوال النجاسة لأمورأحدها: {أن}[1] ما ذكره الحطاب الحطاب من كون الخلاف في الوجوب، والسنية لفظيا غير مسلم لورود ظواهر [في][2] جزئيات كثيرة، تدل على أن القائل بالسنية يقول بلوازمها من عدم الإثم حيث لم يقصد التهاون وصحة الصلاة[3] وغير ذلك. وثانيها: ما ذكر[4] من كون القول بالاستحباب لم يشهره أحد شهادة على النفي؛ والمثبِت مقدم على النافي[5]، سيما مثل الشيخ الأجهوري في جلالته وسعة اطلاعه على فروع المذهب، التي سلم له فيها المناظر، فإنه لم يبلغنا عن أحد في عصرنا وما قرب منه، أنه جمع من كتب المذهب ما جمعه؛ فلا يبعد أن يكون أطلع على تشهير هذا القول، سيما وقد عزاه والناقل أمين. ثالثها: سلمنا عدم مشهوريته، فليس ببدع تخريج قول في مسألة عمت البلوى بها وعسر الاحتراز منها، وجرى في أقطار الأرض العمل بها، من غير نكير على قول في المذهب، صحيح غير منكر ولا غريب ولا مردود؛ إلا أنه لم يشتهر كغيره. وكثيرا ما يكون القول المخرج هو المشهور في المذهب والمخرج عليه ضعيف، فيقولون: هذا مشهور خرج على ضعيف، ومن ثافر فروع المذهب واستقراها من أماكنها، علم صحة ما ذكرنا. وشيخنا الأجهوري أمثل من له في زمانه الترجيح في فروع مذهبه، والتخريج على أن هذه المسألة من فروع قاعدة أصولية وهي تعارض الأصل.

والغالب وقد علم ما فيها من الخلاف، وشهرت جزئيات كثيرة من كلا القولين. نعم يمكن أن يقال: إن هذه الجزئية مما ألغي فيها الأصل اتفاقا، لما[6] اعتضد اعتضد به الغالب من الوجوه التي قربته[7] من القطع عادة؛ وقد قيل بذلك في أشياء،

(1) ساقطة من "ف".
(2) زيادة من "ت".
(3) "ف": الطاعة والصحيح ما أثبتناه.
(4) "ف": ما ذكره، والصحيح ما أثبتناه.
(5) "ع": النفي، والأرجح ما أثبتناه.
(6) "ع"و"ف": بما والصحيح ما أثبتناه.
(7) "ح2": قرنته.

أشياء، إن لم تكن هذه أقوى منها، وهي مثلها. والله الموفق للصواب"[1]. انتهى كلام أبي سالم.

"وبالجملة فهو أعجوبة الدهر، ونخبة العصر، ذكاء [205- ب] وفطنة. أما صنعة اليد، فلا يكاد يتعاص[2] عليه شيء من الصناعات المندرسة، التي لم يبق إلا أخبارها فضلا عن الموجودة؛ وقد حقق علم التنجيم بجميع أنواعه مع ما يتوقف عليه {من علوم}[3]، كالحساب وغيره؛ إلا أنه يتحامى تعاطي ما يدل منه على الحوادث المستقبلية ديانة منه رضي الله عنه"[4].

قال أبو سالم: "وكان يقول لي: إنما يتبجح به[5] فلان- يعني ابن الحاج- من علم حوادث الجو من الخسوفات والكسوفات، ونزول الأمطار والصواعق؛ وما هو بسبيل ذلك أمر قريب المدرك، سهل التناول والتحقيق في هذا العلم. أمر وراء ذلك، والتشاغل بمثل ذلك بطالة، والتمويه على العوام بأمور تشبه إدراك الغيب، وذلك مذموم شرعا. وله قصيدة في علم التوقيت أكبر من الروضة، بالغ في تجويد نظمها؛ وأتقن فيها الفن غاية الإتقان، وخالف كثيرا من المؤلفين في ذلك الفن في أشياء بين حقيقتها بالدليل والبرهان، وقرب العمل فيها بضوابط وقواعد مبنية على الإرصادات الصحيحة الواقعة في هذه الأزمنة القريبة، كأرصاد السلطان "أرلغ بيك" أحد ملوك العجم المتأخرين. تمهر في هذا الفن غاية، وجمع من[6] علماء مملكته من هو مثله في تحقيق الفن، فاستعان بهم في تحقيق مارامه من ذلك، ولم يقلد الأقدمين[7] ولا من بعدهم في شيء من تلك الأشياء؛ فرصد بنفسه[8] هو وأصحابه ما احتاج إلى رصده رصده حتى تحقق له ما تنبني عليه الأعمال المطلوبة، حسبما ذكر كل ذلك في أول زيجه الذي هو أصح الأزياج في زماننا هذا؛ على ما قال أرباب ذلك الفن"[9].

---

(1) ينظر ماء الموائد،ج/2 ص/32 -33- 34- 35.
(2) "ت": يتعاطى/"ف": يتعاضى.
(3) ساقطة من "ف".
(4) ينظر نفسه،ص: 42.
(5) "ع": بها.
(6) "ف": من.
(7) "ح2": الأقوى.
(8) "ف": في نفسه.
(9) ينظر نفسه، ص: ص: 42-43.

قلت: وممن يدانيه في فنه على ما بلغنا الشيخ داو ود الأنطاكي صاحب "التذكرة في الطب" التي لم يؤلف مثلها في ذلك الفن على ما قيل. فقد تمهر في الفنون العقلية مع سلامة عقيدته. وقد حكى الإمام أبو سالم حكاية تدل على تمهره في فنه. قال عن شهاب الدين بن التاج:

" أخبرني الشيخ عبد العزيز الزمزمي المكي، وكان من فضلاء فقهاء الشافعية، ورئيس[1] المؤذنين على ظهر زمزم بمكة المشرفة، وبتلك الخطة نسب أسلافه إلى زمزم. زمزم. وكان قد طعن في السن، وأدرك حياة الشيخ داوود المذكور، وقال: "وكان الشيخ داوود له وجاهة عظيمة عند أمراء مكة، وكان يحضر مجلس والدي في التدريس؛ وكان الوالد يجله؛ وكنت أنا في نفسي أبغضه وأستثقله وأعاتب الوالد على إجلاله إياه وتعظيمه وأقول: كيف تجل رجلا فيلسوفا من شأنه كذا وكذا؟ فيقول يا بني: إن الرجل من حكماء الإسلام، وله وجاهة عند [أرباب][2] الدولة. وقديما قيل:(الطويل)

وَمَا عَجَبٌ إِكْرَامُ أَلْفٍ بِوَاحِدٍ لِعَيْنٍ تُفَدَّى أَلْفُ عَيْنٍ وَتُكْرَم

قال: ثم عرض [لي][3] عارض مرض ذات يوم واشتد علي ولم أحضر الدرس فحضر الشيخ داوود وسأل الوالد عني فأخبره بحالي، فلما تفرق المجلس قال لوالدي: اذهب بنا لعيادة ولدك. ودخل[4] علي وأنا في أشد ما يكون من المرض فجس[5] يدي ثم قال لوالدي: ليس هذا وقت معالجة هذا الولد، ولكن خذ هذا الدواء لشيء استخرجه من جيبه يسقى أو يدهن به يخف عنه ما هو به، وأنا راجع إليه غدا وقت كذا. فذهب واستعملت ما أمر به فخف عني ما أجد. ثم حضر في الوقت الذي ذكر واستحضر حجاما وقال هيئ آلة الفصادة وأراه العرق الذي يفصده[6] ومحل الفصد[7] منه. وقال له: إذا سمعتني قلت الله رافعا صوتي به فافصد المحل الذي ذكرت ذكرت لك، وإذا قلته ثانيا فحل رباط الفصد وأمسك عن إخراج الدم. فهيأ الحجام

(1) "ف": رعيس.
(2) زيادة من:"ت".
(3) ساقطة من "ف".
(4) "ح2": فدخل.
(5) "ع": فحبس.
(6) "ع": يبصده. والصواب ما أثبتناه.
(7) فصد يفصد فصدا وفصادا المريض: شق عرقه، ينظر اللسان، مادة(ف – ص– د).

الآلـة، وربط المحل فبقـي ينتظر إذن الشيخ والشيخ مطرق برأسه مـدة. ثم قـال: الله ففصد العرق مع قوله، فلما قاله ثانيا أمسك ثم رفع الشيخ رأسه، ثم قال أخرجت لـك دما مخصوصا في وقت مخصوص لأمد مخصوص. وذكر أن الأمد المخصوص قرب الثمانين سنة. فوجد الشيخ عبد العزيز الراحة من حينه ولم يعاوده المرض[1] إلى قرب الثمانين كما ذكر. ولما توفي الشيخ عبد العزيز هذا، تولى مكانه في التقدم على- المؤذنين على ظهر زمزم- ولده الشيخ عبد السلام. وتحكى عن أهل بيتهم كرامات وخوارق ظهرت لهم من ملازمة ذلك المحل الشريف. فمن ذلك، ما سمعته عن جماعة من المجاورين بمكة، أن الشيخ عبد العزيز أو أحدا من أهل بيته احتبس ذات يوم في شغل له خارج[2] مكة من ناحية، [206- أ] فلما قرب الوقت توجه ليدرك وقت الأذان بالمسجد الحرام، فأدركه الوقت وهو على الثنية التي تشرف على المحصب من ناحية مكة، وعلى عقبة منى {من ناحية}[3].، فأذن في ذلك المحل، وبينه وبين المسجد مسافة بعيدة؛ وجبال وشعوب يستحيل {معها}[4] -عادة- وصول صوته إلى من بأسواق، فضلا عمن كان في المسجد. فسمع صوته من كان بالمسجد[5] كأنه يؤذن في محله المعهود. فكانوا[6] يرون ذلك كرامة له. ومن ذلك، أن الرئيس منهم يصوت قبل طلوع الفجر سبعة أصوات، بين كل صوتين نحو نصف درجة؛ ويكون طلوع الفجرعند آخر صوت منها. واستفاض عند كثير من الناس أن تلك الأصوات هي كلام أو ذكر لا يفهمها أحد إلا أولئك يتوارثونه[7] بينهم، وأن سبب ذلك أنه كان المؤذن منهم إذا طلع الفجر، أذن ثم أقام الصلاة بقرب ذلك. قالوا: فجاءه رجل من الأبدال من ناحية من أقطار الأرض البعيدة، فخاصمه وعاتبه، وقال له: إني إذا سمعت أذانك[8] ببلدي، أسرعت لإدراك[9] الصلاة؛ وربما فاتني شيء منها. فعلمه تلك الأصوات زعما أنه إذا صوت بها، سمعه الأبدال في

(1) "ت": مرض.
(2) "ف": خارجة.
(3) ساقطة من "ف".
(4) ساقطة من "ف"/"ح2": بها
(5) "ت": في المسجد.
(6) "ت": فكأنهم.
(7) "ح2": يتوارثونها.
(8) "ع": أذانا.
(9) "ع" لأدرك.

مشارق الأرض ومغاربها، فيحضرون الصلاة. قال: وأنا ترصدت[1] ذلك مرارا وسمعت وسمعت الأصوات، فليس فيها حرف أصلا حتى تنسب إلى لغة دون لغة. والغالب على ظني أن ذلك إنما هو مد[2] الصوت باسم الجلالة بعد النطق بأوله سرا أو إخفاء إخفاء الهاء في آخره، وكنت بعثت إليه، أيام مجاورتي هناك في رمضان، هل يصح صيام من شرب أولها أم لا ؟ فأخبرني: أن من شرب أو أكل قبل الثلاثة الأخيرة صح صومه وبعدها لا، والعلم عند الله"[3]. انتهى كلامه.

[ذكر مزارات مكة]

ومن الأماكن التي ينبغي بمكة زيارتها خلاف ما تقدم:

دار الأرقم، التي اختفى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبها كان إسلام عمر رضي الله تعالى عنه. وخبرها مشهور في السير، وهي الآن مسجد قرب الصفا، ومنها موضع بسوق مكة يسمى المودع. يقال إن فيه ودع النبي، صلى الله عليه وسلم، أهل مكة في حجة الوداع، لما أراد الخروج إلى المدينة. وهو مكان مشرف تظهر منه بعض أستار الكعبة. وليس في أسواق مكة محل تظهر منه [أستار][4] الكعبة إلا هذا.

فيقف الناس فيه للدعاء. وقريب من هذا المكان، رباط ينسب للشيخ عبد القادر الجيلاني يسكنه الفقراء. وله أوقاف وبه قبور تزار لا أتحقق أصحابها.

ومنها: مسجد الجن، وهو بأعلى[5] مكة بجانب الطريق بين الدور، فيه شجرة يأوي إليه الفقراء ويستظلون فيه. وهو المكان الذي استمع[6] فيه الجن إلى النبي صلى صلى الله عليه وسلم وأسلموا.

---

(1) "ت": تراصدت.
(2) "ت": مدة.
(3) ينظر ماء الموائد، ج/2 ص /27 -28- 29.
(4) زيادة من "ف".
(5) "ع": بأعلا.
(6) "ف": و"ح2": جاء.

ومنها: {موضع}[1] مولده، صلى الله عليه وسلم، قد تقدم ذكره.

ومنها: شعب أبي طالب، الذي انحاز إليه هو وبنو هاشم وخبره مشهور في السير.

ومنها: جبل أبي قبيس يشرف منه على مكة كلها والمسجد والبيت، وفيه مغارة يقال: إن بها[2] قبر آدم. والحجاج يشترون {من مكة}[3] رؤوس الغنم المشوية ويصعدون إليه يأكلونها فيه؛ ويزعمون[4] أن من فعل ذلك أمن من وجع الأسنان والرأس.

ومنها: قبة على الجبل الذي على يسار الذاهب إلى الشبيكة، يقال: إن فيه مولد عمر رضي الله عنه.

ومنها: محل في الجبل المشرف على المحصب، على يمين الذاهب إلى منى، يزعم أهل مكة أن به قبرعبد الله بن عمررضي الله {تعالى}[5] عنهما فيخرجون إليه في إحدى ليالي ذي القعدة- ظنها الثالثة عشر- رجالا ونساء، كبارا وصغارا، فيبيتون هناك[6] عامة ليلتهم.

قال أبو سالم:"وسألت أهل العلم بمكة عن ذلك، فأخبروني أنهم لا يعلمون لذلك أصلا[7].

" قال:"ومن جملة خرافاتهم المتعلقة بتلك الليلة {في ذلك المحل}[8] أنهم يأخذون معهم[9] نوى التمر[10] فيدفنونه في الأرض[11] في ذلك الجبل تلك الليلة.

---

(1) ساقطة من "ف".
(2) "ع": فيها.
(3) ساقطة من "ف".
(4) "ح2": ويزعم.
(5) ساقطة من "ف".
(6) "ح2": هنالك
(7) ينظر ماء الموائد،ج 2 ص 112.
(8) ساقطة من "ف".
(9) "ع": بعضهم والصحيح ما أثبتناه.
(10) "ح2": الثمر.
(11) "ف": بالأرض.

ويزعمون أن من دفن شيئا حصل له في تلك السنة[1] بعدده ريالا أو دنانير. وأغرب من ذلك ما حكى لي بعض أصحابنا تصديقا لزعمهم ذلك أن الشيخ علي بن الجمال الشافعي- وكان من فقهاء مكة المعتبرين- خرج مع بعض أهل مكة [إلى هذا المحل في بعض السنين][2] فلما رأى فعلهم ذلك أنكره، ثم إنه جمع شيئا من النوى حتى جمع نحو المائتين فدفنها ثم وجد سبعا أخرى ودفنها وهو في كل ذلك كالمتلاعب، فلما كان وقت الموسم بينما هو جالس في المسجد الحرام إذ جاءه[3] شخص من أهل العراق يسأل عنه حتى وجده فناوله صرة كبيرة وقال له: إن جماعة من طلبة الإحساء كانوا يقرأون {هنا}[4] عندك قبل ذلك، وقد جمعوا لك هذه الدراهم بقصد التبرك منك. [206- ب] وقد سلموا عليك وهي مائتا ريالة. قال: فوقع في نفسي تصديق ما زعموا، وأني كنت دفنت مائتي نواة ثم قلت: وأين السبعة التي دفنتها بعد ذلك؟ فلم أرم مكاني حتى رجع إلي ذلك الشخص وقال لي: ياسيدي، وهذه سبعة أخرى، وقد تبعني بها شخص بعد ما فارقت الجماعة، وقال لي: أوصلها إلى الشيخ. قال: فتعجبت من ذلك ومن موافقته للحال"[5]. والله أعلم".

"ولأهل مكة في هذه الليلة {أيضا}[6] عمل مولد كبير في مشهد السيد العيدروس عند الشبيكة، يجتمع هناك جماعة من أولاده وأتباعه السالكين على طريقه، ويعمل هنالك سماع وقراءة وتلاوة، ويجتمع فيه خلق كثير. وقد فرش المشهد كله وما حوله، وأعدت للحاضرين أطعمة وأشربة، ويستكثر هنالك من المصابيح. وهومن المشاهد المشهورة بمكة والمزارات المعظمة، وبيتهم {له}[7] صيت ومكانة عند عند الخاص والعام"[8].

---

(1) "ع" و"ف": الليلة.
(2) "ف": في بعض السنين إلى هذا المحل.
(3) "ح2": جاء.
(4) ساقطة من "ت".
(5) ينظر نفسه.
(6) ساقطة من "ف".
(7) ساقطة من "ت".
(8) ينظر نفسه، ص: 113 .

"وأما المقابر، فالحجون كله مزارات، وأشهر المزارات فيه قبة أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها، وقبة فيها قبر الفضيل بن عياض وغير ذلك، ومحوط فيه[1] قبور كثيرة للأئمة [من][2] العلماء الغرباء"[3].

قال أبو سالم: "قرأت على حجر فيه: هذا قبر الإمام أبي القاسم القشيري . وهذا غريب، إلا أن يكون نقل بعد موته إلى هناك. فلم نر أحدا من المؤرخين ذكر أنه مات بمكة. وقد رأيت في طبقات الإمام تاج الدين السبكي التعريف بولد[4] {أبي}[5] القاسم القشيري، وذكر أنه توفي بمكة المشرفة، فعلمت أن القبر قبره؛ لا قبر أبيه رضي الله عنهما. وعلى حجر آخر قبر أبي حامد بهاء الدين السبكي وجماعة كثيرة، وبأسفل الحجون بجانب الطريق قباب كثيرة، غالبها للشرفاء أمراء مكة.

ومنها قبة سامية يقال بها قبة أبي طالب. وعوام الغرباء يظنونه أبا طالب عم النبي، صلى الله عليه وسلم. وبعضهم يقول[6]: أبو طالب المكي. [وسألت أهل العلم بمكة، فأخبروني][7] إنما هو أمير من أمراء مكة المتأخرين، من أشرافها من آل بني نمي[8] اسمه أبو طالب. قالوا: وكان في حياته شجاعا مقداما فاتكا دوخ بلاد الحجاز، وقهر عربانها غاية القهر، وأهل نجد وتهامة إلى الآن يؤرخون بمدته[9] فيقولون فيقولون كان هذا في زمن أبي طالب، وكان سفاكا للدماء، ومع ذلك كان حسن السيرة، ولم يكن أحد [ياتيه][10] بالولاية، لما هو عليه من الفتك والبطش، إلا أن بعض أهل الكشف كان يقول هو مظهر من مظاهر أسمائه تعالى القهرية أقيم {في}[11] مقام الجلال، فلما توفي ظهرت له كرامات كثيرة وصار قبره من أعظم المزارات. فمما ظهر منها أنهم قالوا: جلس جماعة من القراء حول قبره يقرأون القرآن

---

(1) "ف": فيها.
(2) زيادة من "ت".
(3) ينظر نفسه، ص: 280 .
(4) "ف": مولد، والصواب ما أثبتناه.
(5) ساقطة من "ت".
(6) "ف": يقولون.
(7) زيادة في "ف".
(8) "ف": نمر.
(9) "ف": بموته.
(10) ترك الناسخ مكان هذه الكلمة بياض بالنسخة "ت".
(11) ساقطة من "ع".

قرب موته كما {هو}[1] عادتهم، وبين أيديهم شمعة تضيء بليل، فوقعت إلى الأرض الأرض فانطفأت، فتحيروا فلم يجدوا من يوقدها لهم، فانشق القبر عيانا فخرج منه وأوقد لهم الشمعة فرجع. ومنها: أن بدويا خرج من مكة بقفص عنب فلما وصل عند قبره تذكر[2] حاجة بمكة فوضع القفص، ورجع؛ فجاء سارق ليأخذه فيبست يده والتصقت بالقفص وبقي واقفا عنده حائرا إلى أن جاء البدوي. فلما رأى ذلك. قال على حسب نيته واعتقاده: جاديا أبا طالب، جاديا أبا طالب جاديا أبا طالب، جاديا أبا طالب، أطلقه الآن، وقد قضيت حاجتي. وانطلقت يد السارق وذهب.

ومن المزارات، قبر الولي القطب الشهير الذكر، عند أهل مكة وأعرابها، سيدي عمر العرابي. وغالب السائلين بمكة والمستصرخين إنما يهتفون باسمه. وأهل البادية تسمع الرجال منهم والنساء يقولون: "شيء لله ياعربي". وعندهم عظيم القدر، وشهير الذكر، وحق له ذلك. فإنه كان من أئمة الطريق رضي الله تعالى عنه"[3].

ومن الأماكن التي لا ينبغي للمجاور- أو من معه نفس من الزمان- إهمال زيارتها والورود عليها، مدينة جدة، وما بها من المشاهد كالمحل الذي يقال: إن فيه قبر أمنا حواء، وممن جزم بأن قبرها بها ابن خلكان في ترجمة ابن قلانس الشاعر. وذكره أيضا في ترجمة أخرى، على أن جدة في نفسها من أعظم البقاع . فقد ورد من فضلها وفضل المقام بها والرباط فيها، عدة آثار نقلها الإخباريون، وهي مدينة كبيرة ممتدة مع ساحل البحرنحو ميلين، في كلا طرفيها حصار متقن البناء فيه، مدافع كثيرة وعسكر[4] لا يفارقه.

قال الشيخ أبو سالم: "وقد رأيت في الحصار الغربي منها ما يستغرب وصفه من المدافع طولا وكبرا، ورأيت فيها مدفعا له خمسة أفواه بصنعة غريبة، وفي مرساها سفن كثيرة كبار وصغار، وغالبها معمول بالشريط بصنعة عجيبة ليس فيها مسمار. وهي مع ذلك كبيرة المقدار [207- أ]، متباينة الأقطار، واسعة الأنحاء، تحمل أضعاف ما يحمل غيرها من السفن. وأسواق البلد ممتدة مع جانب البحر، وغالبها

(1) ساقطة من"ف".
(2) "ح2": ذكر.
(3) ينظر ماء الموائد،ج2، ص- ص:280- 281 .
(4) "ف": عسكره.

أخصاص واسعة مفتحة[1] إلى البحر وإلى ناحية البلد، فيها قهاوي ومجالس حسنة، يبالغ أصحابها في كنسها وتنظيفها ورشها بالماء، وفيها جلوس غالب أهل البلد؛ وقد اتخذوا[2] فيها أسرة كثيرة منسوجة بشريط المسد[3] بصنعة محكمة. ومسجدها الكبير من أجل المساجد، فيه أعمدة من الساج مخروطة على هيئة أعمدة الرخام المخروط صليب عودها، يحسبها من لم يتأملها رخاما أحمر"[4].

قال:"أخبرني[5] شيخنا أبو مهدي أنه يقال: إن أعمدة ذلك المسجد جلبت في صدر الإسلام من كنيسة بأرض الحبشة عندما افتتحها المسلمون"[6].

قال:"وقد شاهدنا في هذه الخطرة[7] من العافية التي بسطها الله في الطرق[8] والقرى والأمان التام ما قضينا منه العجب، فمن ذلك أنا لقينا عيرا في ليل مظلم تحمل أحمالا من البز الهندي والقماش الرفيع نحوا[9] من عشرين جملا. وطلبنا أحدا من أصحابها نسأله عن خبر البلد فلم نجد معها أحدا، وذهبنا نحوا من ميل، فوجدنا أصحابها في قهوة مستريحين، وأخبرونا أنها لو ذهبت كذلك إلى مكة لم يتعرض لها[10] أحد. وأخبرونا بعجائب، من مثل ذلك، وقعت في أيام الأمير زيد ووالده محسن. فمن ذلك أنهم زعموا: أن رجلا جاء للسلطان محسن فقال {له}[11]: إني وجدت بالبلاد[12] الفلانية حملا من البز في الطريق. فقال له: ومن أخبرك أنه من البز[13]؟ فقال {له}[14]: مسسته برجلي. فأمر بقطع رجله وقال له: لم مسسته برجلك؟إلى غيرذلك من أمثال هذه الحكاية، لا نعلم[15] صحيحها من سقيمها.

---

(1) "ع": مفتتحة.
(2) "ت": اتخذو.
(3) "ع": المسحد.
(4) ينظر نفسه، ص:105.
(5) "ف": وأخبرني.
(6) ينظر نفسه.
(7) "ح2": الحضرة.
(8) "ت": الطروق.
(9) "ع": نحو.
(10) "ع": لم يتعرضها.
(11) ساقطة من "ف".
(12) "ت": بالفلاة.
(13) "ف": ومن أخبرك بأنه البزّ؟.
(14) ساقطة من "ت".
(15) "ع": يعلم.

ومن لطيف ما شهدناه[1] من أمان هذه الديار وعافيتها، أن المسافرين[2] من مكة إلى إلى جدة، ومن جدة إلى مكة يكترون الحميرللركوب ولا يذهب صاحب الدابة معها؛ فإذا ذهب المكتري إلى المحل الذي ذهب إليه، أرسل الحمار ولا عليه فيه؛ فلا يأخذه {أحد}[3] إلا ربه إن كان في ذلك البلد أو نائبه؟ ولكل واحد من أصحاب الدواب الدواب نائب في غير البلد الذي هو فيه يعرف دابته ويقبضها حتى يكريها له ممن رجع إلى البلد الذي هو فيه"[4]. وهناك من فاره[5] الحمرما يقضي العجب من سرعتها.

قال: "ولم أر أسرع مشيا من حمر الحجاز ولا أوطأ مركبا ولا أقل تعبا مع السرعة المفرطة في المشي. فلقد كنت أنظر، وأنا راكب، إلى أطرافي هل يتحرك فيها شيء مع الإسراع في المشي؟ فلا يكاد يتبين [لي][6] حركة شيء منها، مع أن مركوبي مركوبي ليس من أجاودها. فلقد أخبرت أنه كان حمار عند رجل من أهل مكة يصلي المغرب بجدة فيركب عليه ويصلي الصبح بمكة، وهي مسافة القصر تحقيقا. وهم يتغالون في ثمن ما هذه صفته منها، فيبلغ الحمار مائة دينار ذهبا. وقد رأيت حمارا عند فقيه الحنفية الشيخ الزنجبيل، رافقنا عليه من المدينة إلى مكة تقتحمه العين فأخبرت أنه اشتراه بقريب من ذلك الثمن"[7] انتهى[8].

ومنها "بلد الطائف، فإن فيها مزارات كثيرة، ويمرإليها على طريق الحاج إلى منى، ثم إلى مزدلفة، ثم إلى بسيط عرفة. والطريق من مكة إلى الطائف، فيها قهاوي يستريح المارة بالنزول فيها واشتراء المحتاج من طعام وعلف، كما ذلك[9]، أيضا بطريق بطريق جدة. ويسلك مع طريق الساقية التي {تأتي}[10] من أصل الجبل إلى عرفات ثم إلى المشاعرثم إلى مكة.

---

(1) "ع": ما شهدنا.
(2) "ف": المسافر.
(3) ساقطة من "ف".
(4) ينظر ماء الموائد،ج2، ص: 110.
(5) "ت": فازه.
(6) زيادة من "ف".
(7) ينظر نفسه، ص:104.
(8) ساقطة من "ع".
(9) "ع": كذلك،والأرجح ما أثبتناه.
(10) ساقطة من "ف".

ومنها تأتي المياه إلى مكة في هذه الأزمنة بعد اندثار الأخرى التي تأتى من الجعرانة {وقد ذكر المؤرخون أخبار العينين معا والتي من الجعرانة}[1] من عمل بني أمية وهذه من عمل بني العباس وهي من صدقات زبيدة بنت جعفر المنصور إلا أنها ما وصلت إلى مكة إلا في دولة {بني}[2] عثمان ملوك العصر من التركمان"[3].

قال أبو سالم: "وقد شاهدنا في بنيان هذه الساقية ما يدل على فخامة ملكهم وقوة اعتنائهم بأمر الحرمين. فكلما مررنا غلوة أوغلوتين، وجدنا [عينا][4] منها مفتوحا عليها بناء وثيق ووجدنا الفعلة في وقتنا جادين في إصلاح ما وهى من بنائها وكنس[5] ما تهور من أرجائها، وهي صاعدة مع وادي نعمان الأراك {بفتح النون}[6] النون}[6] والذي أكثرت شعراء العرب ممن بعدهم من ذكره. وهو واد عظيم أفيح منحدر من جبال نجد، به أدواح يانعة يصافحها نسيم نجد، فيهتز أغصانها طربا، وتميل إلى أن تلثم أفواه الأزهار الغضة الناعمة الملتفة بجنباتي[7] ذلك الوادي، وقد كساه الخصب من مروط الزهرألوانا، وعمم رؤوس هضابه أقاحا وأرجوانا"[8].

{قال}[9]: "فلم نزل نسايره صاعدين إلى أن قربنا من جبل أكرا، فعدلنا يمينه[10] مع بعض تلك الهضاب، وآوانا الحرّ إلى قهوة بأصل الجبل بين صخور عظام، حولها ماء صاف يجري على حصباء كالزبرجد، عذب بارد، سهل التناول للصادر والوارد"[11].

قال: "ما رأينا فيما سلكنا من بلاد الحجاز مكانا أشبه ببلادنا منه، فلما زالت الشمس وتوضأنا للصلاة أخذنا في صعود الجبل العظيم الذي لا يماثله في عظمه

(1) ساقطة من "ت".
(2) ساقطة من "ف".
(3) ينظر ماء الموائد،ج2، ص:116.
(4) مكان هذه الكلمة به بياض في "ت".
(5) "ف": كسر.
(6) ساقطة من "ف".
(7) "ف": بجانب.
(8) ينظر نفسه.
(9) ساقطة من "ف".
(10) "ح1": يمينا.
(11) ينظر نفسه.

جبل من جبال تهامة، وسلكنا في طريق تميل {مع}[1] خراطيمه الهابطة من أعلاه. وغالب الطريق في هذا الجبل قد نقي من الصخور العظام ونضدت الحجارة فيه ببناء وثيق مصفح على ممره[2]، ويقال: إن ذلك من عمل بني العباس لكثرة اعتنائهم ببلاد[3] الطائف ونزول ولاة الحجاز {منهم به}[4]، وقد أثرت السيول مع طول العهد في أماكن كثيرة من هذا الجبل، فخربت بناءه، وكثرت للسالك عناءه"[5].

قال: "وجدنا في هذا الجبل أشجارا عظيمة من العرعار وغيره من أشجار بلدنا، وأنسنا[6] بذلك غاية، ورأينا القرود به تصيح وتثب في أعالي تلك الصخور، فتعجبنا من ذلك، فأخبرنا أنها توجد في هذا الجبل وما سمعنا[7] قط إنها بأرض الحجاز، وإنما يقال إنها تجلب من الشام والروم إلى مصر والحجاز.

وقد لقينا في صعود الجبل مشقة. ونزلنا على[8] الدواب وارتحلنا أوعاره وأغواره كرها. وما كدنا نصل أعلاه حتى تمكن وقت المغرب؛ وصليناه وتلفعنا بثيابنا لشدة البرد، وتعجبنا من صنع الله وبديع قدرته فقد قاسينا أول النهارمن شدة الحر وسمومه ما كادت العظام منه تذوب، وتفطر القلوب، وكابدنا من شدة البرد، آخره ما ارتعدت المفاصل منه وكلت القوى عنه"[9].

قال:"ثم وصلنا إلى قهوة هنالك[10] ونزلنا بها بعد العشاء وطلبنا خصا يكننا من شدة البرد، فأدخلونا محلا أوقدوا فيه نيرانا[11] عظيمة فاصطلينا بها عامة ليلنا، وحمدنا الله على ذلك. وكان هذا في إبان الحر الشديد، ولذلك خلفنا ثيابنا بمكة ولم

---

(1) ساقط من "ع".
(2) "ع": مره.
(3) "ح2": ببلد.
(4) ساقطة من "ف".
(5) ينظر نفسه ص: 116-117 .
(6) "ف": فأنسنا.
(7) "ف": فأنسنا.
(8) "ت": عن.
(9) ينظر ماء الموائد،ج/2 ص/117.
(10) "ع": هناك.
(11) "ف": نارا.

نلبس منها إلا ما يوافق الوقت. وقضينا عجبا من شدة الحر والبرد معا في المكانين المتقاربين"[1].

قال: "ثم ارتحلنا من ذلك المكان قرب صلاة الصبح، وهبطنا عقبة هنالك هي دون التي طلعناها بكثير، إلا أنها وعرة، وسلكنا في شعاب ذات مياه غزيرة ونبت[2] ملتف إلى أن خرجنا إلى قرن الثعالب، الذي هو ميقات أهل نجد، وبإزائه قرية ذات مزارع وأشجار من أنواع الفواكه، حولها واد يسيل ماؤه، وتجاوزناها قرب الطلوع، وسلكنا بين تلول هنالك في صعود وهبوط واستواء، إلى أن وصلنا بلد الطائف، وهو[3] قصور في مستوى {من}[4] الأرض تحيط بها[5] جنات من نخيل قليل، وأعناب كثيرة، وفواكه مما يشتهون، وقصدنا المسجد الأعظم[6]". انتهى.

[مزارات الطائف]

ومن الأماكن التي تزار ببلد[7] الطائف نفسه. فقد وردت آثار تدل على فضله، وأنه منقول من الأرض المقدسة نقله جبريل، عليه السلام، بإذن الله تعالى.

وورد في الحديث أن النبي، صلى الله عليه وسلم: حرم عضاة وج وهو الطائف، وهوعند الشافعية[8] كحرم مكة لا يقطع شجره وكفاه هذا فضيلة شارك [فيها][9] الحرمين الشريفين.

منها قبر ترجمان القرآن، حبر الأمة سيدنا عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما. وهو في قبلة المسجد الأعظم من يمناه، وعليه بناء فخم وحوله، على يمين الداخل من

(1) ينظر نفسه.
(2) مطموسة في "ح1".
(3) "ف": وهي.
(4) ساقطة من"ف".
(5) "ف": تحيطها.
(6) ينظر نفسه.
(7) "ت": البلد.
(8) "ف": الشافعي.
(9) زيادة من "ف".

الباب، قبر البطل[1] الهمام، والليث المقدام، فارس بني[2] هاشم[3] سيدنا محمد بن الحنفية بن أمير المؤمنين مولانا علي بن أبي طالب، وفضائله مشهورة. وسبب انحيازه هو وابن عمه عبد الله بن عباس، رضي الله {تعالى}[4] عنهم، إلى الطائف مذكور[5] مذكور[5] في التواريخ فلا نطيل به. وبإزاء قبر ابن عباس قبر عبد الله الطيب الطاهر والد سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، والناس يتبركون به بهذه النية.

ومنها المسجد الأعظم [نفسه][6]، فإنه في محل نزول عسكر النبي، صلى الله عليه وسلم، عند محاصرة ثقيف بعد غزوة حنين. وفي صحن المسجد مسجد {صغير}[7] يقال: إنه منزل النبي، صلى الله عليه وسلم، في الحصار المذكور، وفيه محل يقال إنه محل قبة أم المؤمنين أم سلمة وقبة أم المؤمنين عائشة، رضي الله {تعالى}[8] عنهما. وخبر حضورهما معه، صلى الله عليه وسلم، في هذه الغزوة، وأنه[9] اتخذ لكل واحدة قبة ومصلاة، صلى الله عليه وسلم، بين القبتين مذكورفي كتب السير، وهناك محال متعددة فيها آثار في الصخر الصلد كأثر ظلف الغزالة. والناس يتبركون بها ويقولون إنها أثرغزالة جاءت إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، وسلمت عليه في ذلك المحل، ولم نر لذلك ذكرا في شيء من كتب السير وأخبار معجزاته، صلى الله عليه وسلم.

ومنها: مسجد على شفير الوادي بأعلى البلد، فيه شجرة كبيرة لها أصلان متقاربان بينهما {مثل}[10] ممر الشاة، يقال: إنها الشجرة التي اعترضت النبي [208-أ]، صلى الله عليه وسلم، في طريق له فانشقت شقين حتى مر بينهما ليلا تعنّته فيمر[11] يمينا وشمالا. وخبرها مذكور في بعض الأحاديث.

---

(1) "ت": الفضل.
(2) "ت": ابن.
(3) "ت": هشام.
(4) ساقطة من "ت".
(5) "ع": مذكورة.
(6) زيادة من "ف".
(7) ساقطة من"ع"وفي "ف".
(8) ساقطة من "ف".
(9) "ع": إذ.
(10) ساقطة من "ف".
(11) "ت": فمر.

قال أبو سالم: "ولم نر من ذكر أنها بهذا المحل [ولا][1] أنها باقية إلى الآن. وأظن أن حديثها مذكور في معجم الطبراني الصغير، والله أعلم"[2]. قال:"وفي هذا البلد أسواق حافلة يحضرها الناس من أطراف نجد، ويجلب إليها من الحبوب والثمار والزبيب والعسل ما قضينا العجب من كثر ته، بحيث يخيل لنا أنا لم نر مثل ذلك في الكثرة في أسواق الأمصار العظيمة"[3].

وذكرفي رجعته هذه أنه طلع لهم الفجر بمنى[4]،

قال: "فدخلت مسجد الخيف وصليت به الصبح، وليس به داع ولا مجيب. وقد كان في وقت الموسم، ربما -لا يجد الإنسان أين يضع جبهته من الأرض أحيانا لكثرة الزحام[5]"[6].

قال: "وتأملت بسيط منى وشعابه وتبينت سعتها وامتدادها، وكانت في أيام الموسم يخيل {ربما}[7] إلى الناظر ضيقها، لكثرة الخلق. ومن رأى منى وما حولها من من الأماكن في غير أيام الموسم، علم حسن تشبيه من قال: من أراد أين ينظر إلى الدنيا بعد انقراض أهلها فلينظر إلى منزل الركب بعد ارتحاله. ومنى في أيام الموسم هي الدنيا بأسرها، قصورعالية، وأسواق حافلة، وجنود مجندة، وملابس فاخرة، وأطعمة شهية، ومراكب هنية[8] وبضائع غير معدودة، ومتاجر ثمينة، إلى أنواع العبادات من من تكبير وتهليل وصلاة وقراءة ونحر وذبح وإطعام طعام ورمي جمار، وما الدنيا محمودها ومذمومها إلا ما ذكرنا، ولا تمر على ذلك كله إلا ثلاثة أيام حتى لا تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم ركزا؛ فلا ترى في منازلهم إلا عظاما نخرة، وخرقا بالية، وفضلات منتنة، وغثاء أحوى وَقِتاماً أغبر تسفيه الرياح[9] وتذوره[10]، وهذا هو المثل

---

(1) "ع": إلا.
(2) ينظر ماء الموائد،ج/2 ص/123.
(3) ينظر نفسه.
(4) "ف": في منى.
(5) "ف": الخلق.
(6) ينظر نفسه،ص/125.
(7) ساقطة من "ت".
(8) "ع": هينة، والأرجح ما أثبتناه.
(9) "ح2": الريح.
(10) "ف": تذروه.

المثل الحقيقي للدنيا، فليعتبر أولو الأبصار، من سكان البادية والأمصار[1]." انتهى كلامه.

ومزارات مكة كثيرة جدا، بل هي أعظم المزارات ومحط آمال الراغبين، ومنتهى سير الآملين، ومناخ همم العارفين، وغاية منية الشائقين، وقبلة العابدين، ووجهة المتعبدين، وإليها يفد[2] الوافدون، ومسقط رأس سيد العالمين، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين، فيالها من بلدة ما أعز[3] سناها، فأَهْوِنْ بالطارف والتليد والتليد في الاحتماء بمناها[4]، جنة: من دخلها كان من الآمنين، ومن نحا نحوها كان من الفائزين، ولله در الإمام أبي علي اليوسي[5]، رضي الله عنه وأرضاه، وأنا له منه بغاية مناه، إذ يقول، وما أحسن ما يقول، في وداع وفد الله: (الطويل)

أَحُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ سِيرُوا وَأَبْشِرُوا ... بِمَا لَمْ يَنَلْهُ رَائِحٌ وَمُبَكِّرُ

وَطِيرُوا عُجَالَى فَوْقَ أَجْنِحَةِ القَطَا ... وَأَجْنِحَةُ الشَّوْقِ المُبَرِّح أَطْيَرُ

وَلاَ تَحْسُرُوا وَالمُسْتَهَامُ إِذَا نَحَا ... جَنَاباً بِهِ مَحْبُوبُهُ كَيْفَ يُحْسَرُ

وَطِيبُوا نُفُوساً بِالصَّفَا[6] فَأَمَامَكُمْ ... عَلَى زَمْزَمٍ وِرْد يُعِلُّ وَيُصْدِرُ

وَلاَ تَتَنَادَوْا إِنْ ضَحَيْتُمْ بِحَاجِزٍ[7] ... فَأَسْتَارُ ذَاكَ البَيْتِ تَحْمِي وَتَسْتُرُ

وَأَنْوَارُهُ تَنْفِي الظَّلاَمَ إِذَا دَجَا ... فَمُمْدِحُكُمِ يَسْرِي بِهَا وَهْوَ مُضْمِرُ

وَزُمُّوا المَطَايَا وَالْطِمُوا بِأَكُفِّهَا ... وُجُوهَ الفَلاَ إِنَّ المُحِبِّينَ زُوَّرُ

---

(1) ينظر ماء الموائد،ج/2 ص /125.
(2) "ع": يفيد.
(3) "ت":أغر.
(4) "ت"و"ف": بحماها.
(5) اليوسي: أبو علي ولد سنة 1040 هـ بقرية تمزيزت بقرب صفرو، ومن شيوخه قدوته محمد بن ناصر الدرعي، وتصدر التدريس بالقرويين ثم انتقل إلى مراكش للتدريس بها. وتوفي سنة 1102 ودفن بقريته. ينظر الدرر المرصعة في أخبار درعة ص 408 .
(6) "ع"و"ف": بالصدى.
(7) "ع": بناجر/ "ف": بهاجر.

وَلاَ تَزْجُرُوهَــا بِالحُــدَاءِ فَــإِنَّ مَــا بِهَـا مِـنْ عَظِيـمِ الشَّـوْقِ يُزْجِـى وَيَـزْجُرُ

لَقَـدْ أَنِسَـتْ مِـنْ جَانِـبِ الغُـورِ لَمْحَـةً وَفَــاحَ لَـهَا مِنْهَــا خُزَامَــى وَإِذْخِــرُ

{فَطَــارَتْ إِلَـى ذَاكَ الجَنَـابِ فَتَـارَةً تَسِيــلُ[1] بِأَعْنَــاقٍ وطُــورا وَتَخَـطَّــرُ

وَهَيَّمَهَــا ذَاكَ الْغَــرَامُ فَـتَــارَةً تُعَلِّــي إِلَــى نَـشْــرٍ وَطَــوْراً تحَــدَّرُ[2]

وَتَسْطُــرُ فِــي صُحُــفِ البَلاَقِـعِ أَوَّلاً وَتَخْطُــو فَتَمْــحُو مَــا تَخُــطُّ وَتَـسْطُرُ

فَلِلَّــهِ عَيْنَاهَــا إِذَا مَــا رَمَــتْ بِهَــا غُيُوبــاً وَرَامَــتْ نَسْــلَ مَــا تَتَبَــصَّرُ

وَلِلَّــهِ مِنْهَــا كُــلُّ هَــادٍ يَقُودُهَــا كَأَشْرِعَـةٍ يُدْلِـي بِهَـا المُتَبَحِّرُ [208- ب]

فَـطُوبَى لَكُـمْ وَاليُمْـنُ يَحْدُو مَطِيَّـكُمْ إِذَا مَــا بَــدَتْ أَعْــلاَمُ مِصْــرَ تُـصَــوَّرُ

وَأَصْبَحْتُــمُ بِالــدَّرْبِ تَطْــوُونَ بِيْدَهَــا وَأَشْوَاقُــكُمْ نَحْــوَ الحِــجَازِ تُـسَعَّــرُ

مَرَاحِــلُ يُشْبِهْــنَ الصِّــرَاطَ وَبَعْدَهَــا لِمَــنْ حَازَهَــا حَــوْضٌ رَحِيــبٌ وَكَوْثَــرُ

إِذَا ذُقْــتُمُ مَــاءً أُجَاجــاً أَسَاغَــهُ لَذِيــذُ التَّدَانِــي[3] وَهْــوَ أَرْيٌ وَسُكَّــرُ

وَكَيْــفَ إِذَا هَبَّــتْ صَبَاحــاً جَرِيَّــةٌ تُذَكِّــرُ مِــنْ عَهْــدِ الْحِمَــى مَــا تُذَكِّــرُ

وَتَنْــشُقُ جَشْــجَاثَ الحِجَــازِ وَشِيحَــهُ وَأَيْــنَ مِــنَ الْجَثْجَــاتِ مِسْــكٌ وَعَنْبَــرُ؟

وَأَبْصَرْتُــمُ اليَنْبُــعَ تَبْــدُو نَخِــيلُه وَتُــؤْذِنُ بِالْوَصْــلِ الْقَرِيــبِ وَتُشْعِــرُ

وَخَيَّمْــتُمْ عَمَّــا قَرِيــبٍ بِحَجْمِــهِ[4] يُطَهِّــرُ مــنْ سَلْسَالِهَــا المُتَطَهِّــرُ

وَأَهْلَلْــتُمْ وَالرَّكْــبُ عَــلَّى عَجِيــجُهُ يَضِــجُّ[5] بِأَرْجَــاءِ الْفِــجَاجِ وَيُخْبِــرُ

---

(1) "ف": تسير.
(2) "ف": تحضر.
(3) "ف": التوالي.
(4) "ح2": بجحفة.
(5) "ح2": يضيح.

وطَــارَتْ بِــأَرْوَاحِ المُحِبِّيــنَ نَفْـحَــةٌ ... وَإِنْ كَــانَتِ الأَجْسَــادُ فِــي الأَرْضِ تَظْهَــرُ

يُشِيـرُ لِأَدْنَـى مَـا تَحِـنُّ[1] مِـنَ الهَـوَى ... إِذاَ كَــانَ بِالنُّطــقِ اللِّسَــانُ المُعبِّــرُ

وَوَافَيْتُــمُ البَيْــتَ الــحَرَامَ وَطُفْتُــمُ ... فَمُسْلِــمٌ مِنْكُــمْ بِــهِ وَمُكَبِّــرُ

وَصَلْــتُمْ إِلَــى بَيْــتٍ عَظِيــمٍ مُرَفَّــعَ ... إِلَــى نَحْـوِهِ يُضْـحِي الْمُــنِيبُ وَيُحْسِـرُ[2]

مَــزَارُ جَمِيــعِ الأَنْبِيَــاءِ وَنَحْــوَهُ ... قُلُوبُهُــــمُ تَــــهْفُو وَلاَ تَتَكَبَّــــرُ

مَثَابَــةُ كُــلِّ المُؤْمِنِيــنَ وَمَأْمَــنٌ ... لِدَاخِلِــهِ مِمَّــا يَخَــافُ وَيَحْــذَرُ}[3]

مَقَــامٌ بِــهِ تُرْجَـى المَتَابَـةُ[4] وَالرِّضَــى ... وَمَــأْوىً بِــهِ[5] تُمْحَــى الــذُّنُوبُ وَتُغْفَــرُ

فَمَــنْ كَــانَ ذاَ حُــبٍّ فَهَاتِيـكَ دَارُهُــمْ ... وَمَــنَ كَــانَ مَشْــغُوفاً فَــذَلِكَ مَنْظَــرُ

فمَــا لنُفُــوسِ الــمُسْتَهَامِينَ لَــمْ تَطِــرْ! ... وَمَــا لِــدُمُوعِ العَيْــنِ لاَ تَتَفَجَّــرُ!

وَمَــا لِأَدِيــمِ الحُــبِّ لَيْــسَ بِذَائِــبٍ[6] ... وَمَــا لِفُــؤَادِ الصَّــبِّ لاَ يَتَفَطَّــرُ

وَصَــلَّيْتُمْ خَلْــفَ المَــقَامِ وَعُــدْتُــمُ ... لِــيَاقُوتَةٍ فِيهَــا الكِتَــابُ مُدَخَّــرُ

وَبَـــادَرْتُمْ نَحْوَالصَّفَــاَ فَسَعَيْتُــمُ ... وَكَــانَ[7] لَكُــمْ فِيــهِ وُرُودٌ وَمَصْــدَرُ

وَزُرْتُــمْ إِلــى الأَثَــمِّ[8] أُبْــتُمْ لِمَوْقِــفٍ ... بِــهِ يُسْــفَحُ الــدَّمْعُ الــمَصُونُ وَيُهْــدَرُ

وَزُحْــتُمْ وَأَنْــتُمْ مُظْلِمُــونَ بِحُطْمَــةٍ ... وَوَافَــاكُمُ[9] جَمْــعٌ هُــنَاكَ وَمَشْعَــرُ

---

(1) "ح2": تجن.
(2) "ح2": ويحصر.
(3) كل هذه الأبيات ساقطة في "ت". وعدد 20 بيتا.
(4) "ح2": المثوبة.
(5) "ت": بها.
(6) "ع": بدائب.
(7) "ع"و"ح2": ولكن.
(8) "ت": بياض مكان هذه الكلمة في "ت".
(9) "ت": ووفاكم.

وَأَصْبَحْتُمُ رَمْياً عَلَى الجَمْرَةِ الحَصَا ... وَحَانَ لِلَبَّاتِ البَوَائِكِ مَنْحَر

وَعُدْتُمْ وَقَدْ أَوْفَيْتُمُ وَشَفَيْتُمُ ... نُفُوساً وَمِنْكُمْ حَالِقٌ وَمُقَصِّرُ

فَلَمّاَ قَضَيْتُمُ مِنْ مِنًى جُمْلَةَ المُنىَ ... وَجِئْتُمْ وَدَاعَ البَيْتِ وَالدَّمْعُ يَحْدُرُ

تَقَاضَيْتُمُ أَشْوَاقَ يَثْرِبَ فَانْفَأتْ ... حَوَائِجُكُمْ مِمَّا تَجِنُّ وَتُضْمِرُ

وَأَرْجَفْتُمُ[1] نَحْوَالمَدِينَةِ شُرّعاً ... كَوَارِدَةٍ نَحْوَ الغَدِيرِ تُمَطّرُ

فَلاَ عَاجِلٌ[2] يَلْوِي عَلَى مُتَثَبِّطٍ ... وَلاَذَاهِلٌ عَنْ عَقْلِهِ يَتَذَكَّرُ

وَلاَحَتْ لَكُمْ أَنْوَارُ طَيبَةَ وَاعْتَلَى ... مَقَامٌ بِهِ الذِّكْرُ الحَكِيمُ يُسَطَّرُ [209- أ]

مَقَامٌ يُجَلِّي البرَّ وَالرُّوحَ لِلْوَرَى ... وَمِفْتَاحُ أَبْوَابِ الفَلاَح وَمَظْهَرُ

مَوَاطِنُ[3] كَانَتْ مَهْبِطَ الوَحْيِ بُرْهَةً ... وَجِبْرِيلُ فِي أَرْجَائِهَا يَتَكَرَّرُ

مَوَاطِنُ خَيْرِ المُرْسَلِينَ الَّذِي بِهِ ... تَجَلّىَ عَنِ الدُّنْيَا الظَّلاَمُ المُعَكِّرُ

هُنَالِكَ تَنْسَوْنَ الرَّوَاحِلَ جَانِباً ... وَتَسْعَوْنَ وَالتَّعْدَادُ أَحْرَى وَأَجْدَرُ

فَسَاعٍ إِلَى خَيْرِ الأَنَامِ مُسَلِّماً ... وَدَانٍ إِلَى ذَاكَ المَقَامِ يُعَفِّرُ

وَبَاكٍ عَلَى مَا قَد جَنَاهُ وَضَاحِكٌ ... لِمَا قَدْ أَتَى مِنْ جَنَّةٍ يَتَبَخْتَرُ

فَلاَ تَنْسَوِا العَبْدَ المُسِيءَ الَّذِي بِمَا ... تَحَمَّلَ عَنْ ذَاكَ المَقَامِ يُؤَخَّرُ

وَأَعْدُوا المَطَايَا قَدْ بَلَغْتُمْ مَرَامَهَا ... وَلاَ تَذْكُرُوا غَيْراً[4] فَلاَ غَيْرُ يُذْكَرُ

وَرَاعُوا لَهَا الإِحْسَانَ وَاحْمُوا ظُهُورَهَا ... وَأَسْدُوا إِلَيْهَا البِرَّ وَالخَيْرَ يُشْكَرُ

فَقَدْ عَامَلَتْكُمْ مِنْ جَمِيلٍ وَلَنْ تَفُوا ... بِشُكْرِ الَّذِي أَسْدَتْ[5] بِمَا لَيْسَ يُنْكَرُ

---

(1) "ع" و"ت":وأوردتم"ف": وأوحيتم.
(2) "ت"و"ف": عجل.
(3) "ف": مواضع.
(4) "ح2": غير.
(5) "ت": أهدت.

لَقَدْ بَلَّغَتْكُمْ خَيْرَ مَنْ وَطِءَ الثَّرَى ... وَمَنْ حَمَلَتْهُ الجُرْدُ حِينَ تُضَمَّرُ

فَطُوفُوا عَلَى ذَاكَ المَقَامِ ورَوْضَةٍ ... عَلَى جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ تَعْلُو وَتَفْخَرُ

وَقُومُوا عَلَى الأَقْدَامِ طَوْراً كَرَامَةً ... وَطَوْراً جُثِيًّا هَيْبَةً ثُمَّ كَبِّرُوا

آلاَ وَامْلَأُوا تِلْكَ الوُجُوهَ مِنَ الثَّرَى ... وَطَوْراً بِسَلْسَلِ المَدَامِعِ طَهِّرُوا

وَلاَ تَبْرَحُوا عَنْهَا فَإِنَّ مُنَاكُمُ ... لَدَيْهَا وَلاَ تَسْتَبْدِلُوهَا فَتَخْسَرُوا

مَقَامُ نَبِيٍّ زَانَهُ اللَّهُ فِي الوَرَى ... وَزَانَ بِهِ مَنْ يَرْتَضِيهِ وَيُكْبِرُ

مُحَمَّدٌ المَهْدِيُّ إِلَى النَّاسِ رَحْمَةً ... وَسِرُّ الوُجُودِ الطَّاهِرُ المُتَخَيَّرُ

نَبِيٌّ أَتَى وَالكَوْنُ أَسْوَدُ مُظْلِمٌ ... فَأَصْبَحَ مِنْهُ وَهْوَ أَبْلَجُ نَيِّرُ

وَجَاءَ وَرَسْمُ الدِّينِ أَقْبَحُ[1] دَارِسٍ ... فَهَا هُوَ مَأْهُولٌ بِهِ وَمُعَمَّرُ

هُوَالغُرَّةُ البَيْضَاءُ وَالكَوْنُ أَدْهَمٌ ... هُوَ الدُّرَّةُ العَصْمَاءُ وَالكَوْنُ جَوْهَرُ

هُوَ الرُّوحُ فِيهِ وَالحَيَاةُ وَكُلُّ مَا ... سِوَاهُ مِنَ الأَكْوَانِ جِسْمٌ مُصَوَّرُ

وَإِنَ كَانَ حِرْزُ الأَنْبِيَاءِ مُحَصَّناً ... فَأَحْمَدُ فِيهِ[2] بَابُهُ المُتَنَظَّرُ

وَمَاهُمْ سِوَى عَيْنٍ يُرَى[3] بِشُعَاعِهَا ... وَإِنْسَانُهَا هَذَا النَّبِيُّ المُطَهَّرُ

لَهُ المُعْجِزَاتُ البَاهِرَاتُ وَوَجْهُهُ ... يَرَى صِدْقَهُ مَنْ يَسْتَبِينُ وَيَنْظُرُ

بَيَانٌ تَصَدَّى لِلأَصَمِّ سَمَاعُه ... وَأَبْصَرَهُ لِلنَّاسِ مَنْ لَيْسَ[4] يُبْصِرُ

بَرَاهِينُ يُحْصِي البَحْرُ مَاءَ عَوَالِج ... رِمَالاً و{لاَ}[5] تُحْصَى وَمَا الفَضْلُ يُحْصَرُ

---

(1) "ف": أسحم.
(2) "ح1": به.
(3) "ت": ترا.
(4) "ت": لا
(5) ساقطة من "ع".

وَقَـدْ جَـلَّ خَيْـرُ الخَلْـقِ أَنْ يَبْلُـغَ الثَّنَـا عَلَـى مَجْـدِهِ مَـنْ يَـسْتَطِيلُ وَيَشْعُـرُ

وَمَـا يَبْلُـغُ المَـدَّاحُ مِنْـهُ[1] وَقَـدْ أَتَـى عَلَيْـهِ ثَنَـاءٌ فِـي الكِتَـابِ مُكَثِّـرُ

{أَبَعْـدَ ثَنَـاءِ الـرَّبِّ يُـرْجَـى لِوَاصِـفٍ ثَنَـاءٌ وَإِنْ جَـاءَ البَلِيـغُ المُـكَثِّرُ}[2]

فَأَحْمَـدُ خَـيْرُ الخَلْـقِ غَـيْرُ مُـدَافِعِ وَأَحْمَـدُ حِصْـنُ المُتـَّقِينَ المُسَـوَّرُ

وَأَحْمَـدُ إِنْسَـانٌ بالاسْـمِ وَإِنَّـهُ لَيَـعْلُو عَـلَى الأَمْـلاَكِ فَـضْلاً وَيَكْبُـرُ

وَبِـالحَجَرِ اليَـاقُوتِ يَسْـمُو[3] تَوَسُّـعاً

وَأَيْـنَ مِـنَ اليَـاقُوتِ فِـي الفَضْـلِ أَحْجُـرُ؟[209- ب]

وَأَحْمَـدُ سِّـر اللَـهِ فِـي الـخَلْقِ صَـانَه[4] فَلَـمْ يَـرَهُ أَعْـمَى وَلاَ مُتَبَصِّـرُ

وَلَـمْ يَبْـدُ مِـنْهُ غَيْـرُ جِـسْمٍ وَلَحْمَـةٍ[5] تَـدُلُّ عَـلَى هَـدْيِ الـوَرَى وَتُبَشِّـرُ

وَإِذْ نَحْـنُ لَـمْ نُـدْرِكْ حَقِيقَـةَ أَحْمَـدِ[6] فَـكَيْفَ يُـرَى مِنَّـا ثَنَـاءً مُحَـرَّرُ؟

ومـا هُـوَ إِلَّا الشَّمْـسُ يُـشْرِقُ ضَحْـوَةً وَأَنْوَارُهَـا تَغْـشَى العُيُـونَ وَتَبْهَـرُ

مَحَاسِنُـهُ فَـوْقَ الَّـذِي يَعْـرِفُ الـوَرَى فَمَـنْ رَامَـهُ بِالمَـدْحِ فَهْـوَ مُقَصِّـرُ

وَكَـمْ مِـنْ بَلِيـغٍ فِـي القَـرِيضِ مُفَـوَّهٍ قَصَائِـدُهُ البُـرْدُ اليَمَـانِيُّ المُحَبِّـرُ

إِذَا رَامَ مَـدْحَ المُـصْطَفَى قَعَـدَتْ بِـهِ مَهَابَتُـهُ العُظْـمَى فَيَعْـيَ وَيَحْسُـرُ

---

(1) "ح2": فيه.
(2) ساقطة من "ت".
(3) "ف": يسمى.
(4) "ع": صوته.
(5) "ف": ولحمه.
(6) "ت": أحمدا.

فَـمَنْ لـِي إِلَـى البَيْـتِ الحَـرَامِ أَزُورُهُ ... وَمَـــنْ لِـــي إِلَـــى أَسْـــتَارِهِ أَتَسَتَّـــرُ

وَمَــنْ لِــي بـأَنْ أَسْـعَى بِسَلَـعِ مُبَـادِراً ... إِلَـــى رَوْضَـــةِ المُخْتَـــارِ لا أَتَأَخُّـــرُ[1]

وَهَــلْ وَقْفَــةٌ يَـوْماً عَلَـى ذَلِـكَ الحِمَـا ... أُمَـــرِّغُ خَـــدِّي فِـــي ثَـــرَاهُ[2] وأَحْسُـــرُ

وَهَــلْ أَشْتَفِـي يَـوْماً حَـوَالَيْ ضَرِيحِـهِ ... بِلَثْـــمٍ وَمِـــنْ وَجْـــدٍ أُعِـــيدُ وَأُكْثِـــرُ

فَــلاَ وَرْدَ إِلاَّ دُونَ ذَلِــكَ لاَ تَقَــعِ[3] ... وَلاَ مِسْـــكَ إِلاَّ دُونَ ذَلِـــكَ أَذْفَـــرُ[4]

وَلاَ ظِـــلَّ إِلاَّ دُونَ ذَلِـــكَ وَارِثُ ... وَلاَ رَوْضَ إِلاَّ دُونَ ذَلِـــكَ أَزْهَـــرُ

وَهَــلْ لِعَـقِيقِ الـدَّمْعِ وَقْـتٌ مُـعَجَّلٌ ... يُنَظَّـــمُ فِـــي وَادِي العَقِيـــقِ وَيُنْثَـــرُ[5]

لقَـدْ ضَـاعَ دَهْـرِي[6] فِي الـمُقَامِ بِـمَغْرِبٍ ... وَمَطْلَـــعُ وَحْـــيِ اللَّـــهِ يُرْجَـــى وَيُنْظَـــرُ

إِذَا مِنْـهُ نَفْسِـي فِـي السِّبَاقِ إِلَـى الـعُلاَ ... فَتُشْـــمِسُ[7] عَـــنْ ذَاكَ الرِّهَـــانِ وَتَنْفُـــرُ

وَأَسْمُـو بِهـا عَـنْ وَرْطَـةِ[8] الغَيِّ وَأَلْهَوى[9] ... فَيُقْعِـــدُهَا صَلْصَـــالُهَا المُتَكَـــدِّرُ

وَأَدْفَـعُ عَنْهَـا فِـي الوَغَـى لِأَجِيرَهَـا ... فَتَنْهَـــكُ أَجْنَـــادُ الـهَـــوَى وَتَكَسَّـــرُ

فَهَلْ لِيَ مِنْ صَوْبٍ مِنَ الغَيْـبِ[10] بَاهِرٌ ... يُشَـــيِّعُهَا فِيمَـــا تَـــرُومُ وَيُنْفِـــرُ

وَهَـلْ لِـيَ مِـنْ رِيـحٍ تُثِـيرُ رِكَابِـيَ ... إِلَـــى رَوْضَـــةٍ فِيهَـــا النَّبِـــيُّ المُبَشِّـــرُ

---

(1) "ع": لا تأخر.
(2) "ع": تراه.
(3) مكان هذه الكلمة فيه بياض في "ت".
(4) "ت": أدفر.
(5) "ح2": و"ف": ينشر.
(6) "ع": دهر.
(7) "ع": فتسمس
(8) "ع": روضة.
(9) "ت": والهوا.
(10) "ع": العيب.

عَلَيْهِ صَلاَةُ اللَهِ مَاانْسَجَمَ الحَيَا ... بِرَوْضٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ

وَأَصْحَابُهِ الغُرُّ الّذِينَ تَأَلَّفُوا ... عَلَى اللَهِ فِي الدِّينِ القَوِيمِ وَشَمَّرُوا

خُصُوصاً أَبَا بَكْرٍ رَفِيقَ نَبِيِّهِ ... وَصَاحِبَهُ وَهْوَ الكَبِيرُ المُوَقَّرُ[1]

وَأَيْضاً أَبَا حَفْصٍ وَكَانَ مُحَدِّثاً ... يُكَشِّفُ أَحْلاَكَ الدُّجَى وَيُنَوِّرُ

فَيَا رَوْضَةً[2] فِيهَا النَّبِي مُحَمَّدٌ ... سَقَاكَ مِنَ الغَيْثِ السَّجِيمِ[3] المُكَرِّرُ

وَيَارَوْضَةً تَزْهُو بِشَمْسٍ مُنِيرَةٍ ... وَبَدْرَيْنِ مُلْتَاحَيْنِ فِيهَا وَتُزْهِرُ

دَعَاكِ غَرِيبٌ أَوْثَقَتْهُ بِمَغْرِبٍ ... مسَاوِي المَسَاعِي وَالقَضَاءُ الُمقَدَّرُ

فَهَلْ تَسْمَحُ الأَيَّامُ فِيكَ بِزَوْرَةٍ ... فَيُشْفَى غَلِيلٌ[4] فِي الفُؤَادِ مُسَعَّرُ

وَهَلْ تَنْجِزُالدَّيْنَ اَلَّذِي مُطِلَتْ بِهِ ... فَتَكْفِي[5] بَقَايَا ذَنْبِهَا وَتُكَفَّرُ

فَيَارَبِّ لاَ تَحْرِمْ عُبَيْدَكَ سُؤْلَهُ ... وَأَبْلِغْهُ مَا أَبْلَغْتَ مَنْ تَتَخَيَّرُ

وَقَدْ جَاءَ سَعْياً بِالحَشَا إِذْ تَعَدَّدَت[6] ... عَلَيْهُ خُطَاهُ وَهْوَ أَشْعَثُ أَغْبَرُ

سَأَلْتُكَ بِالمُخْتَارِ أَحْمَدَ إِنَّهُ ... لِأَنْفَسِ عِلْقٍ فِي المَطَالِبِ يُدَخَرُ [210- أ]

عَلَيْهِ صَلاَةُ اللَهِ ثُمَّ سَلاَمُهُ ... وَرِضْوَانُهُ مَا فَاحَ رَوْضٌ مُعَنْبَرُ

وَأَصْحَابِهِ وَالآلِ مَاذَرَّ شَارِقٌ ... فَأَجْلَى[7] الدَّيَاجِي ضَوْؤُهُ المُتَفَجِّرُ

[انتهت][8]

---

(1) "ع": المؤثر.
(2) "ت": رضة.
(3) "ع": السحيم. سجم الدمع: سال. وسجمت السحابة: طال مطرها، ينظر اللسان:مادة (س- ج- م).
(4) "ع": غليلا.
(5) "ت": فتكفا.
(6) "ت": إذا عرت.
(7) "ع":فأجلا.
(8) "ت": انتهى

ذِكْرُ الخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ المُشَرفَةِ إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ {زَادَهُمَا اللّٰهُ تَشْرِيفاً وَتَعْظِيماً، وَتَبْجِيلاً وَتَكْرِيماً}[1]

ولما تمت مدة إقامتنا بمكة، بعد قضاء النسك، وهو تسعة أيام.

(الطويل)

أَقَمْنَا بِهَا يَوْماً وَيَوْماً وَثَالِثاً   وَيَوْماً لَهُ يَوْمُ الترحل سادس

وذلك يوم الأحد الموفي ثلاثا وعشرين من ذي الحجة. أخذ المغاربة في الرحيل بعد قضاء الأوطار، وحط الأوزار، واشتراء التجارة، وانبرام عقد الإجارة، وهم أول الأركاب خروجا من مكة ولا يخرج قبلهم إلا بعض قفول أهل المدينة المنورة، فطفنا ضحى، للبيت مودعين، وللقلوب تحت تلك الأستار مودعين، فخرجنا والقلوب ما بلت حرارة شوقها، وسرنا والأعناق مجرورة إلى ورائها بفاضل طوقها، فنزلنا منزل الحاج {بباب}[2] الشبيكة، في انتظار أخدان طيبي العريكة، ولما تلاحقوا بنا، بأثاثنا وأزوادنا، سرنا ونزلنا مر الظهران قبيل الغروب، والكل في جولان فكرته هل لهذا المكان يؤوب.

نكتة: آثرنا الخروج من الثنية السفلى التي بأسفل مكة، المسماة[3] -الآن- بالشبيكة، اقتداء به، صلى الله عليه وسلم، إذ منها خرج، صلى الله عليه وسلم، في حجته، على أن ابن رشيد ذكر في رحلته عن بعض الأئمة:"أن الخروج إلى عرفات من الثنية السفلى أيضا. فروي عن الحافظ أبي محمد علي ابن أحمد الأندلسي قال: كداء الممدودة هي بأعلى مكة عند المحصب، حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذي طوًى إليها أي صعد إليها. وكدى[4] -بالضم والتنوين-

(1) ساقطة من "ف".
(2) زيادة من "ف".
(3) "ع": المسمات.
(4) "ت": كدا.

بأسفل مكة عند ذي طوى بقريب من شعب الشافعيين[1]، عند قعيقعان حلق {رسول الله، صلى الله عليه وسلم}[2]، منها إلى المحصب فكأنه، صلى الله عليه وسلم، ضرب دائرة في دخوله وخروجه. بات، صلى الله عليه وسلم، بذي طوى، ثم نهض إلى أعلى مكة فدخل منها، وفي خروجه إلى أسفل مكة ثم رجع إلى المحصب. قال أبو محمد الأندلسي الظاهري أخبرنا بذلك أحمد بن محمد العذريعن كل من لقي من مكة من أهل المعرفة بمواضعها من أهل العلم بالأحاديث. في ذلك قال ابن رشيد[3]: "وإنما سلك، صلى الله عليه وسلم، هذا الطريق محلقا شبه الدائرة لأنه[4] لا يحصل التيامن في النزول والدخول إلى مكة والخروج عنها[5] إلا كذلك، فتأمله. والله أعلم"[6]. انتهى كلام ابن رشيد.

قال[7] الشيخ أبو سالم: "وما نقله ابن رشيد عن ابن حزم الظاهري من خروجه، عليه الصلاة والسلام، إلى عرفات من كدى، لم أر من ذكره من أهل السير والحديث، مع شدة تتبعهم لأفعاله، صلى الله عليه وسلم، في حجته، لما جمعت من معالم الشريعة وقواعدها وحضور جمع[8] من المسلمين لم يجتمع مثله قط في حياته صلى الله عليه وسلم، ومثل هذا لا يكاد يخفى من أفعاله في ذلك الجمع العظيم. فقد حفظ من أفعاله، صلى الله عليه وسلم، في تلك الحجة الجلي والخفي: حتى مباله صلى الله عليه وسلم في الشعب قبل الوصول إلى المزدلفة. فكيف يخفى هذا على أئمة الحديث والسّير؟ بيد أن {الحافظ}[9] أبا محمد بن حزم مغرم[10] بجمع الغرائب، مع[11] سعة اطلاعه، ووفور علمه، وكثرة حفظه الذي لا ينكره له موافق ولا مخالف، فقد ذكر بعض الأئمة أن أبا محمد بن حزم ساق حجة الوداع، في كتابه

(1) "ت": الشافعين، "ف":الشافعي.
(2) ساقطة من "ت".
(3) ملأ العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة: ج5، ص- ص:82-83.
(4) "ح1": كأنه.
(5) "ف": منها.
(6) ينظر ماء الموائد، ج1، ص:227 .
(7) "ع": فقال.
(8) "ت": جماعة.
(9) ساقطة من "ت".
(10) "ت": مغرما.
(11) "ف": بعد.

الذي أفرده لحجة الوداع، مساقا لا يمكن أن يسوقها كذلك حتى بعض من حضرها، لكثرة ما جمع ومبالغته في التتبع للطرق وجمع الروايات وترجيحها، وهو أهل لذلك . والمذكورعند سائر المحدثين أنه، صلى الله عليه وسلم، لم يزل نازلا من يوم دخوله [إلى][1] مكة إلى أن ارتحل ذاهبا إلى منى يوم التروية، ويبعد أن يرتحل من الأبطح وينحدر إلى مكة ثم يخرج من كدى ثم يصعد إلى كداء فينزل منها إلى الأبطح فيذهب إلى منى من غير حاجة أكيدة، لما في ذلك من المشقة الفادحة الحاصلة من تحليقه بأمكنة متعددة، حتى يعود إلى المكان الذي ارتحل منه، ومثل هذا ليس من الأفعال الجميلة[2]، ولو فعله، صلى الله عليه وسلم، لكان فيه أقوى [210- ب] دليل على مشروعيته وتأكيد العمل به، ولسأله أصحابه عن {السر}[3] في ذلك لمخالفته للعادة مخالفة قوية. ولو كان ذلك لنقل نقلا مستفيضا وصار من[4] أفعاله المطلوبة، وليس هذا مثل إدارته ناقته في محل لخفة الإدارة، وقد تكون لغرض اقتضاه الحال: مثل قصد العدول إلى ناحية أوإرادة تكلم [أحد فدارت الناقة][5] لأجل ذلك، وذلك كثيرا ما يقع للإبل، ومع ذلك فقد نقل. وليتأمل[6] ما ذكرناه[7]، والله والله تعالى أعلم"[8] انتهى.

ثم ارتحلنا من مر الظهران المسمى بواد الشريف، الموسوم[9] الآن على ألسنة العوام بواد[10] فاطمة {بعد صلاة الصبح}[11]، ومررنا على الطريق المعهودة إلى أن نزلنا عسفان عصر الاثنين، الرابع والعشرين من ذي الحجة {ثالث}[12] عشر فبراير.

ثم ظعنا من عسفان، وأضحينا بخليص، ونزلنا قدَيْدا قبيل الغروب.

---

(1) زيادة من "ف".
(2) "ف": الجبلية.
(3) ساقطة من "ع".
(4) "ف": في.
(5) "ح2": أحرف دارة.
(6) "ف": فليتأمل.
(7) "ت": ذكرنا.
(8) ينظر نفسه، ص: 228- 229 .
(9) "ح2": المرسوم.
(10) "ت": وادي.
(11) ساقطة من "ت".
(12) ساقطة من "ف".

ثم ارتحلنا منه، ونزلنا برابغ حتى صلينا[1] المغرب، وتجاوز الركب ونزلنا بسيط[2] أفيح غربي رابغ بعد الغروب[3].

ثم منه، وصلينا الظهر بمستورة، والنفوس[4] بما حصلت وما ستحصله مسرورة، وبتنا بعد المغرب بقاع البزوة، والناس في حبور وثروة.

ثم منه سحرا آمين خير القرى، ونزلنا قبل[5] الاصفرار[6] بدرا يوم عروبة، والأركاب في نظرة وأطروبة، الثامن والعشرين من ذي الحجة سابع عشر فبراير، ثالث فصل الربيع على حساب[7] الفلاحين.

ثم ارتحلنا منه يوم السبت، وجئنا الجديدة بعيد العصر، وبات الناس بها لخزن أموالهم وأحمالهم وما يفضل من زاد وعلف إلى أن يرجعوا من المدينة، وتلك عادة الركب المغربي والمصري، بل الغالب[8] [أن][9] المصري يبعثون أحمالهم[10] {وأثقالهم}[11] من بدرإلى الينبع مع الأعراب والفلاحين الذين لا غرض لهم في الزيارة بل لا قصد لهم إلا في الكراء. وبها بركة عظيمة تعين الناس في سقي إبلهم وملء قربهم؛ بناها أمير الركب {الشامي}[12] لأن ماء القرية التي ينزل بها الحاج قد تغور في وقت الغيض، فيرجع الناس إلى البركة على أنه ليس في بلاد الحجاز مكان أشد حرا من هذه الخيوف، فيما علمنا؛ وبهذه {القرية}[13] مسجد جامع ببناء متقن تجري العين من تحته، من بناء الأمير رضوان رحمه الله، وكم له في طريق الحاج من مآثر ومعالم تدل على علو همته.

---

(1) "ت": صليت.
(2) "ح2": ببسيطا.
(3) "ف": المغرب.
(4) "ت": النفس.
(5) "ف": قبيل.
(6) "ع": الاسفرار.
(7) "ع": حسب.
(8) "ح2": غالب.
(9) زائدة في "ت".
(10) "ف": أموالهم والصحيح ما أثبتناه.
(11) ساقطة من"ف".
(12) ساقطة من "ت".
(13) ساقطة من "ت".

ثم ظعنا منه يوم الأحد، وقلنا بالغازية[1] ووجدنا بأوله[2] سبيلا به[3] ماء . وجئنا مسجد الغزالة، وهو من الأمكنة التي صلى فيها النبي، صلى الله عليه وسلم، وهوالمسمى عند المؤرخين بمسجد عرف الظبية، ثم سرنا صاعدين مع الوادي حتى أتينا الروْحا وقت الظهيرة، وتفرّق الناس بأشجارها يستظلون، ولوقت صلاة الظهر ينتظرون، ووجدنا بئرها يابسا لا ماء به وحوله بركة معطلة، وبإزائها مسجد وثيق البناء صحيح، وصلينا به الظهر. "ولو قيض الله لذلك الموضع من يعمره لكانت فيه إعانة للحجاج، ولكن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

وقد ذكر السيد السمهودي قريبا من البئر مسجدا من مساجده، صلى الله عليه وسلم، ولا أدري هل هو المبني الآن أوغيره"[4]. ثم سرنا وصلينا العصر بملل بعدما تجاوزنا السيالة. ومررنا على شرف الروحا، وهو {المكان}[5] المسمى الآن بقبور الشهداء اصفرارا. "وقد ذكر بعض الناس أن الشهداء الذين سميَ بهم المكان قوم قد قتلوا هنالك ظلما. وقد ذكرأيضا السمهودي مسجدا من مساجده، صلى الله عليه وسلم، بشرف الروحا"[6].

قال أبو سالم: "وهناك مكان محوط {عليه}[7] بحجارة، شبه مسجد، يزوره الناس وأظنه هو. وفي شرف الروحا آثار آبار معطلة وبنيان داثر؛ وقد كانت هناك في القديم قرية، ولم يبق الآن بها شيء من ذلك"[8]. وأخبرنا أن وراء الجبل بلد خال فيه آبار وبعض نخيل، وأظنه السقيا، [فإنه قريب من شرف الروحاء. وتجاوزنا شرف الروحا، فسرنا إلى[9] مغيب {الشفق}[10]، فبتنا ورأينا هلال محرم ليلة الاثنين، وأهل طيبة، على مشرفها أزكى السلام وأطيبه، رأوه ليلة الأحد.

---

(1) "ح2": النازية،"ف": النارية.
(2) "ف": بأولها.
(3) "ف": فيه.
(4) ينظر ماء الموائد، ج1، ص: 231 .
(5) ساقطة من"ت"
(6) ينظر نفسه .
(7) ساقطة من "ف".
(8) ينظر نفسه .
(9) "ت": حتى.
(10) ساقطة من "ف".

ثم ظعنا يوم الاثنين، ثاني المحرم، عازمين على دخول المدينة المشرفة في ذلك اليوم، فتراسلت الناس أفواجا وتتابعت بحور الأركاب أمواجا كأنها البحرفي سيرها، أو البرق في خفة أمرها، ولم يعبإ الناس بما لاقوا من النصب لشدة الفرح، الذي استولى على الترح، وإذ عمرت[1] القلوب بالمسرات، ذهلت الأجسام بما[2] تلاقي من المضرات، وإذا تنعمت بروح القرب الأرواح[3] [211- أ]، لم تبال بما حصل من المشقة للأشباح[4] وأي مسرة أعظم من الدنو من دار الرسول [صلى الله عليه وسلم][5]، وأي لذة أهنأ وأمرأ من تنشق نسيمها الذي هو غاية المنى والسؤل؛ فلعمري لقدانتعشت الأجسام[6] بعدما ذبلت، وطلعت شموس الأفراح بعدما أفلت، أفلت، وانبسطت أنوارها من القلوب إلى الوجوه فأشرقت، وسرى إجلالها وإبكارها من الأفئدة إلى الرؤوس فأطرقت، وظهر أثر النشاط والمرح[7] في الركائب فأسرعت وخبت من دون حاد ولا سائق وأوضعت، وكان ما ينالها- من سموم النصب ولهيب- التعب نسيم السحر، وكان عرفها مع الأعناق بليل المطر، لا تلوي إلى سمرة خضراء، و{لا}[8] تألوا ما أسرعت في مومات غبراء[9].

قال الإمام أبوسالم: "وعندما شاهدت من صنيعها الغريب ما شهدت[10]، ترنمت فوق الأكوار وأنشدت: (الطويل)

خَلِيلَيَّ مَا لِلْعِيسِ فِي سَيْرِهَا تَعْدُو ... وَمِنْ قَبْلُ أَعْيَت مَنْ يَسُوقُ وَمَنْ يَحْدُو

كَأَنَّ[11] لَهَا عِلْماً يَقِيناً بِأَنَّهَا ... لِقَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ أَصْبَحَتْ تَغْدُو

لِذَلِكَ لَمْ تَجْزَعْ لِحَرٍّ أَصَابَهَا ... كَمَا جَزِعَتْ[12] بِالأَمْسِ إِذْ مَسَّهَا الجَهْدُ

---

(1) "ت": غمرت.
(2) "ف": عمّا.
(3) "ح1": الأرواد.
(4) "ف": الأشباح.
(5) زيادة من "ح1".
(6) "ف": الجسوم.
(7) "ح1": المدح.
(8) ساقطة من "ت".
(9) "ح1: مرمات.
(10) "ح2": شاهدت.
(11) "ت": كأن.
(12) جزع: يجزع جزوعا: لم يصبر على ما نزل به، ينظر اللسان مادة (ج – ز– ع).

فَلاَ تَعْجَبُوا مِنْ عِلْمِهَا بِاقْتِرَابِهَا وَلَيْسَ لَهَا بِالدَّارِ مِنْ قَبْلُ ذَا عَهْدُ
فَفَضْلُ رَسُولِ اللهِ فِي الكَوْنِ ظَاهِرٌ أَقَرَّتْ بِهِ العَجْمَاءُ وَالحَجَرُ الصَّلْدُ
وَأَنْوَارُ أَرْضٍ حَلَّهَا قَدْ تَلأْلأَتْ أَحَسَّتْ بِهَا الأَبْصَارُ وَالعَظْمُ وَالجِلْدُ
دَنَتْ قَدَنَتْ أَعْلاَمُهَا فَبَدَا لَنَا مِنَ الشَّوْقِ فِي الأَحْشَاءِ مَا لَمْ يَكُنْ يَبْدُو
عَلَيْهَا مِنَ الرَّحْمَنِ أَزْكَى تَحِيَّةً تَدُومُ دَوَاماً مَا لآخِرِهِ[1] حَدُّ
تَكَادُ مِنَ الأَشْوَاقِ أَرْوَاحُنَا لَهَا تَطِيرُ وَلَمْ تَجْزَعْ وَإِنْ نَالَهَا كَدُّ
وَلَوْلاَ الَّذِي قَدْ عَافَهَا مِنْ جُسُومِهَا لَطَارَتْ ولَكِنَّ الجُسُومَ[2] لَهَا قَيْدُ
وَكُنَّا نَظُنُّ القُرْبَ يُذْهِبُ بَعْضَ مَا بِهَا فَإِذَا بِالقُرْبِ زَادَ لَهَا الوَجْدُ
وَلِمَ لاَ وَآيُ الوَصْلِ مُحْكَمٌ ذِكْرِهَا غَدَانَا سُخَامًا كَانَ يَقْرَؤُهُ بُعْدُ
أَتَاحَ لَنَا الرَّحْمَنُ فِيهَا إِقَامَةً بِخَيْرٍ إِلَى أَنْ يَحْتَوِي الجَسَدَ اللَّحْدُ
بِجَاهِ حَبِيبِ اللَّهِ أَفْضَلَ مَنْ لَهُ تَوَسُّلُ مَنْ لَمْ يُغْنِهِ الجِدُّ وَالجَدُّ
عَلَيْهِ صَلاَةُ اللَّهِ مَادَامَ وَصْلُهُ يَزِيدُ لَهُ شَوْقِي إِذَا ذُكِرَت نَجْدُ"[3]

ولم نزل ذلك اليوم في أرغد عيش، وإن كان لتباريح[4] الشوق {غير}[5] خال خال من الطيش، فلا تسمع الآذان[6] إلا ذكر الحبيبة مسكن الحبيب، ولا تشاهد الأعين إلا مشاهد تمت إليها بنسب قريب، والزور[7] في كل واديهم يهرعون، والى الارتقاب فوق كل مرقب يسرعون، ليشاهدوا بعض تلك القباب، فتتمتع العين قبل تمتع الجسم بالدخول من الباب، وأول مكان منه قبابها وأسوارها، ونشاهد منه،

(1) "ح1": آخرها.
(2) الحسود.
(3) ينظر ماء الموائد،ج1، ص: 232– 233.
(4) "ف": تباريح.
(5) ساقطة من"ت".
(6) "ت": الاذن.
(7) "ف": الزوار.

بالبصر والبصيرة أدوارها، الجبل المسمى بمفرح، إذ لا يبقى بعد الصعود إليه هم مبرح، فتسارع الناس عند الدنو منه لصعوده، وتباشروا برؤية منزل الرسول وشهوده، فلم ينخلف عن الصعود إليه إلا من لا قدرة له عليه.

قال شيخنا أبو سالم: "وفي ذلك {قلت}[1] هذه الأبيات ذاكرا لبعض المعالم التي هي للقرب من أصدق الآيات: (الكامل)

يَا صَاحِبِي[2] نِلْتَ المُنَى فَاسْتَبْشِرِ ... وَدَنَوْتَ مِنْ دَارِ الرَّسُولِ الأَطْهَرِ

وَبَدَتْ مَعَالِمُ طَيْبَةٍ لَكَ فَاسْتَمِعْ ... أَوْصَافَهَا مِنْ صَادِقٍ لَكَ مُخْبِرِ

هَذَا مُفَرِّحُ كَاسْمِهِ وَكَأَنَّه ... يَاقُوتَةٌ رُشَّتْ بِذَائِبِ عَنْبَرِ [211- ب]

وَأَمَامَهُ البَيْدَاءُ شَعْشَعَ نُورُهَا ... لِبَصَائِرِ الزُّوَّارِ هَلْ مِنْ مُبْصِرِ

وَعَلَى يَمِينِكَ قَدْ بَدَا عَيْنٌ يُرَى ... بِالقُرْبِ كَالثَّوْرِ العَقِيرِ الأَعْفَرِ

وَأَنِخْ رِكَابَكَ بِالمُعَرَّسِ إِنَّهُ ... لَمُبَارَكٌ وَبِمَائِهِ فَتَطَهَّرِ

وَأَحْدُ الرِّكَابَ مَعَ العَقِيقِ مُنَعِّماً ... عَيْنَيْكَ فِي ذَاكَ المَكَانِ النَّيِّرِ

يَاحَبَّذَا أُحُدٌ نَرَاهُ يُحِبُّنَا ... وَنُحِبُّهُ جَبَلٌ جَمِيلُ المَنْظَرِ

فَكَأَنَّهُ[3] هُوَ حُلَّةً مِنْ عَسْجَدٍ[4] ... صُبِغَتْ جَوَانِبُهاَ بِمِسْكٍ أَظْفَرِ[5]

وَإِذَا أَتَيْتَ لِحَرَّةٍ غَرْبِيَّةٍ ... وَعَلَوْتَ غَارِبَهَا عُلُوَّ مُشَمِّرِ

وَدَنَا النَّقَا وَبَدَا المُصَلِّيَ[6] فَاغْتَبِطْ ... بِالقُرْبِ مِنْ أَصْلِ المَفَاخِرِ فَافْخَرِ[7]

وَاتْرُكْ قُبَا مِنْ عَنْ يَمِينِكَ وَاجْعَلَنْ[8] ... سَلْعاً فِدَيْتَكَ فِي الجَنَابِ الأَيْسَرِ

---

(1) ساقطة من "ع".
(2) "ح2": يا صاحي.
(3) "ف": فكأنما.
(4) عسجد: اسم لنبات جميل المنظر بخضرته.
(5) أظفر: الرائحة الطيبة التي تكون في الثوب
(6) "ت": المطل
(7) "ف": وافخر.
(8) "ت": اجعلا.

وَاصْـعدْ تِجَاهَـكَ يَعْتَرِضُـكَ مُهَنِّئـًا بُطْحَـانُ دُونَ مُنَاخِـهِ وَالعُنْصُـرِ

مَـا بَعْـدَ ذَاكَ سِـوَى الدُخُـول لِطَيْبَـةٍ بِسَكِينَـةٍ تَمْـشِي بِـدُونِ تَكَبُّـرِ

يَـهْدِيكَ لِلْحَـرَمِ المَكِـينِ شَـذَاهُ مِـنْ بَـابِ السَّـلاَمِ ادْخُلْـهُ دُونَ تَصَبُّـرِ

وَعَـنِ الصَّـلاَةِ عَلَـى النَّبِـي مُسَلِّمـاً مَهْـمَا قَرُبْـتَ لِـدَارِهِ لاَ تَفْتُـرِ

وَاعْلَـمْ بِأَنَّـكَ إِنْ وَقَفْـتَ مُصَلِّيًـا مَـا بَـيْنَ رَوْضَـةِ سَيِّـدِي وَالمِنْبَـرِ

فِـي رَوْضَـةٍ مِـنْ جَنَّـةٍ مُتَقَلِّبـاً مِـنْ أَرْضِهَـا فِـي طَاهِـرٍ وَمُطَهِّـرِ

تَغْشَـاكَ مِـنْ رَحَمَـاتِ رَبِّـكَ نَفْحَـةٌ تَـحْظَى بِهَـا دُنْيَـا وَيَـوْمَ المَحْشَـرِ

فَلأَنْـتَ بَيْنَهُمَـا يَقِيـنًا وَاقِـفٌ مَـا بَـيْنَ جَنَّـةِ عَـدْنٍ وَالكَوْثَـرِ

فَـإِذَا وَقَفْـتَ أَمَـامَ وَجْـهِ نَبِـيِّه حَيَّـاكَ بِالرِّضْـوَانِ مِنْـهُ الأَكْبَـرِ

فَهُـنَاكَ تَسْـتَجْلِي البَصِـيرَةَ إِنْ صَـفَّتْ أَصْـلَ الجِمَـالِ بَـدَاَ بِـأَعْظَمِ مَظْهَـرِ

فَتَـرَى العَوَالِـمَ كُلَّهَـا بِجَمَالِهَـا وَجَلاَلِهَـا حَضَـرَتْ بِأَقْـدَسِ مَحْـضَـرِ

أَصْـلُ الوُجُـودِ وَمَنْبَـعُ الجُـودِ الَّـذِي عَـمَّ المَظَـاهِرَ فِـي جَمِيـعِ الأَعْصُـرِ

نُـورُ الإِلَـهِ بِـهِ اسْتَنَـارَ عِبَـادُهُ دُنْيَـا وَأُخْـرَى ذِي المُحَـيَّا الأَزْهَـرِ

مَحْمُـودُ كُـلِّ الخَـلْقِ أَحْمَـدُ حَامِـدٌ وَمُحَمَّـدٌ بِمَقَـامِ حَمْـدٍ أَشْهَـرِ

صَـلَّى عَلَيْـهِ الـلَّهُ خَيْـرَ صَلاَتِـهِ وَالآلِ وَالأَصْـحَابِ أَكْـرَمِ مَعْـشَرِ"[1]

ولما تجاوزنا جبل مفرح بمسيفة قطعناها دون مين، وصلنا إلى منتهى أبعد الحرمين، وهو حرم الشجر الذي هو بريد في بريدد، وحده طرف البيداء، التي[2] بها الهموم تبيد، وقطعناها بفرح وسرور، ونشاط وحبو، وجئنا قبيل الزوال ذا الحليفة، وقد نسي كل إلف- من شدة السرور- إلفه. وهي البطحاء المباركة المكينة، وميقات

(1) ينظر ماء الموائد،ج/1 ص/233-234.
(2) "ت": الذي.

ساداتنا أهل المدينة، وبها[1] المعرس الذي أمر النبي، صلى الله عليه وسلم، بالتعريس بالتعريس فيه؛ فنحن في ذلك نقتفيه، واغتسل من أصحابنا من أرادهنالك، وتوضأنا[2]، وصلينا بمسجد ذي الحليفة وبالمعرس أيضا، ولم نزد أكثرمن ذلك لبثا، فهيأنا المراكب نحثها حثا، ويممنا المدينة، وعلى الكل أوفي لباس من السكينة، فسرنا، ولما وصلنا الحرة الغربية، وتباشرنا ببلوغ الأمنية، تلقانا الأخ الأود: أبو عبد الله، سيدي محمد الأخصاصي. وقلت له: "أردت أن تنظر لي موضعا ساترا أغتسل به". فقال: "نعم، نصل موضع العيد". ثم سرنا مليا غير بعيد، فقال: "هل[3] نميل لمحل المفتي فإن فيه [212- أ] موضعا جيدا". فصليت الظهر خارج المدينة بمسجد قيل إن النبي، صلى الله عليه وسلم، يوم[4] خرج لبدرعرض عليه الصحابة هناك، فأجازمن أجاز ورد الصغار. ولم نزل يومنا هذا في حل وارتحال، وانتقال من حال إلى حال، حتى إذا لاحت حدائق النخيل من المدينة والقباب، وتلك المآذن التي في الحرم الشريف على باب، تذكرنا قول القائل- ولقد صدق من قائل: (الطويل)

وَلَمَّا رَأَيْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدَعْ لَنَا ... فُؤَادًا يَعْرِفَانِ الرُّسُومِ وَلاَلُبَّا

نَزَلْنَا عَنِ الأَكْوَارِ[5] نَمْشِي كَرَامَةً ... لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُلِمَّ بِهِ رَكْبَا

فتلقانا المفتي خارج منزله على رجليه، ولواعج الوداد تبدوعلى عينيه، وليس على رأسه إلا عراقية، وفرح بنا {ورحب}[6] غاية. وأدخلنا إلى بستان فيه أشجار ومقعده فيه {باب داره}[7] مفرش، بالفرش والوسائد دائرة به وكتبه فيه. وأجلسنا هنالك[8] وسخن الماء وأتى به، وأدخلنا إلى حمام واغتسلنا، وأحضر بخورا وماء ورد، ورد، جزاه الله خيرا، ووقاه ضيرا فودعناه[9]. وسرنا، وإلى الحرم النبوي أممنا، ومن باب

(1) "ف": فيها.
(2) "ح2": توضأت.
(3) "ت": بل.
(4) "ف":لما.
(5) الأكوار: الدواب التي تركب.
(6) ساقطة من "ت".
(7) ساقطة من "ف".
(8) "ح1": هناك.
(9) "ت": فودعنا.

باب السلام إليه دخلنا، وكان دخولنا المدينة المشرفة بين ظهري الاثنين، ثاني المحرم فاتح إحدى وعشرين ومائة وألف.

فقدمنا تحية المسجد، فركعنا بمصلى النبي، صلى الله عليه وسلم، بإزاء العمود المخلق الكائن في روضة الجنة، وعظمت- علي من، الله- المنة، فتقدمت إلى الحجرة الشريفة، البهية المنيفة، ولما واجهت الضريح، وعدلت من حديث النفس[1] إلى البث البث الصريح، وأفصحت عما في النفس أي إفصاح، وألحت أي إلحاح، أخذت الدموع في الانحدار، ومناداة[2] البدار البدار، على ذلك الحال الأول، من توالي العبارات[3] والعهد الذي ما تحول: (مجزوء الكامل)

خَـــلِّ الدُّمـــوُعَ لِوَقْتِهَــــا ... يَـــا مُقْلَتِــــي وَتَمَتَّـــعِي

وَتغَنَّمِــــي طِيــــبَ اللُّقَــــا ... وَرِدِي لَذِيـــــذَ المَشْــــرَعِ

هَــــذَا الَّــــذِي يَــــوَمَ القِيَــــا ... مَـــةِ رَاحَ[4] خَيْــــرُ مُشَفَّــــعِ[5]

هَــــذَا الَّــــذِي إنْ جَــــادَ أَزْ ... رَى بِالغُيُــــوثِ الهُمَّــــعِ

فَتَرَقَّـــــبِي خِلَـــعَ القَبُـــــو ... لِ مَـــعَ النَّــــدَى المُتَنَـــوِّعِ

وَأَنــــَا الكَفِيــــلُ إِذَا أَرَحْــــ ... ــتُ مِـــنَ البُكَـــا أَنْ تَشْــبَعِي

فزرنا أكرم نبي، وأفضل رسول {وسلمنا عليه وعلى صاحبيه من قربه بأعظم مأمول، وأسنى سِؤل}[6]: (الطويل)

وَصَلْنَـــا إِلَيْـــهِ وَاتَّصَلْنَـــاَ بِقُرْبِـــهِ ... فَلِلَّـــهِ مَـــا أَحْلَـــى وُصُـــولاً وَصَلْنَـــاهُ

وَقُمْـــنَا وَسَلَّمْنَـــا عَلَيْـــهِ وَإِنــــَّهُ ... لَيَسْمَعُنَـــا مِـــنْ غَيْـــرِ شَـــكٍّ شَكَكْنَـــاه

وَرَدَّ عَلَيْنَـــا بِالسَّــــلاَمِ سَلاَمُنَــــا ... وَقَـدْ زَادَنَا فَوْقَ الَـذِي نَحْنُ أَرَدْنَاهُ[1]

(1) "ح2": من جدتنا إلى البث.
(2) "ع": منادات.
(3) "ح1": العبارات والصحيح ما أثبتناه.
(4) "ف": راج.
(5) "ت": ستشفع.
(6) ساقطة في "ت".

كَذَا كَانَ خُلْقُ الْمصْطَفَى وَصِفَاتِهِ ... بِذَلِكَ فِي الكُتْبِ الصِّحَاحِ وَصَفْنَاهُ

وَمَنْ كَانَ وَصَّى بِالسَّلاَمِ لأَحْمَدٍ ... فَبُشْرَاهُ بَلَّغْنَا السَّلاَمَ وَنُبْنَاهُ

وَثُمَّ دَعَوْنَا لِلأَحِبَّةِ كُلِّهِمْ ... وَكَمْ مِنْ حَبِيبٍ بِالدُّعَاءِ خَصَصْنَاهُ

وَمِلْنَا لِتَسْلِيمِ الإِمَامَيْنِ عِنْدَهُ[2] ... فَإِنَّهُمَا حَقًّا هُنَاكَ ضَجِيعَاهُ[3]

ومتعت عيني بذلك الحرم، وكرعت في مناهل الفضل والكرم، ثم ذهبنا إلى منزلنا، ومحط رحلنا، بإزاء ديار العشرة[4]، الكرام البررة، اكتريناه بعشرين ريالا ونصف وستة مثاقيل أبي طرة، وهو لصهر بلدينا الحاج إبراهيم بن عبد الملك سيدي أحمد بن [أبي][5] موسى المرعشي، ووالده [هو][6] شيخ الفراشين[7] بالحرم الشريف، ولم يزل وإخوته إبراهيم، وخليل، ومصطفى، وحسن، ومحمد، وأبو بكر، وسيدي أحمد {هذا}[8] فيه المحبة التامة. وكان لا يفارقنا أيام إقامتنا في طيبة، ويسعى في قضاء مآربنا وكذا بلدينا الحاج إبراهيم. ومما من الله علي به أيام إقامتنا في طيبة[9] [212-ب]أن لازمت الصلوات الخمس بالمسجد النبوي وما أوقعنا، المنة[10] لله، صلاة في غيره بل في الروضة إلا صلاتين أوقعناهما[11] في غيرها من المسجد[12].

---

(1) "ف": زدناه.
(2) "ح1": عند.
(3) مطموسة في "ح1".
(4) "ح2": العشيرة.
(5) زيادة من "ف".
(6) زيادة من "ف".
(7) "ع": الفراسين.
(8) ساقطة من "ت".
(9) "ح2": و"ف": بطيبة.
(10) "ف": ولله الحمد وله المنه.
(11) "ع": أوقعناها.
(12) "ف":المساجد، وهذا يختلف على باقي النسخ.

[ذِكْر المَشَاهِدِ الَّتِي زُرْنَاهَا بِالمَدِينَةِ المُشَرَّفَةِ]

ولما اطمأنت بنا الدار واستقر القرار، وألقينا عصا التسيار: (الطويل).

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْناً بِالإِيَابِ المُسَافِرِ

خرجنا لزيارة أهل البقيع ذوي المجد الأثيل والقدر الرفيع، رضوان الله عليهم[1]، وتتبعنا الأماكن المشهورة هناك، فخرج معنا الأخ المصافي والزلال الصافي من له بمعالي الأمور أسنى[2] النواصي أبو عبد الله سيدي محمد الأخصاصي، واستصحب معه رقعة كتب فيها المشاهد والمزارات؛ إذ به بذلك جميل الاعتناء، وأوقفنا عليها، وأرانا جليها وخفيها، ودعونا الله عند كل مشهد، بما نرجو الله تعالى قبوله لنا، ولإخواننا وأحبابنا الحاضرين والغائبين ومشايخنا[3]. نسأل الله تعالى أن يعود ببركة ذلك علينا وعليهم في دنيانا وآخرتنا.

"وقد استوفى السيد السمهودي، في تاريخ المدينة، ذكر المشاهد الظاهرة بالبقيع أحسن استيفاء، فليراجعه من أراد تحقيق ذلك، ولنذكر بعض المشاهير ممن زرناه؛ وإلا فمقبرة المدينة لا مقبرة على وجه الأرض أشرف منها بالإجماع. فهي خارجة من الخلاف الذي في تفضيل المدينة على مكة، إذ لا تعلم مقبرة على وجه الأرض مثلها دفن فيها من سادات هذه الأمة وأفاضلها من الصحابة، خصوصا الخلفاء وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وأولاده وأكابر أهل بيته، وسادات التابعين وتابعيهم بإحسان؛ فهم أول زمرة تحشر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فيهم خلفاؤه وأعمامه وعماته، بنوه وبناته وولده إبراهيم وأزواجه وأكابر أهل بيته؛ والجم الغفير من أصحابه وأنصاره، وأولادهم وأتباعهم، فلا يشك مسلم أن ليس في أمة النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الزمرة التي تبعث في[4] المدينة .

---

(1) زيادة من "ت".
(2) "ع": أسنا.
(3) "ف": المشايخ.
(4) "ف": من.

وقد روي عن الإمام مالك رضي الله عنه أنه قال: دفن بالمدينة أكثر من عشرة آلاف من الصحابة. وبها شهداء {أحد وليس في غزواته صلى الله عليه وسلم أكثر من هذه الغزوة شهيدا}[1] وبها شهداء الخندق وبها شهداء الحرة، وليس من استشهد في الفتن التي بعد النبي صلى الله عليه وسلم أكرم منهم شهيدا. وكم وكم[2] فيها من مآثر ومشاهد يعلم بعضها بالنظر في تآليف من ألف في فضلها.

فأول ما يلقاك من المشاهد إذا خرجت على باب المدينة المسمى بباب البقيع، قبة فيها صفية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم، على يسارك وأنت ذاهب في الزقاق الذي في وسط البقيع إلى ناحية المشرق، وإن ملت، سور إلى اليمين مع سور المدينة، فهناك مسجد صغير قيل إن فيه موقف النبي صلى الله عليه وسلم {بالليل}[3] حين[4] خرج ليستغفر لأهل البقيع، وقيل هو زاوية دار عقيل ابن أبي طالب التي دفن فيها، وفيها دفن كثير من أهل البيت. وروى عن خالد بن عوسجة قال: "كنت أدعو ليلة إلى زاوية عقيل فمر {بي}[5] جعفر بن محمد فقال لي: أعن أثر وقفت هنا؟ فقلت: لا قال: "هذا موقف النبي صلى الله عليه وسلم، بالليل إذا[6] إذا[6] خرج يستغفر لأهل البقيع." قال المراغي: "وقد أخبرني غير واحد أن الدعاء هنا هنا مستجاب". فإذا مررت كذلك تحت سور المدينة يمينا إلى أن توازي قريبا من زاوية سور المدينة الذي فيه مشهد السيد إسماعيل، فهناك على يسارك القبة الكبيرة المماثلة[7] في الهواء، وفيها مشهد العباس ومشهد الحسن بن علي ومشهد أمه السيدة السيدة فاطمة الزهراء على المشهور رضي الله عنهم، وقبل أمامهم لجملة القبلة ومشهد زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق وكثير من أهل البيت. وبين هذا المشهد وزاوية دار عقيل، مشاهد متعددة إلى حجة المشرق:

ومنها مشهد أمهات المؤمنين يروى أن فيه أمهات المؤمنين كلهن ما عدا خديجة وميمونة رضي الله تعالى عنهن، وهو في قبلة المشهد المنسوب لعقيل.

---

(1) ساقطة من "ت".
(2) اكتفى ناسخ "ف": بكم واحدة.
(3) ساقطة من "ع".
(4) "ت": إذا.
(5) ساقطة من "ف".
(6) "ف": إذ.
(7) "ف": المؤثلة.

ومنها: المشهد المنسوب لعقيل. وفيه قبر ابن عمه أبي سفيان بن الحارث. [و][1] روي أن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه، رأى أن أبا سفيان بن الحارث يجول بين المقابر فقال: {يا}[2] ابن عمي مالي أراك هنا؟ فقال: أطلب [213- أ] موضع قبر، فأدخله داره، فأمر بقبر فحفره في قاعتها، فقعد عليه أبو سفيان ساعة ثم انصرف، فلم يلبث إلا يومين حتى توفي ودفن فيه.

ومنها: مشهد يقال أن فيه بنات النبي صلى الله عليه وسلم، كلهن رضي الله عنهن، ماعدا[3] فاطمة رضي الله عنها، وهو قرب مشهد عقيل. ولا شك أن من مات من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، في حياته كان يدفنه قرب عثمان بن مظعون لما ورد في الأحاديث الصحيحة[4] "أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات عثمان بن مظعون وضع عند رأسه حجرا وقال أعلم به قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهلي"[5] وهذا المشهد قريب من ذلك.

ومنها: مشهد سيدنا إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنه، فيه قبره وقبر عثمان بن مظعون فقد جاء في الحديث: "أن أول من دفنه [رسول الله][6]، الله][6]، صلى الله عليه وسلم، بالبقيع عثمان بن مظعون. فلما توفي ابنه إبراهيم قيل: قيل: يا رسول الله أين يحفر[7] له ؟ قال: عند فرطنا عثمان بن مظعون"[8]. وفي الحديث ما يدل على أن بنات النبي صلى الله عليه وسلم، هناك. فقد روى الطبراني عن ابن عباس لما ماتت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها، قال: "الحقي بسلفنا عثمان ابن مظعون"[9] والثابت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم، لم يحضر وفاة ابنته رقية لغيبته ببدر، وأنه حضر ابنتيه أم كلثوم وزينب، قال

(1) زيادة من "ف".
(2) ساقطة من "ت".
(3) "ع": ناعدي.
(4) "ت": الحديث الصحيح.
(5) لفظ ابن ماجة برقم 1561 عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى اله عليه وسلم:" أعلم قبر بن مظعون بصخرة ..." قال الألباني حسن صحيح . ولفظ الحاكم أطول مما ساقه المؤلف ج3 /209 رقم 4867.
(6) زيادة في "ف".
(7) "ف": نحفر.
(8) ينظر التمهيد لابن عبد البر ج 20، ص256 .
(9) صحيح من كتاب ا لمعجم الكبير ج/1/335 رقم 3103.

السيد السمهودي: "لعل المروي في الطبراني وارد في إحداهما ثم [قال][1]: والظاهرأنهن والظاهرأنهن جميعا عند عثمان بن مظعون لقوله عليه الصلاة والسلام لما وضع الحجر عند رأس عثمان بن مظعون: "أعلم به قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهلي"[2] رواه ابن ماجة والحاكم.

وفي ذلك المشهد أيضا، فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنهما، كما حققه السيد [السمهودي][3] واستدل لذلك بأحاديث ثم قال: وهذا صريح في مخالفة ما عليه الناس اليوم من المشهدالمنسوب إليها في زقاق ثم أقصى[4] البقيع، بل ليس من البقيع فيما حقق.

وفي هذا المشهد أيضا، قبر عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه. فقد روي عن حميد بن عبد الرحمن قال: أرسلت عائشة إلى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنها، حين نزل به الموت، أن هلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أخويك فقال: ما كنت لأضيق عليك البيت إني كنت عاهدت ابن مظعون أين مات دفن إلى جنب صاحبه ".

وفي هذا المشهد أيضا، سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. روي عن ابن دهقان قال: "دعاني سعد بن أبي وقاص، فخرجت معه إلى البقيع، وخرج معه بأوتاد حتى جاء موضع زاوية دار عقيل الشرقية الشامية، أمرني فحفرت حتى إذا بلغت باطن الأرض ضرب فيها الأوتاد، ثم قال: "إن هلكت فدلهم على هذا الموضع يدفنوني فيه". فلما هلك قلت ذلك لولده فخرجنا حتى دللتهم على ذلك الموضع فوجدوا الأوتاد فحفروا له هنالك".

وفي هذا المشهد أيضا، قبر عبد الله بن مسعود فقد روى ابن سعد في طبقاته أن ابن مسعود قال ادفنوني عند قبر عثمان بن مظعون".

---

(1) زيادة من "ف".
(2) لفظ ابن ماجة برقم 1561 عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى اله عليه وسلم:" أعلم قبر بن مظعون بصخرة ..." قال الألباني حسن صحيح . ولفظ الحاكم أطول مما ساقه المؤلف ج3 /209 رقم 4867.
(3) زيادة من "ح1".
(4) "ع": أقصا.

وفي هذا المشهد أيضا، قبر خيس بن حذافة السهمي زوج حفصة قبل النبي صلى الله عليه وسلم. فقد روى أنه دفن عند عثمان بن مظعون، وفيه أيضا قبر سعد بن زرارة رضي الله عنه.

قال السيد السمهودي، وبعد ذكره لما تقدم مبسوطا بأدلته: "فينبغي السلام على هؤلاء كلهم عند زيارة مشهد سيدنا إبراهيم معه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم على القول بأنها بالبقيع وهو الأرجح. وقد تقدم أنها في قبة العباس مع ابنها الحسن وذريته وهو الأولى إن شاء الله تعالى"[1].

قال أبو سالم:

"ومنها: مشهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، بموضع يسمى حس كوكب في أقصى البقيع من ناحية المشرق، عليه قبة عظيمة هائلة، وفي قبلته خارجه محوط بخشب مخروط، فيه قبر النقشبندي رضي الله عنه.

ومنها: مشهد ينسب لحليمة السعدية مرضعة النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها شامي مشهد عثمان إلى جانب الطريق عليه قبة لطيفة.

ومنها: مشهد الإمام مالك بن أنس رحمه الله[2] إذا خرجت من الباب البقيع كان مواجها لك على يمين زقاق البقيع الذي يشق وسطه، وإلى جانبه قبة يقال إنها لنافع مولى ابن عمر، وقيل لنافع القارئ، وقيل لبعض ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعالى عن جميعهم.

ومنها: المشهد المنسوب [213- ب] لفاطمة بنت أسد بأقصى[3] البقيع وقد تقدم عدم ارتضاء السيد [السمهودي][4] لذلك . قال عند ذكره لهذا المشهد: "والظاهر أنه مشهد سعد بن معاذ الأنصاري رضي الله عنه تعالى آمين".

ومن المشاهد التي هي قريبة من البقيع وليست فيه، مشهد سيدنا إسماعيل بن جعفر الصادق. وهو كبير يقابل مشهد [أبي][5] العباس في المغرب، وهو ركن سور

---

(1) ينظر ماء الموائد،ج1، الصفحات من 237 إلى 240 .
(2) "ف": رضي الله عنه.
(3) "ع": بأقصا.
(4) زيادة من "ح1".
(5) زيادة من"ت".

المدينة هناك، وبني قبل السور فصار بابه من داخل المدينة، والمسجد الذي بجانب المشهد لزين العابدين وعرصة المشهد داره، والبئر التي بين الباب الأول والمشهد بئره، وقد ذكر أنه يتداوى بها"[1]

قال شيخنا أبو سالم:"وهناك بئر أخرى في الرحبة الواسعة التي هي خارج المشهد يقال إنها هي التي يستشفى بمائها"[2].

[غالب أهل العراق روافض]

غريبة: قال شيخنا أبو سالم في رحلته:"لما قدم ركب أهل العراق، وكان غالبهم روافض، بل كلهم، وكانوا يكثرون زيارة مسجد السيد إسماعيل رضي الله عنه كغيره من مشاهد أهل البيت، وكانوا يأتون إليه أفواجا قلما ينقطع زائرهم منه أيام إقامتهم بالمدينة"[3]. قال فبينما نحن [يوم][4] جالسون، إذ جاءت طائفة منهم، فيهم بعض من يشار إليه، منهم فزاروا وسلموا وكان من جملة سلامهم أن قالوا: السلام عليك يا سيدنا إسماعيل، وبالغوا في تعظيمه إلى أن قالوا: نشهد أنك على دين أخيك موسى يعنون موسى الكاظم رضي الله عنه- ونشهد أنك غير مخالف له، متبع لطريقه، في هذيان كثير. وسبب ذلك والله أعلم أن الرافضة، قبحهم الله، منهم طائفة تقدم إسماعيل على أخيه، ويقولون إنه إمام بعد أخيه، وأنه أحد[5] الأئمة الاثني[6] عشر المعدودين عندهم، يعتقدون فيهم العصمة، وهذه الطائفة تسمى الإسماعيلية، وكثير منهم بأرض اليمن الآن، لهم مذاهب ينتحلونها، وآراء في العقائد يعتقدونها. ومن سوى هؤلاء من الروافض يعتقدون الإمامة لأخيه موسى الكاظم رضي الله عنه، ويعتقدون أن أخاه لا ينازعه، ويرون أن الإسماعيلية كاذبون عليه، ومفترون في ادعائهم الإمامة له؛ ولأجل ذلك ينزهون إسماعيل عن مخالفة أخيه رضي

(1) ينظر في ماء الموائد، ج/1ص/240-241.
(2) ينظر نفسه، ص/241.
(3) ينظر نفسه .
(4) زيادة من "ت".
(5) "ع": إحدى.
(6) "ع": الاثنا.

الله عنهما. ومن علم أحوال هؤلاء الأئمة من أهل البيت وأسلافهم وأولادهم رضي الله عنهم، وعلم ما كانوا عليه من تعظيم السنة ووفور العلم وتعظيم أصحاب جدهم صلى الله عليه وسلم، علم براءة ساحتهم من كذب هؤلاء الأرجاس، وافترائهم عليهم أحاديث ما أنزل الله بها من سلطان، ولا جاء بها في سنة نبيه بيان. ولما خرجت الطائفة المذكورة من المشهد[1]، وجاء إلى البئر الخارجة، وقفوا عليها وترحموا ودعوا وقال لهم كبيرهم: إن هذه البئر هي التي دخل فيها الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه، فغاب عن أعين الناس إلى الآن، وهم يظنون أنه قد مات أو كلام هذا معناه. فقضينا العجب من حمقهم، وقبح اعتقادهم في أهل البيت الذي آل بهم إلى تنزيههم عن الموت. وذلك معتقد الروافض بأجمعهم في الإمام الثاني عشر من أئمتهم {وهو محمد بن حسن العسكري رضي الله عنه يعتقدون أنه الآن حي، وأنه هو}[2] المهدي الذي يخرج في آخر الزمان الموعود به في الحديث الصحيح أنه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا. قلت: والعجب كل العجب من متابعة بعض أهل التصوف في ذلك لهم حسبما نقله سيدي عبد الوهاب الشعراني[3] عن بعض مشايخه، وأنه اجتمع به وأخبره بمقدار عمره، وأنه جاوز السبعمائة سنة إذ ذاك، بل في كلام بعضهم ما يشير إلى أن الشيخ محي الدين يقول بذلك، ولولا الإطالة لنقلت كلامهم في ذلك والعلم عند الله، فإن صح عن هؤلاء الأئمة أنهم قالوا ذلك، فنحن ممن يعتقدهم، ويجزم بصدقهم فيما يقولون؛ لأنهم خيار الأمة. إلا أنا نكل العلم إلى الله تعالى في فهم ما ورد عنهم في ذلك، إذ ليس في الشريعة قاطع يدل على كذب الروافض في هذه المسألة بخصوصها، وإن كانوا كاذبين في غيرها. وموافقة بعض أئمتنا الصوفية لهم في ذلك من جهة الكشف لا يقدح في كمال منصبهم لعدم القاطع[4] في كذبهم، ولا يدل أيضا على صدق الروافض فيما سوى ذلك ممن[5] تبين[6] كذبهم

(1) "ت": المسجد.
(2) ساقطة من "ت".
(3) هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، الشعراني، أبو محمد، من علماء الصوفية، فقيه، أصولي، محدث، مشارك في أنواع من العلوم، توفي بالقاهرة سنة 973 هـ/ 1565م . ينظر الأعلام ج4 ص 180 ومعجم المؤلفين ج2 ص 339 .
(4) "ت": القطع.
(5) "ت":مما،"ف": لما.
(6) "ت": يتبين.

كذبهم عنه[1] وافتراؤهم، فإن موافقة الحق للمبطل في جزئية لا دليل على بطلانها، {و}[2] لا يدل على صدق المبطل فيما سوى ذلك ولا على كذب الصادق {فيما سوى ذلك}[3].

وقد وافق كثير من الأئمة المحققين أهل الكشف الصادق، وآراء الفلاسفة في جزئيات مما ادعوه لم يقم الدليل على بطلانها، كما وافق كثير منهم[4] الجم الغفير من من المحققين من علماء الظاهر [214- أ] أهل الكلام فلا يشكل عليك ما تجده في كلام أئمة الطريق رضي الله عنهم موافقا للفلاسفة تارة وللروافض أخرى، فذلك لا يقع في كلامهم غالبا إلا فيما لم يقم دليل على بطلان قولهم فيه وإن فرض فيما سوى ذلك وما أبعده من جلالة منصبهم فهو مؤول قطعا. فشد يدك على ما قررنا، وهذه فائدة ساق الله تقريرها في هذا المحل ولم يكن تسطيرها قبل ذلك لنا على بال"[5] انتهى.

"ومنها: مشهد على يسارك وأنت مار في زقاق البقيع يقال إنه لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وقد ذكر السيد السمهودي المشاهد كلها التي ذكرناها إلا هذا والذي نسب لحليمة[6]، فلم يذكرهما ولا أدري هل حدث بناؤها بعده أو {لم}[7] تتضح[8] صحة نسبتهما لمن ذكر مع أن السيد قد ذكر أبا سعيد فيمن دفن دفن بالبقيع فروي عن عبد الرحمن بن أبي سعيد قال: قال لي أبي: "يا بني إني كبرت وذهب أصحابي وحان موتي فخذ بيدي فأخذ بيده حتى جاء إلى البقيع فجئت به {أقصى}[9] البقيع مكانا ليدفن فيه[10] إذا هلكت فاحفر لي هاهنا". فإذا ثبت أن قبره أقصى البقيع فلا يبعد أن يكون هذا قبره . وأما قبر حليمة فقال لم أر أحدا ذكر أنها دفنت بالبقيع والله أعلم. وعلى كل حال فيزار كل مشهد له نسبة إلى منتسب

---

(1) "ف": فيه.
(2) ساقطة من "ت".
(3) ساقطة من "ت".
(4) "ت": كثيرا منها.
(5) ينظر ماء الموائد /ج/1ص/241-242.
(6) "ع": للحليمة والصحيح ما أثبتناه.
(7) ساقطة في "ع".
(8) "ف": يتضح.
(9) "ع":أقصا.
(10) "ت": منه.

إلى الله وإلى رسوله ولو لم تصح نسبة المشهد إليه فإن لمجرد النسبة أثرا في حصول البركة.

ومن المشاهد التي تزار بالمدينة وليست بالبقيع ثلاثة:

أحدها: مشهد مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري وهو من شهداء أحد رضي الله عنهم، ومشهده[1] غربي المدينة بلصق السور {من داخله}[2] وعليه قبة {قديمة البناء}[3] ومحله من سوق المدينة القديم. روي عن أبي سعيد [الخدري][4] رضي الله عنه أنه قال: "أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من نقل من شهداء أحد إلى المدينة أن يدفنوا حيث أدركوا. فأدرك أبا مالك بن سنان عند أصحاب العباء أي الذين يبيعون [العباء][5] في طرق الحناطين ولابن زبالة فوافوه بالسوق فدفن عند {مسجد}[6] أصحاب العباء. وهناك كانت أحجار الزيت.

ثانيها: مشهد ذي النفس الزكية، وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم، وهو أخ السيد إدريس: أول أهل البيت قدوما للمغرب[7]، وعامة شرفاء المغرب من نسله إلا شرفاء سجلماسة فإنهم من نسل النفس الزكية، استوطن أسلافهم الينبع فقدم جدهم منه[8] إلى المغرب في [المائة][9] السابعة والله اعلم. ومشهده بناء في جوف مسجد كبير شرقي سلع. وفي قبلة المسجد منهل من عين الأزرق. وهذا هو المستفيض بين أهل المدينة.

قال السيد [السمهودي][10]: "و {قد}[11] ذكر {سبط}[12] ابن الجوزي أن كثيرا من الناس كان قد بايعه، فخرج على المنصور، بعد حبسه لأبيه وأقاربه[1]،

---

(1) "ح1": مشهد.
(2) ساقطة من"ح2".
(3) ساقطة من"ح2".
(4) زيادة من"ف".
(5) زيادة من"ف".
(6) ساقطة من "ف".
(7) "ف": إلى المغرب.
(8) "ع": منها.
(9) زيادة من "ت".
(10) زيادة من "ح1".
(11) ساقطة من "ت".
(12) ساقطة من "ف".

فجهز إليه المنصور عمه عيسى بن موسى في أربعة آلاف، وذكر قتله عند أحجار الزيت- أي عند مشهد مالك[2] بن سنان- وأن جسده دفن بالبقيع، وكان معه ذوالفقار، سيف علي، ثم انتقل إلى الرشيد فعلى هذا فقبره بالبقيع[3]، والمستفيض ما تقدم، والله تعالى أعلم.

وثالثها: مشهد سيد الشهداء، حمزة بن عبد المطلب، رضي الله عنه- وهو بأحد- فهذه المشاهد هي المعروفة بالمدينة، فينبغي الإكثار لزائرها أن يزورها ويسلم على أصحابها ويتوسل بهم إلى الله في بلوغ مآربه"[4].

نكتة: مما ينبغي لزائر المدينة، الإكثار من الصلاة في المسجد النبوي. فقد روى الإمام أحمد والطبراني في الأوسط ورجاله ثقات عن أنس بن مالك، رضي الله عنه: "من صلى في مسجدي أربعين صلاة لا تفوته صلاة كتب له براءة من النار وبراءة من العذاب وبرئ من النفاق،" ولفظ الصلاة، وإن كان شاملا للفرائض والنوافل، [فالظاهر من الحديث خصوص تلك بالفرائض بدليل زيادة الطبراني، لأن الفوات فيها أظهر، ولا يبعد إلحاق النوافل][5] المؤقتة بأوقات معلومة بها: كالوتر وركعتي الفجر- وإن ألحقنا[6] بها الرواتب والضحى والتهجد، خصوصا عند من لا يرى التحديد فيها كالإمام مالك، رضي الله عنه، اتسع الفضل ورجي حصول ذلك الفضل لمن أقام، ولو يوما واحد وحافظ على تلك الصلوات[7] في المسجد النبوي كحجاج المغرب، فإنهم في بعض السنين قد لا يقيمون إلا يوما واحدا، فلينتبه [لهذه الدقيقة وليحافظ عليها من قصرت إقامته بالمدينة ليحصل له هذا الفضل العظيم]، الذي فيه سعادة الدنيا والآخرة.

وأما من تطول إقامته بالمدينة ثمانية أيام فإنه يحصل هذا الفضل بالفرائض دون النوافل، كأهل الشام، فإنهم يتأخرون بالمدينة عن الأركاب المغربية والمصرية، [214-

---

(1) "ح2": قاربه.
(2) مطموسة في "ح1".
(3) "ف": في البقيع.
(4) ينظر ماء الموائد، ج1، ص- ص: 242- 243 .
(5) هذه الزيادة توجد في "ف": دون باقي النسخ الأخرى، والراجح أن ناسخ "ف" رجع إلى الأصل أي رحلة العياشي.
(6) "ف": ألحقت.
(7) "ع": الصلاة.

ب] ويتسع مجالهم في المدينة وينتفعون بالمشاهد من غير منازع ولا مدافع يقيمون العشرة الأيام فأكثر،" فيتمتعون بمشاهد تلك البقاع، ونصبت الأسواق، واتسعت الأرزاق، وقسمت الصدقات، وكثرت الارتفاقات، وبالجملة فلا ينتفع أهل المدينة بركب انتفاعهم بأهل الشام: فإنهم يقدمون بتجارات كثيرة، وطعام، وزيت، وأشربة، يبيعونها بالمدينة- عند قدومهم ويدخرون ما بقي الى الإياب، فيبيعون كل ذلك بالمدينة"[1].

قال أبو سالم: "ولأهل المدينة عند قدومهم عادة مذمومة، وهي أنها لا تبقى مخدرة من النساء -شريفة كانت أو وضيعة- إلا خرجت تباشر البيع والشراء بنفسها، ولهن في ذلك {الوقت}[2] على الرجال إتاوة يؤدونها لهن، يبتعن بها ما أحببن من اللائق بهن من طيب وشبهه، وربما لا تقنع إحداهن من زوجها[3] إلا بخمسين دينارا فما فوقها. فقد حكي لي أن امرأة بعض المدرسين بها- أعرفه- طلبت منه في ذلك اليوم ما تخرج به إلى السوق، على العادة، فدفع لها عشرة دنانير ذهبا، فاستلقتها وذهبت من شدة الغيظ فرمت[4] بها في المرحاض وأتلفتها عليه، وقالت له:"أمثلي يخرج إلى السوق بهذا المقدار؟" فلم يملك من أمره إلا أن ذهب وتسلف خمسين دينارا فدفعها لها. وهذه حسرة عظيمة وذل للرجال الذين جعلهم الله قوامين على النساء، فلا ينبغي لذي همة أن يرضى بذلك. بيد أن نساءهم يبالغون[5] في الستر الظاهر بحيث لا تبدو[6] من المرأة ولا[7] مغرز إبرة، حتى من أطرافها، يلبسن الخفاف السود ويتبرقعن[8] ويسدلن من أزرهن ما يكون نهاية في الستر، إلا أنهن يكثرن من الطيب عند الخروج، فيوجد عرف الطيب منهم من مسافة، فيكون ما سترنه[9] ظاهرا {و}[10] أبدينه باطنا، وبهذا فسر بعض العلماء قوله صلى الله عليه وسلم: "رب

---

(1) ينظر ماء الموائد،ج1، ص- ص: 244- 245 .
(2) ساقطة من "ع".
(3) "ح2": زوجه.
(4) "ع": فرميت.
(5) مطموسة في "ح1".
(6) "ح2": لا يبدو.
(7) "ع": ولو.
(8) "ف": يتبرقعن. وهو الأرجح.
(9) "ح2": سترته.
(10) ساقطة من "ع".

كاسية في الدنيا عارية في الآخرة"[1]. لأن الحكم في الآخرة إنما للحقائق، ومن هذه صفته من النساء، وإن اكتست في الظاهر، فهي في الحقيقة عارية لأن حقيقة التعري إبداء ما حقه أن يخفى، كما أن الستر إخفاء ما لا ينبغي أن يظهر. ولا خفاء أن عطر المرأة من أعظم زينتها وألذ ما يشتهي[2] منها. وقد أمرت بإخفاء ما هذا سبيله من أوصافها، فإذا ظهر منها ذلك فهي في الحقيقة عارية، وإن اكتست، فإن من العورات ما لا تواريه الكسوة ولا يواريه إلا تركه رأسا، أو الخلوة ككلام المرأة؛ والصحيح أنه عورة وكذلك عطرها، فلا يوازيه إلا تركه؛ ولذلك جاز لها الطيب المؤنث: وهو ما ظهر لونه وخفي ريحه، لأن اللون تستره الثياب، بخلاف الريح، فلا يستره إلا الترك رأسا أو عدم الخروج فليتأمل"[3] انتهى.

[ذكر المساجد التي تزاربالمدينة]

[لنسبتها إلى النبي[4]، صلى الله عليه وسلم]

"منها[5]: مسجد قباء[6]، وهو المسجد الذي أسس على التقوى في أصح الأقوال؛ وقيل هو مسجده عليه السلام كما ورد في حديث، وجمع بأنه يطلق على كل منهما"[7]. وينبغي زيارة هذا المسجد، ويختار كونها يوم السبت " كما[8] ورد في في الصحيح:"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي مسجد قباء كل سبت راكبا وماشيا وكان عبد الله يفعله2"[9]: يعني ابن عمررضي الله عنهما. وورد في فضل فضل هذا المسجد آثار كثيرة: منها ما روي عن عمر، رضي الله عنه، أنه قال: "لو

---

(1) أخرجه البخاري، ج1، ص: 379 رقم 1074 عن أم سلمة.
(2) وألذ ما يشتهى منها.
(3) ينظر ماء الموائد،ج1، ص: 245.
(4) "ف": للنبي.
(5) "ت": منها.
(6) مطموسة في "ح1".
(7) ينظر ماء الموائد،ج/1ص/247.
(8) "ح2": لما.
(9) صحيح البخاري، ج: 1، ص: 398، رقم الحديث: 1134.و صحيح مسلم، ج: 2، ص: 1016،رقم: 1399.

كان مسجدنا[1] هذا بطرف من الأطراف لضربنا[2] إليه أكباد الإبل". وعن سعد بن بن أبي وقاص[3]، رضي الله عنه: "لأن أصلي بمسجد قباء ركعتين أحب إلي من أن آتي بيت المقدس مرتين؛ ولو يعلمون ما في قباء لضربوا إليه أكباد الإبل". وعن زيد بن أسلم رضي الله عنه: "الحمد لله الذي قرب منا مسجد قباء ولو كان بأفق من الآفاق لضربنا إليه أكباد الإبل"[4] وعنه، عليه الصلاة والسلام، أنه قال: "الصلاة في مسجد قباء كعمرة"[5]. إلى غيرها من الأحاديث والأخبار"[6].

[وقد][7] أتيناه فدخلنا[8] وصلينا في مصلاه، صلى الله عليه وسلم، سبحة الضحى.

" وهو إلى حرف الأسطوانة التي في الصف الموالي المحراب المسجد عن يمين المصلى فيه، وهناك أماكن[9] أخر[10] ذكر أنه عليه الصلاة والسلام، صلى فيها، منها منها في رحبته، ومنها في زاويته الشرقية من الصف الأول. وقد ذكر السيد السمهودي ذلك كله وبينه أحسن بيان، وخارج المسجد من قبلته موضع يسمونه مسجد علي. قال السيد [السمهودي][11]: "لعله مسجد دار {خيثمة بل دار}[12] سعد بن خيثمة، فقد ورد أنه عليه الصلاة والسلام [215- أ] اضطجع فيها وتوضأ من المهراس الذي فيها.

قال: "وفي قبلته أيضا دار كلثوم بن الهدم الذي نزلها[13] عليه الصلاة والسلام لما قدم قباء. قلت: ولعل موضعه مسجد صغير آخر لم نجد من يسميه لنا"[1].

---

(1) "ت": قباء.
(2) "ح1": ضربنا.
(3) ينظر، فتح الباري،ج: 3، ص: 69.وقال: رواه عمر بن شيبة في أخبار المدينة بإسناد صحيح.
(4) مصدق عبد الرزاق، ج: 5، ص: 122،رقم: 9141 .
(5) ينظر سنن الترمذي،ج: 2، ص: 145.رقم: 324.وصححه الألباني، صحيح سنن الترمذي، رقم: 324. .324
(6) ينظر ماء الموائد،ج/1ص/247.
(7) زيادة من "ف".
(8) "ف": فدخلناه.
(9) "ت": أماكين.
(10) "ح2": أخرى.
(11) زيادة من "ف".
(12) ساقطة من "ف".
(13) "ح2"و"ف": نزل.

قال أبو سالم: "وقريب من مسجد قباء كناسة كبيرة من شرقيه يقال إنها مسجد الضرار1"[2]. ودخلنا الحديقة التي فيها بئر أريس وشربنا من مائها وتوضأنا منها[3] .

" ومنها مسجد الجمعة، وهو في طريق قباء على نحو ميل أو أقل من مسجد قباء على يمين الذاهب من المدينة على الطريق التي تمر بين النخل، ومن مر على طريق الحرة الغربية[4] فهو على يساره فقد روي أن النبي، صلى الله عليه وسلم، لما خرج من قباء في هجرته أدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، في بطن الوادي- وهي أول جمعة صلاها عليه السلام بالمدينة. وهذا المشهد اليوم في منخفض من الأرض قد أحاطت به حدائق النخيل[5] من أكثر جهاته، وفي شماليه أطم خراب- قيل إنه نخل[6] عثبان بن مالك رضي الله عنه، وفيه أثر مسجد صغير غير مسقف- يقال إنه المكان الذي صلى به، صلى الله عليه وسلم، {من بيته}[7]. ومسجد الجمعة في مستبطن[8] الوادي الذي يحول بينه وبين قومه {إذا سال، ومنازل قومه في}[9] غربي الوادي على طرف الحرة.

ومنها: الفضيخ وهومسجد صغير شرقي مسجد قباء على شفير الوادي على نشز من الأرض مردوم[10] بحجارة سود. فقد رُوِيَ عن جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما. قال:

"حاصر النبي صلى الله عليه وسلم بني النظير، فضرب قبته قريب من مسجد الفضيخ، وكان يصلي في {موضع}[11] مسجد الفضيخ ست ليال". وسمي مسجد

---

(1) ينظر نفسه.
(2) ينظر ماء الموائد، ج/1 ص/247.
(3) "ت": منها.
(4) "ت": المغربية. الصحيح ما أثبتناه.
(5) "ف": النخل .
(6) "ف": محل.
(7) ساقطة من "ع".
(8) "ع": مستبطين.
(9) ساقطة من "ت".
(10) "ح2":مردوم.
(11) ساقطة من "ت".

الفضيخ لما روي أن النبي، صلى الله عليه وسلم، أتى بفضيخ، وهو فيه، فشربه، وقيل غير ذلك، ويعرف الآن بمسجد الشمس. قال السيد:

"ولا أعلم سبب هذه التسمية".

ومنها: مسجد [بني][1] قريظة، قرب حرتهم الشرقية على باب حديقة هناك، وعنده خراب أبيات شمالي الحديقة من دور بنى قريظة وأطم الزبير بن باطيا القرظي[2] القرظي[2] داخل في هذا المسجد. ففي الصحيح أن النبي، صلى الله عليه وسلم، بعث إلى سعد بن معاذ، رضي الله عنه لما نزل بنو قريظة على حكمه، فلما كان قريبا من المسجد قال، عليه الصلاة والسلام، للأنصار رضوان الله عليهم "قوموا إلى سيدكم"[3] وليس المراد مسجد المدينة، لأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن بها بل مسجد بني قريضة، كما أشار إليه الحافظ ابن حجر قال: "وأخطأ من زعم أن لفظ المسجد غلط".

وهذا المسجد كبير عليه حظير من حجارة قريب من القامة، وفي زاويته الغربية الشمالية دكة كبيرة هي موضع منار المسجد قبل انهدامه. فقد روي أن النبي، صلى الله عليه وسلم، صلى في بيت امرأة من الحضر وأن المكان الذي صلى فيه هو موضع المنار.

ومنها: مسجد مشربة، أم إبراهيم عليه السلام. فقد روي أنه، عليه الصلاة والسلام، صلى في مشربة أم إبراهيم، عليه السلام، وسميت بذلك لأن مارية ولدت سيدنا إبراهيم بن نبينا، صلى الله عليه وسلم، فيها؛ وكان النبي، صلى الله عليه وسلم، أسكنها هناك؛ وهي من أموال مخيريق[4] والتي هي من صدقاته، صلى الله عليه وسلم. وهذا المسجد شمالي مسجد بني قريظة، قريب من الحرة الشرقية.

ومنها: مسجد بني ظفر، من الأوس، شرقي[5] البقيع بطرف الحرة الشرقية ويعرف الآن بمسجد البغلة. فقد روي أن النبي، صلى الله علي وسلم، صلى في

---

(1) زائدة في "ع".
(2) "ح2":القرضي.
(3) أخرجه: البخاري ج/4، ص/1511 رقم:3895. ومسلم ج/3، ص/1388،رقم:1768.
(4) "ع": مخيرين، والصحيح ما أثبتناه.
(5) "ع": لشرقي.

مسجد بني ظفر، وأنه أتى لبني ظفر في مسجدهم، فجلس على الصخرة التي في المسجد معه عبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وناس من أصحابه، وأمر صلى الله عليه وسلم، قارئا فقرأ حتى أتى على هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾[1][2] الآية، فبكى، الحديث[3]. وعند هذا المسجد آثار في الحرة من جهة القبلة، يقال إنه أثر {حافر بغلته، صلى الله عليه وسلم، وهناك أيضا أثر على حجر كان أثر}[4] مرفق يذكر أن النبي، صلى الله عليه وسلم، اتكأ عليه ووضع مرفقه الشريف عليه، وعلى حجر آخر أصابع، والناس يتبركون بها.

ومنها: مسجد الإجابة، وهو لبني معاوية بن مالك من الأوس، وهو شمالي البقيع قريب منه على يسار السالك إلى العريض، بإزائه تلول هي آثار قرية بني معاوية، ففي صحيح مسلم: "من حديث عامر ابن سعد عن أبيه أن رسول[5] الله، صلى الله عليه وسلم، أقبل ذات يوم من العالية حتى مر بمسجد بني معاوية دخل فركع ركعتين، فصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف إلينا فقال:"سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة. سألته ألا يهلك أمتي بالسنة[6] فأعطانيها وسألته ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألته ألا يجعل بأسهم [215- ب] بينهم فمنعنيها"[7]. وعن سعد بن أبي وقاص أنه كان مع النبي، صلى الله عليه وسلم، فمر بمسجد بني معاوية فدخل فركع ركعتين ثم قام فناجى ربه ثم انصرف. وعن محمد بن [أبي][8] طلحة: "بلغني أن النبي، صلى الله عليه وسلم، صلى في مسجد بني معاوية على يمين المحراب نحوا من ذراعين"[9].

قال السيد: فليتحر ذلك مع الدعاء قائما.

---

(1) سورة النساء، أول الآية 41، وتتمتها: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيداً﴾.

(2) في"ف": أدرج الناسخ تتمة الآية.

(3) صحيح البخاري، ج: 4،ص: 1673، رقم:4306.وصحيح مسلم، ج:1،ص: 551،رقم: 800.

(4) ساقطة من "ف".

(5) "ح1": النبي.

(6) السنة: القحط.

(7) صحيح مسلم ج/4 ص/2216 رقم 2890 عن عامر بن سعيد عن أبيه.

(8) زيادة من "ف".

(9) لم أجده.

ومنها: مسجد الفتح والمساجد التي في قبلتها. وتعرف اليوم كلها بمسجد الفتح، والأول هوالمرتفع على قطعة من جبل سلع في المغرب، يصعد إليه[1] بأدراج شمالية وشرقية {و}[2] هو المراد بمسجد الفتح عند الإطلاق، ويقال له مسجد الأحزاب، والمسجد الأعلى. وفي مسند الإمام أحمد برجال ثقات عن جابر بن عبد الله أن النبي، صلى الله عليه وسلم، دعا في مسجد الفتح ثلاثا يوم الاثنين ويوم الأربعاء، فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين، فعرف البشر في وجهه. قال جابر: فلم ينزل بي أمر مهم غليظ إلا توخيت تلك الساعة فأدعو فيها فأعرف الإجابة[3]. وروي أنه، عليه الصلاة والسلام، مر بمسجد الفتح الذي على الجبل، وقد حضرت صلاة العصر، فرقي فصلى فيه العصر[4]. وروي أنه، عليه الصلاة والسلام، دعا في مسجد الفتح يوم الأحزاب حتى ذهب الظهر وذهب العصر وذهب المغرب {ولم يصل منهن شيئا. ثم صلاهن جميعا بعد المغرب}[5][6].

قال أبو غسان: "وسمعت غير واحد ممن يوثق به يذكر أن الموضع الذي دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجبل هو اليوم[7] إلى الأسطوانة الوسطى الشارعة في رحبة المسجد.

قال السيد: ومحل ذلك اليوم ما يقابل محراب المسجد {من الرحبة}[8] لتوسطه، فإنه كان على ثلاثة أساطين بين المشرق والمغرب بمسقفه رواق واحد كما هو اليوم لكن غيرت أساطينه. وذكر الدعاء الذي ينبغي أن يدعى به في ذلك[9] الموضع، وهو: لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات و{رب}[10] الأرض ورب العرش العظيم، اللهم لك الحمد،

---

(1) "ع": إليها.
(2) ساقطة من "ت".
(3) مسند الإمام أحمد، ج:3، ص:332، رقم:14603.وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، رقم:1185.
(4) لم أجده.
(5) ساقطة من "ت".
(6) لم أجده.
(7) "ف": الموالي.
(8) ساقطة من "ف".
(9) "ع": هذا.
(10) ساقطة من "ع".

هديتني[1] من الضلالة فلا مكرم لمن أهنت، ولا مهين لمن أكرمت، ولا معز لمن أذللت، ولا مذل لمن أعززت، ولا ناصر لمن خذلت[2]، ولا خاذل لمن نصرت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا رازق لمن حرمت، ولا حارم لمن رزقت، ولا رافع لمن خفضت، ولا خافض لمن رفعت، ولا معطى لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا خارق لمن سترت، ولا ساتر لما خرقت، ولا مقرب لما أبعدت[3]، ولا مبعد لما قربت، اللهم أنت عضدي ونصيري بك أجول وبك أصول وبك أقاتل، اللهم يا صريخ المستصرخين والمكروبين، ويا غياث المستغيثين، ويا مفرج كرب المكروبين، ويا مجيب دعوة المضطرين، صل[4] على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم {تسليما}[5]، واكشف عني كربي وغمي وحزني وهمي، كما كشفت عن حبيبك ورسولك، صلى الله عليه وسلم، كربه وحزنه وهمه في هذا المقام. وأنا[6] استشفع به إليك، صلى الله عليه وسلم، في ذلك، فقد ترى حالي وتعلم عجزي وضعفي، يا حنان يا منان، يا ذا الجود والإحسان أسألك من خير ما سألك منه عبدك وحبيبك سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم. ويدعو بما أحب وينبغي أن يضم لذلك ما دعا به الشافعي عند دخوله على الرشيد في محنته. فقد روى أبو نعيم، من طريق الشافعي، أن النبي، صلى الله عليه وسلم، دعا به يوم الأحزاب وهو دعاء عظيم، وإن كان رفعه غير صحيح كما قال البيهقي وهو: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾[7] اللهم إني أعوذ بنور قدسك، وبركة طهارتك، وبعظمة كلامك من كل عاهة وآفة، وطارق الجن والإنس إلا طارق يطرق بخير، يا رحمن اللهم أنت ملاذي، فبك ألوذ، وأنت غياثي فبك أستغيث، يا من ذلت له رقاب الفراعنة وخضعت له مقاليد الجبابرة، اللهم ذكرك شعاري ودثاري ونومي وقراري، أشهد أن لا إله إلا أنت اضرب علي سرادقات حفظك، وقني رعيتي بخير منك يا رحمن.

---

(1) "ت": هديت.
(2) "ح1": أخذلت.
(3) "ح2": بعدت .
(4) "ف": صلى الله والصواب ما أثبتناه
(5) ساقطة من "ت".
(6) "ح1": إني.
(7) سورة آل عمران، الآية 18 وأول الآية 19.

قال: "وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ يوم الأحزاب: شهد الله [أنه لا إله إلا هو][1] إلى: "إن الدين عند الله الإسلام ثم قال: وأنا أشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة {وهذه الشهادة}[2] وديعة {لي}[3] عنده يؤديها يوم القيامة، اللهم إني أعوذ بنور قدسك، وعظيم ركنك، وعظمة طهارتك، من كل آفة وعاهة، ومن طوارق [216- أ] الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير {يا رحمن}[4]، اللهم أنت غياثي بك أستغيث، وأنت ملاذي بك ألوذ، وأنت عياذي بك أعوذ، يا من ذلت له رقاب الجبابرة، وخضعت له أعناق الفراعنة، أعوذ بك من خزيك، ومن كشف سترك، ونسيان ذكرك، والانصراف على شكرك، أنا في حرزك ليلي ونهاري، ونومي وقراري، وظعني وأسفاري، وحياتي ومماتي، ذكرك شعاري، وثناؤك دثاري، لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك، تشريفا لعظمتك، وتكريما لسبحات وجهك، أجرني من خزيك، ومن شر عبادك[5] واضرب علي سرادقات حفظك، أدخلني في حفظ عنايتك، وجد علي منك بخير يا أرحم الراحمين" انتهى.

قال: وتسمية هذا المسجد بمسجد الفتح لأن الاستجابة وقعت به، وجاء حذيفة بخبر رجوع الأحزاب ليلا به. فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وقد فتح الله عز وجل لهم ونصرهم ونصر وأقر أعينهم {وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: أبشروا بنصر الله وفتحه}[6]؛ وقول ابن جبير: أن سورة الفتح أنزلت[7] به لا أصل له"[8].

قلت: إنما أنزلت[9] بين مكة والمدينة في شأن الحُديبية فرجع[1] النبي، صلى الله عليه وسلم منها، وقد حيل بينهم وبين نسكهم وكان الصحابة بين الكآبة والحزن، فنزلت تسلية لهم وبشرى.

---

(1) زيادة من"ع".
(2) ساقطة من "ت".
(3) ساقطة من "ف".
(4) ساقطة من "ف".
(5) "ع": عذابك.
(6) ساقطة من "ت".
(7) "ت": نزلت.
(8) ماء الموائد، ج: 1، من الصفحات من: 247 إلى: 251.
(9) "ت": نزلت.

"وأما المساجد التي في قبلته، فقد روي عن معاذ بن سعد أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، صلى في مسجد الفتح، الذي على الجبل وفي المساجد التي حوله.

قال السيد: "وهو ظاهر في أنها ثلاثة غيره، فأحدها، الذي يلي المسجد الأعلى يعرف بمسجد سلمان الفارسي وثانيها: يلي[2] قبلة هذا المسجد، يعرف بمسجد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وثالثها: في قبلة الثاني على طرق جبل سلع جانحا لجهة المشرق، ويعرف بمسجد أبي بكر وهو أصغرها وفي باب المعروف[3] منها بعلي مأجل[4] ماؤه ينزل إليه بدرج.

وأهل المدينة يخرجون {إلى هذه المساجد لقصد التفرج في أيام كثيرة، ولهم يوم معلوم في السنة يخرجون}[5] إليها بالأخبية، والأطعمة الكثيرة، فيبيتون بها في لهو وطرب، وهو يوم النصف من شعبان"[6].

قال شيخنا أبو سالم: "وقد خرجنا مرة لزيارة المساجد، فوجدنا الأعلى منها مملوءا نساء، ولم نتمكن من الدخول [إليه][7]، وهن يطبخن فيه أنواع الأطعمة، ونساء المدينة لهن عوائد مذمومة في الخروج إلى التنزه والتفرج في البساتين والأماكن المنفسحة. ويسمون ذلك القائلة، فيقولون نقيل اليوم في الموضع الفلاني: وخروج الرجال لذلك أكثر. فتكلف المرأة زوجها من النفقة ما لا قدرة له عليه.

ومن الأماكن التي في عداد[8] المساجد، وينبغي التبرك بها والصلاة فيها: كهف سلع، وهو كهف بني حرام. فقد جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم[9] جلس به، وكان يبيت به ليالي الخندق.

قال السيد السمهودي:"والظاهر أنه المراد بما في الأوسط والصغير للطبراني، أن معاذ بن جبل خرج يطلب النبي، صلى الله عليه وسلم، فدل عليه في جبل ثواب،

---

(1) "ع": رجع،والأرجح ما أثبتناه.
(2) "ف": ففي.
(3) "ت": العروف.
(4) مأجل: حوض واسع يجمع فيه الماء، ينظر اللسان / مادة (أ – ج – ل).
(5) ساقطة من "ت".
(6) ماء الموائد، ج: 1، ص: 251.
(7) زائدة من"ع".
(8) "ح1": عدد.
(9) ينظر عمدة القاري، ج: 4، ص: 275.

فخرج حتى رقي جبل ثواب، فبصر به في الكهف الذي[1] اتخذ الناس إليه طريقا إلى مسجد الفتح، فإذا هو ساجد، قال: "فهبطت من رأس الجبل وهو ساجد فلم يرفع حتى أسأت به الظن فظننته قبضت روحه فقال: "جاءني جبريل بهذا الموضع. فقال إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول ما تحب أن أصنع بأمتك قلت الله أعلم فذهب ثم جاء إلي فقال: إنه يقول لا أسوءك في أمتك فسجدت فأفضل ما تقرب إلى الله به السجود"[2].

قال السيد: "جبل ثواب، لم أقف له على ذكر لكن وصفه الكهف بما ذكر ظاهر في إرادة الكهف المذكور بسلع، على يمين المتوجه من المدينة إلى مساجد الفتح من الطريق القبلية بقرب شعب بني حرام، فإن عن[3] يمينه، هناك مجرى سائلة تسيل من سلع إلى بطحان . فإذا دخلها صَعَدا يسيرا في المشرق كان الكهف عن يمينه، وأعلى منه في المشرق كهف آخر، لكنه صغير جدا . فالأول هو المراد، وإذا توجه من هذه السايلة[4] طالب[5] مسجد الفتح، كان شعب[6] بني حرام على يمينه، وهوشعب وهوشعب متسع به آثار مساكنهم وآثار مسجدهم الكبير[7] الذي زاد عمر بن عبد العزيز في بنائه. واختلف في صلاته، صلى الله عليه وسلم، بهذا المسجد، بناء على أن تحولهم إلى هذا الشعب كان في زمانه عليه الصلاة والسلام. فإنه روي أنه إنما كان في زمن عمر رضي الله عنه"[8] [216- ب] انتهى.

قال أبو سالم: "وأثر المسجد اليوم باق بأسفل الوادي، إلا أنه لا بناء عليه. إنما عليه خطر[9] صغير وهو لا يعرفه كثير من الناس {ولا يؤبه به. وكذلك الغار المذكور لا يعرفه كثير الناس}[10] ولا يقصد للزيارة.

---

(1) "ف": التي.
(2) المعجم الصغير، ج: 2، ص: 240، رقم: 1097.
(3) "ح1": على.
(4) هذه الكلمة مطموسة في "ع".
(5) هذه الكلمة مطموسة في "ع".
(6) "ح1": شعاب.
(7) هذه الكلمة مطموسة في "ع".
(8) ينظر ماء الموائد،ج/1ص: 251.
(9) الخِطْر: نبات يختضب به، أو الغصن، ينظر اللسان، مادة (خ – ط – ر).
(10) ساقطة من "ف".

{ومنها}[1]: مسجد القبلتين،{وهو لبني سلمة، وسمي مسجد القبلتين}[2] لأن القبلة حولت فيه.

قال السيد: "والأرجح أن تحويل القبلة كان بمسجد القبلتين والنبي، صلى الله عليه وسلم، يصلي به، وليحيا عن محمد بن [عمر][3] {الأخنس قال}[4]: "زار رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أم بشر ابن البراء، من بني سلمة، في بني سلمة فصنعت له طعاما- قال-: فحانت الظهر فصلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بأصحابه في مسجد القبلتين الظهر، فلما أن صلى {ركعتين}[5] أمر أن يوجه[6] إلى إلى الكعبة فاستدار رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى الكعبة واستقبل الميزاب وهي القبلة التي قال الله ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾[7] فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين[8] وهو غربي بطحان وسلع، قريب من العقيق في مكان مرتفع. والطريق إليه في آكام سود من الحرة وشعاب".

ومنها: مسجد السقيا الآتي ذكرها في الآبار، وليست السقيا التي بينها وبين المدينة مرحلة بل محل آخر بالحرة الغربية[9]، وهذا المسجد على يسار الذاهب إلى المدينة من العقيق في الحرة الغربية على طريق الحاج، عندما يقرب من المساكن ويشرف على المدينة. فقد روي أن النبي، صلى الله عليه وسلم[10]، عرض جيش بدر بالسقيا، وصلى في مسجدها، ودعا هناك[11] لأهل المدينة أن يبارك لهم في مدهم وصاعهم وان يأتيهم بالرزق من هاهنا. وها هنا قال السيد: "وقد تطلبت[12] المسجد

---

(1) "ت": وبها.
(2) ساقطة من "ت".
(3) زيادة من "ف".
(4) ساقطة من "ع".
(5) ساقطة من "ف".
(6) "ح1" يتوجه.
(7) سورة البقرة، بعض الآية 143، وتتمتها: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ، وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ، لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ، وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾.
(8) فتح الباري،ج:1، ص: 503.
(9) "ت": المغربية.
(10) عمدة القري،ج: 4، ص: 275.
(11) "ح2": هنالك.
(12) "ح2": طلبت.

بهذا المحل فرأيت رضما على روبية هناك، فأرسلت إليه بعض العمال ليحفر على أساسه، فظهر تربيعه، وبقية محرابه، ومن جدرانه أزيد من نصف ذراع في دورة[1] مبيضة بالفضة. فبني على أساسه الأول"[2].

قال الشيخ أبو سالم: "وهو اليوم مبنى بناء وثيقا يأوي إليه الغرباء في بعض الأحيان، خصوصا أيام الموسم، فإن الركب المصري، ربما وصلوا بالنزول في بعض السنين إلى تلك الناحية.

ومنها: مسجد ذباب[3]، ويعرف الآن بمسجد الراية، وهو على جبل صغير قريبا من سلع من شرقيه، قريبا من ثنية الوداع على يسار الداخل إلى المدينة من طريق الشام. فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على ذباب. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ضرب النبي صلى الله عليه وسلم قبته على ذباب. يعني في غزوة الخندق، والأرجح أن الخندق كان من ناحية ذباب أيضا.

قال السيد: "وقد رأيت لذباب ذكرا في أماكن كثيرة كلها متفقة على وصفه بأنه الجبيل المذكور، بحيث لا تردد عندي فيه".

قال: "ولعل اشتهاره بمسجد الراية لقول الواقدي في وصف اصطفافهم على الخندق، وكان يزيد بن هرمز في موضع ذباب يحمل راية الموالي وصفهم كراديس بعضها خلف بعض إلى رأس الثنية، يعني ثنية الوداع"[4].

---

(1) "ت": دوره.
(2) ماء الموائد،ج1، ص- ص: 252-253.
(3) "ع": دباب.
(4) ينظر ماء الموائد،ج1، ص: 253.

ذكر جبل أحد

و{ما}[1] بطريقه من المساجد {النبوية}[2]

وذكر مشهد سيد الشهداء حمزة ومن معه[3] رضي الله عنهم[4]

"جرت عادة أهل المدينة، شرفها الله، بزيارة قبر سيدنا حمزة، رضي الله عنه، كل يوم خميس، وربما باتوا هنالك ليلة الخميس في أغلب الأحوال."

قال شيخنا أبو سالم: "ولا أعلم لاختيارهم الزيارة في الخميس سببا إلا أن يكون ما ورد من أن الأموات يعلمون بزائرهم يوم الجمعة يوما قبله ويوما بعده فلما كان يوم الجمعة يضيف المشي فيه بسبب الاشتغال بمقدمات الصلاة وزيارة البقيع، ويوم السبت لزيارة قباء، لم يبق إلا يوم الخميس، وزيارة أحد والشهداء به من السنن المأثورة.

ففي صحيح البخاري:"أن النبي، صلى الله عليه وسلم، صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات"[5].

وفي حديث أبي داود: "خرجنا مع النبي، صلى الله عليه وسلم، نريد قبور الشهداء حتى إذا أشرفنا على حرة راقم، فلما تدلينا منها فإذا قبور، فقلنا: يا رسول الله، أقبور إخواننا هذه؟ قال: قبور أصحابنا. فلما جئنا قبور الشهداء قال: هذه قبور إخواننا"[6] وروي أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كان يأتي قبور الشهداء بأحد

---

(1) ساقطة من "ت".
(2) ساقطة من "ت".
(3) "ح1"و"ف": تبعه.
(4) "ح2":رضوان الله عليه.
(5) رواه البخاري ج 4، ص 1486 رقم 3816 عن عقبة بن عامر.
(6) سنن أبي داود،ج: 1،ص: 623، رقم: 2043.وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، رقم: 2043.

على رأس كل حول فيقول: "سلام عليكم [217- أ] بما صبرتم فنعم عقبى الدار، إذا أوجه الشعب فيقول: سلام عليكم بما {صبرتم}[1] فنعم أجر العاملين"[2]

وروي أن فاطمة رضي الله عنها كانت تزور قبر عمها حمزة رضي الله عنهما ترمه وتصلحه وقد علمته بحجر[3].

وروى الحاكم عن علي أن فاطمة رضي الله عنها كانت تزور عمها حمزة رضي الله عنهما كل جمعة فتصلي وتبكي عنده[4].

وروى البيهقي: أن النبي صلى الله عليه وسلم زار قبور الشهداء بأحد فقال: "اللهم إن عبدك ونبيك يشهد أن هؤلاء شهداء وأنه من زارهم وسلم عليهم إلى يوم القيامة ردوا عليه"[5].

والمشهور أن الذين أكرموا بالشهادة بأحد سبعون رجلا[6] أفضلهم وسيدهم حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهم[7]. وروي أن مصعب بن عمير[8] دفن معه في قبر واحد وأن عبد الله بن جحش معهما قال السيد: "والصحيح أنه ليس معه أحد في قبره، وأن مصعبا وعبد الله دفنا بقربه فيسلم على الثلاثة في مشهد حمزة رضي الله عنهم". والمشهد عليه قبة عالية متقنة، وبابه مصفح بالحديد، وحوله بناء متسع، فيه بئر وفيه أخلية[9] للوضوء متصلة بالسطح.

قال السيد: "والقبر الذي عند رجلي سيدنا حمزة – رضي الله عنه – والذي في الصحن، ليس من قبور الشهداء. وباب المشهد في سائر الأيام مقفل، لا يفتح إلا يوم الخميس، يأتي القيم من المدينة بالقصد لذلك. ولأهل المدينة موسم كبير في رجب، يختلفون فيه لزيارة حمزة والشهداء رضي الله عنهم. يأتي الناس إليه[10] من

---

(1) ساقطة من "ت".
(2) الاستذكار لابن عبد البر،ج: 3، ص: 153،بيروت: دار الكتب العلمية،ط:1/1421– 2000.
(3) لم أجده.
(4) لم أجده.
(5) لم أجده عند البيهقي، وهو عند الحاكم في المستدرك، ج:3، ص:31، رقم:4320.
(6) "ت": رجالا.
(7) "ح1":عنه.
(8) "ت":عمر.
(9) "ت":أخفيه.
(10) "ح2":عليه.

أقطار الحجاز من مكة واليمن والطائف والينبع، فيحشرها هناك خلائق لا يحصون، يقاربون ما يجتمع[1] في موسم الحج. ويخرج أهل المدينة إلا القليل بأولادهم ونسائهم. ونسائهم. ويخرجون معهم المضارب الحسان والخيام[2] الكبار. ويخرج أمراء المدينة وعسكرها، وتنصب الأسواق العظيمة هنالك. يخرجون من أوائل {رجب}[3]، ويلاحق الناس كل على قدر حاله، فيتكامل خروجهم في اليوم الثاني عشر، وهو اليوم المشهود {عندهم يوم الزينة، فلا يبقى بالمدينة إلا أهل الأعذار ومن شاكاهم ويحصل}[4] هنالك في تلك الليلة من أنواع اللهو والطرب واللعب أشياء كثيرة والرمي والرمي بالمدافع والمحارق ويبيت الناس طول ليلهم {ويومهم}[5] بالقراءة والزيارة حول القبر. ويوقد هنالك من الشمع شيء كثير"[6].

قال الشيخ أبو سالم: "وأصحاب شيخنا القشاشي، هم المتولون لوظيفة القراءة حول القبر لا تنقطع القراءة الليل بأجمعه والنهار بتمامه"[7].

قال: "وكبيرهم شيخنا الملا إبراهيم رضي الله عنه معهم لا يفارق ذلك المحل. وكيفية القراءة أن تجتمع جماعتهم كلهم، فيبدأ أحدهم فيقرأ جزءا فيستمع الباقون فإذا فرغ من جزئه أخذ الذي يليه في القراءة والآخرون يستمعون ثم كذلك سائر الليل والنهار"[8].

وقال: "وحُكي أن بعض الفقهاء بالمدينة كان ينكر على أهل المدينة خروجهم إلى أحد في رجب ويقول إن ذلك من البدع المذمومة لما يحصل في ذلك من أنواع اللهو والسرف في المطاعم وغيرها والتكلف في النفقات والخروج من المدينة بالأهل والأولاد والخيام[9] الشبيه بشد الرحال بل هو ما في ذلك من التشبيه بمواسم الحج في في الهيئة واعتقاد القربة، واعتياد يوم في السنة إلى غير ذلك من الأمور، التي لا ترى

---

(1) "ف":يجتمعون
(2) "ف":الخيم
(3) ساقطة من "ف".
(4) ساقطة من "ف".
(5) ساقطة من "ت".
(6) ينظر ماء الموائد:ج1، الصفحات: 253- 254- 255 .
(7) ينظر نفسه ص:255.
(8) ينظر ماء الموائد، ج 1، ص: 255 .
(9) "ف": الخيم.

توافق[1] في ظاهر الشرع. وكان ذلك الفقيه لا يخرج معهم إذا خرجوا ويشدد النكير عليهم في ذلك جدا، فبينما هو ذات يوم من الأيام التي تهيأ الناس فيها للخروج جالس في الروضة أو قريب[2] منها إذ غلبته عيناه فرأى النبي، صلى الله عليه وسلم، وهو يدخل ويخرج من الحجرة ويقوم ويقعد كفعل المتهيئ للسفر، وأثاث السفر معدة بين يديه فقال له: "[يا رسول الله ما هذا الذي أرى][3] أتريد الانتقال عنا والخروج من المدينة؟ قال: "لا إنما أريد الخروج لزيارة عمنا حمزة مع أهل المدينة" أو كلاما هذا معناه، فانتبه الفقيه من نومه وتهيأ للخروج مع الناس فتعجبوا[4] من ذلك وسألوه فأخبرهم بذلك ولا بدع، فإن للنبي صلى الله عليه وسلم تعلقا معنويا وموافقة روحانية لأمته في سائر شؤونهم وتقلباتهم، فيهتم بما يهتمون ويفرح بما يفرحون، ويسوؤه ما ساءهم. فما بالك بأهل المدينة الطيبة المطيبة. وكل[5] ذلك رحمة منه {لهم}[6] ورأفة ورأفة بهم وحنانا، ولا يمنعه من ذلك كون بعض شؤونهم قد يلابسها ويخالطها خلاف المشروع، فقد كان صلى الله عليه وسلم في حياته معهم على هذا الحال، وفيهم: المسيء والمحسن والطائع والعاصي بل المومن والمنافق، فيعلم جاهلهم ويرشد ضالهم ويرفق [217- ب] بالشارد[7] من الأخلاق منهم حتى ينقاد، ولم تحمله إساءتهم ولا عصيان بعضهم [بإيقافه][8] على موافقتهم، إذ لو تخلى عنهم لعوجل المسيء بالهلاك وخذل المطيع في طاعته ولم يبال الله بهم بالة، فكذلك حاله، أيضا صلى الله عليه وسلم، أيضا مع أمته بعد موته، وقد قال: "حياتي خير لكم {ومماتي خير لكم}"[9] الحديث[10] فهو معهم صلى الله عليه وسلم في كل أطوارهم وتقلباتهم

---

(1) "ث" و"ف": التي لا توافق.
(2) "ع": قريبا.
(3) هذه الكلمة مبتورة في "ث".
(4) "ح 2": فعجبوا
(5) "ع" و"ف": وكان، والصحيح ما أثبتناه.
(6) ساقطة من "ف".
(7) "ف": الشريد الأخلاق
(8) هذه الكلمة مطموسة في "ث". / "ف": نفاقه وهذه الكلمة تتنافى مع السياق.
(9) ساقطة من "ف".
(10) لم أعثر عليه بهذا اللفظ، واللفظ القريب منه في بغية الباحث عن رائد مسند الحارث، ج:2، ص: 884 رقم 953 عن بكر بن عبد الله المزني قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " حياتي خير لكم، تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم، تعرض علي أعمالكم، فما كان من حسن حمدت الله عليه، وما كان من سيء استغفرت الله لكم ".وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، رقم: 975.

وتقلباتهم بمدده الرباني وسره الحقاني يستغفر لمسيئهم {و}[1] يشفع له، ويشهد لمحسنهم ويستوهبه له من الله الزيادة، لا يخفى عليه شيء من أحوالهم ولا يغفل عنهم طرفة عين في كل شؤونهم، فلا يستبعد حضوره صلى الله عليه وسلم بروحانيته في محافل المسلمين ومواسمهم ومحل اجتماعهم على أية حال كانوا، فلو فارقتهم روحانيته الشريفة طرفة عين لضلوا عن وراء الطريق، ولهوت بهم الضلالة في مكان سحيق، فسبحان من به على عباده، وجعله برزخا بينه وبين أهل وداده، فما أرأفه بنا من إله! إذ جعله رسولا إلينا ورحمة علينا. نسأله سبحانه أن لا يخلينا من مدده صلى الله عليه وسلم طرفة عين، آمين. وتفهم[2] من هذا ما يحصل من الاجتماع العظيم من محال بعض الصالحين واشتماله على بعض المناكر ومع ذلك يحضره الأولياء وأرباب القلوب من الصالحين، فيشاهدون حصول مدده لكل زائر وسريان سره في سر كل حاضر وذلك كمولد[3] سيدي أحمد البدوي بمصر، ومولد الإمام الشافعي وعند سيدي أبي مدين و{عند}[4] سيدي أبي يعزى وسيدي أبي العباس السبتي بأرض المغرب، وعند مولاي عبد السلام بن مشيش يوم مولد النبوي وغير ذلك من الأماكن الشهيرة المنسوبة لكثير من الأولياء شرقا وغربا. فقد ذكر سيدي عبد الوهاب الشعراني في كثير من تآليفه عن جماعة من أهل الكشف أنهم يشهدون[5] النبي في مولد سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه، وأنه يحضره كل سنة مع اشتماله على كثير من الأمور التي لا تبغي"[6].

قال: أخبرني شيخنا سيدي أبو مهدي عيسى الثعالبي عن بعض مشايخه أن سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه عزم مرة على التخلف عن مولد سيدي أحمد البدوي وأن لا يذهب إليه لما وقع هنالك من المناكر، فلما عزم على ذلك وقرب الوقت رأى في النوم سيدي عبد العالي[7] خديم الشيخ سيدي أحمد وخليفته من بعده، فقال {له}[8] مباسطا: يا عبد الوهاب لا تنقطع عن زيارتنا ونحن نطعمك

(1) ساقطة من "ع".
(2) "ف": ولنتفهم.
(3) "ت": لمولد.
(4) ساقطة من "ت".
(5) "ح1": يشاهدون.
(6) ينظر ماء الموائد، ج 1، الصفحات: 255- 256- 257 .
(7) "ف": العالي.
(8) ساقطة من "ع".

نطعمك ملوخية، والملوخية عند أهل مصر والريف من أشهى الأطعمة التي لا كبير مئونة فيها. فلما استيقظ عزم على المشي فذهب فكان من الأمر الغريب الدال على صدق الرؤيا أنه ليلة وصوله لمكان الشيخ اتفق أنه لم يطبخ أحد في تلك الليلة في الزاوية كلها ولا في القرى التي حولها إلا الملوخية فكانت طعامه[1] وطعام أهل تلك الناحية كلها في تلك الليلة. والحكايات[2] {الدالة}[3] على أمثال هذا كثيرة من انتصار الأولياء لمن آذى من حضر محالهم[4] وانتهك حرمتهم ولو كان من أوذي ممن ممن يستحق ذلك في بادئ الرأي. ومع هذا كله، فلا يتخذ هذا ذريعة إلى الاستهانة بإقامة الحدود على من وجبت عليه في تلك المحال، وإلى التغافل عن إزالة المناكر الواقعة هنالك لمن قدر عليها، وإلى التعالي عن ذلك بل التنبه لذلك والاشتغال به لمن له قدرة عليه {من}[5] أفضل القربات لمن حسنت نيته ولا يمنعه عن[6] ذلك ما يقع لبعض {من تعاطى}[7] ذلك من الأمور التي هي كرامة لذلك الولي. فإن ذلك في الغالب لا يقع إلا لمن تكون نيته[8] صالحة في النهي عن المنكر، وقصد بذلك إظهار نفسه أو تنقيص ذلك الولي فإن فرض وقوعه لحسن النية فهو مما يزيده عند الله قربة ويقيم حرمة عبده المنسوب إليه المكان، ولله في ذلك أسرار خفية لا تخفى على[9] أهل القلوب الصافية. قال وإلى مثل هذا التقرير جنح شيخنا علامة الوقت سيدي عبد القادر الفاسي رضي الله عنه فيمن يأوى إلى قبور[10] الصالحين من الجناة وقد يكون على أحدهم حد من الحدود، فلا ينبغي إهماله. وإن أخرج[11] من المحل كان في ذلك هضم لحرمة الولي واستهانة بقدره عند العامة فليخلص من ابتلي بذلك

---

(1) "ع": طعاما.
(2) "ف": الحكاية.
(3) ساقطة من "ت".
(4) "ح1": لحالهم.
(5) ساقطة من"ع".
(6) "ف": من.
(7) ساقطة من "ت".
(8) "ف": له نية.
(9) "ح2": عن.
(10) "ت": لقبور.
(11) "ت": خرج.

عمله لله تعالى وليصدق الله في أمره فإن الله جاعل له من ذلك مخرجا."[1] والله الموفق.

[ذكر مشهد سيد الشهداء حمزة]

[ومن معه رضوان الله عليه]

"ومن الأماكن التي تنبغي[2] زيارتها في أحد قبور الشهداء سوى قبر حمزة ومن معه وأماكنهم ليست معلومة العين على التحقيق لكنها معلومة الجهة، فأما [218-أ] مصعب بن عمير وعبد الله بن جحش فيسلم[3] عليهما في مشهد حمزة كما تقدم وأما سهل بن قيس {من}[4] بني سلمة فقبره دبر قبر حمزة شاميا بينه وبين الجبل، وأما عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو[5] بن حرام ففي الموطإ أنهما في قبر واحد مما يلي المسيل.

قال الواقدي: "ومع عمرو بن الجموح في القبر خارجة بن زيد وسعد بن الربيع والنعمان ابن مالك[6] وعبد الله بن الحسحاس " قال أبو غسان: "وقبرهم مما يلي المغرب من قبر حمزة نحو خمسمائة ذراع" قال السيد: "وقد تأملته ووجدت ذلك بالربوة التي {هي}[7] غربي المسيل الذي هناك، ومجرى العين بقربهم من القبلة. وقد روي أن أبا أيمن مولى عمر بن الجموح معهم أيضا وكذا خالد ابن عمرو بن الجموح فيسلم على هؤلاء الثمانية هنالك".

قال {السيد}[8]: "وأما بقية الشهداء فلا تعرف[1] قبورهم والذي يظهر أنها بقرب الموضع المذكور، وقرب قبر حمزة رضي الله عن جميعهم وأسماؤهم مذكورة عن

---

(1) ماء الموائد، ج 1، ص: 257.
(2) "ف": ينبغي.
(3) "ف": فليسلم.
(4) ساقطة من "ث".
(5) "ت" عمر.
(6) "ع": ملك.
(7) ساقطة من "ع".
(8) ساقطة من "ف".

أهل السير. وفضل أحد على الجملة معلوم مشهور. وقد قال عليه الصلاة والسلام: "إنه يحبنا ونحبه"[2] وكان {ممن}[3] يأتيه. وقال إنه على باب من أبواب الجنة وترابه يشتفى[4] به".

قال الزركشي: "فينبغي أن يستثنى من المنع من نقل تراب الحرم تربة حمزة رضي الله عنه أي المأخوذة من المسيل الذي به مصرعه لإطباق الخلف والسلف على نقلها للتداوي من الصداع".

قال السيد: "وتربة صهيب أولى بذلك. وللطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأحد: "هذا جبل يحبنا ونحبه على باب من أبواب الجنة، هذا عير جبل يبغضنا ونبغضه على باب من أبواب النار"[5] عير جبل كبير على يسار ذي الحليفة وأنت خارج من المدينة وهو يقابل أحد إلى ناحية مكة من المدينة وأحد[6] إلى ناحية الشام".

قال السيد: "وسمي أحدا لتوحده وانقطاعه عن[7] جبال أخرى هنالك" ولما وقع من أهله من نص التوحيد ولا اسم أحسن من اسم اشتق من الأحدية بخلاف عير الذي هو اسم الحمار المذموم أخلاقا والحب في أحد من [الجانبين][8] حقيقة كما صححه النووي وغيره. ولذا كان من جبال الجنة إذ المرء مع من أحب ولا مانع من وضع الحب فيه كما وقع التسبيح من الجبال. وقد خاطبه {النبي}[9]، صلى الله عليه وسلم، مخاطبة من يعقل؛ فقال لما اضطرب "اسكن أحد". ولا ينكر وصف الجماد بحب للأنبياء، كما حنت الأسطوانة لمفارقته، صلى الله عليه وسلم، حتى سمع القوم حنينها. ومما ينبغي لزائر أحد أن يأكل شيئا من نباته. فقد روي عن زينب

---

(1) "ت" نعرف.
(2) البخاري، ج: 6،ص: 2672،رقم: 6902– ومسلم،ج: 2،ص: 993، رقم:1365.
(3) ساقطة من "ت" و"ف".
(4) "ف" . يستشفى.
(5) رواه الطبراني في الأوسط ج 6 ص 315 رقم 6505 من حديث عبد المجيد بن أبي عبس بن جبر عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أحد هذا جبل يحبنا ونحبه على باب من أبواب الجنة وهذا عير يبغضنا ونبغضه، وإنه على باب من أبواب النار ".
(6) "ع": ولأحد.
(7) "ت": من.
(8) هذه الكلمة محذوفة من "ت".
(9) ساقطة من "ع" و"ف".

بنت نبيط، وكانت تحت أنس بن مالك، أنها كانت ترسل ولائدها[1] فتقول: "اذهبي "اذهبي إلى أحد فاتني من نباته فإن لم تجدي إلا عضاها فأتني به". فإن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: "هذا جبل يحبنا ونحبه"، قالت[2] زينب: "فكلوا من نباته ولو من عضاهه".

قال: "وكانت تعطينا منه قليلا فنمضغه[3]" انتهى.

لطيفة: قال أبو سالم: "قد وقع البحث بين الطائفة المالكية ـ ونحن بالمدينة ـ عما يقطع من نبات الحرم المنتفع به للأكل كالخبز وغيره، فإنه يوتى به ويباع في الأسواق. فهل يحل للمالكي[4] ومن لا يرى جواز[5] ذلك شراؤه وأكله؟ فكنت أميل أميل إلى الجواز إذا كان القاطع لذلك والبائع له، ممن يرى جواز ذلك في مذهبه لأنه فعل ما يسوغ له شرعا، لأنا نقول بإصابة كل مجتهد وإن كنا نرى أن غيره أصوب. والممنوع عندنا إنما هو قطعه فلو وجد الإنسان شيئا منه مقطوعا بنفسه من غير أن يكون له سبب في قطعه جاز له الانتفاع به وهذا بعد القطع ووصوله إلى الأسواق بوجه سائغ لمتناول ذلك صار[6] في حقنا كالمقطوع بلا سبب إذ لا سبب لنا في قطعه، ولا يقاس النبات على صيد البحر الذي هو[7] ميتة لظهور الفرق بين الصيد والنبات، وللإجماع[8] على حرمة صيد المحرم والخلاف في نبات حرم المدينة. ولو فتح باب الامتناع من الشراء منهم لأدى ذلك إلى فساد كبير وحرج في المعاملات بالامتناع من ذبائحهم والشراء منهم والبيع لهم لوقوع الخلاف بين الأئمة في فروع كثيرة، من الذبائح والصيد وأبواب الربا فيمنع البعض ما يجيزه غيره، فلو كنا لا نشتري إلا ممن يتقي الربا على مذهبنا ويشترط في الصيد والذبيحة واللقطة ما نشترطه لأدى ذلك إلا ضيق وحرج وتضليل بعض الأمة {لبعض}[9] وهو بعيد من نظر الشارع فكما صح لنا الاقتداء به في الصلاة صح لنا أيضا في غيرها مما يقع به

(1) "ف": وليدتها.
(2) "ح1": قال، والصحيح ما أثبتناه.
(3) ينظر ماء الموائد، ج: ص-ص: 258-259 .
(4) "ع": لمن .
(5) "ع": جوازه.
(6) "ف": فصار.
(7) "ع": هي.
(8) "ت": والإجماع، والأرجح ما أثبتناه.
(9) ساقطة من "ع".

الارتباط بين الفعلين، فإن البيع حقيقة متوقف حصوله على وجود فعل فاعلين من بائع ومشتر، فلا يشترط في صحة البيع إلا كون فعل واحد منهما موافقا للمشروع في مذهبه ومعتقده، وكذلك صلاة المأموم متوقف صحتها على وجود [218- ب] فعل فاعلين هما الإمام والمأموم، فإذا فعل كل منهما ما تصح به الصلاة في مذهب إمامه صحت الصلاة ولا يلزم كون الإمام فاعلا لما تصح به الصلاة في مذهب المأموم على المذهب المشهور ".

قال: "وبعد أن كتبت هنا رأيت في نوازل البرزلي ما يدل على أن اجتناب ذلك من الورع وتشتد فيه الكراهة لبعد[1] المأخذ ونص[2] ما ذكر: "وقد سئل اللخمي عن عن تناول ما اختلف فيه الفقهاء كشافعي رأى مالكيا غصب طعامه فنقله أو عقد عقدا فاسدا في عين وخلطها، وقال: ملكت ذلك على مذهبي. فهل ملكه[3] ملكا صحيحا لا شبهة عليه فيه أم لا ؟ وهل يجوز للشافعي أن يعامله بالشراء منه والأكل له أم لا ؟ فأجاب: لا ينبغي[4] لمن قلد الشافعي أن يفعل ذلك وهذا مما يتأكد فيه الورع، وإن قلد مالكا في هذا وأمثاله فلا بأس به وإن كان شافعيا مقلدا المالك[5] في هذا، ولعل مما تشتد فيه الكراهة لبعد المأخذ فيه. "البرزلي. فظاهره أن العزيمة في هذا أرجح من الرخصة إلا أن يقال: إن هذا مما يتعارض فيه الحظر والإباحة فالورع تركه". انتهى. قال: فقد ظهر من قولهم[6] لا ينبغي ومن قوله مما يتأكد فيه الورع أن ذلك سائغ لا ممنوع وهذا كله إذا لم نقل بجواز التقليد للمذاهب المختلفة مع القول بصحتها. وأما إن قلنا[7] به وهو مذهب[8] جم غفير من المحققين منهم عز الدين بن بن عبد السلام فقد ارتفع الإشكال واتضح المقال"[9]. انتهى كلامه.

---

(1) "ف": عند بعد.
(2) "ع" وخص.
(3) "ف": يملكه.
(4) "ح1": لا يجوز.
(5) "ف": المالكي.
(6) "ت": قوله.
(7) "ع": وأما قولنا.
(8) "ف": قول.
(9) ينظر ماء الموائد، ج: 1 – صفحات: 259–260 و261.

[فضائل أحد]

"ومن فضائل أحد ما روي عن جابر رضي الله عنه مرفوعا أن موسى وهارون عليهما السلام أقبلا حاجين فمرا بالمدينة فخافا من يهود، فخرجا مستخفيين فنزلا أحد فغشي[1] هارون الموت فقام موسى فحفر له ولحد ثم قال: "يا أخي إنك تموت فقام هارون فدخل في لحده فقبض فحثا[2] عليه موسى التراب[3].

قال السيد: "وهناك شعب يعرف بشعب هارون ويزعمون أنه بأعلاه وهو بعيد جدا، وبأعلى الجبل بناء اتخذه بعض الفقراء قريبا".

قال أبو سالم: "وقد شاهدت هذا البناء يوم طلوعنا إلى الجبل في الرجبية وهو صورة مسجد قريب منه موضع معد[4] لماء المطر وهو في قبة الجبل في مكان عال مشرف على المدينة المشرفة وما حولها من البقاع[5] فيه نزهة للناظرين خصوصا وقت طلوعنا إليه في فصل الربيع، وبعض الناس يسمون تلك القبة قبة هارون"[6].

قال: "وقد أخبرني بعض الناس، أن بانيها رجل كان يتعبد هناك، واسمه هارون فسميت به. ولم تزل إلى الآن يتعاهدها الناس للعبادة والخلوة وما أولاها بذلك، فقد وجدت بقلبي عند الوقوف بها والصلاة هنالك ما لا مزيد عليه من الحلاوة، والتلذذ بالعبادة. وكيف لا ومستقبل القبلة فيها يكون الحرم النبوي بين يديه، والقبة الشريفة بين عينيه، وبقاع المدينة المشرفة كلها تلقاه، ومكة تجاهه، حتى إنه ليتخيل إليه أنه مشرف على الحرمين الشريفين، وما بينهما وما فيهما من الأماكن المشرفة. وعلى كل حال لم أر مكانا ينشرح فيه الصدر ويصفو {فيه}[7] فيه القلب من الأكدار، وتتجلى[8] فيه عظمة الربوبية وجلالة النبوة كهذا المكان. ويقرب منه في ذلك جبل أحد وجبل ثور بمكة، وفي أصل الجبل غار يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم

---

(1) فتغشى.
(2) "ت": فحتى،"ف": فجنى .
(3) ينظر ماء الموائد، ج: 1 –ص-: 261.
(4) "ح1": معدا.
(5) "ع" البقع.
(6) ينظر ماء الموائد، ج: 1 –ص-: 261.
(7) ساقطة من "ع" و"ف".
(8) "ت": تنجلي.

اختفى فيه ولا يصح ذلك، ففي مسند أحمد عن ابن العباس رضي الله عنهما. وجال المسلمون جولة نحو الجبل ولم يلبغوا حيث يقول الناس الغار، وإنما كان تحت المهراس. انتهى

وفي أعلى الجبل عند مضيقه من حيث يشرع في الصعود للجبل الموضع المسمى بالمهراس، وهو مواضع منقورة في الجبل بين صخورعظيمة يجتمع فيها {ماء}[1] المطر قلما تخلو عنه[2]، ومنه غسل جرحه صلى الله عليه وسلم يوم أحد كما في الصحيح[3]، وتحت المهراس بقليل موضع يقال إنه موضع الصخرة التي نهض صلى الله عليه وسلم ليعلوها، وجلس طلحة تحته رضي الله عنه. وقال: ابن هشام في السيرة: بلغني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي، صلى الله عليه وسلم، لم يبلغ الدرجة المبنية في الشعب أي ليست هي الصخرة المذكورة"[4].

مزار الفسح: ومن المساجد التي تزار بأحد المسجد اللاصق بأحد على يمينك وأنت ذاهب في الشعب إلى المهراس وهو صغير منهدم.[219- أ]

قال السيد: "والناس يسمونه مسجد الفسح[5] ويقولون إن فيه نزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجلس﴾. الآية[6]. ويقال: إن النبي، صلى الله عليه وسلم، صلى فيه الظهر والعصر يوم أحد بعد انقضاء القتال. وعن رافع بن خديج أن النبي، صلى الله عليه وسلم، في المسجد[7] الذي بأحد في شعب الغدار الذي على يمينك لازق بالجبل."[8]

قال أبو سالم: "وبين هذا المسجد ومشهد حمزة في البيداء التي هناك مسجد صغير مبني بالحجارة المنحوتة، مرتفع عن الأرض أقل من قامة يصعد إليه بدرج غير

---

(1) ساقطة من "ع" و"ف".
(2) "ف": منه.
(3) القصة في سنن النسائي، ج:5،ص: 391، رقم: 9235.
(4) ينظر ماء الموائد، ج1، ص- ص: 261- 262.
(5) "ع": الفتح .
(6) سورة المجادلة، أول الآية 11، وتتمتها ﴿ فافسحوا يفسح الله لكم، وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم واللذين أوتوا العلم درجات، والله بما تعملون خبير﴾.
(7) "ح2": بالمسجد.
(8) ينظر ماء الموائد، ج: 1، ص- ص: 262- 263 .

مسقف ولا مرتفع الحيطان يقال له مسجد الثنية واحدة ثنايا الإنسان[1] يقال إن فيه كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم. وهذا المسجد لم يذكره السيد السمهودي رضي الله عنه .

ومنها مسجد ركن جبل عينين الشرقي على قطعة من الجبل وهذا الجبل في قبلة مشهد سيدنا حمزة رضي الله عنه، وهو الجبل الذي كان عليه الرماة يوم أحد. وموضع المسجد هو المكان الذي طعن فيه سيدنا حمزة رضي الله عنه، وقد روي عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم أحد على عيني الضرب[2] الذي بأحد عند القنطرة.

قال السيد: "يعنى بالقنطرة قنطرة العين التي كانت هناك قديما"[3].

مزار مسجد الوادي: ومنها أيضا "مسجد الوادي على شفيرة شامي جبل عَيْنَيْن قريب من المسجد قبله يقال: إنه مصرع حمزة رضي الله عنه، وأنه مشى بطعنته من الموضع الأول إلى هذا فصرع، وقد روي أن حمزة رضي الله عنه لما قتل أقام في موضعه تحت جبل الرماة، ثم أمر {به}[4] النبي صلى الله عليه وسلم بحمل من بطن الوادي، ويسمى هذا المسجد بمصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال السيد: "وتسميته بالمصلى إما لكونه موضع مصلى الصبح على ما جاء في غزوة أحد أنه صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه الصبح بموضع القنطرة وعليهم السلاح يعنى قبل القتال، وإما لما ورد من صلاته صلى الله عليه وسلم على حمزة[5]"[6].

مزار أبي ذر الغفاري: "ومن المساجد أيضا مسجد طريق السافلة وهي الطريق[7] اليمنى الشرقية إلى مشهد حمزة رضي الله عنه، يقال إنه[8] مسجد أبي ذر

---

(1) "ع" الأسنان.
(2) "ع" الضرب.
(3) ينظر ماء الموائد، ج: 1، ص: 263 .
(4) ساقطة من "ت" .
(5) كما في شرح معاني الآثار للطماوي،ج: 1، ص: 502، رقم: 2654.
(6) ينظر ماء الموائد، ج: 1 –ص–: 263.
(7) "ح2": طريق.
(8) "ح1": له.

الغفاري رضي الله عنه. وروى البيهقي في شعب الإيمان: "عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه {أنه}[1] كان في رحبة[2] المسجد فرأى النبي صلى الله عليه سلم خارجا من الباب الذي يلي المقبرة فخرج على أثره فدخل حائطا من الأسواق، فتوضأ وصلى ركعتين فسجد وأن سجدة أطال فيها، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال له [إن جبريل عليه السلام][3] بشرني أنه من صلى علي صلى الله عليه ومن سلم علي سلم الله عليه"[4]. وفي بعض طرقه ذكر السجود فقط وقال: "فسجدت لله شكرا." قال السيد:"بعد نقله لما تقدم والأسواق قريبة من محل هذا المسجد فلعله مسجد السجدة المذكورة"[5].

قال أبو سالم [في رحلته][6]: "وفي الطريق لأحد أيضا عند آخر النخل مسجد مسجد صغير محوط عليه بأحجار يقال: إن النبي، صلى الله عليه وسلم، جلس فيه للاستراحة بعد الرجوع من أحد. ولم يذكره السيد رحمه الله .

ومن المساجد التي ينبغي زيارتها والصلاة فيها: مساجد مصلى الأعياد التي صلى النبي، صلى الله عليه وسلم، العيد فيها، وقد ورد أنه صلى العيد في أماكن متعددة والمشهور منه الآن ثلاثة كلها غربي المدينة خارج الباب المصري بين الموضع المعروف[7] بالمناخة وبطحان: أحد يسمى مسجد مصلى العيد، والآخر ينسب لعلي لعلي رضي الله عنه، والآخر لأبي بكر رضي الله {تعالى}[8] عنه.

---

(1) ساقطة من "ع" و"ف".

(2) "ف": برحبة .

(3) ساقطة من "ع".

(4) لفظ البيهقي عن ابن عوف في السنن الكبرى ج2 ص 3753، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال: ﴿ إني لقيت جبرائيل عليه السلام فبشرني وقال إن ربك يقول لك من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه، فسجدت لله شكرا. ﴾. وفي المستدرك ج1، ص 736 رقم 2019 قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد.

(5) ينظر ماء الموائد، ج: 1 –ص–: 263.

(6) زيادة من "ف".

(7) "ع": الموضوع.

(8) ساقطة من "ف".

قال السيد: "ولعل سبب نسبتهما إليهما كونهما صليا فيهما العيد أبو بكر رضي الله عنه في خلافته، وعلي رضي الله {عنه}[1] لما حصر[2] عثمان رضي الله عنه. ولا يبعد أن يصليا في غير مصلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وروي عن أنس رضي الله عنه أن رسول[3] الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المصلى يستسقى، فبدأ بالخطبة ثم صلى، وقال هذا مجمعنا ومستمطرنا ومدعانا لعيدنا ولفطرنا وأضحانا فلا يبنى فيه لبنة على لبنة ولا خيمة"[4]. وقد حمل بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم: ما بين بيتي ومصلاي روضة من رياض الجنة"[5] على مصلى العيد فتتسع الروضة وفضل الله أوسع[6]. و"عن أبي هريرة رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفر فمر بالمصلى استقبل القبلة ووقف يدعو[7]"[8]، ومصلاه صلى الله عليه وسلم عند العلم الذي عند دار كثير بن الصلت.

وهناك أيضا مسجد [219- ب]ينسب لسيدنا عمر رضي الله عنه ولعل السبب كما تقدم.

وهذا آخر القول في المساجد المعلومة العين بالمدينة المشرفة وأطرافها وقد زرناها والحمد لله [رب العالمين][9] مع حسب الإمكان فالله يتقبل، [آمين آمين][10].

---

(1) ساقطة من "ع" .
(2) "ح1": حضر.
(3) "ف": النبي.
(4) لم أجده.
(5) الحديث في صحيح البخاري، ج: 1، ص: 399، رقم: 1137،وصحيح مسلم، ج: 2،ص: 1010،رقم: 1390،بلفظ: ما بين بيتي ومنبري .
(6) "ف": واسع وما أثنتناه يتفق مع الأصل .
(7) المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قدم من سفر فمر بالمصلى استقبل القبلة وصلى، ومن السنة الصلاة عند الرجوع من السفر كما عند البخاري، ج:4،ص: 1603،رقم: 4165.وعند مسلم، ج:4،ص: 2120، رقم: 2769.
(8) ينظر ماء الموائد، ج1، ص– ص: 263– 264 .
(9) زيادة من "ف".
(10) زيادة من "ف".

{ذكر الآبار التي ورد أن النبي ﷺ

تفل فيها أو شرب من مائها أو توضأ فيها عليه السلام}[1]

فاكتسبت بذلك فضلا على غيرها فصارت مقصودة بالزيارة والاستشفاء بمائها. ولم نذكر منها إلا ما زرناه وشربنا من مائه وهي سبعة:

"أولها: [بئر أريس] كجليس نسبة إلى رجل من اليهود اسمه أريس هو الفلاح بلغة أهل الشام وفي الصحيح {في}[2] خبر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن أبا موسى الأشعري خرج في إثره حتى دخل بئر أريس وتوسط فيها وكشف عن ساقيه، وأن أبا بكر جاء ثم عمر ففعلا مثل ذلك، ثم جاء عثمان وبشر الجميع بالجنة. الحديث بطوله. وفي الصحيح[3] أيضا: أن خاتم النبي صلى الله عليه وسلم كان في يد أبي بكر ثم في يد عمر ثم في يد عثمان حتى سقط منه في بئر أريس فنزح فلم يوجد.

وأما ما اشتهر على الألسنة أن النبي، صلى الله عليه وسلم، تفل فيها، فقد قال العراقي في تخريج أحاديث الأحياء: "لم أقف له على أصل[4]"،

قال السيد: "ومن الغريب[5] قول العز بن جماعة في منسكه قد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها، وهذه البئر في حديقة غربي مسجد قباء قريبا منه وماؤها غزير يستقى منه إلى بركة في الحديقة وفي هذه الحديقة أنواع من الفواكه والأشجار وبها عنب كثير قلما يدخل أحد للزيارة في وقت العنب إلا ويشتريه[6]، ويظل يأكله فيه حتى ظن بعض العوام أن ذلك من القربات. وأهل المدينة يقصدون هذه الحديقة للقائلة والتفرج، وقد جعل لمائها نفقا من أسفلها على وجه الماء حتى

---

(1) ساقطة من "ع" و"ف" .
(2) ساقطة من "ع" و"ف" .
(3) صحيح البخاري، ج:5، ص: 2204، رقم: 5535.وصحيح مسلم، ج: 3، ص: 1655،رقم:2091.
(4) "ح1": أثر.
(5) "ت": الغرائب.
(6) مطموسة في "ح2".

يتصل[1] ماؤها بالبئر التي يقال لها العين الزرقاء، وهي في حديقة أخرى قريبة من بئر بئر أريس وهي بئر كبيرة قد أمدت[2] بمياه آبار متعددة منها بئر أريس فصارت متبخرة يشخب فيها ميزابان عظيمان من مياه غيرها من الآبار، فاتخذت لها أسراب تحت الأرض إلى أن خرجت إلى بطحان، {ثم إلى}[3] غربي المدينة، فقسمت جداول فأدخل منها إلى المدينة من احتيج إليه. فأظهرت داخل المدينة في مناهل متعددة وبني لها بناء متقن يهبط إليها نحو[4] ثلاثين درجة محكمة البناء متقنة الرصف الرصف واسعة الممشى منها يستقي أهل المدينة كلهم لشربهم"[5].

قال أبو سالم: "والذي رأيت منها ثلاثة مواضع أحدها شرقي المسجد بينه وبين باب البقيع في المكان المسمى الآن بالحارة، والآخر خارج باب السلام في الناحية الغربية عند سوق المدينة بالبلاط، والآخر شامي المسجد بعيدا منه إلى ناحية الباب الشامي، وأما خارج المدينة فأخرجت في محال متعددة أيضا ثم لم تزل تقرب من وجه الأرض قليلا كلما انحدرت في أرض المدينة إلى أن خرجت على وجه الأرض قريبا من الغابة شرقي مسجد رومة بينه[6] وبين أحد، وعليها هنالك مزارع وقد رأيت رأيت جدولا منها قريبا من مسجد الراية في طرف ذباب[7] يهبط إليه في نحو ثلاث ثلاث درج. وهذه العين المباركة من أغزر العيون وأملئها ماء وألذه، بها جل انتفاع أهل المدينة، ومنها كل السبيلات الموقوفة بالمدينة، ومنها تملأ الدوارق[8] التي توضع توضع في الحرم الشريف للشرب وهي لا تكاد تحصى كثرة، فما أعظم بركتها ! وأوسع نفعها ! ولقد شاهدت من يستشفى بمائها فيشفى، وقد حملنا بعض مائها للاستشفاء ولله در القائل: (الطويل)

لَئِنْ قِيلَ[9] فِي زُرْقِ الْعُيُونِ شَآمَةٌ[10] فَعِنْدِيَ أَنَّ الْيُمْنَ فِي عَيْنِهَا الزَّرْقَا

(1) "ت": يصل
(2) "ح1": امتدت.
(3) ساقطة من "ف" .
(4) "ف": في نحو.
(5) ينظر ماء الموائد، ج: 1، ص- ص: 264- 265.
(6) "ع": بينها.
(7) "ح2": دباب .
(8) الدوارق جمع الدورق وهو إناء من زجاج يوضع فيه الشراب. ينظر اللسان مادة (د،و،ق) .
(9) "ع": كان.
(10) شام فلان يشيم شيما: ظهرت بجلدته أي علامة ينظر اللسان مادة (ش،، م).

وتسميتها بالعين الزرقاء من لحن العامة وصوابه عين الأزرق، ولأن مروان الذي أجراها لمعاوية كان أزرق العينين فلقب بالأزرق وكان إجراؤه لهذه العين بأمر معاوية لما ولاه المدينة، وكان لمعاوية رضي الله عنه اهتمام بذلك. فأجرى بالمدينة وما حولها عيونا كثيرة قد دثرت كلها ولم يبق[1]، إلا هذه العين المباركة. وقد اعتنى [220- أ] بشأنها قبل السلطنة، فلها أوقاف معلومة وجرايات تأتي من عند السلطان، ولها أمير معلوم وخدام يتفقدون أحوالها على مر الأزمنة ويصلحون ما وَهَى منها، ولولا ذلك لدثرت كغيرها من العيون"[2].

قال الواقدي: "وكانت بالمدينة على زمن معاوية صواف كثيرة، وكان يجد بالمدينة وأعراضها مائة ألف وسق {وخمسين ألف وسق}[3] ويحصد مائة ألف وسق حنطة انتهى.

فهذا الذي كان يجره معاوية وحده فما بالك بما كان لغيره من الرعايا ووجوه الناس. فقد كان للصحابة رضي الله عنهم وأبنائهم في ذلك الزمان ضياع وقرى ومزارع كثيرة بالمدينة وما حولها وما أظن هذا العدد الذي يستغل لمعاوية رضي الله عنه بالمدينة فقط يستغل في زماننا هذا من أرض الحجاز كلها مع سعة[4] أقطارها ما عدا عدا نجد[5]، فإن بها مزارع كثيرة وبهذا تعلم نسبة زماننا هذا إلى الأزمنة الماضية في سعة الأرزاق وكثرة الخلق مع أن اهتمامهم في ذلك الوقت بالدين كان أكثر من اهتمامهم بالدنيا، فأنت ترى كيف انبساطها عليهم وأما الآن فالاهتمام كله بالدنيا ولم يبق من الاهتمام بالدين إلا ما نسبته إلى الاهتمام بالدنيا نسبة الفلك الأعظم إلى الجزء الذي لا يتجزأ' وهذا أعظم دليل على قرب انقراض الدنيا واستبدال عمرانها بالخراب وأنهارها بالسراب، فإن عمرانها إنما هو[6] بأسباب الدنيا والبنين {وأنت ترى}[7] ما آل إليهما معا، فنسأل الله تعالى الخروج من الدنيا بلا محنة ولا بدعة آمين.

---

(1) "ف": ولم تبق.
(2) ينظر ماء الموائد، ج: 1 –ص–: 264.
(3) ساقطة من "ف" .
(4) "ع": موسعة.
(5) "ع" و"ف": نجدا.
(6) "ح1": هي .
(7) ساقطة من"ت".

قال السيد: "ومن الغرائب ما ذكره الميروقي في فضل الطائف عن شيخ الخدام[1] بدر الشهابي[2] أنه بلغه أن ميضأة وقعت في عين الأزرق بالطائف فخرجت بعين الأزرق بالمدينة انتهى."[3]

قال شيخنا أبو سالم: "ولعل هذه الحكاية وأمثالها هي السبب في اعتقاد كثير من جهلة الحجاج أن العين الزرقاء أصلها من مكة، وأنها هي التي جاءت إلى مكة من ناحية عرفة[4] من جبال وراءه، ويقولون إنه لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة تبعته فهي التي ظهرت بمر الظهران، ثم بخليص ثم ببدر ثم بالخيوف كلها إلى أن وصلت المدينة، ويصممون على ذلك حتى إني رأيت بعض من هو معدود من الفقهاء يعتقد ذلك، فقلت له كما قال الإمام أبو بكر بن العربي، رضي الله عنه، في مسألة الصلاة على النجاشي حيث قال بعضهم رفع له حتى رآه فصلى عليه، إن الله على ذلك لقادر[5] وإن نبينا، صلى الله عليه وسلم، لأهل ذلك وفيما صح من معجزاته صلى الله عليه وسلم؛ والآية الظاهرة على يديه غنية عن انتحال ما لا أصل له وبطلان كون هذه العين من مكة أوضح من أن يذكر فإنه لم يكن في زمانه صلى الله عليه وسلم بعرفة ولا بمكة ولا بالمدينة عين تذكر على هذا النعت ولا ما يقرب منه وإنما أجريت، هذه العيون بعد ذلك بأزمان.

الثانية: بئر البصة- بضم الباء[6] {الموحدة}[7] وتخفيف الصاد المهملة كما هو هو الدائر على ألسنة أهل البلد، وقال المجد صاحب القاموس إنه بالتشديد كأنه[8] من بص الماء بصا رشح. قال: وإن روي بالتخفيف من وبص يبص وبصا كوعد يعد وعدا وعدة إذا بلغ أو من {و}[9] بص لي من المال أعطاني. فقد روي عن أبي سعيد الخدري[10] رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي

---

(1) "ح1": الخدم.
(2) "ف": الشهاب.
(3) ينظر ماء الموائد، ج1، ص- ص: 265- 266 .
(4) "ت": عرفات.
(5) "ف": لقدير.
(6) ينظر ماء الموائد، ج: 1 -ص-ص: 266-267.
(7) ساقطة من"ح1".
(8) "ح2":لأنه.
(9) ساقطة من"ف".
(10) "ع":الخذري .

الشهداء وأبناءهم ويتعاهد عيالاتهم. قال: فجاءني يوما فقال: هل عندك من سدر أغسل به رأسي فإن اليوم الجمعة؟ قلت نعم، فأخرجت له سدرا وخرجت معه إلى البصة فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه، وصب غسالة رأسه ومراقة شعره في البصة"[1]. وهذه البئر قريبة من البقيع على طريق قباء في حديقة نخل على طرف بطحاء وماؤها أخضر وهناك بئر أخرى صغيرة.

قال المطرزي: "والناس يختلفون فيهما أيتهما بئر البصة؟ والصغرى هي التي تلي أطم مالك[2] بن سنان والد أبي سعيد الخدري، ورجح السيد أنها الصغرى حاكيا عن عن غيره في الأطم المذكورة أنه الذي يقال لبئره البصة. قال: والكبرى لا تنسب للأطم لبعدها منه. وقد ابتني بقرب الصغرى مسجد واتخذ له درج ينزل فيها إليها"[3].

وقد شربنا من مائها أي الكبرى وغسلنا رؤوسنا اقتداء به صلى الله عليه وسلم والمنة لله وحده.

"الثالثة: بئر بضاعة- بضم الموحدة على المشهور [220- ب]، وحُكِيَ كسرها وفتح الضاد المعجمة وأهملها بعضهم وبالعين المهملة ثم هاء، غربي بئر حاء إلى جهة الشمال. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنه يستقى[4] لك من بئر بضاعة وهي[5] يطرح فيها ما يكره من النتن، فقال الماء لا ينجسه شيء"[6]. وفي رواية: إلا ما غلب على ريحه وطعمه ولونه". وعن سهل {بن سعد: "بصق النبي، صلى الله عليه وسلم ببضاعة[7] وسقيته بيدي منها}[8] أيضا بئر بضاعة: "قد بصق النبي، صلى الله عليه وسلم، فيها فهي يتنشر بها ويتيمن"[9].

---

(1) ضعيف، قال العراقي في تخريج الإحياء كتاب أسرار الحج 1 ص 236 وحديث "بئر البصة" رواه ابن ابن عدي من حديث أبي سعيد الخدري، وذكر الحديث، وفيه محمد ابن الحسين بن زبالة ضعيف .

(2) "ع" ملك.

(3) ينظر ماء الموائد،ص: 266- 267 .

(4) "ت": يستشفى.

(5) "ح1": وهو.

(6) سنن أبي داود، ج:1،ص: 64، رقم: 66، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داودن رقم: 66.

(7) "ف": في بضاعة.

(8) ساقطة من "ت".

(9) لم أجده.

قال المجد في خبر: "أن النبي صلى الله عليه وسلم، أتى بئر بضاعة فتوضأ من الدلو وردها إلى البئر وبصق فيها"[1] وكان إذا مرض المريض في أيامه يقول:"اغسلوني من بئر بضاعة فيغتسل فكأنما نشط من عقال[2]"[3].

وقالت أسماء بنت أبي بكر: "كنا نغسل المرضى من بئر بضاعة ثلاثة أيام فيعافون"[4]. وهي في حديقة كبيرة ذات نخل أقرب أبواب المدينة إليها باب الشامي عن يمين الخارج منه قليلا وحولها مسجد وبركة ماء"[5].

الرابعة: بير حا: بفتح الموحدة وكسرها وبفتح الراء وضمها وبالمد فيهما وبفتحهما والقصر فيعلى من البراح وهي الأرض المنكشفة، وقيل بئر أضيف إلى حاء من حروف الهجاء وهو اسم رجل أو امرأة أو مكان. وخبرها في الصحيح[6] وأنها كانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، وهي اليوم في حديقة صغيرة قريبة من سور المدينة شمالية، بينهما الطريق وأقرب أبواب المدينة إليها باب البقيع وهي[7] بينه وبين باب الشامي. قال السيد: "والظاهر أن بعضها اليوم دخل[8] السور"[9].

وقد دخلته، والحمد لله، وشربت[10] من مائه، وسقيت الحاضرين معنا من أصحابنا رجاء البركة، وأكلنا من خضرها المسقى بمائها.

الخامسة: بئر رومة- بضم الراء وبالهمز ودونه." وفي الحديث: نعم القليب قليب المزني، فاشتراها عثمان فتصدق بها[11]. وورد أيضا: نعم الحفيرة حفيرة المزني[12]

(1) لم أجده.
(2) العقال بكسر العين القيد وقال ابن الأثير هو الحبل الذي يعقل به البعير قاله العيشي.
(3) ينظر عون المعبود للآبادي، ج: 1، ص: 88.
(4) لم أجده.
(5) ينظر ماء الموائد، ج: 1- ص- ص: 267- 268.
(6) صحيح البخاري،ج: 3، ص: 1014، رقم: 2607.
(7) "ت": هو .
(8) "ت": دخل والصحيح ما أثبتناه.
(9) ينظر ماء الموائد، ج: 1- ص: 268.
(10) "ع": وشربنا.
(11) ينظر الإصابة، ج:2، ص: 517.
(12) لم أجده.

يعني رومة. وعنه صلى الله عليه وسلم" من يشتري رومة فله مثلها في الجنة"[1]. وكان وكان الناس لا يشربون منها إلا بالثمن، فاشتراها عثمان فجعلها لله وكانت لرجل من غفار أو مزينة أو ليهودي اسمه رومة فنسبت إليه. وهي بئر جاهلية روي أنه استُسْقِيَ منها لتبع لما نزل بقناة[2] وهي بأسفل العقيق قرب مجتمع الأسيال"[3].

وهي بعيدة من المدينة وإلى الجرف أقرب. والطريق إليها على مساجد الفتح ثم يعدل يسارا إلى ناحية مسجد القبلتين ثم يمر تحته أسفل منه قاصدا العقيق فهي هناك وبقربها مزارع. فزرناها وشربنا من مائها واستقينا منها ما شربناه مدة.

"السادسة: بئر اليسيرة، من اليسر ضد العسر، وتعرف الآن ببئر العِهْن- بكسر فسكون، وهو لغة الصوف الملون[4]، وهي معروفة بالعوالي مليحة جدا منقورة في الجبل وعندها سدرة. فقد روي: "أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء بني أمية بن زيد فوقف على بئر لهم فقال: "ما اسمها؟ فقالوا عسيرة.

فقال: لا ولكن اسمها اليسيرة. وبصق فيها وبرك فيها[5].

وروى ابن سعد في طبقاته[6] عن عمر بن أبي سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم سماها اليسيرة وأن أباه أبا سلمة غسل بعد موته بين قرنيها[7].

وقد زرتها والحمد لله وشربت من مائها وهي عوالي المدينة قريب من مسجد بني قريظة وعلى بابها حديقة كبيرة حسنة.

السابعة: بئر غرس بضم فسكون. وقال المجد، بفتح وسكون، وضبطه بعضهم بالتحريك كشجر[8] وهي بئر شرقي قباء على نصف ميل من مسجدها إلى جهة الشمال. وقد ورد أن رباحا غلاما للنبي صلى الله عليه وسلم كان يستقي[9] من بئر

---

(1) صحيح البخاري، ج: 2، ص: 827، كتاب المساقاة، باب في الشرب، بلفظ:" من يشتري بئر رومة، فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين. فاشتراها عثمان رضي الله عنه."

(2) "ح1": قنات.

(3) ينظر ماء الموائد، ج: 1– ص: 268.

(4) "ح2": المندوف.

(5) لم أجده.

(6) طبقات أبي سعد، ج: 1، ص: 504.

(7) ينظر ماء الموائد، ج: 1–ص: 269.

(8) "ح1": كسحر .

(9) "ع": يسقى .

غرس مرة ومن {بئر}[1] السقيا مرة. ولابن حبان في الثقة: "عن أنس أنه قال: إيتوني إيتوني بماء من بئر غرس فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويتوضأ". ولابن ماجة بسند جيد: "عن علي رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أنا مت فاغسلوني بسبع قرب من بئر غرس". وكانت بقباء وكان يشرب منها. وفي رواية لم تحلل أوكيتهن [221- أ] وكانت لسعد بن خيثمة. وروي:"أنه عليه الصلاة والسلام توضأ منها وأهرق بقية وضوئه فيها.

وروي أيضا أنه قال: "رأيت الليلة أني أصبحت على بئر من الجنة." فأصبح على بئر غرس فتوضأ منها وبصق فيها وأهدي له عسل فصبه فيها[2].

وقد جعل لها[3] درج ينزل إليها منها، وحولها حديقة وبجانبها مسجد. وقد زرتها والحمد لله فهذه الآبار السبعة هي المشهورة اليوم عند أهل المدينة وقد نظمها الزين المراغي فيما أنشد عنه السيد في بيتين وهما: (الطويل)

إِذَا رُمْتَ آبَارَ النبِي بطَيْبَةٍ فَعدتهَا سَبْعٌ مَقَالاً بِلاَ وَهْنِ

أَرِيس وَغَرِس رومَةً وَبِضَاعَةً كَذَا بَصَّة قُلْ بِئْرَ حَاءً مَعَ العِهْنِ[4]

قلت: وبقي بئران آخران يتبرك بهما:

أحدهما: بئر السقيا، فقد ورد أنه عليه السلام كان يستعذب الماء من بئر السقيا، والسقيا هذه في آخر منزلة النقا على يسار السالك إلى بئر علي، وهي بالحرة الغربية وحولها بركة عظيمة لورود الحجاج أيام نزولهم هنالك.

والثانية: بئر زمزم، وهي قريبة من السقيا على يمين الطريق، حتى زعم بعضهم أنها بئر السقيا. وهي {بئر}[5] مليحة في حديقة نخل، وحولها بركة وبناء وسميت زمزم

---

(1) ساقطة من "ت".

(2) أحاديث صحيحة. قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء ج 1 ص 236 حديث بئر غرس رواه ابن ابن حبان في الثقات من حديث أنس .

- ولابن ماجة بإسناد جيد مرفوع: " إذا أنا مت فاغسلوني بسبع قرب من بئر غرس" .

- وروى العراقي في تاريخ المدينة لابن النجار بإسناد ضعيف مرسلا أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ منها وبزق فيها، وغسل منها حين توفي.

(3) "ح2": له.

(4) "ت": الوهن والصحيح ما أثبتناه.

(5) ساقطة من"ت" .

زمزم تشبيها لها بزمزم في التبرك بها ونقل مائها للآفاق."[1] ولم أقف على هاتين البئرين. أما زمزم فوعدنا الأخ سيدي محمد الأخصاصي أنه يقدم معنا إليها يوم خروجنا ولم يقدر لنا ذلك، فتأسفنا أسفا عظيما إنا لله وإنا إليه راجعون. وأما السقيا فلم يكن لي بها علم إذ ذاك، والسقيا هذه غير السقيا[2] المذكورة في الحديث في قول الراوي لقيته {بتعهن}[3] وهو قائل السقيا بل تلك مكان قرب شرق الروحاء.

"وقد عد السيد رحمه الله آبارا متعددة سوى هذه، ثم قال: "فمن ذكر أنها سبعة فقط فقصور[4] منه"[5].

وأنا اقتصرت على ذكر[6] ما شهدته منها وزرته وشربت من مائها.

"ومن المواضع التي يتبرك بها بالمدينة: تربة صعيب. فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بنى الحارث[7] فإذا هم ["محمومون"][8] فقال لهم: "مالكم يا بني الحارث؟" قالوا: أصابتنا يا رسول الله هذه الحمى، فقال: "فأين أنتم عن صعيب؟" قالوا: يا رسول الله ما نصنع به؟" قال: "تأخذون من ترابه فتجعلونه في ماء يتفل عليه أحدكم ويقول بسم الله تراب أرضنا بريق بعضنا شفاء لمريضنا بإذن ربنا،" ففعلوا فتركتهم الحمى"[9].

قال طاهر بن يحي العلوي عقب رواية ذلك عن أبيه: صعيب وادي بطحان دون الماجشونية وفيه حفرة مما يأخذه الناس منه وهو اليوم إذا روي إنسان[10] أخذ منه قال ابن النجار وقد رأيت أنا هذه الحفرة والناس يأخذون منها وذكروا أنهم قد جربوه فوجدوه صحيحا. قال وأنا سقيته غلاما لي مريضا من نحو سنة تواظبه الحمى

---

(1) ينظر ماء الموائد، ج1، ص- ص: 269- 270 .
(2) "ع": السقية.
(3) ساقطة من"ت" .
(4) "ح1": قصور.
(5) ينظر ماء الموائد، ج1، ص- ص: 269- 270 .
(6) "ع": ذاك، والأرجح ما أثبتناه.
(7) بلحارث.
(8) مكان هذه الكلمة فيه بياض بالنسخة.
(9) صحيح .
(10) "ع": أحد.

فانقطعت عنه من يومه، وذكر هو كالمطر من أن ترابه يجعل في الماء ويغتسل به من به الحمى.

قال السيد: فينبغي أن يفعل أولا ما ورد ثم يجمع بين الشرب والغسل"[1].

قلت: وقد وصلنا[2] إلى وادي صعيب إلى موضع الحفرة، وأخذنا من ترابها واستصحبناه معنا لبلادنا بقصد التداوي.

قال أبو سالم: "وقد نص غير واحد جواز نقله للتداوي كماء زمزم للتبرك، ولم يزل عمل الناس على ذلك قديما وحديثا. قلت والخلاف في نقل تراب الحرم وأحجاره والكيزان المصنوعة من ترابه معلوم مشهور، والورع ترك نقله لاحتمال خصوصية الاستشفاء به لأهل الحرم وإمكان[3] حمل الحديث عليهم والعلم عند الله. وقد ذكر أيضا الاستشفاء من الحمى بتراب مشهد حمزة"[4] انتهى.

ومما زرناه موقف وقف فيه النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة ومشربة أم إبراهيم ونخيل سلمان الفارسي وقصة النخيل مشهورة في الصحيح وغيره، وفيه آية باهرة ومعجزة ظاهرة، والله تعالى يوفقنا ويعيننا وينفعنا بمنه ويمنه آمين وهو المستعان وعليه التكلان[5]. [ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم][6].

---

(1) ينظر ماء الموائد، ج: 1-ص: 270.
(2) "ع": وصلت.
(3) "ع" مكان.
(4) ينظر ماء الموائد، ج: 1-ص: 270، بتصرف .
(5) التكلان: بفتح التاء كما في القاموس، وصرح المناوي في شرح الجامع بضمها.
(6) زيادة من "ع" و"ف".

ذكر من لقيتهم بالمدينة المشرفة

من أهل المحبة الأماثل، والسادات الأفاضل

الشيخ أحمد الأنصاري، وصنوه الشيخ عبد الرحيم والشيخ عبد الكريم [ثم][1] [ثم][1] العباسي وابنه الشيخ طاهر بن شيخنا [221- ب] الشيخ إبراهيم الكردي. الكردي. والتقينا {بها}[2] بها عام ستة وتسعين[3] بواحد من أولاد أبي أيوب الأنصاري. جاءنا تقبل {الله}[4] سعيه إلى منزلنا حذاء[5] الحرم الشريف. واغتنمنا واغتنمنا ملاقاته والخطيب بمسجده صلى الله عليه وسلم الشيخ إبراهيم البري، وبالسيد الأمجد الشيخ: عبد الكريم الخليفي[6] العباسي، الخطيب. والإمام بمسجد سيد الأنام، صلى الله عليه وسلم، وعلى حزبه الكرام، ومدحنا بما لسنا له أهلا، تقبل الله منه عمله، بما صورته: (الكامل)

الـوُرْقُ قَـدْ صَـدحَتْ عَلَـى الأَفْنَـانِ ... وَتَمَايَلَـتْ طَرَبـاً غُصُـونُ[7] البَـانِ

وَتَبَسَّـمَتْ أَكْمَـامُ زَهْـرِ الـرَّوْضِ عَـنْ ... طِيـبٍ [يَقُـومُ مَقَـام][8] زَادِ[9] العَـانِي

وَأخْضَـلَ[10] دَوْحُ المَجْـدِ أُنْـسًا بَعْـدَمَـا ... قَـدْ أَيبَسَتْـهُ حَـوَادِثُ الحَدَثَـانِ

وَالـدَّهْرُ طَلْـقُ الوَجْـهِ بَـادٍ بِشْـرُهُ ... قَـرَّتْ بِحُسْـنِ نَوَالِـهِ العَيْنَـانِ

بِقُـدُومِ سَـيِّدِنَا المُفَضَّـلِ مَـنْ حَبَـا ... هُ اللَّـهُ عِـزَّ مَكَانَـةٍ وَمَكَـانِ

---

(1) زيادة من "ح 1".
(2) ساقطة من "ع".
(3) حج عام ستة وتسعين وألف.
(4) ساقطة من "ع".
(5) "ح 2": حداء.
(6) "ف": الخليفتي.
(7) "ت": غصن.
(8) بياض في النسخة"ف".
(9) "ف": بزاد.
(10) خَضِل يخضل خَضَلا: ندي وابتل. وخضل الشجر: كثرت أغصانه. والدوح: الشجر الضخم.

المُفْـــرِدِ العلْـــمِ الهُمَـــامِ الفَـــرْدِ مَـــنْ ... أَثْنَـــى عَلَـــى عَلْيَـــاهُ كُـــلَّ لِسَـــانِ

زَاكِـــي النِّجَـــارِ وَمَـــنْ لِرُتْبَـــةِ فَضْلِـــهِ ... خَضَعَـــتْ لِعِزَّتِـــهَا ذَوُو التِّيجَـــانِ

مَـنْ قَـدْ سَـمَا فِـي المَجْـدِ أَرْفَـعَ مَنْـزِلٍ ... وَغَـــدًا يَتَـــرَحَمُّهُ أُولُـــو الإتْقَـــانِ

مَـنْ لَـمْ يَـزَلْ حَسَـنَ الفِعَـالِ لـذاكَ قَـدْ ... بَـــلَغَ الـــعُلَى وَمَوَاطِـــنَ الإحْسَـــانِ

مَـــنْ لاَ أُسَمِّيـــهِ وَفِـــي التَّنْوِيـــهِ مَـــا ... يُغْنِـــي عَـــنِ الإيضَـــاحِ وَالتِّبْيَـــانِ

كَمْ بِالفَصَاحَةِ صَـارَ يَنْشُـرُ مَا انْطَـوى[1] ... وَلَكَـــمْ غُـــذِي[2] مِـــنْ درِّهَـــا بِلِبَـــانِ

كَـــمْ بِالبَلاَغَـــةِ قَـــدْ أَقَـــامَ مَعَاهِـــداً ... مِنْـــهَا لِـــذَلِكَ مَالَـــهُ مِـــنْ ثَـــانِ

يَـــا وَاحِـــدَ الفُضَـــلاَءِ وَالنُّـــبَلاَءِ يَـــا ... إِنَـــسَانَ عَـــيْنِ الـــدَّهْرِ فِـــي الأَعْيَـــانِ

يَـــا مُحْيِـــيًا لِلسُـــنَّةِ الغَـــرَّاءِ لاَ ... زِلْـــتَ الزَّمَـــانَ بِهَـــا عَظِـــيمَ الشَّـــانِ

بُشْرَى بِمَا[3] قَدْ نِلْتَ مِنْ قُـرْبٍ مِـنَ الـ ... مُخْتَـــارِ طَـــهَ المُصْطَـــفَى العَدْنَـــانِي

وَبِمَـــا بَلَغْـــتَ مِـــنَ المُـــرَامِ بِسَرْحَـــةٍ ... وَبِرَحْمَـــةٍ عَمَّـــتْ مِـــنَ الرَّحْمَـــانِ

وَإِلَيْكُـــمُ[4] العَـــذْرَاءُ[5] بِنْـــتُ مَسَائِهَـــا ... تَرْجُـــو القُبُـــولَ عَلَـــى مَـــرِ الأَزْمَـــانِ

مِـنْ مُخْلِـصٍ يَرْجُـو دُعَـاءَكَ مِـنْ بَنِـــي ... العَبَّـــاسِ فَاحْسِبْـــهُ مَـــعَ الغِلْمَـــانِ

وَيَـــروم[6] مِنْـــكَ إِجَـــازَةً بِالكُتْـــبِ فِـــي ... كُـــلَّ الَّـــذِي تَرْوِيـــهِ ذَا البُرْهَـــانِ

وَطَرِيقَـــةً يَغْـــدُو بِحُسْـــنِ سُلُوكِهَـــا ... سَـــامِي المَقَـــامِ مُشَـــيَّدَ[7] الأَرْكَـــانِ

فَأَنِلْـــهُ فَـــوْراً كُـــلَّ مَـــا قَـــدْ رَامَـــهُ ... لاَ زِلْـــتَ يَـــا مَـــوْلاَيَ ذَا إِحْسَـــانِ

---

(1) "ت": انطوا.
(2) "ف": غذا.
(3) "ف": لما.
(4) "ح1": وإليكما.
(5) "ف": عذراء.
(6) "ح2": ويرم.
(7) "ف": بسيد .

وَبَقِيــتَ يَــا بَــدْر الطَّرِيقَــةِ سَاطِعــاً تَهْــدِي بِــنُورِكَ سَائِــرَ الرُّكْبَــانِ

مَـا انْهَـلَّ طَـرفُ الصـبِّ مِـنْ طَـرَبٍ وَمَـا هَــزَّتْ مَعَــاطِفَهَا غُــصُونُ البَــانِ

انتهى عمل الفقير عبد الكريم بن عبد الله الخليفي[1] العباسي الخطيب والإمام والإمام بمسجد سيد الأنام صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه أئمة الأعلام.

وإمام مسجد قباء الشيخ صالح بن أحمد المطري شكر الله سعيه، وأثمر رأيه، وأنشد لنا ما نصه: (البسيط)

مُحَمَّدٌ نَجْل نَاصِر طَابَ مَحْتَـدُه[2] نَزِيــلُ[3] طَــيْبَةٍ فِـي بَيْــتِ المَسَــرَّاتِ

أَكْـرِمْ بِـهْ عَالِمـاً للَّـهِ مُحْتَسِبــاً مُعَلِّــمَ الخَيْــرِ فِــي خَيْــرِ الطَّرِيقَــاتِ

مُكَمِّــلٌ كَامِــلٌ فَاقَــتْ مَكَـارِمُــهُ حَتَّى رَقَتْ كَرُماً فَوْقَ السَّمَاوَاتِ [222- أ]

سِرُّ الوُجُودِ إِمَامُ الوَقْتِ سَيِّــدُهُ[4] فَخْــرُ الحَقِيقَــةِ قُطْــبٌ فِــي النِّهَايَــاتِ

فَصَالِحٌ أَنْـتَ يَـا مَـوْلاَيَ تُكْرِمُـهُ[5] بِنَفْحَــةِ الخَيْــرِ يَحْيَــى لِلْفضيــلاَتِ

وَلَحُظْـوَةٍ لِيُحْسِــبَ مِــنْكُمْ أَبَــداً يَكْفِــى بِفضْــلِكُمْ كُــلَّ المُهِمَّــاتِ

ثُـمَّ الصَّـلاَةُ عَلَـى المُخْتَـارِ سَيِّـدِنَـا مَــنْ أَنْزَلَــكْ كَرَمــاً بَيْــتَ المَسَــرَّاتِ

والله يجازيه بحسن نيته وبعدها ما نصه:

"وبعد: السلام ورحمة الله على سيدي الشيخ أحمد بن ناصر الخليفة الحقاني، وعلى جميع إخوانه وفقرائه ومحبيه وإبراهيم الدرعي، وإننا داعون[6] لكم كثيرا والأبيات والأبيات لقيناها[7] صدرت إليكم ولا تنسونا من فضلكم وإحسانكم إن شاء الله " " انتهى نصه. والله المسؤول أن يعامله بفضله، بمنه ويمنه آمين.

---

(1) "ف": الخليفتي.
(2) "ت" مجده.
(3) "ع": نزل.
(4) "ف": سيدنا.
(5) "ف": أكرمه.
(6) "ف": داعين.
(7) "ف": نقيناها.

والأخ الصدوق، والخل الحقيق، السيد أحمد بن عبد الرحمان الشريف السجلماسي، وهو من أخيار أهل المحبة وأهل الدين، اكترى لنا منزلا قرب الحرم الشريف ليس بينهما إلا زقاق عند المئذنة السليمانية، وأضافنا إضافة معتبرة، تقبل الله عنه وأصلح فعله. وكذلك الحاج محمد الهيمسي {التوزري}[1] {أكرمنا}[2] تقبل الله منه، ورضي عنه {آمين}[3]. والشيخ أحمد زادي ابن عم قاضي صالح من أصحاب سيدنا الوالد رحمه الله ورضي عنه، والشيخ أحمد الفلاني رجل نعم رجلا. وشيخنا العلامة الدراكة الفهامة، الملا إبراهيم بن حسن الكوراني[4] الشهرزوري ثم الشمراني اجتمعنا[5] به يوم خروجنا من المدينة بمنزله مع جماعة من أصحابه من أهل الشام وغيرهم، فإذا هو نادرة الأعصار، وعديم الشكل في سائر الأمصار، حامل لواء الشريعة والحقيقة، وغائص بحار الأنظار الدقيقة، ولقد أجاد شيخنا أبو سالم في ترجمته[6] فذكر نشأته ومبدأه[7] ومختتمه وتآليفه ومن لقيه وأخذ عنهم من المشائخ. فأجازنا، في جميع مروياته ومقروءاته ومسموعاته وكلما صح له عنه من سائر العلوم النقلية والعقلية، والكسبية والوهبية[8]، وأذن لنا في التحدث عنه بذلك وطلب منا الإجازة كذلك فأخبرنا، ولرغبته وصدق طويته والتماس بركاته[9] أحببناه. وذكر من جملة ما قرأ عليه في علم الحقائق: التحفة المرسلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم للشيخ محمد بن فضل الله الهندي أجل تلامذة الشيخ الإمام وجيه الدين العلوي وهي رسالة صغيرة مفيدة جدا في وحدة الوجود، وسماها التحفة المرسلة لكون عادة العلماء في بلاد العراق والهند بل ومصر والحجاز إذا ألف أحدهم كتابا أجاد فيه وأتقنه أتحف [به][10] ملك قطره [وحمله][11] باسمه واسم من مرسمه[12]. وهذا الإمام

(1) ساقطة من "ف".
(2) ساقطة من "ت".
(3) ساقطة من "ح2".
(4) "ح1": الكورلني، والصحيح ما أدرجناه.
(5) "ت" اجتمعت.
(6) ينظر ماء الموائد، ج: 1-ص-ص: 320-321.
(7) "ف": مبتدأه.
(8) فراغ في"ح2"عوض هذه الكلمة
(9) "ت": بركات، والصحيح ما أدرجناه.
(10) زيادة من"ت".
(11) عوض هذه الكلمة بياض في النسخة "ت"/"ف": جعله.
(12) "ف" برسمه.

أجزل الله ثوابه لم ير في الوجود أعظم ولا أفخم قدرا من سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فجعل رسالته هذه تحفة مرسلة إلى روحه صلى الله عليه وسلم لكونه هو أصل الموجودات ومنبع فيضها ومددها على اختلاف أجناسها وامتداد فروعها، لأن روحه المقدسة أول مخلوق على ما جاء في الأحاديث. فكأن الرسالة موضوعة فيه صلى الله عليه وسلم فناسب إرسالها إليه ولقد أصاب مرسلها وأتى للبيوت من أبوابها ووفق لذلك لما ذهل عنه غيره ممن همته[1] الدنيا وزهرتها، ولذلك عمت بركة هذه الرسالة. ولنذكرها بتمامها تيمنا بمن أرسلت إليه ووسمت به صلى الله عليه وسلم ونصها:

"لبسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما. الحمد لله رب العالمين، والعافية زيادة للمتقين، المتجلي عن الكونين، والصلاة والسلام على المطهر الأتم محمد وآله {وأصحابه}[2] أجمعين.

[سر الوجود]

العبد المذنب المحتاج إلى شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن الشيخ فضل الله هذه نبذة من الكلمات في علم الحقائق جمعتها بمحض فضل الله {وكرمه}[3] وجعلت ثوابها[4] لروح النبي صلى الله عليه وسلم. وتسميتها "بالتحفة المرسلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم" وهو على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير. اعلموا إخواني أسعدكم الله وإيانا أن الحق سبحانه وتعالى هو الوجود وأن ذلك الوجود ليس له شكل ولا حد[5] ولا حصر ومعنى ذلك ظهر وتجلى بالشكل والحد ولم يتغير عما كان من عدم الشكل وعدم الحد بل الآن [222- ب] كما كان وأن الوجود واحد والألباس مختلفة ومتعددة، وأن ذلك الوجود حقيقة جميع الموجودات وباطنها وأن جميع الكائنات حتى الذرة لا تخلو عن ذلك الوجود وأن ذلك الوجود

(1) "ت" همه.
(2) ساقطة من"ت".
(3) "ساقطة من "ت".
(4) "ف" توابه.
(5) "ف": ليس له حد ولا شكل.

ليس بمعنى التحقق والحصول لأنهما من المعاني المصدرية ليسا بموجودين في الخارج. فلا يطلق الوجود بهذا المعنى على الحق الموجود في الخارج [تعالى][1] عن ذلك علو كبيرا بل عنينا[2] بذلك الوجود الحقيقة المتصفة بهذه الصفات أعني وجودها بذاتها ووجود سائر الموجودات بها وانتفاء غيرها في الخارج، وإن ذلك الوجود من حيث الكنه لا ينكشف لأحد ولا يدركه العقل ولا الوهم ولا الحواس، ولا يأتي في القياس، لأن كلهن محدثات والمحدث لا يدرك كنه المحدث تعالى ذاته وصفاته عن الحدوث علوا كبيرا، ومن أراد معرفته من هذا الوجه وسعى فيه ضيع وقته وأن لذلك[3] الوجود مراتب كثيرة:

المرتبة الأولى: حقيقة مراتب الوجود ألا تعين {و}[4] لا طلاق والذات البحث لا بمعنى أن قيد الإطلاق ومفهوم سلب التعين يتأتيان[5] في تلك المرتبة بل بمعنى أن ذلك الوجود في تلك المرتبة منزه عن إضافة النعوت والصفات ومقدس عن كل قيد حتى عن قيد الإطلاق أيضا. وهذه المرتبة تسمى بالمرتبة الأحدية وهو كونه[6] الحق {سبحانه}[7] وتعالى وليس فوقها مرتبة أخرى بل كل المراتب تحتها.

والمرتبة الثانية: الحقيقة المحمدية مرتبة التعين الأول وهي عبارة عن علمه تعالى بذاته وصفاته وبجميع الموجودات على وجه الإجمال من غير امتياز بعضها من بعض وهذه المرتبة تسمى بالوحدة والحقيقية المحمدية.

والمرتبة الثالثة: مرتبة التعين الثاني وهي عبارة عن علمه بذاته وصفاته وبجميع الموجودات على طريق التفصيل وامتياز بعضها عن بعض وهذه المرتبة تسمى بالواحدية والحقيقة الإمكانية فهذه ثلاث مراتب كلها قديمة والتقديم والتأخير عقلي لا زماني.

---

(1) زائدة من "ت ".
(2) "ت"عنينا.
(3) "ف" ذلك.
(4) ساقطة من "ح1".
(5) "ت" يتأتيان.
(6) "ت" وهي كنه.
(7) ساقطة من"ت".

والمرتبة الرابعة: مرتبة الأرواح وهي عبارة عن الأشياء الكونية المجردة البسيطة التي تظهر على ذواتها وعلى أمثالها.

والمرتبة الخامسة: مرتبة عالم المثال وهي عبارة عن الأشياء الكونية المركبة اللطيفة التي لا تقبل التجزء[1] والتبعيض ولا الخرق ولا الالتئام.

والمرتبة السادسة: مرتبة عالم الأجسام وهي عبارة عن الأشياء الكونية المركبة الكثيفة التي تقبل التجزء والتبعيض والخرق والالتئام[2].

والمرتبة السابعة: المرتبة الجامعة لجميع المراتب المذكورة الجسمانية والنورانية والوحدة والواحدية وهي التجلي الأخير واللباس الأخير وهي الإنسان.

فهذه سبع مراتب: الأولى منها هي مرتبة اللاظهور والستة الباقية منها هي مراتب الظهور الكلية والأخيرة منها أعني الإنسان إذا عرج وظهر فيه جميع المراتب المذكورة مع انبساطها يقال له الإنسان الكامل، والعروج والانبساط على الأكمل كان في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا كان خاتم النبيين، وأن أسماء مرتبة الألوهية وأن لذلك الوجود كمالين لا يجوز إطلاقها على مراتب الكون والخلق وكذا لا يجوز إطلاق أسماء مراتب الكون على مرتبة الألوهية وأن لذلك الوجود كمالين أحدهما: كمال ذاتي، وثانيهما: كمال أسمائي، أما الكمال الذاتي: فهو عبارة عن ظهوره تعالى على نفسه بنفسه في نفسه لنفسه بلا اعتبار الغير والغيرية، والغنى المطلق لازم لهذا الكمال الذاتي ومعنى الغنى المطلق مشاهدته تعالى في نفسه جميع الشؤون والاعتبارات الإلهية والكيانية مع أحكامها ولوازمها ومقتضياتها على وجه كلي جملي لاندراج الكلي[3] في البطون الذاتي ووحدته كاندراج جميع الأعداد في الواحد العددي العددي وإنما سميت غنى[4] مطلقا لأنه تعالى بهذه المشاهدة مستغن عن ظهور العلم على وجه التفصيل لا حاجة له في حصول المشاهدة إلى العالم وما فيه لأن مشاهدة جميع الموجودات حاصلة له تعالى عند اندراج الكلي في بطونه ووحدته وهذه المشاهدة تكون شهوديا غيبيا[5] علميا[1] كشهود المفصل في المجمل والكثير في الواحد

---

(1) "ت" التجزئ.

(2) "ح1" ولا التئام.

(3) "ف": الكل.

(4) "ح1": غناء.

(5) "ح2"عينيا والصواب حسب الأصل ما أثبتناه.

الواحد والنخلة مع الأغصان وتوابعها في النواة[2] واحدة، وأما الكمال الأسماء فهو عبارة عن ظهوره تعالى لنفسه على نفسه ومشهوده ذاته في التعينات [223- أ] الخارجية أعني العالم وما فيه وهذا الشهود يكون شهودا عيانا عينيا وجوديا كشهود المجمل في المفصل، والواحد في الكثير، والنواة في النخلة وتوابعها. وهذا[3] الكمال الأسمائي من حيث التحقق والظهور موقوف على وجود العالم وما فيه كان معناه السابق لا يحصل إلا بظهور العالم إلى وجه التفصيل وإن ذلك الوجود ليس بحال في الموجودات ولا متحد بها، لأن الحلول والاتحاد لا بد لهما من وجودين حتى يحل أحدهما في الآخر. [ويتحد أحدهما في الآخر][4] والوجود واحد لا تعدد له أصلا، وإنما التعدد في الصفات على ما يشهد به ذوق العارفين ووجدانهم، وإن العبودية والتكاليف والراحة والعذاب والألم كلها راجعة إلى التعينات، وأن ذلك الوجود باعتبار مرتبة الإطلاق منزه عن هذه الأشياء كلها. وإن ذلك الوجود محيط بجميع الموجودات كإحاطة الملزوم والموصوف بالصفات لا كإحاطة الظرف بالمظروف والكل بالجزء تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. وإن ذلك الوجود كما أنه اعتبار محض الإطلاق سار في ذوات جميع الموجودات بحيث {إن}[5] الوجود في تلك الذوات عين تلك الذوات كما كانت تلك الذوات قبل الظهور في ذلك الوجود {عين ذلك[6] الوجود}[7] كذلك الصفات الكاملة لذلك الوجود باعتبار كليتها وإطلاقها سارية في جميع صفات الموجودات عين صفات الموجودات بحيث تكون[8] تلك الصفات الكاملة في ضمن صفات الموجودات عين صفات الموجودات كما كانت صفات الموجودات قبل الظهور في تلك الصفات الكاملة، وأن العالم بجميع أجزائه غير الصفات الكاملة أعراض، والمعروض هو الوجود. وأن للعالم[9] ثلاثة[10] مواطن: أحدها التعين الأول. ويسمى فيه شؤونا، وثانيها التعيين الثاني، ويسمى فيه أعيانا

---

(1) "ت": علما.
(2) "ع" النوات.
(3) "ح1": وهذه.
(4) ساقطة من "ت".
(5) ساقطة من"ف".
(6) "ف" تلك.
(7) ساقطة من "ع".
(8) "ح1" يكون.
(9) "ف" العالم.
(10) "ت" ثلاث والصحيح ما أثبتناه.

ثابتة، وثالثها[1] في الخارج ويسمى فيه أعيانا خارجية. وأن الأعيان الثابتة ما شمت رائحة الوجود والظاهر أحكامها وآثارها وأن المدرك أولا في كل شيء هو الوجود بواسطته يدرك ذلك الشيء كالنور بالنسبة إلى سائر الألوان والأشكال، ولأجل دوام[2] الظهور وشدته {و}[3] لا يعلم هذا الإدراك إلا الخواص.

وأن القرب قربان: قرب النوافل وقرب الفرائض.

أما قرب النوافل فهو زوال صفة البشرية وظهور صفاته تعالى بأن يحيي ويميت بإذنه تعالى ويسمع ويبصر من جميع جسده لا من الأذن والعين فقط[4] وكذلك يسمع المسموعات من بعيد ويبصر المبصرات من بعيد، وعلى هذا القياس وهذا معنى فناء الصفات في صفة الله تعالى وهو ثمرة النوافل.

وأما [قرب الفرائض فهو فناء العبد بالكلية عن شعور جميع الموجودات حتى على نفسه أيضا بحيث لم يبق في نظره إلا وجود الحق، سبحانه وتعالى، وهذا معنى فناء العبد في الله تعالى وهو ثمرة الفرائض. وإلى من القائلين بوحدة الوجود من يعلم أن الحق سبحانه وتعالى حقيقة جميع الموجودات وباطنها][5] علما يقينيا[6]، ولكن لا لا يشاهد الحق، سبحانه وتعالى، في الخلق، ومنهم من يشاهد الحق في الخلق شهودا حاليا في القلب، وهذه المرتبة أعلى وأولى من الأولى، ومنهم من يشاهد الحق في الخلق والخلق في الحق بحيث لا يكون أحدهما مانعا من[7] الآخر، وهذه المرتبة أولى وأعلى من المرتبتين السابقتين وهي مقام الأنبياء والأقطاب بمتابعتهم. ومن المحال أن تحصل المرتبة المتوسطية من تلك المراتب الثلاث لمن خالف الشريعة والطريقة فضلا عن المرتبة الأخيرة التي هي أعلى مما[8] سواها من المرتبتين، وأن جميع الموجودات من حيث الوجود هي عين الحق سبحانه وتعالى ومن حيث التعين غير الحق سبحانه وتعالى، والغيرية اعتبارية.

---

(1) ساقطة في "ف".
(2) "ع" دام.
(3) ساقطة من"ت" .
(4) "ح1": قط.
(5) هذه الفقرة مطموسة في النسخة "ت".
(6) "ع": يقينا وما الصحيح ما أثبتناه.
(7) "ف": عن.
(8) "ع": من ما.

وأما من حيث الحقيقة فالكل هو الحق سبحانه وتعالى ومثاله الحبوب والموج وكور الثلج فإن كلهن من حيث الحقيقة الماء ومن حيث التعين غير الماء، وكذا السراب من حيث الحقيقة الهواء ومن حيث التعين غير الهواء والسراب في الحقيقة هواء ظهر بصورة الماء وأما الدلائل الدالة على وحدة الوجود، فهي كثيرة. أما من القرآن {فهو}[1] فقوله عز وجل:

"وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ"[2]. "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد"[3]. "وهو معكم أينما كنتم"[4]. "ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون"[5]. "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق ايديهم"[6]. "هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم"[7] "وفي أنفسكم أفلا تبصرون"[8]. [223- ب] وإذا سألك عبادي عني فإني قريب"[9]، "فلم "فلم تقتلوهم[10] ولكن الله قتلهم"، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى"[11]. "وكان الله بكل شيء محيطا"[12] إلى غير ذلك من الآيات الكريمة. وأما من أقواله صلى الله عليه وسلم فقوله: "أصدق كلمة قالتها العرب كلمة لبيك"." ألا كل شيء ما خلا الله باطل"[13]. إن أحدكم إذا قام إلى الصلاة فإنما[14] يناجي ربه فإن ربه بينه وبين

---

(1) ساقطة من "ث".

(2) سورة البقرة، أول الآية / 114، وتتمتها: " إن الله واسع عليم ".

(3) سورة ق، الآية /16، وأولها: " ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ".

(4) سورة الحديد، بعض الآية/ 4،وتتمتها: " هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على على العرش، يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وهو معكم أين ما كنتم، والله بما تعملون بصير".

(5) سورة الواقعة، الآية / 88.

(6) سورة الفتح، أول الآية/ وتتمتها: " فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنوتيه أجرا عظيما".

(7) سورة الحديد، الآية/3 .

(8) سورة الذاريات، الآية/ 21.

(9) سورة البقرة أول الآية، وتتمتها: " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُومِنُوا بِيَ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ".

(10) "ع": وما قتلوهم.

(11) سورة الأنفال، أول الآية/17، وتتمتها: " وليبلي المومنين منه بلاء حسنا، إن الله سميع عليم".

(12) سورة النساء، آخر الآية/125، وأولها: " ولله ما في السماوات وما في الأرض".

(13) أصله في البخاري ج3 ص 1395 رقم 3628 – في مسلم ج4 ص 1768 رقم 2256 . أما لفظ المؤلف فليس في شيء من كتب السنة ولفظ البخاري: أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد " ألا كل شيء ما خلا الله باطل".

(14) "ح1" إنما والصحيح ما أثبتناه.

القبلة"[1]. وقوله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى: "ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها"[2].

وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يقول مرضت فلم تعدني"[3] ... إلخ، وروى الترمذي من حديث طويل: "والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله {تعالى}[4] تعالى ثم قرأ عليه الصلاة والسلام "هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم"[5]"[6]. إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة.

وحدة الوجود: وأما أقوال الأئمة العارفين بالله الدالة على وحدة الوجود فأكثر كثرة بحيث لا تأتي في العد والحصر، ولذلك لم أذكرها، وإن شئت فعليك بمطالعة نسخهم تجدها إن شاء الله تعالى.

أيها الطالب: إذا أردت الوصول إلى الله تعالى فالتزم متابعة النبي صلى الله عليه وسلم أولا: قولا وفعلا ظاهرا وباطنا، ثم افعل مراقبة الوجود. ثانيا: التي هي معنى الكلمة الطيبة من غير اشتراط الوضوء، وإن وجد فهو أولى، ولا تخصيص وقت دون وقت و {من}[7] غير ملاحظة النفس[8] دخولا وخروجا في المراقبة ولا ملاحظة حروف الكلمة الطيبة بل لا يلاحظ إلا المعنى فقط في كل حال قائما أو قاعدا ماشيا أو مضطجعا متحركا أو ساكنا شاربا أو آكلا والطريق أن تنفي[9] أنيتك

---

(1) لفظ البخاري – ج1 ص 161 رقم 407 . عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم". رأى نخامة في القبلة فحكها بيده، ورؤي منه كراهية أو رؤي كراهية لذلك وشدته عليه، وقال إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنما يناجي ربه أو ربه بينه وبين قبلته، فلا يبزقن في قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدمه ثم أخذ طرف ردائه فبزق فيه ورد بعضه على بعض قال أو يفعل هكذا".

(2) رواه البخاري عن أبي هريرة ج5 ص 2385 رقم 6137.

(3) من صحيح مسلم ج4 ص 1990 رقم 2569، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا ربي كيف اعودك وأنت رب العالمين، تتمة الحديث.

(4) ساقطة من "ف".

(5) سورة الحديد، الآية:3 .

(6) ينظر الترمذي، ج: 5،ص: 403، رقم الحديث: 3298.

(7) ساقطة في "ح2".

(8) "ف": التعيين.

(9) "ع": تقفي.

{أولا}[1] والانية عبارة أن تكون حقيقتك وباطنك غير الحق، سبحانه وتعالى، ثم تثبت الحق، سبحانه وتعالى، في باطنك. ثانيا وهو معنى إلا الله وإن قلت إذا كان الوجود واحدا وغيره ليس بموجود فأي شيء ينفي وأي شيء يثبت، قلت: وهم الغيرية والآنية الذي نشأ للخلق، وهذا الوهم باطل فعليك أن تنفي هذا الوهم [أولا][2] مع[3] تثبت الحق سبحانه وتعالى {في باطنك، ثانيا واعلم أيها الطالب إذا إذا غلب عليك الحال بفضل الله تعالى لا تقدر على نفي آنيتك الوهمية بل لم يبق فيك الإثبات للحق سبحانه وتعالى}[4] رزقنا الله {تعالى}[5] وإياكم هذا المقام بحرمة بحرمة النبي صلى الله عليه وسلم آمين يا رب العالمين"[6]. انتهت التحفة أثبتها هنا لغزارتها ووجازتها.

قال الإمام أبو سالم: "لطيفة: أخبرنا الشيخ شهاب الدين، رئيس الموقتين، بالمدينة المشرفة[7] أن والده لما كان في الأسر تكلم مع راهب من رهبانهم، فقال له الراهب: إنكم معشر المسلمين تزعمون أن كتابكم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. فقال له الشيخ تاج الدين: نعم نقول بذلك. فقال: أين تجد في كتابكم اسمي؟ فقال له: ما اسمك؟ قال له: كبك. فأخرج له تاج الدين المصحف، فأراه ما بعدا الراء من قوله "ما شاء ركبك"[8]، فتعجب الراهب من ذلك وصدق أن[9] في الكتاب كل شيء"[10].

قال: "وهذه فراسة قوية وهداية سنية من الشيخ[11] رضى الله عنه. ولا شك أن في الذكر كل شيء ولكن لا يهتدي إلى ذلك إلا من خصه الله بالفهم الرباني والعلم الإلهي"[12].

---

(1) ساقطة من "ت".
(2) زيادة من"ف".
(3) "ف": كم.
(4) ساقطة من"ف".
(5) ساقطة من "ح1".
(6) ينظر ماء الموائد ج1، الصفحات من 339- 344 .
(7) "ت": الشريفة.
(8) سورة الإنفطار، آخر الآية 8،وأولها: "في أي صورة".
(9) "ح2": بأن.
(10) ينظر ماء الموائد، ج:2-ص:18.
(11) ينظر نفسه.
(12) ينظر نفسه.

قال: "وقد ذكر لي بعض الناس أنه رأى منصوصا وقوع هذه الحكاية لغيره"[1].
لغيره"[1].

قلت: يحتمل أن يكون هذا الراهب أخذ هذه الحكاية ممن سبقه إليه[2] ممن تقدمه وثبتت في ذهنه وأبرزها في معرض الاختبار للشيخ أو اقترحها من غير ثبوت سلف له فيها، ويكون من وقع الحافر على الحافر والله أعلم .

قال: "ومن نظير ما تقدم من اشتمال القرآن الكريم على أخبار كل شيء حتى {علم}[3] الحدثان والوقائع ما أخبرني به شهاب الدين {بن}[4] أحمد بن التاج أن ملك بلاد الروم السلطان سليم أحد ملوك الوقت وهو أول داخل منهم لمصر وتملكها، يريد السلطان الغوري في سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة كان سبب تملكه لها، أنه لما تملك بلاد الشام حدثته نفسه بالتملك على بلاد العراق إذ هي أصل منشاهم ومساكن أسلافهم التركمان فخرج من بلاد اصطنبول التي هي قاعدة ملكهم فلما وصل إلى الشام بعساكره تعذرت عليه العلوفة لغلاء حصل في تلك الناحية فاحتاج إلى الميرة والتزود [224- أ] من مصر فكتب بذلك إلى الغوري يستأذنه في الامتياز من بلده، وكان الشاه ملك عراق العجم في ذلك الوقت لما سمع بتحرك السلطان سليم كاتب الغوري وكانت بينهما صداقة يطلب منه أن يشغله عنه وأن يثبطه ما استطاع وصادف ذلك من الغوري غيرة من السلطان سليم وأنفة من تملكه بلاد الشام وخشي إن اتسع ملكه أن يستولي على مصر، ومصر إذ ذاك هي أم البلاد الإسلامية وملكها أعظم الملوك لانتقال الخلافة العباسية من العراق بعد واقعة التتار إلى مصر. وعندما طلب السلطان سليم من الغوري الميرة تعلل له بأن لا يمكن في هذا الوقت لغلاء الأسعار، واعتذر بأعذار ضعيفة ففطن سليم لما قصد وعلم أنه إنما أراد تعويقه على المسير إلى العراق، فحدثته نفسه بالركوب إليه وصرف العنان عن غزو العراق إلى غزو مصر فاستشار في ذلك من كان بحضرته من العلماء وذكر لهم عذره وأن الغوري منعه من التزود من بلده وهو محتاج إلى الزاد. فكلهم

---

(1) ينظر نفسه.
(2) "ح1": إليها.
(3) ساقطة من"ت".
(4) ساقطة من"ت".

قال[1] له إن ذلك لا يبيح لك قتاله لأنه ملك بلاده ولم يخلع لك يدا من طاعته ولا بادأك بحرب، فكيف يحل لك الهجوم عليه في بلاده ومحاربته بلا سبب؟ وكان من جملة العلماء الحاضرين المحقق ابن كمال باشا وكان أصغرهم، فقال له: أيها الأمير إنه يباح لك غزوه، وفي كتاب الله إنك تدخل مصر في هذه السنة. فقال له: وكيف ذلك؟ فقال له: أفتي بين يدي هؤلاء الأئمة وهم مشايخ الإسلام حتى تؤجلهم سبعا لينظروا وليتدبروا فإن الله تعالى قال: "ما فرطنا في الكتاب من شيء"[2] فكيف لا تكون هذه النازلة في كتاب الله تعالى الذي فيه تبيان كل شيء؟ فقال لهم سليم إني أجلتكم سبعا عسى أن تجدوا أو يتبين لكم ما قال. فقالوا كلهم: أيها الأمير ما كان {من}[3] جوابنا الآن هو جوابنا بعد سبعة. فقال ابن كمال: لا بد من التأجيل وقصده والله أعلم إظهار مزيته عند الملك وأنه اهتدى لما عجزوا عنه بعد التدبر والتلوم إذ لو أبدى[4] ما عنده في المجلس فربما ادعى أن ذلك يمكن الاهتداء إليه بالتأمل والتدبر. فأجلهم الأمير سبعا فلما انقضت جمعهم فسألهم فقالوا له: جوابنا فيما مضى هو جوابنا الآن. فقال ابن كمال: أيها الأمير إنهم ليقرؤون في كتاب الله العظيم إنك تدخل أنت وجندك هؤلاء مصر في هذه السنة إلا أنهم لا يهتدون لفهمه.

فقالوا أين هو؟ فقال قوله تعالى: "ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون"[5]، فضحكوا منه وقالوا: أين هذا مما نحن فيه؟ فقال لهم [إن][6] قوله تعالى ولقد في قوة لفظ سليم بحساب الجمل فإن كل واحد من اللفظين مائة وأربعون عدده فتكون إشارة الكلام سليم[7] كتبنا في الزبور من بعد عشرين وتسعمائة أن الأرض يرثها لأن الذكر عدده بدون آلة التعريف ما تقدم. قال والأرض في الآية الكريمة على قول كثير من المفسرين هي أرض مصر والعباد

(1) "ع" قالوا.
(2) سورة الأنعام، بعض الآية 39، وتتمتها: " وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم، ما فرطنا في الكتاب من شيء، ثم إلى ربهم يحشرون".
(3) ساقطة من "ف".
(4) "ف": أبدا.
(5) سورة الأنبياء، الآية: 104 .
(6) زيادة من "ف".
(7) "ح1": سلم .

الصالحون [في هذا][1] الوقت هم جنودك إذ لا أصلح منهم من عساكر المسلمين في أقطار الأرض لإقامتهم سنة الجهاد وفتحهم أكثر البلاد النصرانية وهم على مذهب أهل السنة، وغيرهم من عساكر البلاد إما من فسدت عقائدهم كأهل العراق وأكثر اليمن والهند، وإما من ضعفت عزائمهم عن إقامة شعائر الإسلام كالمغرب، وإما من استولت عليه الدنيا كمصر، وبالغ في تقرير هذا المعنى وسر السلطان سليم بقوله وسلم له الفقهاء حسن الاستنباط ولطف الإشارة إلا أنهم قالوا له: إن هذا لا يكفي في إباحة قتال من لم يخلع يدا من طاعتك[2] ولا حارب أحدا من المسلمين، وإن كانت الإشارة القرآنية تدل على أن هذا سيكون فلا بد من إظهار وجه تعتمده الفتوى الفقهية فقال ابن كمال: أيها الأمير أما هذا فهو أيضا متيسر، وذلك بأن تبعث إلى السلطان الغوري وتقول له إني لما قدمت إلى هذه الأوطار ولم يتيسر [لنا][3] الغرض الذي قدمنا لأجله[4] عزمنا على التوجه للحجاز لأداء فريضة الحج وليس لنا طريق ولا تزود إلا من بلادكم فأردنا أن تأذن لنا في المرور ببلادكم والتزود منها، فإنه لا محالة مانعك وصادك على المرور ببلده. فإذا صدك عن حج البيت جازك قتاله وصار محاربا. فاستحسن الفقهاء رأيه في ذلك لأن الحيل في مذهبهم سائغة، وانتهاج طريقها عندهم شريعة شائعة، فكتب السلطان سليم إلى الغوري بذلك فراجعه الغوري بجواب سيئ وصرح بمنعه وصده وأنه لا يشرب من نيل [224- ب] مصر جرعة ماء إلا أن مشى على ظهور الموتى، إلى غير ذلك من التهديد. فتقوى عزم السلطان سليم على غزو مصر وتهيأ لذلك فكان ما كان من استيلائه عليه ومحو الدعوة الغورية من مصر وأنحائه وقتله لأكثر العلماء والصلحاء والخليفة العباسي وكثير من أرباب المناصب وكان أمر الله مقدورا. فعظمت بذلك مكانة ابن كمال عنده وخيره فيما شاء من الولايات فاختار الفتوى فتولاها وحسنت سيرته، وتصدى لنشر العلم وتعظيم أهله والله يتقبل منه آمين"[5].

---

(1) مطموسة في "ت".
(2) "ف" طاعة.
(3) زائدة من "ت".
(4) "ح2" عليه.
(5) ينظر ماء الموائد، ج: 2، صفحات: 18-19-20-21 .

ونظائر هذه الحكايات والاستنباطات كثيرة يتعاطاها أربابها على أن التكلف[1] "في مثل هذا وتعاطي فهمه من القرآن مما لا ينبغي إلا لذي بصيرة نورانية بصدق كشف[2] فتحه، وإلا فالهجوم عليه ببضاعة العقل خطر فإن الواقع قد لا يكون كذلك، فيؤدي إلى نسبة شبه الكذب لخبر الله تعالى. وإن بالفحوى والإشارة والقرآن ينزه عن مثل ذلك فإن الله تعالى ما أنزله على عبده لهذا وإن كان موجودا فيه، وإنما أنزله هدى موعظة وذكرى لأولي الألباب. فاستعمال[3] الفكر في معانيه التي حض الله {تعالى}[4] عليها ورسوله أولى من استعماله في أمثال هذه الأمور التي لم يرد عن الشارع ولا عن السلف الصالح اعتبار جنسها في أمثال هذه الأمور، وإن اعتبرها بعض لكن في غير هذا الجنس كاستخراج ابن عباس رضي الله عنه تعبير ليلة القدر من بعض آيات[5] سورته[6]. وأما المتأخرون فمنهم من اعتبره في هذا الجنس كاستخراج بعضهم فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين {من}[7] قوله تعالى: "غلبت الروم"[8] إلى قوله: "بضع سنين"[9] إلا أنه أمر نادر لا ينبغي أن يعتمد. وذو وذو الحال الصحيح، والكشف الصريح، لا ينبغي أن يقتدى به والله الموفق للصواب"[10] انتهى.

وإياك أن تقفو ما ليس لك به علم فتقع في مهواة لا قعر لها من العطب حذار! حذار!.

إجازة الشيخ اسماعيل [خطيب الحرم المدني]: وممن التقينا به بالمدينة خطيب الحرم الشيخ إسماعيل قرأت عليه حديث: "إنما الأعمال بالنيات"[11] فأجازني. ونص إجازته:

---

(1) "ح1": التسلي .
(2) "ح2": كشفه .
(3) "ف": فاستعمل.
(4) ساقطة من "ع".
(5) "ت": آية.
(6) "ت": سورة.
(7) ساقطة من "ع".
(8) سورة الروم، بعض الآية /1، وتتمتها: " الم، غلبت الروم في أدنى الأرض وهو من بعد غلبهم سيغلبون".
(9) سورة الروم، بعض الآية/ 2، وتتمتها: " في بضع سنين ".
(10) ينظر نفسه، ص: 22 .
(11) أول حديث في البخاري: ج1 رقم 1 .

"أحمد الله سبحانه، ونسأله أن يصلي ويسلم على نبيه وأشرف خلقه مولانا محمد ولآله وصحبه وأتباعه وأحبابه:

أخذت قراءة القرآن والحديث عن العارف بالله تعالى الشيخ علي الشبرملسي[1] عن الشيخ الحلبي صاحب السيرة عن القاضي شمهروش عن النبي، صلى الله عليه وسلم، وقد أجزت الشيخ العارف بالله تعالى الشيخ السيد أحمد بن محمد بن ناصر أن يروي بهذا السند الشريف، العالي المنيف، حديث سيد المرسلين[2]، وحبيب رب العالمين، ككتاب[3] البخاري وغيره من الكتب. وقد قرأ علي علي حديث "إنما الأعمال بالنيات" نفع الله تعالى به المسلمين، وجعلني وإياه في بركة سيد المرسلين" آمين.

ومن عادة أهل المدينة زادها الله تشريفا وتعظيما وتبجيلا وتكريما، إذا ذهبت الأركاب وتدرع كل إلى بلده الإياب. وخلص المكان لأهله، وانفرد كل بمحله،" نظف الحرم الشريف وفرش بفرشه المعهودة، من الزرابي المبثوثة، الحسان التي لا يوجد لها نظير إلا في بيوت الملوك وغالبها يأتي من أرض الهند عند مالكها[4] وسداء بعضها حرير خالص وطعمها من جيد الصوف الملون الذي لا يكاد يفرق بينه وبين الحرير إلا ذو بصيرة، يفرش بها المسجد النبوي القديم المسقف كله وتخرج الربائع التي فيها المصاحف العتيقة والأجزاء الحسان وفق الملوك والكبراء وصفت في قبلة[5] المسجد وفتحت خزائن الكتب العلمية الموقوفة بالحرم الشريف يستعير منها الناس للقراءة، وشرع الأئمة في التدريس والقراءة، وكانت عادتهم إذا كان اليوم السابع عشر من ذي القعدة يسمونه الكنيس، جمعت بسط الحرم الشريف كلها وأدخلت في المخازن فلا يبقى في المسجد إلا الحصر وأدخلت المصاحف التي في المسجد والسبحات إلى الروضة ورد كل من استعار كتابا إلى صاحبه أو إلى ناظر الخزانة التي أخذه منها واقتضى غالب الديون وتفاصل الشركاء وانتهى أمر غالب الأكرية، يتهيئون بذلك للموسم لأنه في غالب الأمر مظنة ارتحال قاطن وقدوم غائب

(1) "ح1": الشمولي .
(2) "ف": الأولين.
(3) "ت": كتاب.
(4) "ح2": ملكها.
(5) "ح1": قلبي .

واجتماع الناس من الآفاق واشتغال أهل المدينة بقبض الأوقاف والجرايات التي تأتيهم من الآفاق وذهاب من يريد النسك إلى مكة أو من يريد التجارة، فلا يبقى بالمدينة إلا القليل من الناس ويكنس الحرم الشريف في ذلك اليوم وفيه يكنس البيت العتيق بمكة أيضا يفعل فيها مثل ذلك. وأيام الموسم [225- أ] عند أهل الحرمين الشريفين فيها يجمعون غالب أمور معاشهم فلا يتفرغ أحد لتدريس ولا إلى عبادة إلا ما لا بد منه، فإذا انقضت أيام الموسم وذهبت الأركاب الواردة من الآفاق ولم يبق بالحرمين إلا أهلها، رجعوا إلى معتاد حالهما في الأمور الدينية من القراءة والتدريس وأنواع العبادات، والدنيوية والفلاحة والتسعير في الأسواق وتصحيح المكاييل والموازين. وأما أيام الموسم فلا سعر معلوما ولا مكيال وافيا ولا ميزان صحيحا كل يفعل ما يشاء ولا يتكلم الولاة في شيء من ذلك إلا أن يقع أمر مهم ويتنافس الناس في الخدمة في ذلك اليوم بنقل البسط وغيرها ويعمل في ذلك الأمراء والكبراء العظام فمن دونهم، وناهيك بشرف مقام يتشرف أعظم الملوك بتولي خدمته ويجعل بسطه التي تداس بالأقدام على رقبته، ويعفر مصون شيبه في قتير حصره، ويكحل بتراب أرضه [إنسانَ][1] عينِ بصره، وما كان يتولى الخدمة هناك إلا من ومن. وإذا قربت ليلة المولد الشريف بولغ في تنظيف[2] الحرم وتزيينه[3] وغسل[4] مصابيحه وجددت أفاويحه، وجعل فيها مائع شديد الحمرة وألقي فوقه قليل زيت طيب أخضر، فإذا توقد المصباح ظهر إشراق[5] الصباح[6] لشدة صفائه وملاقيه[7] لضوء النار، وأشرقت وأشرقت حمرة ذلك المائع لكونها ملاقية لصفاء الزجاج فتصير حمرته كحمرة الياقوت وكذلك الخط من الزيت فوقه أخضر كالزمرد وفوقه صفاء الزجاج يتموج فيه ضوء النهار وينعكس فيه فيما ازج إشراقه صفاء الزيت وخضرته، وصفاء المائع الأحمر وحمرته، فلا تسأل عن حسن ذلك المنظر وبهائه، وقد رتبت[8] المصابيح في تعليقها ترتيبا حسنا لائقا، وشكلت تشكيلا بديعا بين تربيع وتدوير، فيا له من منظر ما

---

(1) زائدة من "ع" و"ف" .
(2) "ح1": تنضيف .
(3) "ت": تنزيهه.
(4) "ف": وغسلت.
(5) "ت": أثر.
(6) "ت": المصباح.
(7) "ف": ملاقاته.
(8) "ع": رتب،والصحيح ما أثبتناه .

أبهجه! ومن ليل ما أسرجه! ونور النبوءة مشرق على كل ذلك، مزر بجميع ما هنالك. فقد اتفق أرباب الأذواق السليمة أن كل شيء مستحسن في الدنيا من ملابسها وجواهرها ويواقيتها وطيبها، يزداد حسنا في المدينة على حسنه الذي كان له قبل ذلك، وذلك لسر يدركه أهل البصائر بصفاء السرائر، وكيف لا وتلك حضرة مظهر أصل الجمال، ومنبع الكمال، فما من جمال في الدنيا والآخرة إلا هو مستمد بذلك الجمال، فكيف لا يزداد حسنا عند حصوله بمحل أصل الجمال، لقربه من منبعه، وقرب استمداده من مجمعه. فإذا كان بعد صلاة العصر من اليوم الحادي عشر أخرجت القناديل الكبار والحسك العظام من الحجرة الشريفة، الرائقة المنيفة، غالبها من النحاس المطلي بالذهب، فمن لم يعرف أصلها لا يظنها إلا ذهبا خالصا. وكل واحدة أعظم من قعدة الرجل العظيم وصفت في صحن المسجد ووضعت فيه الشمع الغليظة الصافية اللون منها ما يزن نصف القنطار[1] ومنها دون ذلك. وفي وسط تلك القناديل قنديل كبير من فضة خالصة زيته أكثر من قنطار، فيه خمس حسك كبار، من فضة مدور الشكل. فيوضع في كل حسكة منها شمعة وتبسط البسط الرفيعة من جوانب القناديل من كل جهة لجلوس الأمراء وأرباب المراتب وجلوس[2] المنشدين. فإذا صليت المغرب أوقدت المصابيح كلها والشمع الذي في صحن المسجد وأخذ الناس في الاجتماع وأوقدت {أربع}[3] مشاعل كبار على أساطين معدة لذلك في صحن المسجد: اثنان في مقدمه واثنان في مؤخره فإذا صليت[4] العشاء جلس الأمراء في الفرش المعدة لهم كل على مرتبته، وجلس الشعراء أمامهم والمنشدون، وضربت خيمة قريبة من باب النساء وضعت فيها أنواع الأشربة الحلوة[5] فإذا امتلأ المسجد وغص بأهله وجلس كل واحد {في}[6] موضعه[7] قام المنشدون فينشدون من غرر القصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ما انتخبوه وأعدوه لذلك الموضع بألحان عجيبة وتراجيع[8] منسقة[1] وبإزائهم جماعة يردون

---

(1) "ف": قنطار .
(2) "ح2": وجلوس .
(3) ساقطة من "ع".
(4) "ت": صلي.
(5) مطموسة في "ح2".
(6) ساقطة من "ت".
(7) "ت": في مجلسه.
(8) "ت": تراجع .

عليهم بأصوات حسنة، فيجيء السقاؤون بأنواع الأشربة الحلوة فيسقون الأمراء والمنشدين ومن معهم من أتباعهم، ثم سائر الناس ثم يؤتى بأنواع الرياحين والأزهار فتوضع بين أيديهم أضغاثا ثم تفرق أيضا على الحاضرين ثم يؤتى بأطباق من اللوز والسكر وأنواع الحلاوي فتفرق أيضا، وينثر ما بقي [225- ب] على عامة الناس، ولا يزالون كذلك حتى يمضي من الليل ما شاء الله النصف أو قريبا منه فينصرفون."[2]

قال شيخنا أبو سالم: "وهذه الليلة من الليالي الغر المسترخص شراؤها بباقي العمر لولا ما شانها من كثرة النساء في المسجد، وإكثارهن من الولاول إلا أن أكثرهن في مؤخر المسجد من قبة الشمع وما حولها إلى آخر المسجد ".

ومن عادة أهل المدينة أيضا في كل ليلة جمعة أن يجتمع الناس بعد صلاة العشاء في آخر أروقة[3] المسجد النبوي الموالي لصحن المسجد فيأتي جماعة من المنشدين فينشد كل واحد قصيدة أو قصيدتين بصوت رخيم وتطريب وتقسيم والناس محدقون بهم، ولهم اتباع يردون عليهم مثل ما تقدم في ليلة المولد إلا أنهم لا يحتفلون لذلك {في}[4] ليلة الجمعة كاحتفالهم [في][5] ليلة المولد ولا قريبا منها"[6].

عادات يوم الجمعة: ومن عادتهم يوم الجمعة الخروج للبقيع ووضع الرياحين الكثيرة على القبور {و}[7] خصوصا المشاهد المعلومة فيكون عندها أضغاث من الرياحين ويؤتى به إلى الحجرة الشريفة أيضا ويلقى من طيقان[8] الشبابيك إلى داخلها، فلا يزال هنالك حتى يذبل ويذوي فيخرج في كناسة الحجرة {ويقتسمها}[9] الأغوات[10] بينهم مع باقي الشمع الذي يوقد داخل الحجرة وما يتساقط من الطيب، فيجمعون من ذلك فيهدون لأصحابهم والأكابر يبعثون منه إلى من يهاديهم

(1) "ت": مستقلة .
(2) ينظر ماء الموائد، ج: 1، ص: 286 .
(3) "ت": روقة .
(4) ساقطة من "ت".
(5) زائدة من "ع".
(6) ينظر تعريف عن الأغوات ب:ص: 377 من الرحلة الناصرية.
(7) ساقطة من "ت".
(8) "ع": صيقان.
(9) ساقطة من "ت".
(10) مطموسة في "ح1".

من أهل الآفاق. ومن عاداتهم يوم الجمعة أن يكنس المسجد النبوي كله ويؤتى بأغطية من ديباج أسود مخوص بالذهب، فتعلق بأبواب المسجد ويؤتى برايتين سوداوين من ديباج مخوص أيضا فيركزان عن يمين المنبر وشماله وتكسى درج المنبر من أعلاه إلى أسفله ديباجا من ذلك النعت أيضا ويعلق أيضا على أبواب الحجرة الشريفة، فإذا كان قبل الزوال بقريب من ساعتين طلع المؤذنون على المآذن فيبتدئ مؤذن الرائسة بالذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقراءة آيات من القرآن، فإذا فرغ تلاه صاحب السليمانية على نحو من ذلك ثم لا يزالون كذلك يتناوبون الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والتلاوة على المآذن كلها إلى أن يخرج الإمام بأثر الزوال يقتسمون الوقت بذلك فإذا قرب دخول الإمام قام أحد المؤذنين على سائر المؤذنين فينشد ما شاء الله، فإذا الإمام رَقِيَ المنبر أذن المؤذنون دفعة واحدة داخل المسجد على السرير[1] الذي في وسط المسجد. وكيفية وكيفية آذانهم {أنه}[2] يبتدئ رئيسهم فيقول الله أكبر الله أكبر فيقوله الآخرون بعده بعده دفعة واحدة ثم يقول أشهد ألا إله إلا الله مثنى فيقولونه أيضا[3] بعد فراغه منه منه دفعة واحدة وهلم إلى آخر الآذان.

وأما الخطابة فهي كالإمامة موزعة بين فقهاء المدينة لكل واحد مقدار معلوم من الأيام على قدر حصته التي يأخذها من جامكية الخطباء، فمنهم مقل ومكثر وذلك إما بالوراثة من أسلافهم أو بالشراء من الولاة[4] وهو الغالب، فمنهم من تدور تدور نوبته في كل شهر مرة، ومنهم من لا تصل إليه النوبة إلا مرة في السنة، ومنهم بين ذلك على حسب انصبابهم في المال المأخوذ على ذلك.

ومن عادة المدرسين بالمدينة {أيضا}[5] تعطيل القراءة في المكاتب والتدريس يوم الثلاثاء ويوم الجمعة، ويقرؤون فيما سوى ذلك من الأيام خلاف عادتنا في المغرب من التعطيل يوم الخميس والجمعة"[6].

---

(1) "ت": سرير .
(2) ساقطة من "ت".
(3) "ف": فيقولونها.
(4) "ع": الولات.
(5) ساقطة من "ت".
(6) ينظر ماء الموائد، ج: 1، الصفحات: 287- 288- 289.

قال شيخنا أبو سالم: "فكنت أيام إقرائي بالحرم الشريف يكلفوني القراءة يوم الخميس فيشق ذلك علي لكونه خلاف المعتاد لدينا. ولخروجنا في ذلك اليوم إلى زيارة أحد أو غيره من المشاهد فطالبتهم كل المطالبة أن نعوض الخميس بالثلاثاء فأبوا كل الإباية فجريت على عاداتهم كما قيل: (سريع)

إِنْ جِئْتَ أَرْضاً أَهْلُهَا كُلُّهُمْ عُورٌ فَغَمِّضْ عَيْنَكَ الوَاحِدَهْ[1]

قلت: ولا أدري ما السبب في تعطيل الثلاثاء لديهم وأما الخميس والجمعة فسببها شهير.

التهاني الشهرية: ومن عاداتهم أيضا في الحرمين الشريفين "التهنئة بالشهر أي شهر كان خلاف المعتاد لدينا بالمغرب فإن التهنئة عندنا إنما تكون بالأعياد وما شاكلها، ولديهم لا بد من التهنئة في أول يوم من كل شهر، فيذهب كل واحد إلى من له [226- أ] عليه حق بولاية أو شيخوخة أو صحبة حتى يهنئه بالشهر في منزله ولله در القائل: (الكامل)

إِنَّ الأَهِلَّةَ فِي السَّمَاءِ مَنَاجِلٌ بِطُلُوعِهَا تَتَحَصَّدُ الأَعْمَارُ

أَبَداً يُهَنِّئُ بَعْضُنَا بَعْضاً بِهَا وَطُلُوعُهَا بِأُفُولِنَا إِنْذَارُ

عادات الصلاة: ومن عاداتهم في إقامة الصلوات الخمس في الحرم الشريف تقديم الصلوات[2] في أول الوقت ما عدا الصبح للحنفي فيؤخره إلى قرب الإسفار، فيصلون الظهر أول ما تزول الشمس وما يقيل غالب الناس إلا بعد الصلاة، فيذهبون بعد الصلاة إلى منازلهم لنوم القائلة. وكان ذلك يشق على الغرباء اعتيادهم لذلك، فتكاد صلاة الظهر تفوتهم في المسجد لأنهم لا يتأهبون لها إلا بعد الآذان، وليس بعد الآذان والصلاة قدر يسع التأهب فمن لن يتأهب للصلاة قبل دخول الوقت فاتته الصلاة في الجماعة غالبا وذلك خلاف السنة في تأخير صلاة الظهر إلى ربع القامة أو أزيد للإبراد في شدة الحر، فإن لله وإنا إليه راجعون علة تفويت

---

(1) علق ناسخ "ت" على هذا البيت بقوله: لا ينبغي التمثل في أهل حرم الله وحرم نبيه بمثل هذا البيت فهو سوء أدب مع مرثى ولكل جواد كبوة ولكل حليم هفوة ولكل سيف نبوة أين هذا من قول القائل:

العيش هنا والموت طيب *** في طيبة كل شيء يطيب

ينظر ماء الموائد، ج: 1، ص: 289 .

(2) "ع": الصلاة .

الفضائل في أماكن الأفاضل وأول من يصلي من الأئمة الشافعي ثم الحنفي إلا في صلاة المغرب فيتقدم الحنفي، لضيق وقته عنده كالمالكي، ولا يقدم بالمدينة من الأئمة سواهما {من أرباب المذاهب}[1] إلا في الجمعة فيصلى صاحب النوبة على أي مذهب كان، فيتناوب[2] الإمامان الصلاة في المحراب النبوي فإن صلى أحدهما فيه صلى الآخر في المحراب الذي على يمين المنبر الشريف، وأما المحراب العثماني الذي في الصف الأول فلا يصلى فيه إلا في بعض أيام الموسم إن كثر الناس"[3].

"ومن عادتهم في الصلاة على الجنائز إدخال الجنازة إلى الحرم الشريف فيصلى عليها بالمسجد، ثم يمر بها إمام الوجه الشريف ويوقف بها وقيفة ثم يذهبون بها إلى محلها من البقيع أو غيره، إلا جنائز الروافض كالنخاولة فإنها لا يدخل بها المسجد ولا يِأتى بها للمواجهة، بل يأتي بها أصحابها إلى خارج المسجد من ناحية الروضة ثم يرجعون ولقد أحسن من سن بهم ذلك من الولاة[4] فحق من يبغض ضجيعي الرسول، صلى الله عليه وسلم ورفيقيه[5] {في المحيا والممات}[6] أن يبعد عن حماه حيا وميتا"[7] قيض الله من يخليهم منها إلى ثيماء[8] وأريحاء [آمين][9].

طقوس عقد النكاح: "ومن عاداتهم في الإملاكات أن يكون عقد النكاح بالمسجد الحرام، فيأتى أكابر المدينة من أرباب المراتب والمناصب والخطيب فيجلسون صفين من المنبر إلى الحجرة {الشريفة}[10]، صف مستقبل القبلة وصف مستند ظهره إلى جدار القبلة وبإزاء الخطيب المتعاقدان، فيشرع في الخطبة فيثنى على الله بما هو أهله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ثم يذكر المتعاقدين ويشير إليهما ويرضيان بذلك، ثم يؤتى بأطباق الرياحين وتوضع بين الصفين وأطباق من اللوز والسكر ويفرق ذلك على الحاضرين، ويقوم المنشد وينشد قصيدة أو قصيدتين في مدح النبي

---

(1) ساقطة من "ت".
(2) "ح2": فيناوب.
(3) ينظر ماء الموائد، ج1، ص- ص: 289- 290 .
(4) "ت": الولات .
(5) "ف": رفيقه.
(6) ساقطة من "ت".
(7) ينظر ماء الموائد، ج1، ص: 295 .
(8) "ف": تيماء.
(9) زيادة من"ف".
(10) ساقطة من "ت".

صلى الله عليه وسلم فيفترق المجلس، ويقوم الحاضرون إلى المتعاقدين ويهنئونهما[1]. وهذه صورة إملاك كل ذي وجاهة ورياسة من أمير أو تاجر أو صاحب حنطة، وأما غيرهم فعلى حسب ما يتفق لهم فإذا كان لهم ليلة الدخول أتى بالرجل ومعه جماعة كثيرة[2] من أصحابه وأقاربه ومعه الشموع حتى يوقف به على باب المسجد بعد العشاء الأخيرة، فيدخل ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو فيخرج ثم يذهب به كذلك يزفونه إلى بيت المرأة في دار أهلها عكس المعتاد في كثير من البلاد من أن المرأة هي التي تزف إلى زوجها وأن الدخول في بيت الزوج، وعند هؤلاء لما كانت العادة الدخول بالمرأة في بيت أهلها صار الزوج هو الذي يزف فإذا أصبح الزوج ذهب من بيت الزوجة إلى بيته، وأخذ في إطعام الناس طعام الوليمة وجاء الناس لتهنئته. وفي الليلة المقبلة تأتي الزوجة من دار أهلها إلى دار الزوج. ولكل قطر عادة، ولكل قوم سادة، وعادات[3] السادات سادة العادات.

ومن عاداتهم في التعامل أنهم يسمون الأربيعن مائديا[4] حرفا فيقول[5] عشرة أحرف وعشرون حرفا يعنون كل أربعين قيراطان من قراريط الفضة المسكوكة يعد حرفا كقولنا في بلادنا لهذا المقدار مثقالا، ويقولون للدينار من الذهب المسكوك شريفي وسلطانيا ويقولون للريال المسكوك من الفضة ريالا وقرشا. قلت وهذا خلاف عرف مصر في القرش [226- ب] فإنه أقل من الريال. ويقولون للقيراط المسكوك محلقا وبمصر يقولون له فضة ومائديا ويقولون للصاع الذي به التعامل ربعيا، ويسمون الحروف المتقدمة إذا ذكرت مجموعة ذهبا فيقولون عشرون ذهبا وثلاثون ذهبا يعنون عشرين حرفا من غير قصد إرادة الذهب إذ التعامل بالذهب إنما هو بالدنانير وأجزائها.

عادات المعاملات: ومن عادتهم في الشراء من الأعراب الذين يجلبون اللبن والجبن والسمن والغنم أن يشتري منهم قوم من الأعراب الساكنين بالمدينة وأطرافها، ولهم اسم يختصون به كالبرغازين عندنا فيدخلونه الأسواق ويشتري منهم أهل

---

(1) "ح2": ويهنوهما.
(2) "ف":كبيرة .
(3) "ف": عادة .
(4) "ح1": تماديا.
(5) "ت": فيقولون.

المدينة. وهذا من تَلَقِّي السلع المنهي عنه، ولكنهم قد ألفوا ذلك واستمرت عليه عادتهم، ألف ذلك القادمون أيضا لو أن أحدا من أهل المدينة أراد أن يشتري منهم لم يبيعوه إلا بأضعاف ما يشتريه البر غازون، فإذا جاء البرغازون أخذوه منهم بأقل من ذلك ويركنون إليهم ويميلون لقولهم ويعرفون كيفية المساومة معهم فلا يعتاصون[1] عليهم لقرب الشكل من الشكل {وغيرهم ليس بتلك المثابة}[2] فلا يكاد أحد يشتري منهم لجفائهم وغلظ طبائعهم، فاستسهل الناس الشراء من البرغازين بربح قليل زيادة على ما اشتروا به من الأعراب".

واغتفروا التلقي لذلك اللهم إلى أن يكون الموضع الذي يحطون فيه ما يأتون به من اللبن وغيره معلوما عندهم لذلك ولا يقصدون سواه ولا يتعدونه لغيره لبيع ما يأتون به من سوق أو حانوت أو دكان فيكون ذلك كالسوق لسلعهم فلا نهي إذ لا تلقى حينئذ لكون السلع بولغ بها سوقها ومحل بيعها وابتياعها.

"ومن عاداتهم في أكرية الرواحل من القوافل الذاهبة إلى مكة أو الينبع[3] أن بالمدينة رجالا يعرفهم غالب الجمالين فمن احتاج الكراء من أرباب الدواب وأرباب السلع أتى إليهم فيعقدون لهم[4] الكراء مع صاحبه ويتكلفون بما عسى أن يصدر من الجمال من غدر في الطريق بهروب أو مكر ويسمى أحد هؤلاء المخرج فلا يعقد أحد كراء إلا بحضرة أحدهم وجلوسهم في الغالب بباب المصري، ويأخذون بذلك حلاوة من الجمال ومن المكتري، وذلك دأبهم بمكة أيضا"[5].

مأكولات المدينة: وفواكه المدينة المشرفة: "في غاية الجودة، خصوصا عنبها ورطبها. وأما الخضر، فأكثرها وجودا: الجزر والباقلا والملوخية والبامية[6] والبصل واللفت. والخضر البرية ليس بها إلا الخبيز، ولا يأكل أحد في تلك البلاد السمن

---

(1) "ح1": فلا يعتامون .
(2) ساقطة من "ت" .
(3) "ف": الينبوع.
(4) "ف": له /"ح2": إليهم .
(5) ينظر ماء الموائد، ج: 1، ص: 300– 301 .
(6) "ف": الباقية .

القديم {والشحم}[1] الغوي إلا أضر به ما لم يكن حديث عهد بالبلد. فإذا طالت إقامته في البلد تطبع بطبعهم"[2].

قال أبو سالم: "وطبع ذلك البلد المشرف وهواؤه، قلما يوافق أحدا من أهل مغربنا الأقصى، ممن بلده ريف ذات مياه وخصب، وإنما يوافق أمزجة أهل الصحراء كتوات وتجراره[3] وأهل السودان، وذلك، والله أعلم لفرط حرارة بلاد هؤلاء. فقلما[4] فقلما[4] رأيت أحدهم مريضا في تلك البلاد[5] إلا مرضا خفيفا، وقلما رأيت أحدا ممن بلده كبلادنا ريف وخصب إلا وقد ألظ به المرض إلا القليل ممن طالت إقامته جدا في البلد ويطبع[6] بطبع أهلها"[7].

قال: "ومن يوم قدومنا للمدينة، كل من تكلمنا معه من أصحابنا المجاورين يقول لنا: استعدوا لحمى المدينة فلا بد لكم منها. فإنها تحفة النبي، صلى الله عليه وسلم، وكرامته لجيرانه لتمحيص ذنوبهم. وكان بعض أصحابنا يتمغص من ذلك، ويشق عليه سماعه منهم. ويقول نحن نرجو أن تكون كرامة النبي، صلى الله عليه وسلم بغير ذلك. فكان أول وقوعنا في المرض وأطولنا إقامة فيه، والله يغفر له ويكفر زلله"[8].

قال: "ولا يعد ولا نكر في تسميته الحمى بتحفته صلى الله عليه وسلم، ولذلك أصل في السنة. فقد ورد في بعض الأحاديث: "أن الحمى استأذنت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها اذهبي إلى الأنصار فإن لهم علينا يدا"[9]، أو كما قال عليه السلام وروى الإمام أحمد وغيره برجال الصحيح عن جابر رضي الله عنه: "استأذنت الحمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال من هذه فقالت أم ملدم فأمرها بالانصراف إلى أهل قباء، فلقوا ما لا يعلمه إلا الله فأتوه فشكوا ذلك

---

(1) ساقطة من"ت".
(2) ينظر ماء الموائد، ج: 1، ص: 301 .
(3) "ح2": وتجراري.
(4) "ح1": قلما.
(5) "ف": البلد.
(6) "ف": تطبع.
(7) ينظر ماء الموائد، ج: 1، ص: 301 .
(8) ينظر ماء الموائد، ج: 1، ص: 278.
(9) صحيح المعجم الكبير ج: 6 ص 246 رقم 6113 والإمام أحمد ج 3 ص 316 رقم 14433.

إليه، فقال ما شئتم إن شئتم دعوت الله ليكشفها عنكم وإن شئتم تكون لكم طهورا، قالوا: وتفعل، [227- أ] قال نعم، قالوا: فدعها"[1]، وفي رواية: "وإن شئتم تركتموها وأسقطت بقية ذنوبكم" انتهى.

ولا تحفة ولا كرامة لزائره صلى الله عليه وسلم أعظم مما يطهرهم من الآثام، وهل فارقوا الأهل والأولاد، وقطعوا الأغوار والأنجاد، وامتطوا ظهور النجائب، وفلوا بأرجلها ناصية السباسب إليه صلى الله عليه وسلم إلا لتحط عنهم أوزارهم وتغسل أدرانهم، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جازى نبيا عن قومه. وقد حقق العارف الإمام ابن أبي جمرة رضي الله عنه أن المغفرة أعلى ما يناله العبد من الله قائلا: "إن الرحمة وإن نال منها الإنسان ما عسى {أن ينال}[2] فيمكن أن يبقى معها بقية ذنب يؤاخذ بها، بخلاف المغفرة. ولذلك امتن الله بها على نبيه صلى الله عليه وسلم"[3] انتهى.

قلت فلا ينبغي إذن للعاقل أن يكون أهم ما لديه {إلا}[4] تعاطي أسباب المغفرة من الله تعالى كصلاة التسبيح كل يوم أو أسبوع أو شهر أو سنة أو مرة في العمر. فقد ورد فيها ما يحمل الراغب في ربه المشفق من ذنبه على أن لا يدعها ولا يقوم عليها سواها وأفضل أوقاتها ما بين الزوال وصلاة الظهر إن تأتى لك ذلك، وإلا فكسائر النوافل تصلى في أوقاتها من ليل أو نهار وتصلى تارة على ما رواه ابن المبارك رضي الله عنه وتارة على غيره من تقديم القراءة على الأذكار والجلوس للاستراحة قائلا الأذكار فيها قبل أن ينهض قائما وقبل التشهد، فَشَدِّدِ الضنين عليها ولا يشغلنك عنها شاغل، واستبشر بنعمة من الله وفضل أن وفقك لها[5] وأهلك لتعاطيها ونشطك لها، إذ لو أراد بك الأخرى عياذا بالله لثبطك عنها فتكاسلت وتوانيت ولا يزهدك عنها زاهد فإن العارفين بالله بالغوا في الحث والحض عليها، والله يوفقنا وإياك، ولنذكر هنا الأحاديث الدالة على الخصال المكفرة لما تقدم أو تأخر من

---

(1) أصله في البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة، وعند الإمام أحمد، ج 13 ص 385 رقم 15171.

(2) ساقطة من "ع".

(3) ينظر ماء الموائد، ج1، ص: 278 .

(4) ساقطة من "ع".

(5) "ف" عليها.

الذنوب. جمع الإمام الحافظ ابن حجر في جزئه[1] المسمى بالخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة تيمنا وتبركا فأقول:

عن ابن حجر بسنده إلى حمران أن ابن أبان مولى عثمان بن عفان: دعا عثمان بن عفان رضي الله عنه بماء فأكثر ترداد الماء على وجهه ويديه فقلت: "حسبك قد أسبغت" الوضوء والليلة شديدة البرد فقال: صب فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يسبغ أحد الوضوء إلا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر"[2]. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ومسنده وأخرج أبو عوانة في مستخرجه على مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع المؤذن فقال أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريكه وأن محمد عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا، وفي رواية أخرى رسولا، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فقال رجل {يا سعد}[3] ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال: هكذا سمعت[4] من رسول الله صلى الله عليه وسلم"[5].

وأخرج أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب" يا عباس يا عماه ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك ألا أفعل به عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وآخره، خطأه وعمده، صغيره وكبيره، سره وعلانيته.{عشر خصال}[6]: أن تصلى أربع ركعات تقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة، فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم، قلت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشرا، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا، ثم تهوي ساجدا فتقولها عشرا، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا، ثم تسجد فتقولها عشرا، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا، ثم تسجد فتقولها عشرا. فذلك خمس وسبعون مرة

---

(1) "ح1": حزبه، والأرجح ما أثبتناه.
(2) منكر ضعيف الترغيب والترهيب ج1 رقم 132 .
(3) ساقطة من "ت".
(4) "ف": سمعته .
(5) ضعيف بزيادة " وما تأخر" ذلك أن لفظ عبد الرزاق في المصنف ج6 و31 رقم 29249 عن سعدانه قال: " إذا قال المؤذن أشهد أن لا إلاه إلا الله رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا، غفر ذنوبه، فقال له رجل يا سعد ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال: لا، هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول". والصحيح الذي في مسلم ج1 ص 290 رقم 386 دون قوله "وما تأخر".
(6) ساقطة من "ت".

في كل ركعة تفعل ذلك في أربع ركعات، إن استطعت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل، فإن لم تفعل ففي كل جمعة مرة، فإن لم تفعل ففي كل شهر مرة، فإن لم تفعل ففي كل سنة مرة، فإن لم تفعل ففي عمرك مرة"[1].

وأخرج ابن وهب في مصنفه عن أبي هريرة رضي الله {تعالى}[2] عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أمن الإمام فأمنوا، فإن الملائكة تؤمن فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر"[3]. وأخرج ابن أبي إياس في كتاب الثواب له عن:"علي بن أبي طالب رضي الله {تعالى}[4] عنه قال، قال رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صلى سبحة الضحى ركعتين إيمانا واحتسابا كتب الله له بها مائتي حسنة ومح عنه مائتي سيئة ورفع له مائة درجة أو مائتي درجة وغفر له ذنوبه كلها {ما تقدم [227- ب] وما تأخر}[5] إلا القصاص "[6].

وأخرج أبو عبد الرحمان السلمي، عن أنس، رضي الله عنه، قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ إذا سلم يوم الجمعة قبل أن يثني رجليه فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس سبعا سبعا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأعطى من الأجر بعدد كل من آمن بالله واليوم الآخر"[7]. وفي إسناده ضعف شديد جدا.

وأخرج الإمام أحمد رضي الله عنه في مسنده" عن أبي هريرة رضي الله {تعالى}[8] عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر"[1].

---

(1) صحيح رواه أبو داود في الجزء 2 ص 29 رقم 1297.

(2) ساقطة من "ت".

(3) ضعيف، والصحيح الذي في البخاري ج5 ص 2351 رقم 6039 عن أبي هريرة دون زيادة "وما تأخر".

(4) ساقطة من "ت".

(5) ساقطة من "ت".

(6) قال السيوطي في تنوير الحوالك ج1 ص 85: أخرجه آدم أبي إياس في كتاب الثواب عن "علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى سبحة الضحى ركعتين إيمانا واحتسابا غفرت له ذنوبه كلها ما تقدم منها وما تأخر إلا القصاص".

(7) ضعيف، قال المناوي في فيض القدير ج6 ص 204 بعد أن ذكر الحديث قال ابن حجر: وفي إسناده إسناده ضعف شديد.

(8) ساقطة من "ف".

وأخرج أحمد عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ليلة القدر في العشر البواقي من قوام هن ابتغاء حسبتها فإن الله تبارك وتعالى يغفر له[2] ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهي ليلة وتر تسع أو سبع أو خامسة أو ثالثة أو إحدى وعشرون"[3].

وأخرج أبو سعيد النقاش في أماليه: "عن ابن عمر رضي الله {تعالى}[4] عنهما قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، من صام يوم عرفة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر"[5].

{و}[6] أهل بحج أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووجبت له الجنة "[7]. أخرجه أبو داوود عن أم سلمة.

"من جاء حاجا يريد وجه الله فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفع فيمن دعا له"[8]. أخرجه أبو نعيم عن عبد الله بن مسعود.

"وإذا خرج الحاج من بيته كان في حرز الله فإن مات قبل أن يقضي نسكه وقع أجره على الله وإن بقي حتى يقضي نسكه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر"[9].

أخرجه أبو يعلى وأحمد بن منيع {عن جابر}[10].

---

(1) ينظر المسند، ج:2، ص: 385، رقم:8989، وقال الألباني شاذ بزيادة (وما تأخر)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، رقم: 584. وبدون تلك الزيادة رواه البخاري ج1ص 22 رقم 37 . ومسلم،ج: 1،ص: 523، رقم: 759.

(2) "ح2": يغفره والصحيح ما اثبتناه.

(3) "ف" وعشرين. صحيح، قال الشيخ الألباني تعليقا على الحديث دون زيادة " وما تأخر " رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة مختصرا، وفي رواية النسائي زاد في آخره وفي حديث قتيبة وما تأخر. قال الحافظ انفرد بهذه الزيادة قتيبة بن سعيد عن سفيان وهو ثقة ثبت وإسناده على شرط الصحيح، ورواه أحمد بالزيادة بإسناد حسن إلا أن حمادا شك في وصله أو إرساله.

(4) ساقطة من "ف".

(5) لفظ المؤلف ضعيف، والصحيح تكفير السنة الماضية والباقية. "عن أبي قتادة قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة قال: يكفر السنة الماضية والباقية ". رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة، الترغيب والترهيب رقم 1010 .

(6) ساقطة من "ف".

(7) ضعيف، الجزء 2ص 143 رقم 1741.

(8) ذكره صاحب تنوير الحوالك"السيوطي" ج1ص 85 وابن حجر في الخصال المكفرة.

(9) لم اجده، ولم يذكره ابن حجر في الخصال المكفرة.

(10) ساقطة من "ت".

"من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمنين"[1]. ذكره القاضي في الشفا[2].

"من قرأ آخر سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر"[3]. أخرجه الثعلبي وابن مردويه في تفسيريهما. من: "من علم ابنه[4] القرآن نظرا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن علمه إياه ظاهرا، فكلما قرأ آية رفع الله بها الأب درجة حتى ينتهي إلى آخر ما معه من القرآن " أخرجه الطبراني عن أنس.

وأخرج أبو محمد عبد الله بن محمد في "فوائد الأصبهانيين": "عن أم هانئ وكانت تكثر الصيام والصلاة والصدقة فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت له ضعفها، فقال: سأخبرك بما هو عوض ذلك، تسبحين الله مائة مرة فتلك مائة رقبة تعتقينها متقبلة، وتحمدين الله مائة مرة فتلك مائة بدنة مجللة تهدينها متقبلة، وتكبرين الله مائة مرة وهناك يغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر"[5]. ومن عد في البحر أربعين موجة وهو يكبر غفر {الله}[6] له {ذنوبه}[7] ما تقدم منهما وما تأخر، وإن الأمواج لتحت الذنوب حتا"[8]. ذكره أبو الحسن الربيعي في فضائل الشام.

وروى أيضا عن أنس عنه عليه السلام: "مدينة بين الجبلين على البحر يقال لها عكا من دخلها رغبة فيها غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن خرج منها رغبة عنها لم يبارك له في خروجه وبها عين تسمى عين البقر من شرب منها ملأ الله بطنه نورا ومن أفاض عليه منها كان طاهرا إلى يوم القيامة"[9].

---

(1) لم اجده، ولم يذكره ابن حجر في الخصال المكفرة.
(2) "ت": الشعب والصحيح ما أثبتناه.
(3) لم اجده، ولم يذكره ابن حجر في الخصال المكفرة.
(4) "ف": ابنا له.
(5) لم اجده، ولم يذكره ابن حجر في الخصال المكفرة.
(6) ساقطة من "ع".
(7) ساقطة من "ت".
(8) لم اجده، ولم يذكره ابن حجر في الخصال المكفرة.
(9) حديث منكر جدا، كما علق عليه صاحب الرحلة.

"من قاد مكفوفا أربعين خطوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر"[1]. أخرجه ابن منده في أماليه عن ابن عمر.

"من سعى لأخيه المومن في حاجة قضيت له أو لم تقض غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتبت له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق"[2]. أخرجه ابن الناصح في فوائده عن ابن عباس رضي الله عنهما.

"ما من عبدين متحابين في الله، وفي رواية ما من مسلمين {يلتقيان}[3] يتصافحان[4] ويصليان على النبي صلى الله عليه وسلم إلا لم يفترقا حتى يغفر لهما ما تقدم من ذنوبهما وما تأخر"[5]. أخرجه أبو يعلى عن أنس.

آداب الطعام: "من أكل طعاما ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن لبس ثوبا فقال: الحمد لله الذي كساني هذا الثوب ورزقنيه من غير حول ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر"[6] . أخرجه أبو داوود عن أنس.

وأخرج الحاكم والترمذي: "عن عثمان، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم {يقول}[7] قال الله عز وجل: إذا بلغ عبدي أربعين سنة عافيته من البلايا الثلاث الجنون والجذام والبرص، فإذا بلغ خمسين سنة حاسبته حسابا يسيرا، فإذا بلغ ستين سنة [228- أ] حببت إليه الإنابة، فإذا بلغ سبعين سنة أحبته الملائكة، فإذا بلغ ثمانين سنة كتبت حسناته وألقيت[8] سيئاته، فإذا بلغ تسعين سنة قالت الملائكة: الملائكة: أسير الله في أرضه وغفر له ما تقدم وما تأخر من ذنبه، وشفع في أهله"[9]. أهله"[9]. قال الحكيم: «هذا من جيد الحديث».

---

(1) ذكره البيهقي في شعب الإيمان بدون (وما تأخر)، ج: 6، ص: 108، رقم: 7626.

(2) ذكره صاحب تنوير الحوالك، ج: 1، ص: 85، وابن حجر في الخصال المكفرة .

(3) ساقطة من "ت".

(4) "ت": يتصافحان.

(5) صحيح رواه أبو يعلى عن أنس برقم 334 وابن حجر في الخصال المكفرة.

(6) قال الألباني حسن دون زيادة "وما تأخر"، أخرجه أبو داود ج: 4، ص: 42،رقم: 4023.

(7) ساقطة من "ت".

(8) "ف":وألغيت.

(9) صحيح لفظ الحاكم ج3 ص 544 رقم 6023، " عن عبد الله بن أبي بكر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا بلغ المرء أربعين سنة صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلاء الجنون والجذام والبرص،

وذكرتها لمناسبتها لما نحن بصدده من المغفرة رغبة أن يعمل بها من وقف عليها أو ببعضها فقد أجزت بها من أراد العمل من المؤمنين رجاء الثواب وحسن المآب.

ومن عاداتهم إذا "قرب [زمان][1] انقضاء الحر، وأقبلت هوادي زمن البرد، وظهرت البرودة في الهواء صباحا ومساء، أخذوا يدثرون أبدانهم في الثياب الكثيفة التي تلبس في أيام البرد الشديد، ويقولون إن {هذا}[2] البرد في أول[3] إبانه {فهو}[4] {يفضي إلى}[5] فساد الأمزجة وهو أضر من البرد الشديد الذي يكون في وسط الشتاء. ويقولون إن الناس يلبسون من غليظ الثياب في آخر الخريف ما لا يلبسون في صميم[6] الشتاء وشديد الزمهرير"[7].

قال شيخنا أبو سالم: "وكنا نحن لإلفنا البرد الشديد في بلادنا نتلقاه بأبداننا ونعري له أطرافنا فرحا بقدومه لما قاسيناه من شدة الحر الذي لم نعهد مثله في قطرنا، فكانوا ينهوننا ولا ننتهي، ويقولون ليس هواء هذه البلدة وبردها كالذي تعهدون، فكنا لا نلتفت لذلك ثقة بما نعهده في أنفسنا في بلادنا من الصبر على بردها الذي لا يكون برد هذه البلاد بالنسبة إليه إلا كنسبة زمان الاعتدال"[8].

قال: "وكان ذلك مع قدر[9] الله تعالى، هو السبب في حصول المرض المتطاول لنا ولأصحابنا ويشهد لمقالهم في ذلك قول أمير المؤمنين مولانا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "اتقوا البرد في أول إبانه، وتلقوه في آخر أوانه، فإنه يفعل بالأبدان ما يفعل بالأشجار؛ فأوله محرق وآخره مورق". وذكره الزمخشري في كتاب: ربيع الأبرار"[10].

وإذا بلغ خمسين سنة غفر له ذنبه ما تبقى منه وما تأخر وكان أسير الله في الأرض والشفيع في أهل بيته يوم القيامة " ولم يخرجه الترمذي.

(1) زيادة من "ف".
(2) ساقطة من "ف".
(3) "ح2": أيام.
(4) ساقطة من "ت" و"ف".
(5) ساقطة من"ع" و"ف".
(6) "ح1": صحيح.
(7) ينظر ماء الموائد، ج 1، ص- ص: 301-302 .
(8) ينظر نفسه، ص: 302 .
(9) "ح2": قدرة.
(10) ينظر ماء الموائد، ج 1، ص: 302 .

قال: "ولقد صدقوا في ذلك خصوصا في تلك البلاد، فإن بدن الإنسان يكون مشتعلا حرارة ويبسا لغلبة الحر فإذا فاجأ البرد البدن في تلك الحرارة أضر به، بخلاف البرد الذي يجيء في آخر الإبان فإنه يصادف البدن قد سكنت حرارته والله أعلم"[1] أعلم"[1] انتهى.

[خدمة الحجرة المشرفة]

ومن عاداتهم أن لا يتولى خدمة الحجرة المشرفة والمسجد إلا عبيد أغوات[2] موقوفون على ذلك لا يشاركهم غيرهم، وشيخ الحرم هو كبيرهم. "والاغا[3] بلغتهم، كناية عن الخصي من العبيد، واختاروا وقف الخصي دون غيره لكونه أطهر وأنزه وأكثر فراغا من الأشغال، إذ لا أهل له ولا ولد، يشتغل بهم وهو أبعد من دنس الجنابة ومباشرة النساء. وهم عدد كثير قريب من الثمانين يزيدون وينقصون بحسب كثرة الراغبين في الوقف وقلتهم. والأربعون منهم هم الكبار الذين يأتى رزقهم ومؤونتهم من بيت المال وما زاد على ذلك إنما يرزقون من الأوقاف التي لهم بالمدينة أو مما يأتيهم من الهدايا والصدقات من أقطار الأرض. ويسمى ما سوى[4] الأربعين البطالين، لأنهم إنما يستعملون في الأشغال التي هي خارج الحجرة والمسجد النبوي في الأعمال المتهنة، ولا يجلسون مع الأكابر الدكانة[5] إنما يجلسون خارجها. ولهم ضبط وسياسة كسياسة الملوك. فلكل واحد {منهم}[6] رتبة معلومة وشغل معلوم. فإذا مر بالأصاغر أحد الأكابر قاموا له كلهم، وكذا الأكابر فيما بينهم: فأكبرهم شيخ الحرم فهو يتجدد في الغالب إما في سنة أو سنتين أو أكثر، ولا يأتى {إلا}[7] من دار السلطان من عبيده، ويليه[8] النقيب. ويليه المستسلم، وهو الذي يتسلم

---

(1) ينظر نفسه .
(2) "ت": لغوات.
(3) "ت": والأغا.
(4) "ع": عدى.
(5) "ع" و"ف": الدكة.
(6) ساقطة من "ت".
(7) ساقطة من "ع".
(8) "ع": ويلقبه.

الصدقات ويتولى قبضها وما يهدى لهم أو للحجرة، وبيده مفاتيح الحجرة وحواصل الزيت والشمع، وبيده جميع ما يتصرف {فيه}[1] الأغوات من مصالح المسجد ومن أوقافهم. فإذا مات واحد من الأربعين دخل واحد من البطالين في موضعه وهو من كان شيخ البطالين والترتيب في ذلك بالتقدم، فمن تقدم مجيئه يتقدم على من تأخر مجيئه. وليس فيهم شافعي ولا حنبلي، بل كلهم حنفية أو مالكية على مذهب ساداتهم الذين أوقفوهم، وذلك لأن الشافعية والحنابلة لا يرون صحة وقف الحيوان. ومن أوقف عبدا من الأغوات على الحجرة نسب إليه سواء كان من التجار أو الأمراء أو العلماء فيقال: أغا فلان. وكلهم يبيتون في المسجد ما عدا[2] شيخ الحرم والنقيب، وأما الآخرون فلا يبيت واحد منهم بداره إلا لعذر بيّن من مرض أو نحوه [228- ب] جزاهم الله خيرا عن تعظيم المكان وتوقيره وتبجيله،"[3] وكلهم أهل خير خير وبركة قد اختارهم الله لخدمة أشرف البقاع وشرفهم بالنسبة إلى أشرف الخلق صلى الله عليه وسلم ولله در البوصيري[4] إذ يقول: (الخفيف)

وَإِذَا سَخَّرَ الإِلَهُ أُناساً لِسَعيدٍ فَإِنَّهُمْ سُعُدَاءُ

"ومن عادة الأغوات كل ليلة إذا فرغ الناس من صلاة العشاء ورواتبها قاموا بأيديهم الفوانيس الكبار، وهي الفنارات عندنا، مشعلة ليخرج الناس من المسجد، فيأتون إلى المواجهة والصف الأول فيقف بعضهم أول الصف ووسطه وآخره، فيخرجون كل من فيه، فإذا لم يبق أحد بذلك الصف تكلموا بكلمة ذكر رافعين أصواتهم بها فينتقلون إلى الصف الذي يليه ثم كذلك حتى لا يبقى أحد في المسجد سواهم، فيغلقون أبواب المسجد ويطفئون[5] المصابيح كلها إلا التي في مواجهة الوجه الشريف والتي داخل الحجرة، فيخرجون من المسجد إلى الصحن {و}[6] إلى الأروقة في مواجهة الوجه بجانبه فيخرجون فرشهم من الحواصل، فينامون هنالك. ولا ينام أحد منهم في المسجد، {بل}[7] ولا يأتيه إلا من قصده[1] منهم الصلاة، ومنهم

(1) ساقطة من "ت".
(2) "ع": ما عدى.
(3) ينظر ماء الموائد، ج1، ص- ص: 305- 306 .
(4) "ع": البصيري.
(5) "ع": ويطفون.
(6) ساقطة من "ت".
(7) ساقطة من "ع".

أناس على قدم صدق في العبادة؛ وغالب نوم الصغار منهم في مؤخر المسجد. ومن وراء المسجد في الناحية الشامية ميضأة[2] كبيرة فيها بئر كبير وأخلية، وفتح لها[3] باب إلى مؤخر المسجد ولا تفتح إلا ليلا. بعد غلق الأبواب، وتسرج فيها المصابيح لوضوء الأغوات وإزالة حقنة من احتاج إلى ذلك ليلا فإذا غلقت الأبواب هدأت الأصوات منهم وخشعوا فلا تكاد تسمع من أحد منهم كلمة، فمن احتاج منهم إلى كلام أحد منهم كلمه كأخي السّرار."[4]

قال أبو سالم: "ولقد رأيناهم يبالغون في خفض أصواتهم بالليل حتى بالسعال والعطاس، وتنزل عليهم السكينة وتلحقهم هيبة المكان وليس ذلك منهم مجرد استعمال بل لما يخالط قلوبهم من هيبة المكان"[5].

قال: "ولقد أخبروني أنه لا يقدر أحد منهم بليل أن يصل إلى الروضة وأطراف الحجرة والمواجهة إلا الأفراد منهم، وأنهم ليسمعون بالليل قعقعة السقوف وفرقعة الشبابيك حتى يظنون أن أحد أبواب الحجرة فتح، وأن أحد السقوف وقع فلا يجدون شيئا. و[6] من ذلك والله أعلم لتنزل ملائكة الرحمة على قبره صلى الله عله وسلم، وقدوم بعض رجال الغيب للزيارة. ويظهر أثر ذلك {بالليل}[7]، لهدوء الأصوات به وخلو المكان[8]؛ وإن كان تنزل الملائكة على قبره صلى الله عليه وسلم وغشيان الرحمة له لا ينقطع ليلا ولا نهارا"[9].

قال: "ولقد شاهدت {من}[10] الهيبة والعظمة في إحدى الليالي التي بتها في المسجد ما أعجز عن وصفه. ولقد كنت أجتهد إذا عسعس الليل أن أصل إلى المواجهة وأقف للتسليم والدعاء، فما أصل إلى ذلك حتى تكاد أوصالي تنقطع هيبة.

---

(1) "ح1": قصد منهم.
(2) ميضاة .
(3) "ت": له.
(4) ينظر ماء الموائد، ج1، ص: 306 .
(5) ينظر نفسه.
(6) "ت": من.
(7) ساقطة من "ت".
(8) "ت": خلوه.
(9) ينظر ماء الموائد، ج1، ص- ص: 306- 307 ،
(10) ساقطة من "ع".

فإذا وصلت وسلمت وأردت إطالة الوقوف للدعاء، كما كنت أفعل نهارا، فما أقدر فأخفّ السلام والدعاء وأرجع"[1].

قال: "ولقد سمعت بعض ما ذكر من فرقعة السقف وما أشبه ذلك، فملئت منه رعبا إلا أني كنت أشتغل عنه وأتلهى عن سماعه بقراءة القرآن سرا. فيا لها من ليلة !هي عندي نتيجة عمري وفريدة أيامي، فإن كانت ليلة القدر كألف شهر فهذه الليلة عندي كألف ليلة القدر. اللهم لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، فلك الحمد على جزيل عطائك، ولك الشكر على سوابغ آلائك.

فإذا كان بعد الثلث الأخير من الليل جاء رئيس المؤذنين، ففتحوا له وصعد إلى المئذنة الرائسة، وأذن وشرع في الدعاء والذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. فيقوم كل من في المسجد من الأغوات فيتوضئون ثم يصبحون كل ما في المسجد من المصابيح، فإذا فرغوا من الإصباح {وقرب الصباح}[2] فتحوا أبواب الحرم. ولا يأتي وقت فتحها حتى يجتمع بأبواب المسجد جماعة كثيرة من المتهجدين ينتظرون الفتح. فإذا فتحت الأبواب دخلوها مزدحمين، وتسابقوا الصف الأول من الروضة فيما بين القبر والمنبر. فمن سبق إلى موضع كان أحق به، فإذا أراد القيام لحاجة كزيارة أو تجديد وضوء بسط نمرة له في محله، فلا يجلس فيه أحد ولو أبطأ، وكثيرا[3] ما يعتدي في ذلك أقوام فيدخلون مع أول داخل [229- أ] من غير طهارة لقصد السبق إلى الموضع وتحجيره، فإذا بسط فيه فروته أو منديله ذهب إذا ذاك إلى الطهارة وأسبابها، وكثير منهم يبطء في الطهارة فيحجرعلى الناس المحل. وربما عرض لأحدهم حاجة بمنزله أو في السوق فيترك النمرة في محله، فلا يقربه أحد وإن أبطأ كثيرا. وفي ذلك من الضررعلى المصلين ما لا يخفى، على أن في دخولهم مزدحمين واستباقهم إلى الروضة حتى ربما سمع لأقدامهم من شدة العدوى {دوي}[4] وسوء أدب لا يخفى. وربما يحتج محتج لذلك بقوله صلى الله عليه وسلم" لو يعلم الناس ما في الصف الأول لاستبقوا إليه" فلا بد بمن تقييد ذلك بما لا يخل بأدب البقعة المطهرة

(1) ينظر ماء الموائد، ج1، ص: 307 .
(2) ساقطة من "ت".
(3) "ت": كثير.
(4) ساقطة من "ع".

وساكنها؛ لقوله عليه السلام:"وأتوا لها- يعني الصلاة- وعليكم السكينة والوقار، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتمّوا[1]".

قال: "والمراد بالمسابقة في الحديث المتقدم: الاهتمام بشأنه والحرص على الصلاة فيه، والتبكير إليه من غير عدو بالأقدام ومزاحمة بالمناكب"[2] انتهى.

"وسادتنا الأغوات، رضي الله عنهم وجازاهم خيرا، لا يغفلون طرفة عين عن حراسة الحرم الشريف وتأديب من أساء فيه الأدب بلغط أو رفع صوت أو نوم، ولو في قائلة، إلا في مؤخر المسجد، ومن وجدوه مضطجعا من دون نوم للاستراحة، فإن مد رجليه إلى ناحية الحجرة زجروه، وإن استقبل القبلة بوجهه أو الحجرة من غير أن يكون مستدبرا لها تركوه. ولا يغفلون عن حضور المسجد في ساعة من ليل أو نهار، فإن خرجت طائفة جلست طائفة، ولهم ديار وخدم وأتباع وخيل وضياع وسعة دنيا ولا يشغلهم ذلك عما هم بصدده من خدمة المسجد، بل لبعضهم أزواج وسراري اتخذوها للتلذذ بما سوى الجماع، وأحكامهم فيما بينهم منضبطة غاية الانضباط، ولا يحكم فيهم سلطان ولا غيره، ولا يولى عليهم ولا يعزل منهم إلا بأمر شيخهم، ولا يرث معهم بيت المال شيئا إن مات أحدهم، إنما يتوارثون بينهم، ومن وجبت عليه عقوبة أو أدب منهم، أدبوه من غير أن تكون لأحد عليهم ولاية. كل ذلك تعظيما لجانبه صلى الله عليه وسلم، أن تكون لأحد {ولاية}[3] على عبيده وخدم حجرته الشريفة. ولا يدخل معهم من العبيد الذين يهدون من الآفاق إلا من رضوا إدخاله بمال يدفعه عنه سيده أو يدفعه هو إن كان له مال، ومع ذلك يبقى في مرتبة الصغار المشتغلين بالخدمة الخارجة، فإن رضوا حاله وحسنت أخلاقه تركوه حتى تأتي نوبته في الدخول في زمرة الأربعين. وإن ظهرت منه خيانة أو سوء أخلاق أو سرقة أو شيء يشينه نفوه إلى حيث شاء من البلاد. وبالجملة فلعبيد سيدنا صلى الله عليه وسلم، وخدام مسجده جلالة قدر وعظم منصب وسعة أرزاق، وكرم أخلاق، وهم أحقاء بذلك، ولكبيرهم كلمة نافذة في المدينة وتصرف تام ويد مبسوطة. وهو أحد عظماء الولاة بالمدينة تنفذ أحكامه وتمضي تصرفاته في[4] القوى والضعيف، والشريف

(1) ينظر ماء الموائد، ج1، ص- ص: 307- 308 .
(2) ينظر نفسه، ص: 308.
(3) ساقطة من "ت".
(4) "ع": على.

والمشروف، ويتعقبه الكبراء والأشراف... وإذا كان أول رجب جعل الناس يقدمون من أقطار الحجاز واليمن كمكة والطائف ونجد وجدة وما والاهما من أطراف يمن؛ لشهود الرجبية وزيارة سيد الشهداء حمزة رضى الله عنهم[1]. فما من يوم إلا وتدخل فيه قافلة من مكة ونواحيها ولم يزل الناس يتلاحقون. فخرج أهل المدينة إلى أحد اليوم الخامس والسادس من الشهر ورجعوا في اليوم الثاني عشر، ولم يبق بالمدينة إلا القليل. وخرج العسكر لحراسة[2] الناس في الطرقات من المدينة إلى أحد كما تقدم شرح ذلك. وبعد الرجوع من أحد، نزل الوافدون بالمدينة ينتظرون الرجبية وهي ليلة سبع وعشرين منه ليلة المعراج وقدم خلق كثير من الأعراب وكانت بالمدينة سوق عظيمة وامتلأ المسجد وجوانبه فما من يوم إلا ويزداد {الخلق}[3] فيه كثرة، فإذا كانت الليلة السابعة والعشرون تكامل حشر الناس بمن[4] لم يدخل إلى المسجد من قريب من العصر قلما يجد موضعا لصلاة المغرب والعشاء. فيغص المسجد بما فيه ويفتح الحرم طول الليل ويبيت الناس في ذكر وقراءة وصلاة؛ كل على حسب ما يتاح له إلى الصباح. فإذا أصبح الناس أخذ الأعراب في التوديع، [229- ب] فيسمع لهم {حنين كـ}[5] حنين الإبل في المسجد وصياح وصراخ رافعي أصواتهم بالصلاة على النبي صلى عليه وسلم، واستغاثة به، فيرق قلب سامعهم، ويحن ويشفق لهم على جفائهم وجهلهم، فلا يأتي مساء ذلك اليوم حتى لا يبقى بالمدينة منهم إلا القليل. وعسى الله أن ينفعهم[6] بحسن نياتهم. وإذا استهل شهر شعبان أخذت القوافل في الرجوع إلى مكة، ويرجع[7] غالب من جاء من أهلها، ولا يبقى إلا القليل ممن يريد شهود رمضان بالمدينة."[8]

---

(1) "ت": عنه.
(2) "ع": لحراسات.
(3) ساقطة من "ت".
(4) "ت": بما.
(5) ساقطة من "ت".
(6) "ت": أن يأتي ينفعهم.
(7) "ع": رجع.
(8) ينظر ماء الموائد: ج1، الصفحات: 308- 309- 310- 311- 313 .

[ذكر بعض أودية المدينة التي تسيل إذا كثرت[1] الأمطار]

فيخرج أهل المدينة للتنزه[2] بها. فمنها وادي العقيق، وهو أيضا من المواضع المباركة التي ينبغي زيارتها، ففي الصحيح:"عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"بوادي العقيق أتاني الليلة آت فقال: صل في هذا الوادي المبارك[3]" وروي أيضا مرفوعا:"العقيق واد مبارك[4]". وروي أن عمر رضي الله عنه "كان إذا انتهى إليه أن وادي العقيق قد سال، قال: "اذهبوا بنا إلى هذا الوادي المبارك، وإلى الماء الذي لو جاءنا جاء من [حيث جاء][5] لتمسحنا به"[6]. وقال {فيه}[7] عليه السلام: "هذا الوادي يحبنا ونحبه"[8].

"وهو واد كبير غربي المدينة وراء الحرة الغربية، يأتي سيله من أماكن بعيدة، وربما دام شهرا فأكثر." وروي أنه صلى الله عليه وسلم ركب إلى العقيق ثم رجع فقال: يا عائشة، جئنا من هذا العقيق، فما ألين موطئه، وأعذب ماءه! فقالت[9]: يا رسول الله، أفلا ننتقل إليه؟ وقال: وكيف وقد ابتنى الناس؟"[10]. وعن أنس رضي الله عنه: "خرجنا[11] مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادي العقيق فقال: يا أنس، خذ هذه المطهرة واملأها من هذا الوادي، فإنه يحبنا ونحبه"[12]. وعن سلمة قال: كنت أصيد الوحش وأهدي لحمها {إلى}[13] رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:"لو كنت تصيد بالعقيق لشيعتك إذا خرجت، ونلقاك إذا جئت"[14].

---

(1) "ع": كثر.
(2) "ع": للتنزيه.
(3) لفظ البخاري ج/1 ص:308 رقم الحديث:866.
(4) نفس الحديث السابق، ليس من لفظ الحديث، وإنما بوب البخاري قائلا: (باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "العقيق واد مبارك".
(5) مطموسة في "ت".
(6) "ت": تمسحنا.
(7) ساقطة من "ع".
(8) غير موجود بهذا اللفظ.
(9) "ع": قلت، "ح1": فقلت.
(10) من كتاب كنز العمال، رقم الحديث 29934، وعزاه للبغوي.
(11) "ت": خرج.
(12) في كنز العمال برقم 44170، وعلق عليه: " رواه ابن النجار وفيه الحسن بن يحيى الخُشَنِي متروك".
(13) ساقطة من"ع".
(14) صحيح، كنز العمال رقم الحديث 340978.

"وأسفله مما يلي الجرف هو[1] المسمى بالعرصة إلى غربي رومة، وما فوق ذلك ذلك إلى النقيع يسمى العقيق."[2]

قال أبو سالم:"والمشتهر[3] في زماننا بالعقيق من غربي رومة إلى ذي الحليفة، قال عياض: البقيع صدر العقيق، وهما عقيقان، أدناهما عقيق المدينة وهو أصغر وأكبر: فالأصغر فيه بئر رومة، والأكبر فيه بئر عروة. والعقيق الآخر على مقربة منه، وهو من بلاد مزينة[4]" انتهى.

وسمي عقيقا لأن سيله عق من الحزة، أي شق وقطع. وقيل سمي بذلك لحمرة موضعه."[5]

قال السيد: "ومر تبع بالعرصة وكانت تسمى بالسليل، فقال: هذه عرصة الأرض، فسميت بالعرصة. ومر بالعقيق فقال: هذا عقيق الأرض فسمي به". وفي العقيق بئر عروة بن الزبير رضي الله عنه، وهي من أغزر الآبار ماء، وأعذبها وأحلاها، وهي بئر شهيرة[6]، فيها أخبار وأشعار.

قال الزبير بن بكار: "رأيت الخراج من المدينة إلى مكة وغيرها ممن يمر بالعقيق يتخففون من الماء ويتزودونه من بئر عروة، وإذا قدموا منها بماء يقدمون به على أهلهم يشربونه في منازلهم عند مقدمهم.

قال: ورأيت أبي يأمر به فيغلى ثم يجعل في القوارير ويهديه إلى أمير المؤمنين هارون.

قال جابر الزمعي فيها: (الطويل)

يُعَرِّضُهَا الآتِي مِنَ النَّاسِ أَهْلَهُ وَيَجْعَلُهَا زَاداً لَهُ حِينَ يَذْهَبُ

وقال السري بن عبد الرحمن الأنصاري: (الخفيف)

(1) "ت": هي.
(2) ينظر ماء الموائد، ج1، ص: 271 .
(3) "ع": والمشهور.
(4) ينظر ماء الموائد ج1 ص: 271.
(5) ينظر نفسه.
(6) "ع" شهرت.

كَفِّنُـــونِي إِنْ مُـــتُّ فِـــي دِرْعِ أَرْوَى وَاسْتَقُـوا[1] لِـي مِـنْ بِئْـرِ عُـرْوَةَ مَـاءْ

سُخْـنَةٌ فِـي الشِّتَـاءِ بَـارِدَةٌ فِي الصَّيْـ ـفِ سِـرَاجٌ فِـي اللَّيْلَـةِ الظَّلْمَـاءْ

وأنشد عبد الرحمن لأم يوسف وهو في غاية العذوبة والسلاسة: (الطويل)

عَـلَى سَاكِـنِي بَطْـنِ العَـقِيقِ سَـــلاَمُ وَإِنْ أَسْـــهَرُونِي بِالفِـــرَاقِ وَنَـــامُواْ[2]

حَظَرْتُـــمْ عَلَـيَّ النَّـوْمَ وَهْـوَ مُحَلَّـلُ وَحَلَّلْتُمُ التَّعْذِيـبَ وَهْـوَ حَـرَامُ [230- أ]

إِذَا بِنْتُـــمُ عَـــنْ حَـــاجِرٍ[3] وَحَجَرْتُـــمُ عَلَـــى السَّـمْعِ أَنْ يَـدْنُو إِلَـيْهِ كَـلاِمُ

فَـلاَ مَيَّلَـتْ رِيـحُ الصِّبَا فَـرْعَ بَانَـةٍ وَلاَ سَجَعَـــتْ فَـوْقَ الغُصُـونِ حَمَـامُ

وَلاَ انْفَهَقَـتْ فِيـهِ الرُّعُـودُ وَلا بكَـى عَلَـــى حَافَتَيْـــهِ بِالعَـــشِيِّ غَمَـــامُ

فَمَالِـي وَمَـا لِلرَّبْـعِ قَـدْ بَـانَ أَهْلُـهُ وَقَـدْ قُوِّضَـتْ[4] مِـنْ سَـاكِنِيهِ خِيَـامُ

أَلاَ لَيْـتَ شِعْرِي هَلْ إِلَى الرَّمْلِ عَـوْدَةٌ وَهَـلْ لِـي بِتِـلْكَ البَانَـتَيْنِ لِمَـامُ

وَهَـلْ نَهْلَـةٌ مِـنْ بِئْـرِ عَـرْوَةَ عَذْبَـةٌ أُدَاوِي بِـــهِ قَلْـــباً بَـــرَاهُ أُوَامُ

أَلاَ يَـا حَمَـامَاتِ[5] الأَرَاكِ إِلَيْكُـمُ فَمَـا لِـيَ فِـي تَغْرِيدِكُـنَّ مَـرَامُ

فَوَجْـدِي وَشَـوْقِي مُـسْعِدٌ وَمُؤَانِـسٌ وَنَـوْحِي وَدَمْعِـي مُطْـرِبٌ وَمُـدَامُ

"وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، لما أقطع[6] الناس العقيق وقف[7] في موضع بئر عروة بن الزبير، التي عليها سقايته، وهو يقطع للناس[8] فقال: فقال: أين المستقطعون؟ فنعم موضع الحفيرة، فاستقطعه ذلك خوات بن جبير

(1) "ح1": واسقوا،والصواب ما أثبتناه.
(2) "ح1": وناموا.
(3) "ت": حاجري.
(4) "ع": قرضت.
(5) "ح1": حمامة.
(6) "ت": قطع.
(7) "ت": وقع.
(8) "ت": الناس.

الأنصاري فاقتطع[1] له تلك الناحية، فاشترى عروة موضع قصره وبئاره بعد. وقد صدقت فراسة عمر رضي الله تعالى عنه، في هذه البئر كما هو شأنه في كل ما يتفرس فيه."[2]

وللزبير بن بكار أن النبي صلى الله عليه وسلم، أقطع بلال بن الحارث المزني العقيق ولم يعمل فيه شيئا، وأن عمر رضي الله تعالى عنه قال له: "إن قويت على ما أعطاك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتمله، فما اعتملت فهو لك، وإن لم تعتمله أقطعته[3] بين الناس ولم تحجره عليهم".

وفي رواية: "انظر ما أطقت أن تقوى عليه فأمْسِكْه، وارْدُدْ إلينا ما بقي نقطعه". فأبى بلال، فترك عمر بئر بلال بعضه وقطع ما بقي للناس. ولما دنا عمر من موضع قصر عروة، وقف في موضع بئر عروة إلى آخر ما تقدم. انظر كلام السيد فقد أشبعه.

"وسيل العقيق عند أهل المدينة من أعظم المتنزهات من سالف الدهر. ولشعرائهم الأقدمين فيه أشعار كثيرة مذكورة في كتب الأدباء."[4]

قال شيخنا {أبو سالم}[5] إمام المرتحلين في زماننا {هذا}[6]: "وقد حضرت حضرت بالمدينة سيله ثلاث مرات، فخرج الناس على طبقاتهم، ونصبت الخيام والمضارب بحافتيه، وطبخت الأطعمة الكثيرة مع سرور ولهو وطرب، وأقاموا به يوما أو يومين، وقد سال مرة سيلا عظيما منع الرفاق الواردين من مكة للرجبية عن الوصول إليها إلا بعد مدة. قال: وقد حضرني أبيات ونحن على شاطئه مع جملة من أصحابنا أولها: (البسيط)

جَرَى العَقِيقُ وَدَمْعِي كَالعَقِيقِ جَرَى	فَلاَ تَسَلْ سَائِلِي عَمَّا هُنَاكَ جَرَى
الوَجْدُ أَرْوَى زِنَاداً فِي الحَشَا فَصَلى	بِهِ الفُؤَادَ فَسَالَ الدَّمْعُ مُبْتَدِرَا

(1) "ح1": فأقطعه.
(2) ينظر ماء الموائد، ج1، ص: 271 .
(3) "ح1": قطعته.
(4) ينظر نفسه، ص: 272 .
(5) ساقطة من "ع".
(6) ساقطة من"ت".

أَذْكَرَنِي جَرْيُهُ جَرْيَ السَّوَابِقِ فِي	بَيْنِ الكَتَائِبِ فِي المَيْدَانِ مُعْتَجِرَا
وَظِلُّهُ وَالنَّسِيمُ فِي جَوَانِبِهِ	أَضَرَّبِي فَسَرَا[1] الأَحْزَانَ حِينَ سَرَى
أَذْكَرَنِي زَمَناً عِنْدَ الَّذِينَ بِهِمْ	شَرْخُ الشَّبَابِ نَظِيفاً طَيِّباً عَطِرَا
مَا اسْتَبْدَلَتْ مِنْهُمُ نفْسُ المَشُوقِ سِوَى	طِيبِ مُجَاوَرَةِ المُخْتَارِ مِنْ مُضَرَا
أَكْرِمْ بِذَا بَدَلاً قَدْ فَازَ آخِذُهُ	لَوْ أَنَّهُ فِي الشِّرَاءِ يَرْفَعُ العُمُرَا

{غَيْرُهُ}[2]

سَالَ العَقِيقُ وَدَمْعِي	سَالَ كَمِثْلِ العَقِيقِ
وَسَيْلُهُ كَالرَّحِيقِ	وَأَدْمُعِي كَالحَرِيقِ
فَلاَ تَلُمْ يَا عَذُولِي[3]	وَلْتَسْعَدَنْ يَا رَفِيقِ

ومنها وادي بطحان وهو الوادي[4] المتوسط بيوت المدينة، ودور الأنصار غالبها على حافتيه شرقا وغربا، [230- ب] ولابن زيالة يأتي من الحلالتين: حلاتي صعب على سبعة أميال من المدينة أو نحو ذلك، ثم يصل إلى الوادي جفاف شرقي مسجد قباء وأوله من الماجشونية، ثم يمر كذلك إلى أن يمر غربي سور المدينة إلى طرف المصلى حتى يخرج إلى غربي سلع وقرب مسجد الفتح، ثم يمر كذلك إلى أن يلتقي مع العقيق بالغابة حيث تجتمع الأسيال. "فقد روى البزار وابن أبي شيبة مرفوعا عن عائشة رضي الله عنها:"بطحان على تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الجنة"[5]. ويخرج الناس الناس إن سال للتفرج فيه، وعلى حافتيه منازل كثيرة لأهل المدينة، قد جعلت لها شبابيك ومجالس إلى ناحية الوادي، وعليه قنطرة كبيرة قرب المصلى، وقلما يخلو أعلاه من ماء يسيل به [نجلا][6] يقوى إذا كثرت الأمطار ويقل إذا قلت.

---

(1) "ت": فسر.
(2) ساقطة من "ت".
(3) "ع": عدولي.
(4) "ع": الواو.
(5) ينظر فيض القدير للمُناوي، رقم الحديث: 3154، وعلق عليه قائلا: رواه البزار في مسنده عن عائشة. عائشة. قال الهيثمي: فيه رَاوٍ لم يُسَمَّ.
(6) مطموسة في "ت".

ومنها وادي قناة، وهو أعظم أودية المدينة سيلا، فإن سيله يأتي من الأماكن البعيدة. يروى أن تبعا نزله، فلما شخص منه قال: هذه قناة الأرض فسمي به. ويسمى أيضا بالشظاة. وفي القاموس أنه عند المدينة يسمى قناة، ومن أعلى منها عند سد نار الحرة يسمى بالشظاة. قال ابن شيبة: وادي قناة يأتي من وج، أي وج الطائف، وقال المدائني[1]: قناة واد[2] يأتي من الطائف ويصب في الأرحضية وقرارة الكدر، ثم يأتي بئر معونة، ثم يمر[3] على طرف القدوم في أعلى قبور الشهداء بأحد، ثم ينتهي إلى مجمع السيول بزغابة"[4].

وقال ابن زبالة: "سيل قناة إذا استجمعت يأتى من الطائف، وهو أحد فحول أودية العرب، فيأتى من المشرق حتى يصل إلى السد الذي أحدثته الحرة. وانقطع هذا الوادي بسببه، ثم انحرف[5] سنة تسعين وستمائة، فجرى الوادي سنة يملأ ما بين الجبلين، وسنة أخرى دون ذلك، ثم انحرف بعد السبعمائة، فجرى سنة أو أزيد، ثم انحرف سنة أربع وثلاثين وسبعمائة بعد تواتر الأمطار، فحفر واديا آخر غير[6] مجراه الذي على مشهد سيدنا حمزة قبليه وقبلي جبل عينين، وبقي المشهد وعينين في وسط السيل لأربعة أشهر، لا يقدر أحد على الوصول إليهما إلا بمشقة. وكان أهل المدينة يقفون على التل الذي خارج باب البقيع، فيشاهدونه ولو زاد مقدار ذراع في الارتفاع وصل إلى المدينة، ثم استقر في الوادي بين القبلي والشمالي قريبا من سنة"[7].
سنة"[7].

وكشف عن عين قديمة {قبلي الوادي}[8] جددها الأمير ودي ثم دثرت.

"وهذا الوادي هو الذي ورد في الصحيح" في استسقائه صلى الله عليه وسلم، أنه سال شهرا". وأهل المدينة يخرجون إلى موضع أعلاه من ناحية المشرق وراء الحرة، فيقيمون[1] فيه الأسبوع أو أكثر.

---

(1) "ت": الماذني.
(2) "ع": وادي.
(3) "ع": يأتي.
(4) "ع": بزعامة.
(5) "ع": انخرق.
(6) "ع": غيره.
(7) ينظر ماء الموائد: ج، 1، ص– ص: 272– 273.
(8) ساقطة من "ت".

وقد ذكر السيد: "من جملة أودية المدينة وادي رانوناء، كعاشوراء، ووادي مذينب[2] تصغير مذنب[3]، ووادي مهزور، بفتح فسكون آخره راء. وهذه الأودية ترجع كلها إلى بطحان؛ قال: الزبير بن بكار: "ثم يلتقي سيل العقيق ورانون[4] وأزاخر[5] وذي صلب وذي ريش وبطحان ومعجب ومهزور وقناة بزغابة وسيول العوالي هذه، تلتقي بعضها مع بعض قبل أن تلقي بالعقيق[6]، ثم تجتمع فتلقي العقيق بزغابة عند أرض سعد بن أبي وقاص، رضي الله تعالى عنه، وذلك عند أعلى وادي إضم، سمي به لانضمام السيول واجتماعها به. قال الزبير: ثم تمضي هذه السيول فتنحدر على عين أبي زياد والصورين في أدنى الغابة، ثم تلقاها وادي نظما ووادي نعمان أسفل عين أبي زياد، ثم تنحدر وادي ملل بذي خشب وظلم والجنينة[7]، ويلقاها من الغرب[8] بواط والخرار، {ومن}[9] الشرق وأواه، ثم الأثمة، ثم يلقاها وادي رمة[10] من الشام، ووادي برعة من القبلة، ثم يلتقي هو ووادي العيص من القبلة ووادي أحجر ووادي الجزل الذي به السقيا والرحبة في نخيل ذي المروة، ثم عمود في أسفل المروة، ثم يلقاه واد يقال له سفان حين يفضي إلى البحر عند جبل يقال له أراك، ثم يدفع في البحر من ثلاثة أمكنة يقال لها اليعبوب والنيحة وخفيف". انتهى.

قال السيد: "وذكرنا في الأصل ما في كلام المصري من المخالفة لما ذكر أن مصبه في البحر من ناحية لكرمي في طريق المصري".

قلت: وهو الوادي المسمى اليوم بالأكره على ألسنة الحجاج شرقي الوجه، بينه وبين الوجه مرحلة"[11].

---

(1) "ت": فيسقون، والصحيح ما أثبتناه.
(2) "ع": مدينين.
(3) "ع": مدين.
(4) "ت": زانون.
(5) "ع": وأذاخر.
(6) "ت": العقيق.
(7) "ت": والجفينة.
(8) "ت": المغرب.
(9) ساقطة من "ت".
(10) "ت": برمية.
(11) ينظر ماء الموائد: ج1، صفحات: 272- 273- 274.

فراجع كلام السيد تقف على ضبط هذه الأسامي فجزاه الله خيرا، ووقاه ضيرا.

ولنختم ما أردنا إيراده من أخبار المدينة: "بآخر خطبة خطبها النبي، صلى الله عليه وسلم بالمدينة المشرفة {بتمامها}[1]، وإن كان فيها طول، لما احتوت عليه من الفوائد، ولغرابتها، وهي [231- أ] توازي إحدى الطوليين من القرآن، وما سمعنا حديثا أطول منها. رواها الحارث بن أبي أسامة التميمي في مسنده بسند فيه داود بن المحبر، قال ابن حجر إنه متروك،

فنقول: أخبرنا شيخنا الإمام أبو سالم إجازة: "أنا[2] شيخنا أبو مهدي، رضي الله عنه، حدثنا شيخنا الأجهوري بسنده إلى الحافظ ابن حجر بقراءته لبعض المسند منه على أبي المعالي، عبد الله بن عمر الحلاوي، وإجازة لسائره بسماعه للقدر {المقدر}[3] المقروء[4] عليه، على أبي العباس أحمد بن كستعدي الصيرفي، وإجازته لسائره، قال: أخبرنا به أبو النجيب عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني، إجازة من أبي سعيد خليل بن بدر مكاتبة من أصبهان، قال أبو علي الحداد: أنا أبو نعيم، أنا أبو بكر ابن أحمد بن يوسف بن خلاد أنا أبو محمد الحارث بن محمد بن أبي أسامة، رحمه الله، في مسنده، الذي رتبه على الشيوخ، أنا داود ابن المحبر بن مخرم[5] قحذم بن بن سليمان البصري، قال أنا ميسرة بن عبد ربه، عن أبي عائشة السعدي، عن يزيد بن عمر بن عبد العزيز، عن أبي أسامة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة وابن عباس، رضي الله تعالى عنهما قالا: "خطبنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، خطبة قبل وفاته، وهي آخر خطبة خطبها بالمدينة، حتى لحق الله عز وجل، فوعظنا فيها موعظة ذرفت[6] منها العيون، ووجلت منها القلوب، واقشعرت منها الجلود، وتقلقلت منها

---

(1) ساقطة من "ت".
(2) ينظر ماء الموائد، ج2، ص: 182 .
(3) ساقطة من "ف".
(4) ساقطة من "ح2".
(5) مطموسة في "ت".
(6) "ع": درفت.

الأحشاء. أمر بلالا فنادى: "الصلاة جامعة "قبل أن يتكلم، فاجتمع إليه الناس فارتقى المنبر وقال:[1]

"يا أيها الناس، ادنوا وأوسعوا[2] لمن خلفكم" ثلاث مرات، فدنوا وانضم بعضهم إلى بعض، والتفتوا ولم يروا أحدا، ثم قال: "ادنوا وأوسعوا لمن خلفكم" فدنوا وانضم[3] بعضهم إلى بعض والتفتوا ولم يروا أحدا، ثم قال:"ادنوا وأوسعوا لمن خلفكم"، فدنوا وانضم بعضهم إلى بعض والتفتوا ولم يروا أحدا فقام رجل فقال: "لمن نوسع أللملائكة[4]؟ قال: "لا إنهم إذا كانوا معكم لم يكونوا بين أيديكم ولا خلفكم خلفكم ولكن عن أيمانكم وعن شمائلكم.

فقال: ولم لا يكونون بين أيدينا ولا خلفنا أهم أفضل منا؟ فقال:"بل أنتم أفضل من الملائكة، اجلس. فجلس. ثم خطبنا[5] فقال:

الحمد الله أحمده وأستعينه ونستغفره ونومن به ونتوكل عليه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

أيها الناس: إنه كان في هذه الأمة ثلاثون كذابا، أولهم صاحب اليمامة وصاحب صنعاء. أيها الناس إنه من لقي الله وهو يشهد أن لا إله إلا الله مخلصا لا يخلط معها غيرها دخل الجنة".

فقال علي: يا رسول الله، بين لنا كيف لا يخلط معها غيرها، بأبي وأمي يا رسول الله، كيف يخلص بها لا يخلط بها غيرها؟ بين لنا هذا حتى نعرفه. فقال:

"حرصا على الدنيا، وجمعا[6] لها من غير حلها، ورضى بها. وأقوام يقولون أقاويل الأخيار، ويعملون أعمال الجبابرة والفجار، فمن لقي الله وليس فيه شيء من هذه الخصال يقول: لا إله إلا الله فله الجنة، ومن اختار الدنيا على الآخرة فله النار،

---

(1) أورد الخطبة صاحبا كتاب: بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، وعلقا عليها قائلين: هذا حديث موضوع، وإن كان بعضه في أحاديث حسنة بغير هذا الإسناد، فإن داود بن المحبر كذاب.

(2) "ح2": واسمعوا.

(3) "ع": واضطرم،وفي ماء الموائد: انضم،ج:2، ص: 183.

(4) "ح1": للملائكة.

(5) "ت": خطب.

(6) "ح2": وجمعها.

ومن تولى خصومة قوم ظلمة، أو أعانهم عليها، نزل به ملك الموت يبشره بلعنته ونار خالدا فيها وبئس المصير، ومن خف لسلطان جائر في حاجة فهو قرينه في النار، ومن دل سلطانا على جور قرن مع هامان في النار، وكان هو وذلك السلطان من أشد أهل النار عذابا، ومن عظم صاحب دنيا[1] ومدحه طمعا في دنياه سخط الله {عليه}[2]، وكان في درجة قارون في أسفل جهنم، ومن بنى بناء رياء وسمعة حمله يوم القيامة مع سبع أرضين يطوقه نارا توقد في عنقه ثم يرمى به في النار. فقيل: وكيف يبني بناء رياء وسمعة ؟ قال:

يبني فضلا على ما يكفيه ويبنيه مباهاة[3]. ومن ظلم[4] أجيراً أجرتَه[5]، أحبط أحبط الله عمله وحرم عليه ريح الجنة، وريحُها[6] يوجد من خمسمائة عام، ومن خان جاره شبرا من الأرض طوقه يوم القيامة إلى سبع أرضين نارا حتى يدخله جهنم، ومن تعلم القرآن ثم نسيه متعمدا لقي الله مجذوما مغلولا، وسلط الله عليه بكل آية حية تنهشه في النار، ومن تعلم القرآن ولم يعمل به، وآثر عليه حطام الدنيا وزينتها، استوجب سخط الله وكان في درجة اليهود والنصارى الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا، ومن نكح امرأة في دبرها أو رجلا [231- ب] أو صبيا حشر يوم القيامة وهو أنتن من الجيفة يتأذى به الناس حتى يدخل نار جهنم، واحبط {الله}[7] أجره، ولا يقبل منه صرفا ولا عدلا، ويدخل في تابوت من نار ويشد عليه مسامير من حديد حتى تشبك تلك المسامير في جوفه، ولو وضع عرقا من عروقه على أربعمائة أمة لماتوا جميعا؛ وهو من أشد أهل النار عذابا يوم القيامة. ومن زنا بامرأة مسلمة أو غير مسلمة حرة أو أمة، فتح عليه في قبره ثلاثمائة ألف باب من النار، يخرج عليه منها حيات وعقارب وشهب من نار. فهو يعذب إلى يوم القيامة بتلك العقارب مع ما يلقى من تلك العقارب والحيات. ويبعث يوم القيامة يتأذى الناس بنتن فرجه ويعرف بذلك حتى يدخل النار، فيتأذى به أهل النار، مع ما

---

(1) "ت": الدنيا والأرجح ما أثبتناه.
(2) ساقطة من "ت".
(3) "ع": مباهات.
(4) "ح1": أظلم.
(5) "ت": أجره.
(6) "ت": وريح الجلة.
(7) ساقطة من "ع".

هم فيه من العذاب، لأن الله حرم المحارم، وليس أحد أغير من الله ومن غيرته؛ حرم الفواحش وحد الحدود. ومن اطلع إلى بيت جاره فرأى عورة رجل أو شعر امرأة أو شيئا من جسدها، كان حقا على الله أن يدخله النار مع المنافقين، الذين كانوا يتحينون عورات الناس[1]، ولا يخرج من الدنيا حتى يفضحه الله ويبدي للناظرين عورته يوم القيامة. ومن تسخط رزقه وبث شكواه ولم يصبر، لم ترفع له إلى الله حسنة ولقي الله عز وجل وهو عليه ساخط. ومن لبس ثوبا فاختال به، خسف به من شفير جهنم [...] يتجلجل فيها ما دامت السماوات والأرض؛ لأن قارون لبس حلة فاختال فيها فخسف به وهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة. ومن نكح امرأة حلالا بمال حلال يريد بذلك الفخر والرياء، لم يزده الله إلا ذلا وهوانا، وأقامه الله بقدر ما استمتع منها على شفير جهنم ثم هوى فيها سبعين خريفا. ومن ظلم امرأة مهرها فهو عند الله زان، يقول الله له يوم القيامة عبدي: "زوجتك على عهدي فلم توف بعهدي". فيتولى الله حقها فتستوعب[2] حسناته كلها، فلا تفي به، فيؤمر به إلى النار. ومن رجع عن شهادة أو كتمها أطعمه الله لحمه على رؤوس الخلائق، ويدخل النار وهو يلوك لسانه. ومن كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما بالقسم من نفسه وماله، جاء يوم القيامة مغلولا مائلا شقه، حتى يدخل النار. ومن آذى جاره، من غير حق حرم الله عليه ريح الجنة ومأواه النار، ألا وإن الله يسأل الرجل عن جاره كما يسأله عن حق أهل بيته؛ فمن ضيع حق جاره فليس منا. ومن أهان فقيرا مسلما من أجل فقره فاستخف به فقد استخف بحق الله، ولم يزل في مقت الله وسخطه حتى يرضيه. ومن أكرم فقيرا مسلما، لقي الله يوم القيامة وهو يضحك إليه. ومن عرضت له دنيا وآخرة فاختار الدنيا على الآخرة، لقي الله وليست له حسنة يتقى بها النار، وإن اختار الأخرة على الدنيا لقي الله وهو عنه راض. ومن قدر على وطء امرأة أو جارية حراما فتركها مخافة منه أمَّنَه الله يوم الفزع الأكبر وحرمه على النار وأدخله الجنة، وإن واقعها حراما حرم الله عليه الجنة وأدخله النار. ومن كسب مالا حراما لم تقبل له صدقة ولا عتق ولا حج ولا عمرة وكتب له بقدر ذلك أوزارا وما بقي من قوته كان زاده إلى النار. ومن أصاب من امرأة نظرة حراما ملأ الله عينه نارا ثم أمر به إلى النار، فإن غض بصره عنها أدخل الله قلبه محبته ورحمته وأمر به إلى الجنة. ومن

---

(1) في ماء الموائد: النساء.

(2) "ت": فيستوعب.

صافح امرأة حراما جاء يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه ثم يؤمر به إلى النار، وإن فاكهها حبس بكل كلمة كلمها في الدنيا ألف عام. والمرأة إذا طاوعت الرجل حراما فالتزمها أو قبلها أو باشرها أو فاكهها فعليها من الوزر مثل ما على الرجل، فإن غلبها الرجل على نفسها كان عليه وزره ووزرها. {و}[1] من غش مسلما في بيع أو شراء فليس منا، ويحشر يوم القيامة مع اليهود؛ لأنهم أغش الناس للمسلمين. ومن منع الماعون من جاره إذا احتاج إليه منعه الله فضله يوم القيامة ووكله إلى نفسه، ومن وكله إلى نفسه هلك آخر ما عليها ولا يقبل له عذر. وأي امرأة آذت زوجها لن تقبل صلاتها ولا حسنة من عملها حتى تعتبه وترضيه ولو صامت الدهر وقامته واعتقت الرقاب وحملت على الجياد في سبيل الله وكانت أول من يرد النار إذا لم ترضه وتعتبه.

قال: وعلى الرجل مثل ذلك من الوزر والعذاب، إذا {لها}[2] كان مؤذيا ظالما. ومن لطم خد مسلم لطمة بدد الله عظامه يوم القيامة، ثم يسلط عليه النار، ويبعثه حين يبعثه مغلولا، حتى يرد النار. [232- أ] ومن بات وفي قلبه غش لأخيه المسلم بات وأصبح في سخط الله حتى يتوب ويرجع، وإن مات على ذلك مات على غير الإسلام، ثم قال: ألا إنه من غشنا فليس منا، حتى قال ذلك ثلاثا، ومن علق سوطا بين يدي سلطان جائر، جعله الله له حية طولها سبعون ألف ذراع فتسلط عليه في نار جهنم خالدا مخلدا. ومن اغتاب مسلما بطل صومه ونقض: يعني وضوءه، فإن مات وهو كذلك مات كالمستحل ما حرم الله. ومن مشى بالنميمة بين اثنين سلط الله عليه في قبره نارا تحرقه يوم القيامة ثم يدخل النار. ومن عفا عن أخيه المسلم وكظم غيظه أعطاه الله أجر شهيد، ومن بغى على مسلم وتطاول عليه واستحقره حشره الله يوم القيامة على صورة الذرّ[3] يطأه العباد بأقدامهم ثم يدخل النار، ولم يزل في سخط الله حتى يموت . ومن رد عن أخيه المسلم غيبة سمعها تذكر في مجلس ردّ الله عنه ألف باب من الشر في الدنيا والآخرة، وإن هو لم يرد عنه وأعجبه ما قالوا كان عليه مثل وزرهم، ومن رمى محصنا أو محصنة حبط عمله، وجلده يوم القيامة سبعون ألف ملك من بين يديه ومن خلفه، ثم يؤمر به إلى النار.

---

(1) ساقطة من "ت".
(2) ساقطة من "ت".
(3) "ع": الدر.

ومن شرب الخمر في الدنيا سقاه الله من سم الأساوي وسم العقارب، يتساقط لحم وجهه في الإناء قبل أن يشربها فإذا شربها تفسخ لحمه وجلده كالجيفة يتأذى به أهل الجمع، ثم يؤمر به إلى النار. ألا وشاربها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة له والآكل ثمنها سواءُ في إثمها وعارها ولا يقبل الله له صلاة ولا صياما ولا حجا ولا عمرة حتى يتوب، فإن مات قبل أن يتوب منها كان حقا على الله أن يسقيه بكل جرعة يشربها في الدنيا شربة من صديد جهنم. ألا وكل مسكر خمر وكل مسكر حرام. ومن أكل الربا ملأ الله بطنه نارا بقدر ما أكل، وإن كسب منه ما لا لم يقبل الله شيئا من عمله ولم يزل في لعنة الله وملائكته مادام عنده منه قيراط. ومن خان أمانة في الدنيا فلم يؤدها إلى أربابها مات على غير دين الإسلام، ولقي الله وهو عليه غضبان، ثم يؤمر به إلى النار فيهوى من شفيرها أبد الآبدين. ومن شهد بشهادة زور على مسلم أو كافر علق بلسانه يوم القيامة، ثم يصير مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار. ومن قال لمملوكه أو مملوكته أو لأحد من المسلمين لبيك وسعديك قال الله له يوم القيامة لا لبيك ولا سعديك وتعس في النار، ومن أضر بامرأته حتى تفتدي منه لم يرض له بعقوبة دون النار، لأن الله يغضب للمرأة كما يغضب لليتيم، ومن سعى بأخيه إلى السلطان أحبط الله عمله كله؛ فإن وصل إليه مكروه أو أذى جعله مع هامان في درجته في النار، ومن قرأ القرآن رياء وسمعة ويريد به الدنيا، لقي الله ووجهه عظم ليس عليه لحم وزخ القرآن في قفاه حتى يقذفه في النار فيهوى فيها فيمن هوى، ومن قرأ القرآن ولم يعمل به حشره الله أعمى فيقول: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً﴾[1] فيقول: ﴿{كَذَلِكَ}[2] أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾[3] ثم يؤمر به إلى النار، ومن اشترى خيانة، وهو يعلم أنها خيانة، كان كمن خانها في عارها وإثمها، ومن قاود بين رجل وامرة حراما حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار؛ وساءت مصيرا. ومن غش أخاه المسلم نزع الله منه رزقه وأفسد عليه معيشته ووكله إلى نفسه. ومن اشترى سرقة، وهو يعلم بها، فهو كمن سرقها في عارها وإثمها، ومن ضار مسلما فليس منا ولسنا منه في الدنيا والآخرة، ومن سمع بفاحشة فأفشاها فهو كمن أتاها، ومن سمع بخير فأفشاه

---

(1) سورة طه، بعض الآية:123، وتتمتها:﴿ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً﴾،

(2) ساقطة من "ع".

(3) سورة طه، بعض الآية: 124، وتتمتها:﴿ قَالَ [كَذَلِكَ] أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾.

فهو كمن عمله. ومن وصف امرأة لرجل فذكر جمالها وحسنها حتى افتتن بها[1] فأصاب منها فاحشة، يخرج من الدنيا مغضوبا عليه، ومن غضب الله عليه غضبت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وكان عليه من الوزر الذي أصابها.

قلنا فإن تابا وأصلحا؟ قال: "قبل منهما ولا تقبل توبة الذي وصفها".

ومن أطعم طعاما رياء وسمعة أطعمه الله من صديد جهنم وكان ذلك الطعام نارا في بطنه حتى يقضى بين الناس، ومن فجر بامرأة ذات بعل انفجر في بطنه حتى يقضى بين الناس، ومن فجر بامرأة ذات بعل انفجر من فرجه واد من صديد مسيرة خمسمائة عام يتأذى به أهل النار من ريحه وكان أشد الناس عذابا يوم القيامة، واشتد غضب الله على امرأة ذات بعل ملأت عينيها من غير زوجها [232- ب] أو من غير ذي محرم منها؛ وإذا فعلت ذلك أحبط الله كل عمل عملته، فإن أوطأت فراشه غيره كان حقا على الله أن يحرقها بالنار من يوم وضعت في قبرها، وأيما امرأة اختلعت من زوجها لم تزل في لعنة الله وملائكته ورسله والناس أجمعين، فإذا نزل بها ملك الموت قال لها أبشري بالنار. فإذا كان يوم القيامة قيل لها ادخلي النار مع الداخلين، ألا وإن الله ورسوله بريئان ممن أضر بالمرأة حتى تختلع منه. ومن أم قوما بإذنهم وهم به راضون فاقتصد بهم في حضوره وقراءته وركوعه وسجوده وقعوده فله مثل أجورهم، وإن لم يقتصد بهم في ذلك ردت عليه صلاته ولم تجاوز تراقيه، وكان بمنزلة أمير جائر معتد لم يصلح إلى رعيته ولم يقم فيهم بأمر الله.

فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، وما منزلة الأمير الجائر المعتدي الذي لم يصلح إلى رعيته ولم يقم فيهم بأمر الله؟ قال:

هو رابع أربعة وهم أشد الناس عذابا: إبليس وفرعون وقابيل، قاتل النفس، والأمير الجائر رابعهم، ومن احتاج إليه أخوه المسلم في قرض فلم يقرضه، وهو عنده، حرم الله عليه الجنة يوم يجزئ المحسنين. ومن صبر على سوء خلق امرأة واحتسب الأجر من الله أعطاه الله من الثواب مثل ما أعطى أيوب على بلائه، وكان عليها من الوزر كل يوم وليلة مثل رمل عالج، فإن ماتت قبل أن تعتبه وترضيه حشرت يوم القيامة منكوسة مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار. ومن كانت له امرأة ولم

---

(1) "ت": لها.

توافقه ولم تصبر على ما رزقه الله وشقت عليه وحملته ما لا يقدر عليه لم تقبل لها حسنة، فإن ماتت على ذلك حشرت[1] مع المغضوب عليهم، ومن أكرم أخاه المسلم فإنما يكرم ربه، عز وجل فما ظنكم؟! ومن تولى عرافة قوم حبس على شفير[2] جهنم بكل يوم ألف سنة ويحشر ويده مغلولة إلى عنقه، فإن كان أقام أمر الله فيهم أطلق وإن كان ظالما هوى في جهنم سبعين خريفا، ومن تحلم بحلم كمن شهد الزور ويكلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين يعذب حتى يعقدهما، ولن يعقدهما، ومن كان ذا وجهين ولسانين في الدنيا جعل الله له وجهين ولسانين في النار. ومن استنبط حديثا باطلا فهو كمن حدث به.

قيل: وكيف يستنبطه؟ قال:

هو الرجل يلقى الرجل أكان كيت[3] كيت فيفتتحه، فلا يكونن أحدكم مفتاح الشر والباطل.

ومن مشى من صلح بين اثنين صلت عليه الملائكة حتى يرجع وأعطى أجر ليلة القدر. ومن مشى في قطيعة بين اثنين كان عليه من الوزر بقدر ما أعطى من أصلح بين اثنين من الأجر ووجبت عليه اللعنة حتى يدخل جهنم فيضاعف عليه العذاب، ومن مشى في عون أخيه المسلم ومنفعته كان له ثواب المجاهدين في سبيل الله، ومن مشى في عيبه وكشف عورته كان أول قدم يخطوها كأنما وضعها في جهنم، ثم يكشف عورته يوم القيامة على رؤوس الخلائق. ومن مشى إلى ذي قرابة أو ذي رحم يسأل أو يسلم عليه أعطاه الله أجر مائة شهيد، وإن وصله، مع ذلك، كان له بكل خطوة أربعون ألف حسنة ويحط عنه ألف ألف سيئة، ويرفع له بها ألف ألف درجة، وكأنما عبد الله مائة ألف سنة، ومن مشى[4] في فساد بين القرابات والقطيعة بينهم غضب الله عليه في الدنيا ولعنه وكان عليه كوزر من قطع الرحم ومن عمل في فرقة بين امرأة وزوجها . كان عليه لعنة الله في الدنيا والآخرة وحرم الله عليه النظر إلى وجهه، ومن قاد ضريرا إلى المسجد أو إلى منزله أو إلى حاجة من حوائجه كتب الله له بكل قدم رفعها أو وضعها عتق رقبة وصلت عليه الملائكة حتى يفارقه، ومن مشى

---

(1) "ت": نشرت.
(2) "ع": شفر.
(3) "ع": ديت.
(4) "ت": مشا.

لضرير في حاجة حتى يقضيها أعطاه الله براءتين براءة من النار وبراءة من النفاق وقضى له سبعين ألف حاجة من حوائج الدنيا. ولم يزل يخوض في الرحمة حتى يرجع، ومن أقام[1] على مريض يوما وليلة بعثه الله عز وجل مع خليله إبراهيم حتى يجوز الصراط كالبرق اللامع، ومن سعى لمريض في حاجة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

فقال رجل من الأنصار: فإن كان المريض {ذا}[2] قرابة[3] أو بعض أهله؟ فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم:

ومن أعظم أجرا ممن سعى في حاجة أهله! ومن ضيع أهله وقطع رحمه حرمه الله حسن الجزاء يوم يجزئ المحسنين [233- أ] وصيره مع الهالكين حتى يأتي بالمخرج وأنّى[4] له المخرج، ومن مشى لضعيف في حاجة له أو منفعة أعطاه الله كتابه بيمينه، ومن أقرض ملهوفا فأحسن طلبه فليستأنف العمل وله عند الله بكل درهم ألف قنطار في الجنة، ومن فرج عنه كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كرب الدنيا والآخرة ونظر الله إليه نظرة رحمة ينال بها الجنة، ومن مشى في صلح بين امرأة وزوجها كان له أجر ألف شهيد قتلوا في سبيل الله وكان له بكل خطوة وكلمة عبادة سنة صيامها وقيامها، ومن أقرض أخاه المسلم فله بكل درهم وزن جبل أحد وحرا وثبير وطور سيناء حسنات، فإن رفق به في طلبه بعد حله جرى له بكل يوم صدقة وجاز على الصراط كالبرق اللامع لا حساب عليه ولا عقاب، ومن مطل طالبه، وهو يقدر على قضائه، فعليه خطيئة عشار.

فقام إليه عوف بن مالك الأشجعي، رضي الله تعالى عنه، وقال: وما خطيئة عشار يارسول الله؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"خطيئة عشار أن عليه في كل يوم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا، ومن اصطنع إلى أخيه المسلم معروفا ثم من به عليه أحبط الله أجره وخيب سعيه. ثم قال:

---

(1) "ع": قام.

(2) ساقطة من "ح1".

(3) "ح2": قرابته.

(4) "ت": وأنا.

ألا إن[1] الله حرم على البخيل والمنان[2] والقتات والمختال والجواظ[3] والجعظري[4] والعتل والزنيم ومدمن الخمر الجنة، ومن تصدق بصدقة أعطاه الله بوزن كل ذرة منها جبل أحد من نعيم، ومن مشى بها إلى المساكين كان له مثل ذلك، ولو تناولها أربعون ألف إنسان حتى تصل إلى المسكين، كان لكل واحد مثل ذلك الأجر كاملا، وما عند الله خير وأبقى للذين اتقوا وأحسنوا، ومن بنى مسجدا أعطاه الله بكل شبر أو قال: بكل ذراع، أربعين ألف ألف مدينة من ذهب وفضة ودر وياقوت وزبرجد ولؤلؤ، في كل مدينة أربعون ألف ألف قصر، في كل قصر سبعون ألف ألف دار في كل دار سبعون ألف ألف بيت في كل بيت سبعون ألف ألف سرير على كل سرير زوجة من الحور العين، في كل بيت أربعون ألف ألف وصيفة وأربعون ألف ألف وصيف، وفي كل بيت أربعون ألف ألف مائدة على كل مائدة أربعون ألف ألف قصعة في كل قصعة، أربعون ألف ألف لون من الطعام، ويعطى الله عز وجل وليه من القوة ما يأتي على تلك الأزواج وذلك الطعام والشراب في يوم واحد. ومن تولى أذان مسجد[5] من مساجد الله عز وجل يريد بذلك وجه الله أعطاه الله ثواب أربعين ألف ألف نبي وأربعين ألف صديق وأربعين ألف شهيد ويدخل في شفاعته أربعون ألف أمة، كل أمة أربعون ألف ألف رجل، وله في كل جنة من الجنان قصر في كل قصر، أربعون ألف ألف دار، في كل دار أربعون ألف ألف بيت، في كل بيت أربعون ألف ألف سرير على كل سرير، زوجة من الحور العين سعة كل بيت منها مثل سعة الدنيا أربعون ألف ألف مرة، بين يدي كل زوجة أربعون ألف ألف وصيفة وأربعون ألف ألف وصيف في كل بيت أربعون ألف ألف مائدة، على كل مائدة أربعون ألف ألف قصعة، في كل قصعة أربعون ألف ألف لون، لو نزل به الثقلان لأدخلهم أدنى بيت من بيوته بما شاؤوا وفيه من الطعام والشراب واللباس والطيب والثمار وألوان التحف والطرائف والحلي والحلل؛ كل بيت منها مكتف بما فيه من هذه الأشياء من البيت الآخر، فإذا قال المؤذن أشهد أن لا إله إلى الله اكتنفه

---

(1) "ع": وإن.

(2) "ت": المانّ.

(3) الجواظ: بفتح الجيم وتشديد الواو آخر ظاء، قيل القصير البطين أو الكثير اللحم المختال في مشيته، أو الغليظ الرقبة والجسم، أو الفاجر، أو الذي لا يستقيم على أمر واحد. ينظر اللسان.

(4) الجعظري: بفتح الجيم وسكون العين المهملة والظاء المشالة مفتوحة وآخره ياء وهو الفظ الغليظ. ينظر اللسان.

(5) "ت": المسجد.

سبعون ألف ملك كلهم يصلون عليه ويستغفرون له، وهو في ظل رحمة الله ويكتب ثوابه أربعون ألف ألف ملك.

قال: ثم يصعدون إلى الله، عز وجل. ومن مشى إلى مسجد من المساجد فله بكل خطوة يخطوها حتى يرجع إلى منزله عشر حسنات ويمحي عنه عشر سيئات ويرفع له عشر درجات، ومن حافظ على الجماعة حيث كان ومع من كان، مرَّ على الصراط كالبرق اللامع في أول زمرة مع السابقين ووجهه أضوأ من القمر ليلة البدر، وكان له بكل يوم وليلة حافظ عليها ثواب شهيد، ومن حافظ على الصف المقدم فأدرك أول تكبيرة من غير أن يوذي مؤمنا أعطاه الله مثل ثواب المؤذن في الدنيا والآخرة. ومن بنى[1] بناء على ظهر طريق يأوى إليه عابر[2] السبيل بعثه الله يوم القيامة على نجيبة من در ووجهه يضيء لأهل الجمع حتى يقول أهل الجمع هذا ملك من الملائكة لم ير مثله، حتى يزاحم إبراهيم في قبته ويدخل الجنة بشفاعته أربعون ألف رجل. ومن شفع لأخيه المسلم في حاجة نظر الله إليه، وحق على الله أن لا يعذب عبدا نظر إليه حتى إذا كان لذلك يطلب منه أن يشفع إليه. [233- ب] فإذا شفع له من غير طلب كان له مع ذلك أجر سبعين شهيدا. ومن صام رمضان وكف عن اللغو والغيبة والكذب والخوض في الباطل وأمسك لسانه إلا عن ذكر الله عز وجل وكف سمعه وبصره وجميع جوارحه عن محارم الله عز وجل وعن أذى المسلمين، كان له من القربة عند الله أن تمس ركبته ركبة إبراهيم خليله، ومن احتفر[3] بئرا، حتى يستنبط ماءها فيبذلها للمسلمين، كان له أجر من توضأ منها وصلى وله بعدد من شرب منها حسنات إنس أو جن أو بهيمة أو سبع أو طائر أو غير ذلك وله كل شعرة من ذلك عتق رقبة ويرد في شفاعته يوم القيامة حوض القدس.

قيل: وما حوض القدس؟ قال:

حوضي حوضي، ومن حفر قبرا لمسلم[4] حرمه الله على النار وبوأه بيتا في الجنة، لو وضع فيها ما بين صنعاء والحبشة لوسعها، ومن غسل ميتا وأدى الأمانة فيه كان له بكل شعرة عتق رقبة، ورفع له بها مائة درجة.

---

(1) "ع": بنا.
(2) "ع": ابن.
(3) "ت": حفر.
(4) "ت": قبر المسلم.

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وكيف يؤدي فيه الأمانة يا رسول الله ؟ قال:

يستر عورته ويكتم سيئته وإن هو لم يستر عورته ويكتم سيئته أبدى[1] الله عورته على رؤوس الخلائق، ومن صلى على ميت صلى عليه جبريل ومعه سبعون ألف ملك، وغفر له ما تقدم من ذنبه، فإن أقام حتى يدفن وحث عليه التراب انقلب وله بكل خطوة حتى يرجع إلى منزله قيراط من الأجر، والقيراط مثل أحد. ومن ذرفت عيناه من خشية الله، كان له بكل قطرة من دموعه مثل أحد في ميزانه، وله بكل قطرة عين في الجنة على حافيتها من المدائن والقصور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ومن عاد مريضا فله بكل خطوة خطاها حتى يرجع إلى منزله سبعون ألف حسنة، ومحي عنه سبعون ألف سيئة، ورفع له سبعون ألف درجة، ويوكل به سبعون ألف ملك يعودونه ويستغفرون[2] له إلى يوم القيامة، ومن تبع جنازة فله بكل خطوة يخطوها حتى يرجع مائة ألف حسنة، ومحي عنه مائة ألف سيئة، ورفع له مائة ألف درجة، وإن صلى عليها وكل الله به تسعين ألف ملك يستغفرون له حتى يرجع، وإن شهد دفنها استغفروا له حتى يبعث من قبره، ومن خرج حاجا أو معتمرا فله بكل خطوة حتى يرجع ألف ألف حسنة، ومحو ألف ألف سيئة، ورفع به ألف ألف درجة، وله عند ربه بكل درهم، ينفقه ألف ألف درهم وبكل دينار ألف ألف دينار، وبكل حسنة يعملها ألف ألف حسنة، حتى يرجع وهو في ضمان الله، عز وجل، فإن توفاه أدخله الجنة، وإن رجع رجع مغفورا له مستجابا له، فاغتنموا دعوته إذا قدم قبل أن يصيب الذنوب فإنه يشفع في مائة ألف رجل يوم القيامة، ومن خلف حاجا أو معتمرا في أهله بخير كان له مثل أجره كاملا من غير أن ينقص من أجره شيء، ومن رابط وجاهد في سبيل الله كان له بكل خطوة حتى يرجع سبعمائة ألف ألف حسنة، ومحو سبعمائة ألف ألف سيئة، ورفع مائة ألف ألف درجة، وكان في ضمان الله، فإن توفاه بأي حتف كان أدخله الجنة، وإن أرجعه أرجعه مغفورا له مستجابا له، ومن زار أخاه المسلم فله بكل خطوة حتى يرجع عتق مائة ألف رقبة، ومحو مائة ألف سيئة، ويكتب الله له بها مائة ألف حسنة ويرفع له مائة ألف درجة.

---

(1) "ح2": أبدا.
(2) "ت": يستغفرونه.

قال: فقلنا لأبي هريرة: "أليس قد قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من أعتق رقبة فهي فداؤه؟ قال: بلى!".

ويرفع له سائرها في كنوز العرش عند ربه عز وجل. ومن تعلم القرآن ابتغاء وجه الله وتفقه في الدين، كان له من ثواب مثل جميع ما أعطي الملائكة والأنبياء والرسل من تعلم القرآن رياءا وسمعة ليماري به السفهاء وليباهي به العلماء ويطلب به الدنيا برد الله عظامه، ولا يبقى فيه نوع من أنواع العذاب إلا عذب به، لشدة غضب الله عليه وسخطه عليه. ومن تعلم العلم وتواضع في العلم وعلمه عباد الله يريد بذلك ما عند الله، لم يكن في الجنة أفضل ثوابا منه ولا أعظم منزلة، ولم تكن[1] في الجنة منزلة ولا درجة رفيعة نفيسة إلا وله فيها أوفر نصيب وأشرف ألا وإن العلم أفضل العبادة وملاك الدين الورع وإنما العالم من عمل بعلمه وإن كان قليلا. فلا تحقرن من المعاصي شيئا وإن صغر في أعينكم فإنه لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار، ألا وإن الله، عز وجل، سائلكم عن أعمالكم حتى عن مس أحدكم ثوب أخيه،

واعلموا عباد الله أن العبد يبعث يوم القيامة على ما مات عليه، وقد خلق الله، عز وجل، الجنة والنار، فمن اختار [234- أ] النار على الجنة فأبعده الله، ألا وإن الله عز وجل أمرني أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل، ألا وإن الله، عز وجل، لم يدع شيئا نهى عنه إلا وقد بينه لكم؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة، ألا وإن الله لا يظلم ولا يجوز عليه ظلم وهو بالمرصاد ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزئ الذين أحسنوا بالحسنى: فمن أحسن فلنفسه ﴿وَمَنْ أَساَءَ فَعَلَيْهاَ وَماَ رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾[2]

يا أيها الناس: إني[3] قد كبرت سني ورق عظمي وانهد[4] جسمي ونعيت إلي نفسي واقترب أجلي واشتقت إلى ربي، عز وجل، ألا وإن هذا آخر العهد بيني

---

(1) "ت": يكن.

(2) سورة فصلت، بعض الآية 45، وتتمتها: ﴿مَنْ عَمِلَ صاَلِحاً فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَساَءَ فَعَلَيْهاَ، وَماَ رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

(3) "ت": إنه.

(4) "ع": نهد.

وبينكم، فما دمت حيا فقد تروني فإذا مت فالله خليفتي على كل مسلم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثم نزل فابتدره رهط من الأنصار قبل أن ينزل فقالوا: "جعلت أنفسنا فداك يا رسول الله من يقوم بهذه الشدائد؟ وكيف العيش بعد هذا اليوم؟" فقال:

"وأنتم فداؤكم أبي وأمي، نازلت ربي، عز وجل، في أمتي فقال لي: باب التوبة مفتوح حتى ينفخ في الصور". ثم قال: "من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه. ثم قال:

"شهر كثير، من تاب قبل موته بجمعة تاب الله عليه" ثم قال:

"جمعة كثير من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه"، ثم قال:

"يوم كثير"، ثم قال:

"من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه"، ثم قال:

"من مات قبل أن يغرغر بالموت تاب الله عليه".

ثم نزل فكانت آخر خطبه صلى الله عليه وسلم.[1]": (البسيط)

يـاَ مطْلَبـاً لَيْـسَ لِـي فِـي غَيـْرِهِ أَرَبُ ... مَـنْ ذَا لَـه بِالْمُعَنَّـى يَـجْمُلُ الهَـرِبُ

مَـا إِنْ تَـقَضَّى طلابِـي عَـنْ جَنَـابِكَ بَـلْ ... إِلَيْـكَ آلَ التَّـقَصِّي[2] وَانْتَهَـى الطَّلَـبُ

وَمَـا طَمَـحْتُ لِمَـرْأَىً أَوْ لِمُسْتَمِـعِ ... يُسْتَعْذَبُ السَّمْعُ أَوْ يُسْتَهْدَفُ[3] الهَـدَبُ

فمَـا أَذَاعَـتْ خبَايَـا الكَـوْنِ مِـنْ مُلَـحٍ ... إِلاَّ لِمَعْنَـى إِلَـى عَلْيَـاكَ يَنْتَسِـبُ

وَمَـا أُرَانِـي أَهْـلاً أَنْ تُوَاصِلَنِـي ... لِأَنَّنِـي عَـنْكَ لِلسَّلْـوَانِ أُصْطَحِـبُ

نَعَـمْ أُنَـزِّهُ ذَاكَ الحُسْـنَ عَـنْ نَظَـرِي ... حَسْبِـي عُلُـوّاً بِأَنِّـي فِيـكَ مُكْتَئِـبُ

(1) ينظر ماء الموائد، ج:2،من ص:183،إلى ص: 193

(2) "ت": التقضى.

(3) "ت": يستهر.

لَكِنْ يُنَازِعُ شَوقِي تَارَةً أَدَبِي ... وَرُبَّمَا عَنْكَ يَوْماً زَالَتِ الحُجُبُ[1]

فَأَزْدَهِي وَاشْتِيَاقِي فِي خَلاَعَتِهِ ... فَأَطْلُبُ القُرْبَ لَمَّا يَضْعُفُ الأَدَبُ

وَلَسْتُ أَبْرَحُ فِي الحَالَيْنِ ذَا قَلَقٍ[2] ... لِمَعْهَدٍ بِالحِمَى اشْتَطَّتْ[3] بِهِ الحِقَبُ

غَدَوْتُ عَنْهُ غَدَاةَ البَيْنِ ذَا وَلَهٍ ... نَامٍ وَوَجْدٍ لَهُ فِي أَضْلُعِي لَهَبُ

وَنَاظِرٍ كُلَّمَا كَفْكَفْتُ صَيِّبَهُ ... أَقَلَّ عَارِضُهُ فِي عَارِضِي يجِبُ

لاَ تَنْسَحِبْ وَأَطِعْنِي فِي مُكَالَمَتِي ... صَوْناً لِحُبِّكَ يَعْصِينِي وَيَنْسَحِبُ

وَتَدَّعِي فِي الهَوَى دَمْعِي مُقَاسَمَتِي ... مَعَ التَّصَابِي وَعِنْدَ غَيْرِهِ عَجَبُ

وَعِنْدَهُ عَجَبٌ أَيْضاً فَنَازَعَنِي[4] ... حُزْنِي وَوَجْدِي وَيَجْرِي وَهْوَ مُخْتَضِبُ

كَالطَّرْفِ يَزْعُم تَوْحِيدَ الحَبِيبِ وَلاَ ... يُفَارِقُ الطَّرْفَ وَالعوَارُ يَنْتَحِبُ[5]

هَيْهَاتَ تَوْحِيدُهُ يَبْكِي الدُّمُوعَ[6] وَلاَ ... يَزَالُ فِي لَيْلِهِ لِلنَّجْمِ يَرْتَقِبُ

يَا صَاحِبِي قَدْ عَدِمْتَ المُسْعِدِّينَ[7] بِهَا[8] ... عَنِّي[9] فَلِي مُهْجَةٌ أَوْدَتْ بِهَا كُرَبُ

وَمسَّنِي وَصَبٌ عَيِيتُ فِيهِ فَسَا ... عِدْنِي عَلَى وَصَبٍ لاَ مَسَّكَ الوَصَبُ

بِاللَهِ إِنْ جُزْتَ كُثْبَاناً بِذِي سَلَمٍ ... حَاذَتْ بِأَرْدَافِهَا أَكْنَافُهَا العَرَبُ

فَغَادَرَت عِنْدَهَا بَاناً عَلَى كُثُبٍ ... قِفْ بِي عَلَيْهَا وَقُلْ لِي هَذِهِ الكُتُبُ [234-

لِيَقْضِيَ الخَدُّ مِنْ جَرْعَائِهَا وَطَراً ... مِنْ لَثْمِهَا وَمَعِينُ الدَّمْع يَنْسَكِبُ

---

(1) "ع": العجب.
(2) "ع": خلق.
(3) "ع": اشتضت.
(4) "ع": ينازعني.
(5) "ت": ينتخب.
(6) "ح1": الرجوع.
(7) "ت": المسعدين.
(8) "ع": فما.
(9) "ع": همّني.

فَيَنْبُتُ العُشْبُ مُخْضَرَّ الفُرُوعِ بِهِ | مِنْ تُرْبِهاَ وَيُؤَدِّي بَعْضَ مَا يَجِبُ
وَمِلْ إِلَى البَانِ مِنْ شَرْقِيِّ كَاظِمَةٍ | مَيْلَ المُتَيَّمِ دَارَتْ حَوْلَهُ النُّجُبُ
وَقِفْ لِأَقْضِيَ مِنْ شَرْقِيِّهَا إِرَباً | فَلِي إِلَى البَانِ مِنْ شَرْقِيِّهاَ أَرَبُ
حَيْثُ الهِضَابُ وَبِطْحَاهَا يُرَوِّضُهَا | شُؤُونُ دَمْعِي وَصَبُّ المَدْمَعِ الوَصِبُ
فَإِنْ عَفَتْ بِالِّسنِينِ الغُبْرِ أَغْرَقَهَا[1] | دَمْعُ المُحِبِّينَ لاَ الأَنْدَاءُ وَالسُّحُبُ
أَكْرِمْ بِهِ مَنْزِلاً لاَ تَحْمِيهِ هَيْبَتُهُ | تَحْتَ السَّكِينَةِ وَالأَعْدَاءُ تَضْطَرِبُ
حَتَّى تَذُودَ أَذَى الدُّنْيَا جَلاَلَتُهُ | عَنِّي وَأَنْوَارُهُ لاَ السُّمْرُ وَالقُضُبُ
دَعْنِي أُعَلِّلُ نَفْساً عَزَّ مَطْلَبُهَا | حَتَّى عَرَانِيَ[2] مِنْهَا الكَدُّ وَالتَّعَبُ
فَبِعْتُ لِلْوَصْلِ رُوحاً عَزَّ جَانِبُهَا | فِيهِ وَقَلْباً لِعُذْرٍ لَيْسَ يَنْقَلِبُ
فَفِيهِ عَاهَدْتُ قِدْماً حُبَّ مَنْ حَسُنَتْ | بِهِ المَلاَحَةُ وَاعْتَزَّتْ بِهِ الرُّتَبُ
دَانٍ[3] وَأَدْنَى وَعِزُّ الحُسْنِ يَحْجُبُهُ | عَمَّنْ تَحَكَّمَ مِنْهُ القَصْدُ وَالطَّلَبُ
حَتَّى رَأَيْتُ جُنُودَ الحُبِّ تَمْنَعُهُ | عَنِّي وَذُلِّي وَالإِجْلاَلُ وَالرَّهَبُ
أَحْيَا إِذَا مُتُّ مِنْ شَوْقٍ لِرُؤْيَتِهِ | وَالنُّورُ لِلاَّمِ يُدْعَى عِنْدَهَا الهَرَبُ
فَأَنْثَنِي وَأَنَا الصَّبُّ الكَلِيمُ بِهِ | لأَنَّنِي لِهَوَاهُ فِيهِ أَنْتَسِبُ
وَلَسْتُ أَعْجَبُ مِنْ حُبِّي وَصِحَّتِهِ | [كِيمُوسُهاَ][4] الصِّدْقُ وَالبُهْتَانُ وَالكَذِبُ
حَتَّى سَلاَ النُّضْجُ[5] وَالوِجْدَانُ مَنْشَأَهُ | مِنْ حَجَّتِي إِنَّمَا سَقَمِي هُوَ العَجَبُ
يَا لَهْفَ نَفْسِيَ لَوْ يُغْنِي تَلَهُّفُهَا | وَمَا التَّلَهُّفُ بِالمُغْنِي وَلاَ الرُّعُبُ

---

(1) "ت": أعرقها.
(2) "ع": عداني.
(3) "ع": دان.
(4) في النسخة "ت": فراغ عوض هذه الكلمة.
(5) "ت": النضح.

إِنْ لَـمْ تَجُـدْ لَـهُمُ الدُّنْيَـا فَـواَ أَسَفـاً   وَجْـداً وَوَاحَرَبـاً[1] لَـوْ يَنْفَـعُ الحَـرَبُ

يـَمْضِي الزَّمَـانُ وَأَشْوَاقِـي مُضَاعَفَـةً   لَهُـمْ فَأَسْجُـدُ مِـنْ شَوْقِـي وَاقْتَـرِبُ

وَعِـزَّةُ[2] المَجْـدِ وَالإِجْـلاَلُ يَمْنَعُهُـمْ   يَالِلِّرجَـالِ وَلاَ وَصْـلٌ وَلاَ سَبَـبُ

هَبـَّتْ لنَـا نـَفَحَاتٌ مِـنْ دِيَارِهِـمُ   تَـنَاوَبَ الأَيْـكُ مِـنْ هَبَّاتِهَـا[3] نُـوَبُ

حَتَّـى إِذَا [لَقِـيَتْ][4] مِـنْ وَجْـدِهَا طَرَبـاً   لَـمْ يَبْـقَ فِـي الرَّكْـبِ مَـنْ لاَ هَـزَّهُ الطَّـرَبُ

كِدْنَـا نَطِيـرُ سُـرُوراً مِـنْ تَذَكُّرِهِـمْ   فَفِيـهِ مِنْهُـمْ لَنَـا الأَلْطَـافُ وَالقُـرَبُ

فَاسْـتَهْتَرَتْنَا فُنُـونٌ مِـنْ لَطَائِفِهِـمْ   حَـتَّى لَقَـدْ رَقَصَـتْ[5] مِنْ تَحْتِهَا[6] النُّجُـبُ

يَـا بَـارِقاً بِأَعَالِـي الرَّقْمَتَيْـنِ بَـداَ   مِـنْ أَيْـنَ شَاكَلْتَـنِي لاَ هَـزَّكَ العَجَـبُ

نَعَـمْ أَقُـولُ بِحَـقٍّ أَنْـتَ خَيْـرُ قِـرَى[7]   لَقَـدْ حَكَيْـتَ وَلَكِـنْ فَـاتَكَ الشَّـنَبُ

أَمَّـا خُـفُوقُ فُـؤَادِي فَهْوَعَـنْ سَبَـبٍ   وَجْـدٌ عَـلاَهُ وَنَـارٌ فِيـهِ تَلْتَهِـبُ

قَـدْ كُـنْتُ فِـي المَهْـدِ لاَ أَدْرِي بِدَايَـتَهُ   وَعَـنْ خُفُوقِـكَ قُـلْ لِـي مَـا هُـوَ السَّبَـبُ

وَمَـا نَسِـيمٌ سَـرَى مِـنْ نَحْـوِ كَاظِمَـةٍ   فَعَانَـقَ البَـانَ حَتَّـى مَاسَـتِ القُضُـبُ

فَبَـاتَ يُمْلِيهِمَـا عَـنْ حَـاجِرٍ سِيَـراً   بِاللَّهِ قُلْ لِي كَيْفَ البَانُ وَالعَذَبُ [235-أ]

وَكَيْـفَ جِيـرَةُ ذَاكَ الحَـيِّ هَـلْ حَفِظُـوا   مَـا أَحْـرَزَ الـرَّحِمُ المَـوْصُولُ وَالنَّسَـبُ

فَقَـدْ تَـحَمَّلْتُ مُـذْ فَارَقْـتُ مَعْهَدَهُـمْ   عَهْـداً أُرَاعِيـهِ إِنْ شَطُّـوا وَإِنْ قَـرِبُوا[8]

---

(1) "ع": وواجدا.
(2) "ت": وغرة.
(3) "ت": هيباتها.
(4) في "ت": فراغ عوض هذه الكلمة.
(5) "ت": رقضت.
(6) "ت": تحتنا.
(7) "ع": سرا.
(8) "ع": قرب.

أَمْ ضَيَّعُوا وَمُرَادِي مِنْكَ ذِكْرُهُمُ ... عَلَى الحَقِيقَةِ إِنْ مَرُّوا وَإِنْ عَذُبُوا[1]

فَالسَّلْبُ مِنْهُمْ عَطَاءٌ وَافِرٌ وَهُمُ ... هُمُ الأَحِبَّةُ إِنْ أَعْطَوْا وَإِنْ سَلَبُوا[2]

إِنْ كَانَ يُرْضِيهُمُ إِبْعَادُ عَبْدِهِمُ ... فَلْيَفْعَلُوا مَا أَرَادُوهُ[3] وَلاَ عَتَبُ

فَإِنْ هُمُ بَعُدُوا وَلاَتَ حِينَ قِلىً[4] ... فَالعَبْدُ مِنْهُمْ بِذَاكَ العُمْرِ مُقْتَرِبُ

وَالهَجْرُ إِنْ كَانَ يُرْضِيهِمْ بِلاَ سَبَبٍ ... فَهُوَ الغَنِيمَةُ لاَ بَخْسٌ وَلاَ صَخَبُ[5]

كَأَنَّهُ جَاءَ بِاللُّقْيَا يُبَشِّرُنِي ... فَإِنَّهُ مِنْ قُبَيْلِ الوَصْلِ مُحْتَسِبُ

وَإِنْ هُمُ احتَجَبُوا عَنِّي فَإِنَّ لَهُمْ ... عِزًّا تُزَاحُ بِهِ عَنْ بَاطِنِي الرِّيَبُ

لأَنَّ عِنْدِي مِنْ آثَارِ عِشْقِهِمُ ... مَشْهُودَ حُسْنٍ بِقَلْبِي لَيْسَ يُحْتَجَبُ

قَدْ نَزَّهَ الحُسْنُ وَالأَشْوَاقُ بَهْجَتَهُ ... فَاسْتَهْتَرَتْ فِي هَوَاهُ العُجْمُ وَالعَرَبُ

بَدَتْ فَلَمْ تَخْفَ فَالأَنْوَارُ تَمْنَعُهَا ... عَنْ أَنْ تُمَنِّعَهَا الأَسْتَارُ وَالحُجُبُ

مَا يَشْتَهِي نَظَرِي مِنْهُمْ إِلَى رُتَبٍ ... فِي الحُسْنِ إِلاَّ وَلاَحَتْ فَوْقَهَا رُتَبُ

وَكُلَّمَا لاَحَ مَعْنىً مِنْ جَمَالِهِمُ ... رَاحَتْ لِبَهْجَتِهِ الأَرْوَاحُ تَنْجَذِبُ

حَتَّى إِذَا مَا دَعَا[6] الدَّاعِي لِمَوْطِنِهِ ... لَبَّاهُ شَوْقٌ إِلَى مَعْنَاهُ يَنْتَسِبُ

أَظَلَّ دَهْرِي وَلِي مِنْ حُسْنِهِمْ طَرَبٌ ... أَثَارَهُ الحُبُّ لاَ الصَّهْبَاءُ وَالحَبَبُ

فَمِنْ عَظِيمِ غَرَامِي فِيهِمُ فَرَحٌ ... وَمِنْ أَلِيمِ اشْتِيَاقِي نَحْوَهُمْ هَرَبُ

وَكَمْ أُمَوِّهُ بِالعُرْبِ الكَوَاعِبِ وَالْـ ... وَادِي التَّيَاعَا وَلاَ وَادٍ[7] وَلاَ عَرَبُ

---

(1) "ع": عذب.
(2) "ع": سلب.
(3) "ت": أرادوهم.
(4) "ع": قلا.
(5) "ح1": وصب.
(6) "ت": دعى.
(7) "ع": وادي.

وَكَــمْ أَفُــوهُ بِكُتْـبٍ وَالقَضِـيبُ بِــهِ — تَشْـدُو الحَمَـامُ وَلاَ قُـضْبٌ وَلاَ كُتُـبُ
كَالشَّمْـسِ يَسْـتُرُهَا بِالمَـاءِ نَاظِرُهَـا — إِنْ خَـافَ مِنْهَـا عَلَـى الأَبْصَـارِ تَنْسَلِـبُ
وَالقَصْـدُ خَيْـرَ نَبِـي عَـمَّ[1] نَائِلُـهُ — تَـضِيقُ عَـنْ وَصْفِـهِ الأَشْـعَارُ وَالخُطَـبُ
وَأَيْـنَ يَنْـزِلُ مَـدْحُ الـمَادِحِينَ لَـهُ — مِـمَّا رَوَوْا عَنْـهُ مِـنْ فَضْـلٍ وَمَـا كَتَبُـوا[2]
فَمَـدْحُهُ الوَحْـيُ وَالتَّـنْزِيلُ مُعْجِـزَةٌ — لاَ مَـا تُنَمِّقُـهُ الأَقْـلاَمُ وَالكُتُـبُ
مُحَمَّـد المُصْطَـفَى الهَـادِي الشَّفِـيعُ إِذَا — أَوْدَتْ لِمَحْشَرِنَـا الأَهْـوَالُ وَالكُـرَبُ

وهذه القصيدة لابن الخيمي. وأثبتّها هنا تبركا، لكونها مما ينشده[3] المؤذنون في في الحرم الشريف. وهي من الطراز العالي في الرقة، والوشي الغالي في الدقة. فالله يثيب قارئها وناظمها وسامعها وراقمها بمنه ويمنه. ومما يناسب المقام ما أنشأه الشيخ إبراهيم الخياري في مدحه عليه [وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى][4] السلام: (البسيط)

زَارَتْ علَـى غَفْلَـةٍ مِـنْ غَيْـرِ مِيعَـادِ — غَيْـدَاءُ[5] تَسْحَـبُ تِـيهاً خَيْـرَ أَبْـرَادِ[6]
كَالشَّمْسِ إِنْ وَضُحَتْ وَالبَدْرِ إِنْ لَمَحَتْ — وَالـوَرْدِ إِنْ سَمَحَـتْ فِـي خَـدِّهَا بَـادِ[7]
وَالـدُّرِّ إِنْ بَسَـمَتْ وَالزَّهْـرُ إِنْ نَسَمَـتْ — وَالزُّهْـرُ إِنْ نَظَمَـتْ عِقْـداً لأَجْيَـادِ[8]
حَـوْرَاءُ مَـا حَلَّلَـتْ لِـي نَظْـرَةً حَرُمَـتْ — لَكِـنْ أَذَابَـتْ بِـحَرِّ الهَجْـرِ أَكْبَـادِي[9] [235- ب]

---

(1) مطموسة في "ع".
(2) "ت": كتب.
(3) "ع": ينشدها.
(4) زيادة من "ت".
(5) "ت": حيداء.
(6) أبراد ج برد: ثوب من نسج اليمن (مادة: ب – ر – د، لسان العرب)
(7) "ع": ناد.
(8) "ت": في عقد الأجياد.
(9) "ح1": أكبادي.

يَـا وَيْـحَ قَلْبِـي بِهَـا كَـمْ ذَاقَ مِـنْ حـرُقٍ حَتَّـى لَقَـدْ شَيَّبَـتْ بِالبُعْـدِ أَفـوَّادِي[1]

أَبْكِـي وَأَمْـسَحُ دَمْعِـي كَاتِمـاً لِأَسـًى[2] نِيـرَانُهُ فِـي الحَـشَا [دانَـتْ][3] لِإِيقَـادِي

يَـا صَـاحِبَيَّ إِذَا مَـا رُمْـتُمَا سَكَنِـي عُوجـاَ قَلـيلاً كَـذَا عَـنْ أَيْمَـنِ الـوَادِي

أَوْ رُمتُمَا شَـرْحَ حَالِي فِي الهَوَى فَلَقَدْ [غُذِيـتُ دَرَّ التَّصـابِي قَـبْلَ مِيـلاَدِي][4]

وَصَـادِحُ البَيْـنِ إِنْ يَخْـفَى فَـلاَ عَجَـبُ صَـوَادِحُ البَـانِ وَهْنـاَ شَجْـوُهاً بَـادِ

يَـا ضَـرَّةَ الـشَّمْسِ يَـا مَنْ لاَ شَبِيـهَ لَهـَا حُبَّـيْكِ أَعْـذَبُ مِـنْ عَـذْبٍ إِلَـى صَـادِي

فَـإِنْ يَكُـنْ عَـزَّ وَصْـلٍ أَوْ بَخِلْـتِ بِـهِ فَعَلِّلِيـنَا وَلَـوْ طَيْفـاً بِمِيعَـادِ

أَمَـا عَلِمْـت بِنِيـرَانِ الخَلِيـلِ إِذَا تَسْنِـيمُ وَصْـلِكِ يَشْـفِي غُـلَّةَ الـصَّادِي[5]

يَا صَاح إِنْ رُمْتَ فِعْلاً مِنْ جَمِيلِكَ فِي قِـفْ بِـي بِمُنْعَـرَج الـزَّوْرَاءِ يَـا حَـادِي[6]

فَثَـمَّ مَـنْ صَيَّـرَتْنِي فِي الـهَوَى مَثَـلاً لاَ أَرْتَضِـي قَـيْسَ فِيهَـا بَـعْض أَنْـدَادِي

مَالَـتْ عَنِ الوَصْـلِ لَـمْ تَسْمَحْ بِـهِ صَلَفاً بَـلَى تَثَنَّـتْ عَلَـى حِقَـفٍ بِمَيَّـادِ

وَأَقْبَلَـتْ كَالْمَهَـا تَخْتَـالُ فِـي حُلَـلٍ فَعَطَّـرَ النَّـدُّ مِنْـهَا ذَلِـكَ[7] النَّـادِي

وَلاَحَ فِـي الخَـدِّ وَرْدٌ بِـالرُّبَى[8] زَهَـرٌ يَاحَيْـرَتِي بَيْـنَ نَـاءٍ فِيـكِ أَوْ نَـادِ

وَعِنْدَمَـا أَبْـصَرَتْ جِسْـمِي يَـذُوبُ أَسـًى وَزَفْرَتِـي بَيْـنَ إِصْـدَارٍ وَإِيـرَادِ

وَأَنَّنِـي لَـمْ أَطِـقْ خـطوا[9] وَلاَ قَـدَماً كَأَنَّنِـي مُرْصَـدٌ فِـي حِفْـظِ أَرْصَـادِ

---

(1) "ح1": أفوادي.
(2) "ت": للأسى والصواب ما أثبتناه.
(3) في "ت": فراغ عوض هذه الكلمة.
(4) في "ت": فراغ عوض هذا الشطر.
(5) "ع": الصاد.
(6) "ع": ياحاد.
(7) "ع": ذاك.
(8) "ع": ورد الربي.
(9) "ع": اخضوا، والصحيح ما أثبتناه.

قَالَـتْ أُسَـرْتُكَ يَـا هَـذَا وَصِـرْتَ لَنَـا رِقّـاً وَمَـا سُـورُنَا مَـا إِنْ لَـهُ فَـادِ

فَهَـلْ تـرَى مَـخْلَصاً مِنِّي فَقُلْتُ نَعَـمْ مَدْحِـي لأَشْـرَفِ مَبْعُـوثٍ لإِرْشَـادِ

مُحَمّـدٌ سَـيِّدُ الكَـوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْـ ـنِ وَالفَـرِيقَيْنِ مِـنْ قَـارٍ وَمِـنْ بَـادِ

خَيْـرُ الخَلاَئِـقِ مَحْمُـودُ الطَّرَائِـقِ [مَعْـ ـرُوفُ][1] السَّوَابِـقِ مَرْجُـوٌّ لإِنْجَـادِي

حَامِـي الدِّيَارِ[2] مُغِيثُ الجَارِ إِنْ وَجِلَـتْ قُلُـوبُ وُفَّـادِهِ مِـنْ كَـادِحٍ عَـادِ

هَـادِي الأَنَـامِ شَفِيـعٌ فِـي الزِّحَـامِ إِذَا ضَـاقَ الخِنَـاقُ بِـأَرْوَاحٍ وَأَجْسَـادِ

يَقُـولُ كُـلٌّ لِـهَوْلِ الخَطْـبِ نَفْسِـيَ لاَ[3] يُثْنِيـهِ عَطْـفُ لآبَـاءٍ وَأَوْلاَدِ

فَيَنْثَـنِي قَـائِلاً لاَ قَـوْلَ مُفْتَخِـرٍ أَنَـا لَهَـا عِنْدَمَـا ضَاقَـتْ بِـوُرَّادِ

فَـذَاكَ حَقّـاً مَقَـامُ الحَمْـدِ خُـصَّ بِـهِ أَنَّـى يُدَانَـى بِـأَزْوَاجٍ وَأَفْـرَادِ

أَوْصَـافُهُ الغُـرُّ لاَ تُحْصَـى وَمَـا بَرِحَـتْ عَوَالِيـاً مرْغِمَـاتٍ أَنْـفَ حُسَّـادِ

لـذاك مـن راح يَرويهـا بشهرتهـا بيـن المـلا غيـر محتـاج لإسنـاد

مَـاذَا يَقُـولُ بَـلِيغٌ رَاحَ يَمْدَحُـهُ وَاللَّـهُ مَادِحُـهُ فِـي قَـافٍ وَفِـي صَـادِ

يَـا سَيِّـدِي يَـا رَسُولَ اللَّـهِ خُـذْ بِيَـدِي يَـا مَلْجَـأَ الـعَاكِفِ المُـضْطَرِّ وَالـبَادِي

إِلَيْـكَ أَشْـكُوا مَـوْراً عِيـلَ مُصْطَبَـرِي مِنْـهَا وَلاَ مَلْجَـأَ يُـرْجَى لإِسْعَـادِ[4]

إِلاَّكَ يَـا خَيْـرَ مَبْعُـوثٍ لأُمَّتِـهِ بَـرًّا عَطُوفًـا رَؤُوفـاً رَاحِمـاً هَـادِ[5]

فَأَنْـتَ أَنْـتَ إِذَا خَطْـبُ خُشِـي فَغَشَـى مَـأْمُولُ رَاجٍ وَمَقْصُـودٌ لِقُصَّـادِ

---

(1) "ع": الدمار.
(2) في "ت": فراغ عوض هذه الكلمة.
(3) "ح1": وما.
(4) "ح1": لإسعادي.
(5) "ح1": هادي.

فَلْتُنْجِدِ العَبْدَ مِمَّا حَلَّ يَا أَمَلِي وَلْتُدْرِكَنْهُ[1] بِإِصْلاَحِ لإِفْسَادِ [236- أ]

فَقَدْ غَدَا سَائِلاً بِالبَابِ مُنْطَرِحاً بِقَيْدَ[2] مَا قَدْ تجنى[3] مَا إِنْ لَهُ وَادِ

فَلاَ تُضِعْ سَعْيَهُ يَا خَيْرَ مَنْ وَفَدَتْ لَهُ المَطَايَا بِتَأْوِيبٍ وَإِسْآدِ

فَإِنَّ لِلْجَارِ حَقًّا ثَابِتًا وَلَهُ فِيكُمْ مَطَامِعُ لاَ تُحْصَى بِعَدَادِ

فَبَلِّغُوهُ المُرَجَّى[4] مِنْ مَطَالِبِهِ أَوْرُوا لَهُ زَنْدَهُ مِنْ بَعْدِ إِخْمَادِ

فَقَدْ أَتَى مَادِحاً يَرْجُو إِجَارَتَهُ[5] قَضَاءَ أَمْرٍ مُهِمٍّ فَادِح عَادِ

فَقُلْ كَفَيْنَا[6] لَهُ يَا خَيْرَ مَنْ قُضِيَتْ بِسَرْحِهِ[7] الرَّحْبِ آمَالُ الوِفَّادِ

فَذَاكَ أَقْصَى مَرَامِي جِئْتُ أَطْلُبُهُ بَعْدَ الشَّفَاعَةِ وَالحُسْنَى وَإِمْدَادِ

فَإِنْ يَلُحْ لِي المُرَجَّى مِنْكَ يَا أَمَلِي فَكُلُّ دَهْرِي كَأَعْرَاسٍ وَأَعْيَادِ

مَا صَنْعَتِي الشَّعْرُ لكنّي وَفَدْتُ بِهِ أَرْجُو جَوَائِزَهُ رُغْمًا لِحُسَّادِ

فاقْبَلْ أَلُوكَةَ صَبٍّ خَائِفٍ وَجِلٍ مُضْنَى الفُؤَادِ بِأَحْزَانٍ وَأَنْكَادِ

وَجَازِهِ بِالَّذِي تَرْضَاهُ مِنْ مِنَحٍ حَتَّى يَصِيرَ[8] بِأَنْوَاعِ الثَّنَا شَادِ

يُهْدِي لَكُمْ مِنْ بَنَاتِ الفِكْرِ جَالِيَةً صِينَتْ مَنَاهِلُهَا عَنْ وِرْدِ مُرْتَادِ

فَاقَتْ سِوَاهَا فَلاَ مِثْلُ يُعَارِضُهَا إِذَا لَبِسَتْ مِنْ ثَنَاكُمْ خَيْرُ أَبْرَادِ

وَزَيَّنَتْهَا صِفَاتٌ ضِمْنَهَا نُظِمَتْ كَالعِقْدِ زِينَ بِلَبّاتٍ وَأَجْيَادِ

---

(1) "ح1": ولتدركه.
(2) "ع": قتيل.
(3) "ع":جنا.
(4) "ت": الرجاء.
(5) "ع": إجازته.
(6) "ت": كفلنا.
(7) "ح1": بجوده.
(8) "ت": يمر.

فَـاقْبَلْ شَفَـاعَتَهَا فِـي شَـأْنِ نَاظِمِهَـا ... حَتَّـى يَلُـوحَ فَرِيـدًا بَيْـنَ أَنْـدَادِ

صَلَّى عَلَيْـكَ إِلَـهُ الـعَرْشِ مَـا صَدَحَـتْ ... بَلاَبِـلُ الـدَّوْحِ فِـي أَفْنَـانِ مَيَّـادِ

وَآ لِـكَ الغُـرِّ وَالصَّحْـبِ الـكِرَامِ وَمَـنْ ... يَقْفُـوهُمُ حَـالَ إِصْـدَارٍ وَإِيـرَادِ

مَـعَ السَّـلاَمِ الَّـذِي مِسْـكُ الخِـتَامِ بِـهِ ... يَزْهُـو[1] بِـزَهْرِ الرُّبَـا إِنْ فَـاحَ فِـي النَّـادِي

مَـا فَـازَ بِالوَصْـلِ مَهْجُـورٌ فَأَنْشَـدَنَا ... زَارَتْ عَـلَى غَفْلَـةٍ مِـنْ غَيْـرِ مِـيعَادِ

وعارض هذه القصيدة الشيخ عبد الله با عفيف اليمني بقوله: (البسيط)

كُونِـي سَلاَمـاً وَبَـرْداً نَـارَ أَكْبَـادِي ... عَلَى خَلِيلِكِ أَوْ زَيد حَشَى الصَّـادِي[2]

وَاسْتَبْدِلِـينِي جُلُـوداً كُلَّمَـا نَـضِجَتْ ... مِنَّـا جُلُـوْدٌ عَـنَتْ لِلنَّاشِـيءِ الشَّـادِي[3]

قَـالَ ادْخُلُـوا فَدَخَلْنَـا طَـوْعَ مَالِكِهَـا ... فِـي أُمَّـةٍ قَـدْ خَلَـتْ مِـنْ غَيْـرِ[4] أَجْـنَادِ

لَمَّـا بَـدَتْ لِكَلِيـمِ الوَجْـدِ آيَتُهَـا[5] ... بِذَاتِـهِ لاَ بِأَطْـوَارٍ وَأَطْـوَادِ

هَـيَ النَّعِـيمُ وَإِنْ دَارَتْ[6] عَلَـى خَلَـدِي ... وَأُمَّهَـا قَلْبِـيَ الـمُضْنَى[7] بِأَخْـلاَدِ

فَاقْصِـدْ رُبُـوعَ اللِّـوَا وَالرَّقْمَتَيْـنِ وَجُـزْ ... وَادِي العَقِـيقِ وَزَمْـزِمْ أَيُّهَـا الحَـادِي

وَانْـحُ الـدِّيَارَ وَإِنْ شَطَّـتْ مَرَابِعُهَـا ... وَحَـالَ مِـنْ دُونِهَـا أَصْـلاَبُ أَصْـلاَدِ

أَفْدِي[8] المَوَامِيَ[9] فِي جُنْحِ الظَّلاَمِ طَوَتْ ... طَـيَّ السِّـجِلِّ هِـضَاباً ذَاتَ آمَـادِ

إِلَـى رِيَـاضٍ مِـنَ الفِـرْدَوْسِ فَائِحُهَـا ... يَفُـوقُ رَيَّـاهُ رِيضَ[1] الـمِسْكِ وَالجَـادِي

---

(1) "ع": يزهو.
(2) "ح1": الصادي.
(3) "ح1": الشاذي
(4) "ت": خير.
(5) "ح1": آنسها.
(6) "ت": جارت.
(7) "ع": المضنا.
(8) "ت": أفد.
(9) "ع": المومي.

دارَتْ عَلَــــى الأَيْـــكِ أَقْـــدَاحٌ مَعَطّـــرَةٌ
مِـنْ سَجْسَـجِ[2] الصُّـبحِ[3] تَـهْدِي نَشْـرَ أَعْـوَادِ

فَغَـــادَرَ[4] الـــوُرْقُ وَالأَوْرَاق دَائِـــرَة مِـــنْ رَاقِـــصٍ أَوْ لَعُـــوبٍ فَـــوقَ مَيَّـــادِ

وَتِلَـــكَ آثَـــارُ غِـــزْلاَنِ النَّقَـــا[5] نَفَحَـــتْ
مِـنْ حَـوْلِهَا الرِّيـحُ وَاجْتَـازَتْ بِأَبْـرَادِ [236- ب]

مَسَّـتْ قُـدُوداً اكْسَاهَـا الـحُزْنُ[6] رَوْنَقَـهُ فَاسْتَيْقَـظَ البَانُ إِذْ مَـرَّتْ عَلَـى الـوَادِي

ومَالَــت[7] العَــذبَاتُ الخَــضْرُ مَائِسَــةً مَيْـلَ المُتَيّـَمِ إِذْ يَشْـدُو لَـهُ الشَّـادِي

فَذَكَّرَتْــهَا عُهُــوداً فِــي دِيَــارِ قُبَــا فَاسْــتَهْتَرَتْ بَيْــنَ أَغْــوَارٍ وَانْجَــادِ

تَنَـاوَحَ البُـومُ[8] بِالوجْـدِ الشَّدِيـدِ إِلَـى بَطْحَـائِهاَ[9] لاطفـاه الـرَّائِحُ الغَـادِي

مَــنَازِلُ القَــوْمِ لاَ عَهْــدُ القَـدِيمِ بِهَــا عَـهْدِي وَلا عَـادَهُمْ بِالمُنْحَنــىَ عَـادِ

مَــنْ لِــي بِــرد تَــلاَقٍ لاَ لِحَــاقٍ بِــه وَجِــيرَةٍ بِالــحِمىَ النَّجْــدِيِّ وَقَّــادِ

هَيَهَــاتَ ذَلــكَ وَقْــتٌ فَــاتَ عَائِــدُهُ لَـوْلاَ تَـذَكُّرُ فَضْـلِ المـُصْطَفَى الهَـادِي[10]

مَحَمّــدٌ خَيْــرُ مَبْعــُوثٍ دَعَــا فَمَحَــا صُـبْحُ الهُـدَى لَيْـلَ إِشْـرَاكٍ وَإِلْحَـادِ

مُهَــذَّبٌ قَــدْ زَكَـى[11] فِـي أَصْـلِ فِطْرَتِـهِ مِــنْ قَبْــلِ تَكْــوِينِ آبَــاءٍ وَأَجْــدَادِ

---

(1) "ت": رياً.
(2) سجسج الصبح: ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس، ينظر:اللسان،مادة(س- ج- ج)
(3) "ع": الصب، والأرجح ما أثبتناه.
(4) "ت": فغرد.
(5) "ع": النقا.
(6) "ح1": الحسن رونقه.
(7) "ت": وميلت عذبات.
(8) "ح1": البوم.
(9) "ع": بطحانها.
(10) "ح1": الهادي.
(11) "ت": زكا.

وَسَـــارَ فــي المَـــجْدِ لاَ لِلْمَجــدِ رُبَّتَمَــا قَــدْ كَــانَ بِالْـــمَجْدِ تَمْجِيــدٌ لِأَمْجَــادِ

وَكَيْـفَ يَسْـمُو بِشَـيْءٍ وَهْـوَ مِنْـهُ سَمَـا إِذْ كَـانَ أَصْـلاً بَـدَا فِـي كُـلِّ إِيجَـادِ

شَـمْسٌ وَمَـا الشَّـمْسُ لَـوْلاَ نُـورُ طَلْعَتِـهِ بَدْرٌوَمَـا البَـدْرُ لَـوْلاَ وَجْهُـهُ البَـادِي

غَيْثٌ وَمَا الغَيْثُ وَالسُّحْبُ الذرار[1] لَهَا عَلَـى مُتُـونِ الرَّوَابِـي وَقْـعُ أَجْـوَادِ

بَحْـرٌ وَمَـا البَحْـرُ يُغْنِـي الـوَارِدِينَ بِمَـا يُجَـاوِزُ القَـصْدَ مِـنْ آمَـالِ مُـرْتَادِ

فَـإِنْ عَلَتْـنِي أَقْـوَامٌ ودُونَهُـمُ نَفْـسِي وَإِبْلِـيسُ قَـدْ قَامَـا بِمِرْصَـادِ

وَصَـدَّنِي الحَـظُّ عَـنْ قَصْـدِ السَّبِيـلِ فَلِـي مِـنْ نُـورِهِ جَـذْبُ مُـسْتَحْمٍ بِإِيقَـادِ

أَبِيـتُ أَشْـدُ وَبِـأَوْصَافٍ مُقَدَّسَـةٍ زَانَـتْ تَـفَاعِيلَ أَسْـبَابٍ وَأَوْتَـادِ

لَـعَلَّ مَمْـدُوحَهَا يَوْمـاً يُجَـاوِزُ بِـي عَلَـى مَخَـادِعِ أَنْجَـابٍ وَأَوْتَـاد

إِلَـى نَـزَاهَةِ مَعْنـىَ فِـي حَقَائِقِـهاَ تجْلِـي دَقَائِـقَ زُهَّـادِ وَعُبَّـادِ

فِي مَـوْطِنِ الفَـرْقِ بَعْدَ الجَمْعِ شَاخِصَةً[2] إِلَـى تَنَـاهِي النُّـهَى عَـنْ جَمْـعِ أَضْـدَادِ

يَـا كَنْـزَ رُسْـلٍ وَأَمْـلاَكٍ مُطَـهَّرَةٍ وَأَوْلِيَـاءٍ وَأَقْطَـابٍ وَأَفْـرَادِ

وَافَـى عُبَيْـدُكَ وَالعَبْـرَاتُ[3] لُؤْلُـؤُهَا يَجْـرِي عَلَـى خَـدِّهِ فِـي لَـوْنِ فِـرْصَادِ

مِـنْ مُـوبِقَاتٍ أَنَالَـتْهُ الهَـوَانَ عَـلَى كَنْـزِ التَّـخَالِيطِ مِـنْ إِلْـفٍ وَمُعْتَـادِ

وَفِـي جَـوَائِزِكَ العُظْمَـى النَّجـاحُ فَمَـا جَـوَائِزُ الصَّيْـدِ مِـنْ أَمْـلاَكٍ بَـغْدَادِ

وَمَـا ابْـنَ حَيَّـانَ أَوْلَـى بِالحِبَـاءِ وَقَـدْ أَثْنَـى زُهَيْـرٌ بِـإِكْثَارٍ وَتِعْـدَادِ

فَجُـدْ بِـهِ[4] لِـرَوَابِي الجَـمْعِ وَاسْـمُ بِـهِ مِـنْ ذِي الوِهَـادِ وَبَـرْدٍ حَـرٍّ وَقَـادِ

---

(1) "ع": الوزار.
(2) "ع": شاخطة.
(3) "ح1": العبرات.
(4) "ع": فجذ به.

جُزِيــتَ خَيْــرَ[1] جَــزَاءِ اللَّــهِ أَكْــرَم مَــنْ يُغْنِــي ويقْــنِي وَلاَ يَلْــوِي لِتِــرْدَادِ

فَقَــدْ أَتَيْتُــكَ بِــالفَخْرِ لِصَّــرِيح وَبِالْــ ـفَقْــرِ الصَّــحيح بِــلاَ مَــاءٍ وَلاَ زَادِ

وَنَحْــنُ فِــي زَمَــنٍ أَفْصَــحْتَ فِيــهِ لَنَــا عَــنْ أَجْــرِ خَمْسِيــنَ نِلْنَاهَــا بِآحَــادِ

فَمَــا تَــرَى بَعْــدَهَا هَــذِي بِضَاعَتُنَــا رُدَّتْ إِلَــيْنَا بِأَتْعَــابٍ[2] وَأَنْكَــادِ

وَقُــمْ بِصَــحْبِي وَأَحْــزَابٍ[3] وَمَــنْ لَهُــمُ يُعْــزَى بِــوُدٍّ وَأَخْــدَانٍ وَأَوْلاَدِ

وَخَــصَّ مِــنْهُمْ فَتًــى لاَ زَالَ تَرْمُقُنِــي

مِنْــهُ الــمَوَدَّةُ بَــيْنَ الحَــضْرِ وَالبَــادِي [237- أ]

وَكُــنْ لَــهُ فِــي صُــرُوفِ النَّائِبَــاتِ إِذَا قَــامَ الأَذَى بَيْــنَ أَعْــدَاءٍ وَحُسَّــادِ

وَاشْمَلْــهُ فِــي الدِّيــنِ وَالــدُّنْيَا بِمَرْحَمَــةٍ لاَ يَهْــتَدِي الدَّهْــرُ مَغْنَاهَــا بِإِفْسَــادِ

وَاقْبَلْ مَدِيحِي وَإِنْ أَكْدَى[4] فَمِنْ وَجْهٍ[5] تَحْــتَ المَقَــادِيرِ مِــنْ مُــهْدٍ وَمِنْ هَــادِ

فَســاقَ نَظْمــاً لِأَعْــلَى مَنْ بِهِــمْ شَرُفَــتْ فَصَاحَــةُ العُــرْبِ عِنْــدَ[6] النُّــطْقِ بِالضَّــادِ

تَعَرُّضــاً لِعَظِــيمِ الفَــضْلِ مِنْــكَ لِمَــنْ يُــدْلِي إِلَيْــكَ بِإِنْشَــاءٍ وَإِنْشَــادِ

وَهَــبْ لَنَــا غَيْــرَ[7] مَأْمُــورٍ[8] بِنَازِلَــةٍ بِقَــدْرِ مَجْــدِكَ وَاكْنُفْنَــا بِإِسْعَــادِ

وَسُــقْ إِلَــى عَبْــدِكَ اسْتِعْــدَادَ مُنْتَهِــجٍ سُبْــلَ اتِّبَاعِــكَ لِــلْخَيْرَاتِ مُنْقَــادِ

قُلْ [قَدْ][9] فَعَلْتُ وَعِنْدِي الخَيْرُ أَجْمَعهُ دُنْيَــا وَأُخْــرَى بِــإِذْنِ المُحْــسِنِ الهَــادِي

---

(1) "ت": خيّرا.
(2) "ت": أعتاب.
(3) "ح1": وإخواني.
(4) "ح1": أكون.
(5) "ح1": وجهه.
(6) "ت": عن.
(7) "ح1": خير.
(8) "ح1": مأمول.
(9) زائدة في "ع"

وَقُـــمْ بِــــأَمْرِ جَمِيـــعِ المُسْلِمِـــينَ إِذَا قَـــامَ الكَفُـــورُ بأَغْـــلاَلٍ وَأَصْفَـــادِ

صَـلَّى عَلَيْـكَ إِلَـهٌ جَـلَّ عَـنْ مَثَـلٍ وَعَـــنْ شَـــرِيكٍ وَأَنْـــدَادٍ وَأَضْــــدَادِ

تِعْـدَادُ وَصْفِـكَ مَـادَامَ الوُجُـودُ وَفِـي دَارِ الخُلُـــودِ وَفِـــي آبَـــادِ آبَـــادِ

وَالآلَ وَالصَّــحْبِ مَـا غَنَّـتْ مُطَوَّقَــةً عَـــلَى أَرَائِـــكِ أَفْنَـــانٍ وَأَعْــــوَادِ

مَوْصُـــولَة بِسَــــلاَمٍ مِنْـــهُ يَعْقُبُهَــــا أَسْنـى التَّحِيَّـاتِ يُفْنِـي ضَبْـطَ أَعْـدَادِ

قال الصفدي: وأنشدت ليلة الجمعة قصيدة نظمتها، واذخرتها ليوم الحشر وقدمتها، وكنا في الروضة بين أئمة علماء وسادات أجلة كرماء حلماء، وأردت إثباتها هنا لما اشتملت عليه من المديح والوصف الأنيق المليح وهي: (الكامل)

يَـا صَـاحِ هَـذَا البَـانُ بَـانَ فَعُـجْ بِـهِ أَوَ مَـا رَأَيْـتَ القَلْـبَ طَـارَ بِعُجْبِـهِ؟

فَأَقْـصِدْ حِمَـاهُ وَسِـرْ بِـهِ مُتَرَفِّقـاً وَانْـشُدْ فُـؤَادِيَ فِـي مَلاَعِـبِ سِرْبِـهِ

وَإِذاَ وَصَلْـتَ إِلَـى هُنَـاكَ فَسَـلْ بِـهِ مَــنْ ذَا رَأى إِيجَابِـــهُ فِــي سَلْبِـــهِ

فَبِلُبِّــهِ أَوْدَى الــغَرَامُ كَمَـا تَـرَى وَمَتَـى دَعَـاهُ إِلَـى الحِمَـامِ يُلَبِّــهِ

يَـا مَنْـزِلاً عَهْـدِي بِـهِ يَـوْمَ النَّقَـا[1] عِــنْدَ اللِّقَـا بِكَــوَاعِبٍ مِــنْ عُرْبِــهِ

قَــدْ حَجَّبَــتْهُ صَــوَارِمٌ وَأَهَيْلُـــهُ بِعُيُونِــهِمْ فِـي غُنْيَـةٍ عَـنْ[2] حَجْبِـهِ

لاَ يَمْلِــكُ المُشْتَــاقُ قُـرْبَ مَــزَارِهِ فَقِبَابُــــهُ مَمْنُوعَــــةٌ مِــــنْ قَبِّـــهِ

وَفِنَـــاؤُهُ فِـــيهِ فَنَـــا[3] عُشَّاقِـــهِ وَنَسِيمُــــــهُ يُحْيِــــيهِمْ بِمَهَبِّـــــهِ

فَقُلُوبُهُــــمْ فِيهَـــا مَوَاقِـــدُ نَـــارِهِ وَدُمُوعُهُــــمْ فِيهَـــا مَوَاقِــعُ سُحْبِـــهِ

وَبِـــهِ قُـــدُودٌ بِالرَّشَاقَــةِ وُشِحَــتْ لَــمْ تَحْـكِ قَامَتَـهُ مَعَـاطِفُ قَضْبِـهِ

(1) "ع": النقا.
(2) "ع": فنا.
(3) "ت": من.

وَرَوَادِفُ مُرْتَجَّـــةُ الأَكْمَـــالِ[1] لاَ ... يَحْكَـــي تَمَوُّجُهَـــا تَهَـــيُّلَ كُثْـــبِهِ

وَبِأَرْضِـــهِ مِـــنْ سَاكِنِيـــهِ أَوْجُـــهٌ ... فَضِلَـتْ عَلَـى أُفُـقِ السَّمَاءِ وَشُهْبِـهِ

مِـنْ كُـلِّ أَوْطَـفَ كَـمْ رَمَـى لَمَّـا رَنَـى[2] ... بِنَوَافِـــثٍ وَنَوَاقِـــدٍ مِـــنْ هُدْبِـــهِ

يَـا حُسْنَـةٌ رَشْـتاً[3] تَخَلـيَّ اللَّيْـثُ عَـنْ ... وَثَبَاتِـــهِ وَثَبَاتِـــهِ فِـــي حِزْبِـــهِ[4]

تَـرْوِي السِّقَـامَ جُفُونُـهُ عَـنْ عَهْـدِهِ ... عَـنْ خَصْـرِهِ وَعَـنِ الصَّـبَا عَـنْ صَبِّهِ

فَالْـهَمُّ مُتَّسِـعُ المَـدَى[5] كَوِشَاحِـهِ ... وَالقَلْـبُ فِـي ضَيْـقٍ كَحَالَـةِ قَـلْبِهِ

يَـا عَـاذِلاً أَمْـرُ المُحِـبِّ أَهَمَّـهُ ... دَعْهُ يَهِيمُ فَمَنْ دَعَاكَ لِطِبِّـهِ [237- ب]

يَجِـدُ السُّـلُوَّ فَـإِنْ تَـهُبُّ بِـهِ صَبَـا ... مَـوْتٍ عَلَـى دَارِ الأَحِبَّـةِ تُصْبِـهِ

لَـوْ أَنجَدَتْنِـي بِالْغُـوَيْرِ ظِبَـاؤُهُ ... هَانَـتْ عَلَـى خَلَـدِي مَوَاقِـعُ خَطْبِـهِ

لاَ تَـنْهَ[6] طَـرْفِي عَـنْ غَرَامَـةِ دَمْعِـهِ ... طَـوْعَ الغَـرَامِ فَكَسْبُـهُ فِـي كَسْـبِهِ

مَـا الصَّـبُّ إِلاَّ مَـنْ يَـصُبُّ دُمُوعَـهُ ... وَالنَّـارُ فِـي الأَحْشَـاءِ دَاخِـلَ خِلْبِـهِ

بَالَغْـتَ فِـي سَـرْدِ المَـلاَمِ فَـإِنْ تَـكُنْ ... مِـنْ حِزْبِـهِ[7] فَـارْجِعْ وَعُـدْ[8] مِنْ حِزْبِـهِ

دَعْـهُ فَمَـا حَمَّلْـتَ مِـنْ أَوْزَارِهِ ... شَـيْئًا يَسُـوءُكَ فِـي المَعَـادِ بِكَسْبِـهِ

أَوَ مَـا عَلِمْـتَ بِـأَنَّ شَافِعَـهُ غَـداً ... خَيْـرُ الأَنَـامِ لِـرَبِّهِ فِـي ذَنْبِـهِ

هُـوَ خَـاتَمُ الرُّسُـلِ الكِـرَامِ مُحَمَّـدٌ ... مُبْـدِي الهِدَايَـةِ لِلْـوَرَى أَكْـرِمْ بِـهِ!

---

(1) "ع": الأكفال.
(2) "ع": رنا.
(3) "ت": رشا.
(4) "ح1": حربه.
(5) "ت": المدا.
(6) "ع": لا تنه.
(7) "ت": حربه.
(8) "ت": وكن.

وَجْهٌ جَلِيٌّ[1] فِي الحُسْنِ صُورَةُ يُوسُفٍ لَمَّـا كَسَـاهُ اللَّـهُ جُبَّـةَ حُبِّـهِ

وَنُبُـوَّةٌ[2] مَـا كَـانَ يَعْقُـوبٌ يَـرَى يَوْمـًا لَوَامِـعَ نُـورِهِ[3] فِـي عَقْبِـهِ

لَكِـنْ إِسْمَاعِيـلُ أَسْمَـى[4] مَـنْ سَمَـا لِمَنَالِـهَا وَمَنَارِهَـا فِـي شَعْبِـهِ

وَيَـدٌ نَـدَاهَا مَثَـلُ مُنْبَجِـسِ الحَيَـا قَـدْ سَـدَّ جَوَّالجُـودِ حَـالَةَ صَبِّهِ

وَخَلاَئِـقٍ كَـالرَّوْضِ حِيـنَ تَنَافَحَـتْ أَزْهَـارُهُ وَزَكَـتْ مَنَـابِتُ حُبِّـهِ

عَمَّـتْ رِسَالَتُـهُ فَنَـارُ جَهَنَّـمٍ مَثْـوَى عِـدَاهُ وَالجِنَـانُ لِصَحْبِـهِ

هِـيَ نِعْمَـةٌ شَمِلَـتْ أناسا خَصَّهُـمْ وَبَـرَاهُمُ[5] اللَّـهُ الـعَظِيمُ لِحُبِّـهِ

فَـازَ البَعِيـدُ بِهَـا كَمَـا لَـمْ يَنْتَفِـعْ يَـوْمًا أَبُـو جَهْـلٍ بِـهَا مـعَ قُرْبِـهِ

سَلْمَـانُ فَـارِسَ عَـدَّهُ فِـي بَيْتِـهِ وَبِـلاَلٌ الْحَبَشِـيُّ أَوْحَـدُ حِزْبِـهِ

لَـمْ يَسْبِقِ الصِّـدِّيقَ بَـاقِي صَحْبِهِ أَلاَ لَيْـسَ مُـودَعٍ فِـي قَلْبِـهِ

وَكَذَلِـكَ الفَـارُوقُ أَحْجَـمَ مُـدَّةً ثُـمَّ اسْـتَقَرَّ الـدِّينُ مِنْـهُ بِنَدْبِـهِ

وَكَـذَاكَ ذُو النُّورَيْـنِ عُثْمَـانُ الَّـذِي فِـي الهِجْـرَتَيْنِ صَفَـتْ مَـوَارِدُ شُرْبِـهِ

وَعَـلِيُّ أَوَّلُ مُسْلِـمٍ قَـدْ كَـانَ فِـي الصِّـبْيَانِ لَـمْ يَخْلُـطَ صِبَاهُ بِلَعْبِـهِ

وَقُـرَيْشُ قَـدْ كَانَـتْ صَنَـادِيدَ الـوَرَى كُـلٌّ يَخَـافُ البَـرْقَ سَلَّـةَ غَـضْبِه

وَيَـرَى الطَّعَـانَ طَعَـامَهُ يَـوْمَ الـوَغَى وَمِـنَ الـدَّمِ المُـوَّارِ نَهْلَـةُ عَـبِّهِ

لاَ يُحْجِـمُونَ عَـنِ القِتَـالِ إِذَا بَـدَا أَبَـداً وَلَـمْ يَخْـشَوْا تَـغَلُّبَ غُلْبِـهِ

ثِقَـةً بِأَنَّـهُم إِذَا لاَحَ الـرَّدَى طَـارُوا إِلَيْـهِ عَلَـى سَـوَابِقِ نُجْبِـهِ

---

(1) "ع": جلا.
(2) "ح1": وبنوره.
(3) "ح1": نورها.
(4) "ع": أسما.
(5) "ت": وبوّأهم.

حَتَّـى رَأُوا فِـي يَـوْمِ بَـدْرٍ بَأْسَـهُ   فَقَضَوْا بِأَنَّهُـمُ قَضَـوْا مِـنْ قَضْبِـهِ

وَكَأَنَّـهُ أَسَـدٌ يَـرُومُ فَرِيسَـةً   أَدْمَـى فَرَائِصَهَـا بِـخِفَّةِ وَثْبِـهِ

وَالحَـرْبُ إِنْ دَارَتْ رَحَاهَـا لَـمْ تَـدُرْ   إِلاَّ عَـلَى ذَاكَ الثّـبَاتِ لِقُطْبِـهِ

قَلَبُـوا إِلَـى نَحْـوِ القَلَيْـبِ فَمَـا تَعَـدَّى   مِنْهُـمُ أَحَـدٌ لِمَصْـرَعِ جَنْبِـهِ

فَالـدِّينُ بَـعْدَ الـذُّلِ عِـزٌّ بِعَـزْمِه   وَالكُفْـرُ خَـارَ عَلَـى صَـلاَبَةِ صُلْبِـهِ

وَلَقَـدْ تَحَدَّاهُـمْ بِقُـرْآنٍ غَـدَا   يَفْـرِي فَصَـاحَتَهُم[1] بِمَاضِـي غَرْبِـهِ

مَـا عَارَضُـوهُ بِسُـورَةٍ مِنْـهُ وَكَـمْ   مُتَـيقُّظٌ فِـيهِم وَكَـمْ مُتَنَبِّـهِ [238-أ]

كَـمْ غَايَـة قَـدْ قَصَّـرَتْ عَـنْ آيَـةٍ   مِنْـهُ وَحِـزْبٍ قَـدْ وَنَـى مِـنْ حِزْبِـهِ

خَضَعَـتْ بَلاَغَتُـهُمْ لِمُحْكَـمِ نَظْمِـهِ   وَتَفَصَّـلَتْ أَوْصَـالُهَا مِـنْ ضَرْبِـهِ

زَهَقَـتْ أَبَاطِـيلُ الغُـوَاتِ لِحَقِّـهِ   وَأُجَاجُهَـا فِـي السَّـمْعِ مُـجٌّ لِعَذْبِـهِ

قَـدْ كَـانَ قَوْلُهُـمْ يُؤَيِّـدُ صَوْلُهُـمُ   فَأَتَـتْهُ رِيـحٌ لاَ تُـرَدُّ بِزَرْبِـهِ

إِذْرَاءَ جُهْدَهُـمْ فَـلاَذَ بِحِلْمِـهِ   زَمَنًـا وَلِلْبَـاغِي مَصَـارِعُ غِبِّـهِ

وَمُقَـامُ طَيْـبَةَ فِيـهِ نَـازَعَ مَكَّـةً   شَـوْقًا وَجَـدَّ بِـهِ[2] فَـمَالَ بِجَذْبِـهِ

وَرَأَى الفِـرَاقَ فُوَاقَـهُ بَـلْ لاَقَـهُ   وَالحُـرُ لَيْـسَ يَسِـيغُ شُرْبَـةَ كَرْبِـهِ

كَـمْ غَـارَ يَـوْمَ الغَـارِ [كَهْفٌ ودَّ لَوْ][3]   أَرْخَـى عَلَيْـهِ نِقَابَـهُ فِـي نَقْبِـهِ

أَتَـرَاهُ سَـدَّى الـعَنْكَبُوتُ بِـهِ سَـدًى   وَتَـرَى الحَـمَامَ فَلَـمْ يَـزَعْ[4] عَـنْ زُغْبِـهِ

حَاشَـا وَكَـلاَّ بَـلْ عِنَايَـةُ قَـادِرٍ   قَـدْ جَـرَّ غَايَـتَهُ لِرِفْعَـةِ نَصْبِـهِ

---

(1) "ع": فصاحتهم.
(2) "ت": وجدبه.
(3) في "ت": فراغ في نهاية الشطر الأول.
(4) "ت": يزع.

وَسُرَاقَـــةٌ لَمَّـــا تَتَبَّـــعَ إِثْـــرَهُ سَــاخَتْ[1] قَـوَائِمُ طِـرْفِهِ فِـي تُرْبِـهِ

وَأَتَـــى لِخَيْـــمَ أُمِّ مَعْبَـــدَ عِنْدَمَـــا لاَحَـــتْ عَلَـــى بُـــعْدٍ لَـــهُ فِـــي دَرْبِـــهِ

فَــــرَأَى هُنَـــاكَ شُوَيْهَـــةً لِهُزَالِهَـــا مَـــادَرَّ مِنْهَـــا الضَّـــرْعُ قَـــطُّ لِحَلْبِـــهِ

فَأَمَـــرَّ يُمْنَـــاهُ عَلَـــى أَخْلاَفِهَـــا فَاسْتَـــرْسَلَتْ لَبَنـــاً يَـــفِيضُ بِقَعْبِـــهِ

وَأَتَـــاهُ قَـــوْمٌ أَقْحَطُـــوا فــي أَرْضِـــهِمْ كُـــلٌّ لَـــه يَـــشْكُو تَجَـــاذُبَ جَدْبِـــهِ[2]

فَـــدَعَا بِسُـــقْيَاهُمْ فَلَـــبَّى الـــغَيْثُ بـــا لْغَـوْثِ الَّـذِي قَـدْ خَصَّـهُمْ مِـنْ خِصْبِـهِ

وَشَـــهَادَةُ الـــذِّيبِ الَّـــذِي ذَابَـــتْ[3] بِهَـــا نَفَـــسُ الجَـــحُودِ وَفَـــكَّ ضَبَّـــةِ ضَبِّـــهِ

وَإِذَا غَـــزَا قَوْمـــاً تَقَـــدَّمَ جَيْشَـــهُ بِمَـــسِيرِ شَـــهْرٍ مِنـــهُ نَصْـــرَةُ رُعْبِـــهِ

يَـــا مَـــنْ بِـــه مُوسَـــى وَعِيـــسَى بَـــشَّرَا كُـــلٌّ تَبَيَّـــنَ ذِكْـــرَهُ فِـــي كُتُبِـــهِ

يَـــا مَـــنْ بِـــهِ شُعَـــرَاؤُهُ قَـــدْ أَفْلَحُـــوا وَتَبَـــارَكُوا فِـي المَـدْحِ فِيـهِ بِكَعْبِـهِ[4]

يَـــاسَيِّدِي أَنْـــتَ الوَسِيلَـــةُ فِـــي غَـــدٍ إِنْ ضَـاقَ فِـي ذَاكَ القَضَـا فِـي رَحْـبِهِ

فَكُـنِ الشَّـفِيعَ لِمَـنْ غَـدَا فِـي حَسْـرَةٍ[5] مِـــنْ وِزْرِهِ يَـــأْتِي بِقَـــاصِمِ صُلْبِـــهِ

صَـلَّى عَلَيْـكَ اللَّـهُ مَـا فَـاحَ الشَّـذَا فِـي شَرْقِـهِ مِـنْ مَادِحِـيكَ وَغَرْبِـهِ

وأنشد أيضا تجاه الحجرة الشريفة، زادها الله شرفا: (البسيط)

هَـــذَا الَّـــذِي كُنـــْتُ أَرْجُـــوهُ وَأَرْتَقِـــبُ لَـــمْ يَبْـــقَ لِـــي بَعْـــدَ هَـــذَا اليَـــوْمِ مُطَّلَـــبُ

هَذَا الضَّـرِيحُ الَّذِي قَدْ ضَمَّ أَشْـرَفَ مَـنْ تَسْرِي لَـهُ فِـي الـدُّجَى الـوَخَّادَةُ النّجُـبُ[6]

---

(1) ساخت: غاصت في الطين قوائم حصانه.
(2) "ت": جدبه.
(3) "ع": دابت.
(4) بكعبه: يعلو قدره وشأنه.
(5) "ع": حشرة.
(6) النجُب: هم الذين كرُم حسبُهم وحمُدن ينظر اللسان، مادة(ن– ج– ب).

هَـذَا المـقَامُ الَّـذِي فِـيهِ المَلاَئِـكُ وَالأَ مْــلاَكُ تَسْجُـــدُ إِجْـــلاَلاً وَتَقْتَـــرِبُ

هَـذَا النَّبِيُّ الكَـرِيمُ المُـصْطَفَى العَلَـمُ الـ بَـرُّ الـرَّؤُوفُ الرَّحِيـمُ المُشْـفِقُ الحَـدِبُ

هَـذَا الَّـذِي قَـدْ غَـدَا مِـنْ نُـورِ طَلْعَتِــهِ بَدْرُ الدُّجَى وَهْـوَ تَحْتَ السُّحْبِ مُنْتَقِـبُ

هَـذَا الأَمِيــنُ عَلَـى وَحْـيِ الإِلَـهِ وَمِــنْ قَبْـلِ النّـبُوءَةِ لَـمْ يُعْهَـدْ لَـهُ كَـذِبُ

هَــذَا الشَّــفِيعُ غَــذاً فِينَــا إِذاَ زَفَــرَتْ لَظَــى وَأَدْرَكَنَــا مِــنْ وَهْجِهَــا[1] العَطَــبُ

هَــذَا الحَقِيــقُ بِــأَنْ نَشْــكُوَ صَبَابَتَــنَا وَخَدُّنَــا بِالـــدُّمُوعِ الحُمْــرِ يَخْتَضِــبُ

هَذَاالحَقِيـــــقُ بِــــأَنْ تُتْلَـــــى مَدَائِحُـــــهُ

فَيَسْـتَخِفُّ الـوَرَى الأَشْـوَاقُ وَالـطَّرَبُ [238- ب]

هَــذَا الحَقِيــقُ بِــأَنَّ الصَّــبَّ يَنْشُــدُهُ يَــا مَطْلَبــاً لَيْـسَ لِـي فِـي غَيْـرِهِ أَرَبُ[2]

هَــذَا الَّــذِي سَــادَ كُـلَّ النّـاسِ قَاطِبَــةً وَكُـــلُّ فَخْـــرٍ إِلَــى عَلْيَــاهُ يَنْتَسِــبُ

وَكَانَــتِ الفُــرْسُ تَسْتَعْــلِي بِسُؤْدَدِهَــا فَحِيــنَ أُرْسِــلَ فِــيناَ سَــادَتِ العَــرَبُ

هَــذَا الَّــذِي شَــهِدَتْ مِــنْ قَــبْلِ بِعْثَــتِهِ بِـــهِ وَبَشَّــرَتِ الأَنْبَــاءُ وَالكُتُــبُ

وَازْرَقَ الصُّبْــحِ يَبْــدُو قَبْــلَ أَبْيَضِــهِ وَأَوَّلُ الغَيْــثِ قَطْــرٌ مِنْــهُ[3] يَنْــسَكِبُ

هَــذاَ الَّــذِي طَهَّـرَ البَيْـتُ الحَـرَامُ بِـهِ مِــنْ حَيْــثُ دَنّسَــهُ الأَوْثَـانُ وَالنّـصُبُ

هَــذَا الَّــذِي لَــمْ يَـزَلْ مِــنْ آدَمٍ وَإِلَــى زَمَانِـــهِ وَهْـــوَ مُخْتَـــارٌ وَمُنْتَخَـــبُ

هَــذَا الَّــذِي وَالِـدَاهُ لَـمْ يَكُــنْ أَبَــداً مَــنْ فِيهِمَــا لِحَــرَامٍ قَــطُّ يَرْتَكِــبُ

مُطَهَّــرُ الــذَّاتِ مِــنْ صُـلْبٍ إِلَـى رَحِــمٍ لَــمْ يَجْتَمِــعْ فِـي خَـناً أُمٌّ لَـهُ وَأَبُ

حَتَّـى صَفـا سَاعَــةَ الـتَّكْوِينِ مِـنْهُ كَمَـا يَصْــفُو عَلَـى نَـارِهِ فِـي كِـيرِهِ الذَّهَــبُ

---

(1) "ع": لفحها.

(2) أرب: حاجة.

(3) "ع": ثم.

وَجَـاءَ كَالسَّـيْفِ زَانَ العَـيْنَ مَنْظَـرُهُ بِصَقْلِـهِ وَهْـوَ لِلإِبْـصَارِ يَنْتَهِـبُ

وَيَـوْمَ مَولِـدِهِ كَـم آيَـة ظَهَـرَتْ وَكَـانَ مِنْهَـا لأَرْبَـابِ النُّهـىَ عَجَـبُ

فَانْشَـقَّ إِيـوَانُ كِـسْرَى بِـالعِرَاقِ وَمِـنْ بَعْـدِ التَثَبُّـتِ[1] أَمْسَـى وَهُـوَ يَضْـطَرِبُ

وَنَـارُ فَـارِسَ ذَاكَ اليَـوْمَ قَـدْ خَمُـدَتْ وَكَـانَ يسـط[2] مِنْـهَا فِي الدُّجَـى لَهَـبُ

وَبَحْـرُ سَـاوَةَ سَـاوَى الأَرْضَ فِـي يَبَـسٍ مَـا فَـاضَ بَـلْ غَـاضَ مِنْـهُ مَـاؤُهُ الشُّـرْبُ

وَكَانَـتِ الجِـنُّ تَـسْمُو لِلسَّـمَاءِ وَمِـنْ مِيـلاَدِهِ حَرَسَـتْ آفَاقَـهَا الشُّهُـبُ

وَحَيْثُمَـا سَـارَ تَعْـلُوهُ[3] الغَمَامَـةُ كَـيْ تُظِلَّـهُ خَيْمَـةٌ مَـا إِنْ لَهَـا طُنُـبُ[4]

وَحِـينَ تَمَّـتْ لَـدَيْهِ الأَرْبَعُـونَ أَتَـى إِلَيْـهِ جِـبْرِيلُ بِالأَمْـرِ الَّـذِي يَجِـبُ

وَقَـالَ أَنْـتَ نَـذِيرٌ لِلأَنَـامِ فَقُـمْ فِيـهِمْ بَشِيـراً فَقَـدْ زَالَـتْ بِـكَ الرِّيَـبُ

وَحْـيٌ عَلَيْـهِ مِـنَ اللَّـهِ العَظِيـمِ إِذَا تَـلاَهُ تَعْنُـو لَـهُ الأَشْعَـارُ وَالخُطَـبُ

فَـقَامَ يَـدْعُو لِـدِينِ[5] الـحَقِّ مُنْفَـرِداً وَلِلْعِـدَا مِـنْ قُرَيْـشٍ عَسْـكَرٌ عَجَـبُ

تَضَـافَرُوا عُصْبَـةً لِلـشِّرْكِ وَاتَّحَـدُوا عَلَـى الـضَّلاَلِ وَلَكِـنْ بَعْـدَ ذَاغُلِـبُوا[6]

أَتَـوْا بِآيَـاتِ[7] كَيْـدٍ غَيْـرَ أَنَّهُـمُ إِلَـى القَلِيـبِ بِبَـدْرٍ فِـي لَظـىً قُلِـبوا[8]

وَلَـمْ يَـزَلْ قَائِمـاً فِـي اللَّـهِ مُجْتَهِـداً وَلاَ[9] يُلِـمُّ بِـهِ أَيْـنٌ وَلاَ نَصَـبُ

حَتَّـى تَبَـلَّجَ صُـبْحُ الحَـقِّ وَانْفَرَجَـتْ لِمَـنْ يَـرُومُ الهُـدَى الأَسْتَارُ وَالحُجُـبُ

---

(1) "ع": التثبيت.
(2) "ع": لا يستطيع.
(3) "ع": تعلو.
(4) طنب: الحبال.
(5) "ت": الدين.
(6) "ع": غُلِبُ.
(7) "ع": بِأَيْدٍ.
(8) "ت": قُلِبُ.
(9) "ع": وما.

خَارَ الضَّلاَلُ وَقَدْ خَارَ الإِلَهُ ... لِأَصْحَابِ اليَقِينِ وَأَيْنَ النَّبْعُ وَالغَرَبُ

وَاخْتَصَّهُ بِصِحَابٍ كَالنُّجُومِ هُدىً ... وَقَدْ رَسَا الأَصْلُ مِنْهُمْ أَدْرَكَ الحَسَبُ

قَدْ جُرَّ فَوْقَ الثُّرَيَّا ذَيْلُ مَجْدِهِمُ ... وَضَمَّهُمْ فِي عُلاَهُمْ مَعْقِلٌ أَشِبُ[1]

جَادُوا بِأَنْفُسِهِمْ مِن قَبْلِ مَالِهِمُ ... فَكَمْ أَجَابُوهُ طَوْعاً كُلَّمَا نُدِبُوا[2]

قَرّوا حُلُوماً[3] فَهُمْ مِثْلُ الجِبَالِ وَكَمْ ... قَدْ زَلْزَلُوهَا إِذَا هُمْ لِلْوَغَى[4] رَكِبُوا[5]

حَتَّى[6] صَلِيلٌ ظُبَاهُمْ فِي عَدُوِّهِمُ ... حَتَّى تَرَاقَصَتِ الخَطِّيَّةُ السُّلُبُ [239- أ]

يَسْتَعْذِبُونَ المَنَايَا فِي حُرُوبِهِمُ ... كَأَنَّ ضَرْبَ المَرَاضَى[7] عِنْدَهُمْ ضَرَبُ

وَيُتَّقَوْنَ بِهِ البَأْسَاءَ إِنْ حَمِيَ ... الوَطِيسُ يَوْمَ الوَغَى أَوْ نَابَتِ النُّوَبُ

وَكَانَ مَعْ نَجْدَةٍ فِيهِ أَشَدَّ حَيَاً ... مِنَ العَذَارَى الَّتِي تُرْخَى لَهَا النُّقَبُ

وَمَا يَهَابُ أُلُوفَ الشِّرْكِ إِنْ حَطَمُوا ... وَلِلْأُلُوفِ مِنَ الأَمْوَالِ كَمْ يَهَبُ

بِالكَوْثَرِ اخْتَصَّهُ البَارِي وَشَانِئُهُ ... قَدْ رَاحَ أَبْتَرَ لَمْ يُعْهَدْ لَهُ عَقِبُ

أَعْطَى عُكَاشَةَ عُوداً يَوْمَ بَدْرٍ بَدَا ... فِي كَفِّهِ وَهُوَ سَيْفٌ صَارِمٌ دَرِبُ

وَقِدْرُ جَابِرَ ثُلْثُ الأَلْفِ أَطْعَمَهُمْ ... مِنْهَا فَرَاحُوا بِطَاناً مَا بِهِمْ سَغَبُ

وَمِنْ أَصَابِعِهِ المَاءُ النَّمِيرُ جَرَا ... حَتَّى اكْتَفَى الجَيْشُ مِنْهُ بَعْدَمَا شَرِبُوا

يَاخَاتَمَ الرُّسْلِ جِئْنَا عُصْبَةً هَجَرُوا ... أَوْطَانَ أَوْطَارِهِمْ لِلَّهِ وَاغْتَرَبُوا

وَخَلْفَهُمْ عُصْبَةٌ كَمْ قَالَ قَائِلُهُمْ ... لِلَّهِ قَوْمٌ بِجَدْعَاءِ الحِمَى غَيَبُ

---

(1) أشب القوم: خلط بعضهم بعضا.اللسان، مادة:أ-ش-ب.

(2) "ت": ندب.

(3) "ع": قد راحلوا فإنهم.

(4) "ع": الوغا.

(5) "ت": ركب.

(6) "ت": غزى.

(7) "ع": المراضي

وَنَحنْ مِنْ شُغَلِ الأَشْوَاقَ فِي شُغُلٍ عَنْهُمْ وَما أَحَدٌ فِي الأَهْلِ مُكْتَئِبُ

مَا قَالَ مِنْهُمْ أَخُو وَجْدٍ لِصَاحِبِهِ بِاللَّهِ قُلْ لِي كَيْفَ البَانُ وَالعَذَبُ

وَلَمْ يَقُلْ حِينَ لاَحَ البَرْقُ مُعْتَرِضاً لَقَدْ حَكَيْتَ وَلَكِنْ فَاتَكَ الشَّنَبُ

وَلاَ لِصَوْتِ[1] الغَوَادِي وَهْيَ سَاجِمَةٌ مَا بَالُ عَيْنَيْكَ مِنْهُ[2] الدَّمْعُ مُنْسَكِبُ

وَمَا لَنَا قَطُّ [هَمٌّ][3] غَيْرَ طَيِّبَةٍ طَابَتْ بِأَطْيَابِهَا الأَرْجَاءُ وَالرُّحُبُ

{و}[4] كُلُّ مُؤْ وِيكَ[5] مُحْتَاجاً يَؤُمُّكَ تَنْسَابُ[6] عَنْهُ خَطَايَاهُ فَتَنْسَحِبُ[7]

يَجُوبُ قَفْراً يَجُولُ الرَّكْبُ فِيهِ كَمَا يَجُولُ فِي صَدْرِهِ القَلْبُ الَّذِي يَجِبُ

قَاسَى مَشَقَّتَهُ بَلْ قَاسَ شُقَّتَهُ بِأَذْرُعِ النُّوقِ حَتَّى مَسَّهُ اللَّغَبُ[8]

وَالبِيدُ كَالرَّاحِ قَدْ رَاحَتْ فَإِنْ ضُرِبَتْ خِيَامُنَا فَهْيَ فِي كَاسَاتِهَا حَبَبُ

خَاطَ الرُّقَادُ عُيُوناً قَدْ أَحَاطَ بِهَا لَمَّا تَعَبَّى[9] على أَعْضَائِنَا التَّعَبُ

وَطَالَمَا طَارَ مِنْ وَكْرِ الجُفُونِ كَرىً[10] هَذا[11] وَقَدْ نُصِبَتْ أَشْرَاكُهَا الرُّهُبُ

وَكُلُّ ذَلِكَ سَهْلٌ طَيِّبٌ حَسَنٌ إِذَا عَلِمْنَا بِأَنَّ الدَّارَ تَقْتَرِبُ

يَجِدُّ فِينَا نَشَاطٌ كَانَ بَاعِثَه شَوْقٌ إِذَا سَكَنَتْ أَنفَاسُنَا يَثِبُ

قَدْ مَسَّنَا مِنْ أَذَى أَوْزَارِنَا رَهَبُ إِلَى جَنَابِكَ مِنْهُ يَحْسُنُ الهَرَبُ

---

(1) "ع": لصوب.
(2) "ع": منها.
(3) زائدة من "ت".
(4) ساقطة من "ت".
(5) "ت": يؤمك.
(6) "ت": تسلب.
(7) "ع": فينسحب.
(8) اللغب: التعب، ينظر اللسان، مادة (ل- غ- ب).
(9) "ت": تَعَبَّ.
(10) "ت": كما.
(11) "ت": هذا.

وَالآنَ نَحْـنُ ضُـيُوفٌ فِـي حِمَـاكَ فَجُـدْ	لَنَـا بِمَـا يَنْـجَلِي عَنّـَا بِـهِ الكَـرَبُ
يَـا مَـنْ بِـهِ كَمَّـلَ اللَـهُ الوُجُـودَ وَمَـنْ	تَعْـلُو لَـهُ فَـوْقَ فَـوْقِ الفَـرْقَدِ الرُّتَـبُ
أَتَيْـتُ نَحْـوَكَ تَحْـدُونِي[1] الصَّبَـابَةُ وَالْـ	حَنِـينُ وَالوَجْـدُ وَالأَشْـوَاقُ وَالرَّغَـبُ[2]
قَـدْ أَثْقَلَـتْ ظَهْـرِيَ[3] الأَوْزَارُ مِـنْ صِـغَرِي	وَجِـئْتُكَ الآنَ لَمَّـا حزَّنِـي[4] القبَـبُ
وَأَنْـتَ تَكْفِـي مَعَـادِي شَـرَّ مَوْقِفِـهِ	إِذَا تَعَاظَـمَ عِنْـدِي الخَـوْفُ وَالرَّهَـبُ
صَـلَّى عَلَيْـكَ الَّـذِي وَافَـاكَ[5] نِعْمَـتَهُ	فَـرَاحَ تَشْكُرُهَـا الأَيَّـامُ وَالحِقَـبُ
مَـا رَاحَ ثَغْـرُ الأَقَـاحِي وَهْـوَ مُبْتَسِـمٌ	فِـي رَوْضَـةٍ أَصْبَحَـتْ تَبْـكِي بِهَـا السُّحُبُ

نسأله تعالى أن لا يحرمنا جناها، ولا يثبطنا[6] عن مغناها، إنه ولي ذلك، والمالك لما هنالك، وهو على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وصلى الله وسلم على سيدنا مولانا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(1) تحدو بي.
(2) "ت": والرعب.
(3) "ت": ظهره.
(4) "ت": ضرّني.
(5) "ع": وفّاك.
(6) "ح1": ولا يثنينا.

ذكر الخروج من المدينة المشرفة

{وما ذاق القلب من ذلك وناله ولن يكفيه}[1]

ووداعه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم

وكانت إقامتنا بقية يوم دخولنا الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة، وذلك خمسة بجبر[2] الكسر من الأيام، وكأنها طيف منام، فتهيأ الرحيل ودنا، وكثر العويلُ من مفارقة مغنى[3] المنا، ثم لما صلى الناس الجمعة بالحرم الشريف سادس المحرم، تحملوا وخرجت الأركاب، ولِدَمْعِ كل مشوق على خده انسكاب، ولما حان وقت العصر، وتدافع في قلب المشوق الدحو والعصر، توجهت إلى الحضرة الشريفة فتوقفت[4] اتجاهها، وجعلت الوسلية إلى الله حرمتها وجاهها، ودنوت للوداع، وللقلب من ألم البين انصداع، وتوجهت {سادس عشر محرم}[5] إلى الضريح الشريف ووقفت اتجاهه، وأردت أن أفوه فأجمني العيّ والفهاهة، والحال في الدموع مستصحب، وذيول المسكنة بالخضوع تُسْحَبُ، وينشد في المعنى: (الكامل)

يَا سَيّدَ الثَّقَلَيْنِ يَا مَنْ وَصْفُهُ	**قَدْ جَاءَنَا فِي مُحْكَمِ الْقُرْآن**
هَذَا فِرَاقِي[6] رَبْعَكُمْ[7] يَا هَلْ تُرَى	**يَقْضَى لِشَمْلِي بِاجْتِمَاع ثَانِ؟**
مَا الْمَوْتُ إِلاَّ فِي فِرَاقِكَ[8] سَيِّدِي	**إِذْ فِيهِ فَرْطُ مَذَلَّتِي وَهَوَانِي**

وتفارط الركب عنا وسار، وأودعت القلب في الأستار، فتمثلت وأنشدت، وتململت وأسعدت فقلت: (الطويل)

---

(1) ساقطة من "ت".
(2) "ع": لجبر.
(3) "ع": يغني.
(4) "ع": فوقفت.
(5) ساقطة من "ث" و"ح2".
(6) "ح1": فراق.
(7) "ح1": ربوعكم.
(8) "ح1": إلا فراقكم.

لَعَلَّ حُدَاةَ[1] العيسِ تَسْتَعْمِلُ الرِّفْقَا | فَإنْ بَعُدُوا عَنْ طِيْبَةٍ فَلِمَنْ أَبقَى[2]
فَكَيْفَ بَقَائِي وَالتَّلَفُّتُ[3] جَاذِبِي | إِلَى رَبْعِهَا إِذْ جَاذِ بِي لِلضَّنَى رَقَّا
أَأَنْسَى الَّذِي خَوَّلْتُهُ مِنْ سَعَادَةٍ | وَقَدْ نِلْتُ مِنْ نَارِ الجَحِيمِ لَهَا العِتْقَا
وَلِي فِي التَّمَلِّي وَالتَجَلِّي لِذَاتِهَا | فَأَطْلُبُ مَا أَرْجُو وَأَشْكُو الَّذِي أَلْقَى[4]
بِحَضْرَةِ مَنْ لَمَّا اصْطَفَاهُ إِلَهُهُ | وَأَلْقَى إِلَيْهِ وَحْيَهُ رَحِمَ الخَلْقَا
وَنَوَّلَهُ مَا لَمْ يَنَلْ قَطُّ مُرْسَلٌ | فَنُورُ هُدَاهُ جَلَّلَ الغَرْبَ وَالشَّرْقَا
غَداً وَهْوَ بَدْرٌ يَوْمَ بَانَ[5] تَمَحَّقَتْ | أَعَادِيهِ وَالبَدْرُ التَمَامُ لَهُ انْشَقَّا

فرمنا الوداع ولم نرم، وصوب غمام الدمع منسجم: (الطويل)

وَقَفْنَا اتُّجَاهَ المُصْطَفَى لِوَدَاعِهِ | فَلاَ دَمْعَ إلاَّ لِلْوَدَاعِ صَبَبْنَاهُ
وَلاَ صَبْرَ كَيْفَ الصَّبْرُ عِنْدَ فِرَاقِهِ | وَهَيْهَاتَ حُسْنُ الصَّبْرِ عَنْهُ صَرَفْنَاهُ
أَيَصْبِرُ ذُو عَقْلٍ لِفُرْقَةِ أَحْمَدَ[6] | فَلاَ وَالَّذِي مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ أَدْنَاهُ
فَوَاحَسْرَتَاهُ مِنْ وَدَاعِ مُحَمَّدٍ | وَأَوَّاهُ مِنْ هَذَا التَّفَرُّقِ أَوَّاهُ
فَيَا وَقْتَ[7] تَوْدِيعٍ لَهُ مَا أَمَرَّهُ | وَوَقْتُ اللُّقَا وَاللَّهِ مَا كَانَ أَحْلاَهُ
أَمَوْلاَيَ مَالِي اليَوْمَ جُرْمٌ جَنَيْتُهُ | فَأَخْرُجَ مِنْ دَارِ الحَبِيبِ وَمَغْنَاهُ
وَوَاللَّهِ مَااخْتَرْتُ الفِرَاقَ وَإِنَّمَا | قَضَاءٌ جَرَى[8] وَاللَّهُ يَقْضِي قَضَايَاهُ

---

(1) "ت": حدات.
(2) "ع": أبقا.
(3) "ع": والتفت، "ح1": والتقلت.
(4) "ح1": ألقا.
(5) "ت": بدر.
(6) "ع": أحمدي.
(7) "ح1": فموقف.
(8) "ع": جرا.

سَأبْكِـي عَلَيْـهِ قَـدْرَ جُهـدي بِنَـاظِرِي مِـنَ الشَّـوْقِ لاَ يَرْقَـا مِـنَ الـدَّمْعِ جَفْـنَاهُ

عَسَـى اللّـهُ يُدْنـيِنِي لِأَحْمَـدَ ثَانِيًـا فَيَا حَبَّذَا قُرْبَ الحَبِيبِ وَمَدْنَـاهُ [240-أ]

فَيَـا رَ بَّنَـا ارْزُقْنَـا لِمَغْنَـاهُ عَـوْدَةً فَــإِنَّ زَمَــانًا لاَ نَــرَاهُ كَرِهْنَــاهُ

رَحلـنَا وَخَلَّفْنَــا لَدَيْــهِ قُلُوبَنَــا وَكَـمْ جَسَـدٍ مِـنْ غَيـرِ قَلْـبٍ قَلَبْنَـاهُ

وَلَمَّـا تَـرَكْنَ رَبْعَـهُ مِـنْ وَرَائِنَـا فَــلاَ نَاظِــرَ إِلاَّ إِلَيْــهِ رَدَدْنَــاهُ

لِنَغْنَــمْ مِنْــهُ نَظْــرَةً بَعْــدَ نَــظْرَةٍ فَلَــمَّا أَغْبَــنَاهُ السُّــرُورَ أَغْبَنَــاهُ

فَـلاَ عَيْـشَ يَهْـنَا بَعْـدَ فَقْـدِ مُحَمَّـدٍ أَأَفْقِــدُ مَحْــبُوبِي وَعَيْشِــيَ أُهَنّــاهُ

دَعُـونِي أَمُـتْ شَوْقًـا إِلَيْـهِ وَحَسْـرَةً وَخُطُّــوا عَلَــى قَــبْرِي بِــأَنِّي أَهْــوَاهُ

ولقد أحسن القائل في المعنى: (الخفيف)

مَـا اشْـتَفَتْ عِلّـتِي[1] وَهَـذَا فِـرَاقِي قَــدْ تَحَقَّقْــتُهُ بِسَيْــرِ رِفَــاقِي[2]

هَــذِهِ مُهْجَتِــي تَــذُوبُ دُمُوعــاً فَانْظُروهَــا تَــسِيلُ مِــنْ آمَــاقِي[3]

كَبِدِي تَلَظَّـى[4] وَدَمْـعُ عَيْنَـيَّ يَهْمِـي هَكَــذاَ فَلْيَــكُنْ بَدِيــعُ الطِّبَــاقِ

يَــا رَسُــولاً لَنَــا أَتَــى بِكِتَــابٍ لَــم تَــعَارَضْ آيَاتُــهُ بِاتِّفَــاقِ

وَالكَــرِيمُ المِــعْرَاجِ وَالبَــرْقُ خَــلاًّ هُ طَرِيــحاً إِذْ سَــارَ فَــوْقَ البُــرَاق

وَالَّـذِي اقْتَـصَّ مِـنْ قُلُـوبٍ غِـلاَظٍ أَبَــتِ الحَــقَّ بِالسّــيُوفِ الــرِّقَاقِ

يَـا مُزِيـلَ الغَمَّـاءِ إِنْ جَـلَّ خَطْـبٌ يَـا شَفِـيعَ الـعُصَاةِ[5] يَـوْمَ التَّـلاَقِي

(1) "ت": غلتي.
(2) "ع": رفاق.
(3) "ت": آماق.
(4) "ت": تلتظى.
(5) "ت": العصات.

آنَ عَــنْ قَبْـرِكَ الشَّـرِيفِ انْصِرَافِـــي وَانْــصِرَامِي وَمَــا شَفَيْــتُ اشْــتِيَاقِي[1]

وَلَئِــنْ كُنْــتُ قَــدْ بَلَلْــتُ غَرَامِــي بِالْتِثَــامِ الثَــرَى فَعِنــدِي بَــوَاق

وَ قْفَـةٌ فِـي[2] اتِّجَـاهِ حُجْرَتِـكَ الغَـرّاَ ءِ سَــــاوَتْ مَمَالِـــكَ الآفَــــاقِ

أَتَمَنَّـــــى أَنِّـــي بِهَـــا أَتَمَلَّـــــى فِـي مَحَــلٍّ خَــلاَّهُ[3] لِـي خَلاَّقِـي[4]

مَــــوْقِفٌ لَذَّلِـــي خُضُـــوعِيَ فِيـــهِ حِيـــنَ أَطْــرَى تَــأَدُّبي إِطْــرَاقِي[5]

وَتَلَــذَّذْتُ فِيـــهِ حِيـــنَ تَذَلَّلْـــتُ وَنِلْــــتُ الأَرْفَـــادَ[6] بِالإِرْفَــــاقِ

مَعْـدِنُ الخَيْـرِ مَهْـبِطُ الـوَحْي مَثْـوَى خَيْــرِ هَــذَا الــوَرَى عَلَــى الإِطْــلاَقِ

كَيْــفَ أَسْــرِى مِــنْ طَيْبَــةٍ لِسِوَاهَــا وَهْــيَ عِنْــدِي حَــدِيقَةُ الأَحْــدَاقِ

آه وَا لَوْعَتِـــــي أُفَـــارِقُ مِنْهَـــــا مِثْــلَ هَـــذه الأَنْــوَارِ وَالإِشْــرَاقِ

أَنَــا عَبْــدٌ قَــدْ أَثْقَلَتْنِـــي ذُنُوبِـــي لَــمْ يَـلِقْ بِـي إِلاَّ إِلَيْهَــا إِبَــاقِي[7]

أَتَــرَى يَسْمَـــحُ الزَّمَـــانُ بِعَـــوْدِي فَالأَمَانِـــي غُلاَلَـــةُ المُشْتَــــاقِ

لاَ يَكُــنْ ذَا الوُقُــوفُ آخِــرَ عَــهْدِي بِــكَ يَــا مَنْبَــعَ الُــهدَى الدَّفَّــاقِ

فَــالكَرِيمُ الوَهَّــابُ ذُو الفَضْــلِ حَــيٌّ وَالَّــذِي عِنْــدَهُ مِــنَ الجُــودِ بَــاق

ثم إني سرت مع بعض الأصحاب، والدموع في الآماق أي انْسِكاب، ومشينا وزاد التصبر ينهب، والقلق قد أطنب في توقده وأسهب، وقلت بلا قلب إلى أين أذهب، وسرت والعنق مني يلتفت، والعَبرات ما أمسكت جواريها ولا كفّت . (مجزوء البسيط)

---

(1) "ت": اشتياق.
(2) "ع": لي.
(3) "ت": حلاه.
(4) "ت": خلاق.
(5) "ت": أطراق.
(6) "ح1": الأفراد.
(7) "ت": آباق.

تلَفَّتَتْ عَيْنِي فَمُذْ خَفِيَتْ   عَنِ الدِّيَارِ تَلَفَّتَ القَلْبُ[1]

فصلينا العصر عند السبيل بالحرة، ونار الاصطلام يفري الأحشاء الكرة بعد الكرة، ولم نزل في إزعاج وإقلاق، وشوق ولو تمثل ضاق عنه نطاق الآفاق، إلى أن نزلنا ذا الحليفة بقلوب توقدت جوانحها، وعيون ترقرقت سواجِمها، وينشد: (الكامل) [240- ب]

لَمَّا تَرَحَّلَ رَكْبُنَا عَنْ طِيْبَةٍ   وَوَجَدْتُ عِنْدِيَ لِلرَّحِيلِ مُحَرِّكَا

أَوْدَعْتُ فِي الحَرَمِ الشَّرِيفِ حُشَا شَتِي   وَرَجَعْتُ لاَ أَدْرِي الطَّرِيقَ مِنَ البُكَا

قبل الاصفرار، وفقد كل منا الاصطبار، ولما نزلناها وهي أول منزلة بعد فراق المدينة الشريفة، وفارقنا تلك المعاهد التي [هي][2] على الكواكب منيفة، رأيت كأن كأن على الركب وأهله خمول خمود، وعلى مطيهم وجمالهم حمول جمود، ذاق[3] هذا من ذاقه، وتحققه من لقلبه بِعُرى[4] الإيمان أدنى علاقة: (السريع)

يَا لَيْلَى مَا جِئْتُكُمْ زَائِراً   إِلاَّ وَالأَرْضُ[5] تُطْوَى لِي

وَلاَ انْثَنَى عَزْمِيَ عَنْ بَابِكُمْ   إِلاَّ تَعَثَّرْتُ بِأَذْيَالِي

وبات معنا بهذه المنزلة الأخ الصالح المعدة أخوته ليوم الأخذ بالنواصي، سيدي محمد بن أحمد الأخصاصي، ثم لما صلينا الصبح ظعنا وأقل الركب المطايا، واستخرج خبايا شوقه لأهله من حنايا الزوايا، وأراد الأخ المذكور أن يصاحبنا إلى ينبع النخل ومنعته رفقا به وشفقة عليه وهو من أجل الإخوان، وأهل الصدق في السر والإعلان، ومن عباد الله الصالحين، والعلماء العاملين، صحبته نحو عشرين سنة في حياة والده وبعدها فما رأيتُ منه ما أُنكر خُلُقا وسمتا وصبرا وتحملا للأذى وحججت معه حجتين عام ستة وتسعين حج معنا راجلا بأمه وابنه حفيدنا أمه بنت [ابن][6]

---

(1) البيت للشريف الرضي، ينظر سراج الملوك، للطرطوشي، ص: 19.
(2) زائدة من "ت".
(3) "ح1": ذاقه.
(4) "ع": بعد.
(5) "ع": إلا وجدت الأرض.
(6) زائدة من "ت".

خالي، وخدم أمه خدمة لا يقدر أحد عليها إلا من وفقه الله وفتح بصيرته، ونور سريرته، وجاور بالمدينة مع أمه وابنه وتوفيت أمه بها وبقي بعدها مدة ورجع إلى درعة بنية زيارة والده والشيخ وبقي نحو سنين بها. ولما طلعنا عام تسعة طلع معنا وحج وبقي بالمدينة مجاورا إلى الآن، فالله يعينه ويوفقه ويسدده. وقد أمرته الآن بتلقين أوراد الأشياخ، لمن رغب في الدخول في الزمرة الغازية، فالله ينفعه وينفَعُ به، آمين.

ولم نزل به في سوق ووَخْد، وشوق ووَجْد ولم نَبِت إلى قرب الرَّوْحاَ ثم ظعنا يوم الأحد ومررنا بمسجد الغزالة ضحى، وزرنا به وسرنا حتى نزلنا الجديدة ظهرا. وأخذ الناس أمتعتهم التي خزنوها بها. ووقعت فتنة بين أهل تونس وجربة، وتراموا بالأحجار والبنادق، وحال الناس بينهم ووقى الله شرها، وكفى أمرها. وصلينا الظهر وتحملنا، ونزلنا مغربا وبتنا.

ثم ظعنا ومررنا صبحا بمسجد بإزائه سبيل ماء وذكروا أن عند هذا المسجد قسم النبي صلى الله عليه وسلم غنائم بدر. وسرنا ورجعنا ذات اليمين قبيل الصفراء حيث ينصرف الطريق يمينا إلى ينبع، فملنا إليه سالكين تلك الطريق. وزرنا قبرعبيدة بن الحارث عند المنصرف سيد شهداء بدر وأحد المبارزين في ذلك اليوم على قول من قال إنه دفن هناك[1] وقيل دفن بالصفراء. وسرنا مع شعاب[2] متوعرة، وهذه الطريق هي التي سلك النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم لغزوة بدر، وحين رجع سلك طريق الصفراء إلى قريب من الظهر. فوصلنا البئر التي في وسط الدهناء، ووجدنا البركة المعمولة بإزائها فارغة. ونزلنا هناك مستظلين ببناء على سفح الجبل إلى أن حان وقت الظهر. وسقر {الناس}[3] الماء واستسقى من أراده، فصلينا الظهر فسرنا، وتسوق الأعراب الركب بالحشيش والدلاع. وهذه البئر ماؤها عذب فرات بارد ولما خرجنا المضيق، خرج الحراميون من الأعراب على أخريات الركب ورموهم فوق الجبل ببنادق وكفى الله شرهم، ورجعوا بخيبة وجرحوا جملين، وسلمهما الله فبرئا ونزلنا مغربا.

(1) "ت": هنالك.
(2) "ت": شعب.
(3) "ع": سقا.

ثم ظعنا يوم الثلاثاء فأتينا ينبع قبيل الظهر، ونزلنا بمسجد العشيرة فإذا بعينها يابسة، وذبلت النخيل التي عليها، وقِلْنا بالمسجد حتى صلينا الظهر وسرنا إلى خيامنا بمحل نزول الركب وبتنا به، وأقمنا يوم الأربعاء.

ثم ظعنا {منه سحر يوم}[1] الخميس ثاني عشر محرم، ثاني مارس وسادس حيان، وضل بعير لبعض أصحابنا الفاسيين الحاج علي الشريف عليه نفقة مائتي دينار، فالله يجير عليه، آمين. وصلينا الظهر بعد الوعرة الخامسة من الينبع الوعرات. وسرنا على [241- أ] بركة الله وحفظه، وبتنا بدارنا بالتشريف، ثم منه، ونزلنا منهل النبط في هواء لا حر ولا قر بين الظهرين. وآوينا به دون الآبار لموضع إيوائنا بالتشريق في ظل جبل. ووجدنا به رجلا كبيرا، لما أتينا ذلك[2] المحل في ذهابنا، زعم أن عودة بن يكون الجهني، واشترينا منه حشيشا لدوابنا. ولما رجعنا قابلنا وفرح بنا وهش وبش، وأتانا بخروف وصحفة من سمن وأبيت قبوله إلا بالثمن، وامتنع ودفعت له ريالتين مكافأة له. وأتانا بقربة جيدة من صنيع عرب الحجاز لتبريد الماء. وسألت غيره على مقدار ثمنها وأعطيته أضعافه. وانحزنا لمخيم الركب وبتنا به.

وظعنا قبيل السحر بمنزلة وتبع الركب متلصصة الأعراب وراءه يطلبون الغرة، وأخذ الناس حذرهم منهم فتأهبوا، ولما وقف الركب لصلاة الصبح ركب الحاج محمد بن أحمد الأبّار على بغلته فأتاه لص متغفلا[3] فظنه من الركب فضربه وأسكره فأخذ مدفعه وفر للجبل هاربا. ونزلنا الحوراء قبيل الغروب وأعراب هذه البلاد الحجازية من عسفان إلى ينبع بلاد حرب، ومن الينبع إلى أكره بلاد جهينة ومن أكره إلى ظَبَّة[4] بالظاء المشالة والباء الموحدة والهاء، واد دون المويلح بلاد بليّ ومنه إلى مصر بلاد الحويطات وكغازه والأعلوين وبني عقبة ومياه الحوراء من أقبح مياه الحجاز؛ ثم منها قرب فجر الأحد خامس عشر محرم وخامس مارس، وصلينا الظهرين الدركين وكان من قدر الله أن ضل لنا عبد لابن أخي محمد بن محمد الصغير اسمه سالم في هذه المرحلة[5] لما مررنا ذاهبين. فلما رجعنا وجدناه هنا وزعم أنه نام واستيقظ فإذا بالركب

---

(1) ساقطة من "ع".
(2) "ف": بذلك.
(3) "ع": مستغفلا.
(4) "ت": أظبة، والصحيح ما أثبتناه كما جاء في معجم البلدان، ج:1، ص: 469.
(5) "ع": الرحلة.

ذهب وفات وأتاه المستغرة من الأعراب المتلصصة وراء الركب. فأخذوه وعزلوه عن عدته ولباسه وتنازعوا عليه حتى تجار حوا، وسألوه من سيدك؟ فأخبرهم أنه لنا. وضمه إليه الغالب من المتنازعين وآواه إليه. وله زوجتان أرادت إحداهما بيعه ومنعته الأخرى من البيع، وقالت بل نمسكه حتى يرجع ربه ونسلمه له وساوموه[1] له بخمسة من الإبل، وامتنعت المذكورة من بيعه وفعلت معه خيرا كثيرا. فلما وردنا عليهم بهذا الموضع أتت به وأعطيتُ لها خمسة مثاقيل ذهبا ومثقالا[2] آخر لرجل زعم أنه أحسن إليه. ونزلنا بعد المغرب.

ثم ظعنا يوم الاثنين وبلغنا الأكره بعد الزوال، واستقى الماء من أراده ووجدنا الواديَ سال، وأراد الناس سقي إبلهم فمُنعوا[3]، مَنَعهم أمير الركب الحاج محمد صفيرا، وقال إنه لا يليق بنا الجلوس هنا، الأعراب المتلصصة كثيرون هنا. ولقد صدق وأحسن فيما رأى وقد رموا أول الركب التونسي ببنادق يطلبون إرهابهم فيفتكون بهم وصبروا لهم وثبتوا وما نالوا منهم شيئا. فمن أسرع سقى إبله، ومن أبطأ تركها بلا سقي. وتجاوز الناس بعد أخذ حاجتهم من الماء في قربهم من أحساء حفروها، وتجاوزوا ونزلوا[4] قرب العشاء، ثم بعد صلاة الصبح ظعنا ونزلنا الوجه قبل العصر ووجدنا به أهل مصر أتوا لملاقاة[5] الركب بالفول والدقيق وغير ذلك مما يحتاج إليه من الطعام. وبعث لنا معهم الحاج محمد الشريبي حملين طعاما: حملا ونصفا من دقيق ونصف حمل من كسكسوا، تقبل الله منه أحسن قبول، وأجازه[6] عنا أحسن الجزاء، وأصلح دينه[7]، ونصره على أعدائه ظاهرا وباطنا، آمين.

والحجاز، والحمد لله، هذا العام أنعم الله عليه بالرخاء وكثرة الربيع، في كل مرحلة ترى الجمالين يحملون أحمالا من أم ركبة لعلف دوابهم. وكاد درب الحجاز يشبه برقة في كثرة الربيع من الصِّلِيَّان[8] والنصي وغيرهما من أنواعه. ترى بعض

---

(1) "ع": وساموه.
(2) "ع": ومثقال.
(3) "ف": ومنعوا.
(4) "ح1": وتولوا.
(5) "ت": ملاقات.
(6) "ف": وجازه.
(7) "ح1": ذريته.
(8) الصليان: نبت ينبت صُعُدا وأضخمه أعجازه، وليس له ثمر ولا زهر.ينظر المخصص لابن سيدة، ج: ج: 2، ص:423.

الأمكنة كأنها مستنبتة، وكالبساتين ربيعا، وهذه الملاقاة[1] التي وجدناها هنا من أعظم الملاقى وأولها. زعموا أن بها زهاء ثلاثة آلاف بعير، وبيع الفول بها خمس فضة للربعي إلى أربعة، والشعير ستة، والدقيق ثماني، وكثر الخير والحمد لله. وأخبرني بعض أحبتنا من أهل مصر أن له عشر حجج ما رأى مثل هذا الرخاء في الحجاز، وأما الحرمان الشريفان ففيهما من الرخاء ما يبهر، فالفول بطيبة المشرفة بيع اثني عشر ربعيا بدينار، والشعير أحد عشر، والدقيق اثني عشر. وبمكة أعزها[2] الله بيع ستة عشر وخمسة عشر [241- ب] إلى ثلاثة عشر والشعير [ستة عشر، وفي الينبع بيع الفول أربعة عشر ربعيا إلى ستة عشر بدينار، والشعير][3] اثنا[4] عشر، والدقيق تسعة ونصف، وبعرفة عشرون ربعيا شعيرا بدينار. وبعث لنا مع أهل الملاقاة الأخ الحاج العباس بن طلحة الدرعي اليوسفي ثلاثة حقق[5] حلواء، والحاج أحمد الآبار حقا، والحاج أحمد المنجور حقا من كعك مخلط[6] بسكر، والحاج علي التطواني آخر[7] مملوءا فانيد، وسيدي يوسف أبو السعادات المصري حقا مملوءا طعاما مختلطا بسكر، وبطة مملوءة خليعا، كثر الله خيرهم، وشكر صنيعهم وأطعمهم من نعم الجنة، آمين.

ثم ظعنا منه سحر الأربعاء بعد نزول {أول}[8] المصري علينا. وبلغنا اصطبل عنتر قبل العصر، واستقى الناس منه وتجاوزوه قبل الغروب.

ثم ظعنا بعد صلاة الصبح يوم الخميس تاسع عشر محرم وتاسع مارس ونزلنا الأرلم عصرا وبتنا به، ولم ينزل آخر الركب إلى الاصفرار.

ثم ظعنا منه بعد صلاة الصبح يوم الجمعة العشرين من المحرم وعاشر مارس، وصلينا الظهر بإزاء البحر، قبل ضريح سيدي مرزوق الكفافي. وسرنا ونزلنا آبار دار أم السلطان عصرا، وماؤه طيب زلال، وبتنا. وسُرق الفقيه سيدي عمرو العيني بهذه

(1) "ت": الملاقات.
(2) "ت": عزها.
(3) ساقطة من "ت".
(4) "ت": اثنى.
(5) "ح1": حقوق.
(6) "ح2": مختلط.
(7) "ح1": بآخر.
(8) ساقطة من "ت".

الدار ثلاثة عشر شقة من الكتان، وذلك ما على ملكه، فالله يخلف له: نام ودخل السارق للخباء وأخذها. وهذا السيد {من}[1] أجل أحبتنا.

ثم منه بعد صلاة صبح السبت الحادي والعشرين من المحرم الحادي عشر من مارس، ونزلنا بندر المويلح بعد الظهر، ونزل آخر الركب قرب العصر، وبتنا به ليلة الأحد، والسراق يطوفون بالركب ويتواثبون عليه من كل ناحية. وحين الصباح أخبروا أن واحدا منهم مات وأنهم خرجوا بجماعة وتفرقوا في نواحي الركب. ولما اجتمعوا فقدروا واحدا منهم وسألوا عنه فوجدوه ميتا، صادفته رصاصة، وآخر مجروح. وتوفي هنا صاحب الأخ سيدي إبراهيم بن عبد الرحمان بين ظهري الأحد، رحمه الله، ودفن به. وأقمنا الأحد والاثنين. ونزل علينا أول المصري بعد الظهر، ولم ينزل آخره إلى قرب المغرب، لأنه أقام بالوجه يوما وبآبار أم السلطان يوما.

ثم ظعنا منه يوم الثلاثاء، الرابع والعشرين من المحرم، ورابع عشر مارس. ونزلنا عين الأقصاب[2] طفلا وبتنا به. وأتى السارق ليلا إلى خباء صاحبنا الحاج عبد الرحمان بن الحسين[3] الطرافي، وفتحوا حملا من أحماله فيه الكتان، وجعلوا يأخذون منه، ورجلاه على الحمل نائما، فتحرك الحمل لأخذهم منه. فهبّ من نومه وصاح وخرج السارق آخذا بثوبه نحوا من عشرين شقة وفر وتبعوه، وعثر وسقط وألقى الكتان وفر ناجيا بنفسه.

[العنب يطعم مرتين في السنة في مدين]

ثم منه بعد طلوع القمر الخامس والعشرين من المحرم يوم الأربعاء، وسار الركب وتأخرنا لقرب وقت الصلاة، فلما صلينا لاحقين بالركب، ونزلنا مغائر شعيب قبل الاصفرار. أتاني[4] رجل وبيده[5] زيف فيه قليل عنب أسود، وطرحه بإزائي نحو

---

(1) ساقطة من "ت".
(2) "ت": عيون الأقضاب.
(3) "ع": الحسن.
(4) "ح2": وأتانا.
(5) "ف": وبه.

عرجونين والله أعلم. وقلت: أنت من مدين قال: نعم، وذكر أن العنب يُطعم {بمدين}[1] مرتين في العام، وأكلت ذلك العنب ووجدته عنبا جديدا، كان فيه قليل حموضة وهو طيب حلو، وأكلت العنب الجديد في نصف مارس. وذكر أبو سالم أنهم لما نزلوا هنا أتاهم الأعراب بأحمال كثيرة من العنب الأسود، وهو في غاية الحلاوة وبرمان كثير، وبيع العنب أولا بدرهمين للرطل، ثم صار بعد ذلك برطل ونصف الدرهم.

ثم منه ونزلنا شرق بني عطية غربي دار المصري مغربا بموضع يسمى أبا العظام، ووجدنا بدار المصري أعرابا ومعهم الحشيش والغنم واللبن والسمن.

ثم ظعنا منه ونزلنا عصرا بحفائر النخل أحساء كثيرة في وسط حدائق النخل تحت ظهر الحمار على ساحل البحر، وبتنا به في أرغد عيش[2] وأَمْرَ إِ شرابٍ.

ثم ارتحلنا منه يوم السبت الثامن والعشرين من المحرم ثامن عشر مارس، ونزلنا ببندر[3] العقبة قبل الزوال، ونزل الركب عند الزوال وتعرض اللصوص لمرحول بعض التونسيين فيه نحو من عشرة من الإبل، وضربوهم ببنادق، وفر من كان [مع المرحول، وأخذوه ودخلوا به الشعبة، وكان وراءهم ولد شيخ الركب الجواني الشيخ صفيرا في أول ركبنا، لأن ركبنا][4] [242- أ]يتأخر عن ركب التونسيين. وتبعهم مع بعض الرماة، ورموهم ببنادق، وفر اللصوص آخذين ما على[5] الإبل ودخلوا به {الشعبة}[6]، وردوا الإبل إلا واحدا ذهبوا به. وعلى بعض الإبل حمل من خشب زعم صاحبه أنهم أخذوا منه سبعة آلاف فضة، وأخذوا في هودج ستمائة ريال. ووجدنا به ملاقية عظيمة من مصر وعزة بكثرة الفول والدقيق والشعير والزبيب والجبن، والأعراب بالغنم والسمن والعلف للدواب، وسعر الفول به ثلاثة أنصاف للربعي إلى نصفين، والشعير أربعة، والدقيق الجيد ستة، وأقمنا به الأحد.

(1) ساقطة من "ت".
(2) "ت": شيء.
(3) "ف": بنذر.
(4) هذا السطر مطموس في "ع".
(5) "ع": علا.
(6) ساقطة من "ت".

ثم ظعنا منه ضحاء يوم الاثنين الثلاثين من المحرم والعشرين من مارس وسار الركب وتأخرنا في انتظار بغلة لابن عمنا حسين بن أحمد مع بغلة سيدي أحمد العقبي بعثناهما للسقي، وأخذهما بعض الأتراك الذي جاء مع الملاقية في حوله زعم أنه التزمه له الفاسيون في هذا البندر أربعين ذهبا حتى أتانا صفيرا قرب الاستواء. وذكر أن أمير الركب نائم وتعذر لقيّه الآن، إلى أن يقوم من نومه للصلاة، لينزجر آخذ البغال، وتخلف لذاك حامل رايته الحاج أحمد التواتي وأعطى بغلته لابن عمنا وتخلف معه العقبي. وسرنا مجدين لنلحق بالركب، وطلع الناس ومعهم نوع تفريط. لم يأخذوا حذرهم ولا أنزلوا الرماة[1] في الأماكن المخوفة كعادتهم. ولما بلغوا المكان المسمى بدار الحفيان . وهو المكان الذي قتل فيه ابن أختي[2] العباس، رحمه الله، والناس في غرتهم، لم يزالوا كل أين حل، {وتركوا المراحل}[3] مع سواقها وسواسها[4] وتجاوز الركب التونسي وأوائل الفاسي وليس أمامه رماة[5]، ولا تأهبوا لعدوهم، إذ تعرض الحرامية المتلصصة لطائفة منهم وأخذوا إبلا بأحمالها، وتراموا مع من وجد مع الإبل على غرتهم، ومات من المتلصصة ثلاثة، فيما زعموا، وواحد من الحجاج وجرح ثلاثة، وسلم الله الركب كله. وللكبيطي والغشوي[6] من هذه {الإبل}[7] المأخوذة خمسمائة مثقال ذهبا وحوائج، وواحد لابن كيران، وواحد للغنيري شاش ونصف حمل[8] للحلوى، ومئتان مثقالا ذهبا ونصف حمل لآخر ونصف حمل للحاج عبد القادر الأبّار وأخويه عليه سلعة هند وحمل لسيدي صالح الفيلالي التزكزوتي ونحو مائة شقة لابن أبي زيان أمانة عنده وحملان للحاج مسعود الأبّار أحدهما عليه الماء والآخر بلا شيء.

ونزلنا بعد العصر سطح العقبة، واستهل هلال صفر ليلة الثلاثاء به. ثم منه بعد صلاة الصبح، ونزلنا شرقي بئر العلاي مغربا المسمى الآن بئر الصعاليك، ثم منه

(1) "ع": الرمات.
(2) "ف": ابن أخي.
(3) ساقطة من "ع".
(4) "ف": وسوامها.
(5) "ع": رمات.
(6) "ف": القشري.
(7) ساقطة من "ت".
(8) "ف": حمل [صالح الفيلالي] زيادة في غير محكما.

ومررنا بئر العلاي ضحى. ونزلنا النخيل قبل[1] الاصفرار، ووجدنا به الملاقي، وبيع الفول بثلاثة أنصاف للربعى والشعير والله أعلم بنصفين، وكل شيء كثير، ثم منه بعد صلاة الصبح، ونزلنا كراع التيه مغربا، ثم منه ونزلنا قرب السبخة كذلك. ثم منه، وقطعنا السبخة صبحا، وكنا توقعنا مكابدة مشقتها فسهلها الله ولم نر بها بأسا. وبلغنا عجرودا[2] قبيل الظهر، فسقينا واستقينا، وبيع به الفول نصفان وأربعة فلوس للربعى والشعير نصفان، والبيض تسع بنصف. ووجدنا هنالك السيد الشريف. كان يزعم أنه من أولاد مولانا وسيدنا ابن مشيش. يأوي إلى أصحابنا المغاربة وأتى لملاقاتهم[3]. وأطعمنا دجاجا، تقبل الله منه. وجمعنا بين الظهر والعصر، فسرنا ونزلنا غربي نخلة أبي زيد ثم منه، ونزلنا غربي الأزيار، ثم منه تلقانا الناس، أهل مصر والمغاربة وأمراء الأجناد والأتراك، خرجوا لملاقاة[4] الركب. نصبوا[5] الأخبية وبنوا الخيام في سائر الطرقات، وملأوا المحال بالأسواق، من البركة إلى مصر، وكابد الناس مع المكّاسين بالعادلية[6] المشتقة، قطعها الله من عادة أضرت بالمسلمين، والله تعالى يجازي الشريبي خيرا: كان يحول بينهم وبين المكاسين، فالله يحول بينه وبين كل شر وضر[7].

ودخلنا القاهرة ضحى الاثنين سابع صفر[8]، السابع والعشرين من مارس. ونزلنا بدار هيأها لنا المحب الحاج محمد الشريبي، قرب مشهد السيد الحسين لناحية باب النصر، مع جملة من أصحابنا. وبعثنا دوابنا لكرداسة[9] أيام إقامتنا بمصر. وأقمنا بها بقية صفر وأربعة عشر من ربيع الأول. وزرنا صلحاء مصر القاهرة والقرافتين، اتخذنا أياما لذلك أيام إقامتنا، اغتناما لبركتهم. واشترينا جملة [242- ب] وافرة من الكتب، فالله ينفع[10] بها أبدا، آمين.

---

(1) "ف": قرب.
(2) "ت": عجرود.
(3) "ت": بملاقاتهم.
(4) "ح2": لملاقات.
(5) "ف": فنصبوا.
(6) "ف": بالعادة.
(7) "ع": ضير.
(8) مطموسة في "ع".
(9) "ت": لكراسة. ذكرها المقريزي في " المواعظ والاعتبار"، ج:1، ص: 213.ويبظر معجم قبائل العرب، العرب، ج: 1، ص: 313.
(10) "ف": ينفعنا.

تنبيه: وممن أضافنا بمصر وأكرمنا {المحب}[1] الحاج محمد الشريبي وبلدينا[2] الحاج العباس اليوسفي وسيدي عبد الباقي ووالده وإخوته، والشيخ محمد بن أحمد اللقاني والحاج الوافي المراكشي وأبو السعادات سيدي يوسف المصري والحاج مسعود الأبار وصنوه الحاج أحمد والحاج علي الشط التطواني، وخليلنا الحاج عبد السلام {وحسن}[3] كحبيبنا ورفيقنا بدرب الحجاز الحاج عبد الكريم بن[4] زكري وأفندي إبراهيم والد المحبة الفقيرة راضية، شفاها الله تعالى، آمين. والحاج محمد بن غانم المصراتي والحاج عبد القادر الأبار والحاج حمدون صنوه والحاج أحمد المنجور والحاج محمد[5] المراكشي، والد الحاج بعزّا، وغيرهم ممن لم أذكرهم كثر، الله خيرهم وشكر سعيهم وأصلح رأيهم، آمين.

[تعيين نقيب للزاوية الناصرية بمصر]

نكتة: لما رأيت رغبة الناس بمصر في دخول زمرة أشياخنا، والانخراط في سلكهم اشتدت، وتلقن منا طائفة كبيرة الورد، قدمنا نقيبا على المريدين المنتسبين إلينا بمصر الشيخ محمد بن منصور السبطي[6] وأذنا له في تلقين الأوراد عنا لمن رغب في الانتظام في سلك أشياخنا، فالله تعالى يصلح ديننا ودين الجميع، بمنه ويمنه. وقام بقضاء أوطارنا مدة الإقامة بمصر الحاج عبد السلام الهندازي والحاج أحمد المنجور وصنوه الحاج مسعود {و}[7] على يد والده الحاج علي والحاج عبد الكريم ابن زكري، زكري، وصاحبه الحاج أحمد بن يحيى، جزاهم الله خيرا ووقاهم ضيرا {آمين}[8] . ثم إنا لما قضينا جميع وطرنا وأخذنا أهبة سفرنا، أتانا أصحابنا الجمالون من أعراب ضعفة: عبد الحفيظ وإخوانه في الوعد الذي واعدونا، جزاهم الله خيرا.

---

(1) ساقطة من "ت".
(2) "ح1": وبنديينا.
(3) ساقطة من "ت".
(4) "ف": ابن.
(5) "ت": أحمد.
(6) "ف": السطي.
(7) ساقطة من "ف".
(8) ساقطة من "ت".

[الخروج من مصر لطرابلس]

فخرجنا يوم الخميس، خامس عشر ربيع النبوي، واكترينا المراكب والزوارق، فتعدينا عليها النيل، من غير ما ضغطة ولا ورطة. فنزلنا بالنيابة[1]، على قرب من النيل، ليتلاحق أصحابنا بنا[2] من قريب. فاجتمعنا ذلك اليوم وبتنا مع جماعة، من أصحابنا قليلة؛ ذوي همة ونية جليلة. ثم تلاحق باقيهم أفواجا {وفرادى[3] وأزواجا}[4] وأقمنا في انتظار ما عسى أن يبقى من المآرب بمنزلنا هذا الجمعة والسبت والسبت والأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء. ورحلنا يوم الخميس . ونزلنا قرب النيابة. وأتانا الشريف مولانا المأمون بن أحمد راغبا في الذهاب معنا، بعد أن ذكر أنه يتأخر عنا حتى يأتي مع الركب الفاسي، فأجبناه، وأقمنا له الجمعة والسبت والأحد .

ثم ظعنا يوم الاثنين، السادس والعشرين من ربيع النبوي، خامس عشر مايو. وأخذنا ذات اليمين، قاصدين المرور بالإسكندرية، وكانت قبل طريق الحاج. وفي هذه الأواخر نكبوها . ويأخذون ذات اليسار لفتنة بين عرب المحلة وعرب المغاربة. والآن بينهم صلح. فنزلنا الجسر ظهرا. ثم منه، ونزلنا شرقي الأخماس بعد الظهر.

ثم منه ونزلنا الزعفران عصر[5] الأربعاء الثامن والعشرين من ربيع الأول السابع عشر من مايه.

ثم منه يوم الخميس، ونزلنا بالزّرازير[6] قبيل العصر.

ثم منه، ونزلنا بسلقون[7] عصرا.

---

(1) "ت": بالنهاية.
(2) "ف": بنا أصحابنا.
(3) "ف": فرادا.
(4) ساقطة من "ت".
(5) "ف": بعصر.
(6) "ت": أبا الزرازير.
(7) "ت": بسلغون.

ثم منه، ونزلنا ثغر الإسكندرية ظهرا، السبت ثاني ربيع {النبوي}[1] الثاني والعشرين من مايه. ونزلنا بالباب المواجه عمود السواري خارج الباب، وزرنا بها من الأماثل، والأولياء الأفاضل، كالإمام على الإطلاق والجامع لأشتات محاسن الأخلاق، والقطب الكامل منبع الفواضل والفضائل، شيخ الطريقة، الجامع بين الشريعة والحقيقة، سيدي ومولاي أبي العباس المرسي[2] ومرباه، ومعدن نعماه، مُمِدُّ العالم العلوي والقرشي: سيدنا ياقوت العرشي، وفارس[3] الفروع والأصول، وحامل[4] وحامل[4] راية المنقول والمعقول، ذي[5] السهم الصائب: الإمام أبي بكر الطرطوشي[6] الطرطوشي[6] والإمام ابن الحاجب وغيرهم من السادات[7] الأعلام، وأئمة الإسلام، الإسلام، رضي الله عنهم وأرضاهم، وأحسن مثواهم، وجمعنا في مستقر يمنه وأمانه، آمين آمين.

وأقمنا بها، لقضاء بعض المآرب، واستيفاء ما عنّ من الأوطار[8] والمطالب، الأحد والاثنين. [243- أ]

---

(1) ساقطة من"ت"/ "ف": ثامن ربيع النبوي الثاني وهو خطأ.
(2) أبو العباس المرسي: هو أحمد بن محمد بن أحمد بن بلال المرسي عالم بالنحو واللغة والأدب توفي سنة 460 هـ/ 1068 م. من تصانيفه: الغريب المصنف، وشرح إصلاح المنطق لابن السكيت. ينظر معجم المؤلفين ج1 ص 241.
(3) "ف": فارسي.
(4) "ف": وحامله.
(5) "ف": ذوي.
(6) أبو بكر الطرطوشي: هو محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري، المالكي، المعروف بالطرطوشي، ويعرف بأبي زندقة (أبو بكر). فقيه، أصولي، محدث مفسر، ولد سنة 451 هـ تقريبا، ونشأ في طرطوشة بالأندلس، ورحل إلى المشرق فدخل بغداد والبصرة، وسكن الشام، ونزل بيت المقدس، وأخذ عن جماعة، وتوفي بالإسكندرية سنة 1059 هـ. من تصانيفه: سراج الملوك، الدعاء الحوادث والبدع، مختصر تفسير الثعالبي، وشرح رسالة ابن أبي زيد سراج الملوك والخلفاء ومنهاج الولاة والأمراء. ينظر معجم المؤلفين ج3 ص:762.
(7) "ف": الساداة وهو خطأ.
(8) "ف": الأطوار وهو خطأ.

[ذكر الإسكندرية وما بها من العجائب]

ذكر الإمام السيوطي في حسن المحاضرة: "عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه أنه قال: جاء رجال من أهل الكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم كتب، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن شئتم أخبرتكم عما أردتم تسألوني قبل أن تتكلموا وإن شئتم تكلمتم وأخبرتكم، قالوا: بلى، أخبرنا قبل أن نتكلم، فقال: جئتم تسألوني عن ذي القرنين، وسأخبركم عما تجدونه مكتوبا عندكم أنه أول أمره {أن}[1] كان غلاما من الروم أُعْطِيَ ملكا فسار حتى ساحل البحر من أرض مصر فابتنى[2] عنده مدينة يقال لها الإسكندرية فلما فرغ من بنائها أتاه ملَك فعرج به حتى استقله فرفعه فقال {له}[3] انظر ما تحتك فقال: أرى مدينتي وأرى مدائن معها، ثم عرج به فقال له: انظر فقال {قد}[4] اختلطت المدائن فلا أعرفها"[5]. الحديث بطوله وقد أوردته في التفسير المأثور من سورة الكهف.

وأخرج ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: "كان أول شأن الإسكندرية أن فرعون اتخذ بها مصانع ومجالس، وكان أول من عمرها وبنى بها فلم تزل على بنائه ومصانعه إلى أن تداولها الملوك ملوك مصر بعده، فبنت دلوكة بنت زبَّا منارة الإسكندرية [ومنارة بوقير][6] بعد فرعون. فلما ظهر سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام على الأرض اتخذ بها محبسا[7] وبنى فيها مسجدا، ثم إن ذا القرنين ملكها فهدم ما كان فيها من بناء الملوك والفراعنة وغيرهم إلا بناء سليمان لم[8] يغيره

---

(1) ساقطة من "ف".
(2) "ع": فابتنا.
(3) ساقطة من"ت".
(4) ساقطة من "ت".
(5) هذه القصة ذكرها ابن كثير في تفسيره، ج 3 ص: 101، وأوردها ابن جرير والأموي في مغازيه. قال ابن كثير وهو ضعيف عن عقبة بن عامر وفيه طول ونكارة ورفعه لا يصح، وأكثر ما فيه أنه من أخبار بني إسرائيل.
(6) زيادة من "ت".
(7) "ف": مجلسا.
(8) "ف": فلم.

يغيره ولم يهدمه وأصلح ما كان رث منه، وأقر المنارة على حالها، ثم بنى الإسكندرية بناء يشبه بعضه بعضا، ثم تداولها الملوك من الروم وغيرهم، ما من ملك إلا ويكون له بناء يضعه بالإسكندرية يعرف به وينسب إليه [قال ابن عبد الحكم][1].

ويقال إن الذي بنى منارة الإسكندرية قلبطرة الملكة، وهي التي ساقت[2] خليجها حتى أدخلته الإسكندرية، ولم يكن يبلغها الماء [قال][3]. ويقال إن الذي بنى بنى الإسكندرية شداد بن عاد، ويقال بها مساجد خمسة مقدسة: مسجد موسى عليه الصلاة والسلام عند المنارة، ومسجد سليمان عليه {الصلاة}[4] والسلام، ومسجد ذي القرنين، ومسجد الخضر، أحدهما عند القيسارية والآخر عند [باب][5] المدينة، ومسجد عمرو بن العاص الكبير رضي الله عنه.

وكانت الإسكندرية ثلاثة مدن {منه}[6] وهي: موضع المنارة وما والاها، والإسكندرية وهي موضع قصبة الإسكندرية اليوم، وهبطة. وكان على كل واحدة منهن سور، وسور من خلف ذلك على الثلاث مدن يحيط بهن جميعا.

وأخرج ابن عبد الحكم عن عبد الله بن طريف الهمداني قال: "كان على الإسكندرية سبعة حصن[7] وسبعة خنادق" . وأخرج أن ذا القرنين لما بنى الإسكندرية رخمها[8] بالرخام الأبيض، جدرها وأرضها، فكان لباسهم فيها السواد والحمرة، فمن قِبَل ذلك لبس الرهبان السواد من نصاع بياض الرخام ولم يكونوا يسرجون فيها بالليل من بياض الرخام، وإذا كان القمر أدخل الرجل الذي يخيط في ضوء القمر الخيط في جحر الإبرة، وكانت تضيء بالليل والنهار. وكانوا إذا غربت الشمس لم يخرج أحد من بيته ومن خرج اختطف، وكان منهم راع[9] يرعى على شاطئ البحر، وكان يخرج من البحر شيء فيأخذ من غنمه، فَكَمَنَ له الراعي في

---

(1) زائدة من "ف".
(2) "ت": حفرت.
(3) زيادة من "ف".
(4) ساقطة من "ف".
(5) زيادة من "ف".
(6) ساقطة من "ف".
(7) "ف": حصون.
(8) "ف": رضمها.
(9) "ف": راعي وهو خطأ.

موضع، فإذا جارية فتشبّث بها، فذهب بها إلى منزله فأنِست بهم[1] فرأتهم لا يخرجون يخرجون بعد غروب الشمس فسألتهم فقالوا: من خرج منا اختطِف فهيأت {لهم}[2] {لهم}[2] الطِّلّسْمات بمصر في الإسكندرية.

وعن عطاء الخراساني قال: "كان الرخام قد سخر لهم حتى يكون من بكرة إلى نصف النهار بمنزلة العجين، فإذا انتصف النهار اشتد. وكانت تسمى قبل الإسكندرية رفودة وبذلك يعرفها القِبْط في كتبهم القديمة".

وعن الليث بن سعد قال: "كانت الإسكندرية كرما كلها لامرأة المقوقس، فكانت تأخذ خراجها منهم الخمر فريضة عليهم. وكثر عليها حتى ضاقت به ذرعا فقالت: "لا حاجة لي في الخمر أعطوني دنانير"، فقالوا:"ليس عندنا [243- ب] دنانير. فأرسلت عليهم الماء فغرقتها[3]، فصارت بُحيرة يصاد فيها الحيتان حتى استخرجها بنو العباس فسدوا جسورها وزرعوا فيها".

ومن عجائب الإسكندرية عمود السواري ليس في الدنيا مثله، قال صاحب المِرْآة: وقد شاهدته ويقال إن أخاه بأسوان قال ابن فضل الله: بظاهر الإسكندرية عمود السّواري، عمود مرتفع في الهواء تحته قاعدة وفوقه قاعدة، يقال إنه لا نظير له[4] في العمد في علوه ولا في استدارته، [والله أعلم][5]

قلت: وقد رأيت هذا العمود لما دخلت الإسكندرية في رحلتي ودور قاعدته ثمانية وثمانون شبرا، ومن المتواتر عند أهل الإسكندرية أن من حاذاه عن قرب وغمض عينيه {ثم قصده}[6] لا يصيبه بل يميل عنه. وذكروا انه لم تحصل إصابته لأحد قط مع كثرة تجريبهم ذلك. وقد جربت ذلك مرارا فلم أقدر أن أصيبه. وذكر لي بعض فضلاء الإسكندرية أنها كانت أربع عمد على هذا النمط، وكانت عليها قبة يجلس عليها أرسطو[7] صاحب الرصد. وعن التنوخي قال: كان بالإسكندرية صنم يقال له

---

(1) "ت": به.
(2) ساقطة من "ت".
(3) "ف": وأغرقتها.
(4) "ع": لاينظر /"ت": لا يظهر.
(5) زيادة من "ف".
(6) ساقطة من "ف".
(7) أرسطو: ولد عام 384 ق م ، عاش سنوات طفولته مهيئا للتدريب على مهنة الطب لأن والده كان طبيبا، فظهر استعداده وميله للروح العلمية التجريبية المعتمدة على التحليل، ولما بلغ الثامنة عشرة،

له شراحيل على خشفة من خشف[1] البحر وكان مستقبلا بأصبعه القسطنطينية لا يُدْرى أكان مما عمله سليمان أو الإسكندر، فكانت الحيتان تجتمع عنده وتدور حوله فتصاد. فكتب أسامة إلى الوليد بن عبد الملك يخبره بخبر الصنم ويقول: "إن الفلوس عندنا قليلة فإن رأى أمير المسلمين أن يقلع الصنم ويضربه فلوسا". فأرسل إليه الوليد رجالا أمناء [فأزالوا[2] {الصنم}[3] فوجدوا عينيه ياقوتتين حمراوين ليس لهما قيمة، فذهبت الحيتان فلم تعد إلى ذلك الموضع.

ومن عجائب مباني مصر، كما قال، صاحب مناهج الفكر[4]: "منارة الإسكندرية وهي مبنية بحجارة مهندسة مطلية بالرصاص على قناطر[5] من أرج[6] والقناطر[7] على ظهر أسطوانات من نحاس وفيها نحو ثلاثمائة بيت بعضها فوق بعض، تصعد الدابة بحملها إلى سائر البيوت من داخلها. وللبيوت طاقات ينظر منها إلى البحر، واختلف أهل التاريخ فيمن بناها، فقيل إنها من بناء الإسكندر وقيل من بناء دلوكة ملكة مصر.

ويقال إن طولها كان ألف ذراع وكان في أعلاها تماثيل من نحاس، منها تمثال قد أشار بسبابة {يده}[8] اليمنى نحو الشمس أينما كانت من الفلك يدور معها حيث دارت. ومنها تمثال وجهه إلى البحر متى صار العدوّ منهم على نحو من ليلة سمع له صوت هائل يعلم به أهل المدينة طروق[9] العدو. ومنها تمثال كلما مضى من الليل ساعة صوت صوتا مطربا، وكان بأعلاه مرآة يرى منها قسطنطينية وبينهما عُرض البحر، فكلما جهز الروم جيشا رِيءَ في تلك المرآة.

رحل إلى أثينا والتحق بأكاديميتها، متلقيا دروسه على يد مؤسسها أفلاطون.بقي بالأكاديمية قرابة عشرين سنة إلى أن مات أفلاطون. وبعد ذلك أنشأ مدرسة في ملعب رياضي يدعى "اللقيون" فعرفت المدرسة بهذا الاسم ، وهي عين الكلمة الفرنسية (ليسه– lycée). ينظر حمادة ابراهيم كتاب أرسطو فن الشعر ص–ص 13–14 .

(1) "ت": خشب.
(2) "ع": فأنزلوا.
(3) ساقطة من "ف".
(4) للوطواط الكبي ت: 718هـ، ينظر هدية العارفين،ج:2،ص: 21، وكشف الظنون، ج: 2، ص: 1846.
(5) "ت": قناطير.
(6) "ت": أراج.
(7) "ت": والقناطير.
(8) ساقطة من "ت".
(9) "ف": طرق.

وحكى المسعوديُّ أن هذه المنارة كانت في وسط الإسكندرية وأنها تعد من بنيان العالم العجيب، بناها بعض ملوك اليونان يقال إنه الإسكندر، لِماَ كان بينهم من الحروب، فجعلوا هذه المنارة مرقبا وجعلوا فيها مرآة من الأحجار المشِفَّة يشاهد فيها مراكب البحر إذا انقلبت من رومة على مسافة تعجز الأبصار عن إدراكها، ولم تزل كذلك إلى أن ملكها المسلمون فاحتال ملك الروم لما انتفع المسلمون بها في مثل ذلك على الوليد بن عبد الملك بأن أنفذ أحد خواصه ومعه جماعة إلى بعض ثغور الشام على أنه راغب في الإسلام وأخرج كنوزا ودفائن بالشام ما حمل الوليد {على}[1] أن صدّقه أن تحت المنارة أموالا ودفائن وأسلحة دفنها الاسكندر، فجهزه مع جماعة من ثقاته إلى الإسكندرية فهدم ثلث المنارة، وأزال المرآة فظن الناس أنها مكيدة، فاستشعر ذلك فذهب في مراكب[2] كانت معدة له، ثم بنى[3] ما هدّم بالجص والآجر.

قال المسعودي: "وطول هذه المنارة في وقتنا هذا، وهو سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة مائتان[4] وثلاثون ذراعا وكان طولها قديما نحو أربعمائة ذراع. وبناؤها في عصرنا ثلاثة أشكال فقريب من الثلث مربع بالحجارة ثم بعد ذلك بناء مثمن الشكل مبني بالآجر والجص نحو ستين ذراعا وأعلاها مدوّر الشكل".

قال صاحب مناهج الفكر: "وكان أحمد بن طولون بنى في أعلاها قبة من الخشب[5] فرمتها[6] الرياح فبنى مكانها[7] مسجدا في أيام الملك الكامل صاحب مصر، ثم إن وَجهَها البحري تداعى، وكذلك [244- أ] الرصيف الذي بين يديها من جهة البحر وكادا يتهدمان[8] وذلك أيام {الملك}[9] الظاهر ركن الدين بيبرص"[10].

(1) ساقطة من "ف".
(2) "ف": مركب.
(3) "ت": بنا.
(4) "ف": مائة.
(5) "ت": خشب.
(6) "ت": فرمته.
(7) "ع": في مكانها.
(8) "ع": يتهادمان.
(9) ساقطة من "ت".
(10) "ت": بيبرس.

وذكر ابن فضل الله في المسالك: "أن هذه المنارة قد خُربت وبقيت أثرا بين عيْن فكان هذا وقع في إبان قلاوون أو ولده".

قال ابن المتوج في كتابه إيقاظ المتغفل:"من العجائب منارة الإسكندرية التي بناها ذو القرنين، كان طولها أكثر من ثلاثمائة ذراع مبنية بالحجر المنحوت، مربعة السفل وفوق المنارة المربعة منارة مثمنة مبنية بالآجر، وفوق المنارة المثمنة منارة مدورة وكلها مبنية بالصخر {المنحوت}[1] على أكثر من مائتي ذراع، وكان عليها مرآة من الحديد الصيني عرضها سبعة أذرع {و}[2] كانوا يرون فيها جميع من يخرج من البحر من جميع بلاد الروم، فإن كانوا أعداء تركوهم فإذ قربوا منها ومالت الشمس للغروب أداروا المرآة مقابل الشمس واستقبلوا بها السفن حتى يقع شعاع الشمس في ضوء المرآة فتحترق السفن في البحر عن آخرها، ويهلك كل من فيها. وكانوا يُؤدون الخراج ليأمنوا بذلك من إحراق المرآة لسفنهم. فلما فتح عمرو بن العاص الإسكندرية احتالت الروم بأن بعثت جماعة من القسيسين المستعربة وأظهروا أنهم مسلمون، وأخرجوا كتابا زعموا أن[3] ذخائر ذي القرنين في جوف المنارة، فصدقتهم العرب لقلة لقلة معرفتهم بحيل الروم وعدم معرفتهم بمنفعة تلك المنارة والمرآة. وتحيلوا[4] أنهم إذا أخذوا الذخائر والأموال أعادوا المنارة والمرآة على ما كانت. فهدموا مقدار ثلثي المنارة فلم يجدوا فيها شيئا وهرب أولئك القسيسون، فعلموا حينئذ أنها خديعة فبنوها بالآجر، فلم[5] يقدروا أن يرفعوا إليها تلك الحجارة. فلما أتموها نصبوا عليها تلك المرآة فصديت فلم يروا فيها شيئا وبطل إحراقها. والنصف الأسفل[6] الذي من عمل عمل ذي القرنين يدخل الإنسان من الباب الذي للمنارة وهو مرتفع من الأرض مقدار عشرين ذراعا يصعد إليه على قناطر[7] مبنية بالصخر المنحوت، فإذا دخل من من باب المنارة يجد على يمينه بابا فيدخل منه إلى مجلس كبير طوله عشرون ذراعا

(1) ساقطة من "ف".
(2) ساقطة من "ف".
(3) "ف": أن ذلك.
(4) "ت": وتحيلوا.
(5) "ف": ولم.
(6) "ف": الأول.
(7) "ف": قناطير.

مربعا يدخل فيه الضوء من جانبي المنارة، ثم يجد بيتا آخر مثله ثم مجلسا ثالثا و{مجلسا}[1] رابعا كذلك".

قال: "وقد عملت الجن لسليمان بن داود عليهما السلام في الإسكندرية مجلسا من أعمدة الرخام الملون بالجزع اليماني المصقول كالمرآة، إذا نظر الإنسان إليها[2] يرى من يمشي خلفه لصفائها. وكان عدد الأعمدة ثلاثمائة عمود {في}[3] كل عمود ثلاثمائة ذراع، وفي وسط المجلس عمود واحد يتحرك شرقا وغربا يشاهد ذلك الناس ولا يدرون ما سبب حركته".

ومن عجائب الإسكندرية السواري[4] والملعب الذي كانوا يجتمعون فيه في يوم من السنة، ويرمون بالكرة فلا تقع في حجر أحد منهم إلا ملك مصر، وكان يحضر هذا الملعب ما شاء الله من الناس ما يزيد على ألف ألف رجل، فلا يكون منهم أحد إلا وهو ينظر في وجه صاحبه، ثم إن قرأ كتابا سمعوه جميعا، أو لعب لونا من الألوان في ذلك الملعب رأوه عن[5] آخرهم. وقد حضر سيدي عمرو بن العاص رضي الله عنه هذا الملعب معهم في الجاهلية، وذلك أنه قدم لبيت المقدس، في نفر من قريش لتجارة فإذا هم بشمّاس من شمامسة الروم من أهل الإسكندرية قدم للصلاة في بيت المقدس فخرج في بعض جبالها يسيح. وكان عمرو يرعى إبله وإبل أصحابه، وكانت رعاية الإبل بينهم نوبا فبينما عمرو يرعى إبله وإبل أصحابه، إذ مر به[6] ذلك ذلك الشماس وقد أصابه عطش شديد في يوم شديد الحر، فوقف على عمرو فاستسقاه فسقاه عمرو من قربة له، فشرب حتى روى، ونام الشماس مكانه وكان إلى جانب الشماس حيث نام حفرة فخرجت[7] منه حية عظيمة فبصر بها عمرو فنزع لها لها بسهم فقتلها، فلما استيقظ الشماس نظر إلى حية عظيمة قد أنجاه الله منها، فقال لعمرو: "ما هذه الحية؟" فأخبره الخبر عمرو، وأنه رماها فقتلها. فأقبل إلى عمرو

---

(1) ساقطة من "ف".
(2) "ف": إليه.
(3) ساقطة من "ف".
(4) "ت": السوار.
(5) "ع": من.
(6) "ت": عليه.
(7) "ح2": فخرج.

وقبل رأسه وقال {له}[1] "قد أحياني الله بك مرتين: مرة من شدة العطش، [244-ب]ومرة من هذه الحية. فما أقدمك هذه البلاد؟" قال: "قدمت مع أصحاب لي نطلب الفضل في تجارتنا". فقال له الشماس: "وكم ترجو {تصيب}[2] في تجارتك؟" فقال: "رجاء ما أشتري به بعيرا، فإني لا أملك إلا بعيرين، فأملي أن أصيب بعيرا آخر فتكون ثلاثة أبعرة". فقال له الشماس: "أرأيتَ ديةَ أحدكم بينكم كم هي؟" فقال: "مائة من الإبل". قال له الشماس: "إني رجل غريب في هذه البلاد وإنما قدمت أصلي في {كنيسة}[3] بيت المقدس وأسيح في هذه البلاد شهرا جعلت ذلك ذلك نذرا على نفسي، وقد قضيت ذلك وأنا أريد الرجوع لبلدي. فهل لك أن تتبعني إلى بلادي[4]، ولك علي عهد الله ومواثيقه[5] أن أعطيك ديتين، لأن الله أحياني بك مرتين". فقال له عمرو: "وأين بلادك؟" قال: "مصر في مدينة يقال لها الإسكندرية". فقال له: "لم أعرفها ولم أكن دخلتها قط". فقال له الشماس: "لو دخلتها لعلمت أنك لم تدخل قط مثلها". فقال له عمرو: "وتفي لي بما تقول وعليك بذلك العهد والميثاق". فقال له الشماس: "عليَّ عهد الله ومواثيقه أن أفي لك وأردّك إلى أصحابك". فقال له عمرو: "وكم يكون مكثي في ذلك؟" فقال له شهرا: تنطلق معي ذاهبا عشرا، وتمكث عندنا[6] عشرا، وترجع في عشر ولك علي أن أحفظك ذاهبا، وأن أبعث معك من يحفظك راجعا". فقال له عمرو: "انظرني حتى أشاور أصحابي في ذلك". فانطلق عمرو إلى أصحابه فأخبرهم بما عاهده عليه الشماس، وقال لهم: "تقيموا[7] علي حتى أرجع إليكم ولكم علي العهد أن أعطيكم شطر[8] ذلك على أن يصحبني رجل منكم آنس به". فقالوا له: "نعم". وبعثوا معه رجلا منهم، فانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس إلى مصر حتى انتهوا إلى الإسكندرية [ونظر إلى][9] عمارتها[10] وجودة بنائها وكثرة أهلها. فازداد عجبا ووافق

(1) ساقطة من "ف".
(2) ساقطة من "ت".
(3) ساقطة من "ف".
(4) "ف": بلدي.
(5) "ت": ميثاقه.
(6) "ت": عندي.
(7) "ت": أقيموا.
(8) "ف": شكر.
(9) زيادة من "ف".
(10) "ع": و"ت": الإسكندرية وعمارتها.

دخول عمرو الإسكندرية عيدا فيها عظيما يجتمع فيه ملوكهم وأشرافهم ولهم أكرة[1] من ذهب يترامى بها ملوكهم وهم يتلقونها بأكمامهم، وفيما اختبروا من تلك الأكرة على ما وضعها من مضى منهم أن من وقعت الأكرة في كمه واستقرت فيه لم يمت حتى يملكهم. فلما قدم عمرو الإسكندرية أكرمه الشماس الإكرام كله، وكساه ثوب ديباج ألبسه إياه، وجلس عمرو والشماس مع الناس في ذلك المجلس حيث يترامون بالأكرة، وهم يتلقونها بأكمامهم، فرمى بها رجل منهم فأقبلت تهوي حتى وقعت في كم عمرو، فتعجبوا من ذلك وقالوا له: "ما كذبتنا هذه الأكرة قط إلا في هذه المرة، أترى هذا الأعرابي يملكنا؟ هذا ما لا يكون أبدا!"

قلت: قد ملكهم قسرا ودوخهم قهرا في فتح مصر. وإن ذلك الشماس مشى في أهل الإسكندرية وأعلمهم أن عمروا أحياه مرتين، وأنه قد ضمن له ألفي دينار، وسألهم أن يجمعوا له ذلك فيما بينهم، ففعلوا {وجمعوها}[2] ودفعوها إلى عمرو. فانطلق عمرو وصاحبه، وبعث معهم الشماس دليلا ورسولا وزودهما وأكرمهما حتى رجع هو وصاحبه إلى أصحابهما، فبذلك عرف عمرو مدخل مصر ومخرجها، وعلم منها ما رأى وعرف أنها أفضل البلاد وأكثرها مالا. فلما رجع عمرو إلى أصحابه دفع لهم فيما بينهم ألف دينار وأمسك لنفسه ألفا قال عمرو: "وكان ذلك أول مال تأثلتُه".

ومن عجائبها المِسَلْتَان[3]، وهما جبلان قائمتان على سرطانات من نحاس في أركانها، كل ركن سرطان فلو أراد أحد أن يدخل تحتها حتى يعبُرها من جانبها الآخر فعل.

ومن عجائبها عمود الأعياء وهما عمودان ملتقيان[4]، وراء كل عمود منهما جبل حصباء كحصباء الجمار، فمتى أقبل التَّعِبُ[5] النصِبُ بسبع حصيات من

---

(1) قال ابن فارس: [ويقال] كرة، ولا يقال أُكرة، ينظر المزهر، ج: 1، ص: 98.

(2) ساقطة من "ف".

(3) وتسميان مسلتي فرعون، ينظر المواعظ والاعتبار، ج: 1، ص: 289.

(4) في المواعظ والاعتبار، والمحاضرة في أخبار مصر والقاهرة: ملقيان، بدون تاء.

(5) "ت": المتعب.

تلك[1] الحصباء واستلقى على أحدها ثم يرمي وراءه بالسبع حصيات ويقوم ولا يلتفت، ويمضي لطلبته، قام كأنه لم يتعب ولم يحسّ بشيء.

ومن عجائبها القبة الخضراء، وهي أعجب قبة ملبَّسة نحاسا كأنه الذهب الإبريز، لا يُبْليه القِدم، ولا يُخْلِقُه الدهر.

ومن عجائبها منبه عقبة وحصن فارس وكنيسة أسفل الأرض، ثم هي مدينة، على مدينة وليس على وجه الأرض مثلها. ويقال إنها إرم ذات العماد، سميت بذلك لأن عُمَدَها [245- أ] لا يرى مثلها[2] طولا ولا عرضا[3]. انتهى مع بعض حذف وتغيير وتقديم وتأخير.

قلت: وما ذكر في الإسكندرية من الغرائب والأبنية والعجائب، لم يبق بها الآن سوى عمود السواري، وغيره اجتاحه الدهر فأبلاه[4] واستأصله وأفناه[5] ولم يبق لها في الأثر إلا ما يُذكر في الأخبار، والدوام والبقاء لله الواحد القهار.

وممن أضافنا وأحسن مثوانا بالإسكندرية، الأحب الخالص الحاج محمد الناضور المصراتي والشيخ علي المسيري وصنو الحاج محمد الحاج سالم وناس آخرون من أهل المحبة كثر الله خيرهم. وقام بقضاء مآربنا الحاج محمد الناضور جزاه الله خيرا ووقاه ضيرا. وقدّمناه على من بها من المنتسبين إلينا ليرجع أمرُهم إليه سنة المقدمين[6] . فالله تعالى يرشد الجميع ويوفقه آمين.

ثم ظعنا منها يوم الثلاثاء وكنا عزمنا على الرحيل يوم الاثنين. ثم إن مولانا[7] يحيى الإدريسي أصابه مس من مرض فرغب في الإقامة، فأقمنا له يوم الاثنين ثم ارتحلنا صبح الثلاثاء بعد صلاة الصبح، وفاز كل من إربه[8] بالظفر والنجاح، على ما ما هو العادة، والحالة المعتادة، فدخلنا بعد انفصال الركب من منزله وهبت الركاب،

---

(1) "ع": ذلك.
(2) "ف": مثله.
(3) ينظر المواعظ والاعتبار، جك 1، ص: 39.
(4) "ف": وأبلاه.
(5) "ع": نفاه.
(6) "ت": المتقدمين.
(7) "ت": مولاي.
(8) "ع": ربه،والصواب ما أثبتناه.

وتحمل كل بمحمله المدينة لزيارة الإمام أبي بكر الطرطوشي. وجعلنا زيارته آخر العهد بالأسكندرية، راغبين من الله تحصيل الأمنية، مستقبلين مفاوز برقة، مستسهلين بالله رعده وبرقه، وهي مفازة متنائية الأطراف، مَخُوفَة الأكناف، ضاحية الأرجاء، بعيدة الأنحاء، مجهولة المسعى، قليلة المرعى، نقطعها مراحل، ونزيد مثلها مناهل، ونطاول مراحلها بالتجلد فتطول، ونحاول تقصيرها بالسوق العنيف فما تحول. غير أن الاعتماد على الله يذلل كل صعب، ويُسَهل كل حَزن، وينفِّسُ كل كرب. ومررنا بضريح الإمام [ ][1] أحد أشياخ ابن المنير- على ما أخبرنا به أخونا الشيخ علي بن داود- المشيد[2] خارج الأسكندرية بأميال. ومن مزارها غير ما تقدم مشهد سيدي علي البدوي رضي الله عنه ومنها قبر الخزرجي مشهور هناك بنسبته، ولا أدري هل هو صاحب المنظومة في العروض أو غيره، بإزائه قبر الإمام الفاكهاني، ومنها قبر الإمام الشيخ الصالح سيدي عبد الرزاق أجل تلامذة الشيخ أبي مدين رضي الله عنهما وأجل من نشر طريقه بعده، وأخذها الناس عنه، وقدره بين أهل الطريقة معروف.

ومنها قلعة لأبي الحسن الشاذلي [التي][3] كان يأوي إليها هو وأصحابه، وهي قلعة كبيرة في سور البلد الشرقي، فيها بيوت متعددة. ومنها قبر سيدي أحمد المناري، وهو مشهور البركة وسبب تسميته بالمناري على ما قالوا إنه قدم البلد ومعه حمارة له وقال لهم: أين أبيت؟ فأشاروا كالمستهزئين به إلى المنارة، فقال [لهم][4] بسم الله وصعد بحمارته إلى أعلاها، فاجتمع الناس ينظرون متعجبين. وهذا قليل في حق أولياء الله، والله على كل شيء قدير، وهو العليم بحقيقة الأمر.

---

(1) يوجد هذا الفراغ في "ع": و"ت"و"ف" بمقدار كلمة.
(2) "ف": المسير.
(3) زيادة من "ت".
(4) زيادة من "ف".

[حكمة السلطان سليم العثماني لما زار الإسكندرية]

لطيفة: حُكِيَ أن السلطان سليم العثماني لما دخل مصر وجاء إلى الإسكندرية طلع ذات يوم إلى كوم مشرف على البلد، وجاء أهل الأسكندرية وقالوا: يا سلطان إن بلدنا هذا قد استولى عليه الخراب كما ترى فنريد من كمال جودك أن ترحمنا وتصرف نظرك إلى عمران هذا البلد، فإن مكانته من مدائن العالم معروف[1] فعسى، أن يرجع إلى بعض حاله الأول على يدك وسكت[2] عنهم ساعة وهو مطرق، ثم رفع رأسه إليهم وقال لهم: إن هذه البلدة قد نظر إليها الحق وقال لها كوني دِقاًّ[3] وأنا لا أقدر أن أعمر ما أذن الله في خرابه فانصرفوا عنه.

قال أبو سالم: "لقد نظر هذا الملك نظرة عارف، وغاص بفكره الفائق، في دقائق حكمة الله الجارية في مملكته فكأنه نظر إلى ما اشتملت عليه هذه المدينة من المرافق الدنيوية، واكتنفها من أسباب العمران مع توسطها في الممالك الإسلامية، وجمعها بين الأسباب البرية والبحرية، والأجناس البدوية والحضرية فبابها الشرقي متصل بأرياف مصر التي هي مزرعة الدنيا التي لا نظير لها، وبابها الغربي متصل ببادية برقة الفاصل بين بلاد المشرق والمغرب، فلا بادية في الدنيا تدانيه في اتساع الأقطار وتطيب المرعى وصحة الهواء، وبابها البحري مقابل لأرض الروم التي تجلب منها البضائع النفيسة، فإذا كانت بهذه الحيثية [245- ب] فأسباب العمران متوافرة[4] بها فلا موجب لخرابها إلا إرادة الحق. ونظره لها بعين الجلال لتكبّرها واستعلائها على غيرها من البلدان. وحق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه وإذا كان خرابها بكلمة كن من الله فلا مطمع للعبد في عمران ما أراد الله خرابه. ولعمري إن هذا نظر مصيب، وفكر عجيب، ولا عجب في ذلك فإن السلطان سليم رحمه الله كان معروفا بإصابة الرأي وثقابة الذهن وجودة التدبير في المملكة وبه فخمت دولة

---

(1) "ف": معروفة.

(2) "ف": فسكت.

(3) "ف": دكا (وهذا تصرف). دقا: شيئا قليلا، ينظر أساس البلاغة، ص: 137.

(4) "ف": متوفرة.

بني عثمان وهو المستولي على الممالك الشامية والمصرية والحجازية وما والاها من البلاد، وبالجملة فهي من أمهات المدائن المذكورة في الدنيا وهي دار مملكة الديار المصرية قبل الإسلام وبها كان المقوقس الذي كان في زمانه عليه الصلاة والسلام، وناهيك بفخامة {ملك}[1] بانيها الإسكندر وشهرته واستيلائه على المماليك"[2].

وقد ذكر المؤرخون أخباره وأخبار بنائه لهذه المدينة وكيفية بنائها وأنه جعلها: مدينتين إحداهما تحت الأرض، والأخرى فوقها ظاهرة، وأن الماء يجري من النيل أيام فيضه حتى تمتلئ السفلى ويستقي[3] من في العليا من تحتهم، وآثار ذلك باقية إلى اليوم. ونزلنا للاستراحة غربي أم أصغوا، بصاد وغين معجمة. ولما جاءنا الركب ارتحلنا في يمن الله وأمانه، وقلنا غربي قصر رحيم[4]، ونمنا مغتنمين للقيلولة، وهببت[5] من نومي، وقمت ذاهبا لقضاء بعض شأني، وانتعلت[6] نعلي فسرت وأحسست بوجع بظهر أصبعي التي تلي الإبهام من الرجل اليمنى، وظننت أن ذلك من ضيق النعل على أنه لم يكن ضيقا. وقلت لعل شيئا علق بها فنزعتها ونفضتها، ولم أر شيئا ساقطا منها وأعدتها فركبت دابتي سائرا لوجهتي، فإذا بالوجع يتزايد ويتطاول صاعدا لفخدي، وظننت أن ذلك من عدم {إحكام}[7] تسوية البردعة وما عليها من الوطاء، وغيرت هيئتي عليها وركبتها[8] {ركبة}[9] أخرى، ولم يغن عني ذلك شيئا ونزلت لقصد تبديل البغلة بغيرها لكونها أوطأ منها وأسهل {منها}[10] مشية ولم يزل الوجع في تزايد، ولم يأل في تصاعد، {فكسى الجثة}[11] [فكنت أحسه][12] شيئا فشيئا، فعلمت أن ذلك من مس ذات السموم والله يعلم من أيها نوعا فربطت رجلي اليمنى فاسترجعت وحوقلت ووطنت نفسي للتسليم لما يبديه القدر من ذلك

---

(1) ساقطة من "ت".
(2) ينظر ماء الموائد، ج2 ص: 363 .
(3) "ع": يسقي.
(4) "ف": قصر أحيم.
(5) "ت": وهبأت.
(6) "ف": فانتعلت.
(7) ساقطة من "ت".
(8) "ت": فركبتها.
(9) ساقطة من "ت".
(10) ساقطة من "ت".
(11) ساقطة من "ف".
(12) زائدة من "ف".

راضيا عالما بأن الله في طي أقداره أسرارا خفية ومواهب سنية [وألطافا][1] ومننا جلية، جلية، وأنعلت[2] اليسرى، وأما اليمنى فلا تحمل ذلك لما الله به عالم مما حل بها[3] بها[3] من الوجع. وأخبرني بعض أصحابنا أنه لمس وقتئذ نعلها ونظر إليها مستبرئا للحال مستكشفا فإذا بنسج عنكبوت لاصق بما يلاقي منها ظهر القدم، وتذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم:

"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس نعله حتى ينفضه" أو كما قال صلى الله عليه وسلم على ما رواه بعض شراح شمائل {الإمام}[4] الترمذي: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وأراد أن يلبس خفه فإذا بطائر مختطف خفه صلى الله عليه وسلم وعلا به في الجو وأرسله وسقط منه أسود"[5] فقال صلى الله عليه وسلم ما تقدم فليراجع.

فركبت الدابة وسرنا واشتد بي الوجع وبلغنا عين الحنيظل وقد كابدت من ذلك ما الله به عالم ونزلت وقد زالت الشمس. ولما رأى من حضر معنا من أهل الركب ما حل بي نزلوا وخيمّوا تحت كرير، بكاف وراءين بينهما تحتية مثناه ساكنة، وحامل لواء الركب مع الدليلين تقدموا أمام الركب لدار العادة ولما استبطأوا الركب أشرفوا على شرف وتشوفوا نحوه فإذا بالأخبية تلوح لهم وقد بنيت فأوجسوا في أنفسهم خيفة وكرّوا راجعين. ولما تم بناء خيمتنا ركبت من عين الحنيظل مريدا الخباء في حالة نسأل الله أن يضاعف بها الأجر ويكفر الوزر، وهال ذلك جميع أهل الركب عموما وخصوصا، وسعَوْا لى بكل[6] شيء يقال إنه الأنفع. ثم ذكر من له الخبرة بذلك من من الأعراب أن نغتسل بماء البحر وأدخل في مسلاخ شاة على فور ما يسلخ [ففعلت ذلك][7]، وازداد الوجع بي أكثر مما كان، ولم أتمالك أن نزعت الجلد المذكور المذكور عني قهرا، واستعملت ما قيل إنه ينفع من ذوات السموم مما حضرنا في ذلك

(1) زائدة من "ف".
(2) "ف": وانتعلت.
(3) "ع": به.
(4) ساقطة من "ف".
(5) ذكره الطبراني في المعجم الكبير ج 8 ص:137 رقم الحديث: 7620. وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة. المجلد الخامس رقم الحديث 2440، بلفظ خفيه بدل نعله، وقال: ضعيف.
(6) "ت": في كل.
(7) زائدة من"ف".

الوقت، من نبات الأرض وبذرها و{القرن}[1]، وقوفا مع الحكمة الربانية التي [246- أ] أودعها الأسباب، علما أن الشفاء بيد مسببها دون ما ارتياب، وضقت ذرعا من ذلك لولا ما أشاهد من الألطاف هنالك، وبت في ليلة نابغيّة[2]: (الطويل)

{فبِتُّ}[3] كَأَنِّي سَاوَرَتْنِي ضَئِيلَةٌ — مِنَ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعُ

يسَهَّدُ[4] مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ سَلِيمُهَا — لِحلْيِ النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعُ

تَنَاذَرَهَا[5] الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سُمِّهَا — تُطَلِّقُهُ طَوْراً وَطَوْراً تُرَاجِعُ

أتكلف القيء وأتعاطى أسبابه، وذللت صعبه، واستسهلت ارتكابه، وظننت أني أعالج سكرات الموت، وأن قد أُبرِدَ إليَّ بريد الفوت، ولم اكتحل تلك الليلة بنوم، ولا عالجته بسوم، وحين أصبحت خف عني الأمر بعض[6] خفة، فانكسرت شدته، وضعفت سورته، فزال عن قلبي ما اكتساه من الضيقة والأوجاع سوى ذلك على ما هو[7] عليه، وإذا قمت إلى الصلاة ارتعدت فرائصي[8] ومفاصلي، فانهدّت أعمدة بدني ومحاملي[9] فأقمنا يوم الأربعاء ووجدت الراحة والمنة لله، فخرجت لصلاة الظهر إدخالا للسرور على إخواننا الحجاج والجمالين وجميع أهل المحبة من المصاحبين، ووجدت[10] لذلك بركة أي بركة، فظهر لي ذلك في السكون والحركة، فخرجت كذلك لصلاة العصر وباقي الصلوات، وأنزل الله علي تلك الليلة أمنة نعاسا فنمت، وسكنت واطمأننت إلا أن الطعام لا أقدر على إساغته لما يثير في جوفي فإذا حل فيه فكأنما شعلة نار حلت فيه. فارتحلنا يوم الخميس ومررنا[11] بدار التونسي بالزلفى شروق الشمس وكنا خلفناه وراءنا بالإسكندرية وخرج بعدنا ومر بنا في إقامتنا بموضع

---

(1) ساقطة من "ت".
(2) تنظر هذه الأبيات في ديوان النابغة الذبياني، ص: 164 ،وكتاب "الشعر والشعراء في العمدة" ص: 264 .
(3) ساقطة من "ع".
(4) "ع": يشهد.
(5) "ف": تنادرها.
(6) "ف": بعد.
(7) "ع": هي.
(8) "ع": فرائسي.
(9) "ع": محائلي.
(10) "ت": ووجدنا.
(11) "ع": ونزلنا.

كرير ولم ينـزل للزلفـى وجاوزناهـا بقليـل، ونزلـت للاسـتراحة، ولمـا تلاحـق الركـب وجاوز[1] ركبنا {و}[2] سرنا، ووجدنا أخريات الركب التونسي ببوصير، ووجدنا أمير أمير ركبهم مع جماعة منهم مستظلين بسور القصر المذكور. ونزلنا هنالك للاستظلال وساروا وبتنا بالبردان وازان الغفران قرب العصر. بئر واحدة على شاطئ البحر، ماؤها لا بأس به، وسقى الناس واستقوا.

ثم ارتحلنا وبتنا بمعطن الشمامة نزلناه بعيد الزوال، وأخذ الناس منه ما يكفيهم من الماء إلى جهيمة[3] وماؤه ملح أجاج زعاف يصلح للجمال، دون الرجال، الآبار به لا بأس بها. ووجدنا هنالك التونسي وتاه منهم بعض أصحابهم تقدموا للمعطن وأضلوه وبعثوا الطلب في أثرهم ووجدوهم ليلا.

ثم ارتحلنا معهم وبتنا فوق أبي الدرج وتجاوز التونسي.

ثم ظعنا منه ونزلنا جهينة[4] بوزن كريمة بين الظهرين، وماؤه مختلف منه[5] آبار لا بأس بها وأخرى ماؤها زعاف، واستقى[6] أصحابنا بسانية لقوها[7] ماؤها عذب. ثم ظعنا ونزلنا تحت العقبة الصغرى بعد العصر.

ثم ظعنا ومررنا ضحى بجبّ فيه ماء، ولم يكترث الناس به لقربهم من المعطن، واسترحنا قربه وملأنا منه إداوة لنا وسرنا ونزلنا معطن المدار[8] بعد الزوال بنحو خمسة خمسة أدراج، ووجدنا التونسيين به وقد خيموا، واستقى الناس وسقوا[9] أجمالهم[10]، وقد أظمأوها قصدا، ولم تشرب من الشمامة إلى هنا تركوها المدة ليشتد ظمؤها، فتكثر من شرب الماء من هذا المعطن لمفازة أمامها وكذلك يفعلون، وكنا أزمعنا له السير ببغالنا واستظللنا بموضع حتى صلينا الظهر، وبنيت الأخبية، واشترينا أغناما

---

(1) "ع": و"ف": جاز.
(2) ساقطة من "ت".
(3) "ت": جميمة.
(4) "ت": جميمة.
(5) "ف": فيه.
(6) "ت": وسقى.
(7) "ت": نقوها.
(8) "ع": بعطن المدا.
(9) "ع": واستقوا.
(10) "ت": جمالهم.

هنالك من أعراب سوقوا[1] بها الركب، ثم مللنا المنزل ركبنا للمبيت، واستقى الناس ما يكفيهم من الماء بجرجوب ثلاث مراحل، ركبنا والتونسي سواء.

ثم ظعنا مشتدين[2]، ونزلنا عين أبي كدوة عين على سفح الجرف، ماؤه مالح إلا أنه بارد تشربه الدواب ومن به العطش من الناس ولم يجدوا[3] غيره. وصلينا به الظهر واسترحنا في ظل بارد وهواء[4] طيب، ولم يمر بنا الركب حتى صلينا العصر هنالك، وكان ركبنا انفصل من التونسي قبل الظهر، حيث افترقت الطرق مروا مع البحر ومررنا ببسيط برقة ذات اليسار مستسهلين، ونزلنا رأس وادي خير[5] قبيل الاصفرار، ووجدنا هنالك سرحا للأعراب، ولم يشتر منهم الحاج [246- ب] شيئا فيما علمت.

ثم ظعنا منه ومررنا إسفارا بخيامهم وبلغنا أبا حلاق فنزلنا عنده، ووجدنا ماء يجب بإزائه. وزعموا أنه لا يخلو من ماء في كل وقت، وإن نزحته الأعراب[6] بجم[7] وسقيناه دوابنا وصلينا الظهر، وكتبنا كتابا بعثناه لأصحابنا بدرنة ليتلقوا الحاج بالميرة، كما كان ذلك دأب الأركاب معهم ذهابا وإيابا خلفا[8] عن سلف. وسرنا بعد ما سار الركب، ونزلنا شرقي حلا زين غربيّ بئر الأملز.

ثم ظعنا منه ومررنا بالآبار السبعة، ووجدنا بها ماء وسقينا بهائمنا وقربنا بها، ونزلنا عندها للاستراحة، وكان ذلك ضحى، وتسارع الجمالون لجرجوب[9] لتنقية آبار. وسرنا إلى قرب الزوال ونزلنا موضعا يسمى القبور ووجدنا جبّا به ماء وتناول منه من أراده، وصلينا {به}[10] الظهر وسرنا ونزلنا جرجوب يوم الجمعة لخمس عشرة [ليلة][11] خلت من ربيع الثاني والثاني يونيه قرب العصر، وما جمعتنا دار مع

(1) "ف": سوقوها للركب.
(2) "ف": مشدبين.
(3) "ف": ولم يجد.
(4) "ت": هوى.
(5) "ف": وادي خيبر.
(6) "ت": العرب.
(7) "ف": يحم.
(8) "ع": خلف.
(9) "ف": لحرجوب؟.
(10) ساقطة من "ف".
(11) زائدة من "ف".

التونسي في هذه المنازل المذكورة آنفا إلى هنا، وكان أخذ ذات اليمين على سيف البحر كما تقدم، ووجدنا به مركبا للنصارى، وتراموا مع أوّليّات الركب السابقة لتنقية الآبار، وبات بتلك المرسى. ولما نزل التونسي أقلعوا وساروا مشرقين، فكرّوا مغربين على ما قيل. وأقمنا به يوم السبت مسا عفة للجمّالين لما رغبوا في ذلك، وألحوا إراحة للإبل ولتعاهدهم ما عسى أن يحل بها من الدبَر والعرج والفدع، فيصلحون من شأنها، وصحبت الركب غُنَيْمَةٌ لبعض أعراب سوّقوا بها [الركب][1]، ثم إن بعض أصحابنا حدثوا[2] أن النصارى رجعوا وأَرْسَوْا لمحلهم ليسقوا الماء ليلا فانتدب لهم جماعة من أصحابنا وكمنوا لهم بكامن هنالك ولم يجدوا لهم الأثر[3]، وتبين كذب الخبر، ورجعوا بالأجر والسلامة، وعلى الكاذب الملامة.

ثم ظعنا منه يوم الأحد، ومررنا على الشماس ونزلنا عنده وبه بئر مالحة أجاج، وأخرى عذب فرات، [وركن][4] به ردم من تراب ورمل لم ينق، زعم أهل الخبرة بها أنها حلوة، وسقى من مر بها من أهل الركب دوابهم فسرنا[5] ونزلنا شرقي علم الجلود قرب الزوال وصلينا به، وسرنا وصلينا العصر بين العكازة الشرقية[6] وراعي الصفراء في في بسيط أفيح، وانتظرنا هنالك الركب وجاء فتجاوز ونزلنا قرب الاصفرار تجاه راعي الصفراء وبتنا بحرية، ولما وصلنا المغرب وأخذ الطلبة في قراءة الحزب، واجتمع عليه جماعة[7] وافرة رغبة في حضور الختمة ورجاء بركتها، فإذا بصارخ يصرخ من رعاة الإبل الإبل في السرح ونقر الطبل، وخرج الناس من كل ناحية أفواجا خوفا من عتاة[8] الأعراب أن تَغِير على إبل الركب في السرح، ولم يشكوا في ذلك كما أخبروا به من أن بعض الدّعّار[9] تهيأ لذلك، فأخذ الناس حذرهم وتأهبوا أهبتهم، فإذا بالعافية والسلامة أمامهم، والصارخ صرخ متوهما لا متيقنا. نسأل الله أن يكفينا وجماعتنا[10]،

---

(1) زائدة من "ف".

(2) "ف": حدّث.

(3) "ح1": أثر.

(4) في "ت": بياض عوض هذه الكلمة.

(5) "ت": وسرنا.

(6) "ف": العكارة.

(7) "ع": جملة.

(8) "ع": عتاب.

(9) "ت": الدغار.

(10) "ت": وجماعة المسلمين.

شر الظالمين، وأن يحفظنا ويرعانا، ويكلأنا ويتولانا، أبدا الآبدين إنه وليّ ذلك: (المتقارب)

كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ فِيمَا مَضَى كَذَلِكَ يُحْسِنُ فيمَا بَقِي

ثم ارتحلنا منه ونزلنا علوة الخيشومة فانتظرنا الركب، وحان وقت صلاة الظهر، وصلينا وجاء الركب.

نكتة: وتسمية هذا الموضع بهذه التسمية قول أبداوة، وقال بعضهم من أقارب الأول إنه هو الزهيري، وكذلك غير هذا من الأمكنة والمراحل إنما اعتمدنا في أساميها[1] عليهم، وعهدة ذلك عليهم لكونهم أهل البلد، سوى الأمكنة المشهورة. وركبنا ونزلنا شرقي الخور، وصلينا العصر وانتظرنا الركب، ولاحت لنا أخريات الركب التونسي وكان قد تقدم. وجاء الركب فسرنا ونزلنا رقبة الخراريب قبيل الاصفرار وهي المجاورة للخور، ثم ظعنا منه ونزلنا الإفطار قرب عند غدير هديلة[2]، ولما فات الركب ركبنا فسرنا، ونزلنا معطن المقرب قبل الزوال بثلاثين درجة، يوم الثلاثاء لتسع عشرة خلت من ربيع الثاني وست من يونيه، وتلاحق الركب ونزل آخره وقد زالت الشمس بنحو أربع عشرة درجة. ووجدنا التونسي نزل أمامنا، وسوقت الأعراب الحاج بأربعة أجمال تمرا وحماريْن من تمر سِوى، وبيع بكلب لقفتين.

{**تنبيه**}[3]: وتمر هذا البلد أحسن تمر رأيناه في البلاد المشرقية حلاوة [247-أ] ونقاوة وكبرا. يشابه تمر بلادنا وليس به، يحملونه في قفاف صغار من سعف النخل، تسع كل واحدة أزيد من ربع القنطار، ويبيعونها كذلك بأوعيتها. وأخبرونا أنها لا تباع في بلادها إلا كذلك، فمشتريها لا يحتاج إلى حبل للشد[4] ولا غرائر للحمل بل {يشتري}[5] حاجته منها فيعلقها على بعيره، فمن الإبل من يحمل العشرين فما دون.

---

(1) "ف": أسمائها.
(2) "ف": مديلة.
(3) ساقطة من "ت".
(4) "ف": السد.
(5) ساقطة من "ف".

وتاه من أصحابنا ثلاثة غلبتهم أعينهم ولم يدروا أين توجه الركب، ولما أصبحنا ولم يظهر لهم أثر جاعلنا رجلا من الفواخر بأربعة كلاب أن يذهب إليهم فيهديهم السبيل، فيأتي بهم وهم من أهل مدينة مراكش ديارا، ومختلفون نجارا، فأحدهم من الرحامنة والآخر أندلسي والآخر فاسي.

ثم ظعنا منه بعد صلاة الصبح والتونسي قبل ذلك، وأخذ للعقبة الكبرى طريق بنت الأبيض المعتادة للركب إلا أنها لا تخلو من صعوبة[1] ما، فملنا نحن ذات اليسرى بطريق العُرَيْقِيب لكونها أيسر وأسهل من طريق بنت الأبيض إلا أنها لا تخلو من طول ما، ووصلنا أسفلها ضحى، ونزلنا منتظرين إتيان الركب وإراحة دوابنا فنتكل من عليه التكلان، وهو المستعان. فجاء الركب فعَلَوْناها أيسر وأسهل وما أحد نزل على دابّته إلا اختيارا ونزلنا متجاوزين بمقدار ميلين تقريبا. وصعد الركب في أسهل حال وأيمنه، وأيسر[2] طريق وأحسنه، فسرنا وحان وقت صلاة الظُّهر فصليناها {بالظَّهر}[3] غرب السويات فانمحت السيئات، فضلا من خالق البريّات، ولم يأت الركب إلا والعصر حان وقته، ولم يان فوته، فأدينا فرضه، فسرنا ونزلنا بين السويات ووشكة[4] الطائش قبيل الاصفرار فبتنا. وذكر آخرون أن الموضع المذكور يسمى رؤوس الطرق.

ثم ظعنا منه وقلنا[5] ظهيرة[6] عزيز وصلينا به الظهر. ومررنا بين الظهرين بقبر معظم عند عرب تلك النواحي يسمى صاحبه الشيخ عزيز، من فقراء سملس تخافه الأعراب وتهابه مع شدة جرأتهم وعتوهم. ووجدنا بإزاء قبره أحمالا من صوف مخزونة لا يقربها أحد. ووصلنا الخشيبة[7] قبيل وقت العصر: موضع به حبوب. ونزلنا عند أحدها، ووجدنا به بقية من ماء المطر قد تغيرت من تناول التونسيين أمامنا، وسقى من سبق إليه من أصحابنا بهائمه، وسقينا بهائمنا، وتم الماء ولم يبق إلا أثرُه ووحلُه.

---

(1) "ف": صعوبتها.
(2) "ف": وأبرك.
(3) ساقطة من "ف".
(4) "ف": ووكشة .
(5) "ح1": وقيلنا.
(6) "ف": بظهيره.
(7) "ف": الخشبة.

وصلينا العصر هنالك وسرنا ومررنا بخيام ركب التونسيين مخيمة عند الخشيبة[1] وتركناها وتجاوزنا ونزلنا طَفَلَ العَشِيّ بين قصر التراب والخوير، ونزل آخر الركب مع الغروب. ووجدنا أصحابنا التائهين قبيل معطن مقرب مع التونسي، ذكروا أنهم تقدموا أمام الركب ثم إنه مال عنهم للمعطن وضُرِب على آذانهم فلما أفاقوا ولم يدروا أين توجه الركب، وخافوا أن يقتطعوا دونه، كمنوا الليل[2]، وساروا للعقبة منتظرين الركب على طريق بنت الأبيض المعتادة ظانين أنه يمر هنالك، ولحق بهم التونسي وساروا معه حتى لحقناهم هنا. وقامت سوق بين الحاج[3] والأعراب من تمر سوى والسمن والشياه، واشترى كل من أراد شيئا بثمن بخس.

ثم ظعنا منه وانحدرنا ضحى في سقيفة الاغرابات من سقائف البطنان ونزلنا معطن دفنة بعيد الزوال بسبع درجات يوم الجمعة لثمان بقين من ربيع الثاني وتسع خلون من يونيه. وخيمت الناس، وقامت سوق فيها من كل شيء مما في البادية من الشعير والتمر والإبل. ونال كل حاجته مما يبتغيه من ذلك وباعت الحجاج خلقان الثياب واجتمعت بها قبائل الأعراب، وبيع التمر بأربع[4] قفف لكلب.

ثم ظعنا منه ونزلنا بأول ظهير فيال قبل زوال الشمس بخمس عشرة درجة ثم صلينا الظهر ولم يأت الركب إلا بعد الزوال بسبع وثلاثين درجة. وسار الركب وسرنا وصلينا العصر بظهير فيال وانتظرنا الركب وتقدمنا شيئا ونزلنا طفلا بأخريات ظهير فيال الغربية، ولم ينزل آخر الركب إلا مع الغروب.

ثم ظعنا منه وصلينا الظهر بإزاء السبع الشجرات[5]. وصلينا العصر على جب فيه بعض ماء، ثم تقدمنا شيئا [ونزلنا شرقي المدور بعيد العصر. وهو مكان فيه فآجل للماء قلما تخلو منه إلا في السنة][6] المجدبة[7] وفيه مزارع وربما مر الحاج بها وفيها زرع كأجود ما يكون. وبعثنا بغالنا مع الدليل عبد الحفيظ ليردن[8] بالمدور

(1) "ف": الخشبة.
(2) "ف": بالليل.
(3) "ت": و.
(4) "ف": أربع.
(5) "ف": شجرات.
(6) ما بين المعقوفتين مطموس في "ع".
(7) "ف": المجذبة.
(8) "ف": ليردنا.

[247- ب] ورجعت والشمس مائلة للغروب. وتقدم أصحابنا معه له بعد صلاة الصبح لسقي بعض القرب لنا، وسقوا ثماني[1] وتعرضوا بها للركب.

ثم ظعنا منه وقلنا[2] السد[3]، ولم نزل به حتى زالت الشمس. وورد علينا به أربعة من أهل درنة على خيولهم مستغيثين بالوعر العلوي مع قبائله، على من أراد أن يغلبهم على بلدهم[4] من الأتراك ومن أعانهم على ذلك من أعراب تلك النواحي أمنهم الله وسكن روعتهم وأغناهم بالسهل عن الوعر، وصلينا الظهر، وأخبرونا أن أهل درنة لاقوا الحاج بشيء قليل من الزاد لا يكفيهم، ولأجلهم وارتحلنا وبتنا غربي أبي حسنة، وأراد بعض أصحابنا أن يتقدم للتميمي ليلا ليأخذ من المأتي بها من الميرة نصيبا[5] خوفا من استبداد غيرهم بذلك دونهم، ثم بدالهم الترك لذلك {اتكالا}[6] على[7] قسمة أزلية، وما كان لك لم يكن لغيرك وما كان لغيرك لم يكن لك. وما قُدّر لما ضِغَيْكَ أن يمضغاه مضغاه لا محالة، ففيم الطيش والجزع والفزع والهلع، والسرعة والعجل ولله در القائل: (البسيط)

لاَ تَعْجَلَنَّ فَلَيْسَ الرِّزْقُ بِالْعَجَلِ	الرِّزْقُ فِي اللَّوْحِ مَكْتُوبٌ مَعَ الأَجَلِ
فَلَوْ صَبِرْنَا لَكَانَ الرِّزْقُ يَطْلُبُنَا	لَكِنَّهُ خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلِ

فاستحسنت ذلك منهم، ولولا ما جبل عليه الإنسان من السخط لرددتهم أولا بلا شطط، والله تعالى يوسع الجميع فضلا وطولا وأتى الله عند أولئك النفر الأربعة بقثاء كقثّاء بلدنا المسمى بالعنان الملتوي طولا.

ثم ظعنا [منه][8]، وأضحينا بعد أن تجاوزنا السبخة التي بإزاء عين الغزالة، وهي وهي عين ماء فيها ملوحة تسح من سفح جبل، وتصب في بحيرة كبيرة تحتها من بحر المالح يحق بها القصب والعريش وأنواع النبت المائي، يوجد حولها صيد كثير عند خلو

(1) "ع": ثمانيا.
(2) "ع": وقيلنا.
(3) "ح1": مطموسة.
(4) "ت": بلادهم.
(5) "ت"و"ع": نصيب.
(6) ساقطة من "ف".
(7) "ف": إلا على.
(8) زائدة من "ح1".

البلد من كثرة المارة، وجاء الركب وسرنا وقيّلنا[1] بِفَدْفَدَ واسع وبقي للزوال نحو خمس عشرة[2] درجة، وبقينا هنالك حتى صلينا الظهر.

وسرنا ونزلنا التميميّ قبيل العصر يوم الثلاثاء لأربع بَقَيْنَ من ربيع الثاني وثلاثة عشر[3] خلت من يونيه. وتعرض لنا هنالك جائيا لملاقاتنا[4] الأخ الأود الحاج عبد الواحد بن غلبون، وطلبة درنة كسيدي عبد الكريم والحاج ساسي [ووالده][5] وولده وجماعة من أعيانهم، وساروا معنا إلى محل نزول الركب ومخيمه غربي السانية التي هنالك. ونزلنا في سطح أفيح مستحجر لا تكاد الأخبية تقف به إلا بأحجار، مثقل بها أحبالها من صلابة الأرض، وأما الأوتاد فقلما تدخل. وجاءوا بملاقاة[6] قليلة وتوزعها الحاج كل وما قسم له. ولاقانا الحاج سيدي إبراهيم بشيء من [قثاء][7] وخبز ومشمش، وكان معنا حاجا ولاقاه[8] إخوته بذلك لكونه من درنة وإمامهم، وتوادع معنا والتحق بأهله. وأتانا الأخ الحاج عبد الواحد المذكور ببعض ما كتبنا له به من الشعير والدقيق بثمانية عشر كلبا شراء وكراء، لافتتان أهل البلد مع أعرابهم، وإفسادهم زرعهم واستيلاء الرعب عليهم، وأتوا خفية ليلا ليجاوزوا محل الخوف في ظلام الليل، وماج الناس في أمرهم لما لم يكفهم ما أتى به أولائك، هل يذهبون لدرنة ثم رجعوا عن ذلك وعوّلوا على المسير على طريق الجبل، على أن يلاقوا من أعراب تلك الناحية ما يحتاجون من الميرة.

وأقمنا به يوما، وأتى الله من عندهم بقثاء وشيء من الشهد والسمن والمشمش[9]، {و}[10] أُتِيَ من عند سيدي {عبد الواحد بعسل وسمن وقثاء ومشمش، و{عند}[11] من سيدي عبد الكريم بعكة عسلا، وأخذها أخونا

---

(1) "ف": وقلنا.
(2) "ف": خمسة عشر درجة.
(3) "ف": وثلاث عشرة.
(4) "ف": لملاقاة.
(5) زائدة من "ت".
(6) "ت": بملاقات.
(7) مطموسة في "ع".
(8) "ح2": ولا قوه.
(9) "ح2": ومشمش.
(10) ساقطة من "ت".
(11) ساقطة من "ت".

سيدي}[1] أحمد بن محمد الهشتوكي، فبلغت محلها، فالله يتقبل من الجميع. واشترى الناس منهم السمن والعسل، وأما الشعير والدقيق فأقل من القليل على خلاف العادة من أهل درنة مع الحاج لما حل بهم من الفتنة، وذلك أن عامل درنة عتا[2] وتَجَبَّرَ، تعدّى وتسيطر، وأخذ من أموالهم وتحكّم فيهم من غير مبالاة[3] بأحد، ثم توغل في الظلم للأعراب وبالغ الغاية فاسترضوه ولم يرض، وأتت طائفة من الأتراك، مع عصمان المعزول قبل هذه المدة عن[4] [طرابلس مع نحو مائتي رجل من الأتراك أراد أن يغصبه أمره ويعزله عن عمالته بدرنة، وأتى معه بكتاب تَقَوَّلَهُ وافتعَله][5] عن السلطان، ودعته لذلك تلك الأعراب بغضا في عامل درنة ونكاية له لِماَ كان يفعل بهم، وأجمعوا على ذلك وخرج عامل [248- أ] درنة إليهم وغزاهم ونصرهم الله عليه، وقتلوا منه نحوا من ستين رجلا، وكذلك أهل درنة قتلوا من الأعراب نحوا من ذلك، ومات من أعيان الأعراب وفرسانها نحو من ثمانية، فقامت الحرب بينهم على ساق، وإلى الله المساق.

وبعد ارتفاع النهار جاءت[6] جماعة بطائفة من الشعير للركب لقصد البيع زيادة زيادة على ما تقدم، تحملها بقيرات[7] وبعضُ أجمال، فسدّ الله بذلك بعض الخلَّة، وأبرد به بعض الغلة، واشترى من ذلك من أراده.

تنبيه: ودرنة هذه قاعدة الجبل الأخضر، مدينة على شاطئ البحر بينها وبين خانية مسيرة يوم في البحر. ودرنة مدينة كبيرة فيها كثرة المياه والجنات والفواكه والأعناب، وفيها لسواني ذات أنواع من الثمار، بها أسواق وفنادق، وأمر المعاش فيها سهل، والعمارة فيها {كثيرة}[8] أخبرني من أثق به عام عشرة أن بها من أهل مصراتة مصراتة خاصة ثمانمائة رام ببنادقهم سوى ما فيها من غيرهم.

---

(1) ساقطة من "ت".
(2) "ع": عتى.
(3) "ع": مبالة.
(4) "ت": من.
(5) ما بين المعقوفتين مطموسة في "ع".
(6) "ت": أتت.
(7) "ف": بعيرات.
(8) ساقطة من "ف".

ولم تكن قبل بها العمارة، وإنما أُحْدِثَتْ في حدود الأربعين وألف، بناها الأندلس لما خرجوا من جزيرتهم وخرجوا في ذلك المكان وأعجبهم وآنقهم وفجروا فيه أنهارا، وغرسوا أشجارا، وحفروا سواني وبنوا وسكنوا {وأسكنوا}[1] واستقلوا بأنفسهم، ولم يكونوا تحت حكم أحد، ثم إنهم طغوا واشتغلوا بالفساد ومدّوا أيديهم إلى عمالة أهل طرابلس في زمان عثمان باشا، وغاظ ذلك أهل طرابلس، ووجهوا لهم عسكرا وتقاتلوا معهم وأخذوهم، وقتلوا من قتلوا ونفوا من نفوا ولم يبق منهم إلا أقل القليل. واستولى أهل طرابلس على البلد فهي تحت أيديهم إلى الآن.

رجوع وانعطاف: لما تأهب الحاج من أهل درنة بما قدر لهم من الميرة، أخذوا يملأون قربهم وأخذوا ماء الوادي العذب الفرات ما يقوم بهم ويكفيهم لمعطن جردبين مفازة، مسافتها أربعة أيام وكسر يحفرون في بطن الوادي فينبع أطيب وأحلى كماء السماء، ما رأينا مثله عذوبة من نيل مصر وأما السانية التي بإزاء الركب ففي مائها ملوحة تصلح للإبل والداوب، واستعملها الناس لذلك. وبشاطئ البحر عينكعين الغزالة تردها الإبل. وبالغ الناس في ملء قربهم ما غادروا قِرْبَة يملكون السبيل عليها إلا ملأوها[2] لما اسْتُقْبِلُوا من هذه المفازة الصعبة زعموا أن ليس في مفاوز برقة من مصر إلى طرابلس أصعب منها وأشد مهلكة [و][3] معطشة تيبس من حرارة عطشها عطشها من الرجال والجمال والأكباد، وتكل فيها وتنقض[4] من الآبال[5] الأكتاد[6]، الأكتاد[6]، إلا إن أعان المعين بمَعُونَتِه، وأطلق عزالى السماء بطوْله ومنته.

[8] ثنتين] في[ثم ظعنا منه يوم الخميس، وكسا[7] شأن المفازة المرؤوس والرئيس ثنتين بقيتا[9] من ربيع الثاني، وخمس عشرة خلت من يونيه متوكلين على رب البريّات، مستعينين بالرافع من غير عمود[10] السماوات، وصلينا العصر بالجرارة،

---

(1) ساقطة من "ف".
(2) ملؤوها.
(3) زيادة من "ف".
(4) "ت": تنقص.
(5) "ف": الإبل. الآبال: لغة في الإبل.
(6) أي الأكتاف.
(7) "ت": كسى.
(8) زائدة في "ت".
(9) "ع": بقيت.
(10) "ت": عند.

ونزلنا بعد[1] العصر بشرقي الغريات[2] ثم أصبحنا وارتحلنا منه والقلوب من رعب العطش تتفطر، وفي الأسباب المذهبة له تتفكر، فذهب أصحابنا لناحية غدير أبي هندة[3] يسعَوْن[4] مع جماعة من الحجاج بقربهم، وتعرض لهم جبٌ به ماء بطريقهم وملأوا منه ما قدر لهم فرجعوا ولم يصلوا للغدير[5] وصلينا الظهر بالمخيليف، وتسابق الناس لجبابه، إذ طرق أسماعهم من بعض أن بها ماء وأنه قريب العهد بها ولم يجدوا شيئا ووجدوا الله عنده وفيه الكفاية. ونزلنا قبيل الاصفرار بينه وبين وادي الخفسة.

ثم ظعنا منه وأضحينا[6] بعد أن[7] جاوزنا وادي الخفسة، وتسابق الناس يحملون يحملون قربهم على أكتادهم[8] مع الدليل الجابوصي جاء به الله[9] يأملون الماء بغدير بغدير التراب إذْ أخبروا أنه به، والله المسؤول أن يكمل أمنيتهم آمين آمين.

ثم أخذ الطلق مملوكتنا آمنة بنت سعيد زوج سالم بن بركة، فأتت بولد ذكر بوادي الخفسة ضحوة يوم السبت سلخ ربيع الثاني لثلاث عشرة بقيت من يونيه، وسميناه على اسم ولي الله حقا، والقائم بخدمته صدقا، أبي الفيض ذا النون رضي الله عنه تفاؤلا أن يزيح[10] الله ما بالركب من فيضه السابغ[11]، وطوله الواسع.

وسرنا وصلينا العصر وادي الحمامة، فإذا بأصحابنا المتوجهين لغدير التراب بعثوا للإبل تذهب إليهم، يحملون عليها القرب التي ذهبوا بها وبُعِثَتْ لهم والحمد لله أولا وآخرا: (المتقارب)

كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ فِيمَا مَضَى   كَذَلِكَ يُحْسِنُ فِيمَا بَقِيَ

---

(1) "ت": بعيد.
(2) "ت": الغرفات.
(3) "ف": أبي هندي.
(4) "ف": يسقون.
(5) "ت": الغدير.
(6) "ف": وأصبحنا.
(7) "ف": وقد.
(8) "ع": اعتيادهم.
(9) "ع"و"ت": داعبه الله الجابوصي.
(10) "ت": يريح.
(11) "ت": السابغ.

وتركنا طريق السروال ونكبناها، وجانب الهجران أوليناها، وطريق جردس [248- ب] تدرعنا، وغصص المشاق به تجرعنا، كما عولنا على ذلك لكون[1] الوقت دعا إليه مع اهتمام الناس بما يكابدونه وجرت به العادة بجردس من المزاحمة، والمضايقة والملاكمة، لقلة مائه إنما يبصّ بصا ويرشح رشحانا لا يخلو الناس معه من مشاجرة ومخاصمة، ومدافعة ومشاتمة، قلما نجد إنسانا يملك مع ذلك نفسه، أو أنيسا يتحلى أنسه، إلا الأثبات من الناس، والأفراد من الأكياس، وقليل ما هم، نسأل الله العظيم بنبيه الكريم عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم، أن يكفينا مؤونة ذلك، وأن يغنينا عن تلك المسالك، وأن يوردنا أغزر الموارد، رحب[2] الزوايا ومجمع[3] ومجمع[3] المحامد، بمنه وطَوْله، ويمنه وفضله، إنه ولي ذلك، والمالك أزمّة ما هنالك.

وبتنا شرقي غوط الدروة قبيل الاصفرار، واستهل جمادى الأولى نسأله تعالى أن يهله علينا بيمن[4] وأمان وعافية ومعافاة وأن يرزقنا خيره، وأن يقينا ضيره، ولما اطمأن اطمأن بالناس المنزل والدار، واستقر بهم القرار، وأجمعوا أمرهم على أن يبعثوا {من الأدلة}[5] والأعوان من يستخبر لهم ما عُلِم بتلك النواحي لمسك[6] الري [من][7] الغدران علّ الله تعالى أن يوقفهم على ما يغنيهم عن[8] جردس، ومزاحمة الركب التونسي {به}[9] على الماء، فإن الله تعالى يفعل ما يشاء. فانتدب لذلك جماعة شكر الله سعيَهم، وأنجح رأيهم، وتولى أمرهم، وفك أسرهم، قبيل أذان الصبح، فذهبوا أكمل الله لهم المرغوب، {وييسر لهم المطلوب}[10] .

ثم ظعنا منه بعد صلاة الصبح، وفاز كل مصل بها بجائزة الأجر والربح، فباء الشيطان لذلك بالخيبة والقبح، وأضحينا بأوائل غوط الذروة، وافترش كل فروة، ولما

---

(1) "ف": لوقت.
(2) "ف": وحب.
(3) "ف": وتجمع.
(4) "ت": بأمن.
(5) ساقطة من "ع".
(6) "ف": لمسلك.
(7) زائدة من "ح1".
(8) "ت": من.
(9) ساقطة من "ف".
(10) ساقطة من "ع".

استرحنا[1] وتجاوز الركب مشرئبين[2] نحو الذاهبين لطلب الماء بأعين ناظرة، وآذان سامعة واعية، وقلوب حاضرة. {وسرنا}[3] فإذا بالناس يهرعون ذات اليسار، وإذا بفارسين تعدو بهما فرساهما، ترفعان[4] بهما شأوا وشأوا بالتسيار، وأخبرانا أن بالشبيكة غدرانا تكفي وتغني، وتسع الركب ريّا وتُقْنِي[5] فملنا اتجاهَها وولينا طريق جردس ظهر الهجران، وأولينا النعمة صريح الشكران، وجئناها وقد قام قائم الظهيرة، ونزلنا عند أكبرها، وأوسعها وأغرزها وأفسحها، ورجع دليلنا عبد الحفيظ ليسهل بالركب لموضع نزوله، ومناخه ومحط حموله، فنزل الركب وقد زالت الشمس، وزال عن الناس بذلك التعس، وسقوا واستقوا ورَوَوْا وارتووا، من فُراتها العذب، وقَراحها الصب، ووجدنا بها غدرانا، أما اثنان منها فتكفي الأركاب، في الذهاب والإياب، وأخبرونا عن ثالث[6] وقف عليه بعض أصحابنا وزعم أنه دخله فاستوى ماؤه ورأسه، وبهر حرزه وحدسه، وبات الناس في نعمة نتضرع[7] إلى الله تعالى أن يوزعنا شكرها، ويزيح ويزيح عنا كفرها، ثم نادى منادي الركب أن اسقوا من الماء ما يكفيكم خمسا، ويقوم بحاجتكم مرؤوسا ورأسا، قصدا للتوجه لأجدابية [هنالك][8] من هنالك، ولا يسلكون لها مسالك، سلوك الهائلة الممر والسلوك[9] {فأهْوِلْ بها من مسالك!}[10] فزال العناء والتعب، وبادر الشفاء والنّصب، والحمد لله على ذلك.

لطيفة: لما خفنا من العطش وقلة الماء، أمرنا أصحابنا بقسم ما بأيديهم من الماء بإناء معلوم لديهم لكل قسمة، فاستبشروا بنعمة من الله وفضل، ومدد وطول، لما جرب بينهم في هذه السّفرة أنهم مهما قلّ ماؤهم وقسموه كذلك أتى الفرج من عند الله فيغيثهم بالماء الواسع الغزير النمير، فكان الأمر كذلك عادة عوّدناها الله تعالى فضلا وامتنانا من بعد ما قنطوا وينشر رحمته، نسأله تعالى أن يوفقنا لصدق

(1) "ف": ولما سرنا.
(2) "ف": مستشرفين.
(3) ساقطة من "ف".
(4) "ت": تربعان.
(5) "ت": وتغني، والصواب ما أثبتناه.
(6) "ف": بثالث.
(7) "ف": نضرع.
(8) زائدة من "ت".
(9) "ت": من مسالك.
(10) ساقطة من "ت".

العبودية، والقيام بحقوق الربوبية في الحالين، فأصبحوا على غدير التراب، {فآبوا منه بعض الإياب}[1] فأجرى منه بعض [الآيات][2]، وملأوا منه قربا، فكمل الله النعمة النعمة بغدران الشبيكة، فأسبغ نعمه على الكافة، والله ذو الفضل العظيم.

رجوع وانعطاف إلى نسق الكلام وائتلاف: لما قر[3] الناس بما وجدوه من الماء المعين، وأيقنوا بالسلامة مما توهموه من الحين، وأكثروا من الماء إكثار رهبة ورغبة، وتناولوا تناول مجدب وذي نكبة، وسمعوا النداء بماء الخمس، ضربوا الأخماس في السدس، فباتوا يدوكون[4] وفي أمرهم يترددون، أيّ الطرق[5] يسلكون، فائتلفوا ألا يأتِلفوا، وتحاوروا فما ائتلفوا، فمن قلّ زاده وعلف دوابه أراد الانخراط في سلك سلوك، على أن الظفر بالمراد من ذلك بعيد لما حلّ بالبلد من فتَن الأعراب والملوك، ومن استكفى [249- أ] أراد ترك تلك السبيل والذهاب على السروال، واستهون[6] ما استصعبه غيره من الأهوال، فتركت ذلك لله وفوضت الأمر له تعالى وجعلته بينهم شورى والله[7] يخير للجميع ويختار، ما هو النافع غيرُ الضار، وأرخينا الشأن لمالكه.

ثم ظعنا {من الشبيكة كأن كلا من الحجاج[8] متصل بشبيكة فرحا وسرورا بغيث المغيث}[9] وأضحينا بواد سملوس ووجدنا بخنادق به ماء سماويا، وهو واد كبير يهبط من الجبل الأخضر تصب فيه أودية كثيرة من أودية الجبل قلما يخلو من ماء إلا في الأعوام المجدبة. وتعرضت أعراب للركب بشيء من الشعير، واشتراه من اتصل به، ثم سرنا وصلينا العصر بأعلى[10] وادي مزرب، ونزلنا بينه وبين عدوان اصفرارا وبتنا به، وجمعنا أعيان الركب بين العشائين لنستخبر ما عندهم وما عليهم جُلهم وما هو الأصلح لهم. واتفق رأيهم بعد مراجعة[11] في الكلام ومراسلة، ومثافنة[12] فيه

(1) ساقطة من"ف".
(2) زائدة من "ف".
(3) "ف": لما قرت من الناس.
(4) "ح2": يدركون.
(5) "ف": الطريق.
(6) "ت": واستسهل.
(7) "ف": وهو
(8) "ف": الحاج.
(9) ساقطة من "ت".
(10) "ف": بأفلا.
(11) "ت": محاورة.
(12) "ع": منافثة/ "ف": مناقبة.

ومواصلة، أن يتوجهوا منكبين[1] طريق سلوك معتمدين على ملك الملوك، على أن يرضخوا لِقليلي الزاد والعلف مما عندهم وقليل ما هم يستعينون به على أمرهم حتى يصلوا[2] محلا يتيسّر لهم الغرض من ذلك من سِرت ونواحيها، نسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، أن لا يكلنا لأنفسنا وأن ينعم علينا بنعمته[3] الوافرة، وأن يسبغها علينا باطنة وظاهرة، إنه على ذلك[4] قدير وبالإجابة جدير.

ثم ظعنا منه يوم الثلاثاء ثالث جمادى الأولى [و][5] عشرين من يونيه، ثم أضحينا بعد مجاوزة عدوان للاستراحة في بسيط أفيح ذي عراقيب[6] مستحجرة، وصلينا الظهر بعد الإبراد به لتوهج حرارة النهار في تلك المسافة بوادي سملوس، وانحدر معه جماعة من الحجاج ببغالهم علّهم أن يصادفوا غدرانا به ولم يقدّر من ذلك شيء، ورجعوا إلينا بعد أن نزلنا للمبيت بجرير حرام بين العشاءين. وتخلف عنهم الحاج[7] بلقاسم السّمار، بحماره كان متبعهم به[8] لما انحدروا من الوادي يريد منه ما ما أرادوا، ونزل بهذا المنزل آخر الركب مع الغروب، وكنا نزلناه قبيل الطفل. ولما أصبحنا ولم يظهر للسمّار أثر أجرنا بأربعة كلاب دليلين[9] من أعراب الضعفاء للاتيان به {فالله تعالى يجيره ولا يهلكه آمين}[10] .

ثم ظعنا منه وانحدرنا مع أودية الكرس[11] مع الإشراق، فأضحينا بمنتهاها ونزلنا للاستراحة. ولما تجاوز الركب {سرنا}[12] وحين وصلنا المصانع وقام قائم الظهيرة قيلنا[13]، ولحقنا الدليلان الذاهبان للسمار، وأخبرانا أنهما وجداه وألحقاه[14] بالركب

(1) "ت": متنكبين.
(2) "ت": بلغوا.
(3) "ت": بأنعمه.
(4) "ع": كل شيء.
(5) زائدة من "ت".
(6) "ع": عواقيب/ "ف": عواقب.
(7) "ف": الحمار.
(8) "ع": بحماره.
(9) "ت": دليلينا.
(10) ساقطة من "ت".
(11) "ت": الكرص.
(12) ساقطة من "ت".
(13) "ف": قلنا.
(14) "ف": وألحقناه.

والمنة لله أولا وَآخرا. ولم نزل به حتى زالت الشمس، وصلينا الظهر، فسرنا وانحدرنا عقبة السروال للبرقة قبل العصر، وانتهت العجرمية أرض لا تنبت إلا العجرم، وليس بها للإبل مشرب ولا مطعم من سملوس لهنا. وبتنا بأول برقة شرقي العلم اصفرارا، وتقدم أصحابنا قبل الصبح مع الدليل جاب الله لسانية يستقون منها ماء.

ثم ظعنا بعد صلاة الصبح كالعادة، وأضحينا بمنتهى العلم غربية، ونمنا بعد أن تناولنا مع الإخوان

في الله من الطعام ما قدر ويسر. ولما جاء الركب وتجاوز سرنا وكنا تواعدنا مع أصحابنا الواردين أن يلاقونا بالقرب هناك ونوافيهم بالأجمال ليحملوها عليها. ولم يظهر لهم أثر، وذهب في ارتقابهم والبحث عنهم[1] رفيقنا ودليلنا عبد الحفيظ بن أبي أبي غنيمة الضعفي. وتقدمنا يدلنا الطريق الحاج الحسن النجمي. وقيلنا[2] بإزاء الوشكة إلى أن صلينا الظهر، وأتانا عبد الحفيظ ولم يقف لإخواننا أولئك على أثر نسأله تعالى أن يجمعنا بهم في يمن وعافية. وسرنا وبنا من أجلهم ما الله به عالم لذهابهم في تيهاء البرقة[3] ذات ظراب وربوات، تقصر دونها الخطوات، وتحار فيها القطاة[4]، ترفع السالكين وتخفضهم، وتتوارى بهم {وتلفظهم}[5] كأمواج متلاطمة، متلاطمة، أو زوابع متصادمة، مغبرة أرجاؤها، كأن {لون}[6] أرضها سماؤها.

ولما صلينا العصر، {و}[7] سرنا واصفرت الشمس لاحت لنا أشخاص على ربوة مرتفعة، وأكمة متسعة، وتلاحقت بها آخرون على دوابهم. فمن الله بالفرج واستنشقنا، وأنهم هم تيقنّا[8] وحل بنا من السرور، ما ثلجت له الصدور، فقلنا الحمد لله الذي بيده أزمّة الأمور، فأسرعنا نحوهم، ووجدناهم استقوا سواني ماء وجدوا عليها [249- ب] حيا من أعراب نزلوا عليها، وجاء منهم بعض بشياه،

---

(1) "ت": عليهم.
(2) "ف": وقلنا.
(3) "ع": البرقية.
(4) "ع": القطات.
(5) ساقطة من "ف".
(6) ساقطة من "ت".
(7) ساقطة من "ف".
(8) "ت": تلقينا.

والآخرون اكتفوا بما حازوه من مياه، وذكروا أنهم واعدوهم أن يسوقوا الركب بالغنم والسمن بأجدابية.

ونزلنا طفل العشي بسانية شبيكة.

ثم ظعنا منها ونزلنا أجدابية ضحى يوم الجمعة سادس جمادى الأولى الثالث والعشرين من يونيه، وبات الركب بها متنعمين بماء عذب في آبار منقورة في صفاح أحجار مشتدة متصلبة، وسقوا واستقوا، وأَرْوَوْا وارتَوَوْا، وتسوق أعراب الركب بشويهات وشيء من الشعير.

ثم ظعنا منه إسفار يوم السبت سابع جمادى الأولى ورابع عشرين يونيه وهو يوم العنصرة وعققنا عن غلامنا المولود بوادي الخفسة[1] بشاة مشتراة من تلك الشويهات بكلب وأربعة فراميل، فالله يصلحه ويجعله[2] ممن فاز بالأجرين بمنه وكرمه آمين آمين. وكنيناه[3] أبا الفيض وسميناه[4] ذا النون تبركا بالسيد المشهور المصري واعتبارا بما أغاث الله به عباده مع شدة خوفهم من أليم العطش من فيضه الوهبي يوم ولادته، فوجدوا من الماء بغدير التراب ما أمن به روعتهم، وبرد [به][5] لوعتهم، ثم بوادي الشبيكة ما اطمأنت به أنفسهم، واستقر به أنسهم، فأصبحوا في أثواب نعمه[6] الفيضية[7] يرفلون، وفي وافر آلائه يترددون، وبما وجده السقاة من السواني قبل قبل نزولنا بأجدابية يتعللون.

وأضحينا بالجديد على نحو فرسخ من أجدابية آبار في صفاة واسعة تشبه آبار أجدابية ثلاثة، وعليها أثر قصر تهدم، ثم قيلنا[8] بمحل يتراءى لنا به قبر طويل تزعم أعراب تلك النواحي أنه قبر عامر الخفاجي، ولم نزل به حتى زالت الشمس بخمسة[9]

---

(1) "ح1": الخفيسة.
(2) "ت": يجعلنا.
(3) "ف": وكنيته.
(4) "ف": وسميته.
(5) زيادة من "ف".
(6) "ت": نعمته.
(7) "ت": الفائضة.
(8) "ف": قلنا.

بخمسة[1] أدراج وصلينا الظهر ونزلنا لصلاة العصر بكمان[2] الحبارى[3]، وسرنا وبتنا وبتنا بالسيوف نزلناه اصفرارا وتم نزول أخريات الركب مع الطفل.

ثم ظعنا منه وأضحينا بالمصانع، فنزلنا لإراحة دوابنا، وإزاحة التعب عن أبداننا، وقيلنا[4] بقصور العطلات إلى أن صلينا الظهر، وسرنا ونزلنا فوق نحطبة[5] بعد العصر العصر معطن به ماء عذب على ساحل البحر. وبهذه المرحلة مات الحاج يعيش بن أحمد الدرعي النصراتي[6] رحمة الله عليه. ودفن هنالك بموضع مبيت الناس بعد صلاة المغرب، وتاه رجل من أهل مراكش رفيق محبنا الصادق سيدي أبي العباس بن محمد الرفاعي نام ولم يصل للركب ولما نزل الركب أوقدت له نيران ورفعت المصابيح عله أن يتوصل بها ويهتدي للركب، ولما لم يظهر جاعلنا صبحا الحاج رحومة الضعيفي بأربعة كلاب على أن يرجع إليه في أثره[7] يبحث عنه.

ثم ظعنا منه ونزلنا معطن المنغّل باللام والميم، حين الظهيرة يوم الاثنين تاسع جمادى الأولى سادس وعشرين يونيه، ووصل آخر الركب بعيد الزوال وبات به ليتهيئوا المفازة أمامهم خمس مراحل، وسقّى الناس دوابهم وإبلهم وملئوا قربهم، وماؤه متنوع فيه عذب طيب وخلافه. وتوفيت فيه الحاجة القمطيرية امرأة خيرة لا بأس بها، وكانت {حجت}[8] معنا مع زوجها سنة تسع، ودفناها بعد صلاة المغرب، فالله يتقبلها بقبول حسن ويضاعف حسناتها {ويتجاوز عن سيئاتها}[9] بكرمه وفضله ومنته وطوله.

---

(1) "ف": بخمس.
(2) "ف": بمكان.
(3) "ف": الجاري.
(4) "ف": وقلنا.
(5) "ف": الحطبة.
(6) "ت": النصرتي.
(7) "ف": أمره.
(8) ساقطة من "ت".
(9) ساقطة من "ت".

ذِكْرُ أُجْرَةِ الدَّلِيلِ وَمَا انْضَمَّ إِلَيْهِ[1] مِمَّا[2] لِلْحُجَّاجِ[3] بِهِ اسْتِعَانَةٌ عَلَى أَمْرِهِم

ثم اجتمع الحجاج لفرض ما التزموه من الأجرة ونهاية ذلك خمسة[4] وأربعون كلبا، وهو سكة معلومة بتلك النواحي، وسميت بذلك- والله أعلم- لكونها عليها طابع على صورة كلب. خمس منها للبراح والباقي للدليلين[5]. وهي واجبة لا يسقط الحج بها إن كانت لا تجحف. وكذا أجرة الخفارة وهي ما يأخذه حافظ المارة من اللصوص وقطاع الطريق. وفي الحطاب قال سند: "وأما ما يأخذه الجند على بذرقة الحجيج ليدفعوا عنهم كل يد عادية فقال الشيخ أبو بكر بن الوليد: هي من وجه تشبه سائر النفقات اللازمة لأن أخذها للجند جائز إذ لا يلزمهم الخروج معهم، فهي أجرة يصرفونها في الكراع والسلاح والزاد، وهي من وجه تشبه الظلم لأن أصل[6] توظيفها خوف قاطع الطريق" انتهى.

ونقله ابن جماعة الشافعي في منسكه[7] عن الشيخ أبي بكر، وزاد عنه: "وقد اتفق على جواز استئجارهم من يخفرهم من الأعراب [250- أ] واللصوص مع تجويز الغدر".

وقال: "إن أجرة الدليل تجب على المكلف فلا يسقط به الفرض" انتهى.

وقال البرزلي في أثناء جواب سؤال لابن رشد: "ولم يقع خلاف فيما يأخذه {الحافظ من اللصوص إذا أقل، ووقع خلاف فيما يأخذه}[8] الظالم لأنه لا يؤمن

---

(1) "ع": إليها.
(2) "ف": فيما.
(3) "ف": للحاج.
(4) "ع": و"ف": خمس.
(5) "ت": للدليل.
(6) "ف": الأصل (زيادة أل).
(7) "ف": مناسكه.
(8) ساقطة من "ت".

نكثه والحافظ ليس بظالم فيما يأخذه إذ لم يكن مثلهم، وإنما هو أجير فوجب أن يؤتمن" انتهى.

"وقوله لأنه لا يؤمن نكثه، تعليل لوقوع الخلاف فيه، ومراده أنه يجوز أن ينكث لأنه ظالم ليس له دين يمنعه؛ وأما لو علم نكثه أو شك فيه فقد تقدم أنه لا يجب الحج بلا خلاف، وتحصل من هذا أن أجرة الدليل وما يأخذه الجند[1] ومن يحفظ الحاج من اللصوص لا يسقط به الحج والله [تعالى][2] أعلم. والبذرقة- بفتح الموحدة وسكون الذال المعجمة ويقال بالمهملة أيضا وفتح الراء وبعدها قاف ثم هاء تأنيث، لفظة عجمية معناها الخفارة قاله في القاموس ولم يذكرها في الصحاح. وقال النووي في تهذيبه: الخفر وهو الذي يحفظ الحجاج ويحرسهم وكأنها[3] تطلق على المعْنَيَيْنِ، والخفارة بضم المعجمة وكسرها وفتحها حكى ذلك صاحب المحكم ونقله النووي في تهذيبه ولم يحك في الصحاح والنهاية الفتح. واقتصر القاضي عياض في المشارق على الضم وفسرها بالذمة وكذا صاحب الصحاح". انتهى كلام الحطاب.

وأما ضربها على الرؤوس[4] أو على الأموال فذكر الزرقاني في شرحه في أجرة الدليل[5]:

" أنها على عدد الرؤوس دون الأمتعة. إذ من معه دواب ولو كثرت كالمجرد منها في الانتفاع به، قال والظاهر اعتبار عدد رؤوس التابعين والمتبوعين لا المتبوعين فقط وإذ جرى عرف بشيء عمل به لأنه كالشرط" انتهى.

قلت: وهو الأوجه لأن منفعة هداية الطريق والدلالة[6] على موارد {الماء}[7] أهل الأحمال وغيرهم في الاحتياج إلى هذين الغرضين على حد السواء، بخلاف أجرة الخفير الذي يجير الركب من اللصوص فليس خوف صاحب الأحمال والسلع الكثيرة

---

(1) "ف": الجندق.
(2) زيادة من "ت".
(3) "ت": وكانت.
(4) "ع": الرعوس.
(5) "ع": الدال.
(6) "ت": الدلايل.
(7) ساقطة من "ف".

كخوف غيره لأن المقصود بالإذاية في الغالب هو من له أحمال وسلع، والفقير قلما يتعرض له سيما مع وجود غيره.

قال الزرقاني: "وأما ما يأخذه الجند ونحوهم على حفظ المارة من موضع إلى موضع أو في جميع الطريق فيجوز بثلاثة شروط: أن لا يجحف، وأن لا يسقط[1] الحج، وأن يمشوا هم أو خدمهم[2] مع المارة، وإلا حرم عليهم الأخذ لأنه أخذ على الجاه ولكن لا يسقط بذلك الحج الشرط الثالث أن لا يكون لهم من بيت المال قدر يكفيهم في مقابلة حفظ المارة وإلا كانوا كالظالم.

قال: ثم إذا أخذوا على حفظ المارة بالشروط المذكورة فعلى عدد الرؤوس وقدر الأمتعة والدواب لاستواء الجميع في النفع بالحفظ من سارق ونحوه. وأما الدال على الطريق فإنما ينتفع به المسافرون فقط، فلذلك كانت على عددهم دون أمتعتهم كما مر" {انتهى كلامه}[3].

لطيفة: قال شيخنا أبو سالم:"سمعت شيخنا العلامة أبا بكر السجستاني المراكشي رضي الله تعالى عنه يقول: جرى البحث بالجامع الأزهر أيام اشتغاله هناك، في هذه المسألة: وهي أجرة دليل الركب هل تكون على الإبل؟ أو على أحمال السلع؟ أو على أصحابها ؟ وهل تكون على المتبوع دون التابع؟ قال ولم يوجد نص في ذلك. قال: ويمكن استخراج حكم المسألة من أصل وهو ما ورد في حديث الهجرة من استئجار النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله [تعالى][4] عنه لابن أريقط الديلي، وكان مع أبي بكر غلامه عامر بن فُهيرة، فهل كانت الأجرة على الإبل؟ أو على الرؤوس؟وعلى الثاني؟ فهل أعطى أبو بكر عن غلامه أم لا؟ قال ولم يتحصل[5] من الباحثين[6] إذ ذاك ما يعتمد عليه. ثم قال إن الشيخ عليا الأجهوري أورد هذه المسألة في شرحه على المختصر وذكر فيها ما جرى من

(1) "ت": وإلا سقط.
(2) "ف": أخذهم.
(3) ساقطة من "ف".
(4) زيادة من "ت".
(5) "ت": يحصل.
(6) "ت: البحثين.

التوجيهات. وصير ذلك كله كأنه أقوال في المذهب، مع أنها لم يوجد فيها نص في المذهب. وكان هذا من جملة ما ينقم عليه في شرحه وهو جدير بذلك"[1] انتهى.

قلت: ثم انفصل رأي الأعيان من العلماء وأكابر الإخوان على قسم بعض ذلك على الأموال المعدة للتنمية والبعض الآخر على الرؤوس استحسانا ومراعاة للجانبين، وكان ذلك قد خطر لي قبل اجتماعهم ثم إن الله دلهم على ذلك وألهمهم إياه والله اعلم بما هو الحق والصواب وإليه المرجع والمآب.

[الكلام على صرف الريال]

تتمة: ولنذكر الآن تتميما للفائدة، واستثمارا للعائدة، الكلام على صرف الريال {وما فيه من الأقوال}[2] بالفضات والمقاييس الجارية بمصر والحجاز وغيرها كطرابلس وقابس من بلاد الجريد فأقول: والله يقول الحق وهو يهدي [250- ب] السبيل.

مما عمت به البلوى وجرى عليه عمل الناس بمصر والحجاز وغيرهما إلا القليل، وقليل ما هم، صرف الريال بالمائدة وغيرها، من أجزائه التي يرجونه عليها، والذي يجري على كلام ابن القاسم الجواز للضرورة وإن كرهه الإمام مالك، ونص كلام المواق في ذلك ابن رشد: كره ملك أن يعطي الرجل المثقال ويأخذ أربعة وعشرين قيراطا معدودة بغير مراطلة، لأن الشيء إذا وزن مجتمعا ثم فرق زاد أو نقص، وأجاز ذلك ابن القاسم استحسانا على وجه المعروف في الدينار الواحد، كما أجازوا مبادلة الدينار الناقص بالوازن على الوجه المعروف انتهى المراد منه. وألف في ذلك العلامة المحقق سيدي العربي الفاسي تأليفا حسنا ذهب فيه إلى جواز المبادلة والرد. ونص كلامه:

(1) ينظر ماء الموائد ج2 ص- ص 372 - 373 .
(2) ساقطة من "ع": و"ف".

"الدراهم التي هي من ضرب النصارى وعليها طابعهم المعروفة [بالريال، الواحد[1] ريالة][2] والغالب عليها جودة جوهريتها، وكانت فيما أدركناه على أيام السلطان أبي العباس المنصور الشريف تارة يأذن في إجرائها مجرى النقود في المعاملة وتارة يجريها مجرى العروض والسلع. فإذا أجراها السلطان مجرى النقود فهل تجري مجرى ضربه في باب المبادلة وفي باب الرد في الدرهم أم لا؟ اختلف في ذلك شيوخنا من فقهاء فاس حرسها الله، فذهب شيخنا المحقق مفتي فاس إذ ذاك أبو عبد الله محمد القصار إلى إجرائها مجراها، وأنها بإذنه في التعامل بها صارت من سكته. وخالف غيره من شيوخنا، فقالوا لا تجوز فيها المبادلة مع الدراهم التي هي ضرب سلطاننا الإسلامية، ولا الرد في الريالة من الدراهم المذكورة لأن من شرط البابين كون المبدل والمبدل منه والمردود والمردود فيه من سكة {واحدة}[3] وألا يزيد على درهم الكيل. وأطال في ذلك نحوا من كراسة وهي مفيدة جدا، وحاصله الانتصار لمن قال بالجواز وإيضاح أدلته وهو الحق إن شاء الله تعالى" انتهى.

قلت على أن معنى اتحاد السكة في البابين أن تتحدا[4] في التعامل بهما بأن يقع التعامل بالكبير وبالأجزاء الصغيرة وبالمردود والمردود فيه لا لكونهما من سكة سلطان واحد أو مملكة واحدة. وأما انضباط صرف الكبير بأجزائه كستين دائما أو أقل منها أو أكثر تكون قريبا في وزنها من وزن الريال فقط فرأيت[5] بعضهم اشترطه للجواز[6] ونص كلامه:

"فلو انضبط لهم مقدار معلوم من خمسين أو ستين من القراريط تكون في وزنها قريبا من وزن الريال لخرجت على مسألة العتبية من قول ابن القاسم في الدينار بعشرين قيراطا من الذهب إذ لا فرق بين الذهب والفضة في ذلك. فكما خفف في دينار واحد في مقابلة عشرين قيراطا فليكن كذلك درهم[7] كبير[8] من الفضة وهو

(1) "ت": الواحدة.
(2) "ف": بالريال واحدها ريالة.
(3) ساقطة من "ف".
(4) "ف": أن نتحد.
(5) "ع": وليت.
(6) "ف": في الجواز.
(7) "ت": درهما.
(8) "ت": كبيرا.

الريال في مقابلة أجزاء كثيرة من الفضة نحو الأربعين أو الخمسين أو الستين إذ لا عبرة بكثرة العدد وقلته بعد اغتفار التفاوت اليسير في الوزن وانفراد إحدى الجهتين بالوحدة ولكن لما لم ينضبط العدد المدفوع فيه الريال فتارة يكون خمسين وتارة إلى الستين، كان في ذلك مكايسة ظاهرة وخرجت المسألة من باب المعروف الذي هو سبب الرخصة مع الضرورة " انتهى. على أنا إن بنينا على المعروف والاستحسان دفعا للضرورة الملجئة لذلك مع يسارة التفاوت بين النقدين بما تسمح به النفوس لذلك كالسدس فأدنى كما هو مذكور في باب المبادلة، فلا علينا في انضباط الصرف واضطرابه والله تعالى أعلم وارتكاب الورع {في الباب}[1] أسلم للدين والدنيا والله تعالى يوفقنا لمرضاته ويأخذ بأيدينا إليه أخذ الكرام عليه آمين آمين.

{ثم ظعنا منه وأضحينا عند سبخة سرغين، وأتانا بالأمس في المعطن الضعيفي المبعوث في أثر الذاهب، ولم يقف له على خبر. فالله يجمع الشمل به آمين}[2].

ثم سرنا وملنا ذات اليمين لمعطن أبي شعيفة ماء بساحل البحر فيه ملوحة وقيلنا[3] به حتى صلينا الظهر وسقينا دوابنا ومشينا، ولحقنا الركب ونزلنا بأوائل سبخة سبخة مقطع الكبريت حتى صلينا العصر، ونزلنا بأواخرها ومنتهاها غربيها على حد الجبل الخاش. وزعم عرب تلك النواحي أنه مبدأ سرت من ناحية الشرق ومنتهى برقة من ناحية الغرب.

ثم ظعنا منه وأضحينا بأم الغرانيق {رملة بيضاء}[4] على يمين الذاهب مغربا وهي ممتدة. وصلينا العصر بأواخرها ونزلنا بوادي القطف اصفرارا وبتنا به ونزل آخر الركب مع الطفل. وذهب بعض الحجاج للحدادية سانية ببطن الوادي بها ماء [251- أ] شيب بمرارة[5] وسقوا بغالهم ورجعوا للركب بعد العشاء.

ثم منه وتقدم من الناس من له أرب بالماء بقربهم ليملأوها[6] ويتعرضوا[1]، وأضحينا بواديها ولم نجد أصحابنا بها وسألنا عنهم لكونهم تقدموا مع من تقدم،

---

(1) ساقطة من "ت".
(2) ساقطة من "ت".
(3) "ف": قلنا.
(4) ساقطة من "ف".
(5) "ف": مرارة.
(6) "ت": يملئونها.

فأخبرنا أن الدليل ذهب بهم للكحيلة وقيلنا[2]على نشز من الأرض قريب من ساحل البحر ذي نسيم بارد وصلينا الظهر وارتحلنا، ونزلنا لصلاة العصر بوادي الكحيلة بحيث يتراءئ لنا معطن أبي كليلة به ماء مالح تشربه الإبل. ولقينا[3] هنالك[4] الأعراب[5] ساقوا سمنا وشويهات ينادون عليها بالبيع.

فارتحلنا ونزلنا وادي الحجاج على قرب من اليهودية جنوبيها طفل العشى، ولم ينزل آخر الركب إلا بعد الغروب.

وتسابق الناس لمالح مائها الزعاق وعلى عطشها لا تكاد تسيغه. وأما الإبل فتناولت منه تناولا ما مع فرط العطش وبعدها من الري. فالله تعالى يعقبه عقبى حسنة، فضلا منه ومنة. " واليهودية قرى كثيرة متقاربة فيها آثار بناء[6] خال متراكم يدل على أنها كانت عمارة كبيرة واشتهر على ألسنة الحجاج أنها كانت مدينة ملكتها يهودية في عسكرها كذا وكذا من الخيل. وفي الرسالة القشيرية[7] عن بعض الفقراء أنه قال: دخلت مدينة اليهودية بأرض المغرب إلى آخر الحكاية"[8]. وذكر أبو سالم: "أن تلك المدينة هي هذه إذ لا نعلم بأرض المغرب مدينة تسمى اليهودية والله اعلم بحقيقة ذلك"[9] انتهى.

ثم منه يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأولى وآخر يونيه وأضحينا بإزاء قور[10] عليها مقابر غربي اليهودية. وقيلنا[11] بالرحيبة على أكمة تنظر إلى البحر، ثم ملنا نحو الشقة فإذا بها بئر ماؤه[12] بارد شيب[13] بمرارة ما، وصلينا هنالك العصر. وجاءنا رجل من الجمالين عند سيدي خليفة كبير أولاد سيدي ناصر ومعه نجع كبير

(1) "ت": ويتعرضون.
(2) "ف": وقلنا.
(3) "ف": لقوا.
(4) "ت": هناك.
(5) "ع": أعراب.
(6) "ت": ماء.
(7) ينظر الرسالة القشيرية، ص: 132، باب أحكامهم في السفر في حكاية عن أبي الحسين المصري.
(8) ماء الموائد، ج: 1، ص: 103.
(9) ينظر نفسه.
(10) "ف": ندير.
(11) "ف": وقلنا.
(12) "ت": ماؤها.
(13) "ح2": سيط.

منحاشون إليه خوفا من عبد الله بن عبد السلام أن يغير على سعيهم، وأخذوا له أهبة من عدد وعدد.

وأولاد سيدي ناصر فقراء مرابطون من أهل سرت يطعمون الطعام لمن ورد عليهم، ومعهم طرف من الديانة، إلا أنهم أضَّر بهم جور الأعراب لأنهم بين عرب سرت وعرب برقة. فقلما يسلم لهم وقت من غارة إما من هؤلاء أو من هؤلاء. وسيدي خليفة الآن هو رئيسهم وهو رجل مسن ممن طعن[1] في السن له أولاد كثيرون وبه الآن وجع بعينيه شفاه الله شفاء لا يغادر سقما، ومتعه الله بهما وجعلهما الوارث منه آمين آمين. وطلب من الركب المقام ليتسوقوا مع الأعراب، ورأيت حاجة الحجاج لذلك فوافقت فيه[2]، واستحسنه نظرا للفريقين أن يصيب كل كل حاجته من صاحبه مع التراضي. وبعثت بدويا من الجمالين أن يتعرض لأول الركب للنزول، فنزلوا على حد سبخة العويجة بين العوجة[3] والشقة، والمنزل إلى الشقة الشقة أقرب، وذلك بعد عصر الجمعة ثالث عشر جمادى الأولى وآخر يونيه. وأقلنا هنالك وجاءت الأعراب بالإبل والسمن والشعير، واشترى الناس حاجتهم. وأتى إلينا سيدي خليفة لدار الركب بأولاده وجل أصحابه، وأخذ العهد من أولاده جماعة أولاهم الحاج عيسى وقدمناه على من أخذ العهد منا منهم وأذنا له في تلقين الأوراد لمن أراد الانخراط في سلكنا من جماعتهم وبعثنا[4] أصحابنا لسقي الماء بالعويجة، وهو ماء زعاق أجاج لا يكاد يساغ، وبها آبار متعددة حفرها أولئك الأعراب لسقي مواشيهم إلا أنها تعذب أول ما تحفر ثم ترجع إلى أصلها ومشاكلة أخواتها ومحاكاة[5] شكلها. سبحان[6] الخلاق العظيم. وزعم أهل تلك النواحي أنها تبقى كذلك يوم الحفر وتاليه وشوهد فيها خلاف ذلك وأتى الأصحاب منها بماء عذب لا بأس به أفضل مما بعدها وما قبلها[7] من المنعم إلى النعيم، وإلا فهذه المفازة اشتمل ساحلها بمعاطن[8] متعددة وآبار متكاثرة فجّرها[1] أرباب المواشي يسقونها عليها.

---

(1) "ت": ظعن، والصواب ما أثبتناه.
(2) "ف": عليه.
(3) "ف": العويبة.
(4) "ف": وبعثت.
(5) "ت": محاكات.
(6) "ف": فسبحان.
(7) "ف": قبلها وما بعدها.
(8) "ف": على معاطن.

ثم ظعنا يوم الأحد سحر خامس عشر جمادى الأولى ثاني يليه، وصلينا الصبح بعد انشقاق الفجر[2] بوادي مسعود وأضحينا بأوائل الشغفة شرقيها فسرنا وملنا ذات اليمين لمعطن المنشئ. زعمبدوي أن به بئرا ماؤها عذب فأتيناه ووجدنا آباره كغيرها وسقينا دوابنا، وقيلنا[3] على ربوة بساحل البحر مشرفة على أمواجه متعرضين لبرودة نسيمه. وصلينا الظهر، وسرنا أميالا والتقينا بمحبنا الحاج عبد [251- ب] اللطيف قرب العصر وسايَرَنا[4] فإذا جماعة من أولاد سيدي ناصر من قرابة سيدي خليفة المذكور. ولما أشرفنا على الأحمر، نزلنا لصلاة العصر، فصلينا وارتحلنا ونزلنا الأحمر، بعد [صلاة][5] العصر، يوم الأحد وبتنا به، وتمتع الناس من مائه، وهو [ماء][6] لا بأس به إلا أنه ليس بذلك. وأتى الله من عند الحاج عبد اللطيف بشاتين وشيء من التمر. فالله يتقبل منه.

ثم ظعنا منه وأضحينا على أكمة على حد سبخة الأحمر ثم نزلنا النعيم ارتفاع الضحى يوم الاثنين سادس عشر جمادى الأولى ثالث يليه، فإذا بمائه عذب فرات طيب زلال إلا أنه لم ينفعل للهواء مع برودته. وتسوق أعراب الركب بشياه، واشترى الناس منها حاجتهم. وبتنا به وشيعنا مع محبنا الحاج عبد اللطيف كتبا {لأعيان}[7] الأعراب في شأن ناقة الحاج عبد العزيز فالله يجمعه بها.

ثم ظعنا منه وأضحينا فوق السلطان معطن بإزاء البحر. وقيلنا بمنيشى مدينة بالتصغير فيهما معطن على ساحل البحر وماؤه عذب وصلينا العصر بإزاء كروش ونزلنا الكارية طفل العشي.

ثم ظعنا منه سحرا وقيلنا[8] الطويل ولما زالت وصلينا الظهر سرنا. ونزلنا الزعفران يوم الأربعاء ثامن عشر}[9] جمادى الأولى خامس يليه بعد الزوال بخمس

---

(1) "ت": حفرها.
(2) "ف": القمر.
(3) "ف": وقلنا.
(4) "ع": وسرنا.
(5) زائدة من "ت".
(6) زائدة من "ت" و"ح1".
(7) ساقطة من "ت".
(8) "ف": وقلنا.
(9) ساقطة من "ف".

وثلاثين درجة. ووصل أول الركب مع أول العصر، وتلاحق الركب ونزل آخره بعد العصر وقبل الاصفرار. وذهب الناس لسقي إبلها وملء قربها من مائه العذب الطيب الكثير، الغزير النمير. ووجدنا هنالك طائفة من فقراء أعراب تلك النواحي يرفعون نسبهم لسيدنا عثمان ذي النورين رضي الله عنه وأرضاه. كانوا في رد ما نهبهم الظلمة ولد أبي كيلة وحزبه دمر الله الظلمة تدميرا، وتبرهم تتبيرا، وردوا لهم أجمالا، وأتى الله الكريم من واحد منهم بعتود[1] دفعته للفقهاء، كما منّ الحاج عبد الصمد بن علي الأشهب بشاتين دفعتهما للأشراف. والله يتقبل من الجميع حسن فعله {آمين آمين}[2]. وأتانا[3] المحب المسن الأخ في ذات الله رفيق والدنا في هذا[4] الطريق في حجته الأولى عام سبعين وألف سيدي محمد [بن][5] جنجان بجيمين ومعه ومعه مسلاخ تمر وبقية حليب في وطبة[6] له، ودفع لنا جميع ذلك. فالله يجازيه عنا خيرا كغيره من أهل المحبة وأصحب معه ولده[7]. وبات معنا في الركب.

ثم ظعنا منه يوم الخميس تاسع عشر جمادى الأولى سادس يليه باللام بعد صلاة الصبح، وأضحينا بقرارة السدر وقيلنا[8] غربي وادي القبيبة وصلينا الظهر به، وسرنا وصلينا العصر {بمطرون}[9]، وبئر بها ماء غزير، مستجم كثير، مشوب[10] بملوحة {ما}[11] تميل إلى مرارة وسقينا به دوابنا وجلسنا هنالك هنيهة، فلاحت لنا أوليات الركب، فسرنا ونزلنا غربي جارف قبيل الاصفرار، ونزل آخر الركب طفلا.

{ثم ظعنا منه}[12] وأضحينا بين تمت وادي ووادي بي، ثم قلنا عند بئر حسان، ووجدنا به ماء المطر وسقينا دوابنا وإداوتنا وصلينا الظهر وسرنا. ونزلنا

---

(1) "ف": بقعو.
(2) ساقطة من "ت".
(3) "ف": وأتى.
(4) "ح2": هذه.
(5) زيادة من "ت".
(6) سقاء لبن.
(7) "ف": والده.
(8) "ف": وقلنا.
(9) ساقطة من "ح1".
(10) "ف": شيب.
(11) ساقطة من "ت".
(12) ساقطة من "ت".

لصلاة العصر شرقي شرف حسان. ونزلنا غربي الشرق بأميال قبيل المغرب، وتلاحق الركب ونزل آخره بعيد المغرب.

وحسان الآن اسم على موضع فيه مورد ماء ضنين قلما يوجد فيه ما يكفي الركب إلا في أزمنة الخصب. وكان في الأصل اسما لعامل لبعض ملوك بني مروان بعثوه لغزو إفريقية بعد موت عقبة بن عامر أمير إفريقية ومفتتحها وارتداد غالب {أهل}[1] {أهل}[1] إفريقية، فنزل في هذا الموضع وبنى فيه قصورا تسمى الآن قصور حسان، وكان يغير من هنالك على إفريقية وأقام بذلك المحل مدة. وخبره مذكور في تواريخ فتوح إفريقية.

ثم ظعنا منه وأضحينا بغربي كرار أبي رجين وقلنا بعد أن قطعنا من سبخة المخيضة قطعة على ربوة بذات اليمين متعرضين لبرودة نسيم البحر. وصلينا الظهر وخضنا المخيضة. وصلينا العصر بالهويشة، ونزلناها قبيله بدقائق. وتفاوض الناس في أمرهم واتفقوا على المبيت بها لسقي الإبل وتناول الماء من احتاجه، وتلاحق الركب ونزل آخره والشمس مرتفعة نقية.

ثم ظعنا منه وأضحينا بأول الصقعة[2] وزان تمره بصاد مفتوحة فقاف ساكنة فعين مهملة، رملة مستطيلة على يسار السبخة، وقلنا بجانب الحجارين[3] وصلينا الظهر به والعصر [252- أ] بالمنيزلة[4] ونزلنا البوييات طفلا، وبتنا ونزل آخر الركب بعد الغروب.

ثم ظعنا وأضحينا بالسميرة معطن برملة على يسار السبخة {به ماء لا بأس به غير أنه به ملوحة ما وقلنا بالعريرة معطن بإزاء السبخة}[5] بساحل البحر، به ماء عذب فرات طيب غزير من أعذب المياه يقرب من ماء وجدناه {بوادي}[6] التميمي. وصلينا الظهر وارتحلنا ونزلنا لصلاة العصر على حد سبخة أبي شعيفة وسرنا بعد ميل وبتنا بربوة على يمين الطريق.

---

(1) ساقطة من "ف".
(2) "ف": الصعقة.
(3) "ف": البحارين.
(4) "ف": بالمنزلة.
(5) ساقطة من "ح2".
(6) ساقطة من "ت".

ثم ظعنا سحرا، وملنا بعد طلوع الشمس ذات اليمين لأبي[1] شعيفة. وذهب الركب أمامه لبلد ولي الله باتفاق، قطب العارفين على الإطلاق، سيدي ومولاي أحمد زروق. وانصرمت مراحل برقة، التي قيل فيها على ألسنة العوام، غرقة [و][2] لا برقة، فلاحت لنا أعلام العمارة وظهرت لنا من الدنيا الأمارة، وتنادى الحجيج البشارة البشارة، هذا أوائل العمران قد كشف لنا أستاره، فساروا مظهرين الفرح، ومسرين الترّح، ومخفين ذعرا، كأنهم لم يروا العمارة دهرا، بل المفاوز سهلا ووعرا، والزيارى يبابا وقفرا. يخيللهم أن المباني والنخيل شيء ما عرفوه، وجالت الأفكار والأبصار في أرجائها كأنها أمر ما ألفوه، وكأنهم أموات نشروا، ومن المقابر حشروا، وما أسرع انقضاء سفر تنقصته الليالي والأيام، فكيف بعمر مرت به الشهور والأعوام، نسأل الله تعالى حسن الختام، بالموت على الإيمان والإسلام، والعفو والعافية على الدوام.

ولما زرنا أبا شعيفة[3] قصدنا نحو الإمام زروق، فإذا بخيل تراءت لنا تعدو نحو الركب، ثم كرت راجعة إلينا، وقاصدة نحونا، فإذا بأخينا ومحبنا سيدي محمد بن مقيل جاء لملاقاتنا مع الأحب سيدي أحمد بن صالح وابن أخي سيدي محمد ابن منصور وسيدي محمد الزعفراني مع[4] جماعة من إخواننا أولاد بن غلبون، فالله ينفعهم وينفع بهم آمين. فزرناه، ونلنا من زيارته ما أملناه، وقضينا الوطر منها والغرض، وأدينا له بعض الحق المفترض، ولحقنا بالركب مخيما خارج البلد ضحوة يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من جمادى الأولى عام اثنين وعشرين ومائة وألف حادي عشر يليه.

وأتى الله من عند الأحب ابن مقيل بجملة وافرة من الخبز والمقروط نوع من الأطعمة يتخذ من الدقيق المعجون بالسمن والعسل وكثيرا ما يستعمل في البلاد المغربية، وكذا بعث لنا بمخيمنا هذا الأخ سيدي علي بن عبد الصادق ثلاثة أجمال موقورة تمرا ودقيقا وشعيرا مع شيء من الكعك، وأضافنا أولاد بن غلبون بآنية من الطعام الثريد والكسكسو[5] وأطعمنا أكثره السادات[6] الأشراف والطلبة والجمالين،

---

(1) "ع": أبي.
(2) زيادة من "ف".
(3) "ت": أبا شعيف.
(4) "ح2": في.
(5) "ف": والكسكسون.
(6) "ف": الساداة.

والجمالين، فالله يتقبل من الجميع. ولحقنا أيضا هنالك الأحب الأود سيدي عبد السلام بن عثمان مع ولده وبعض إخوانه وأصحابه، والله ينفع الكل بقدر نيته. وتسوق أهل الركب بالفواكه والشعير والتمر والدقيق، واشترى الناس حاجتهم من ذلك، غير أن الدقيق ليس فيه بلاغ لندرته، وغير ذلك كفى الناس فاستكفوا.

ثم ظعنا منه بعد صبح الأربعاء أول يوم من السمائم، نستكفي الله تعالى شر سمومها. وملنا ذات اليمين بعد أن سار الركب لزيارة الإمام الشيخ {الهمام}[1] أبي العباس أحمد زروق وموادعتهم[2] مع جماعة من أصحابنا، فزرناه ودعونا الله تعالى لنا ولأحبتنا وقرابتنا وجماعة المسلمين عموما وخصوصا بما أحضر الله لنا من الدعوات. ثم خرجنا منه وذهبنا لزيارة الأحب المجذوب سيدي أبي تركية ومعنا ولده دليلا يدلنا الطريق إليه. ثم زرنا سيدي فتح الله بطرف البلد، وأطعمنا ناس هنالك دلاعات وبطيخة، وأكلها الأشراف والعلماء وأعيان الحاضرين.

وسرنا {وقيلنا}[3] على أكمة مشرفة متعرضين لبرودة النسيم، ولحقنا هنالك الأخ سيدي علي بن عبد الصادق ومع جماعة من أهل المحبة، فعزيناه في ولده. وصلينا الظهر وسرنا جميعا إلى أن حان وقت العصر فصليناه وانتظرنا الركب فلما تلاحق سرنا ونزلنا قبيل الاصفرار بغوط شرقي سيلين [بئر][4] بطريق الحاج.

ثم ظعنا منه وأضحينا بربوة بإزاء سانية واسترحنا وقيلنا[5] أصلتن بإزاء ولي الله سيدي عبد السلام. وصلينا الظهر وذهبنا لزيارته فزرناه، ولحقنا بالركب خارج البلد ونزلنا الحطينة قبيل[6] العصر وبتنا بها.

ثم ظعنا [252- ب] منه وأضحينا بدار الأخ سيدي علي بن عبد الصادق مع جماعة من الحجاج. وأطعم الناس بما قدر من الطعام بل أوسعهم كسكس[7]، فالله يتقبل منه. وخرجنا[8] هنالك ومال بنا المحب الحاج عصمان ذات اليمين لزيارة

(1) ساقطة من "ت".
(2) "ت": وموادعته.
(3) "ح2": وقيلنا.
(4) ساقطة من "ح2".
(5) "ف": وقلنا.
(6) "ف": قبل.
(7) "ف": كسكسون.
(8) "ت": وأخرجنا.

سيدي مفتاح بساحل البحر فزرناه، وقيلنا[1] هنالك بساحل البحر بحيث تكاد الأمواج تضرب أطناب الصوان متبردين بنسيم البحر لشدة الحر في هذا اليوم. ولما صلينا وهبت أرواح باردة سرنا ولحقنا الركب، وقد خيم بوادي لبلدة، وتقدم بعض التعريف بها بين الظهرين وبتنا به.

ثم ظعنا منه ومررنا بمطعم الحاج سيدي أحمد[2] بن أحجا وقد بنى خيمة بالطريق متعرضا[3] للركب وتلك عادته منذ سنين يطعم الأركاب العصيد[4] والخبز واللحم وما تيسر له، وتعرض لنا وألح وجاء يسعى على قدمه على كبر سنه، ولما رأينا الجدّ منه ساعفناه بمراده، وشايعناه نحو مراده، وتركنا غرضنا لغرضه، ونزلنا لديه وأطعمنا خبزا وعنبا وأتى بقفة عنب وقال هذه للحرم ابعثوها لهن ففعلنا والله ينفعه بنيته، ويثيبه على حسن طويته.

ثم انحدرنا مع النكازة في بقية من برودة النهار، وقلنا تحتها بإزاء جب وجدنا به ماء مطر حتى فات الركب وسقى الناس حاجتهم، وصلينا الظهر، وسرنا، ونزلنا شرقي عبر مجرى سلمى، قرية من قرى مسلاتة.

ثم ظعنا منه وأضحينا قبيل تورغت. وودعنا أخانا سيدي محمد بن مقيل يريد الذهاب لطرابلس ليهيئ لنا منزلا يأوينا وأصحابنا هيأ الله [لنا و][5] له منزلا بالجنة. ثم قلنا تورغت عند بئر هنالك كان حفرها الأخ سيدي عبد السلام بن عثمان، بها ماء بارد عذب، تقبل الله منه وشكر صنيعه. وصلينا العصر غربي وادي المسيد، ونزلنا شرقيّ واد الرمل اصفرار[6] يوم الأحد آخر جمادى الأولى، ونزل آخر الركب مع مع الغروب. وراقبنا هلال جمادى الثانية فظهر استهلاله، وتبين إهلاله، نسأل الله تعالى أن يهله علينا باليمن والأمان، والسلامة والعافية ومزيد الإيقان، آمين آمين. وبازاء منزلنا هذا {بشاطئ البحر}[7] معيطن به ماء عذب.

---

(1) "ف": قلنا.
(2) "ف": محمد.
(3) "ت": معترضا.
(4) "ح1": العصدية.
(5) زيادة من "ت".
(6) "ح2": اصفرارا.
(7) ساقطة من "ت".

ثم ظعنا منه يوم الاثنين الأول[1] من جمادى الثانية رزقنا الله خيره، ووقانا ضيره، سابع عشر يليه وسادس السمائم بعد صلاة الصبح، وأضحينا بعد مجاوزة وادي الرمل بأميال على ربوة على يمين الذاهب مغربا مشرفة على البحر، يتراءى لنا منها نخيل تاجورا، ثم سرنا ونزلنا تاجورا وقت الظهيرة، وقلنا بها ووجدنا الأخ في ذات الله تعالى والأحب في جانبه سيدي أحمد بن جابر بخيمته[2] هناك في انتظارنا مع جماعة من أصحابه وولديه، وأطعمنا طنجيرا من حوت مطيب بالخل وأربع كسرات كبار. وأطعمنا ذلك من حضر من أصحابنا وأخذنا منه قطعة لحرمنا فالله يتقبل منه. وأخبرنا أن الأخ الأود سيدي محمد المكنى هنا خرج لملاقاتنا وأنه بعث في طلبه وأتانا استواء الشمس مع سيدي إبراهيم مصطفى وسيدي محمد سحبان وسيدي أحمد بن عبد اللطيف من أولاد ابن مريم، وأخبرنا خبر أجمالنا التي ودعنا عنده مشرقين مع جماعة وافرة من أهل المحبة وجلسنا معهم هنيئة ريثما تزول الشمس، ولما زالت انفضوا متفرقين في ظلال الأشجار في أهبة الصلاة والتماس الوضوء وتحينها، وصلينا الظهر، {وجاء الركب}[3] وبتنا، وأضافنا هناك[4] أصحابنا سيدي عبد الرحمن عمار، بالضم بالضم والمد كعقاب، هكذا يسمونه.

وذكر أن سبب ذلك أن جدهم كان يلقب خراب[5] وجاء مجذوب فقال إنك إنك عمارة لا خراب فلقب هذا[6] من وقتئذ {والله أعلم}[7] وانتسخت[8] الأخرى[9] والمناسب للقضية عبد الرحمان عمارة كرسالة والله أعلم بحقيقة الأمر، ومن ومن معه من أهل المحبة. وجاؤوا الركب بنيف وعشرين إناء من طعام وشعير وتين ودلاع، فالله يتقبل منهم ويجازيهم أحسن الجزاء.

---

(1) "ح2": الأولى.
(2) "ت": بخيمة.
(3) ساقطة من "ف".
(4) "ح1": هنالك.
(5) "ت": خربا.
(6) "ت": بهذا.
(7) ساقطة من "ف".
(8) "ع": وانتسخ.
(9) "ت": الآخر.

ثم ظعنا بعد صلاة الصبح ومال بنا الأخ سيدي عبد الرحمان المذكور لداره داخل البلد، فأدخلنا، فالله ينفعه، محله مع جماعة وافرة من أصحابنا والسادات[1] الأشراف وطلبة العلم، وأوسع الناس شبعا وريا، فالله يتقبل منه ويوسع عليه ظاهرا وباطنا ويكون لنا وله وليا ونصيرا، ومعينا وظهيرا. وخرجنا من عنده، وعن لنا الأخ نجل الولي الصالح سيدي [253- أ] عبد الحفيظ سيدي حامد وطلب منا الدخول لمنزله فأسعفناه لذلك تطييبا لخاطره، وأدخلنا منزله وأطعمنا ما قدر عليه[2] من الطعام الطعام والفواكه، فالله يذيقه حلاوة الإيمان، ومطاعم الإيقان، آمين. وخرجنا من عنده ولحقنا منزلنا سانية الأخ المصافي، الزلال الصافي، الأود سيدي محمد بن مقيل ونزلنا بدويرة بها، ونزل أصحابنا بعرصة بإزاء الدويرة بأخبيتهم ضحوة يوم الثلاثاء ثاني جمادى الثانية وسابع السمائم. وبعث لنا المفتي سيدي محمد المكنى شعيرا وتبنا للبهائم ودلاعا، فالله يتقبل منه. فاطمأن بأهل الركب القرار، واستقرت بهم الدار[3]، وألقوا عصى التسيار، واستبدلوا حلاوة الإقامة، وإن نغصت[4] لذتها بالبعد من الحرمين والفرقة، بمرارة سفوف مسافات برقة فيا شوقه. إلى الحرمين فيا شوقه، نسأل الله تعالى العودة إليهما الكرة {بعد الكرة}[5] والمرة تلو المرة.

واجتمعنا بالأحبة وأزلنا ما أنتجه من الوحشة النأي، واحتقبنا من مطايا الوصال ما أتحفه الولي، وقرت من كل الأدواء العين، وسروا بالتحاف أثواب المواصلة ومزقوا جيب البين، وأضافنا وأكرمنا وبالغ في [قضاء][6] حوائجنا الأخ المفتي سيدي محمد[7] [بن أحمد][8] المكنى أيده الله وسدده، ورعاه وأرشده، ولم تزل موائد إحسانه إحسانه إلينا تترا، وفوائد إكرامه تتوالى وردا وصدرا، كابن أخته الودود ابن الودود سيدي محمد بن مقيل، كان الله له في الرحيل والمقيل. وأقمنا بها خمسة عشر يوما عدا يوم النزول ويوم الرحيل ننتظر من الأعراب الكراء، ومن الأسواق الشراء، وهما معا كل وما يشاء. واشتغل الناس بالاستعداد بما يقوم بأودهم من بيع ما أتوا به من

(1) "ف": السادات.
(2) "ف": له.
(3) "ف": الديار.
(4) "ف": نقضت.
(5) ساقطة من "ح2".
(6) زيادة من "ف".
(7) "ح1": أحمد.
(8) زيادة من "ت".

السلع، وطلب سلف إلى أمد متسع، ولم نزل بين ذلك مترددين، وإجالة الأفكار فيه مستعملين، ولمالك الأمر أولا وآخرا مستاخرين، حتى أبدى[1] تعالى طي ذلك ما سبق في أزله، من الجمع بين ثاني التقسيم وأوله.

وورد علينا والي البلد البي، والتقينا يوم الجمعة بذي السلطنة الدولاتي إبراهيم صابي وتردد إلينا الكتبة، وهم ناس لا بأس بهم يطلبون الإعانة على الخير بعد التوفيق إليه من الله تعالى. وأوصيت[2] الكل بتقوى الله [العظيم][3] تعالى والذب على خليفة الله كل بما قدر عليه من يد ولسان وبنان وجنان، والشفقة على الرعية، وتعظيم ما عظم الله من أهل البيت وعلماء الأمة وصالحيها، فأجابوا سمعا وطاعة وأظهروا الاعتناء بأجمال سرقت للركب، فالله تعالى يوفقنا وإياهم. ولحق بنا في خلال هذه المدة الأخ سيدي علي ابن عبد الصادق الجبلي مع جماعة من أهل المحبة، ووقف معنا في شراء الإبل {الأخ المصافي، الزلال الصافي، سيدي عبد الرحمان عمار التاجوري}[4] فالله تعالى يجازيه عنا خيرا، ويقيه ضيرا.

وممن أعان على حوائجنا وأكثر الترداد إلينا مدة إقامتنا، الأخ الصالح سيدي أحمد بن صالح أخذ الله بيده {إليه}[5] أخذ الكرام عليه. وكنا عزمنا على الخروج قبل قبل هذه المدة فثبّطنا الحجاج لقضاء مآربهم، وتوفية مطالبهم، ولتنقضي أيام الإقامة المسطرة في الكتاب، التي لا يد على محوها لمصيب ولا لِذِي ارتياب، فأقمنا بها[6] خمسا فخمسا فأربعا فيوما له {يوم الترحال تال}[7].

---

(1) "ع": أبدا.
(2) "ف": وأجبت.
(3) زائدة من "ت".
(4) ساقطة من "ت".
(5) ساقطة من "ت".
(6) "ع": به.
(7) ساقطة من "ح2".

ذِكْرُ خُرُوجِنَا مِنْ طرابلس وَارْتِحاَلِناَ مِنهْاَ

أَمَّنَهاَ اللّٰه آمين آمين

كان ارتحالنا ليوم الخميس لثماني عشرة خلت من جمادى الثانية، بعد أن اكترينا جل المحتاج من الإبل بستة وثلاثين ريالة فراميل[1] من سكة الوقت بالبلد، واشترى من اشترى من الحجاج واكترى، ونزلنا طرة ضحوة، بلدة على أميال من المدينة بها سواني عذبة ومزارع ونخيلات، وبها ناس قليلون. ولحق بنا من الحجاج من لا أرب له بالمدينة يومئذ، وأقمنا يوم الجمعة ليتلاحق الركب ويتكامل خروجه ولحق الناس كدهم بعد عصر الجمعة إلا بعض السادات[2] الأشراف أرادوا أن يبكروا بكرة السبت ولحق بنا جماعة وافرة من أهل المحبة لقصد الوداع، وودعناهم صبيحة السبت.

[ذكر ما يتعلق بقبح الدخان وخبثه]

ثم ظعنا إسفارا، وتركنا بمنزلنا جماعة وافرة من ركبة البغال في انتظار [253-ب] السادات المتخلفين عن الركب وتبعنا جماعة من أهل المحبة. ومررنا بكركش[3] بلدة بها زيتونات، وبها من الصالحين سيدي حامد رجل صالح تقادم عهده ودفن بساحل[4] البحر وبمسجد سيدي علي الكركاشي وبزترور[5] بلدة واسعة بها زوايا وأراضي ومزارع وبها مدرسة من أحسن المدارس التي في تلك السواحل وعلى بابها قبر رجل من الصالحين قريب العهد ذكروا أنه يعرف بالعريفي.

---

(1) "ت": فرامل.
(2) "ف": السادة.
(3) "ف": بكركاش.
(4) "ح2": صالح.
(5) "ف": وبزتزور.

قال شيخنا أبو سالم: "وأخبرني من أثق به حكاية وقعت لبعض الناس مع صاحب هذا القبر في شأن الدخان تدل على قبحه وخبثه وقبح وخبث متعاطيه"[1].

قال: "وذلك أنه كان عند قبره زيتونة كان يجلس إليها في حياته، فجاء[2] رجل بعد موته فجلس في ذلك المحل وشرب فيه الدخان وكان من أكابر البلد. فلما نام في الليل جاءه ووقف عليه وضربه على رأسه وقال له: يا فلان: مكان كنت أجلس إليه فجئت إليه فنجسته، فأصبح الرجل أعمى. أخبرني بذلك من أخبره الأعمى"[3].

"وقد كثر خوض المتأخرين من العلماء في أمر هذا الدخان بين مبيح ومحرم، والأكثر على التحريم، منهم علامة زمانه الشيخ إبراهيم اللقاني وشيخه المحقق الشيخ سالم السّنهوري إلى غيرهم من محققي المتأخرين من المغاربة.

وممن ألف في إباحته الشيخ أبو الحسن الأجهوري. ورد كلامه فيها الشيخ الفكوني[4] ردا بليغا نقضه عروة عروة. وممن أباحها سيدي أحمد بابا[5] التنبكتي السوداني وقد أخبرني شيخنا سيدي أبو بكر السّكتاني، رضى الله عنه، أنه راجعه في كثير من أدلته التي استدل بها على الإباحة فلم يجد عنده تحقيقا، كما راجع شيخه اللقاني في مثل ذلك من أدلة التحريم فلم يجد عنده تحقيقا أيضا. قال:

"وقصارى ما قال لي إنها ليست من أخلاق الصالحين فأردنا تنفير الناس عنها". قال لي شيخنا المذكور: "رأيت في شأنها نحوا من ثلاثين تأليفا بين محلل ومحرم ولا أرتضي شيئا منها". وكان، رضي الله عنه، يقول مذهبي فيها التوقف وعدم الجزم فيها بتحريم ولا تحليل لأن إحداث حكم من أحكام الشرع في نازلة، من دون برهان واضح عن الله، عظيم الوقع في الدين، شديد أمره من الله، ومن أظلم ممن قال إن الله حرم هذا أو أحله بدون نص من الشارع أو قياس مقبول مسموع جار على أصول الشرع وقواعده؛ إلا أنه كان يجزم بوجوب تركه من جهة أخرى وهو أنه مجهول الحكم ولا يجوز لأحد أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه. وهذا أمر قد جهلنا حكم الله في هذا الوقت وإلى الآن لم يتضح لي فيه شيء يثلج له الصدر، ولا ينبهم فيه

(1) ينظر ماء الموائد، ج2، ص: 404 .
(2) "ف": فجاءه.
(3) ينظر ماء الموائد، ج2، ص: 404 .
(4) "ت": البكري.
(5) "ح2": باب.

الأمر. قال لي رضي الله عنه وقد رأيت قصيدة في تحليلها للعشابي الدرعي تزيد على مائتين من الأبيات، قال وقد عارضتها بمثلها وكتبت في آخرها ما معناه لست ممن يذهب في {مثل}[1] هذا إلى التحريم ولا إلى التحليل وإنما أردت[2] أن يعلم الناظر في القصيدتين أن كلاًّ منا[3] يتكلم بهوى[4] نفسه وليس على يقين فيما يقول. وقال {لنا}[5] رضي الله عنه: "وأبلغ واعظ رأيته في شأنها يدل على التحريم لو كنت ممن يعتمد المرائي وأشباهها في التحليل والتحريم وذلك أني كنت بدرعة أول ما ظهرت هذه العشبة وأنا حديث السن في أوائل الاشتغال بالطلب، فبينما نحن ذات ليلة والطلبة مجتمعة في ليلة خميس كما هو شأنهم في ليالي تعطيل القراءة، فأتى بعضهم بهذا الدخان فتناولوه فيما بينهم إلى أن جاءت إلي فتناولتها وأخذت منها نفسا أو نفسين، فلما نمت جاءني في عالم النوم رجلان بيدهما[6] جرب من جرب[7] السودان السودان وما كنت رأيتها قبل ذلك. فأخذا يضرباني ويعذباني ويقولان: لم تناولت الدخان؟ وأنا أعتذر لهما[8] وأقول [لهما][9]: لا علم لي بشأنها، ولا يقبلان عذري في في ذلك وعذباني عذابا شديدا حتى استيقظت ووجدت أثر الضرب في جسدي ظاهرا أتألم منه ألما شديدا، وبقيت مريضا من أجل ذلك نحوا[10] من سبعة أشهر". قال [لنا][11] رضي الله عنه وأنا لا أشك في صدق الرؤيا ومع ذلك فأتوقف عن الحكم بالتحريم لما في الحكم من الخطر، ولم أخبر شيخنا اللقاني بهذه الرؤيا خشية أن يعتمدها في التحريم. قلت والذي أرتضيه ما ذكره شيخنا هذا رضي الله عنه مع الميل القوي إلى التحريم، وغالب المتورعين [254- أ] من الفقهاء ومعهم جميع الصوفية أرباب القلوب الصافية مصرحون بالتحريم والذي أعتقده أن الفقهاء إذا اختلفوا في حكم وكانت الصوفية في جانب واحد فالحق معهم لأن الله مؤيدهم، وهوى النفوس

---

(1) ساقطة من "ت".
(2) "ت": أراد.
(3) "ف": كل واحد منا.
(4) "ح1": عن هوى.
(5) ساقطة من "ت".
(6) "ف": في يديهما.
(7) "ف": حرب من حرب.
(8) "ت": إليهما.
(9) زيادة من "ت".
(10) "ح2": نحو.
(11) زيادة من "ف".

مفقود منهم، فلا ينطقون إلا عن حق وصواب، وعامة فقهاء المشرق متساهلون فيه فضلا عن عوامهم، وقد رأيت كثيرا ممن يستعمله في المساجد ولا يتحرّجون، وهو أمر شنيع لا ينبغي أن يختلف في امتناعه لكراهة رائحته وخبثها ومنافاة تعاطيها للتعظيم والوقار المطلوبين في المساجد، حتى إنه يحرم كل ما يخل بتعظيمها ويقتضي إهانتها حتى الثوم والبصل مع الاتفاق على إباحتهما ولو اضطر إليهما الآكل لدواء، إلا أن أهل المشرق في الغالب يخلون بتعظيم المساجد يأكلون فيها ويشربون، ويحلقون رؤوسهم وينامون"[1] انتهى.

قلت وأما شيخنا قطب الزمان، وعلامة الأوان، الجامع بين الشريعة والحقيقة، والسنة والطريقة، حاوي العلمين السامي على الفرقدين، {أبو عبد الله}[2] سيدي محمد بن ناصر نفعنا الله به، وأعاد علينا من بركاته، فطريقه فيه طريق الأئمة الورعين من الاحتياط مع عدم التفوه فيه بشيء على أنه شديد النكير على متعاطيه ويميل كثيرا إلى التحريم ويصوب أدلة قائله ويرجحها ما أمكن، ومع ذلك لا يصرح بالتحريم إلا أنه يبالغ في التنفير منه والتقبيح لشأنه، ويأمر فيه بالضرب بالنعال واليد. وأتى بعض الباعة يوما به {فأمر به}[3] فأحرق وغرم[4] له قيمته ولا يترك أحدا يتعاطاها في أماكنه ومحاله رضي الله عنه ونفعنا به. ويقول لا حظ لمتعاطيها في طريقتنا[5] ولا يشم لها رائحة أعاذنا الله من ذلك. وهكذا رأي محققي علماء الملة من المتأخرين.

رجوع وانعطاف إلى ما نحن بسبيله
من تعداد المراحل، ونظم المنازل

وشيعنا جماعة من أصحابنا من أهل المحبة وأضحينا بطرق أرض صياد على ربوة، وتفرق أصحابنا في ظلال الحدرات والنخلات نسأله[6] تعالى أن يصحبنا

---

(1) ينظر ماء الموائد ج2، الصفحات: 401- 402- 403 .
(2) ساقطة من "ح1".
(3) ساقطة من "ف".
(4) [حُرمَ غَرْم] زيادة في "ف".
(5) "ف": طريقنا.
(6) [نسأل الله] زيادة في "ف".

معونته وتيسيره آمين. {ونزلنا هنالك حتى صلينا الظهر ورحلنا بين الظهرين}[1] ونزلنا بإزاء سانية حتى صلينا العصر، وخيمت الخيم فملنا لمخيمنا[2] فبتنا في نسيم بارد، تعرف أنه من إله واحد.

ثم ظعنا بعد صلاة الصبح وأضحينا بالزاوية الغربية، بلدة {ذات}[3] نخل وفواكه وأشجار ومزارع وعمارة وتعرض لنا مع جماعة، الأحب[4] سيدي محمد المكني المكني ثم تلقانا أهل الزاوية أفواجا نسأله {سبحانه}[5] تعالى أن يعاملهم[6] بفضله. بفضله. وقلنا الحرشا، وصلينا الظهر، فودعنا الأخ سيدي محمد بن أحمد المكني مع جماعة من أهل الزاوية الغربية مع أصحابه، والله تعالى {بفضله}[7] يسبل على الجميع، ستره المنيع.

وسرنا ونزلنا دحمان بين الظهرين. وتلاحق الركب ولحق أخريات الركب مع العصر. وبتنا هنالك ولما صلينا الصبح ودعنا إخواننا الذين شيعونا فاستودعناهم الله واستودعونا الأخ سيدي محمد بن مقيل وجماعة معه وسيدي عبد الله بن يحي وطائفة معه وسيدي علي بن عبد الصادق مع جماعة ومقدم إخواننا بتاجورا سيدي عبد الرحمان بن عمار وسيدي أحمد بن جابر مع أصحابه وسيدي حامد من أولاد سيدي محمد الصيد، وقدمنا على فقراء الساحل سيدي عبد الله بن يحيي وعلى فقراء المدينة الأخ الصالح والأحب الناصح سيدي أحمد بن صالح نسأل الله تعالى أن ينفع الجميع بمنه وكرمه آمين آمين.

ثم منها وأضحينا {بإزاء أم}[8] الخلوف[9]، وقلنا على ربوة بإزاء البحر على ماء عذب، وصلينا الظهر، ورُحنا[10] مليتة قبل العصر، ولحق أول الركب مع أول العصر، وتلاحق الركب عن آخره قبل الاصفرار. وبات الناس على ماء قليل يتبرضونه

---

(1) ساقطة من "ح1".
(2) "ت": لخيمتنا.
(3) ساقطة من "ت".
(4) "ح2": المحب.
(5) ساقطة من "ح2".
(6) "ت": أن يجازيهم.
(7) ساقطة من "ت".
(8) ساقطة من "ف".
(9) "ف": الحلوف.
(10) "ت": ورحلنا.

تبرضا ونزحوه وهو على قلته مالح. وذهب الناس في طلب[1] الماء لآبار[2] عهدت هنالك لعلمهم أن يستقوا [ماء][3]، فسقوا ما احتاجوا وباتوا في يمن [وأمان][4] وعافية.

واجتمعنا هنالك بالرجل الصالح رفيقنا في طريق الحجاز عام تسعة سيدي عبد الرحمان بن عبد النبي من أولاد سيدي عبد النبي الأصفر، ناس صالحون لا بأس بهم من عرب تلك النواحي. ثم منها وقلنا الزوارة الشرقية، وتلقانا {أهلها}[5] بحليب النوق [254- ب] على أفراسهم ناس مباركون طلبة من السعفات من عرب تلك النواحي، وجلسنا معهم وفيهم محبة صادقة، فالله ينفعهم بنياتهم آمين آمين، ثم سرنا وتلقانا والدهم رجل مسن على فرس يسمى سيدي العاسف.

ثم نزلنا بطرف وزدر الغربي من الزوارات الغربية بعد الزوال بنحو عشرين درجة وبها سواني عذبة باردة.

"والزوارات تسمى الشرقية الزوارة الكبرى وتسمى كوطي بضم الكاف وكسر الطاء المهملة، وهي قرية أضخم من الزوارة الغربية وأكبر غابة وفي أهلها شجاعة وعزة نفس وكانت طاعتهم للعرب مشوبة بعصيان ومنتهاها قرية ولول وبينهما عشرون ميلا وهما قريتان متشابهتان عذوبة ماء وخراب بناء وولول هذه منتهى أرض الزوارات من ناحية الشرق وسميت بذلك لأن أقواما من العرب يعرفون ببني ولول نزلوا بها، وكذلك تعرف في القديم بأرض بني ولول، وهي أكثر بقاع الأرض ظباء ولأهلها دربة في صيدها بأشراك ينصبونها لها تميزوا بذلك من غيرهم.

وأما الزوارة الغربية فتسمى الصغرى وتعرف أيضا بوطن بلد المرابطين وهي قرية ذات نخل كثير باسق الارتفاع وماؤها في غاية العذوبة، وقد استولى الآن الخراب على هذه القرية فليس العامر منها إلا بعض العامر، وأمام هذه القرية بمقربة منها قصر

---

(1) "ف": يطلب.
(2) "ف": بآبار.
(3) زائدة من "ح2".
(4) زيادة من "ف".
(5) ساقطة من "ف".

يسمى وزد، بكسر الواو وسكون الزاي وكسر الدال المهملة، قد امَّحى[1] رسمه، وبقي اسمه، وتخرب أكثر البناء الذي يحف به، ولم يبق من أهله إلا ناس قليلون. وهذا الموضع المشهور أهله ببيع من يجتاز به من الحجاج وغيرهم للنصارى، ولم تزل الأركاب تحترس إذا مرت به خوفا من أهله وخوفهم على سرقة الرجال {أكثر من خوفهم على سرقة الرحال}[2]، فإذا جاوزوه[3] ولم يفقدوا أحدا منهم هنأ[4] بعضهم بعضا بذلك. وكان هذا الفعل كثيرا فيهم شائعا ذائعا فيما تقدم وأما الآن فقد قل ذلك لقلة العامرين به... ومن هذه القرى كان الابتداء بسلوك منازل البربر متمسكين بمذاهب الخوارج المستحلين لدماء المسلمين وأموالهم {وهذا المذهب هو الغالب على جميع البقاع التي بين طرابلس وقابس خصوصا أهل الساحل منهم فهم}[5]، بهذا المذهب المذموم يتقربون ببيع من يجتاز بهم من المسلمين إلى الروم فتجد الناس لذلك يتحامون الانفراد في قراهم، ويجتنبون إيواءهم وقراهم، وهم من بقايا الشرذمة الضالة التي قام بها أبو يزيد مخلد بن كيراد في إفريقية فإنه لما ظفر الله به وأراح البلاد والعباد منه تفرقت أتباعه في الأقطار فسكنت هذه الشرذمة بهذه المواضع وسكنت طائفة أخرى جبل بجاية وقسمطينة وما ولاهما إلى بونة، ومالت طائفة أخرى إلى بلاد الجريد فاستوطنت نفطة ونفزاوة وما والاهما من البلاد، وكلهم خوارج غلاة في مذهبهم مكفرون للعصاة على ما هو معروف من مذهب الخوارج {لا}[6] كمذهب المعتزلة في امتناعهم من إطلاق اسم الكفر على من واقع كبيرة[7] ولم يتب منها فإن المعتزلة لا تسميه كافرا ولا مؤمنا وتسميه فاسقا على حكمهم بتخليده في جهنم وتأبيد عذابه وكأن المعتزلة بزعمهم توسطوا في هذا بين مذهب أهل السنة ومذهب الخوارج، والمتصلحون منهم لا يتماسحون [بثيابهم}[8] ثياب {أحد ممن ليس على}[9] مذهبهم ولا يواكلونه في آنيته وإن استقى عابر سبيل ماء من بعض

(1) "ف": انمحى.
(2) ساقطة من "ح2".
(3) "ف": جازوا.
(4) "ف": هنى.
(5) ساقطة من "ف".
(6) ساقطة من "ف".
(7) "ف": معصية.
(8) ساقطة من "ف".
(9) مطموسة في "ع".

آبارهم استخرجوا ماء البئر كله فما جوه[1] وثياب الجنب عندهم لا يقربها طاهر وثياب الطاهر لا يقربها جنب"[2].

قال التجاني: "وقد شاهدت منهم من كان على طهر إذا أحب غسل ثوبه الذي أجنب فيه يرفعه بعصى أو محجن ثم يلقيه في البحر فيخضخضه بعصاه ساعة ثم بعد ذلك يتناوله بيده، ويوجبون على أنفسهم الغسل صباح كل يوم أجنبوا أم[3] لم يجنبوا رجالا ونساء ويتوضأون ثم يتيممون. وقد شاهدت هذا منهم كثيرا ويشترطون في وضوئهم غسل الأيادي[4] من الأكتاف إلى غير ذلك من آرائهم الواهية. قال: والأفعال التي حكينا عنهم منها ما شهدناه[5] وهو ما نصصنا عليه، ومنها ما حكاه الشريف في كتاب المؤلف للجان ورأيت منهم [أقواما قد نحلت من العبادة أبدانهم واصفرت ألوانهم، باقين في ذلك على أصلهم الفاسد من تكفير العصاة][6]، [255- أ]وأظهروا شيخا يعرف بعبد الرحيم الزواري وجميعهم يعظمه ويقدمه رئاسة وسنا وصلاحا بزعمهم، اجتمعت به فرأيته شيخا مجتهدا في العبادة حسن السّمت إلا أنه باعتقاده الفاسد قد ضيع أعماله وخسر حاله ومآله، وتوسمت في أحد من وصل معه الطلب فتكلمت معه فوجدته قد شارك في طرق من العلم وانجرّ الكلام معه من التحدث في أصل المعتقد إلى التحدث في مسألة المسح على الخفين في الطهارة فشنع بها على مثبتيها[7] كثيرا وفاقا لمذهب الخوارج فذكرت له بعض الأحاديث الواردة في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما فردها بالجملة وقال: هذه أخبار آحاد لا يجب العمل بشيء منها، قال: وقد نص لنا سيدنا أبو يزيد مخلد بن كيداد على طرح ما كان من الأحاديث يناقض أصلا من أصولنا، فلعنت النص. ومن نصه وقد وافقت الخوارج على {إنكار المسح على الخفين}[8] أضدادهم من الشيعة مستندين في إنكاره إلى ما رووا[9] عن علي رضي

---

(1) "ف": فماحوه.
(2) ينظر الرحلة التجانية، الصفحات: 207- 209- 210- 119- 120- 123 .
(3) "ح1": أو
(4) "ف": الأيدي.
(5) "ف": شاهدناه.
(6) ما بين المعقوفتين مطموس في "ع".
(7) "ح2": مثبتها.
(8) ساقطة من "ع".
(9) "ف": رووه.

الله عنه أنه كان لا يرى المسح وذلك غير صحيح [عنه][1] كرم الله وجهه فإن حديث التوقيت في المسح وهو حديث صحيح يروى وقد تغالى الشيعة في هذا واتخذوه شعارا حتى إن الواحد من غلاتهم ربما تألّى فقال برئت من ولاة[2] {أمير}[3] {أمير}[3] المؤمنين ومسحت على خفي إن كان كذا وإلى هذا أشار {الشاعر}[4] بقوله لما حبسه الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي رضي الله عنهم، وكان واليا على المدينة من قبل أبي جعفر المنصور فكتب له من السجن: (المنسرح)

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ مَا لقِيتُ ... أَحْبَبْتُ قَوْماً بِهِمْ شَقِيتُ

لاَ أَشْتُمُ الصَّالِحِينَ جَهْراً ... وَلاَ تَشَيَّعْتُ مَا بَقِيتُ

أَمْسَحُ خُفِّي بِبَطْنِ كِفِّي ... وَلَوْ عَلَى جِيفَةٍ وَطِيْتُ

قال: فأطلقه وأكرمه. وأما الخوارج فوقفوا في إنكار المسح مع نص الكتاب ولو يروا نسخه بالسنة ورُويَتْ عن ملك[5] رحمه الله {في ذلك}[6] رواية[7] شاذة لا شاذة لا ينبغي أن تحمل على ظاهرها وقد تأولها عليه من صححها عنه. وبالجملة فالعلماء مجمعون على خلاف هذا القول وقد نصوا على تفسيق[8] من قال به، وقول وقول هذا الزواري أن هذا من أخبار الآحاد ليس كذلك فقد نص الأئمة على أن هذا الحكم ممّا[9] ارتفع عن رتبة خبر الآحاد إلى رتبة المتواتر"[10] انتهى كلامه.

---

(1) زيادة من "ف".
(2) "ع": ولات.
(3) ساقطة من "ف".
(4) ساقطة من "ح2".
(5) "ت": مالك.
(6) ساقطة من "ت".
(7) مطموسة في "ع".
(8) "ع": تفسير.
(9) "ت":قد.
(10) ينظر الرحلة التجانية، الصفحات: 207- 208- 209 .

وفي هذا المنزل إيابنا عام عشرة ودعنا من شيعنا من أهل المحبة من طرابلس وتذاكروا[1] مذهب هؤلاء الخوارج فأنشأ الفقيه سيدي عبد السلام بن عثمان بنفسه بنفسه كان الله له: (الطويل)

لَقَدْ قبَّحَ اللهُ الزُّوَارَةَ كُلَّهَا ... وَأَلْبَسَهَا مِنْ دِينِ أَرْبَابِهَا شَيْنَا

وَحَقٌّ لِمَنْ جَاوَرَ القُبْحَ أَنْ يَرَى ... قَبِيحاً خَبِيثاً لَيْسَ تُلْفِي[2] لَهُ زَيْناً[3]

فَيَا رَبِّ دَمِّرْهَا دَمَاراً مُؤَبَّداً ... وَلاَ تُبْقِيَنْ مِنْ كُلِّ آثَارِهَا عَيْنَا

وقال سيدي حسين[4] بن محمد بن علي بن شرحبيل البوسعيدي أخذ الله بيده: (الطويل)

وَتَبَّرَهُمْ تَتْبِيرَ عَادٍ وَأُلْبِسُوا ... سَرَابِيلَ خِزْيٍ كُلَّمَا انْتَحَلُوا مَيْنَا

وَنَظِّمْهُمُ فِي سِلْكِ عُنْقٍ فَلاَ يُرَى ... لَهُمْ عَقِبٌ إِلاَّ وَجَرَّعَهُ حَيْنَا

عَدَا السَّالِكِينَ مَنْهَجَ الحَقِّ وَاقْتَفَوْا ... سَبِيلَ رَشَادٍ وَاقْتَنَوْا بَيْنَهُمْ[5] بَيْنَا

وقال أبو الحسن علي سيدي النجاري الطرابلسي لطف الله به: (الطويل)

وَأَخْرِجْهُمُ مِنْ أَرْضِنَا وَبِلاَدِنَا ... وَأَهْلِكْهُمُ حَتَّى يُقَالَ لَهُمْ أَيْنَا

وَأَخْزِهِمْ خَزْياً يَكُونُ بِجَمْعِهِمْ

مُحِيطاً وَلاَ [وَفَّى الإِلاهُ لَهُمْ][6] دَيْنَا [255- ب]

[وقال شيخنا سيدي أحمد الهشتوكي وفقه الله:][7] (الطويل)

وَزَادَ لِأَهْلِهِ الخَسَارَةَ وَالرَّدَى[8] ... وَأَظْلَمَ أَحْشَاءً [وَزَادَ لَهُ][1] رَيْنَا

---

(1) "ع": وتذكروا.
(2) "ت": يلفى.
(3) "ح1": دينا.
(4) "ت: الحسين.
(5) "ف": منهم.
(6) "ت": ولا وفى لهم أبدا.
(7) ما بين المعقوفتين مطموس في "ع".
(8) "ع": والرّدا.

سِوَى مِنْهُـمْ مَنْ كَـانَ ذَا سُنَّـةِ النَّبِيِّ فَـلاَ زَالَ لأَتْبَـاعِـهِ[2] مُقِـرّاً عَيْنَـا

وسقى الناس ما احتاجوا إليه من الماء إلى سواني ابن قردان.

ثم ظعنا منه وودعنا أخانا أبا غوارة التاجوري رجل لا بأس به من أهل المحبة والدين وهو آخر من شيعنا من طرابلس. وأضحينا على أكمة مرتفعة شرقي برج الملح بأميال ننتظر الركب. ثم سرنا ومررنا بقوارب متعددة[3] عند البرج تحمل الملح. والتقينا بما ينيف على ثلاثين جملا موقورة ملحا حملتها من السبخة التي تحمل بها هنالك للسفن، المفضل ملحها على سائر السباخ. ومنها يمتار[4] أهل البلد النصرانية وكأنها طرف من السبخة التي بتوزر. وأهل ذلك الموضع يزعمون أنهم إذا رفعوا على وجهها من الملح ووصلوا إلى تراب[5] الأرض احتفروا فيها قليلا فوجدوا طبقة من الملح أخرى، ثم يحتفرون فيجدون طبقة أخرى وكذلك إلى سبع طباق وهم يجهدون إلى الطبقة السابعة لأن النصارى يتغالون في اشترائه منهم ويذكرون أن له عندهم منافع طبِّيَة[6] متعددة. ونزلنا وقت القيلولة غربي البرج بأميال، وصلينا الظهر. وجاء الركب فسرنا وصلينا على ربوة بمقربة دارنا في التشريق بأميال بموضع يسمى ماجن بالرجا ولم يلحق آخر الركب إلا بعد الغروب. وسرق الشريف المحب مولانا[7] العربي بن أحمد بن يوسف تلك الليلة، فالله يجمعه بما سرق له بلا كلفة إن بقي له فيه رزق[8] وإلا فالله يخلفه له بما هو أحسن منه وأطيب بمنه {ويمنه}[9].

ثم منه ونزلنا سواني ابن قردان قبل العصر، وبه ماء كثير إلا أنه فيه مرارة ما وهو لزاوية عكارة {في}[10] الوقت وبه آبار لا بأس بها لمن عرفها ووقف عليها، يوم الخميس الخامس والعشرين[11] من جمادى الثانية عاشر[1] غشت وبه توادعنا[2] مع

---

(1) مطموسة في "ت".
(2) "ف": من أتباعه.
(3) "ت": معددة.
(4) "ح2": يمتاز.
(5) "ف": قرار/ "ع": نزار
(6) "ف": طبية.
(7) "ح1": مولاي.
(8) "ت": الرزق.
(9) ساقطة من "ف".
(10) ساقطة من "ف".
(11) "ع" والعشرون.

محبنا الفقيه سيدي أحمد بن محمد الورغمي الجليطي ذهب لأهله بجبل ورغمة، وهو رجل له خبرة بما قسم [الله][3] له من العلوم، ذو ديانة وهدى حسن، مخائل الخير تلوح في غرته، وأبدى[4] سؤالا وهو كيف يركب النبي صلى الله عليه وسلم؟ هل يرفع رجله اليمنى ويضعها في الركاب ثم يرفع اليسرى من الأرض ويضعها على ظهر الدابة ويستوى عليها، كما تفعله عرب المشرق؟ أو يرفع اليسرى أولا ويضعها في الركاب ثم يرفع اليمنى من الأرض ويجعلها على ظهر الدابة، كما تفعله المغاربة؟ ولم نقف لذلك على أثر، ولا صحيح خبر، ومن وقف عليه فليلحقه بهذا الموضع محتسبا.

ثم منه، وأضحينا شرقي وادي فسى ونزلنا على آبار وادي النبش بعد العصر بالعدوة الشرقية، وجاء أول الركب بعد الغروب وتكامل آخره مع[5] العشاء الآخرة[6] وبتنا به في ماء أطيب[7] وأعذب من ماء ابن قردان.

ثم منه [ونزلنا][8] صبح السبت السابع[9] والعشرين من جمادى الثانية ثاني عشر غشت، وأضحينا بالعدوة الغربية من واد[10] أبي حامد ونزلنا في نحر الظهيرة بوادي السمار، وقلنا بعودته الشرقية. ووجدنا هنالك نجع الحمارنة سيدي محمد بن علي وأولاده، وأتانا أولاده بدلاعتين {وطسوت}[11] وحليب في سقاءين. وانحدر الركب أسفل الوادي لسقي الماء في آبار به عذب ماؤها. وصلينا الظهر وسرنا إلى قرب العصر ونزلنا العباعب جمع عبعوب وزان[12] عصفور. وتلاحق الركب بعيد العصر وبات الناس به.

---

(1) "ت": عاشرا.
(2) "ف": تواعدنا.
(3) زائدة من "ت".
(4) "ح2": وأبدا.
(5) "ع": بعد.
(6) "ح1": الأخيرة.
(7) "ف": طيب.
(8) زائدة من "ت".
(9) "ف": السادس وهو خطأ.
(10) "ف": وادي.
(11) ساقطة من "ف".
(12) "ت": وزن.

ثم منه وأضحينا بشلاكة على ربوة يتراءى لنا عرام وقلنا على سانية عذب ماؤها تسقي أشجارا قليلة ونخيلات أسفل عرام ولحق بنا هنالك الأخ في ذات الله والأحب في جانبه سيدي محمد الصالح بن سيدي عبد الله بن عبد العزيز الحمروني مع جماعة من أهله وفيهم ولده الصالح سيدي عبد الكريم، وجلسنا معه هنيئة وحان وقت صلاة الظهر فصلينا وسايرونا ومررنا بقصر عرام ودعونا الله تعالى عند المقبرة بها أسلافهم.

ونزلنا مارت قبيل العصر وبتنا بها [وباتوا معنا ولحق آخر الركب مع الاصفرار. وسرق تلك الليلة الرفيق الصالح سيدي ناصر بن][1] العبد الدريدي؛ وكان رافقنا [256- أ] من جديدة رجوعنا من المدينة المشرفة رزقنا الله العودة إليها الفينة[2] بعد بعد الفينة، وكان طالعا مع الركب التونسي ثم انحاز إلينا حين كانت له معنا مخالطة وأحبنا لله ولم يقدر على مفارقتنا، فالله ينفعه بنيته. وأوصينا السيد محمد الصالح مع جماعة أن يبحثوا في ذلك ولا يقصروا لعل الله أن يجعلهم سببا لظهور ذلك. ومارت هذه قرية صغيرة، وعليها غابة نخل يسيرة، على عين غزيرة، ثم ظعنا منه صبح الاثنين التاسع والعشرين من جمادى الثانية ومررنا بزريق موضع سكنى سيدي محمد الصالح المذكور كوالده قبله وبه قبره. وأما غيره من الحمارنة فإنما مدفنهم بعرام وأخرج لنا أولاده دلاعات[3] فالله يتقبل منهم. وبزريق هذا أقام في القديم الميورقي متلوما[4] على متلوما[4] على أهل قابس لما كاتبهم بالدخول في طاعته كما يبين في ذكر قابس إن إن قدر الله أن نلم بشيء من أخبارها، وإلا فما أنا على ذكرها بحريص. ونزلنا قابس، وقد بقي لاستواء الشمس نحوٌ من عشرة أدرج.

قال التجاني في رحلته: "فرأينا بلدا قد استوفى المحاسن واستغرقها، وأذكر بمنظره الأنظر[5]، وورقه الأخضر، جنة عدن وإستبرقها، وقد أحدقت غابته من جميع جهاته[6]، واستوت في جميع عرصاته، وحق ما قيل: إن قابس جنة الدنيا، ودمشق

(1) ما بين المعقوفتين مطموسة في "ع".
(2) "ع": الفيئة.
(3) "ح2": دلاعا.
(4) "ت": ملتوما.
(5) "ف": الأنضر.
(6) "ت": جهاتها.

الصغرى. وهي مدينة صحراوية بحرية فإن الصحراء متصلة بها والبحر على ثلاثة أميال منها فهي أحق بقول ابن عينية [رحمه الله تعالى][1]: (البسيط)

زُرْ وَادِيَ القَصْرِ نِعْمَ القَصْرُ والوَادِي   وَحَبّذَا أَهْلُهُ مِنْ حَاضِرٍ بَادِي

تُدْمَى قَوَاقِيزُهُ[2] وَالعِيسُ وَاقِفَةٌ   وَالضَّبُّ وَالنُّوقُ وَالفَلاَّحُ وَالحَادِي

وبقول الخليل بن أحمد: (المنسرح)

يَا جَنَّةَ فَاقَت الجِنَان فَمَا   يعلقهَا[3] قِيمَةٌ وَلَا ثَمَنُ

هَاهِيَ حِيتَاتُهَا انصبَابٌ بِهَا   فَهَذِهِ كَنَّةٌ وَذَا[4] حَسَنُ[5]

مِنْ سُفُنٍ كَالنِّعَامِ مُقْبِلَةً   وَمِنْ نَعَامٍ كَأَنَّهَا سُفُنُ

ويقال إنه لم يجتمع في مائدة صيد البر وصيد البحر وأصناف التمر[6] إلا في في مائدة ساكن قابس"[7].

قال: "وعلى قابس سور[8] من صخر جليل من بناء الأوائل ولها رياض واسعة واسعة وجل أسواقها في ربضها، وقد دار بسوقها خندق متسع يجرون الماء إليه إذا خافوا من نزول عدو عليهم فيكون أمنع شيء لها. ولها واد يسقي أجنتها ومزارعها ويخترق في كثير من مواضع الغابة دورها وشوارعها وأصل هذا الوادي من عين خوارة من جبل بين القبلة والمغرب منها، وأكثر جناتها[9] فيما بين المدينة والبحر، وبتلك الجهة الساحة المعروفة بساحة عنبر"[10].

---

(1) زيادة من "ف".
(2) "ف": قواقيره.
(3) "ت": لغلقها.
(4) "ت": وذاك.
(5) "ف": واذا ختم.
(6) "ف": الفواكه.
(7) ينظر الرحلة التجانية، ص- ص: 86- 87 .
(8) "ف": صور.
(9) "ح2": جنتها.
(10) ينظر الرحلة التجانية، ص- ص: 87- 88 .

قال: "وأنشدني الفقيه البليغ الكاتب أبو الفضل محمد بن علي السكتاني[1] لنفسه يصف إحدى عشاياه بتلك الجهة في تلك الساحة، وما اقتضبه بها[2] من الأمن والراحة: (الكامل)

أَذْكُـرْ عَشِيَّتَنَـا بِسَاحَـةِ عَنْبَـرِ وَالبَحْـر يُتْحِفُنَـا بِنَكْهَـةِ عَنْـبَرِ

حَيْـثُ النَّخِيـلُ عَرَائِـسٌ بَسَـطَ الحَيَا بِسْطَـاً لَهَـا مِـنْ أَخْضَـرٍ مِـنْ أَصْفَـرٍ[3]

وَالشَّمْـسُ تَسْتَحْيِي فَتَسْتُرُ[4] وَجْهَهَا عَنَّـا بِسِتْـرٍ لِلْعَـرُوسِ مَحَبَّـرِ

وَالنَّـوْرُ[5] بَيْـنَ مُـفَضَّضٍ وَمُذَهَّـبٍ وَالنَّـوْرُ بَيْـنَ مُدَرْهَـمٍ وَمُدَنَّـرِ

وَالنَّـهْرُ {وَالغـدْران}[6] عَـنَّ تَحَصُّنـاَ إِذْ صُفَّـتِ الغَـابَاتُ صَـفَّ مُعَسْكَـرِ

وَالبَحْـرُ يَرْمُقُنَـا بِمُقْلَـةِ أَزْرَقٍ وَالبَـرُّ يَرْمُقُنَـا بِمقْـلَةِ أَعْفَـرِ

فِـي جَنَّـةٍ لَـوْ نِلْـتُ[7] مِـنْ خُلْـدِي بِهَـا

قَصْـدِي بَـلَغْتُ إِلَـى النَّعِيـمِ الأَكْبَـرِ [256- ب]

وَمَـحَلُّ أُنْسِـي مِنْـهُ بَيْـنَ رِيَاضِـه[8] بِرِيَـاضَةٍ[9] قَـادَتْ لأَبْهَـى مَنْظَـرِ

مِلْنَـا بِمُنْعَـرَجِ المُصَـلَّى نَـحْوَهُ حَـذَرَ الرَّقِيـبِ وَلَيْتَـهُ لَـمْ نَحْـذَرِ

وَجَـرَى[10] لَنَـا فِـيهِ حَـدِيثٌ كُلُّـهُ لُطْـفٌ حَضَـرْنَا مِنْـهُ[11] أَطْيَـبَ مَحْضَرِ

نُجْـرِي أَحَـادِيثَ الصَّبَابَـةِ وَالصِّـبَا بِـأَرَقَّ مِـنْ مَسْـرَى الصَّبَـا المُتَـعَطِّرِ

---

(1) "ت": التجاني.
(2) "ت": وما اقتضب منه.
(3) "ت": ومعصفر.
(4) "ت": وتستر.
(5) "ح1: والنوق.
(6) ساقطة من "ت".
(7) "ح2": ظلت.
(8) "ف": رياضة.
(9) "ف": برياضه.
(10) "ت": وجرا.
(11) "ح1": فيه.

وَنُدِيـــرُ كَـــاسَاتِ المَحَبّـــةِ بَيْنَـــنَا   فَنَمِيـــلُ مِنْـــهَا بِالَـــحلاَلِ المُسْكِـــرِ

حَتَّـــى إِذَا وَلَّـــى العَشِـــيَّ وَآنَ أَنْ   نَمْتَـــازَ عَـــنْ نَظَـــرِ المُـــرَادِ الأَنْظَـــرِ[1]

قُمْنَـــا نَجُـــرُّ مِـــنَ العَفَـــافِ سَوَابِغـــا   لَمَّـــا نُغَيِّرْهَـــا بِصِبْغَـــةِ مُنْكَـــرِ

وَنَـــؤُمُّ قَابِـــسَ جَنَّـــةَ الدُّنْيَـــا وَفِـــي   قَلْبِـــي لِـــوَ شْـــكِ البَيْـــنِ حُرْقَـــةُ مُسْعَـــرِ

ومن المكاره التي حفت بها جنة قابس ما يتعاهدها من الوباء وينتاب أهلها من الأمراض. وسبب ذلك فيما ذكره أهلها[2] كثرة شجر الدفلى بها فيكتسب الماء منها منها لدى جريه مرارة تضر ببدن ساكنيها[3] كثيرا، ولذلك لا تجد وجوه كثير من أهلها إلا مصفرة. وفي هذا البلد أيضا فساد وتغير[4] سببه كثرة عفوناتها وليس في جميع مياهها ماء يأمن من ذلك إلا العين المعروفة بعين الأمير والعين الأخرى المعروفة بعين سلام، فإن ماء هاتين العينين يسلم من الفساد لعدم مروره على الدفلى، والأولى منهما منسوبة للأمير الأزدي المعروف بابن الصغير وأما الثانية فالمشهور في أسمائها عين سلام بلام مخففة، وهي إنما توجد فيها عقودهم القديمة عين سنام بالنون."[5]

ومما أنشده بعضهم فيها: (الوافر)

عَلَـــى عَيْـــنِ السَّـــلاَمِ سَـــلاَمُ صَـــبٍّ   غَـــذَاهُ[6] مَـــاؤُهَا[7] العَـــذْبُ المُنِيـــرُ[8]

تَـــأَوَّدَ أَيْكُهَـــا وَجَـــرَتْ صَبَاهَـــا   وَشَمْأَلُهَـــا كَمَـــا فَـــتَقَ العَبِـــيرُ

وَأَبْـــرَدَ مَـــا يَكُـــونُ الجَـــوُّ فِيهَـــا   وَأَنْـــدَى حِيـــنَ يَخْتَـــدِمُ المُجِـــيرُ

(1) "ف": الأنضر.
(2) "ت": أهله.
(3) "ف": ساكنها.
(4) "ف": تغيير.
(5) ينظر الرحلة التجانية، ص- ص: 88- 89 .
(6) "ع": عداه.
(7) "ت": ماؤه.
(8) "ت": النمير.

وَمَـــا أَدْرِي أَبَحْـــرِي فَـــوْقَ دُرٍّ أَمِ ابْتَسَمَـــتْ بِمَنْبَـعِهَا الثُّغُــورُ[1]

"ومما يذكره أهل قابس وهو من جنس الخرافات، ما حكاه البكري[2] عنهم أن أن مدينتهم كانت سالمة من الوباء إلى أن احتفروا فيها موضعا توهموا أن فيه مالا فاستخرجوا منه تربة غبراء، فحدث الوباء عندهم بسببها من ذلك الزمان إلى هلم جرا. ومن رسالة لأبي المطرف ابن عميرة في وصف قابس وكان ولي قضاءها في {أول}[3] مدة الخليفة المستنصر رحمه الله، في "بلد غوطى البساتين، طورى الزيتون والتين، فأما النخل فجمع عظيم، وطلع هضيم، وقد قام المقام على ديارها[4] كما قام العروس والأمير، بناء يزدرى إيواء كسرى لديه والخورنق والسدير، وسكك مأبورة، ونواعم في الخدور مقصورة، وأن بقعته لوارفة الظل، آمنة الحرم والحل، جنة لو نزع في صدور أهلها من الغل، وبالجملة فهو تمام الغرابة، مدهآم الغابة، مستأثق[5] لسيد من من سادات الصحابة، ولا عيب بتربته إلا وخامة مائها، وحيات قلما يعرى من عدوائها". وفي فصل من رسالة أخرى له يصف شدة الوباء بها، وما يذكر من كثرة عقاربها، وهذه البلدة الآن في ظلال من شرخ الشباب، والظلال من ثمرات النخيل والأعناب، فهي بحال يقر بحالها[6] الأندلسي، ويجارى بين خلالها الدبسي، ولا عيب عيب فيها إلا هواء وخامتها تخاف، وماء نمير من خالصة الماء المضاف، ولبيوت المدينة دواجن سيئة الجوار، سريعة إلى القطان[7] والزوار، كراها تنفيه، وشرها تخفيه، وصلحها لا يطمع أحد فيه، {فقبحت}[8] شائلة الأذناب، شاملة العذاب، كاملة بارزة، هامزة لامزة، تطرق بالبلية، وتقسم شرها بين بالبرّ والفاجر بالسوية، دبت عندنا ليلة إلى من كان يرمق دبيبها، [257- أ] ويحاول قبل أن تصيبه أن يصيبها، فأوقعت به لدغا في القدم، وإلقاء[9] أشد الألم، وبات وبتنا معه في ليلة أخي ذبيان، وتعالى الله ما أطول ما كانت وأهول ما كان.

---

(1) ينظر الرحلة التجانية، ص: 117 .

(2) ينظر رحلة المسالك والممالك، ج2، ص: 667، رقم 1114.

(3) ساقطة من "ف".

(4) "ح2": دآرها.

(5) "ع": مستأشق.

(6) "ف": بجلالها.

(7) "ح2": للقطان.

(8) ساقطة من "ف".

(9) مطموسة في "ت".

وأشار أبو المطرف بقوله بسيد من سادات الصحابة إلى ما يذكره أهل قابس أن أبا لبابة الأنصاري مدفون ببلدهم وقبره عندهم مزار مشهور. وبقابس أيضا مسجد ينسبونه إليه ولم أر أحدا من المؤرخين عد أبا لبابة فيمن دخل إفريقية من الصحابة، فلعله إن ثبت أن قبره هنالك ممن أغفل المؤرخون ذكره منهم. واسم أبي لبابة بشر بن عبد المنذر ويقال رفاعة بن عبد المنذر وهو ممن شهد العقبة وبدرا. ويقال بل أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة في غزوة بدر فلم يشهدها، غير أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أيضا على المدينة في غزوة السويق، ومات في خلافة علي رضوان[1] الله عليهم[2] ولعل قدومه إلى إفريقية كان هجرانا هجرانا لدار قومه بسبب الذنب الذي أذنبه فتاب الله عليه فقال: "يا رسول الله إن من توبتي أن أهجر دار قومي، وأن أنخلع من مالي، فقال {له}[3] رسول الله صلى صلى الله عليه وسلم: يكفيك من ذلك الثلث.

واختلف في ذنب أبي لبابة فقيل هو تخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك؛ فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع ندم أبو لبابة فربط نفسه بسارية وقال: "و الله لا أحل نفسي ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى يتوب الله علي أو أموت". فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرفه بتوبة الله عليه، فقال: "والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني". فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فحله بيده الكريمة"[4].

قلت: وقيل إن السيدة فاطمة رضي الله عنها هي التي حلته وقال صلى الله عليه وسلم له لما امتنع أن تباشر حله لمكان يمينه إنها بضعة مني.

"فقال يا رسول الله إن من توبتي أن أهجر دار قومي. الحديث. وقيل بل ذنبه إشارته إلى حلقه لبني قريضة حلفائه إنه الذبح إن نزلتم على حكم سعد بن معاذ فنزلت فيه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[5] ثم تاب الله عليه والله اعلم.

---

(1) "ت": رضي.
(2) "ح1": عنهما.
(3) ساقطة من"ت".
(4) ينظر الرحلة التجانية، الصفحات: 89- 90- 91- 92 .
(5) سورة الأنفال، الآية: 27.

وأنشد أبو الحكم الحسن بن عبد الرحمان بن عذرة في كتابه الكبير الذي سماه منتهى السؤل في أمداح الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي المطرف بن عميرة وقد انصرف من قبر أبي لبابة: (الكامل)

خَيْرُ الأَحِبَّةِ مَا أَلَذَّ[1] مَسَاقَهُ ... وَجَنَا القَطِيعَةِ مَا أَمَرَّ مَذَاقَهُ

وَهَوَى القُلُوبِ لَهَا عَلَيْهِ شَوَاهِدٌ ... سَبَقَتْ بِنَاطِقِ حَالِهِ اسْتِنْطَاقَهُ

وَارَى[2] المَنَازِل إِنَّ ذِكْرَ[3] ... لَيُهِيمُ مِنْ كَلَفٍ بِهَا أَشْوَاقُهُ

يَعْتَادُهُ مِنْهَا جَوى بَيْنَ الحَشَا ... وَالصَّدْر رَقْرَقَ دَمْعَهُ وَأَرَاقَهُ

وَيَبِيتُ مِنْهَا كَالسَّلِيمِ وَمَالَهُ ... رَاقٍ إِذَا مَدَّ الظَّلَامُ رِوَاقَهُ

حَمَلَ الغَرَامَ وَمَا اسْتَقَلَّ بِحَمْلِهِ ... قَبْلَ النَّوَى فَالآنَ كَيْفَ أَطَاقَهُ

وَرَمَتْ بِهِ الأَقْدَارُ كُلّ تنوفَةٍ ... لَمْ [تَأْلُ هَالُهَا][4] إِغْرَاقَهُ

قَبْرٌ تَشَكَّيْنَا الفِرَاق بِهِ ... وَإِلاَّ مُنْتَهاً لَنَا مَنْ[5] سَامَ فِرَاقَهُ

وَمَوَارِدٌ حَلَّتْ[6] أَحِبَّةَ آجِنٍ ... يَلْقَى بِهَا طَعْمَ النَّوَى مَنْ ذَاقَهُ

خفْقُ الجَوَانِح دُونَهُ وَيَرُدُّ مَنْ ... أَقْضَى[7] إِلَيْهِ مَعَ الصَّدَّى[8] إِخْفَاقَهُ

مَازِلْتُ أَقْطَعُهَا مُهَاباً لَمْ تَزَلْ ... بِالصَّبْرِ حَتَّى مَزَّقَتْ أَخْلَاقَهُ

حَتَّى وَقَفْتُ وَمَا أَفَقْتُ بِمَنْزِلٍ ... كَالظُّلْمِ فِي صَدْرِي[9] أَرَى آفَاقَهُ

---

(1) "ع" الذي.
(2) "ت": وإن.
(3) "ت": ذكرت.
(4) مطموسة في "ت".
(5) مطموسة في "ت".
(6) "ت": حملت.
(7) "ح2": لأفضى.
(8) "ع": الصدا.
(9) مطموسة في "ت".

وَقبَسـتُ مِـنْ شَـوْقِـي لقَابُـسٍ جـذْوَةً   شَبَّـتْ عَلَـى قَلْبِـي هَوَاهَـا[1] شَاقَـهُ

مِـنْ بَلْـدَةٍ فِـي العَيْـنِ أَظْلَـمَ جَـوُّهَا   مَـعَ أَنَّهَـا مَـا أَنْكَـرَتْ إِشْرَاقَـهُ [257- ب]

قَـدْ كَـانَ مَنْظَرُهـاَ يَـرُوقُ بِعَيْـنِ مَـنْ   يَشْكُـو النَّـوَى لَـوْ إِنْ يَشَـاءُ[2] أَرَاقَـهُ

لَكِـنْ بِقَبْـرِ أَبِـي لُبَابَـةَ لِـي هَـوىً   مَـا مِـنْ هَـوًى لِلنَّـفْسِ إِلاَّ فَاقَـهُ

أَمَـلٌ لِنَفْـسِي لَـوْ ظَفِـرْتُ بِتَـوْبَةٍ   لَجَعَلْـتُ إِثْمِـدَ نَاظِـرَيَّ دُقَاقُـهُ

وَنُمَثِّـلَ القَبْـرُ الكَـرِيمُ بِمُقْلَـتِي   فَدَنَـوْتُ مِنْـهُ وَالْتَزَمْـتُ عِنَاقَـهُ

فَوِثَـاقُ دَيْنِـي[3] أَرْتَجِـي لِفَكَاكِـهِ   مَـنْ فَـكَّ خَيْـرُ العَالَمِيـنَ وَثَاقَـهُ

صَلَّـى الإِلَـهُ عَلَـى النَّـبِيِّ مُحَمَّـدٍ   وَأَنَـا لَـهُ بِجِـوَارِهِ اسْتِحْقَاقَـهُ

وَعَلَـى صَحَابَتِـهِ وَعِتـْرَتِهِ الَّتِـي   أَمَّـتْ رِضَـاهُ وَاقْتَفَـتْ أَخْلاَقَـهُ

وَقَـضَى لَنَـا مَـعَ[4] بُطْئِنَـا فِـي سَيْـرِنَا   يَـوْمَ الجـزَاءِ عَـلَى الـصِّرَاطِ لِحَاقَـهُ

وبشرقي قابس موضع يعرف بالمنارة كان به منار مرتفع يظهر للآتي من المشرق قبل وصوله إلى البلد بمسافة بعيدة، وقد سقط الآن ولم يبق له أثر. وذكر البكري[5] أن الحداة يحدون عند قدومهم من مصر إلى إفريقية ويقولون: (الرجز)

لاَ نَـوْمَ لاَ نَـوْمَ ولا قَـرَارَا   حَتَّـى أَرَ ى قَابُـسَ وَالمَنَـاراَ

وبداخل المدينة مسجدها الجامع وهو مسجد متسع له منار مرتفع قد مال وخرج عن الوزن إلا أنه لصحة موضوعه لا يخشى من وقوعه، وبمقربة من هذا الجامع قصبة قابس وليس ببلاد[6] إفريقية قصبة أضخم من قصبة قابس. وبها المبنى المشتهر المعروف بالعروسين الذي لا يرى مثله ظرفا وحسنا. وقد استولى الخراب وقتنا هذا

---

(1) "ف": سواء.
(2) "ت": فجعلت.
(3) "ح1": ذنبي.
(4) "ف": لنائم.
(5) ينظر رحلة المسالك والممالك، ج2، ص: 666، رقم 1112 .
(6) "ح2": ببلد.

على القصبة وعليه. والعروسان[1] من بناء بني جامع الهلاليين الذين كان لهم أمر قابس {فطوت يد التوحيد آثارهم، ومحت أخبارهم، وأهل قابس}[2] ينسبون بناءه بناءه لرشيد بن مدافع بن جامع أحد من تملكها منهم. وقد وقفت في بعض أبواب القصر على أسطر كتبت نقشا على الحجر نصها: "أمر بعمل هذا باب الأمير الشم رافع بن أمير الأمراء مكين[3] بن كامل بن جامع في رجب سنة خمسمائة". فإن[4] ما فإن[4] ما ذكره أهل قابس من أن رشيد هو الذي ابتناه صحيح، فيكون هذا الباب خاصة هو الذي أمر ببنائه رافع بن مكين وأخبرني بعض الطلبة من أهلها انه "وقف لبعض المؤرخين {على}[5] أن صنهاجة هم الذين ابتدأوا بنيانه[6] وانتهوا وانتهوا به إلى قدر ثلثيه فأتمه بنو جامع الهلاليون"[7] انتهى كلامه.

وهذه المعالم التي ذكر بقابس لعبت أيدي الزمان بها فانمحت آثارها، واضمحلت أرسامها وأخبارها، وصاح بومها، وصار مدارج الرياح هشيمها، وما أخلقها بقول القائل: (البسيط)

أَيْـنَ العَرُوسَـانِ لاَ رَسْـمٌ وَلاَ طَلَـلُ ... وَأَيْـنَ مَـا شَـادَ مِنْـهَا[8] السَّادَةُ[9] الأَوَّلُ

وَمَجْلِسُ القَوْمِ قَدْ ذَهَبَ[10] الزَّمَانُ بِهِ ... بِحَادِثٍ قَلَّ[11] فِيهِ الحَادِثُ الجَلَلُ

وَمَـا رُسُـومُ المَنَـارِ الآنَ مَاثِلَـةً ... لَكِنَّهَـا نُبَـذٌ[12] تجْـرِي بِهَـا المُثُـلُ

والدوام والبقاء {لله}[13] الواحد {الأحد}[14] [القهار][1].

---

(1) "ت": فالعروسان.
(2) ساقطة من "ح1".
(3) "ت": مكن.
(4) "ف": فبان.
(5) ساقطة من"ع".
(6) "ف": بناءه.
(7) ينظر الرحلة التجانية، الصفحات: 92- 93- 94- 95 .
(8) "ح2": منه.
(9) "ع": السادات.
(10) "ف": محى.
(11) "ف": قيل.
(12) "ت": بند.
(13) ساقطة من "ف".
(14) ساقطة من"ح1"

وتمتعنا بزيارة الصحابي أبي لبابة رضي الله عنه، ووجدنا هنالك أولاد الأخ في ذات الله أبي الحسن سيدي علي النوري الصفاقصي[2] [مع غيره][3] جاءوا لملاقاتنا وجدوا السير خوف الفوات . ولما فطنوا للركب خيموا أسفل قبة أبي لبابة رضي الله عنه، وتلقونا مع أصحابهم وجلسنا معهم فاوفيناهم ما لهم في ذلك بحسب الإمكان. وقمت[4] لقصد الاستراحة وقلت بمخيمنا، وحان وقت الظهر وتوضأت وصلينا بمسجد بإزاء القبة[5] التي بها مدفن أبي لبابة رضي الله عنه. وبعث إلينا أولاد سيدي علي النوري إناءين من طعام وقفة عنب، فالله يتقبل منهم. وأكل ذلك من حضر من الحجاج ولحق بنا هنالك الأخ سيدي علي الفرجاني مع جماعة بعد صلاة العصر. ولم يلحق الركب إلى الاصفرار وبتنا به وراقبنا الهلال ولم يظهر، وأقمنا به يوما لكراء الإبل وشرائها لكون الجمالين إنما أكروا لنا من مصر وأرادوا أن ينقلبوا مع ركب التونسيين وأضافنا سيدي علي الفرجاني بإناء من طعام وأولاد سيدي علي النوري [258- أ] بإناءين أكلهما الطلبة والسادات[6] الأشراف، فالله يتقبل منهم. ولحق سيدي ناصر يوم الإقامة بما سرق له والمنة لله تعالى.

ولحق أيضا سيدي محمد الصالح المذكور أولا وبات معنا وودعناه بعد صلاة الصبح. وممن أضافنا بقابس سوى من تقدم الحاج عبد الله بن صالح.

ثم ظعنا منه يوم الأربعاء الأول من رجب مضى[7] سادس عشر غشت. وسايرنا أولاد الأخ سيدي علي النوري إلى أن خرجنا من قابس إلى بسيط أفيح ذي مزارع وودعناهم لله وودعونا. وقد ورد علينا سنة عشر قفولنا من الحرمين الشريفين بقابس يوم إقامتنا أولاد الأخ المذكور، وهو إذ ذاك بقيد الحياة، سقى الله ضريحه شآبيب عفوه ومعافاته، بجماعة من أصحابه منهم سيدي علي بن محمد المقدم التميمي وهو من أجلهم، وكانوا يلقبونه المؤخر وأنشد لنا قصيدة من إنشائه

---

(1) زائدة من "ت".
(2) "ف": السفاقسي.
(3) زائدة من "ف".
(4) "ف": ونمت.
(5) "ح2": القبلة.
(6) "ف": الساداة.
(7) "ح1": مضر، والصواب ما أثبتناه.

[نظمها][1] نصها {بعد}[2] بسم الله الرحمان الرحيم وبه نستعين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وسلم تسليما: (الطويل)

{عليه}[3] {ثَنَاءٌ}[4] لِمَنْ لاَ أُحصى جَلَّ ثَناؤُهُ ... وَيَثْنِـي إِلَـى[5] الأَوْلِيَـاء أَصْفِيَـاؤُهُ

وَأُهْـدِي صَـلاَةً لاَ يُكَيّـفُ قَدْرُهَـا ... عَلَى نُخْبَةِ المَوْلَى المُـوَفَّى[6] عَطَاؤُهُ

وَأَزْكَـى سَـلاَمٍ مِـنْ لَـدُنِ مُتَفَضِّـلٍ ... وَيَقفُـوهُ آلُ صَحْبِـهِ خُلفَـاؤُهُ

وَكُـلَّ مُحِـبٍّ لِلنَّبِـيِّ وَآلِـهِ ... وَأَتْبَاعِـهِمْ فِـي الـدِّينِ هُـمْ أَتْقِـيَاؤُهُ

فَأَلْبَسَـهُمْ تَـاجَ الكَرَامَـةِ مِنْحَـةً[7] ... وَمِـنْ وِدِّهِـمْ[8] كَـأْساً فَنِعْـمَ رُوَاؤُهُ

فَفَـاضُوا بُحُـوراً مِـنْ عُلُـومٍ وَحِكْمَـةٍ ... وَمَعْرِفَـةٍ نِعْـمَ الحِـبَاءُ حِبَـاؤُهُ

لَـهُمْ عِـزَّةٌ مَـعْ هَيْـبَةٍ[9] وَجَلاَلَـةٍ ... وَأَخْـذٌ بِلُـبِّ القَلْـبِ فِيـهِ شِفَـاؤُهُ

فَمِـنْ قَوْلِهِـمُ تِلْـكَ اللَّطَائِـفُ أَبْـرَزَتْ ... فَكَيْـفَ بِمَنْ مِنْهُمْ صَفَتْ[10] كِيمِيَاؤُهُ

هُـمُ القَـوْمِ كـُلُّ القَـوْمِ بَـعْدَ وَفَاتِهِـمْ[11] ... فَطُوبَـى لِمَـنْ فيـهِمْ وَمِنْهُـمْ دَوَاؤُهُ

عَلَـى أَنَّ فَـوْقَ الأَرْضِ مِنْهُـمْ بَقِيَّـةً ... عَلَـى أَنَّهَـا نُـزْرٌ يَعِـزُّ لِقَـاؤُهُ

لِوَحْشَتِـهِمْ مِـنْ غَيْـرِ شُغْـلِ مَلِيكِهِـمْ ... إِذَا النَّفْـعُ مَفْقُـودٌ عَزِيزٌحشَـاؤُهُ

أَجَـلْ قَـدْ بَـدَاً مِـنْ جَانِـبِ الغَـرْبِ كَوْكَـبٌ ... يُخْبِّـرُ عَـنْ تِلْـكَ الخِيـَامِ بَـدَاؤُهُ

نَبِيـهٌ نَبِيـلٌ لَـوَذْعِيٌّ مُسَـدَّدٌ ... إِمَـامٌ هُمَـامٌ مُسْتَـدَامٌ عَـلاَؤُهُ

---

(1) زيادة من "ف".
(2) ساقطة من "ف".
(3) ساقطة من "ح1".
(4) ساقطة من "ت".
(5) "ت": عليه.
(6) "ح2": الوفي.
(7) "ف": بهدة.
(8) "ع": وده.
(9) "ع": عزة مهابة.
(10) "ف": بدت.
(11) "ف": مماتهم.

ذَكِــيٌّ زَكِــيٌّ أَشْعَــرِيٌّ مُنَــوَّرٌ لَبِيــبٌ أَرِيــبٌ مَالِــكِيٌّ صَفَــاؤُهُ

حَــلاً وَمُــرَادٌ شَاذِلِــيٌّ مُقَــدَّمٌ عَــلَى نَهْــجِ أَشْيَــاخِ الــطَّرِيقِ اقْتِفَــاؤُهُ

هُــوَ الشَّيْــخُ أُسْتَــاذ المُرِيدِيــنَ أَحْمَــدٌ سَلِيــلُ الوَلِــيِّ القُطْــب دَارَتْ رِحَــاؤُهُ

إِمَــامُ الأَجِــلاَّءِ[1] ابْــن نَاصِــرْ مُحَمَّــد[2] سَقَــى اللَّــهُ قَبْــراً حَــلَّ فِيــهِ ثَــرَاؤُهُ

{وَبَــوّآهُ أَعْــلَى الفَرَاديــس زُلْفَــةً وَشَفَّعَــهُ فِينَــا القَــوِي كِبْرِيــاَؤُهُ}[3]

وَجِئْنَــاكَ يَــا نَجْــلَ المُقَــرَّبِ وَارِثــاً ذَخَائِــرَهُ وَانْبَــثُّ فِيــكَ سَنَــاؤُهُ

نَــؤُمُّ قِــرَى مَعْرُوفِكُــمْ وَنَــوَا لُكُــمْ قِــرَاناً دُعُــاءٌ نَالَــهُ أَوْلِيَــاؤُهُ

لَعَــلَّ سَقَــامَ القَلْــبِ يَحْتَــالُ[4] صِحَّــةً وَيُذْهِــبُ عَنْــهُ رَانُــه وَصَــدَاؤُهُ

وَيَسْــقِي شَــرَابَ الــوُدِّ[5] مِــنْ فَيْــضِ جُــودِهِ وَيُكْسِبُــهُ قُــرْباً قَرِيبــاً وِلاَؤُهُ

وَذَا سَيِّــدِي أَوْلاَدُ شَيْخِــي وَمُنْقِــذِي أَتَيْنَــا لِمَا تَحظَّى بِهِ أَوْلِيَاؤُهُ [258- ب]

بَعَثْنَــا إِلَيْــكُمْ آمَــلاً فِــي حُصُــولِ مَــا تَحَصَّــلَ مِــنْ شَيْــخ بِكُــمْ إِنْــلاَؤُهُ

فَيُــكْرَمُ رَبُّ الاِبْــنِ بِالاِبْــنِ مِثْــلَ مَــا أَفَــادَ الأَبُ الشَّيْــخُ الجَلِــيُّ ضِيَــاؤُهُ

يُكِــنُّ ضَارِعــاً لِلْحَــقِّ يُحْــيِي قُلُوبَنَــا وَيُسْلِكُنَــا فِيــمَا اقْتَفَــى أَصْفِيَــاؤُهُ

وَيَجْعَلُنَــا مِمَّــنْ يُحِــبُّ وَيُجْتَبَــى لِحَضْرَتِــهِ إِذْ لاَ يَتِــمُّ اجْتِبَــاؤُهُ

وَنَسْــأَلُكُمْ مِــنْ بَحْــرِ زَاخِــرِ فَضْلِكُــمْ تَفَــضُّلُكُمْ[6] عَنَّــا بِوَصْــلِ[7] جَــزَاؤُهُ

شَفَاعَــتُكُمْ فِيــنَا بِــأَخْذِي[1] عَلَيْكُــمُ وَأَخْــذُ الزَّكِيِّــنِ المُهِــمُّ قَضَــاؤُهُ

---

(1) "ت": الأخلاء.

(2) "ح2": الرضا.

(3) ساقطة من "ح1".

(4) "ف": يرجع.

(5) "ف": الورد.

(6) "ف": ففضلكم.

(7) "ف": موصول.

عَنِ المُصْطَفَى صَلّى عَلَيْهِ إلَهُنَا ... وَلاَ سِيَّمَا مَعْ مَنْ يَلُوحُ افْتِفَاؤُهُ

مِنَ الصَّدِّ وَالتَّعْوِيقِ عَنْ كُلِّ صَالِح ... وَأَنْتُمْ أَطِبَّاءُ الشَّجَا وَدَوَاؤُهُ

وَأُسْتَاذنَا قَدْ طَارَ شَوْقاً إلَيْكُمُ ... وَعُذْرٌ لَه قَدْ زَالَ عَنْهُ غِطَاؤُهُ

وَلَكِنْ قُلُوبُ الوَاصِلِينَ تَوَاصَلَتْ ... فَبَعْدهُمُ الدَّاري {كَمَا}(3) إنْتِفَاؤُهُ

سَلاَمٌ مِنَ اللَّهِ الكَرِيمِ عَلَيْكُم ... يُعَطِّرُ أَنْفَاسَ النَّسِيمِ شَذَاؤُهُ

وَيَهْدِي شَذاً طِيبٍ إلَى الشَّيْخ أَحْمَدِ ... وَيَبْدُو(4) عَلَى عَبْدِ الكَرِيمِ ذَكَاؤُهُ

وَيَشْمَلُ فِي مِيعَادِ سَيِّدِيَ(5) احْمَداً(6) ... وَيَظْهَرُ فِيهِمْ نُورُهُ وَنَقَاؤُهُ

وَأُتْبِعُ قَوْلِي كُلَّمَا قُلْتُ قَوْلَةً ... صَلاَةً وَتَسْلِيماً رَفِيعاً لِوَاؤُهُ

عَلَى مَنْ أَفَاضَ النُّورَ فِي كُلِّ مَوْضِع ... عُمُوماً وَقَدْ سَادَتْ(7) بِهِ أَوْلِيَاؤُهُ

وَآل وَصَحْب غُرَّة خَيْرْ تَابِع ... كَمَا دَامَ حِزْبُ الحَقِّ يصْفُو صَفَاؤُهُ

وَنَاظِمُهَا نَجْلُ المُؤَخَّرِ نِسْبَةً ... عَليٌّ التَّمِيمِيُّ العَظِيمُ رَجَاؤُهُ

انتهت بحمد الله وحسن عونه، بلغه الله بنيته. وسيدي الحاج أحمد وسيدي علي الغراب صهر الشيخ زوج ابنته، وسيدي علي بن سلامة المهدي - منسوب إلى المهدية - وسيدي عبد الكريم القسمطيني وغيرهم من الطلبة. وشيعونا إلى الحامة وهذا السيد سيدي علي النوري من عباد الله الصالحين وأهل العلم والعمل به، أحيا الله به العلم والسنة في هذا القطر. وهو من أصحاب والدنا رحمه الله تعالى، اجتمع

---

(1) "ف": ففيما.

(2) "ت": بأخذ.

(3) ساقطة من "ح2".

(4) "ع": ويبدي.

(5) "ت": سيد.

(6) "ح2": أحمد.

(7) "ت": مدت/"ع": سدت.

به بمصر عام ستة وسبعين {وألف}[1] فأخذ عنه وهو على طريقة شيخه. وبعث لي مع أصحابه كتابا نصه:

"الحمد لله حمدا يليق بجلاله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وصحبه وآله، من عبد الله وأحوج عبيده: علي النوري، إلى شيخنا وابن شيخنا سيدي أحمد بن ناصر نصره الله بنصرته، وأفاض عليه بحور معارفه وفضله وبره.

أما بعد:

فلتعلم والله إني أحبك لله خالصا، ووددنا لقيك والتبرك بمشاهدتك، لكن حال زماننا هذا وتعسر فضائل الأعمال، لما عرض من العوارض: كرؤية من لا تجوز رؤيته وأكل طعام من لا ينبغي أكل طعامه وغير ذلك لا يخفاكم. ويقدم عليكم، ولدنا محمد وشقيقه أحمد بنية زيارتكم {والتبرك بكم}[2] ونعتقد أنكم أهل لذلك. ولولا أن السنة لم ترد بالثناء أول الكتاب لذكرنا بعض ما نعتقده فيكم. وأنت يا سيدي أقسمت عليكم[3] بالله ثم برسوله صلى الله عليه وسلم ثم بجميع الدعاة إلى الله تعالى ومنهم والدك أن تدعُوَ لي ولهما بقلب حاضر وقت حضورك مع الله ودخولك حضرته، وعسى الله أن ينيل الجميع بفضله ويجعلنا من الناصرين لدينه وسنة رسوله، وسلم لنا على جميع من لاذ بكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته" انتهى.

ثم قلنا هنالك، ولحق بنا الأخ المصافى، الزلال الصافي، أبو محمد سيدي عبد الله بن أحمد المخزومي الملقب المجذوب [259- أ] وألح بنا في الذهاب للحامة وقتئذ ولا نتنظر الركب فساعفناه لمراده، وشايعناه[4] نحو مراده، تطييبا لفؤاده، وركبنا في نحر الظهيرة في حر شديد ونار حرة {كأنها}[5] ترمى الوجوه بشواظ من[6] نار، وحضر

---

(1) ساقطة من "ح1".
(2) ساقطة من "ف".
(3) "ف": عليك.
(4) "ع": وشيعناه.
(5) ساقطة من "ح2".
(6) "ع": و.

لطف الله وأم بنا منزله فنزلنا منتظرين الركب وأكرم من حضر معنا برطب جني، وطعام شهي، وأوسعهم قرى وإحسانا، فالله يوسعه فضلا وامتنانا.

ثم لحق الركب بعد العصر، ونزل خارج البلد على سواني باردة بحسب الإمكان، وإلا فماء الحامة سخن جدا غير سواني حفرت بأرض غير سبخة فتحلو وتبرُد إلا أن الحار أعذب وأحلى فيأخذه الناس فيبردونه فيبرد ويشربونه، وجلسنا ببيت الأخ المذكور ننتظر برودة الهواء فتلقى الورد بداره وأخذ عهد الأشياخ فانخرط في سلك أئمتنا الأفراد ذوي الاعتناء وأذنا له في تلقين الأوراد وأخذ العهد لمن أراد الانخراط في سلكنا فالله ينفعه وينفع به، ويكفيه شر كل شر بمنه وكرمه، وأضاف الركب بنحو من أحد وخمسين إناء من طعام ولحم وأتى الله من عنده بجلد[1] من سمن[2] وحمل بعير شعير أو نحو فردية وأوسعنا جنى النخل[3]. وبعد صلاة العشاء ودعنا أخانا في الله سيدي عبد الرحمان بن عبد النبي[4] من أولاد سيدي عبد النبي الأصفر، كان شيعنا واجتمعنا به بمليته، كما تقدم، وودعنا سيدي عبد الكريم الحمروني: ولد سيدي محمد الصالح وسيدي عبد الظاهر: صهر الأخ سيدي أحمد بن جابر.

وتسمى الحامة هذه "وتعرف بحامة[5] مطماطة تفريقا بينها وبين حامة توزر المعروفة بحامة[6] البهاليل. وجميع مياه هذه البلدة شروبة وهي في غاية السخانة، ولسخانة مائها سميت الحمة[7] والحمة في اللغة العين التي في مائها سخانة. وجا أهل لذلك. ولولا أن السنة في الحديث مثل العالم مثل الحمة.

قال الهروي في غريبه الحمة "عين حارة يستشفى بها المرضى". وذكر أبو عبيد في كتاب الأمثال أن من أمثالهم: "العالم كالحمة يأتيها البعداء ويزهد فيها القرباء" ولم يزد أبو عبيدة على هذا وهو أثر وتمامه فبينما هم كذلك إذ غار ماؤها فانتفع بها قوم

---

(1) "ح1": جلدين.
(2) "ت": سمنا.
(3) "ح1": النحل.
(4) "ت": عبد الله.
(5) "ت": بحمة
(6) "ف": بحمة.
(7) "ع": الحامة

يتفكّنون ويتفكنون بالنون أي يتندمون تفكن تفكنا. وقرأ أبو حازم العكلي فظلتم تفكّنون وهو من هذا، والنسبة إلى الحمة حمى.

وذكر أبو عبد الله محمد بن علي المصري في صلة السمط أنه سمع في ذلك حامي وهو من شواذ النسب."[1] قال جميعه التجاني.

ثم قال: "وهذه البلدة في أكثر أوقاتها سالمة من الوباء فإذا وبيت، بفتح الواو وإن شئت ضممت[2]، استأصلت أهلها، وكان في ذلك أشد من قابس.

قال: وكان عليها سور مرتفع فرأيت مواضع منه تهدمت ولم يشتغل أهلها برمها فسألتهم عن ذلك فقالوا نحن لا نعتمد على سور وإنما سورنا سيوفنا". فذكرت قول الشاعر: (وافر)

إِذَا صَـــدَقَ الحُسَـــامُ وَمُنْتَضِيــهِ فَكُـــلُّ قَـــرَارَةٍ حِصْـــنٌ حَصِيـــنُ

وَمَـا لَيْـثُ العَـرِينِ[3] بـذِي امْتِنَـاع إِذَا لَـــمْ يَحْمِـــهِ إِلاَّ العَرِيـــنُ

و بناء داخل المدينة في غاية ارتفاع وهم يتنافسون في ذلك."[4]

قال: "ورأيت بقصبتها وهو وضع سكنى الوالي آثارا[5] تدل على ضخامتها غير غير أن الخراب استولى الآن على كثير منها. وبهذه القصبة قناة {ماء}[6] تتسرب إليها من خارجها في غاية القوة، وقد بني عليها بيت على شكل حمام جاء في نهاية الظرف والحسن"[7]. انتهى.

فائدة: ولما أتانا أولاد الأخ سيدي علي النوري سنة عشر أبدوا أبياتا طالبين الإجازة نصها: من عبيد الله تعالى محمد وأحمد ابني علي النوري وصاحبه علي المؤخر وفقهم الله تعالى: (الطويل)

---

(1) ينظر الرحلة التجانية: ص- ص: 134- 135 .
(2) "ف": ضممته.
(3) "ع": العريس/ "ت": العريم.
(4) ينظر الرحلة التجانية: ص: 135- 136 .
(5) "ع": آثار.
(6) ساقطة في "ف".
(7) ينظر الرحلة التجانية، ص: 136 .

أَرَدْنَا مَنَ السَّادَاتِ[1] فَضْلا[2] إجَازَةً عَلَى كُلِّ عِلْمٍ مِنْ حَدِيثٍ وَمِنْ فَسْرِ
وَغَيْرِهِمَا مِمَّا لَدَيْكُمْ إِجَازَة مِنَ اشْيَاخِكُمْ شَرْقاً وَغَرْباً عَلَى جَهْرِ
وَمِنْ شَيْخِنَا الإِمَامِ نَجْلِ ابْنِ نَاصِرِ وَأُسْتَاذِهِ[3] الأَعْلَى الشَّهِيرِ كَمَا البَدْرِ
فَمَا زِلْتُمْ[4] نُوراً وَشَمْساً لَدَى الوَرَى
بِكُمْ يُقْتَدَى فِي الدِّينِ وَالعِلْمِ وَالبِرِّ [259- ب]

وأمرت محبنا في ذات الله الفقيه المشارك أبا العباس سيدي أحمد بن محمد الهشتوكي شهرة، أخذ الله بيده سرا وجهرا بإجازتهم فأجازهم بما نصه في نظمهم ورويهم: (الطويل)

أَجزْنَا لأَوْلاَدِ الإِمَامِ عَلِيِّهِمْ أَبِي الحَسَنِ النُّورِي الصَّفَاقِصِيِّ ذِي البِرِّ
كَمَا لِعُبَيْد قَدْ أَجَازَ شُيُوخه بِشَرْقٍ وَغَرْبٍ بِالنِّظَامِ وَبِالنَّثْرِ
وَصَاحِبُهُمْ يُدْعَى المُؤَخَّرُ عِنْدَهُمْ فَقِيهٌ نبيهٌ ذُو النَّجَابَةِ وَالفِكْرِ
حَدِيثاً وتَفْسِيراً وَفِقْهاً أُصُولُهُ وَتَوْحِيدَنَا المَخْتُومَ لِلْعَبْدِ وَالحُرِّ
وَنَحْوًا وَتَصْرِيفاً بَيَاناً وَمَنْطِقاً عَرُوضًا وَإِعْرَاباً مَوَاقِيتَ[5] لاَ تَفْرِي
وَرَسْمَ الكِتَابِ وَاللُّغَاتِ فَرَائِضاً كَذَاكَ اصْطِلاَحُ[6] لِلْحَدِيثِ مَعَ السَّيْرِ
وَعِلْمُ القَوَافِي مَعْ مَعَانٍ بَدِيعُهَا وَتَصْنِيفُهَا بالشَّرْطِ عِنْدَ ذَوِي القَدْرِ
عَنْ أَشْيَاخِنَا الأَعْلاَمِ يَكْثُرُ سَرْدُهُمْ بِغَرْبٍ وَشَرْقِهِ كَمَا بَانَ فِي الشِّعْرِ
وَإِسْنَادُ شَيْخِنَا الإِمَامِ ابْنِ نَاصِرٍ رَوَى عِلْمَهُ عَنْ مُنْتَهَى العِلْمِ فِي القُطْرِ

---

(1) "ف": الساداة.
(2) "ف": فلا زلتم.
(3) "ع": وأسناده.
(4) "ف": فلا زلتم.
(5) "ع": مواقيتا.
(6) "ت": إصلاح.

مُحَمّــدٌ المَصْــمُودِي العَــالِمُ الَّــذِي تَفَــرَّدَ بِالتّــحْقِيقِ فِــي كُــلِّ مَــا يُــقْرِي[1]

رَوَى عِلْمَــهُ عَــنْ مُنْتَهَــى الوَقْــتِ جُمْلَــةً وَلَكِــنْ لَــهُ السِّــرَاجُ نُــورٌ بِــهِ يَسْــرِ[2]

كَمَــا أَخَــذ السِّــرَاجَ عَــنْ[3] غَيْــرِ وَاحِــدٍ وَيَكْفِــي[4] ابْــنُ هَــارُونٍ دَلِيــلاً عَلَــى الغَيْــرِ

وَأَمّــا ابْــنُ هَــارُونَ عَلِــيٌّ فَقَــدْ رَوَى عُلُومــاً وَلَكِــنْ لاَ تُعَــدُّ[5] مِــنَ الكُــثْرِ

عَلَــى عَلَــمِ الدُّنْيَــا ابْــنِ غَــازٍ وَحَسْــبُنَا بِــهِ نَسَــباً[6] أَعْلَــى لَــدَى كُــلِّ مَــا حَبْــرِ

فَــإِنْ شِئْــتَ بَاقِــي المُــسْنَدِينَ رُوَاتِــهِ فَحَصِّــلْ [بهــا][7] فهــارِسَ[8] الأَئِمَّــةَ بِالسِّــرِّ

تُنَــادِي عَلَــى مَــا لِابْــنِ غَــازِي وَقَــدْرِهِ وَتَدْرِي الَّذِي مَا كُنْتَ مِنْ قَبْلُ لاَ تَــدْرِي[9]

وَفَهْرَسَـــةُ المَنْجُـــورِ فِيهَـــا كِفَايَـــة أَتَـــتْ بِالمُهِـــمِّ دُونَ مَـــدٍّ[10] ولاَقَصْـــرِ

وَفَهْرَسَـــةُ الشّـــيْخ ابْــنِ غَــازِي مُفِيــدَةٌ عَلَيْــكَ بِهَــا فهِــيَ النِّهَايَــةُ فِــي الأَمْــرِ

وَلاَ بَــأْسَ أَنْ تُعْطُــوا[11] فَــهَارِسَ شَــيْخِنَا عُبَيْــدٍ لِقَــادِرٍ [تَرَاهَــا][12] فَــعُوا[13] خَيْــرِي

أُصَــلِّي عَلَــى المُخْتَــارِ مِــنْ آلِ هَــاشِــمٍ وَآلِــهِ وَالأَزْوَاجِ مَــعْ صَحْبِــهِ الغُــرِّ

ثم طعنا من الحمة يوم الخميس ثاني رجب مضر[14] سابع عشر غشت وأول الخريف على مذهب الفلاحين، ولحق بنا الأخ سيدي عبد الله المجذوب على فرسه

---

(1) "ف": يقري.
(2) "ف": يسري.
(3) "ت": ويكف.
(4) "ح2": من.
(5) "ف": لا يعد.
(6) "ح1" نسبة.
(7) زائدة من "ع".
(8) "ف": فهارس.
(9) "ف": تدري.
(10) "ت": عد.
(11) "ف": أن تعطى.
(12) مطموسة في "ت".
(13) "ح2": مع.
(14) "ت": مضى.

مع أصحابه يريدون أن يشيعونا. وقد جلسنا في سفح الجبل المشرف على الحمة لانتظار الراكب لكونه أخذ ذات اليمين، وأتانا بقفة من الرطب وقسمنا منها للسادات[1] الأشراف والطلبة ومن حضر من الحجاج، وأبقينا بعضها لعيالنا لأنه عيّنها لهم ولا تطيب نفسه إلا بذلك، فالله ينفعه بنيته.

نكتة: وهذا السيد رجل صالح من أهل الخيرو الصلاح وأصله من القيروان واستوطن الحمة وظهرت بركته على أهل {هذه}[2] البلدة وكانوا قبل ذلك ضررا على على الحجاج في السرقة والنهب والخطف، والآن لا إذاية فيهم نفعتهم صحبة هذا السيد وجواره، وتقدم له الجذب والوجد وكان يمكث الثلاثة أيام والخمسة إلى سبعة نائما مغلوبا عليه ممتدا كالخشبة لا يأكل ولا يشرب ولا يصلي ولا يتحرك وربما يمكث {أيضا}[3] شهرا وأربعين يوما لا يكتحل بنوم ولا يجالس أحدا ولا يخالطه في مدة سياحته، ومن عادته أنه لا يأكل طعام أحد وإذا خرج من داره أخذ له أصحابه ما يتقوت به وهو على تلك الحالة إلى سنة عشر، ولا أدري الآن أبقي على ذلك أم لا؟ وهو قليل الأكل إنما يتبلغ بالقوت ويكتفي بالبلغة، [260- أ] وصاحب[4] أولاد أولاد سيدي علي الرفيق ثم سيدي علي الوحيشي الصفاقصي الأصل القيرواني الدار ثم بعده كان مع ابن أخيه سيدي سعيد إلى أن توفي. وكان مبالغا في ودنا وإكرامنا منذ عرفناهم إلى أن لُقِنَ الورد منا في رجعتنا هذه. وكان من أمره في ذلك ما أسلفناه والله تعالى يتقبل منا ومنه آمين. وبعث معنا رجلين دليلين يدلانا الطريق إلى ماكس ورجعناه هنالك ولم نتركه يزيد معنا إبقاء[5] عليه لكون الحر يشق عليه فرجع مكرها لا بطلا، فالله يكون له وليا ونصيرا ومعينا وظهيرا. فسرنا وقلنا ماء أم الخوافي[6] ليأخذ الناس ما يحتاجون إليه من الماء للمبيت لقلته أمامهم، فالله تعالى يحضر لطفه بعبيده وينيلهم من أفضاله ومزيده آمين. وماؤها لا بأس به أخذ من الحلاوة حظا، فصلينا به الظهر ونزلنا لصلاة العصر بوادي النخلة ووجدنا به ماء تشوبه مرارة لا يكاد يساغ. وتجاوز الركب ونزل قبل الاصفرار بمسجد في وادي النخلة أي قربه بازاء

---

(1) "ف": للساداة.
(2) ساقطة من "ف".
(3) ساقطة من "ف".
(4) "ح1": وصحب.
(5) "ت": إشفاقا.
(6) "ت": أم الخرابي.

سيح العرفج. وبات الناس في ريح عاصفة تكاد تقلع الأخبية، وتسلب الأردية. ومن غرائب بلاد نفزاوة التي اختصت بها شدة عصف الريح واتصال ذلك غير مختص بفصل من فصول العام.

قال التجاني: "وهم ينسبون ذلك إلى طلسم كان مدفونا بها، وإن بعضهم أخرجه وكسره فكان [ذلك][1] سبب ذلك دوام الريح هنالك"[2].

قال: "ويزعم أهل نفزاوة أن الرياح إنما يشتد عصفها ببلدهم عند نزول الجيوش عليها، ويعدون ذلك من جملة الرفق بهم لأن الجيوش تسرع الارتحال عنهم بسبب ذلك"[3].

"ومنها العين المعروفة بعين طرة، فإنها بركة ماء متسعة حسنة المنظر شارحة للنفس تدخل البهائم إليها عند الشرب إلى حد معلوم لا تتجاوزه، وإن جاوزته غاصت في مغائص لا قعر لها. ويذكرون أن لها في كل عام رجلا تقتله لا بد لها من ذلك، وأكثر ما يكون ذلك في الغرباء. ومن ماء هذه العين يكتسب صبغ بلاد نفزاوة عند الغسل ما يظهر عليه الرونق والطهارة[4] وطرة هذه[5] المضاف إليها العين العين إحدى قاعدتي بلاد نفزاوة وهما طرة وبشر، وهي محفوفة بالنخيل وبها الثمر المفضل على جميع البلاد. وبمقربة من هذا العين آثار قصبة البلد حيث كانت محفوفة وقد أعادها الخراب دكا. وبخارج هذه البلدة[6] نخيل منفرد يدعى بنخيل فرعون. ويعتقد {جميع}[7] أهل ذلك الموضع، أنه غرس فرعون وهو غير متملك لأحد. وثمره وثمره مباح لمن اجتاز به من الغرباء"[8] ومنها السبخة الآتي وصفها.

ثم ظعنا منه في غيم وريح باردة مستطابة، وأضحينا بالرجيلة لقصد الاستراحة وإفطار من يريده. ومررنا بالنبش وشرب الحجاج من مائه ونالوا منه حاجتهم. وقلنا غربية نبش الذيب قرب الزوال، وصلينا الظهر بها وفي الوادي الذي قبل نبش الذيب،

---

(1) زيادة من "ف".
(2) ينظر الرحلة التجانية، ص: 142- 143 .
(3) ينظر نفسه، ص: 143 .
(4) "ت": الطلاوة.
(5) "ف": هذا.
(6) "ح2": هذا البلد.
(7) ساقطة من "ع".
(8) ينظر الرحلة التجانية، ص: 142 .

يوجد الزجاج الحبري، ونزلنا ماء كبيس[1] وهو قصر الرمان، العصر وبتنا به وتلقانا الأحبة به بثمر ورمان وأطعمونا قصعة أتى بها الأخ ابن التومي، ولم ينزل آخر الركب إلا مع العشاء.

ثم ظعنا منه وودعنا الدليلين اللذين دلانا على الطريق من الحمة وأصحبنا معنا أبا القاسم بن عارة[2] يدلنا الطريق. وأضحينا بالحلفاية وقلنا طرف زاوية أبي عبد الله، الله، وصلينا الظهر ونزلنا بطرق السبخة المسماة بالتاكمرت بدار الركب على حد نخيل زاوية الدبابشة. واجتمعنا هنالك بمرابطي زاوية الرمل والمنشية أولاد سيدي عمر وسيدي حامد وإخوانهم. وآجرنا دليلا يدلنا الطريق بالسبخة الكبيرة الهائلة الكثيرة بعشرين ناصريا وهو من سكة تونس يروج بها وبعمالتها من الجريد كقابس إلى توزر، وصرف الريال منه اثنان وخمسون[3] ناصريا للريال، ثم ظعنا منه مرتحلين[4] عن نفزاوة نفزاوة متوجهين لتوزر.

لطيفة: نفزاوة اسم نقل إلى البلد من اسم القبيلة التي سكنت بها أول الدهر، وهم بنو نفزاويين الأكبر بن بدر[5] بن قيس بن إلياس بن مضر بن نزار.

قال الشريف في كتابه: "ومن ولد نفزاو هذا جالوت الذي قتله داوود عليه السلام واسم جالوت ضريس وهو ضريس ابن الأصغر بن نفزاو، وعن نفزاو تفرعت زناتة كلها وهم في الأصل عرب وإنما تبربروا لمجاورتهم للبربر من المصاميد ومخالطتهم لهم. وقد اختلف ضبط الشيوخ في لفظ[6] نفزاوة، فبعضهم ينصبون النون منها وبعضهم يكسرها"[7].

وقصدنا السبخة التي تسيخ فيها [260- ب] الجمال، وتضل بها الرجال، إلا من سلمه الله الكبير المتعال، وتقدم الدليل أمام الركب فأخذنا في اجتناب هذه السبخة وليس فيها للإبل [نفع][8]، "ووجدنا بها معالم قائمة من جذوع النخل تمنع

---

(1) "ت": ماكس.
(2) "ح1": عمارة.
(3) "ت": و"ع": 42.
(4) "ف": بمرحلتين.
(5) "ح2": بر.
(6) "ف": للفظ.
(7) ينظر الرحلة التجانية، ص: 143 .
(8) مطموسة في "ت".

السالك من الخروج يمينا وشمالا عن طريقها المسلوكة لأنها على يمينها وشمالها من الأرض مغائص لا يثبت عليها قدم ولا يسلك {بها}[1] أحد جاهلا بها إلا غاص فيها[2].

"قال البكري في المسالك: "وقد هلكت فيها[3] الجماعات والعساكر ممن دخلها ولم يدر أمرها[4]، وإذا غاص فيها أحد التأمت الأرض في الحين وعادت كما كما هي"[5] سيما في زمن توالي الأمطار.

قال التجاني في رحلته: "وأخبر مخدومنا قال: أخبرني محمد بن إبراهيم بن جامع المرداسي[6] قال: سلكتها قافلة لنا فيها ألف جمل فندّ بعير منها عن الطريق وتبعه باقي الإبل فلم يكن أسرع من أن ساخت الأرض وغاص فيها ألف جمل، ثم عادت الأرض كما كانت وكأن لم يكن لتلك الإبل أثر، قال وهي من الغرائب التي أغفلها المؤرخون، وأهمل وصفها الإخباريون، فإنها أميال في أميال [في أميال][7] سطحا واحدا كاللجين المسبوك، وكالمرمر المحكوك، يكاد ينفذه البصر لصفائه، وكأنما هو غدير جمد بمائه.

قال:"وآن وقت صلاة الصبح والناس يمشون فيها فصلوا منها على بساط من الكافور، أو سطح من البلور. قال: ولما تمادى المشي في هذه السبخة إلى وسط النهار، وتوالى عليها تكرار الحافر وتردد الآثار، انحرف منها نحو مائة ذراع فيما يقرب من البر فكلما تأخر من الحمولة والأثقال، ابتلعته وساخت الجمال، بأحمالها فما خرجت إلا أشلاء بعد نحرها حيث ساخت فهلك بذلك جملة من الزاملة وزاح الظهر وذهب أكثر الحمولة. وأما أنا فشاهدت الرجل يضع سافلة الرمح على الأرض ويعتمد عليه فينزل الرمح إلى عاليته ولو زاد دفعا لازداد نزولا فإذا جذبه عادت الأرض إلى حالتها الأولى، ووجدنا كثيرا من تلك المعالم قد سقطت وأبعده[8] الريح

(1) ساقطة من "ف".
(2) "ف": بها.
(3) "ف": بها؟
(4) ينظر المسالك والممالك، ج2، ص: 707 رقم 1189 .
(5) ينظر الرحلة التجانية، ص- ص: 154- 155 .
(6) "ف": المرداني.
(7) زيادة من "ف".
(8) "ت": وأبعدها.

الريح عن مكانه، وتحت كثير منها عظام هنالك من الناس وإلى جانب عمود منها امرأة قد ضمت يديها على طفلة فماتت معها[1]، ويذكرون أنها غاضبت زوجها بنفزاوة وحلفت ألا تبيت يومها ذلك إلا بتوزر وغاضبته بتوزر وحلفت ألا تبيت إلا بنفزاوة وخرجت من حينها هي وابنتها فماتت[2] في طريقها. ومن العجب أن هذه السبخة لا يمكن أن يشرب فيها ماء عذبا فإن الماء إذا استصحب فيها عاد بهوائها ملحا أجاجا على طبعها وما أحسن من قال وأنشدنيه لنفسه الفقيه الحكيم الفاضل أبو إبراهيم بن حسينة يصف هذه السبخة وما لقيناه في قطعها: (الوافر)

قَطَعْنَا التَّاكُمُرْتَ سُرىً وَسِرْنَا ... صَبِيحَةَ يَوْمِنَا حَتَّى الزَّوَالِ

فَلاَ تَسْأَلْ بِمَا قَاسَيْتُ[3] فِيهِ ... مِنَ الأَهْوَالِ وَالكَرَبِ[4] الثِّقَالِ

عَنَاءٌ لَيْسَ يُشْبِهُهُ عَنَاءٌ ... يَضِيقُ لَدَيْهِ مُتَّسَعُ المَقَالِ

وَلَيْلٌ لاَ تَسِيرُ بِهِ نُجُومٌ ... كَأَنْ نَضَبَتْ[5] إِلَى بَعْضِ الجِبَالِ

وَأَرْيَاحٌ تُصَمُّ الأُذْنُ مِنْهَا ... تَهُبُّ عَنِ اليَمِينِ عَنِ الشِّمَالِ

تَصُدُّ عَنِ الطَّرِيقِ القَصْدِ قَصْدِي[6] ... وَتَضْرِبُ حُرَّ وَجْهِي بِالرِّمَالِ

وَلاَ أَسْطَاعُ[7] فَتْحَ العَيْنِ فِيهَا ... لِبَعْضِ الأَمْرِ إِلاَّ بِاخْتِيَالِ

وَأَجْهَدُ[8] فِي دِفَاعِ النَّوْمِ عَنِّي ... لِخَوْفِي[9] مِنْ سُقُوطٍ أَوْ ضَلاَلِ

وَمَا زِلْنَا نُكَابِدُ فِي سُرَانَا ... مَهَالِكَ لاَ تُقَابَلُ بِاخْتِيَالِ

إِلَى أَنْ لاَحَتِ الغَابَاتُ ظُهْراً ... بِظَاهِرِ تَوْزَرٍ مِثْلَ الخَيَالِ

---

(1) فماتتا معا.
(2) "ت": فماتتا.
(3) "ح2": قسينا.
(4) "ف": والركب.
(5) "ع": نضيت.
(6) "ف": قصد.
(7) "ح1": ولا أستطيع.
(8) "ف": وأجهدني.
(9) "ف": لخوف.

فَهَنَّـأَ بَعْضُنَـا بَعْـضاً سُـرُوراً وَنِلْنَـا رَاحَـةً بَعْـدَ الكَـلاَلِ"[1]

انتهى كلامه.

وجددنا السير بها إلى نصف النهار، ونزلنا في طرفها للقيلولة. وصلينا بها الظهر والعصر وكنا.

ننتشر [261- أ] فيها يمينا وشمالا ونتباعد لقصد قضاء الحاجة، فما رأينا بها مخائص ولا مسابخ، ولعل ما ذكره من تقدم في طريق أخرى[2]. فلما وصلنا الركب سرنا ونزلنا سداد قرب زاوية ولي الله أبي هلال قبل الاصفرار، وتم نزول الركب للاصفرار وتسوق أهل المنزل مع الركب بالرطب والزهر الحلو. وبات الركب به، وهنا بلدة دقيوس وهي من أكبر بلدان[3] تلك الناحية وفيها مأذنة[4] كبيرة وفي الجبل الذي فوقها غار يسمى غار أهل الكهف وكأنهم تلمحوا ذلك من كون البلد يسمى بلد دقيوس وقد استفاض على ألسنة الحجاج وعامة أهل البلد أن أهل الكهف في ذلك الغار.

قال الإمام أبو سالم: "وأخبرني[5] بعض الأصحاب من أهل ذلك البلد ممن يعتقد طريق القوم أن كثيرا من الصالحين يذكر أنهم في ذلك الغار وذكر لي صاحبنا أحمد بن عبد الله سيدي محمد بن أبي القاسم الجمني أنه ذهب مع بعض الصالحين من أهل جمنة إلى فم الكهف ودخل فخرج منتقعا لونه وذكر أنه وجدهم هنالك ورأى منهم عجبا، ولم يقض لي الوصول[6] إليه لضيق الوقت، ولم أر من المفسرين من من ذكر أنهم في هذا المحل. وقد ذكر المفسرون {في}[7] أماكن عديدة: فمنهم من ذكر أنهم بالشام وقيل بالعراق وقيل بالأندلس وذكرت أماكن أخر في المغرب"[8]. انتهى.

---

(1) ينظر الرحلة التجانية، الصفحات: 155- 156- 157 .
(2) "ت": آخر.
(3) ف": بلدة.
(4) ف": مدينة.
(5) "ح1": وأخبر.
(6) "ف": بالوصول.
(7) ساقطة من "ف".
(8) ينظر ماء الموائد ج 2 ص 406 .

ثم ظعنا منه، ونزلنا توزر وزان جوهر ضحى يوم الاثنين سادس رجب مضى وخامس الخريف على مذهب الفلاحين والحادي والعشرين من غشت. وسوقوا الركب بالعنب الكثير والرطب الجني والزهو والخوخ والرمان، ووجدنا أعيان البلد من الطلبة وغيرهم قد ذهبوا لتونس كما كان ذلك عادتهم كل سنة يذهبون لملاقاة أميرها لكونها في إيالته، وأقمنا بها يوم الثلاثاء.

"وتوزر هي[1] قاعدة بلاد الجريد[2] وليس ببلاد الجريد غابة أكبر منها ولا أكثر ولا أكثر مياها {وأصل مياهها}[3] من عيون تنبع من الرمل وتجتمع خارج البلد في في واد متسع تتشعب منه جداول كثيرة، وتتفرع عن كل جداول منها مذانب[4] يقسمونها[5] بينهم على أملاك لهم مقررة وقسمها من المياه معروفة ولهم على قسمتها قسمتها أمناء من ذوي الصلاح فهم يقسمونها على الساعات من النهار والليل بحساب لهم في ذلك معروف، وأمر مقرر مألوف، وعلى ذلك الماء أرحاء كثيرة منصوبة.[6]" قاله التجاني [و][7] قال: "من العجب أن هذا الوادي يحتمل ما يحتمل يحتمل من غثاء أو غيره فإذا انتهى ذلك إلى المقسم افترق هنالك أجزاء بالسوية على عدد المسارب فمضى كل قسم منها إلى مسرب منها مما شاهدته فيه عيانا وكثير من أهلها إنما يسكنون بغابتها ولا مناسبة بين مباني الغابة ومباني داخل البلد {مباني}[8] {مباني}[8] الغابة أضخم وأحسن، وبداخل البلد جامعان للخطبة وحمام واحد ومتفرجهم بموضع يعرفونه بباب المنشر وهو من أحسن المتفرجات لأن مجتمع الماء هنالك ومنه يتفرع كما تقدم ويجتمع به القصارون فينشرون هنالك من الثياب الملونة والأمتعة الموشية ما يعمه على كبره فيتخيل الناظر أنه روض تفتحت أزهاره، واطردت أنهاره، وليس بتوزر أحسن من هذا الموضع وهو خارج من غابتها. والغابة ملاصقة لسور المدينة فهي بذلك تمت حصانتها، وقد وصفها بعض شعرائها من قصيدة طويلة رتبتها على حسب ما اخترت منها: (الكامل)

---

(1) "ح2": هذه.
(2) "ت": البلاد الجريدية.
(3) ساقطة من "ت".
(4) "ت": مذانيب.
(5) "ف": يقتسمونها.
(6) ينظر الرحلة التجانية: ص: 157 .
(7) زيادة من "ف".
(8) ساقطة من "ف".

زُرْ تُوزَراً إنْ شِئْتَ رُؤْيَةَ جَنّةٍ ... تَجْرِي بِهَا مِنْ تَحْتِهَا الأنهارُ

نَهْرٌ عَلَى رَمْلٍ يَسِيرُ كَأَنَّهُ ... رِقَّةُ التمَامِ عَلَى النُّضَّارِ تِمَارُ

أَبّاً وفَاكِهَةً حَوَتْ وَحَدَائِقاً ... غُلْباً تُغَرِّدُ فَوْقَهَا الأَطْيَارُ

جنَّاتُهَا مِثْلُ الجِنَانِ فَأَرْضُهَا ... مِسْكٌ وَنَشْرُ نَسِيمِهَا مِعْطَارُ

دَوْحٌ يَرقٌّ[1] مَنَظَرٌ يَسْبِي النُّهَى[2] ... وبُرُود رَوْضٍ وَشْيُهَا الأَزْهَارُ

وَمَذَانِبٌ مِثْلُ القَوَاضِبِ جُرِّدَتْ ... خَلَعَتْ عَلَيْهَا[3] لَوْنَهَا الأَشْجَارُ

وَتَنَاثَرتْ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ فَوْقَهَا ... أَنْوَارُهَا فَتَضَاعَفَتْ أَنْوَارُ [261- ب]

فَإِذَا يَهُبُّ نَسِيمُهَا ذَاعَتْ بِهِ ... مِنْ نَشْرِ أَزْهَارٍ لَهَا أَسْرَارُ

وَالنَّخْلُ مِثْلُ عَرَائِسٍ مَجْلُوّةٍ ... تُبْدِي بَدَائِعَ حِلْيِهَا[4] الأَطْوَارُ

وَإِذَا هزِزت بِجِذْعِهِنَّ[5] تَسَاقَطَتْ ... رُطَباً جَنِيّاً نَثْرُهُنَّ نِثَارُ

قطر مِنَ الأَقْطَارِ أَشْرَقَ حُسْنُهُ ... فَكَأَنَّمَا اللَّيْلُ البَهِيمُ نَهَارُ

كَمْ فِيهِ مِنْ مَعْنَى جَمَالٌ رَائِقٌ ... تَصْفُو[6] لِرُؤْيَةِ حُسْنِهِ الأَبْصَارُ

كَمُلَتْ مَحَاسِنُهُ وَطَابَ حَدِيثُهُ ... فَبِذِكْرِهِ تَتَزَيَّنُ الأَسْمَارُ

يَا أَيُّهَا التَّاوِي بِهِ مِنْ أَهْلِهِ ... أَوْ غَيْرِهِ مِمَّنْ حَوَتْهُ الدَّارُ

لاَ تَصْبُوَنَّ إِلَى سِوَاهُ فَإِنَّهُ ... لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا هُدًى وَمَنَارُ

هُوَ جَنَّةٌ قَدْ أَصْبَحَتْ مَحْفُوفَةً ... بكاره هِيَ لِلْقُلُوبِ شِعَارُ

---

(1) "ت": يروق.

(2) "ح2": النها.

(3) "ف": عليه.

(4) "ف": حملها.

(5) "ف": بخدهن.

(6) "ح2": تصبو.

يَـا جَنَّـةً لَـوْلاَ شَوَائِـبُ صَرْفِهَـا[1] تَـمَّ النَّعِيـمُ بِهَـا وَعَـزَّ الجَـارُ

أَيَّامُنَـا مَصْقُولَـةٌ أَطْرَافُهَـا بِـكَ وَاللَّيَالِـي كُلُّهَـا أَسْحَـارُ

وأهل توزر من بقايا الروم الذين كانوا بإفريقية قبل الفتح الإسلامي وكذلك أكثر بلاد الجريد، لأنهم في حين دخول المسلمين أسلموا على أموالهم، وفيها قوم من العرب الذين سكنوها بعد الافتتاح، وفيهم أيضا من[2] البربر الذين دخلوها في قديم قديم الزمان عند خروجهم من بلادهم، فإن بلاد البربر إنما كانت أرض فلسطين وما جاورها[3] من بلاد الشام وكان معهم[4] جالوت المذكور في القرآن فلما قتله داوود داوود عليه السلام تفرقوا في البلاد وتوجه أكثرهم إلى إفريقية وبلاد المغرب. وكانت إفريقية للروم فأجلتهم البرابر عنها إلى جزائر البحر كصقلية وغيرها ثم تراجعت الروم إلى بلادها على موادعة وصلح مع البربر، فاختارت البربر سكنى الجبال والرمال وأطراف البلاد وصارت الروم إلى البلاد والعمائر حتى جاء الإسلام وافتتح البلاد ففر جميع من فيها إلا من أسلم أو أدى الجزية كأهل الجريد هؤلاء. وقد اشتهر عندهم ما اشتهر من بيع فضلاتهم وهم يعيرون بذلك كما يعير به أهل قابس ويعيّر[5] هؤلاء أيضا بأكل لحوم الكلاب وممن اشتهر بذلك من قبائل العرب ولم أر منهم إلا مقرا بأكلها مستطيبا للحومها وقديما هُجِيَ من هُجِيَ بأكل لحوم الكلاب وممن اشتهر بذلك من قبائل العرب بنو أسد ثم بنو فقعس وقد قال الفرزدق: (الطويل).

إِذَا أَسَـدِيٌّ جَـاعَ يَوْمـاً بِبَلْـدَةٍ وَكَـانَ سَمِينـاً كَلْبُـهُ فَهْـوَ آكِلُـهْ

وقال مساور بن هند: (الوافر)

إِذَا أَسَدِيَّـةٌ وَلَـدَتْ غُـلاَماً فَبَشِّرْهَـا بِلَـؤْمٍ[6] فِـي الغُـلاَمِ

يُخَرِّسُهَـا نِسَـاءُ بَـنِي دُبَيْـرٍ بِأَخْبَـثِ مَـا يَكُـونُ مِـنَ الطَّعَـامِ

---

(1) "ت": صحبها.
(2) "ح2":عن.
(3) "ح1": وما والاها.
(4) "ت": ملكهم.
(5) "ت": ويعيرها.
(6) "ف": بلؤم.

تَـــرَى أَظْفَـــارَ عِقْـــدٍ مُلْقِيَـــاتٍ بَرَاضِنِهَـــا[1] عَلَـــى وَضَـــمِ التَّـمَامِ

ويخرسها أي يجعل لها الخرس بضم الخاء المعجمة وسكون الراء طعام الولادة.
وقال مساور ابن هند أيضا: (الطويل)

بَـنُو أَسَـدٍ أَنْ تَحْمِـلَ العَـامَ فَقَعَـسٌ فَهَـذَا إِذاً دَهْـرُ الكِـلاَبُ وَعَامُهَـا

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه يذكر هذيلا ويعيرهم بأكل لحوم الكلاب ولحوم الناس: (البسيط)

إِنْ سَرَّكَ القَدْرُ[2] صِـرْفـاً لاَ مِزَاجَ لَهُ فَـأْتِ الرّجِيـعَ وَسَـلْ عَـنْ دَارِ لَحْـيَانِ

قَـوْمٌ تَوَاصَـوْا بِأَكْـلِ الجَـارِ بَيْنَهُـمُ فالْكَـلبُ والـشَّاةُ وَالإِنْسَـانُ سِيَـانِ"

قال: وليس يوقف لوقت بناء توزر على تحقيق لقدم العهد في ذلك، وبعض المؤرخين يقول إن بناءها كان بأثر الطوفان [فإن الطوفان][3] {في}[4] زمن نوح عليه عليه السلام. وكان افتتاحها صلحا في أول الإسلام على يد حسان بن النعمان سنة تسع [262- أ] وسبعين وذلك بعد عوده من برقة بالمدد الذي أمده عبد الملك. ووقع في تاريخ ينسب إلى الإمام الحافظ أبي طاهر السلفي إن افتتاح توزر كان على يد {سيدي}[5] عقبة بن نافع القرشي وذلك غريب، وكانت ولاية عقبة على إفريقية إفريقية سنة ست وأربعين فإن صح هذا الذي يذكر أبو طاهر فيكون افتتحها في زمن معاوية بن أبي سفيان وعلى القول الأول يكون افتتاحها في زمن عبد الملك كما تقدم، ويحتمل أن يكون افتتحت[6] أولا في زمن عقبة ثم {انتقضت}[7] لما انتقضت انتقضت إفريقية فافتتحت ثانيا في زمن حسن. وأما ما يدل على أنها افتتحت صلحا فبقاء[8] مواضع كنائس النصارى بها خرابا إلى زماننا لم يتصرف فيها، وأن المسلمين

(1) "ت": براضمها.
(2) "ف": العار.
(3) زيادة من "ف".
(4) ساقطة من "ت".
(5) ساقطة من "ف".
(6) "ح2": افتتاحها.
(7) ساقطة من "ف".
(8) "ح2": فبقى.

المسلمين بنوا بإزاء كل كنيسة منها مسجدا والأشهر في ضبطها فتح التاء وبعض الناس يضبطها بالضم ولا وجه له فإن المستند في اختيار الضم إلى مذهب من رأى أن الألفاظ الأعجمية في أي وزن كانت تحكى على ما وقعت في كلامهم ولا يغير منها إلا ما غيرته العرب، وأما على[1] مذهب من رأى أنها لم توافق وزنا من أوزان العرب غيرت ونقلت إلى أقرب ذلك منها"[2]. انتهى كلامه.

وأتى إلينا بتوزر والتقينا بأعيان طلبة نفطة[3] سيدي ضيف الله الشريف الإدريسي وأخذ الورد وسيدي أبي بكر بن عبد الرحمان بزاوية الميعاد. وذهبنا بعد صلاة العصر لزيارة من بالمدينة القديمة من السادات[4] كالإمام الشقراطيسي وابن شباط والزفزافي[5] وأبي الفضل ابن النحوي تلميذ صاحب المنفرجة المشهورة. وطلبنا وطلبنا من يدلنا الطريق إلى بسكرة أو {إلى}[6] الزرايب ولم ييسر، وحدثت أن تلميذ تلميذ أبي الفضل بن النحوي مرض يوما وبعث له بعض أصحابه لحم ثني ولحم فراريج وكتب له ما نصه: (البسيط)

إِنَّ الثنـيَّ لَيُثْنَـى كُـلَّ عَافِيَـةٍ[7] وَاسْـمُ الفَـرَارِيج مُشْتَـقٌّ مِـنَ الفَـرَجِ

ثم ظعنا صبح الأربعاء كالعادة ثاني رجب والثالث والعشرين من غشت ومال بنا رفيقنا الحاج حميدات لمنزله مع جماعة من الحجاج وأوسعهم طعاما، فالله يوسع عليه وسار معنا سيدي ضيف الله الشريف مع بعض إخوانه للحمة وكتب سيف النصر والوسيلة والسلسلة النورانية. ونزلنا هنالك حتى تجاوزنا[8] الركب بعد أن سقى سقى الماء من احتاجه في عين هنالك من أعذب مياه تلك النواحي. وودعنا سيدي ضيف الله الإدريسي وابن عمه وهو ذو نية صادقة، ومحبة رائقة، فالله ينفعه آمين.

---

(1) "ح1": إلى.
(2) ينظر الرحلة التجانية، الصفحات: 158- 159- 160- 161- 162- 163 .
(3) "ف": يقظة.
(4) "ف": الساداة.
(5) "ع": الزفرافي.
(6) ساقطة من"ف".
(7) "ف": لكل شيء عافية.
(8) "ق": تجاوز.

وقلنا بسيطا من الأرض وصلينا الظهر وركبنا، وصلينا العصر غربي الرجم الذي على الطريق بإزاء الطرفا، ونزلنا قرب شبيكة شرقيها مع الغروب، ونزل بعد المغرب وبات الناس.

تنبيه: ويوم رحيلنا من هذه الدار رجعتنا عام عشرة، التقينا بالركب المشرقي وأميرهم الحاج الحسيني الفاسي رحمه الله، وأتونا بكتب من أهالينا ومن أهل محبتنا، وبعث الأخ سيدي محمد بن الحسن اليوسي كتابا فيه قصيدة نصها: (الطويل)

كَتَبْتُ ودَمْعِي وَاكِفُ العَبَرَاتِ ... وَقلْبِي حزِينٌ دَائِمُ الزَّفَرَاتِ

وَقَدْ فتَكَتْ أَيْدِي النّوَى بِجَوَانِحي ... وَجِسْمِي فَهَلْ مِنْ عَوْدَةٍ لِحَيَاتِ

وَهَلْ يَأْنَسُ المَهْجُورُ بَعْدَ بِعَادِهِ ... وَيَشْهَدُ جَمْعَ الشّمْلِ بَعْدَ شَتَاتِ

وَقَدْ سَارَ قَلْبِي تَابِعاً لِمَسِيرِهِمْ ... وَخَلَّ جِسْمَ الصَبِّ بَيْنَ عِدَاتِ

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا أُلاَقِي وَأَنَّهُ ... بِحَالِي بَصِيرٌ عَالِمُ الخَفِيَاتِ

فَوَاحَزَنِي مَاذَا أُجِنُ مِنَ الأَسَى[1] ... وَمِنْ مَضَضِ الأَحْزَانِ وَالحَسَرَاتِ

أَعُدُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ ... وَقَدْ عِشْتُ دَهْراً دَائِمَ الغَفَلاَتِ

فَيَا أَهْلَ نَجْدٍ هَلْ أَتَاكُمْ أَحِبَّتِي ... يُلَبُّونَ فِي الأَوْهَادِ وَالهَضَبَاتِ

يَؤُمُّونَ بَيْتَ اللَّهِ وَالحَجْرَ وَالصَّفَا ... مَوَاطِنَ مَنْ قَدْ فَازَ بِالدَّرَجَاتِ [262- ب]

وَسَارُوا[2] بِخَيْفٍ وَالمُحَصَّبِ مِنْ مِنًى ... وَهَلْ ظَفِرُوا بِالغُنْمِ مِنْ عَرَفَاتِ

وَقَدْ شَعَرُوا فِي مَشْعَرِ[3] اللَّهِ وَاهْتَدَوْا ... بِهَدْيِ[4] وَهَلْ أَتَوْا[5] عَلَى الجَمَرَاتِ

وَحَلُّوا وَفَاضُوا فَائِزِينَ بِقَصْدِهِمْ ... بِفَضْلٍ مِنَ الرَّحْمَانِ وَالبَرَكَاتِ

---

(1) "ح2": الأسا.
(2) "ف": وسار.
(3) "ف": ومسعر والأرجح ما أثبتناه.
(4) "ت": هديا.
(5) "ف": مروا.

وَهَلْ زَارُوا[1] قَبْرَ[2] الهَاشِمِيِّ[3] مُحَمَّدٍ وَعُفِّرَ حُرُّ الوَجْهِ فِي الحُجُرَاتِ

عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ الكَرِيمِ تَحِيَّةً مُبَارَكَةً أَنْفَاسُهَا عَطِرَاتِ

وَصَحْبِهِ مَعْ أَهْلِ البَقِيعِ وَكُلِّ مَنْ بِطَيْبَةَ مِنْ صُحْبٍ ذَوِي العَظَمَاتِ

هَنِيئاً لَكُمْ أَحْبَابَ قَلْبِي بِحَجَّةٍ مُطَهَّرَةِ الأَرْكَانِ وَالجَنَبَاتِ

لَقَدْ أُسْعِدَتْ[4] تِلْكَ الرِّفَاقُ وَأَيْنَعَتْ حَدَائِقُهُمْ وَاخْضَرَّ كُلُّ نَبَاتِ

بِمُحْيِي رُسُومِ الدِّينِ بَعْدَ دُثُورِهِ وَحَامِيهِ فَرْداً دُونَ كُلِّ حُمَاةِ

إِمَامٌ عَلاَ فَوْقَ السِّمَاكِينَ رُتْبَةً وطَهَّرَهُ المَوْلَى مِنَ الشُّبُهَاتِ

فَيَا أَحْمَدُ قُطْبُ السُّلُوكِ وَعَوْنُ مَنْ دَعَاهُ لَدَى الأَغْلاَلِ وَالكُرُبَاتِ

دَعَاكَ غَرِيبٌ نَازِحٌ مُتَمَلِّيٌّ أَنِلْهُ بِفَضْلٍ صَالِحَ الدَّعَوَاتِ

فَلَيْسَ لَهُ عَنْ بَابِكُمْ مُتَحَوَّلٌ مَدَى[5] الدَّهْرِ فِي المَحْيَا وَبَعْدَ مَمَاتِ

عَلَيْكَ سَلاَمُ اللَّهِ مَا ذَرَّ شَارِقٌ وَمَا نَاحَتِ[6] الوَرْقَا عَلَى الشَّجَرَاتِ

فَنَسْأَلُ رَبَّ العَرْشِ تَعْجِيلَ أَوْبَةٍ لَكُمْ دُونَ مَا سُوءٍ وَلاَ جَرحَاتِ

وَرَبِّي أَرْجُو أَنْ يَمُنَّ بِفَضْلِهِ عَلَيْنَا بِجَمْعِ الشَّمْلِ قَبْلَ وَفَاتِي

ثم ظعنا مجدين لإدراك وادي غسران[7] مخافة ألا[8] يصل الركب إليه، فيبيت الناس بلا ماء والتقينا بولد سيدي ناصر الفرجاني [عامر][9] يريد بسكرة فدلنا الطريق الطريق وكان يماشينا ونزلنا غسران وزان عمران بين العشاءين، ولم يأت الركب إلى

---

(1) "ت": زار.
(2) "ف": قبرا.
(3) "ف": للنبي.
(4) "ح1": سعدت.
(5) "ع": مدا.
(6) "ح2": لاحت.
(7) "ح2": عسران.
(8) "ف": أن لا.
(9) مطموسة في "ت".

الثلث الثاني من الليل وبات الناس على ماء بين أيديهم يجرى فيتناولون[1] منه أبلغ تناول لشدة الحاجة إليه فأنساهم ذلك ما مزج به من مرارة ما، ولم يتفطن أهل البلد للركب ولا سوقه أحد منهم وهو من عمالة تونس، وبالإبل كلل من طول المنزلة إلا أن الله تعالى لطف بها بما وجدت من الكلإ والعشب الكثير فرعته في نهارها ومسيرها إلى المنزل فالله تعالى يذهب كللها ويعينها على حمل احمالها بمنه ويمنه .

ثم ظعنا منه وأضحينا على ربوة قبالة قرية من قرى الجبل أمام فركان ونزلنا المفيضة وبتنا بها على غير ماء سوى ما حملته الأجمال لكونه لا يعهد في تلك المحال إلا في زمان الفيض. وهو بسيط أفيح ومزارع متسعة ينصب فيها سيل الجبل في إبانه فيحرثونها عليه.

ثم ظعنا منه ونزلنا زريبة حامد مع العصر وصلينا بها العصر وتلاحق الركب والشمس حية وفي هذه المرحلة اشتد المرض بأخينا ورفيقنا سيدي أحمد الهنضيفي، فالله تعالى يفرج عنه ما به، وأوصى للزاوية الناصرية بثلث ما استصحبه معه في سفره هذا وكان به مرض من مصر إلا أنه تارة بتارة وطورا بطور إلى هذه المرحلة فأجلب عليه بخيله ورجله فالله يلطف بنا وبه بمنه وطوله. وبات الناس على ماء عذب غزير في غدير واسع اتخذه أهل البلد لجمع الماء في زمن السيل ذخيرة لهذا الوقت لكونهم إنما سكنوا على ماء المطر وعليه بنوا قريتهم فإذا كان وقت المطر حملت أودية الجبل وسالت وانصبت لناحيتهم فحرثوا عليها وملأوا سواقيهم وحرثوا أراضيهم واتخذوا أخاديد تمتلئ حينئذ، فإذا انقطع الماء في زمن الصيف وجدوا تلك الأخاديد المعدة لذلك فانتفعوا بها في شربهم وسقي[2] دوابهم وسائر ضرورياتهم. ووجدناهم يستغيثون [263- أ] ويطلبون [الماء][3] فالله يغيثهم. وأتانا تلك الليلة من أولاد سيدي ناجي سيدي الهاني بن الحفيان وأخبرنا خبر أجمالنا التي أودعناها عنده وأن أحدها مات فالله يتقبله وبعث في إتيان الباقين وأخبرنا كغيره أن أولاد نابت[4] القاطنين باليانة

(1) "ع": فيتناولوا.
(2) "ف": وسقوا.
(3) زائدة من: ت".
(4) "ت": ثابت.

بينهم وبين أولاد سيدي ناجي نائرة وعداوة ومضاربة وأنهم بعثوا الرصد في أثرهم لما جاءوا إلينا نسأل[1] الله تعالى أن يكفيهم شرهم وشر غيرهم آمين.

ثم ظعنا منه وتجاوزنا أمام الركب فإذا بصراخ وراءه فإذا بأولائك تعرضوا لسيدي عبد الحفيظ مع جماعة من أصحابه ولم ينالوا منهم شيئا ردا الله كيد الظلمة في نحورهم، وأركسهم في شرورهم. وأضحينا بأم الخير ولحق بنا سيدي عبد الحفيظ وأتانا بميسور من الرطب والدجاج والدلاع فالله يكافيه. وسرنا أميالا فإذا بخيل تلوح تقطع دونها السراب فإذا بأبي الأضياف رأس أولاد صولة وسيدهم مع جماعة من أعيانهم جاءوا لملاقاتنا، فالله ينفعهم بنياتهم. وهذا الرجل لا بأس به يحب الخير وأهله، ويبغض الشر وعمله، {ما علمنا}[2] ويحب الحجاج ويأوون إليه، ويأنسون به ويطمئنون لديه، لا ينالهم في نجعه جزع، ولا يحوم حولهم عنده ذعر ولا فزع، فالله يجازيه خيرا، ويقيه ضيرا. ورغب في نزولنا في زريبة الوادي وألح علينا في ذلك ففعلنا ووصلنا إليها رائد الضحى وبتنا بها. وتسوق أعراب الركب بجميلات واشترينا جملا وتعذر أمره فقلت والله خير [وأبقى][3] وكنا في الحاجة إليه لما بلغنا أن أحد الجملين الباقيين عند سيدي الهاني به علة لا يقدر معها على اللحوق بنا سيما الجملان ثم اشترينا آخر وتعذر أمره تعذرا ثم تبين أنه لبعض عتاة الأعراب[4] وظلمتهم ممن يشن الإغارات[5] على سعي المسلمين ولا يبالي، قطع الله شوكته، وخيب سورته، وكفى الأمة ضرره، وأخمد شره، فرددناه لبائعه واسترددنا دراهم[6] منه.

ثم ظعنا منه بعيد الضحى وبعد أن يبست الأرض ونشف زلقها وذهب الناس يمنة ويسرة في استخبار المسالك ووقفوا على مسلك يصلح لمجار[7] الإبل. وذلك أنا لما صلينا العصر بهذا المنزل، طلعت سحابة من ناحية الجبل بريح عاصفة، فقلعت الأخبية وكفأتها على وجوهها فأرعدت وأبرقت وأمطرت مطرا شديدا على غرة من الناس. فأرخت السماء عذاليها وحلت أوكيتها وفغرت أفواهها فسالت التلاع وفاض

---

(1) "ح2": نسأله.
(2) ساقطة من "ف".
(3) زيادة من "ف".
(4) "ف": العرب.
(5) "ح1": الغارة.
(6) "ف": دراهمنا.
(7) "ح2": بمجاوز.

على المتاع، وضاعت الحيال، ولم يبق إلا اللجأ للكبير المتعال، والنداء بالصلاة على خير الأرسال، وسيد أهل الكمال، عليه الصلاة والسلام. وحين قرب المغرب أقلعت وتعاهد الناس أمتعتهم فمنهم[1] السالم وغيره، ومنهم من بدل منزله لشدة وحله، والغالب على الناس السلامة والحمد لله. وفرح أهل البلد بالغيث، نسأله تعالى أن يديمه عليهم نافعا في سلامة، وأمان وعافية تامة. وودعنا سيدي الهاني مع جماعة من أصحابه وإخوانه، وقلنا بوادي[2] الحقف ووجدناه سائلا وأمسك ماء بغدران وقيعان، وصلينا به الظهر وسرنا، ولما قرب العصر ظهرت مخيلة من سحاب على الجبل ولم تزل فأرعدت وأبرقت وأمطرت مطرا غزيرا حتى رد البغال عن وجوهها، وأوقفها عن المسير، وخفت[3] قليلا فصلينا العصر، وعادت فأمطرت ونزل معه البرد، ولم تزل كذلك تمطر حتى صلينا المغرب وبعده، فأمسكت بين العشاءين.

ونزلنا شرقي وادي المنصف وبات الركب[4] على ربوة مستطيلة ونشز مرتفع خوف الغرق، وتوفي تلك الليلة الأخ في الله تعالى والأحب في جانبه والمهاجر في سبيله له وحاج بيته: سيدي أحمد الهنضيفي، ليلة الثلاثاء الرابعة عشر {من}[5] رجب، التاسعة والعشرين من غشت، رحمه الله ووسع عليه وتقبله بقبول حسن وضاعف حسناته، وتجاوز عن سيئاته، وألحقه بخير سلف هذه الأمة آمين آمين. فغسلناه وكفناه وصلينا عليه بعد الصبح وقبل الإسفار، ودفناه هنالك بطرف المنزل، وسننا عليه التراب لعدم لوح وحجر، وقصب ومدر.

ثم ظعنا منه وقلنا موضعا إلى صلاة الظهر، ولحق بنا جماعة من أولاد صولة مع الأشراف الكائنين بسيدي عقبة وبعض أصحاب سيدي محمد بن منصور المكادي النجاري الزواوي الدار.

وصلينا الظهر وسرنا وتلقانا الأخ في الله والأحب في جانبه سيدي محمد بن منصور [263- ب] المذكور مع أصحابه وجاء متعرضا للقيانا، وجلس بسيدي

---

(1) "ف": فمن.
(2) "ت": وادي.
(3) "ت": جفة.
(4) "ح1": الناس.
(5) ساقطة من "ت".

عقبة {نحوا[1]}[2] من نصف شهر في انتظارنا فالله ينفعه وينفع من أتى معه ولا يخيب لهم أملا، ولا يضيع لهم عملا، بفضله وكرمه آمين. ونزلنا سيدي عقبة عصر [يوم][3] الثلاثاء رابع عشر رجب والتاسع والعشرين من غشت وبتنا به ووجدنا به الشعير أرخص من بسكرة، واشترى الناس منه ما أمكنهم وتيسر اشتراؤه ووجدنا به سيدي أبا القاسم البشى[4] البسكري مفتي بسكرة في الوقت منفيا منها خوفا من عاملها[5]، وعلي بن محمود {بي}[6] {وهو}[7] عامل تلك النواحي منفيا أيضا. وأتى الله من عنده ببغل فمكناه لمولاي العربي بن أحمد بن يوسف فالله ينظر من حاله ويرده لمأمنه ويقره بوطنه بمنه وكرمه آمين.

ثم ظعنا منه ونزلنا ببسكرة النخل قبل زوال الأربعاء الخامس عشر من رجب الموفى ثلاثين من أغشت بنحو عشرة أدراج ووجدنا الوادي سائلا وخضناه[8] بمحل صعب ولكن الله سلم. وأقمنا به الخميس والجمعة ليهيئ الناس محتاجهم من الزاد.

ثم ظعنا منه يوم السبت الثامن عشر[9] من رجب، الثاني من شتنبر. وودعنا سيدي عبد الحفيظ بن الطيب من أولاد سيدي ناجي وأصحابه وجماعة من أصحاب سيدي محمد بن منصور المكلدي ولم يزل هو مصاحبنا وأضحينا على ساقية أوماش[10] عند المجاز بعد أن أصلحناه وهيأناه للمجاز فالله تعالى المسؤول في تثبيت الأقدام بالنبي عليه الصلاة والسلام. فجاز الناس بسلامة وعافية غير أن جملين وقعا بالساقية[11] فأخرجهما الناس، من غير ما بأس، ولله الحمد ومررنا على مليلية وتلقانا أهلها كبارا وصغارا وخضنا وادي الجدي ونزلنا بعدوته الغربية على ربوة تبردا وأتى الله من عندهم بعدة بطاطيخ وقسمنا ذلك بين الجماعة الحاضرة من الحجاج

(1) "ف": نحو.
(2) ساقطة من "ع".
(3) زيادة من "ف".
(4) "ف": السي.
(5) "ع": عمالها.
(6) ساقطة من "ف".
(7) ساقطة من "ف".
(8) "ف": وخضنا.
(9) "ف": الثامن والعشرين وهو خطأ.
(10) "ف": أرماس.
(11) "ف": بساقية.

مع الفقهاء والسادات الأشراف ورضخنا من ذلك لركابنا فالله يتقبل منهم. وأتانا فقيههم سيدي عبد المعطي وكان تعرض لنا بسيدي عقبة وودعناه. ولما فات الركب ركبنا وسرنا وصلينا العصر قرب خلوة ولي الله سيدي عبد الرحمان بن الصغير الأخضري وفتناها بأميال ونزلنا بمغران صحراء متسعة ممتدة لناحية القبلة إلى عمران وادي ريغ ثم ظعنا منه وملنا عن الطريق شيئا ونزلنا وقت الضحى أمام الركب للراحة فإذا بقوم تدفع بهم أفراسهم شأوا وتخفض بهم شأوا من جماعة أولاد سلام {و}[1] رئيسهم قاموا ورغبوا في نزول الركب عندهم لإطعامه وتبركا به. ولم يقدر ذلك وأتى الله من عنده بكبش أقرن فدفعناه للأشراف، فسرنا ونزلنا على أكمة مشرفة على الوادي بنواحي الغابة، وصلينا الظهر هنالك والعصر بقرب أولاد جلال بمزرعة على سواني متعددة، بها ماء مر كأنه عصارة الحنظل، وجلسنا هنالك حتى تجاوز الركب ولحق بنا أخرياته، [ف][2] سرنا ووجدناهم مخيمين بعد العصر بأولاد جلال يوم تاسع رجب، وأتانا بين العشاءين الأحب سيدي عبد الباقي وسيدي محمد بن [ ][3]][3] وأتى الله من عنده بكبش وأصحب معه لوحة يطلب بدأها لولده، فبدأت له بها بها صبحا، فالله يعلمه ويقر به عينه آمين. وأطعمنا بميسور من الطعام مع أصحابهم فرجعوا لأهاليهم.

ثم ظعنا {منه}[4] وتعرض أهل البلد أفواجا بصغار وكبار يطلبون الدعاء من وفد الله العزيز الغفار، فالله ينفعهم ولا يقذعهم[5]، ولحق بنا عالمهم ومرابطهم سيدي سيدي محمد الحاج خارج البلد غربيها وأصحب معه ثلاث شياه فأكرمنا بها أصحابنا فالله تعالى يكرمه ويجعل له ذلك في ميزان القبول وودّعنا[6] هنالك مع جماعة أهل البلد فرجعوا وما شانا سيدي محمد إلى أن حاذينا[7] ووازينا قبة نبي الله سيدي خالد بن سنان فدعونا هنالك ورجع ونزلنا خارج بلاد[8] سيدي خالد غربيها غربيها على أكمة ليتلاحق الركب ونستخبر شأن الطريق أبه ماء فيجتاز الناس أم لا؟

(1) ساقطة من "ف".
(2) زائدة من "ف".
(3) بياض في "ف" و"ت"، بقدرخمس كلمات.
(4) ساقطة من "ف".
(5) "ف": ولا يقذعهم.
(6) "ت": وودعناه.
(7) "ح2": حادينا.
(8) قبة

فيبيتون هنالك ليهيئوا قربهم ويملئوا أسقيتهم لاجتياز المفازة أمامهم لكونها معطشة يحمل الركب بها ماء ثلاثة أيام مع ليلتين، فأخبرنا من له خبرة بالأرض من الأعراب وغيرهم أن حملة الوادي أبعدت وبه غدران متسعة، تكفي الأركاب الواسعة، والمحالّ المتشاسعة، فقلنا هذا من فضل ربي والحمد لله [264- أ] الذي أزاح عنا نقل الماء لهذه المفازة ولم يكن أهم إلينا منها لكون ما بأيدي الناس من القرب بالية تتمزق لطول[1] استعمالها من مصر إلى هنا، فكثيرا ما تستخرق[2] القرب فيضيع ماؤها[3] لعدم إتقان دباغها وإنما أخذت من مصر بحسب ما اتفق و[4] وجدانها فكفاهم الله هذه المؤونة بماء السماء. فكثيرا ما عودنا مولانا تعالى إنعاما وإحسانا، وتفضلا وامتنانا فله الحمد في الآخرة والأولى نسأله تعالى أن يديم {علينا}[5] نعمه، ويوالي علينا كرمه، ويوزعنا الشكر ولا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل منها[6]. ولما استقينا الخبر سار الركب ونزلنا وقت القيلولة على غدير بالوادي وصلينا [به][7] الظهر وركبنا وصلينا العصر تحت شجرة من شجر البطم على غدير أيضا، ووجدنا أمامه نجعا للسليمة من أعراب تلك النواحي من أهل الدعارة بها ظاعنين في طلب الماء والكلأ. ونزلنا مقسم أولاد سيدي عيسى على غدير واسع مستبحر بالوادي، وبتنا مع[8] السليمة ترعى ماشيتنا مع ماشيتهم وأتوا إلينا بأعيانهم ورؤسائهم وجماعتهم كلها وزعموا أنهم تائبون من سرقة الحاج والتعرض له إلا بالخير وأنهم في خدمة الأركاب النبوية وأنهم [أقلعوا وأنابوا][9] عما فات لهم من الإذايات للركب والتعرض له بالغارة والنهب فالله {تعالى}[10] يتوب علينا وعليهم ويقود بنا وبهم للخير ويعيننا جميعا عليه {آمين}[11]. فغرموا للأستاذ محبنا سيدي إبراهيم من لا

---

(1) "ف": من طول.
(2) "ف": تخترق.
(3) "ع": ماء.
(4) "ف": من.
(5) ساقطة من "ف".
(6) "ف": من ذلك.
(7) زائدة من "ح2".
(8) "ف": على.
(9) "ف": تابوا وأنابوا.
(10) ساقطة من "ت".
(11) ساقطة من "ف".

يخاف ركابه الذي قطعوا له ونحن مشرقون وأرضوه منه، فالله يثيبهم[1] ويزيل ضررهم على المسلمين ويجعلهم راحة للأركاب النبوية والوفود الربانية آمين آمين.

ثم ظعنا منه وسقى الناس من الغدير ما يكفيهم لشرب النهار وأضحينا عند شجرات من البطم في بسيط من الأرض أفيح ننتظر الركب. فالله تعالى يحفظه ويعينه ويبلغه وطنه بسلامة وعافية له ولأهاليه إنه ولي ذلك. وأتى إلينا جماعة من أعراب[2] رحمان هنالك بقطيع من الإبل سوقوا بها الركب وأتى الله من عندهم بعنز ودفعت لمستحقها، وركبنا وأتانا فارسان تعدوا بهما فرسهما بجلد سمن فدفع للفقهاء وآخر أتى بخروف فدفع لهم أيضا فالله يتقبل منهم. وقلنا على شفير وداي الشنوف في ظل سرحات من البطم ووجدنا هنالك غدرانا من الماء فسقينا {بها}[3] بهائمنا وكذا من معنا من أهل الركب، وسقوا به أدواتهم وتوضؤوا[4] وصلينا الظهر هنالك والعصر في غوط[5] بين مسلكي عيكف، وسرنا ونزلنا قبل الاصفرار في غوط متسع بالصدود على غدير ماء غزير أحب إلينا من كل مفروح به لكون الناس على يأس[6] من الماء في ذلك المحل لعدم ظهور مخائله، وعزموا على البيات دونه فأبدى[7] الله لنا هذا الغدير وكان من جملة نعم الله[8] التي تكل الألسنة والجوارح عن القيام بأدنى شكرها فنعترف لله بذلك ونسأله أن يوزعنا شكره ويتقبله منا ويواليها علينا. وبتنا هنالك فتمتع الناس بذلك الماء وضلت ناقة لبعض الجمالين فذهب في طلبها ووجدها أصحابه دونه وامتد به هو الطلب واتصل به الحراميون سرقة الحجيج[9] وضربوه وجردوه وذهب والده في طلبه واتصلوا به وجاؤا به في السدس الأخير من الليل على غرة من الناس فأخذوا بغلا وذهبوا به وتفطن لهم صاحبه وذهب في أثرهم[10] حاسرا

---

(1) "ح1": يثبتهم.
(2) "ف": أولاد.
(3) ساقطة من "ت".
(4) "ح1": وتوضوا.
(5) "ف": غويط.
(6) "ح2": أياس.
(7) "ف": فأبدى.
(8) "ح2": بعمه.
(9) "قط: الحجاج.
(10) "ف": آثارهم.

عازما ولحق بهم فمنعوه منه بأسيافهم وفروا ذاهبين نسأله تعالى أن يخلف[1] عليه وينتقم من الظلمة العتاة.

ثم ظعنا منه ووجدنا ماء على وادي شرقي التوميات ورجع إلينا من أراده من الصعاليك والحجاج وأضحينا غويطا غربي التوميات بأميال، وصلينا العصر على غدير بقرب من وادي عبد المجيد. ونزلنا شرقي وادي عبد المجيد بأميال بعد العصر ولحق آخر الركب بعد الغروب وبين العشاءين هاجت[2] ريح شديدة قلعت الأخبية وكفأتها[3] وأمطرت السماء واشتدت الظلمة وفزع الناس لإناخة الإبل باعتناء تام لكون المحل معروفا بالخديعة والسرقة والاختلاس ليلا من جيرانه أهل

عمورة قرية على جبل حوالي ا لغيران[4]، بها فواكه متعددة ولا تحل بها وسكانها وسكانها سراق الحجيج[5] يتعرضون للأركاب ليلا بالسرقة ونهارا بمساوقة الدجاج وما [264- ب] بأيديهم من الفواكه وغيرها من التوافه فتلك عادتهم قطعها الله من عادة. وأما غمرة[6] قرية على أميال منها شرقيها فسكانها ما سمعنا عنهم أنهم يتعرضون للركب بسوء والله أعلم بحقيقتهم. وبتنا هنالك ولم يزل المطر يسح سحا من آخر الليل إلى قرب انصداع الفجر، ولم ير الناس كيدا وحضر لطف الله العام.

ثم ظعنا منه ومررنا بماء عبد المجيد ضحى ولم يعرج عليه[7] أحد لكون الله أغنى الناس بغدران باتوا عليها في مبيتهم فأغنى الله تعالى عن بقرة عوف وبالإصباح عن المصباح، ونزلنا للاستراحة شرقي الغيران ننتظر الركب ولم يلحق بنا وأخبرنا انه أخذ ذات اليمين وسرنا ووجدنا أمامنا رجلا من نائلة أتى بالبغل المسروق ليلا بالصدود وأخبرنا أن سارقه صحراوي فأخذوه منه وبعثوه به معه للركب فأخذه صاحبه مسرورا فرحا به فالله يجازيهم خيرا ويرزقهم من فضله آمين. ونزلنا وقت الظهيرة غربي الغيران بأميال على ربوة للصلاة وإتيان الركب وجاء الركب وصلينا الظهر وسرنا مجدين

---

(1) "ف": يخلفه.
(2) "ت": صاحب.
(3) "ف": أكفأتها.
(4) "ف": القيروان.
(5) "ف": الحجاج.
(6) "ف": عمارة.
(7) "ح2": له.

ليبيت الركب على ماء إذ ليس معهم ماء وليسوا[1] على ماء. وحان وقت العصر وصليناه على ظهر، ونزلنا على عين تنبع في جرف عليها مزارع لأولاد {جابر}[2] حرز الله زاوية من زوايا تلك البادية وهم ناس مقبلون على ما يعينهم، عرفنا منهم جماعة متمسكين، وحج معنا هذه الحجة واحد منهم واسمه سيدي الطيب بن عيسى رجل دين خير مقبل على شأنه. بازائها بناء على هيئة المسجد يسميه الحجاج البرج. ولحق الركب بين العشاءين ولم يلحق آخره إلا بعد أن صلينا العشاء وحذر الناس من سرقة أهل عمورة وغيرهم أن يتبعوا الركب فأمن الله غائلتهم، وكفى مضرتهم، وكف شوكتهم، فما لاحت لنا[3] طارقة[4]، ولا لمعت لهم بارقة، وكان الله قويا عزيزا، فبات فبات الناس في يمن وأمان، والمنة للواحد المنان.

ثم ظعنا منه ونزلنا دمت قبل نصف النهار وبتنا به لإراحة الإبل وتعاهد أخفافها لما عسى أن يحل بها من النقب فتنعل. وتلقانا أهل البلد بالفرح والسرور، ولاحت عليهم مخائل صدقهم في توبتهم من إذاية الحاج، فما خرجوا بليل ولا خطفوا بنهار {فالله يديم لنا ولهم التوبة}[5] وسوقوا الناس[6] بما أمكنهم وبأيديهم من الشياه الشياه والسمن والشعير. لكون أرضهم جردتها الجراد. وبين العشاءين أبرقت السماء إبراقا متواليا أذهل الأنظار والأفكار، وكاد يخطف الأبصار، ورشتنا برش ماء وانقطع بنصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل، سال الوادي وادي دمت، وخاف الناس أن يمنعهم من الاجتياز فيصدهم عما هم بصدد من قطع ما بين أيديهم من المفاوز والأفواز[7]، وبعد أن صلينا الصبح بعثنا في اختباره، فظعنا على بركة الله وخضناه في أول حملة ثانية حملها. وكابد الناس والإبل لذلك مشقة وأشفق الناس عليها لما [أضرّها][8] من طول السفر وبعد الشقة ولكن الله سلم، وما دافع أشد وأعظم. وخاض الركب، وما وقع حمل، ولا زل جمل، إلا بعير واحد عليه حمل لبعض الحجيج فوقع به وجرر الوادي حمله فتتبع وأخذ ورد له الجمل، فحمل بعد أن خرج للبر.

(1) "ف": ويبتون.
(2) ساقطة من "ت".
(3) "ع": لهم.
(4) "ع": طريقة.
(5) ساقطة في "ف".
(6) "ت": لنا.
(7) "ح2": القرار.
(8) مطموسة في "ت".

وانتظرنا الركب بعدوته الغربية حتى خاض آخره، وتعداه. فركبنا وسرنا، ولما صلينا الظهر، وسرنا أميالا ظهرت سحابة وَطْفَاء[1] أمامنا في رعد قاصف تمطر على ما أظلته من الجبال والأكام، ثم عمت الربى والسهل وتطاولت إلينا ومرت بنا وأرخت السماء علينا عَزَالِيهَا[2] وأرسلت إليها شئابيبها وعاقت الركب عن المسير، وصدت عن صوبها الجمال والرجال والبغال والحمير، ترمى بماء على الوجوه، كأن القرب حلت أوكيتها، أو سدد تهدمت أبنيتها، ورفعت شيئا ولحق بنا رجل من أولاد[3] بن حرز الله، فأخبرنا بشدة ما بطريقنا من الوحل، وأنه لا يسلك به رجل ولا جمل، فمال بنا ذات اليسار وسلك بنا طريقا مسترملة، غير ماسكة للماء مستبحرة، وتمادى بنا المطر على ما هو عليه إلى وقت العصر، وارتفع. وصلينا العصر واسترحنا، فركبنا وسرنا، ثم مطرنا، ونزلنا بموضع عار مرتفع على السيل، وأمسكت السماء. وتلاحق الركب مع الغروب، ثم أمطرت أيضا ولم تزل كذلك إلى الصباح تمطر وتقلع. وبقي لمحبنا الحاج أحمد بن علي السلوي سباطة[4]: به عرف، ناقة من خيار إبله أكلت الدرياس بدمت {مع جملين آخرين له}[5] ونحر جملا آخر بهذا المنزل {قطع الدرياس أمعاءها أخبر أنه رآها تقذف أمعاءها [265- أ] مع أرواثها}[6] والآخر أزال عليه ما عليه وساقه غير حامل شيئا والغالب عليه اللحاق[7] بصاحبيه لكون الدرياس سما قاتلا[8] للإبل، فكثيرا ما فعل بها الأفاعيل، فليحذر العاقل وينكب أماكنه وقد ذكر في طريق الحج بأماكن[9] بواد شبور وتجمت ودمت حول القرية بمزارعها وبدرنة حوالي برقة، ثم بعثنا رجلا يستخبر وادي الفج وانتظرناه فجاء .

ثم ظعنا ووجدنا[10] الوادي رجع سيله ولم يبق به إلا شيء قليل، فخضناه ونزلنا هنالك حتى تجاوز الركب وفات ونشر الناس ما بل من ثيابهم. وصلينا الظهر بوادي

(1) كأنما بوجهها حمل ثقيل.
(2) أرخت السماء عَزَالِيهَا: إذا كثر مطرها.
(3) "ف": بني.
(4) "ح1": صبّاطة.
(5) ساقطة من "ت".
(6) ساقطة من "ف".
(7) "ف": اللحقان.
(8) "ع": سم قاتل.
(9) "ح2": أماكن.
(10) "ت": ووجدناه.

النبيلة[1] ونادى منادي الركب أن احملوا من الماء ما تبيتون عليه ولا تغتروا بالغدران فكثيرا ما قطعت بأصحابها وغدرتهم. وودعنا الرجل الذي هو من أولاد[2] ابن حرز الله المذكور انه دلنا على الطريق بهذه الأوحال[3]، التي تحار بها[4] الأوعال، والتقينا بفارسين من رحمان زعما أنهما أخبرا بالركب فجاءا متبركين به وطلبا المبيت بقربهم ليتساوقوا مع الركب لما بأيديهم من الإبل وغيرها وما قدر ذلك.

ونزلنا بعد العصر للمبيت بعد أن ملنا عن الأغواط ذات اليمين لما حل بينهم من الفتن فسفكت الدماء ونهبت الأموال لنائرة بينهم عياذا بالله، فأدخل بعضهم على بعض عرب أولاد يعقوب فقتلوهم ونهبوا أموالهم وأخرجوهم من ديارهم فإنا الله وإنا إليه راجعون.

وبتنا بموضع يقال له المتسعة وشوشت السرقة على الركب وعوت من كل ناحية وأخذوا بغلة سيدي الدخيسي الشقروني وحمار سيدي محمد بن رزوق المراكشي ومفرشا لابن علي الفيلالي المنوجي، ولما أسفر النهار ظهروا على الجبال كأنهم أوعال، وتبعهم بعض الحجاج ورموهم بالبنادق وفروا فرار الحمر المستنفرة فرت من قسورة قطع الله دابر القوم الظالمين، وكبت سعي المجرمين. ثم ظعنا منه وأضحينا بدخلة الأغواط وجاز الركب وسرنا ونكبنا الأغواط عن يسارنا وتراءى لنا قصرهم وقلنا حمدة بازاء وادي متليلي[5] وصلينا الظهر وسرنا ونزلنا على وادي أبي ريم[6]،

[كيفية الذكر الوارد]

وسئلت عما يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم مع مسح الجبهة إثر الصلاة[7] وأخرجت عمل اليوم والليلة والكلم الطيب للإمام السيوطي وجرى ذكر

---

(1) "ف": التلبية.
(2) "ف": بنى.
(3) "ع": الأرحال.
(4) "ت": فيها.
(5) "ف": تمليلي.
(6) "ت": أبي دريم.
(7) "ف": الصلوات.

المصافحة وأنها تكون بعد السلام وأن لفظ الأول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ويزيد الراد: ومغفرته ورضوانه، وجرى ذكر الحديث: "إذا التقى المسلمان وتصافحا فحمدا الله وصليا على النبي صلى الله عليه وسلم واستغفرا وضحك كل منهما في وجه صاحبه غفر لهما ونزل عليهما مائة رحمة للبادئ تسعون وللآخر عشرة[1]". وسئلت عن الكيفية في الذكر الوارد فأجبت كما أخذت ذلك عن الوالد رضي الله عنه:

" اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، الحمد لله رب العالمين استغفر الله".

وطلب منا من حضر من أصحابنا أخذ ذلك إجازة فيه، فصافحتهم وأجزتهم فالله ينفع جميعنا ويجعلنا من أهل الإيقان.

ونزلنا قبل الاصفرار برشاق الماء ثم منه، وأضحينا بدرع خروف وجلسنا للاستراحة ولحق بنا أعيان تجمت تعدوا بهم أفراسهم وطلبوا منا النزول عليهم، وامتنعنا لما بأرضهم[2] من الدرياس المضر بالإبل، وهو لها سم قاتل، وداء ممض، وعلة يعسر علاجها، وذكروا أنهم يسلكون بنا مسلكا عاريا منه وقبلنا منهم وانفصل المجلس على ذلك. ولما سرنا فإذا به كسائر تلك البقعة التي مررنا بها وقلت[3] تبدى ما انطوت عليه سرائركم واحتوت عليه ضمائركم من أنكم ما أردتم إلا النزول عليكم ولا عليكم فيما حل بالإبل، وملنا عنهم ذات اليسار وودعناهم لله وسقنا الإبل سوقا وشغلناها بذلك عن تناول الدرياس وحملناها من المسير فوق طاقتها ارتكابا لأخف الضررين.

وحان وقت الظهر ونزلنا على وادي امسناج ووجدنا به ماء مستبحرا من سيل قريب سال به وما صلينا الظهر إلا والإبل لحقت بنا لغير عادتها كما ذكرنا ورحنا لعين الماضي قبل الاصفرار وراحت أوليات الركب طفلا وأخرياته مغربا يوم الثلاثاء

---

(1) قال الحافظ العراقي في كتاب: " تخريج أحاديث الإحياء "المجلد الثاني رقم الحديث 3: أخرجه البزار في مسنده، والخرائطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب، وفي إسناده نظر.

(2) "ف": في بلدهم.

(3) "ف": وقلنا.

الثامن والعشرين من رجب والثاني عشر من شتنبر وتلقانا أهلها كبارا وصغارا قرب البلد.

ونزلنا خارج البلد على مسيل الماء، وسلم الله الإبل والحمد الله من تناول الدرياس فضلا منه وامتنانا.

[الدرياس سم قاتل للإبل]

نكتة: مما يحمي [265- ب] من تناول الدرياس تكميم أفواه الإبل أو[1] جعل الأزِمَّة[2] لها وتعليقها بأقتابها بها، حتى لا تعطوَ إليه وأما إن تناولته فيعالج[3] بإذن الله بما حدثني به من جربه من الإعراب وهو أن يؤخذ القمح ويغلى في السمن حتى يطيب ويبرك ويؤكل للبعير والقدر المأخوذ من القمح حثية أو حثيتان لا أقل من حثية ولا أكثر من حثيتين، أو يؤخذ زبل[4] البقر ويفت في الماء ويسقى للجمل وهذا بحدثان أكله وفوره قبل أن يتكمن في أمعائه وقبل أن يستولي[5] على[6] أحشائه فيداوى في يومه أو بعده والشفاء من الله، أو يلقم العجين بالسمن.

وأقمنا {به}[7] يوم الأربعاء، واستهل هلال شعبان ليلة الخميس، ولحق بنا اصفرارا الأحب سيدي محمد بن موسى الإسحاقي مع سيدي مسعود من أولاد سيدي أبي يعزى وسيدي عبد القادر المكلدي وسيدي [ ]ر[8] الشاوي أخو الأحب الأحب سيدي المرجاني مع بعض الصعاليك جاؤوا وحاجبين مع الركب ولما سمعوا بنا أزمعوا السير إلينا فرحا بملاقاتنا، والله ينفعهم بمنه وكرمه واستفدنا بعض أخبار البلد جملة. وفي ضحى غده وهو يوم الخميس أول شعبان والرابع عشر من شتنبر لحق بنا

---

(1) "ت":و

(2) "ح2": الأزمة.

(3) "ف": فتعالج.

(4) "ف": مزبل.

(5) "ت": يتولى.

(6) "ح1": إلى

(7) ساقطة من "ت".

(8) فراغ في "ت".، و"ف".

والتقينا بالركب المشرق وشيخ الفاسيين الحاج عزوز [ولد][1] عديل وأمير الفلاليين الشريف مولاي عبد الهادي بن إدريس. واتصلنا بأخبار أهلنا وكتبهم وما بعثوا إلينا مع صفينا سيدي محمد بن عبد الرحمان المولا يخافى ومعه ولد أخيه سيدي محمد بن عبد القادر وولده، فاستقصينا خبر آلنا ووقفنا على ما غاب عنا من حالهم، وبعث لنا أهلنا مع وكيلنا سيدي عبد العزيز ما أبرأ الله به ذمتنا مما استسلفناه بطرابلس أبرأ الله ذمتهم من جميع التباعات وجازاهم عنا خيرا. وأقمنا ذلك اليوم أيضا لملاقاة الناس بعضهم بعضا ومسائلته وأبلغونا[2] ما حل بالبلد من الفتن وكون البلد أجرأ من ذئب الربا عليه ولم يترك به علوية ولا سفلية نسأل الله تعالى السلامة والعافية والعفو والمعافاة.

ثم ظعنا منه يوم الجمعة ثاني شعبان وخامس عشر شتنبر وملنا ذات اليمين عن[3] طريق وادي شبور لطريق وادي الرداد[4]، وصلينا الظهر بإزاء عين يقال لها العنيصر المالح، ووجدنا به ماء قليلا حلوا باردا لقرب عهده بماء السيل، والعصر تحت عقبة مقسم أولاد زيارة ووجدنا هنالك ماء سقى الناس ما أرادوا لمبيتهم، ونزلنا اصفرارا آبار قاعة، وبات الناس به على غير ماء سوى ما سقوا بقربهم قبل. ثم ظعنا منه {وقلنا وادي المويلح، ووجدنا به غديرا. وأتانا هناك ناس من أهل الخضراء. وقطعنا وادي تويلا، وهما قصران متقاربان على الوادي. ونزلنا العدوة الغربية وادي الحميضا طفلا، وأتى الركب مع المغرب وأوله قبله ثم ظعنا منه}[5]. ولاحت لنا جماعة جماعة من الناس يشتدون نحو الركب ونزلنا في انتظارهم على ربوة فإذا هم ناس من أولاد سيدي طيفور بن عيسى جاءوا زائرين وأتى[6] الله من عندهم بأربعة أكباش ودفعت اثنين لأولادنا وتركت اثنين للسلكة. والله يتقبل منهم وينفعهم بنياتهم آمين. وهم ناس مساكين لا يطلبون إلا قراءة القرآن والدين زعموا أن جدهم المذكور، من ذرية الإمام المشهور {أبي}[7] يزيد[8] طيفور بن عيسى البسطامي، والله أعلم بحقيقة

(1) زائدة في "ح1".
(2) "ف": وأخبرونا.
(3) "ح2": على.
(4) "ف": الرداء.
(5) ساقطة من"ت".
(6) "ت": جاء.
(7) ساقطة من "ت".
(8) "ف": زيد.

بحقيقة ذلك. ثم قلنا على وادي قرنب وصلينا الظهر به والعصر {بيضة مخيليف، ونزلنا المخيليف: تصغير مخلاف، بعد العصر}[1] بل غربيه على ماء سائل من المطر بتميد، ثم منه ونزلنا الغاسول قبيل عصر [يوم][2] الاثنين الخامس من شعبان ثامن عشر شتنبر. وتلقانا أهل البلد خارج البلد أفواجا [أفواجا][3]. وجاوزنا مجرى الوادي ونزلنا بمزرع بعدوته الغربية خوفا من سيلان الوادي ليلا فيعوقنا عن الجواز {أن}[4] لو لو نزلنا بعدوته الشرقية لكون السماء بها رداء من غيم، وأضافنا أهلها بعدة أواني من طعام، قسمناها على أهل الركب، وبعض شعير دفعناه لجمّال يعلف به أجماله[5]. وأبرقت السماء وأرعدت، وأمطرت أعالي[6] الوادي فسال. فحمانا الله منه، ورشتنا رشا، ثم دفعنا منه في ظل خفيف. ودفعنا كتبا كتبناها لأهلنا إعلاما لهم بمجيئنا، لبريد أبردناه لهم من أصحابنا منصور بن محمد المزجيطي، فودعناه حين أضحينا على أكمة مصحوبا بسلامة وعافية، مع جماعة؛ مبشرين أهالينا اغتناما لإدخال السرور على المؤمن، سيما الأهل والأقارب. ونزلنا بالهزة قرب مقام سيدي عطاء الله اصفرارا، وبتنا به وبعد هدوء من الليل [266- أ] {أمطرنا}[7] مطرا غزيرا، ولم يزل إلى الثلث الأخير من الليل وبعده بقليل وأصبح علينا {الأود}[8] سيدي عبد الكريم التواتي، كان مشارطا عند أعراب هنالك من الأغواط يقرئ أولادهم ويصلي بهم ثم تزوج عندهم وهو رجل مبارك لا بأس به من أهل الصدق في الوداد، والصفو في الاعتقاد، وصاحبنا إلى قرب الري على واد شرقيها، ويسمى وادي الشعير، ووجدنا به غدرانا من الماء لقرب عهده بالسيل، ونزلنا طفلا وبتنا به، ونزل آخر الركب مع قرب العشاء وجاء الله من عند الأخ المذكور بكبشين [دفع][9] أحدهما للسادات الأشراف والآخر والآخر للفقهاء، وانعزل هنالك من أراد الغرب من الحجاج ونادوا بذلك ليتمايزوا[10] ويتأهبوا لوجهتهم فأصبحنا وودعناهم لله وودعونا.

---

(1) ساقطة من "ع".
(2) زائدة من "ف".
(3) زائدة من "ف".
(4) ساقطة من "ف".
(5) "ف": أجمالنا.
(6) "ح1": أعلا.
(7) "ف": مطرنا.
(8) ساقطة من"ف".
(9) "ف": أجمالنا.
(10) "ح1": أعلا.

ثم ظعنا وقصدنا قصدنا ومالوا لناحية الغرب مصحوبين بالسلامة والعافية، وسرنا مع وادي مطر على إثر سيلانه. ولما جاوزنا ملتقى عيْن لاحِق به، قِلنا تحت {شجرة}[1] كبيرة من البطم، واسعة[2] الظلال، منتشرة الأفنان. ولحق بنا الأخ [الشلالي][3] سيدي عيسى بن زاير مع بعض أهله. وصلينا الظهر، وسرنا، وسايرنا الأخ المذكور. ونزلنا المقسم طفلا على ماء ونصحنا هنالك القنادسي بن أبي زيان، إنقاذا له من حبالة الشيطان، إذ أذِنا له في تلقين الأوراد نيابة عنا[4].

وانكبت عليه الناس لشدة رغبتهم في الانخراط في سلك مشيختنا، واستهوته نفسه عند ذلك ولم تحتمل ما هنالك وتعاطى معهم ما لا يجدي، وعاقهم عما يهدي، وركب معهم قنن الغرر، وتمطى بهم مطية الخطر، فضل وأضل، وزل وأزل، وكففناه عن ذلك إشفاقا عليه ورفقا[5] {به}[6] وبالغنا في نصحه بعد أن وقفناه على على ما بلغنا من أفعاله عمن يوثق به من أهل وده وبعد نصحه بواسطة نصوح[7] له مشفق عليه فقال له: إن الوجه في الطريق، والحق الحقيق، أن لا تلقن أحدا إلا على الوجه الذي أذن لك فيه، فمهما تعديته فقد ضررت وأضررت، وضللت وأضللت. فرد النصيحة ولم يقبلها، وأنف منها ولم يهتبلها، فقال مجيبا للنصيحة: هذا كلام غير مفيد. فهممت بشأنه، وهالني أمره، فخفت عليه أن يقع في مهواة لا قعر لها، وأن يقطع به من حيث يظن الوصول، لما ارتكبه من تضييع الأصول. فتبين لي عزله حسما لمادة الغرر، وسدا لثنية الخطر، فعزلته، وعن تعاطي التلقين نهيته، عفا الله عنا وعنه بكرمه آمين.

---

(1) "ف": مطرنا.
(2) ساقطة من"ف".
(3) ساقطة من"ت".
(4) "ف": ليتاروا.
(5) "ف": قانون.
(6) ساقطة من "ف".
(7) "ف": نصيح.

[الإذن في التصوف]

نكتة: اعلم يا أخي أن الإذن عند أرباب السلوك أهل الشريعة والحقيقة، من سادات[1] الطريقة، نور ينقدح في قلب الآذن فينبسط على قلب المأذون بواسطة أو بدونها فيتعين الوقوف عند حده على الطرفين، ولا يخالف طرفة عين، فلذا وجب شرعا[2] على المأذون أن يعين الوجه المأذون له فيه عند التلقين، وإلا انقطع المتلقن عن الاتصال بحبل الإذن بل لم يتصل بعد فيبوء المأذون له بإثمه وإثمه إذ ضل أضل، وكذب على الله وافترى، واختلف وامترى، فيخاف عليه من سوء الخاتمة، عياذا بالله، إلا أن يتداركه الله بلطفه وهذا كله هو الحامل لنا على عزل المذكور كما هو المتعين لا نفاسة عليه في شيء ما {بل}[3] نصحا له خاصة، ولجميع المسلمين عامة والله شهيد رقيب. وطريقة أشياخنا على هذا، المحفوفة بالكتاب والسنة، المحفوظة من الله تعالى بما حفظنا[4] به، فلذلك من تعرض لها بسوء أو كادها بشيء أو سعى في تبديلها وتحريفها وإخراجها عن نهجها [من الأفق][5] كاده الله وأذابه كما يذاب الملح في الماء وأعمى أثره وأبتره وأقطع دابره، والله لا يصلح عمل المفسدين، وربما ختم له بسوء عياذا بالله.

ثم ظعنا منه وحان وقت الظهر ونزلنا له ولحق بنا جماعة من أهل المحبة من أهل الشلالة[6] سيدي محمد بن عبد الله، رفيقنا للحجاز عام تسع[7] وسيدي أبي يعزى وغيرهما من أهل المحبة. وأتى الله من عندهم بنحو نصف حمل من شعير ورمانات وشيء من السمن تقبل الله منهم. وانحدرنا مع الوادي وتعرض لنا عرب[8] حميار أفواجا نفع الله الجميع بنياتهم آمين. وارتقينا أكمة مسترملة واستبطأنا الإبل ونزلنا في

(1) "ف": ساداة.
(2) "ع": شرطا.
(3) ساقطة من "ف".
(4) "ف": حفظت.
(5) مطموسة في "ت".
(6) "ف": السلالمة.
(7) "ف": تسعة.
(8) "ف": أعراب.

انتظارها راجلين أبا سمغون للبيات[1] به، ولحق بنا الشريف مولانا أحم د بن حفيد بن محمد [بن][2] الشريف الحسني العلوي فارا هنالك بنفسه من عمه الأمير مولانا إسماعيل بن الشريف إذ له بأولئك الأعراب خلطة وله عندهم غنيمة {قبل الوقت}[3] ورغب[4] في النزول، وامتنعنا إلى أن لحقت الإبل وقت البيات، ولا يمكنها يمكنها الوصول [266- ب] لأبي سمغون إلا مع الليل فنبيت مع وجود الماء، ولم تلحق الإبل إلا مع طفل العشي، وملنا بها إلى بسيط ونزلنا، وبات الناس. وذهبوا لسقي الماء مع رجل يهديهم إليه بعد أن أضلوه، ورجعوا منه بخفي حنين، ثم سقوا منه حاجتهم. واتى الله من عند الشريف المذكور بكبشين أقرنين دفعناهما للأشراف ومن عند أولاد سيدي على بشنافة بأربعة، دفعنا واحدا لسيدي محمد {بن}[5] بنوة والآخر لباب الله واثنين لخدمتنا، تقبل[6] الله منهم وجعلها فداء مما يخافون ويحذرون وما ذلك على الله بعزيز [وهو الحكيم العزيز][7].

ثم ظعنا منه ونزلنا أبا سمغون أول الضحى وأردنا الذهاب إلا أن السادات الأشراف النازلين بتوات مولانا محمد بن علي بن محمد بن الحاج ومولانا العربي وأصحابهما والحاج أحمد بن علي السلوي صباطة أرادوا الانصراف من هنالك لتوات وطلبوا منا المقام لهم ليتأهبوا أهبتهم لوجهتهم فساعفناهم وأقمنا لهم بقية اليوم وهو يوم السبت العاشر من شعبان فآجروا دليلا يهديهم السبيل لتكرور بثمانية مثاقيل وأكثروا الأجمال إليها بثلاثة مثاقيل لكل جمل، ووجدت أهل أبي سمغون في غاية ما يكون من الشقاق والفراق، والدفاع والنزاع، والخلاف والائتلاف[8]، والنفار والفرار؛ إلا أنهم ملوا من ذلك وكرهوه ورغبوا في الإصلاح واستحسنوه، وتلك[9] حلية الفتنة كما قيل: (الكامل)

الحَرْبُ أَوَّلُ مَا تكُونُ فَتِيَّةً ... تَسْعَى بِزِينَتِهَا لِكُلِّ جَهُولِ

(1) "ف": إلى البيان.
(2) زائدة من "ت".
(3) ساقطة من "ح2".
(4) "ت": ورغبنا.
(5) ساقطة من "ت".
(6) "ف": تقبلها.
(7) زيادة من "ت".
(8) "ح2": الاختلاف.
(9) "ف": وذلك.

حَتَّى إِذَا اشْتَعَلَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا وَلَّتْ عُجُوزاً غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلِ

شَوْهَاً تَنَكَّرَ لَوْنُهَا وَتَغَيَّرَتْ مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتَّقْبِيلِ

فندبنا الفريقين للصلح أولاد [سيدي][1] سليمان، وأولاد موسى وأولاد نقي، بعد أن رغبوا به[2] واشتد عطشهم له، فانتدبوا، فصالحنا بينهم صلحا مؤبدا سرمديا ما تناسلوا وامتدت فروعهم وفرحوا بذلك ورضوا به وقبلوه. ونضرع إلى الله تعالى في إتمام ذلك من عنده ودوام العافية لنا ولهم وتمامها والشكر عليها. وأحضرنا لذلك الفقهاء وأعيان {الركب}[3] وسجلنا لذلك سجلين بيد كل فريق سجل. وآخينا بين بين أعيانهم الذين عقدوا الصلح، فتواخوا وتضايفوا تماما للعقدة وتأكيدا لها وزيادة في إشاعتها لفورها[4]، وإزالة الضغن والشحناء، والله تعالى المسؤول في قبول العمل. وودعناهم لله تعالى وودعنا السادات الأشراف المذكورين، وودعونا وأتى الله منعند أولاد بنوة ما يقرب من حمل [من][5] شعير وشيء من السمن وكذا عند أهل البلد، فالله يتقبل من الجميع آمين. ثم ظعنا منه صبح الأحد ونزلنا لصلاة الظهر بوادي سيدي عثمان، والناس ليسوا على ماء وليس عندهم ماء إلا من بقيت له بقية بإداوته، وهو القليل لرجائهم ماء السيول مما حملوه بوادي أبي سمغون، فمن متوضئ وهو اليسير ومتيمم وهو الكثير. وبعثنا رجلا يستخبر الماء فما وجده. وسرنا ونزلنا طفلا بإزاء وادي الجراوين مصب وادي الأحجار الطوال فيه قبيل أنف الغنجاية على ماء قليل، فمن سابق إليه من الناس أخذ شيئا قليلا، ومن لاحق مما وجد سوى الطين على أنا أوصينا العلام بمنع البهائم من الدخول فيه والخوض به[6]، ثم انحدر الناس مع الوادي يتطلبون فمن راجع غير ظافر بشيء ومن متناول ما قدر له ثم رجع بعض أصحابنا بأسقية لنا فأظفره الله بغدير ملأ ما ذهب به من الأسقية، وفيه بعض الكفاية سداد من عوز والمنة لله على كل حال.

---

(1) زيادة من "ت".
(2) "ت": فيه.
(3) ساقطة من "ف".
(4) "ت": لفوزها.
(5) زائدة من"ف".
(6) "ع": إليه.

ثم ظعنا منه وأضحينا[1] على ماء غدير بوادي رؤوس الحمر[2]، وسقى الناس منه دوابهم ونالوا منه حاجتهم وتقدمنا شيئا ونزلنا للاستراحة ولحوق الإبل بإزاء الصميم، وصلينا الظهر بوادي الصم وهو وادي القصب، ولما قاربنا أسفل وادي حجاج التقينا بإخواننا وأهل ودنا {أهل}[3] بنوة سيدي محمد الكبير مع إخوانه وعشيرته، وجاوزناه وبتنا[4] فاحمر خده على غدير ماء عند مصلى الحاج، وبات لدينا لدينا هنالك جماعة من أولاد أبي دخيل وأولاد سيدي أحمد [بن][5] المجذوب، وأولاد وأولاد بنوة بنحو من ستة وثلاثين رجلا.

ثم ظعنا منه وأضحينا بدرع المرقة بإزاء قبور أولاد الحاج، والتقينا به بجماعة من إخواننا سندان [267- أ] سيدي محمد الشريف وذوي قرابته وأتى الله من عنده بشيء من شعير وثمر خلط ومزيدة[6] دقيقا، و{من}[7] عند غيره من جماعته كذلك كذلك تقبل الله منهم بمنه آمين، وشيء من تمر أبي فقوس، وكان أول أبي فقوس رأيناه جديدا في حجتنا هذه، وسرنا وعانقنا تلك الأرض الصعبة الحرشة الوعرة الشكسة وصلينا الظهر بعين بلياطة، والتقينا بها بجماعة من أولاد {أم}[8] الكرار، وأتى الله من عندهم بأنواع الثمار أطعمنا جله للحجاج وبصيلات، والله يتقبل منهم آمين. وصلينا العصر بظهر الوتد، ونزلنا به على غدير بوادي زاغي، ومطرنا به مطرا غزيرا نحو ساعة من الليل وابتلت الأخبية، ولم تسل منه الأودية. ثم ظعنا منه وأضحينا بالأحجار الحمر قرب قارة الوادي أغي، وصلينا الظهر بجنان أبي زرق، وأتانا به ناس من الأحمر بشاتين تقبل الله منهم وكمل مرغوبهم. وبه عين ماء عذبة باردة عليها نخل، ثم صلينا لعصر بوادي الحاج ميمون على غدران من الماء ونزلنا به يوم الأربعاء رابع عشر شعبان وبتنا به.

---

(1) "ف": ونزلنا.
(2) "ح2": رؤوس الحمراء
(3) ساقطة من "ف".
(4) "ف": وتهنا.
(5) زائدة من "ت".
(6) "ت": ومتيردة.
(7) ساقطة من "ت".
(8) ساقطة من "ف".

[فضل ليلة النصف من شعبان]

وهذه الليلة هي الليلة الفاضلة ليلة النصف من شعبان التي يفرق فيها كل أمر حكيم، وتقدر فيها

الأرزاق وتنسخ الآجال ويدفع كل ذلك للموكلين عليه نسأل الله تعالى أن يقدر لنا [فيها][1] الخيرات ويقينا المضرات دينا ودنيا، أولى وأخرى، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير. وورد في فضلها آثار، وجاء في نعتها أخبار، منها الغث والسمين، والضعيف والمتين[2].

ومما ورد في فضلها ما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال: "أربع ليال يسح الله فيها الخير سحا ليلة الفطر، وليلة القدر، وليلة الجمعة، وليلة النصف من شعبان[3]".

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا الكهان أو الساحر أو مشاحنا[4] أو مدمن خمر أو عاقا[5] لوالديه أو مصرا مصرا على الزنى[6]"

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ينزل الله جل ثناؤه ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لكل نفس إلا إنسان في قلبه شحناء أو شرك بالله[1]".

---

(1) زائدة من "ت".

(2) "ح1": فالمتين.

(3) ورد الحديث في "كنز العمال" للمتقي الهندي هكذا:"يسح الله عز وجل من الخير في أربع ليالي سحا، سحا، ليلة الأضحى، والفطر، وليلة النصف من شعبان، ينسخ الله فيها الآجال والأرزاق، ويكتب فيها الحج، وفي ليلة عرفة إلى الآذان". ثم قال أخرجه الديلمي عن عائشة، ينظر المجلد رقم 12 الحديث رقم 35215 .

(4) "ع": مشاحن.

(5) "ع": عاق.

(6) أخرجه بن ماجة عن أبي موسى بلفظ:" إن الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه، إلا المشرك أو مشاحن". قال السيوطي في الجامع الصغير المجلد الثاني رقم الحديث: 1798: ضعيف.

ومعنى ما ذكر من النزول الإكرام والقبول وقضاء الحاجات وبلوغ[2] المأمول والرضى والأفضال. وأما التحرك والانتقال، فذلك محال في حق الكبير المتعال. وفي خبر[3] مأثور إذا كان ليلة النصف من شعبان تدفع إلى ملك {الموت}[4] صحيفة يقال له [أن][5] اقبض أرواح من في هذه الصحيفة، وإن الرجل ليغرس الغراس[6] وينكح الأزواج ويبني البنيان واسمه قد خرج في صحيفة الموتى وهو لا يشعر. وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: من أحيى ليلة النصف من شعبان لم يمت قلبه يوم تموت القلوب[7]". وغير ذلك مما ورد في فضلها[8].

ثم ظعنا منه وأضحينا على ربوة بازاء وادي دريم وصلينا الظهر والعصر بإزاء كليم ماء عليه نخلات، وتلقانا إخواننا أهل فجيج قبل ذلك الموضع صهرنا سيدي أحمد بن عبد الله بن عثمان في جماعة وقبله في اثنين الحاج محمد وتراسل الناس للقائنا أفواجا معهم تمر جديد ورطب ورمانات وبعض القرع. وسرنا بعد العصر ومجاوزة الركب مجدين السير ومشدين، ولما لاحت لنا نخيل أهل فجيج تعرض لنا أهل البلد طوائف واستعملنا ما ورد في الأخبار، عند رؤية البلد من سنى الأذكار وهو:

اللهم رب السماوات السبع إلى آخره. ونزلنا منزل الحاج اصفرارا عند دار الإمارة بازاء قصر العبيد. ونزل أول الركب مع الغروب ولم ينزل آخره إلا بعد العشاء. وفرح بنا أهل البلد فالله تعالى ينفعهم بنياتهم آمين. وأضافونا بآنية من طعام[9] وأقمنا[10] يوم الجمعة والسبت لقضاء الحجاج حاجتهم وتهيئة زادهم. وقدّمنا على من هناك من الفقراء الحاج محمد بن الصغير الودغيري {وأوصيناه بهم}[11]

---

(1) قال صاحب كنز العمال: رواه ابن زنجويه والبزار وحسنه، ينظر المجلد الثالث رقم الحديث 462 .
(2) "ت": بلاغ.
(3) "ف": حديث.
(4) ساقطة من "ف".
(5) زائدة في "ت".
(6) "ف" الأغراس.
(7) ورد بلفظه: من أحيى ليلتي العيد وليلة النصف من شعبان ...) قال ابن حجر في "الإصابة في تمييز الصحابة"، الجزء الخامس ص 577: " وأخرجوا من طريق مروان بن سالم عن ابن كردوس عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أحيى ...) ومروان هذا متروك متهم بالكذب.
(8) "ف": فيها.
(9) "ف": الطعام.
(10) "ح2": أقمت.
(11) ساقطة من "ح1".

وأوصيناهم به وأكدنا عليهم أن يتطاوعا ويتسامعا ويتعاونا على أمر الله. ووجدنا شرح تنبيه الأنام، الذي تركناه- ونحن مشرقون- ينتسخ قد كمل. وشرح دلائل الخيرات لم يكمل، بقي منه نحو ثلاثة كراريس. وكنا أوصينا عليهما، وكان مؤلفهما الفقيه سيدي أحمد بن أبي بكر الصكوني الشريف.

ثم ظعنا يوم الأحد ثامن عشر من شعبان الأول من أكتوبر، وودعنا أهل فجيج وودعونا وأوصيناهم بقائدهم عبد الله الشاوي أن يعاملوه بالمعروف والإحسان، وأن لا يخاشنوه ويلاينوه لأن الوقت كالسيف، إن خاشنته قطعك وقصمك، وإن لاينته أسلمك، وأوصيته بهم أن يرفق ولا يعنف، والله تعالى يرفق بالأمة ويخير لهم ويختار بمنه وكرمه. وأضحينا بأم إلياس ماء عليه نخلات غربي فجيج ونادى منادي الركب بسقي الماء للمبيت، إذ ليس أمامهم ماء إلا ما عسى إن يفتح الله فيه من الغدران، وليس [إلا][1] عليه التكلان.

ونزلنا لصلاة الظهر أول معدر[2] الفرس وبه ودعنا آخر مشيعي أهل فجيج وكنا ودعنا جماعة منهم بأم إلياس [267- ب] والله ينفع الجميع بمنه وكرمه آمين، وصلينا العصر غري المعدر[3] ونزلنا اصفرارا بسهب بدار دخيسة، ونزل أول الركب طفلا وآخره بين العشاءين. وبات الناس في حر شديد، وبرد عتيد، وكابد الناس في مسافة أمغازات [هذه][4] ما الله به عالم من حروشة الأرض وحزونتها.

ثم ظعنا منه وأصبحنا على وادي السمار بعيد الطلوع وعنده انتهت أمغازات بحزونتها وإن كانت هذه المسافة كلها لا تخلو من ذلك إلا أن امغازات أصعبها وأشدها لاتصال ذلك {فيها}[5] كحوالي أم القرار . وصلينا العصر شرقي تنفسرى الموسومة عند الحاج[6] مستطيلة بين أحجار كأنها نُحتت بِمَساجّ[7] ومعاول، إن كان السيل فتمتلئ ماء مستبحرا وإلا فلا تخلو من مويه له مادة. ونزلنا طفلا شرقي التوميات غربي دارنا في الذهاب، وبات الناس وعليهم آخر الليل هاطل مطر. ثم

---

(1) زيادة من "ف".
(2) "ف": معدن الفرس.
(3) "ف": معدن.
(4) زيادة من "ت".
(5) ساقطة من "ت".
(6) "ت": الحجاج.
(7) مَسَاجّ جمع للمسجة: أداة يُطَيَّن بها، ينظر لسان العرب،مادة(س،ج،ج).

ظعنا منه وأضحينا وأمطرتنا السماء مطرا بل وغمر الجياب[1] وما على الناس من الثيات إلا أنه يتقطع تقطعا ما، يتنفس الناس منه تنفسا ما[2]، ثم سرنا وقد ارتفع المطر وأعقبه الله بالرحمة كما أصحبه اللطف والنعمة، ونزلنا لصلاة الظهر ونخل وكدى يتراءى لنا. وتلقانا هنالك أهل المحبة من عين بني مغيل تعدوا بهم خيلهم عباديد، ورجالتهم أفاويج وكانوا جاءوا لملاقاتنا بقضهم وقضيضهم، وانتظرونا ببشار، فلهم إن شاء الله البشرى بدار القرار، بمنة الملك الغفار. ومررنا بوكد، وتلقانا أهله وصغارا وكبارا ومعهم عنز دفعتها[3] للفقهاء، وما يزيد على صاع من زرع فأخذه الأستاذ سيدي إبراهيم المن لا يخافي. وبلغنا بشارا قبل العصر، ونزلنا بإزاء، القصر ولم ينزل آخر الركب إلا بعد العشاء. وقرانا أهل البلد بآنية من تمر أبي فقوس رطبا، تقبل الله منهم، وعشونا بآنية من طعام، تقبل الله منهم وكثر غللهم وبارك في أرزاقهم. وأتى إلينا هنالك جماعة من إخواننا أهل العين مع مقدمنا ومحبنا سيدي عمر بن عبد القادر ومعهم سبعة أكباش وحملان شعيرا، وحملان دقيقا وأتى الله من عندهم مع ذلك بجمل أهدوا كل ذلك[4] لله تعالى، والله يتقبل منهم ويبارك. ثم أصبحنا ودفعنا ودفعنا لأخينا {سيدي}[5] عمر منشورا يتضمن إذننا له في تلقين الأوراد نيابة عنا، عنا، أعانه الله على القيام بمقتضاه آمين. وودعناه {لله وردناه}[6] ليعجل إدخال السرور عليهم لكونه أراد الذهاب معنا إلى أمام فقلت له: ارجع أخي فإنه[7] لكل صحبة فرقة، ولكل فرقة حرقة، اصحب من[8] شئت فإنك مفارقه. {و}[9] أذكرني[10] الحال قول من قال: (الوافر)

وَكُـلُّ أَخٍ مُفَارِقُـهُ أَخُـوهُ لَعَمْـرُ أَبيـكَ إِلاَّ الفَرْقَـدَانِ[11]

---

(1) "ف": الجباب.
(2) "ت": تنفسات.
(3) "ح1": دفعت.
(4) "ت": ذلك كله.
(5) ساقطة من "ت".
(6) ساقطة من "ف".
(7) "ف": فإن.
(8) "ع": ما.
(9) ساقطة من"ت".
(10) "ت": ذكرني.
(11) "ع": الفرقدين.

كـلا ولا بـد أيضـا للفرقـدين مـن افـتراق وتكـوير، وانتشـار وتفطـير، وللسـماء انشـقاق، يـوم المسـاق، والتفـاف [السـاق][1] بالسـاق، يـوم يفـر المرء مـن أخيـه، وأمـه وأبيـه، وصـاحبته وبنيـه، لكـل امـرئ مـنهم يومئـذ شـأن يغنيـه. نسـأله تعـالى الثبـات والممات على {ملة}[2] الإسلام آمين آمين.

[ذكر من أذن لهم الشيخ الناصري في تلقين الأوراد في هذه الرحلة]

تنبيه: وبيـان مـن أذنـا لـه في سـفرتنا هـذه: سـيدي محمـد الأخصاصـي بالمدينـة المشرفة، وسيدي محمد بن منصور السفطي بمصر، وسيدي الحاج عيسى بن خليفة من أولاد سيدي ناصر ببرقة، وسيدي عبد الله بن سحنون من أهل غريس من أحواز تلمسـان وابنـه بعـده سيدي الهـاشمي، وسـيدي علـي بـن عبـد الصـادق بطـرابلس، وسيدي عبد الله المجذوب بحمة قابس وسيدي عمر هذا، وأسأل[3] الله تعالى أن ينفع ينفع الجميع وينفع بهم آمين ويؤيدهم بمنه وكرمه آمين.

ثم ظعنا منه وتلقانا جماعة من القنادسة مع بعض أعراب سكنت معهم وأفراس من أهل كير يتسابقون بأفراسهم ويعدون إظهارا للفرح بنا والسرور أسرهم الله دينا ودنيا آمين. وأسأله[4] تعالى أن ينفعهم بنياتهم. ونزلنا خارج البلد قريتهم[5] وأطعموا الركب بأواني من طعام تقبل الله منهم. وصلينا الظهر وسرنا وشيعنا أعيان القرية خطوات وقلبناهم راجعين. وصلينا العصرغربي المسور[6] الريان وشيعنا إلى هنا محبنا ورفيقنا في هذه الطريق المباركة عام تسعة[7] المسن الحاج أبو القاسم الأنوالي، وأتى الله الله من عنده بزقين من سمن ودفعته لحفيد عمي، فالله يتقبل منه[8].

(1) زائدة في "ف".
(2) ساقطة من "ف".
(3) "ح1": وأسأله، والصواب ما أثبتناه.
(4) "ت": وأسأل الله.
(5) "ع": قريتهم.
(6) "ف": السور.
(7) "ف": تسع.
(8) "ف": منهم.

ونزلنا المسور العطشان اصفرارا وبتنا به. وتلاحق الركب بتمامه مع الغروب [وأضل بعض أصحابنا في السرح جملا][1] اكتريناه من ابن حرمة المنيفي[2] وما أعلمنا أعلمنا به إلا بعد صلاة الصبح [وأضل كذلك بعض الجمالين ناقته][3].

ثم ظعنا [268- أ] منه ورجع صاحب الجمل في طلبه ظانا أنه يتذكر مواضع رعيه فيجيء إليها، جبره الله به آمين.

ثم لاحت لنا ناقة إسفارا خارج الركب عن يساره، فإذا هي الناقة التي أضلها صاحبها. ولحقنا أمامنا بعد أن جاوزنا الركب وتعالى النهار جملا منفردا عن الطريق فإذا هو الذي أضله أصحابنا والحمد لله أولا وآخرا. وخضنا واديا كبيرا على إثر سيلانه ولم يمتلئ جدا وقد زالت الشمس يوم الخميس الثاني والعشرين من شعبان ونزلنا بعدوته القصوى في انتظار الركب ولصلاة الظهر. وجاء الركب فخاضه وتعداه وسلم الله جميع الأجمال والأثقال ما عدا جملا لبعض الحجاج عليه زاده[4] استحسن الماء وبرك فيه اختيارا وأدركه أصحابه عن فور بروكه فأقاموه وما عليه. وصلينا الظهر وأتانا رجل من سجلماسة فأخبرنا خبر البلد وأن أهله في دعة وخصب وعافية، ونعم من الله متوالية، ويزرعون كمل الله لجميع الأمة. وسرنا وصلينا العصر قرب دار الحاج[5] بوادي الصفصاف، وجاز الركب ونزلنا غربي دار العادة {به}[6] ووجدنا به به غديرا أوسع الناس على أنهم استقوا ما يقوم بهم من واد كثير احتياطا.

ثم ظعنا منه وصعدنا عقبة حميدة اللحم، والشمس طالعة يوم الجمعة الثالث والعشرين من شعبان وسادس أكتوبر. وسميت بهذا الاسم على ما زعم أهل تلك النواحي لكثرة لحم الصيد بها. ووجدنا خياما لأعراب[7] مهيأة بها، وانحدرنا {منها ونزلنا}[8] للاستراحة وانتظار الركب ضحى بإزاء واد، وبه غدران من الماء السماوي.

---

(1) "ف": وضل لبعض أصحابنا في السرح جمل.
(2) "ح2": المنيعي.
(3) وضل كذلك لبعض الجمالين ناقته.
(4) "ف": زادا.
(5) "ف": الحجاج.
(6) ساقطة من "ف".
(7) "ت": للأعراب.
(8) ساقطة من "ف".

وصلينا الظهر بكلتة أبي العمود ووجدنا واديها سائلا، والعصر قرب واد لسن[1]، ونزلنا بعد العصر ولم يلحق آخر الركب إلا بعد العشاء. وبتنا هنالك ونادى منادي الحاج بسقي الماء للمبيت على ظهر الحماء، إذ ليس به ماء إلا ما يوجد أحيانا على إثر سماء. وماء هذا الوادي زعاق به مرارة ليس بهذه النواحي ما يشبهه إلا أنا وجدناه لا بأس به يشرب مع أنه يبقى مرارة ما في الحلق. وأتانا رجل فارس من مهاية معه كبش تقبل الله منه.

ثم ظعنا معه مع الفجر كل بحسب وسعه وقدرته على السعي، فتسابق الناس لصعود العقبة الهائلة في فسحة قبل حطمة الأجمال، ومزاحمة الرجال، ومال بعض أصحابنا لملء القرب من ماء. فأزمعنا السير لتلاحق بالركب قبل أن يتشبط[2] بالعقبة. وأدركناه فاقتحمناها، فاصعب بها من عقبة[3]! وما أدراك ما العقبة! مستعينين بالله فسهلها {لنا}[4]. وتوفي صبيحتئذ الحاج محمد بن عبد القادر الدرعي الدرعي التمتيكي من أولاد ثابت وكان مبطونا منذ أيام وجهزناه فدفناه أعلى العقبة. وانحدرنا مع الركب بعد أن حلت النافلة ومررنا بحجر شبه[5] المهراس. ووجدنا به ماء مطر وتسابق الناس إليه لسقي دوابهم لأنهم باتوا على غير ماء وليس معهم من الماء إلا ما حملوه من ولدس ولم يكثروا منه فاقتصروا على أقل وأدنى من كفايتهم. وطوت الدواب على العطش فسقوا منه واستقوا. وكان ببطن الوادي أسفل من المهراس المذكور غدير سقى منه من خاف الزحمة أو ليس معه آلة السقي. وأضحينا بعد أن جاوزناه فانحدرنا من عقبة[6] بإزائه في بسيط على واد به مرعى الدواب[7]. ولحق بنا جماعة من بني محمد وأخبرونا أن إخواننا وأهل ودنا بتلغمت في انتظارنا.

وسرنا أميالا فتعرض لنا أولا من أهل المحبة الحاج السمار مع رفيق محبنا المرحوم بكرم الله الحاج عبد القادر بن عبد الرحمان والفقير علي بن أبي القاسم ثم جماعة أخرى ثم محبنا وصفينا الحاج الحسن الهواري مع جماعة ثم تتابع الناس أرسالا وتلاحقوا

---

(1) "ح2": ولتسين.

(2) "ف": يتشبث.

(3) "ت": فما أصعبها من عقبة!

(4) ساقطة من "ت".

(5) "ف": نحو.

(6) "ح2": عقيبة.

(7) "ف": للدواب.

أفواجا وفيهم بلدينا المحب سيدي محمد أكرم به لقب التمكرري[1] واقتنصناه منه بعض أخبار آلنا، ولم تزل الناس كذلك إلى تلغمت وتلقانا به الحاج محمد بن يحي التجموعتي صدوق الوداد، وصفي الاعتقاد. ونزلنا تلغمت قرب الزوال وبتنا بها وأتى الله من عند أهل المحبة بتمر {رطب}[2] وخبز ولحم، فالله ينفع الجميع بنياتهم آمين، ويتقبل منهم جميل أفعالهم.

ثم ظعنا منه وصلينا الظهر {بالمداكيك}[3] والتقينا هنالك بالأحب المصافي، والزلال الصافي، مولانا الشريف بن عمر مع أولاد مولانا قاسم وجماعة من أهل المحبة. وسرنا وتعرض لنا أبو القاسم عامل البلد مولانا بالقاسم[4] بن مولانا أمير المؤمنين مولانا إسماعيل أيده[5] الله، ومعه جماعة من إخوانه وأولاده أعمامه ومعهم ذو النية الصافية والمحبة الخالصة مولانا عبد الواحد بن محرز. ونزلنا وادي أمربوح عصرا وبتنا به.

ثم ظعنا منه ووصلنا ركننا الأحمى، ومعتمدنا الأسمى، مولانا وسيدنا أبا القاسم الغازي، أمدنا الله من أمداده، [268- ب] [وأنالنا من إسعاده، ضحوة يوم الثلاثاء السابع والعشرين][6] من شعبان عاشر أكتوبر. ودخلنا لزيارته واغتنمنا[7] بركاته، وزرنا وزرنا [بعد سيدي عبد الكريم ووقفنا على ديار جميع آله أداء][8] لما لهم علينا من الحقوق ومراعاة للأدب[9] معه. ورجعنا لمخيم الركب [قرب روضة سيدي يوسف، وأقمنا به الأربعاء][10] والخميس ليقضي الناس حاجتهم[11]. ولحق بنا هناك أخونا سيدي محمد الكبير ومعه [أولادنا الصغار واتصلنا بسلامة الآل[12] وعافيتهم][13]

---

(1) "ف": التمكرتي.
(2) ساقطة من "ف".
(3) ساقطة من "ع".
(4) "ت": أبو القاسم.
(5) "ت": أيدهم.
(6) مطموسة في "ع".
(7) "ح2": اغتنمت.
(8) مطموسة في "ع".
(9) "ف": للآداب.
(10) مطموسة في "ع".
(11) "ف": حوائجهم.
(12) "ت": الأول.
(13) مطموسة في "ع".

والمنة لبارئ النسمات، وواسع الرحمات. وأتى بنو خليفة من عرب أبي[1] محمد بأجمال [لحمل أثاثنا واكترينا آخرين من زنانة منهم وبداوة][2].

ثم ظعنا صبيحة الجمعة ومررنا بالشيخ الأكبر أبي الحسن سيدي علي [بن عبد الله فزرناه ونزلنا القوز قرب الزوال][3]، وزرنا المقبرة المباركة خارجها التي بها مدفن سيدي أبي القاسم بن مولود وسيدي عبد الواحد ومن انتمى إليهما، أعاد الله علينا من بركة الجميع آمين. وعزمنا على العود للزيارة إذ لم نشف الغليل منها ولم يقدر ذلك وأنساناه الشيطان {والخير فيما اختاره الرحمان، ونزل الركب خارج البلد بإزاء سيدي عبد الرحمن بن هبة}[4] ولحق بنا هنالك جماعة من أهل محبتنا من دكالة وتامسنا وسلا وأخبرونا أن محبنا في الله وأخانا في جانبه سيدي أبا بكر بن علي الفرجي تركوه وبه مرض ما وإلا جاء يتسابق إلينا، وتركنا أخانا في انتظاره ثم إن الله تعالى أراده لما عنده فمات بعد أن وصل لسيدي الغازي فكانت بحرم[5] تربته فأكرم بها من تربة! ولم يلتق معنا أثابه الله عنده وجمعنا معه في مستقر أمنه وأمانه، وأسكننا جميعا {أعالي}[6] جنانه وأذكرني الحال قول من قال: (الوافر)

وَأَرْزَاقٌ لَنَـــا مُتَفَرِّقَـــاتٌ ... وَمَـــنْ لَـمْ تَأْتِـهِ مِنَّـا أَتَاهَـا

مَشَيْنَاهَـا خُطـيً كُتِبـَتْ عَلَيْـنَا ... وَمَـنْ كُتـِبَتْ عَلَيْـهِ خُـطىً مَشَـاهَا

وَمَــنْ كُتِبَــتْ مَنِيَّتُـــهُ بِـــأَرْضٍ ... فَلَيْــسَ يَـمُوتُ فِـي أَرْضٍ سِـوَاهَا

وكذلك لحقنا في الدار قبل هذا الأخ الأود، والمحب الأسد، سيدي عبد السلام بن سعيد التازي البكاري والصدوق في وداده، والصفيّ [في اعتقاده، سيدي عبد القادر][7] بن الصيني مع بعض من أهل تازة[8] نفعهم الله تعالى وقلبناهم[1] بهذه

(1) "ت": بنى.
(2) مطموسة في "ع".
(3) مطموسة في "ع".
(4) ساقطة من "ت".
(5) "ت": برحمته.
(6) ساقطة من "ت".
(7) مطموسة في "ع".
(8) تازة، مدينة تقع وسط ممر يصل المغرب الشرقي بالمغرب الغربي، وتشكل نقطة تحول بين ملوية الشبه جافة من ناحية الشرق ووادي إناون المنفرج نحو فاس من جهة الغرب والذي يمتد تجاه الحوض الأسفل لسايس. تبعد عن فاس ب120 كلم، ونظرا لموقعها المتميز وارتفاعها عن مستوى

بهذه الدار ورجعناهم لأهلهم [بسلامة وعافية. واستهل][2] لنا هلال رمضان بها أعاننا الله على صيامه، ووفقنا لقيامه، وقبله منا فضلا منه [ومنة آمين.

ثم ظعنا منه][3] صبيحة يوم السبت الأول من رمضان رابع عشر أكتوبر، وودعنا جماعة ممن شيعنا [من إخواننا أهل تفلالت][4] وأجزلوا جزاهم الله خيرا قرانا ما قصر أحد من الفقراء والشرفاء كل بحسب وسعه [وسع الله عليهم دينا ودنيا][5]. وكذا سيدي أبي العباس أضاف الركب بنحو ثمانية عشر إناء من طعام. وأولاد سيدي [المحجوب كذلك وغيرهم كل][6] بحسب وسعه وأولاد سيدي البكري بالغوز بنيف وأربعين إناء، فالله يتقبل من الجميع.[ولما خضنا وادي غريس وقفنا][7] هنيئة فودعنا من شيعنا إليه من أهل المحبة وودعونا وودعنا مولانا علي بن عبد الواحد [وجماعته وصلينا الظهر][8] بدفعة الغار وسقي بها الناس من الماء ما يكفيهم لمبيتهم. وكلت نويقة لنا هنالك [فنحرناها والله يتقبلها][9] وصلينا العصر بأولويات أبي العظام ونزلنا بأخرياته قبيل الاصفرار. وبات الناس به على [غير ماء سوى ما بقربهم مما][10] سقوه من دفعة الغار. ولحقنا هنالك {بعد صلاة الصبح}[11] ابن أختنا محمد بن عبد الكريم ووالده الفقيه سيدي عبد الكريم بن علي التدغي جاء إلينا.

ثم ظعنا منه وأضحينا بحاسي الطرفاء وانتظرنا الركب وصلينا [الظهر. ونزلنا بالزناتية[12] قبيل العصر وبتنا][13] بها على أحساء تحفر بواديها فتفور ماء عذبا فراتا.

سطح البحر ب585 م، فإن الوظيفة الأساسية التي كانت وراء نشأتها منذ نشأتها حتى الاحتلال الفرنسي وظيفة عسكرية بالدرجة الأولى. ينظر: معلمة المغرب، ج:6،ص: 2023.

(1) "ف": واقاهم.

(2) مطموسة في "ع".

(3) مطموسة في "ع".

(4) مطموسة في "ع".

(5) مطموسة في "ع".

(6) مطموسة في "ع".

(7) مطموسة في "ع".

(8) مطموسة في "ع".

(9) مطموسة في "ع".

(10) مطموسة في "ع".

(11) ساقطة من"ت".

(12) "ف": بالزيته.

(13) مطموسة في "ع".

ثم منه وأضحينا بالعطشانة وأبردنا بها بريدا لأهلنا مبشرا][1] ومخبرا بيوم نزولنا نزولنا عليهم ليتهيؤوا لضيافة وفد الله ويهيئوا لهم [ما يكفيهم من الطعام والعلف رجاء البركة][2] نسأل الله تعالى أن يحفظنا في السعي والحركة، والله تعالى يجمعنا [بأهالينا، ويوصلنا لمغانينا، في أيمن الأوقات وأبركها][3] وأسعدها بمنه وكرمه آمين.

وسرنا ونزلنا أم الجرار[4] قبيل العصر [وبات الركب في أغزر ماء وأعذبه لكون لكون واديها][5] قريب عهد بسيلان ثم لحق بنا هنالك الأخ سيدي محمد آخر الليل الليل [مع الحجاج الذين تخلف لأجلهم والحمد لله الذي جمع][6] الشمل بهم.

ثم ظعنا منه وأضحينا بفم أكزر ولم نزل به حتى صلينا [الظهر [269- أ]. ولما قربنا من تجشمت لاحت لنا خيل تعدو بركابها فرحا وسرورا، وهناء وحبورا، فإذا بالسادات][7] الأشراف مولانا علي بن أحمد وإخوته والشيخ يوسف بن إبراهيم جاؤوا لملاقاتنا مع جماعة من أهل درعة فالله][8] ينفعهم. ونزلنا على ربوة بإزاء وادي وادي الخريويع ووجدنا هنالك غديرا [غدره السيل مما يزيد على كفاية الركب وبات][9] الناس على ماء السماء أصفى وأحلى.

ثم ظعنا منه وحين ارتفع [النهار جاء أهل المحبة من درعة[10] لملاقاتنا أفواجا وأتوا يتدافعون ويحكون أمواجا، [وجاءوا طوائف طوائف متراسلين، وبالدعاء والتهنئة][11] متواصلين، ففرح الناس بمن تلقاهم من أهلهم وأصحابهم، وأنزلوهم فرحا فرحا بهم {في}[12] مستودع رحابهم، فخف عنهم الأسف والأسى، حين خف بهم بهم الوصال وأنسى.

---

(1) مطموسة في "ع".
(2) مطموسة في "ع".
(3) مطموسة في "ع".
(4) "ف": أمام الجران.
(5) مطموسة في "ع".
(6) مطموسة في "ع".
(7) مطموسة في "ع".
(8) مطموسة في "ع".
(9) مطموسة في "ع".
(10) مطموسة في "ع".
(11) مطموسة في "ع".
(12) ساقطة من "ف".

ثم نزلنا بعد فم الثنية وأثواب [البعاد عنا مطوية، بثنية][1] بين الطريقين لنتوادع مع من يريد ترناتة[2] من الحجاج والملاقي فودعناهم وودعونا في أثواب السلامة والعافية][3] رافلين.

ثم سرنا نحو الزاوية متوجهين، ولما صعدنا على تلك الأكام، [لاحت لنا من البلد أعلام، وبدا لنا المنار][4] السعيد وعلم البقعة التي بها الضلال يبيد وينشد: (المتقارب)

وَلَمَّـــا عَلَوْنَـــا الآَكَـــامَ وَقَـــدْ تَبَـــدَّى المَنَـــارُ لَدَيْنَـــا عِيَانَـــا

تَحقَّقْتُ[5] أَنَّ النَّوَى قَدْ نَأَىْ[6] وَوَصْـــلاً[7] تَواَصَـــلَ وَالبَيْـــنَ بَـــانَا

ولم تزل [الناس تتراسل، والأحبة تتواصل، إلى][8] أن أنخنا خارج الزاوية الميمونة مغنى الكرام، ومأوى الأفاضل السادات الأعلام، [أئمة الدين وقادة الأنام،][9] مع عصر الأربعاء خامس رمضان اثنين وعشرين ومائة وألف، فاتصل كل [ودود له بإلف، ثامن عشر أكتوبر][10] فخيمنا بالأندر ليقرب المزار، فاطمأن القرار، فدخلنا الزاوية يوم الخميس حين الإسفار، [وأممنا المسجد الكبير][11] عملا بسنة الهادي البشير، صلى الله عليه وسلم، ومجد وعظم[12]، فجلسنا {به}[13] هنيئة [حتى ركعنا ركعتي الإشراق،][14] فخرجنا منه آمين روضة سادتنا الطيبي[15] الأخلاق،

---

(1) مطموسة في "ع".
(2) "ت": ترنانة.
(3) مطموسة في "ع".
(4) مطموسة في "ع".
(5) "ت": تحققنا.
(6) "ت": نأى.
(7) "ت": ووصل.
(8) مطموسة في "ع".
(9) مطموسة في "ع".
(10) مطموسة في "ع".
(11) مطموسة في "ع".
(12) "ف": وكرم.
(13) ساقطة من "ت".
(14) مطموسة في "ع".
(15) "ف": الطيبين.

والطاهري[1] الأعراق فجعلناها [ختام حجتنا، تتميما لرغبتنا،][2] ونلنا المرام من زياراتهم والمراد، فدعونا للأحباب[3] والأولاد، وحمدنا الله على بلوغ [الغاية، وامتداد الأجل حتى][4] وصلنا من السفرة. النهاية ولقد أحسن من قال: (البسيط)

مَا كَانَ أَهْنَى وَأَحْلَى حَجَّةً حَصَلَتْ لَنَا فَنِلْنَا الَّذِي نَرْجُوهُ مِنْ أَمَلِ

رُحْنَا إِلَى عَرَفَاتٍ وَالذُّنُوبُ عَلَى ظُهُورِنَا فَحَطَطْنَاهَا عَلَى الجَبَلِ

[وألقينا عصا التسيار،][5] واستقرت بنا الدار، وأكثرنا من الشكر والاستغفار، والاستغفار، للملك الغفار، وحمدنا الله على [السلامة من ركوب الأخطار،][6] والنجاة من غوائل وعثاء الأسفار، ونسأله الإنابة والعافية وحسن القرار، في [هذه الدار وفي تلك الدار، بجاه سيدنا محمد المختار،][7] وآله الأطهار، وصحابته الأخيار، ومن تبعهم بإحسان من الأبرار، رضي [الله عنهم وأرضاهم، وزادهم من][8] من][8] كرمه وحباهم، وهو تعالى المسؤول أن يختم بالسعادة آجالنا، ويقرن بالعافية [غدونا وآصالنا، ويبلغنا][9] من خير الدارين آمالنا، بجاه سر الوجود، ومنبع الجود، سيدنا ومولانا [محمد الممجد المعظم، صلى الله عليه وسلم،][10] وشرف وكرم، والحمد لله أولا وآخرا، وباطنا وظاهرا، والحمد لله الذي [بنعمته تتم الصالحات، وتتنزل البركات، حمدا][11] يوافي نعمه، ويكافي مزيده [وكرمه][12] والصلاة على سيدنا محمد وعلى [آله وصحبه وحزبه الطيبين أجمعين[13] الطاهرين،][14] ومن تبعهم

---

(1) "ف": الطاهرين.
(2) مطموسة في "ع".
(3) "ت": للأصحاب.
(4) مطموسة في "ع".
(5) مطموسة في "ع".
(6) مطموسة في "ع".
(7) مطموسة في "ع".
(8) مطموسة في "ع".
(9) مطموسة في "ع".
(10) مطموسة في "ع".
(11) مطموسة في "ع".
(12) زيادة في "ف".
(13) "ف": وعلى آله وصحبه الطيبين وحزبه أجمعين.
(14) مطموسة في "ع".

بإحسان إلى يوم الدين، سبحان ربك رب [العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد][1] لله رب العالمين.

انتهت الرحلة المباركة والحمد لله رب العالمين [ ][2] وغفرانه مسعود بن عبد الكريم الحاجي وفقه الله وكان الفراغ منها [ ][3] عام ثمانية وثلاثين ومائة وألف.

﴿ وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله﴾

---

(1) مطموسة في "ع".
(2) ما بين المعقوفتين مخروم.
(3) ما بين المعقوفتين مخروم.



فهرس المصادر والمراجع

أولا : المصادر المخطوطة

- ابن ناصر (أحمد بن مَحمد): " الرحلة الناصرية " .
  - نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم 1093 د
  - نسخة الخزانة الحسنية، رقم 12960
  - نسخة المطبعة الفاسية
  - نسخة خزانة تامكَروت، رقم 1032
  - نسخة الخزانة الحسنية، تحت رقم 2473:
  - قطعة من الرحلة بالخزانة العامة بالرباط رقم 2651 د
  - نسخة الخزانة الحسنية رقم 1787
  - نسخة الخزانة الحسنية رقم 2473
  - نسخة الخزانة العامة رقم 1291 د
  - نسخة دار الكتب الناصرية بتامكروت، رقم 1952.
- ابن ناصر (أحمد بن مَحمد): فهرسة الشيخ الخليفة سيدي أحمد بن ناصر "نسخة خاصة.
- المشرفي (محمد) : الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية، مخطوط المكتبة العامة تحت رقم د 1463

ثانيا : المصادر والمراجع المطبوعة والمرقونة

- ابن رشيق: العمدة الجزء الأول.
- إبراهيم (أمين) وآخرون:ـ المعجم الوسيط، ط 2، القاهرة.د.ت [مجمع اللغة العربية بالقاهرة].
- أبو الأنس:ـ قرة أعين المومنين، مخطوط خ ع الرباط، رقم 171 ك.
- ألباني (محمد ناصر الدين ال): مختصر صحيح الإمام البخاري، ط.1، أسيوط: منشورات لجنة إحياء السنة د.ت.
- أرسطو (طاليس): فن الشعر مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سيناء وابن رشد، ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه عبد الرحمن بدوي، د.ط، بيروت : دار الثقافة د.ت.

- أنيس (إبراهيم): موسيقى الشعر.
- أنكام (علي): _ " إسهام في دراسة زاوية قصر تمكروت "، رسالة د.د،ع تحت إشراف الأستاذ أحمد توفيق سنة 1991 وهي مرقونة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.
- أيوبي (ياسين الـ): معجم الشعراء في لسان العرب، ط. 2، بيروت: دار العلم للملايين، 1982.
- بارت: "درجة الصفر في الكتابة (1953).
- باقلاني (أبو بكر الـ): إعجاز القرآن ، تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر ط. 1، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية: 1411هـ/1991م.
- بحتري (أبو عبادة ال): ديوان البحتري، د.ط بيروت : دار صادر، 1385هـ/ 1966م.
- بستاني (بطرس الـ): محيط المحيط. ط . جديدة، بيروت : مكتبة لبنان، 1987. [قاموس مطول للغة العربية].
- بشار (ابن برد): ديوان بشار بن برد، لناشره ومقدمه وشارحه ومكمله الطاهر بن عاشور، علق عليه محمد رفعة فتح الله ومحمد شوقي أمين، د.ط، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1369هـ/1950م.
- بلمليح (ادريس):ـ المختارات الشعرية وأجهزة تلقيها عند العرب من خلال المفضليات وحماسة أبي تمام، ط. 1، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1995.[منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط].
- بن الصغير (محمد): بناء القصيدة الصوفية في الشعر المغربي، أحمد التستاوي نموذجا، سلا: مطبعة بني يزناسن، ط: 1 ، 2004 .
- تايلور (ألفرد إدوارد): أرسطو، ترجمة : د.عزة قرني، ط.1، بيروت : دار الطليعة، 1992.
- ثعالبي (أبو منصور عبد الملك ال): يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة، ط. 2، بيروت : دار الكتب العلمية، 1983.
- جاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر الـ):ـ البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، د.ط، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1948.
- جاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر الـ):ـ كتاب الحيوان، بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، د.ط، بيروت : دار الفكر، 1988 في ثمانية أجزاء (الجزء المعتمد 6).
- جابر (عصفور): – مفهوم الشعر ، دراسة في التراث النقدي.
- جلاب (حسن): أدبيات الشوق إلى البقاع المقدسة .
- جرجاني (علي بن محمد الشريف ال): كتاب التعريفات، ط. جديدة، بيروت: مكتبة لبنان، 1985.
- الجاسر (حمد)" كتاب أشهر رحلات الحج "الرياض: دار الرفاعي للنشر، "ط:1،عام:1982

- حازم (أبو الحسن القرطاجني):. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، ط.3، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986.
- حدادي (أحمد): رحلة ابن رشيد السبتي، دراسة وتحليل، الجزء1: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 2003.
- حركات (إبراهيم): المغرب عبر التاريخ، ط.2، الدار البيضاء : دار الرشاد الحديثة، 1984.
- حسان (بن ثابت): ديوان حسان بن ثابت، حققه وعلق عليه: الدكتور وليد عرفات، د.ط، بيروت : دار صادر، د.ت.
- حسني محمود حسين أدب الرحلة عند العرب، القاهرة: المكتبة الثقافية، 1976،
- حطيئة (ال): ديوان الحطيئة، د.ط، بيروت : دار صادر، 1967.
- (حليفي (شعيب) "الرحلة في الأدب العربي".البيضاء: دار القرويين،،ط2،أبريل 2003
- حمادة (إبراهيم): كتاب أرسطو فن الشعر، قام بالترجمة العربية وتقديمها والتعليق عليها الدكتور إبراهيم حمادة، د.ط، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، 1989.
- حموي (أبو عبد الله ياقوت الـ): معجم الأدباء، ط.1، بيروت : دار الكتب العلمية، 1991.
- خفاجة (أبو إسحاق ابراهيم بن): ديوان بن خفاجة، تحقيق وشرح كرم البستاني، د.ط، بيروت: مكتبة صادر، 1951.
- خشيم (علي فهمي) ،"الحاجية" نشرته دار مكتبة الفكر، في طبعة أولى، سنة 1974
- خلدون (عبد الرحمان بن):
  - مقدمة ابن خلد ون، د.ط، بيروت : دار الجيل.د.ت.
  - التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، عارضه بأصوله وعلق على حواشيه محمد بن تاويت الطنجي، د.ط، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1951.
- الخليفتي (امحمد بن عبد الله): الدرة الجليلة في مناقب الخليفة.تحقيق،أحمد عمالك. د.د.ع، إشراف : أحمد توفيق، كلية الآداب بالرباط، سنة 1986، مرقونة.
- خنساء (تماضر ال): ديوان الخنساء، د.ط، بيروت: المكتبة الثقافية، د.ت.
- دباغ (محمد بن عبد العزيز): من أعلام الفكر والأدب في العصر المريني، ط.1، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1992.
- ذاكر (عبد النبي) – مقال : سيميائية الصورة الثقافية ، ضمن مجلة " الصورة " السنة الثانية – العدد الثاني — سنة 1999
- رشيق (أبو علي الحسن ابن): العمدة في محاسن الشعر وأدابه، تحقيق الدكتور محمد قرقزان، ط.1، بيروت : دار المعرفة، 1988.
- رامان سكدن: النظرة الأدبية المعاصرة .
- الرضا (علي التونسي): الرحلات، بيروت: المطبعة التعاونية.

- زرع (علي بن أبي):
  - الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، د.ط، الرباط : دار المنصور، 1973.
  - الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، د.ط، الرباط : دار المنصور، 1972.
- زيدي (توفيق ال): تأسيس الخطاب النقدي، الدار البيضاء : دار قرطبة، ط :1، 1989.
- سجلماسي (أبو محمد القاسم الـ): المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع تقديم وتحقيق علال الغازي، ط. 1، الرباط : مكتبة المعارف، 1980.
- السكاكي (أبو يعقوب بن أبي بكر بن علي الـ) : مفتاح العلوم ،ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، بيروت : دار الكتب العلمية، ط : 2، 1987.
- سيوطي (جلال الدين ال): الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، د.ط، بيروت : المكتبة العصرية، 1988.
- شرح شواهد المغني، ذيل بتصحيحات وتعليقات العلامة الشيخ محمد محمود ابن التلاميد التركزي
- الشنقيطي، د.ط، بيروت : دار مكتبة الحياة، د.ت.
- الشامي (صلاح): الرحلة عين الجغرافيا المبصرة، منشأة المعارف ، 1982.
- شنتمري (أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الـ): شرح حماسة أبي تمام، تحقيق وتعليق الدكتور علي المفضل حمودان، ط.1، بيروت: دار الفكر المعاصر، 1992.
- الضعيف الرباطي (محمد بن عبد السلام): تاريخ الضعيف الرباطي، تحقيق محمد البوزيدي: دار توبقال، 1988.
- طبري (أبو جعفر محمد بن جرير ال): تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، د.ط، بيروت : دار سويداند.ت.
- طرابلسي (أمجد ال):
  - نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب، ط.5، الدار البيضاء : دار قرطبة للطباعة والنشر، 1986.
  - نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس للهجرة، ترجمة إدريس بلمليح، ط.1، الدار البيضاء : دار توبقال للنشر.1993.
- الظريف (محمد) :
  - الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية،البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة،ط:1، سنة 2002
  - الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين، سلا: مطبعة بني إزناسن،ط:1،
- عبادي (أحمد مختار الـ): دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ط.1، الأسكندرية: مطبعة المصري، 1968.

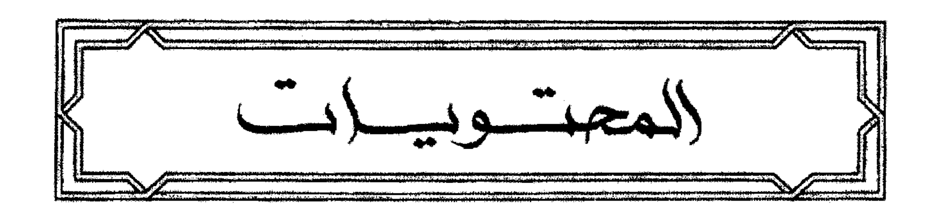
- عباسي (عبد الرحيم بن أحمد ال): معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، حققه وعلق حواشيه، وصنع فهارسه محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، بيروت : عالم الكتب، 1947.
- عسيلان (عبد الله بن عبد الرحيم): معجم شعراء الحماسة، د.ط، الرياض: دار المريخ للنشر، 1982.
- عمالك (أحمد):
  - الزاوية الناصرية ودورها الاجتماعي والسياسي ،دكتوراة الدولة، أشرف عليها الأستاذ محمد حجي، ونوقشت سنة 2001، بكلية الآداب بالرباط، مرقونة.
  - إسهام الزاوية الناصرية في ربط الصلات بين بلدان الشمال الإفريقي خلال القرنين 11 /12 هـ، 16 /17 م "، في: مجلة دار النيابة، ع 22 (1989)
- العدلوني الإدريسي (محمد): معجم مصطلحات التصوف الفلسفي الدار البيضاء: دار الثقافة، ط:1، 2002.
- عدنان (عزيز): قراءة النص الأدبي في ضوء فلسفة التفكيك ،ص: 52 عالم الفكر، العدد 2، مجلد 33 ، 2004.
- العسكري (أبو هلال): عاش حياته مغمورا، فلم يحظ من المجد ونباهة الشأن، كما حظي غيره من العلماء والأدباء في العصر الذي عاش فيه. وإن كان قد حظي بعد موته بالخلود فيما ألف وكتب، وقدره الناس بعد موته. وكانت وفاته سنة 395 هـ / 1005 م. وله مصنفات منها:- كتاب التلخيص وهو كتاب في اللغة، والصناعتين، وجمهرة الأمثال، وكتاب معاني الأدب وديوان شعر وغيرها. (معجم الأدباء، 562/2 معجم المؤلفين، 1 /560 .).
- علوش (سعيد): معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، عرض وتقديم وترجمة، بيروت: دار الكتاب اللبناني،ط:1،1985. - ينظر، محور: أدب الرحلات ، بمجلة الثقافة الأجنبية ، السنة التاسعة ، العدد الثالث 1989
- عمر (ابن أبي ربيعة): ديوان عمر بن أبي ربيعة، د.ط، بيروت: دار صادر، 1961.
- الغلبوني عبد الرحمان، الشواهد الشعرية حول الاستعارة في النقد الأدبي القديم إلى أواخر القرن الخامس الهجري، رسالة لنيل د.د.ع:إشراف: الأستاذ: أحمد الطريسي، الرباط ، 1990، مرقونة.
- فهيم (حسين محمد): أدب الرحلات : عالم المعرفة عدد 138 يونيو 1989.
- فيروز ابادي (مجد الدين ال):ـ القاموس المحيط، د.ط، بيروت : دار المعرفة د.ت. بيروت: دار إحياء العلوم 1987.

- القادري (محمد بن الطيب): نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد توفيق، الجزء الثاني: منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، الرباط، 1977.
- قدامة بن جعفر: نقد الشعر تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت: دار الكتب العلمية
- القاسمي (هاشم العلوي): بلاد الحجاز والحرمين الشريفين بعيون الرحالة المغاربة خلال القرن 13هـ/19م ، مقال ضمن مجلة دعوة الحق، العدد 348، دجنبر سنة 1999.
- ابن قسي (أحمد): خلع النعلين واقتباس النور من موضع القدمين،تحقيق، للباحث الأمراني (محمد) ، ط : 1، 1997
- كحالة (عمر رضا): معجم المؤلفين، اعتنى به وجمعه وأخرجه مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط.1، بيروت : مؤسسة الرسالة، 1993 (4 أجزاء).
- كظيمي (عبد الرحمان)، " إشعاع الزاوية الناصرية على البوادي والحواضر"،في: مجلة جامعة ابن يوسف مجلة نصف سنوية، ع2 (2003)
- كفوي (أبو البقاء أيوب ال): الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه.د. عدنان درويش ومحمد المصري، ط. 1، بيروت : مؤسسة الرسالة، 1992.
- كنون (عبد الله: النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط.3، بيروت : دار الكتب اللبناني، 1975.
- كيليطو (عبد الفتاح): الأدب والغرابة دراسات بنيوية في الأدب العربي، ط.1، بيروت: دار الطليعة، 1982.
- محمد فهيم (حسين): أدب الرحلات -عالم المعرفة- عدد 138 يونيو 1989.
- محمد الشيخ (أحمد): مشاهد الشواهد في علم القوافي.
- مراكشي (عبد الواحد الـ): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبطه وصححه وعلق حواشيه وأنشأ مقدمته: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، ط.7، الدار البيضاء: دار الكتاب، 1978.
- امرؤ القيس :ـ ديوان امرئ القيس، جمعه ورتبه وعلق حواشيه حسن السندولي، د.ط، القاهرة، المطبعة الرحمانية بمصر، 1930.
- مرزباني (أبو عبيد الله محمد ابن عمران ال): معجم الشعراء، ط.2، بيروت : مكتبة القدس، 1982. [ومعه: المؤتلف والمختلف للآمدي]. [بتصحيح وتعليق الأستاذ الدكتور ف . كرنكو]..
- مسعودي (أبو الحسن الـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، مصر، مطبعة السعادة، 1947.
- معري (أبو العلاء ال):

- سقط الزند، د.ط، بيروت : دار صادر، 1957.
- اللزوميات، حققه وأشرف على طباعته جماعة من الأخصائيين، ط.1، بيروت : دار الكتب العلمية، 1983.
- مقري (أحمد الـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، حققه ووضع فهارسه يوسف الشيخ محمد البقاعي بإشراف ومراجعة الناشر، ط.1، بيروت : دار الفكر، 1986.
- "مكامان (لمحمد) ، الرحلات المغربية في القرنين 11 و12 للهجرة د د ع، إشراف د: محمد حجي، كلية آداب الرباط، 1986، مرقونة
- منذري (زكي الدين عبد العظيم الدمشقي الـ): مختصر صحيح مسلم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط. 2 ، أسيوط : منشورات لجنة إحياء السنة.
- منظور (أبو الفضل جمال الدين ابن): لسان العرب، ط.1، بيروت : دار صادر، د.ت.
- منوني (محمد الـ):
  - ورقات عن حضارة المرينيين، ط.،2 الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1996. [منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط].
  - مظاهر يقظة المغرب الحديث،الدار البيضاء شركة النشر والتوزيع المدارس.
- الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، البيضاء، 1997.
- الناصري (محمد المكي): الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة، تحقيق محمد الحبيب النوحي،1988 (رسالة مرقونة بكلية الآداب، الرباط) .
- نديم (ابن الـ): الفهرست، د.ط، بيروت : دار المعرفة، د.ت.
- هارون (عبد السلام): تحقيق النصوص ونشرها، ط2 ، القاهرة، 1965 .
- وزان (الحسين بن محمد الـ): وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، ط.2، بيروت : دار الغرب الإسلامي، 1983.
- الولي (محمد) ينظر مقال : الصورلوجية من خلال رواية :"إيمان"، ضمن مجلة "الصورة"، السنة الرابعة العدد 4 ، سنة 2002
- ونسنك وآخرون: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي عن الكتب الستة وعن مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل، د.ط، ليدن : مطبعة بريل، 1955. [إشراف الاتحاد الأممي للمجامع العلمية].
- يعقوب (إميل بديع): المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1991.
- يوحنا (قمير): أبو العلاء المعري،.د.ط، سلسلة فلاسفة العرب، بيروت: دارالمشرق، 1982.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

- ARISTOTE: - RHETORIQUE.PARIS LES BELLES LETTRES; 1967.[texte ètabli et traduit par MEDERIC DUFOUR.[.
- .BELLEMIN (NOEL) : - PSYCHANALYSE ET LITTERATURE; Que- sais- je; PUF.
- BODIN Marcel, La Zaouia de Tamegrout, in : Les Archives berbères, Vol 3, fasc 4, 1918
- BRUNEL, PICHOIS, ROUSSEAU: - QU'¬ EST CE QUE LA LITTERATURE COMPAREE? PARIS: ARMANT Colin; 1983.
- DRAGUE (Georges), Esquisse d'histoire religieuse du Maroc, Peyronnet : Pris,1951.
- ODINOT (P), Rôle politique des Confréries et des Zaouïas au Maroc,B.S.G.A :de la province d'Oran. LI, Mars, 1930.
- MARINO (ADRIAN): - LA CRITIQUE DES IDEES LITTERAIRES. Edition complexe.
- ROSENBERGER (B) et TRIKI (H), « Famines et épidémies au Maroc au XVIé et XVIIé siècles » in : Hespéris-Tamuda, 1ére partie, VV, 1974, , 2éme partie V-VI, 1975 .
- PASCON (P), Le haouz de marrakech, cd Nord Africaines, Tanger, 1
- Spillman, Les confréries religieuses et les Zaouias au Maroc, Rabat : Ministère de l'Intérieur
- Marcel Bodin la Zaouia de Tamegrout », in :Les archives bérbéres, vol 3,fasc4,1918
- La Zaouia de Tamgrout et les Nasiriyine », in : L'Afrique Français : bulletin mensuel du comité de l'Afrique francais et du comité du Maroc, Renseingnements coloniaux, n°8-9, 1938،
- VAN ARENDONK ©, « Sharif », in : Encyclopédie de l'Islam, IV, P336
- Dictionnaire universel des littératures , paris , PUF? 1er ed, 1994



المحتويات